دائرة

معارف القرن العشرون

الرابع عشر - العشرين

قاموس عام مطول للغة العربية والعلوم النقلية والعقلية والكونية بجميع أصولها وفروعها
ففيه النحو والصرف والبلاغة والمسائل الدينية وتاريخ الفرق والمذاهب والتفسير
والحديث والاصول والتاريخ العام والخاص وتراجم مشهوري الشرق
والغرب والجغرافية الطبيعية والسياسية والكيمياء والفلك والفلسفة
والعلوم الاجتماعية والاقتصادية والروحية والطب والعلاج
وقانون الصحة والفوائد المنزلية وخواص العقاقير والاقرباذين
والاحصاءات وسائر مايهم الانسان في جميع المطالب

تأليف

محمد فريد وجدي

المجلد الثامن

دار الفكر

بيروت

حرف الكاف

﴿ الكاف ﴾ المفردة أداة للتشبيه وتجر مابعدها نحو (فلان كالبحر) أى يشبه البحر

﴿ كَئِب ﴾ الرجل يكأب كأبا وكآبة حزن فهو (كئيب)

﴿ الكاب ﴾ بلاد الكاب من المستعمرات الانجليزية واقعة فى جنوب القارة الافريقية جوها جيل عاصمتها مدينة الكاب ويسميها الانجليز كابتاون يسكنها نحو (٨٥٠٠٠) من النسمات وهي ميناء تجارية هامة محصنة ترسو بها السفن التي تقصد الهند عن طريق رأس الرجاء

أشهر مدن هذه المستعمرة (ايليزابت) يسكنها نحو ٣٠ الف نسمة منها تصدر محصولات المستعمرة من أصواف وجلود وريش نعام ، و (عراهمستاون) يسكنها نحو ١٥ الف نسمة (وكيبرلى) يسكنها نحو عشرين الف نسمة وهى داخل البلاد شهرت بمعادن الماس التى بضواحيها

مساحة الكاب (٥٢٣٠٠٠) كيلومتر مربع ، مجموع عدد أهلها (١٣٥٠٠٠٠) نسمة خمسهم من البيض

بلغت صادراتها من سنة ١٨٦٧ الى ١٩٠٠ نحو ٩٥ مليون جنيه من الماس

معادن الكاب من أغني معادن العالم فيستخرج منها الذهب والماس والنحاس والفحم الحجري ، تقوم باستخراجها شركات ذات رؤس وأموال ضخمة

أما حيواناتها فكثيرة وفيها عدد كثير من الوحوش الكاسرة طاردها الصيادون فقلت جداً اذا التجأت الي الجهات الشمالية

أما الحيوانات المستأنسة من الغنم والجاموس والابقار والانعام والخيول فلا تكاد تحصى

أشهر زراعتها الحبوب والكروم ومحصولها وفير جدا

صناعتها متأخرة الا مايتعلق باستخراج المعادن

أما تجارتها فعظيمة ترد اليها المنسوجات والجلود المصنوعة والاسلحة والآلات وتصدر الحبوب والاصواف وريش النعام والجلود الخام والذهب والماس والنحاس

والخور

اكثر المالك تجارة مع الكاب انجلترة ثم بعض مستعمراتهـا كجزيرة موريس والهند ويليها هولندة والبرزيل

طرق المواصلات داخلها تسير عليها العربات الضخمة تجرها عشرات من الجاموس وفيها خطوط حديدية وهي واصلة بين الكاب وميناء ايليزابث وكيمبرلي وجوهانسبرج وبلومفنتين وبرتوريا وخليج دولاغو وممتدة شمالا الى بولوايو وفورسلسبورى

يسكن هذه المستعمرة (أولا) سكانها الاصليون أشهر قبائلهم الباروتسي والبشوانة والمتابل والكفرة والزولوس وهم أمة حرب وكفاح ولهم جيوش منظمة (ثانيا) الملاسيون أو المولدون وهم الذين جاؤا من أب أبيض وأم سوداء وأكثرهم مسلمون (ثالثا) الاوربيون وأكثرهم انجليز وفيهم بويروهم من نسل الهولانديين والفرنسيين البروتستانت الذين لجأوا الى جنوب افريقا زمن اضطهاد الكاثوليك للبروتستانت

اللغة الشائعة هنالك الانجليزية اما البوير فيتكلمون بالهولاندية والوطنيون لهم لهجات خاصة

الدين الرسمي هنالك هو الدين المسيحي وأما الوطنيون فوثنيون الا بضع آلاف منهم فهم مسلمون

حكومة الكاب دستورية لها استقلال اداري ومجلس نواب ومجلس عال. ويحكم البلاد حاكم انجليزي. أما القوة التشريعية فهي في يد البرلمان الانجليزى

﴿ كابل ﴾ هي أشهر مدن بلاد الافغان وعاصمتها بها نحو ٧٥ الف نسمة وترتفع نحو مثتي متر عن سطح البحر مشهورة بتجارتها مع الهند والفرس تصنع بها الاقمشة والشيلان

قال ابن حوقل من مؤلفي المسلمين المتقدمين : كابل من عمل بيان وفيها المسلمون وكفار الهند ويزعم الهنود أن الملك وهو الشاه لا يستحق الشاهية دون ان يعقد له الملك في كابل وان كان منها علي بعد. وكابل فرضة للهند أيضا . وقال في اللباب ناحية معروفة من بلاد الهند نسب اليها جماعة من اهل العلم قال فى القانون قلعة كابل مستقر ملوك الاتراك كانوا ثم البراهمة فينسب اليهـا الاهليلج فيقال اهليلج كابلي وليس بها شئ منه . ولكن لما كانت فرضة للتجار يقصد منها

الاهليلج وغيره نسب اليها . وكانت من ثغور المسلمين في بلاد الهند وفي غربيها مدينة غزنة

﴿ الكابلي ﴾ هو نبات يعتبر رأس فصيلة مستقلة وهو شجر ينبت على الشاطيء الشرقي للهند وجزيرة جاوة خشبه ملون بالحمرة المسمرة. وأهل تلك الجهة يستعملون قشوره علاجا للحمى

قال العالم الفرنسي ميريه: ويظهر ان الخواص الطبية لقشر الكابلي كخواص الكينا

وقد استعمل هذا القشر الطبيب بلوم فنجح في دفع الحميات المترددة والخبيثة أيضا. وهو يعتبر كمقو في الحميات الدائمة

وقد اشتهر قشر الكابلي اشتهارا عظيما عند الهنود ولا سيما في الجهات الرطبة والآجامية كضاد للحمى ولكن مالامرية فيه ان الكينا وأملاحها تفوقه من جميع الوجوه

﴿ الكابلي ﴾ يوجد بأمريكا الجنوبية شجر يسمي الكابلي وهو كبير جميل يستعمل خشبه في صناعة التجارة وتعمل منه أثاث للمنازل، وهو يحفظ زمنا طويلا لكثرة الراتينج فيه

ازهاره قوية الرائحة يستخرج منها دهن طيار شديد العطرية وشبيه بدهن الخزامى وهو مقو للدماغ ونافع للاعصاب ومفتح السدد ومدر البول ويستعمل علاجا للنزلة والاوجاع الروماتيزمية

﴿ كأد ﴾ الرجل يكأد كأدا كئب و (تكأد الشئ) تكلفه و (تكاءدني الامر) شق عليّ و (العقبة الكأداء والكؤود) الصعبة

﴿ كاريان ﴾ جاء في معجم البلدان كاريان مدينة بفارس ولها قلعة قيل لم تفتح عنوة قط وهي على جبل طين

﴿ كازرون ﴾ جاء في معجم البلدان كازرون مدينة بفارس بين البحر وشيراز يقال هي دمياط الاعاجم يعمل بها ثياب من الكتان على شبه القصب وهي كلها قصور وبساتين ونخيل ممتدة عن يمين وشمال بينها وبين شيراز ثلاثة أيام ثمانية عشر فرسخا

﴿ كاسان ﴾ جاء في معجم البلدان كاسان مدينة كبيرة في أول بلاد تركستان وراء نهر سيحون وراء الشاش لها قلعة حصينة علي بابها وادى أخسيكت

﴿ كاسيا ﴾ شجر الكاسيا ينبت بنفسه في سورنام بأمريكا ثم نقل منها الي

جيان بأمريكا أيضا سنة ١٧٧٢ وهو يألف شواطئ الأنهار والارضى الرطبة

تستعمل منه فى الطب جذوره ، شجره يعلو على الارض من ٦ أقدام الي ١٠ ساقه قائمة متفرعة قشورها رمادية شديدة المرارة، أوراقها متفرعة خالية من الزغب. أزهارها سنبلية انتهائية متضاعفة وفي قاعدتها وريقات زهرية وهي حمر كالمحور المركزى للسنبلة والكأس صغير وأنبوبته كثرية ذات خمسة أظفار بيضية وثمره عبارة عن ثمرة لحية ذات نواة

(صفات الجذور الدوائية) تعتبر جذور الكاسيا من المقويات فتفتح الشهية وتزيد في القوي المعدية فتعين على الهضم وهو ليس منبها وانما يقوى المنسوجات ويوقظ فاعلية الاجهزة العضوية ولكنه لايثير حركاتها ولا يهيجها ولا يسبب استفراغات ثقلية

وخلاصته المائية تستعمل في بلاده علاجا للحميات المتقطعة الثقيلة والوبائية وهو يعتبر هنالك أقوي من الكينا فى ذلك وقد نسب له الاطباء مضادة العفونة وقالوا انه واسطة علاجية قوية لعيوب وظيفة الهضم كفقد الشهية وحس الثقل بعد الاكل وبطء الهضم المعدي والرياح المعوية والبروز الكثير أو المتعوق فهذه تشفى شفاء أكيداً بالمركبات الدوائية المأخوذة من هذا الجوهر اذا تقدم على هذه العوارض لين الاغشية المعدية المعوية وضعفها المادى أوضعف التأثير العصبى المقوي الذي تقبله من المراكز العصبية فيعطي المريض من مركبات هذا الجوهر قبل كل أكلة نحو ملعقتين من منقوعه أو واحدة من نبيذه المتحمل لاصوله او ملعقة قهوة من صبغته او ٤ قمحات من خلاصته

ولكن اذا كان هنالك تهيج في القنوات الغذائية فيكون استعمال هذا الجوهر مؤذيا. وقد مدحوه في داء النقرس بسبب شدة مرارته . ونجح أيضا في السيلانات البيض المهبلية لان خاصته المقوية قد تنوع الحالة المرضية للمجموع الحيوانى كله ولاسيما الغشاء المخاطي المهبلي وتجفف الافراز الحاصل من الاسترخاء أو الاحتقان الدموى في هذا الغشاء

وقد شوهد نجاحه أيضا فى مقاومة الديدان وذكروا شدة فاعليته فى الحميات المتقطعة فيعطي مغليا ومنقوعا وهذه الخاصة معروفة له بأمريكا . ولما أوصل

استعماله الى اوربا جعلوه دواء قويا لجميع الحميات حتي الدائمة الثقيلة . وأوصى به كثيرون في الحمي الخبيثة العفنة ونحو ذلك

وكما استعملوه علاجا للادواء استعملوه أيضا لخاصته المقوية حافظا للصحة فأوصوا بمنقوعه كواسطة صحية للاشخاص الذين صناعتهم تلزمهم بالجلوس الدائم لاجل مقاومة النتائج المضرة الحاصلة من الراحة ولحفظ فاعلية الاعضاء التي تضعفها على الدوام تلك البطالة والاولى من ذلك فى نظرنا ان يعمد الانسان الى الرياضة مهما كلفته لان الاعتماد في معالجة مايسببه الكسل على الدواء يفضى بالشخص الى مرض عضال

(مقدار استعمال الكاسيا) يستعمل مسحوقه من غرام واحد الى غرامين اثنين ولكنه يعسر تحويله الى مسحوق وانما يحول اليه بالمبرد

ويستعمل منقوعه بوضع ٤ غرامات الى ١٥ جراما مجروشة لكل مئة غرام من الماء فيصير ذلك الماء مراً جداً

وقد عملت منه كوبات يوضع فيها الماء مدة كافية ثم يشرب فيكون مريراً جداً ولكنه حاصل علي خاصة تقوية المعدة

﴿ كاشم رومي ﴾ يقال له الانجدان الرومى هو نبات ينبت بالجبال الشاهقة المظللة بالاشجار وينبت ايضا بجنوب فرنسا وقد استنبت بالبساتين لجمال أوراقه ورائحته الزكية

هذا النبات يحتوي علي عصارة صفراء صمغية راتينجية وبزوره مستطيلة سمراء محززة

قال أطباء العرب الكاشم نبات له ساق صغيرة دقيقة شبيهة بساق الشبث ذو عقد عليه ورق شبيه بورق اكليل الملك الا انه أنعم منه ، طيب الرائحة وله ثمر اسود مصمت مستطيل يشبه بزر الرازيانج حريف المذاق عطر وله جذر كبير طيب الرائحة

قالوا ان جذر هذا النبات وبزره يدران البول ويطردان الرياح ويحللان النفخ ويهضمان الغذاء

ونقلوا عن ديسقوريدس انه قال ان بزر هذا النبات وأصله مسخنان موافقان لاوجاع الجوف والاوجاع البلغمية والنفخ والسموم العارضة فى المعدة

وقالوا انه يبرىء سائر السموم الباردة واذا احتملت المرأة أصله أدر الطمث . وقد ينتفع ببزوره واصله فى اخلاط الادوية

المسرعة للاحدار والهاضمة للطعام. بزره حار طيب يستعمله اهل البلاد التي ينبت فيها بدل الفلفل ويتبلون به وبنباته أطبختهم ويقال انه مذهب للقراقر نافع من سدد الكبد مخرج للديدان

قال العلامة ماريه الفرنسي عن هذا النبات انه نافع في الداء العصبي المسمى بالهستريا ولاجل تحريض الطمث واندفاع الجنين والمشيمة وتستعمل لذلك بذوره وجذوره. ويصنع منها منقوع وصبغة نبيذ وحمام وغير ذلك ومع ذلك فهو الآن قليل الاستعمال مع انه من النباتات الشديدة الفعل السهلة الوجود

(كيفية الاستعمال) يستعمل منقوعه من الباطن بمقدار من ٨ غرامات الى ٢٠ للكيلوغرام من الماء ويتعاطى من خلاصته من غرامين الي ٤ في جرعة

﴿الكافور﴾ هو مادة مكونة من دهن طيار متجمد شفاف ذى رائحة نفاذة خاصة به يستخرج من نباتات كثيرة وأكثر ما يستخرج من النبات المسمي لوروس كفورا أي الغار الكافوري

كان هذا النبات غير معروف عند اليونانيين والرومانيين ولكن العرب عرفوه وذكروه في مؤلفاتهم

شجر الكافور كبير ينبت في جزيرتي سومترا وبورنيو وينبت أيضا في جزيرة سيلان وفي بلاد الصين واليابان وأمريكا الشمالية وجذر القرفة يعطي كافورا يباع في المتجر باسم كافور وهناك أيضا نباتات أخرى تحتوي على كافور ولكن بمقدار يسير كجذر الكاسيالينيا والسلسفراس والخولنجان والجدوار الهندي والزنجبيل وحب الهال وجذر الراسن وحبوب الدار فلفل. ويوجد الكافور أيضا في كثير من الزيوت الطيارة التى تستخرج من النباتات الشفوية كزيت المريمية والسعتر وأكليل الجبل والنعنع الفلفلي ويوجد فى غير هذه النباتات أيضا

شجر الكافور المسمى لوروس كفورا يعظم ارتفاعه كالزيزفون ويألف المحال المرتفعة من بلاد الهند واليابان جذعه قائم مستقيم بسيط من الاسفل وأوراقه متعاقبة بيضاوية مستديرة منتهية بنقطة حادة. وأزهاره قمية طويلة الحامل وتكون أولا محورية في براعيم فلوسية مخروطية ابطية بيضية مركبة من قشور غشائية . وثماره تشبه ثمار القرفة ولكنها أصغر منها

ولا يستعمل الا الدهن الطيار الجامد المستخرج من هذه الشجرة وهو يخرج من شقوق تفعل في الشجرة فيكون اولا سائلا ثم يتجمد ولكنه لقلته لا يكفى للاحتياجات الطبية فلذلك تقطع فروع الشجرة واغصانها بل وجذعها ايضاً وتوضع تلك القطع في مراجل كبيرة مغطاة بأغطية فيها شيء من قشر الارز ثم تسلط على تلك المراجل حرارة لطيفة فيتصاعد الكافور ويعلق بقشر الارز على شكل حبوب سنجابية دهنية رطبة مخلوطة بمواد غريبة تنقى منها بعد اعمال اخري

فالكافور النقي يكون جامداً ابيض كالثلج شفافا أو غير تام الشفافية خفيفاً دسم الملمس والمنظر رائحته قوية أو خاصة به تنتشر لمحال بعيدة . ثقله الخاص ٩٨٨ر٠ واذا وضع في اناء مفتوح تطاير شيئاً فشيئاً حتي لا يبقى له أثر

هو مكرن من كربون وايدروجين وأوكسيجين وأزوت يلتهب بسهولة ينبعث منه لهب ابيض ودخان كثير قوي الرائحة وهو قليل الذوبان في الماء ، كثيره فى الاتير والزيوت الثابتة والطيارة

وقد جرب الكافور من وجهة فيزيولوجية فتقرر انه اذا استعمل بمقادير معتدلة انتج تسكيناً وتبريداً واذا تعوطي بمقادير كبيرة انتج سباتاً وهبوطاً عميقاً للقوى

(خواص الكافور الطبية) هو مضاد للتشنج ومزيل للالتهابات في ابتدائها وله شهرة في معالجة النقرس والألم الروماتيزمي استعمالا من الباطن ودلكاً من الظاهر وتبخيراً ايضاً

وقد عد من أعظم المسكنات للامراض العصبية ونجح فى معالجة الآفات التابعة لحالة مرضية غير عضوية في المخ والنخاع الشوكي أو الاعصاب العقدية أو انخرام في التأثير العصبي على القلب أو اعضاء التنفس أو الهضم . فلذا شوهد قطعه نوب عسر التنفس والسعال وايقافه الخفقانات والوثبات التشنجية في القلب وازالة تقلص المرىء وتوتر الحجاب الحاجز والقيء والانتفاخات والانقباضات المعوية الشبيهة بالقولنجات وكذا فى التشنجات وغيرها من الامراض العصبية كالمانيا والصرع والهستريا وينفع في الجنون العشقي (ايروطومانيا) وغلمة النساء (نمفومانيا)

وكثيراً ما نجح الكافور في معالجة

الطاعون والحميات العفنة والتيفوس وعسر البول وتقطيره

ويستعمل من الخارج كمضاد للعفونة في القروح الرديئة الطبيعة والحفرية والقوباوية والغنغرينية وينفع كذلك في الاندفاعات الجلدية المزمنة فيسكن الأكلان المصاحب لها . ويستعمل مع النجاح في الحمرة فتوضع عليها رفائد غمست فيه وتندى منه حينا بعد حين ويستعمل دلكا على الاوجاع الروماتيزمية والعصبية المزمنة وكذا في الاحتقانات الناشئة من البرد ويمزج بمراهم ليكون علاجا للجرب والاكزيما ومنع الاكلان

وقد اشتهر الكافور باضعافه للباه

وقد زعم الكيماوي رسباى ان قطعة من الكافور تقوم مقام جميع فواعل المادة الطبية وقد اسس ذلك على ان جميع الامراض سببها وجود حيوانات في البنية وان الكافور قاتل لها فصار بذلك مفيداً لجميع امراض البنية على الاطلاق وفي هذا غلو عظيم

﴿ كافور الاخشيدى ﴾ ملك مصر في دولة الاخشيديين كان اصله مملوكا اسود لبعض اهل مصر ثم اشتراه ابو بكر محمد ابن طغج الاخشيد في سنة (٣١٢) من محمود بن وهب بن عباس وترقي عنده الى ان جعله اتابك ولديه (اي مربيا لهما)

قال محمد وكيل كافور الاخشيدى خدمت الاستاذ والجراية التى يطلقها ثلاثة عشرة جراية في كل يوم ومات وقد بلغت على يدى ثلاثة عشر الفا في كل يوم

لما توفي الاخشيد ملك مصر تولي بعده ولده الاكبر ابو القاسم انوجور على مصر والشام وقام كافور بتدبير مملكته احسن قيام الي أن توفى انوجور سنة (٣٤٩) وحمل الى القدس ودفن بها عند ابيه . وتولى بعده اخوه ابو الحسن على فملك الروم في ايامه حلب والمصيصة وطرسوس فاستمر كافور على نيابته الى ان توفى المذكور سنة (٣٥٥) فاستقل كافور بالمملكة من هذا التاريخ واشير عليه باقامة الدعوة لولد ابي الحسن على بن الاخشيد فاحتج بصغر سنه وركب بالمطارد واظهر خلعا جاءته من العراق وكتابا بتكنيته واتخذ ابا الفضل جعفر بن الفرات وزيرا له

كان كافور ملكا عادلا يرغب في اهل الخير ويعظمهم . وكان اسود اللون شديد السواد . اشتراه الاخشيد بثمانية

عشر ديناراً

قصده أبو الطيب المتنبي بعدأن فارق سيف الدولة بن حمدان ومدحه بغرر الشعر وعيونه فمن ذلك قوله فيه :

كفى بك داءً أن ترى الموت شافيا
وحسب المنايا ان يكن امانيا

تمنيتها لما تمنيت ان تري
صديقا فأعيا أوعدوا مداجيا

اذا كنت ترضي أن تعيش بذلة
فلا تستعدن الحسام اليمانيا

ولا تستطيلن الرماح لغارة
ولا تستجيدن العتاق المذاكيا

فلا ينفع الاسد الحياء من الطوي
ولا تتقى حتي تكون ضواريا

حببتك قلبي قبل حبك من نأى
وقد كان غداراً فكن أنت وافيا

واعلم ان البين يشكيك بعده
فلست فؤادى ان رأيتك شاكيا

فان دموع العين غدر بربها
اذا كن اثر الغادرين جواريا

اذا الجود لم يرزق خلاصا من الاذى
فلا الحمد مكسوبا ولا المال باقيا

وللنفس اخلاق تدل على الفتي
أ كان سخاء ما أتي أم تساخيا

أقل اشتياقا أيها القلب ربما
رأيتك تصفي الود من ليس صافيا

خلقت ألوفا لو رجعت الي الصبا
لفارقت شيبي موجع القلب باكيا

ولكن بالفسطاط بحراً أزرته
حياتي ونصحي والهوى والقوافيا

وجرداً مددنا بين آذانها القنا
فبتن خفافا يتبعن العواليا

تماشى بأيد كلما وافت الصفا
نقشن به صدر البزاة حوافيا

وتنظر من سود صوادق في الدجى
يرين بعيدات الشخوص كما هيا

وتنصب للجرس الخفي سوامعا
يخلن مناجاة الضمير تناديا

تجاذب فرسان الصباح أعنة
كأن على الاعناق منها أفاعيا

بعزم يسير الجسم في السرج راكبا
به ويسير القلب في الجسم ماشيا

قواصد كافور توارك غيره
ومن ورد البحر استقل السواقيا

فجاءت بنا انسان عين زمانه
وخلت بياضا خلفها وماقيا

تجوز عليها المحسنين الى الذى
نري عندهم احسانه والايديا

فتى ماسرينا في ظهور جدودنا
الى عصره الا نرجي التلاقيا
ترفع عن عون المكارم قدره
فما يفعل الفعلات الا عذاريا
يبيد عداوات البغاة بلطفه
فان لم تبد منهم أباد الاعاديا
أبا المسك ذا الوجه الذي كنت تائقا
اليه وذا اليوم الذي كنت راجيا
لقيت المروري والشناخيب دونه
وجبت هجيرا يترك الماء صاديا
أبا كل طيب لا أبا المسك وحده
وكل سحاب لا أخص الغواديا
يدل بمعنى واحد كل فاخر
وقد جمع الرحمن فيك المعانيا
اذا كسب الناس المعالي بالندى
فانك تعطي فى نداك المعاليا
وغير كثير ان يزورك راجل
فيرجع ملكا للعراقين واليا
فقد تهب الجيش الذى جاء غازيا
لسائلك الفرد الذى جاء عافيا
وتحتقر الدنيا احتقار مجرب
يرى كل مافيها وحاشاك فانيا
وما كنت ممن أدرك الملك بالمني
ولكن بأيام أشبن النواصيا
عداك تراها في البلاد مساعيا
وأنت تراها في السماء مراقيا
لبست لها كدر العجاج كأنما
ترى غير صاف ان ترى الجو صافيا
وقدت اليها كل أجرد سابح
يؤديك غضبانا ويثنيك راضيا
ومخترط ماض بطيعك آمرا
ويعصى اذا استثنيت اوصرت ناهيا
وأسمر ذى عشرين ترضاه واردا
ويرضاك في ايراده الخيل ساقيا
كتائب ما انفكت تجوس عمائرا
من الارض قد جاست اليها فيافيا
غزوت بها دور الملوك فباشرت
سنابكها هاماتهم والمغانيا
وأنت الذى تغشى الاسنة اولا
وتأنف ان تغشى الاسنة ثانيا
اذا الهندسوت بين سيفى كريهة
فسيفك في كف تزيل التساويا
ومن قول سام لو رآك لنسله
فدى ابن اخي نسلي ونفسي وماليا
مدى بلغ الاستاذ أقصاه ربه
ونفس له لم ترض الا التناهيا
دعته فلباها الى المجد والعلى
وقد خالف الناس النفوس الدواعيا

فأصبح فوق العالمين يرونه
وان كان يدنيه التكرم نائيا
وله فيه أيضاً قصيدة أولها:
من الجآذر في زي الاعاريب
حمر الحلي والمطايا والجلابيب
الى ان يقول في مدح كافور:
يدبر الملك من مصر الى عدن
الى العراق فأرض الروم فالنوب
اذا أتتها الرياح النكب من بلد
فما تهب بها الا بترتيب
ولا تجاوزها شمس اذا شرقت
الا ومنه لها اذن بتغريب
الى ان يقول:
يا أيها الملك الغاني بتسمية
في الشرق والغرب عن وصف وتلقيب
انت الحبيب ولكني أعوذ به
من ان اكون محبا غير محبوب
ومدحه أيضا بقصيدة عصماء أولها:
أود من الايام مالا توده
وأشكو اليها بيننا وهي جنده
يباعدن حبا يجتمعن ووصله
فكيف بحب يجتمعن وضده
ابى خلق الدنيا حبيبا تديمه
فما طلبي منها حبيبا ترده
واسرع مفعول فعلت تغيراً
تكلف شيء في طباعك ضده
وقال في المديح:
ومازال اهل الدهر يشتبهون لى
اليك فلما لحت لي لاح فرده
يقال اذا ابصرت جيشا وربه
امامك رب رب ذا الجيش عبده
كان أبو الطيب يرجو من كافور ان يوليه ولاية فيخرج بذلك من صف الشعراء الى صف القادة وكان المتنبي شديد التطلع للمعالى فقال يعرض بطلبه ضمن هذه القصيدة:
فكن في اصطناعي محسنا كمجرب
يبن لك تقريب الجواد وشده
اذا كنت في شك من السيف فابله
فاما تنفيه واما تعده
وما الصارم الهندى الا كغيره
اذا لم يفارقه النجاد وغمده
وقال فيه من قصيدة ينوه فيها بسواد لونه ويذكر انه من مفاخره:
فدى لابي المسك الكرام فانها
سوابق خيل يهتدين بأدهم
وله فيه قصيدة من وجوه شعر المتنبي أولها:

اغالب فيك الشوق والشوق أغلب
واعجب من ذا الهجر والوصل اعجب

وقال منها يعرض بمطلوبه من الولاية:

ابا المسك هل في الكأس فضل اناله
فاني اغني منذ حين وتشرب

وهبت علي مقدار كفي زماننا
ونفسي على مقدار كفيك تطلب

اذا لم تنط بي ضيعة أو ضيعة
فجودك يكسوني وشغلك يسلب

وقال فيه من قصيدة غراء:

وان مديح الناس حق وباطل
ومدحك حق ليس فيه كذاب

اذا نلت منك الود فالكل هين
وكل الذي فوق التراب تراب

وما كنت لولا انت الا مهاجرا
له كل يوم بلدة وصحاب

ولكنك الدنيا الى حبيبة
فما عنك لي الا اليك ذهاب

ومن العجيب أن المتنبي لما لم ينل من كافور ما يرجوه من الولاية حقد عليه وحمله الحقد على هجوه بأفحش الاهاجي بعد غلوه في مدحه فقال فيه بعدان هرب منه:

اريك الرضا لو اخفت النفس خافيا
وما انا عن نفسي ولا عنك راضيا

أمينا واخلافا وغدرا وخسة
وجبنا أشخصا لحت لي أم مخازيا

تظن ابتساماتي رجاء وغبطة
وما انا الا ضاحك من رجائيا

وتعجبني رجلاك في النعل انني
رأيتك ذا نعل اذا كنت حافيا

وانك لا تدرى ألونك أسود
من الجهل ام قد صار أبيض صافيا

ويذكرني تخييط كعبك شقه
ومشيك في ثوب من الزيت عاريا

ولولا فضول الناس جئتك مادحا
بما كنت في سرى به لك هاجيا

وأصبحت مسرورا بما انا منشد
وان كان بالانشاد هجوك غاليا

فان كنت لا خيرا افدت فانني
افدت بلحظي مشفريك الملاهيا

ومثلك يؤتى من بلاد بعيده
ليضحك ربات الحداد البواكيا

وقال يهجوه أيضا:

اما في هذه الدنيا كريم
تزول به عن القلب الهموم

اما في هذه الدنيا مكان
يسر بأهله الدار المقيم

تشابهت البهائم والعبيدي
علينا والموالى والصميم
وما أدري أذا داء حديث
اصاب الناس أم داء قديم
حصلت بارض مصر على عبيد
كأن الحر بينهم يتيم
كأن الاسود اللابي فيهم
غراب حوله رخم وبوم
أخذت بمدحه فرأيت لهواً
مقالى للاحيمق ياحليم
ولما ان هجوت رأيت عيا
مقالي لابن آوي يا لئيم
فهل من عاذر في ذاوفى ذا
فمدفوع الي السقم السقيم
اذا أتت الاساءة من وضيع
ولم ألم المسيء فمن ألوم

قال بعضهم حضرت مجلس كافور الاخشيدى فدخل رجل ودعا لهوقال في دعائه :ادام الله ايام مولانابكسر الميم . فتحدثت جماعة من الحاضرين في ذلك وعابوه عليه . فقام رجل من اوساط الناس وانشد مرتجلا ، وهو ابواسحق ابراهيم ابن عبدالله بن حشيش الجيزى اللغوى الاخبارى كاتب كافور والذى لحن هو ابو الفضل بن سحباس . فقال ابو اسحق المذكور مرتجلا :

لاغرو أن لحن الداعي لسيدنا
أوغص من دهش بالريق أو بهر
فتلك هيبته حالت جلالتها
بين الأديب و بين القول بالحصر
فان يكن خفض الايام من غلط
في موضع النصب لا عن قلة النظر
فقد تفاءلت في هذا لسيدنا
والفأل مأثورة عن سيد البشر
بان أيامه خفض بلا نصب
وان أوقاته صفو بلا كدر

أخبار كافور كثيرة .لم يزل مستقلا بالامر بعد أمور يطول بسطها الى أن توفي سنة (٣٥١) وقيل سنة (٣٥٥) وقيل سنة (٣٥٧)

كان لكافور مصر والشام وكان يدعي له على المنابر بمكة والحجاز ومصر والشام ودمشق وحلب وانطاكية وطرطوس والمصيصة وغير ذلك . وكان يقدر عمر بخمس وستين سنة يوم مات

كانت أيامه أيام صفاء وهناء ولما مات وقع خلاف فيمن يخلفه الى أن تراضت الجماعة بولد أبي الحسن علي

الاخشيد

كانت ولاية كافور سنتين وثلاثة أشهر الا سبعة أيام

﴿ الكاكاو ﴾ هو شجر جميل يعلو من ٣٠ الى ٤٠ قدما جذعه لين الخشب خفيفه وله تفرعات كثيرة مستطيلة تحمل أوراقا جميلة بسيطة رقيقة متعاقبة كاملة قصيرة الذنيب بيضية مستطيلة تكون عند خروجها حمراء جميلة ثم تصير خضراء والازهار صغيرة محمرة محمولة على حوامل دقيقة ومنضمة الى حزم صغيرة موضوعة أعلى من ابط الاوراق بيسير وبعض تلك الحزم الزهرية ينبت على الجذع والفروع الغليظة وهي التي تتلقح وتعطي الثمر وهو المستعمل فى الطب

هذا الثمر يكون شكله بعد أربعة أشهر كالخيار أى بيضى مستطيل وأحيانا يكون حلمي القمة وقد ينتهى كل من طرفيه بنقطة حادة يكون معلقا بعنيق قصير خشبي . وفى هذا الثمر عشرة حزوز مستطيلة ومسطحة .غير مستو أى خشن وهو أخضر أو أصفر أو أحمر على حسب الاصناف والغلاف الظاهر للثمر ثخين متين لا ينفتح وتجويفه الباطن بسيط بعد زوال الحواجز الموجودة فيه بحيث توجد البزور متراكة فى مركز الثمر وعددها من ٢٥ الى ٣٠ وشكلها بيضي وهى محاطة فى الثمر بلب مائي حمضي ومركبة من غشاء محلل قشرى يصير بما بعد خشبيا ويعطي جنينا كبارا مقطعة فلقتاه الى جملة فصوص منثنية بدون انتظام

(صفات بذور الكاكاو) هذه البزور هي المستعملة في الطب وهي أصناف كثيرة تتميز بأسماء مختلفة وتنوعها ناشيء من كبر الحجم ومقدار الزيت فيها

يستخرج من هذه البزور زيت ثابت ثخين يتجمد بحرارة الجو وهو المسمى بزبدة الكاكاو

(خواص هذه الزبدة) لهذه الزبدة تأثير مرخ واضح فتستعمل لبسط المنسوجات الحية أو تلطيف تهيج أو تبديل جفاف مرضي أو نحو ذلك فتستعمل فى التهابات الطرق الهضمية والهوائية والبولية فاشتهر كونها ملطفة وصدرية ومندية ومسهلة للنفث وغير ذلك فتستعمل فى السعال اليابس والنزلات والالتهابات الشعبية . والرئوية وفي الاسهالات والدوسنطاريات واحتراق البول ونحو ذلك

وقد مدحها بعض المشاهير في أوجاع المعدة غير أن ذلك مبهم فان هناك آفات كثيرة يمكن ان تعرض الآفات في القسم المعدي ولا يمكن مقاومتها بزبدة الكاكاو

وجربوها أيضاً في تلطيف الوخزات والاحتراقات التي تتعب المصابين بسرطان المعدة وتتكرر فيهم وتعطي في جميع هذه الاحوال حبوبا او معجونا مجتمعة غالبا مع الجواهر المقطعة للاخلاط بمقدار يسير كالعنصل والقرمز والايبكاكوانا ونحو ذلك

ويعمل منها مربيات ولعوقات ونحو ذلك مع السكر والصمغ والشرابات وغيرها

وتصنع منها أيضا مراهم وأطلية مرخية توضع على الازرار التي تظهر في الوجه وعلى شقوق الشفتين وحلمة الموضع والشرج وسلوخ البواسير . وتكون حينئذ هي الاجود استعمالا

(الشكولاتا) اكثر ما تستعمل بزور الكاكاو فيه هي الشكولاتا وهي تصنع على هيئة اسطوانات او قطع مستديرة او أشكال أخري مختلفة ويضاف لها شيء من العطريات كالقرفة والفانيليا وغيرها وهذه العطريات تسهل هضمها وقد يضاف الي الشكولاتا بعض الادقة كدقيق الساجو والسحلب ونحوهما لتصير أكثر تغذية وأسهل هضما وقد تغش بالنشا ودقيق الحنطة والارز والعدس والفول ونحو ذلك

قد تمزج الشكولاتا بالماء وباللبن والزبد وبعضهم يضيف لها مح البيض فيتعاطاها الضعاف فتغذيهم

وتعطي الشكولاتا مع دقيق الساجو والسحلب لضعاف الصدور والنحفاء فلا تحدث تسخينا ولا اضطرابا كالقهوة

ويقال أن الشكولاتا معرقة ومفتحة وتستعمل أيضا ضد السعال وجفاف الحلق وعسر نفث البلغم وغير ذلك

وقد وضعوها في نبيذ لتصير مقوية

﴿ الكالسيوم ﴾ الجير المعروف وهو أوكسيد الكالسيوم . والكالسيوم هذا هو معدن يمكن تحضيره بتحليل يودور الكالسيوم بالاه وديوم في بوادق من الحديد . وهو معدن ذو لمعان اصفر يتغير بسرعة في الهواء الرطب فتتكون عليه طبقة سنجابية من ايدرات الكالسيوم علي سطحه . واذا سخن على صفيحة من البلاتين التهب فيحترق بلهب شديد اللمعان وهو يحلل الماء علي الدرجة المعتادة

(اكسيد وايدرات الكالسيوم) أوكسيد الكالسيوم وهو الجير يتحصل عليه بتكليس كربونات الجير في رن خاص يسمى (قمينة) على هيئة كتل سنجابية مندمجة صلبة تسمى بالجير الحي ولا يصهر الجير على درجة الحرارة الشديدة واذا عرض للهواء امتص الرطوبة والانديد كربونيك فيزداد حجما وينتهي بأن يصير مسحوقا أبيض هو مخلوط من كربونات وايدرات الكالسيوم

واذا ندي الجير الحي بالماء تشربه أولا ثم تسخن القطع المتشربة بالماء وينتشر منها أبخرة ثم تتشقق وتزداد حجما واذا كانت كية الماء المندية لها كافية استحالت قطع الجير الحي الى مسحوق أبيض يسمي بالجير المطفأ وهو ايدرات الكالسوم

واذا مد الجير المطفأ بالماء تحصل على سائل يسمي بلبن الجير واذا رشح هذا السائل من مرشح فانه يمر منه سائل يزرق ورقة عباد الشمس الحمراء لاذابة القليل من ايدرات الكالسيوم وهذا السائل يسمي بماء الجير

استعمالات الجير عديدة فيدخل في المباني وفي تبييض الحوائط وفي صناعة الصابون وفي دبغ الجلود وفي تحضير البوتاسا الكاوية والصودا الكاوية في تركيب الكحول

(المونة والجير الايدروليكي والسمنت) تسمى المواد المستعملة في تحضير الجير بقية ولذلك كانت متحصلات تكليسها مختلفة الصفات بحسب طبيعة ومقادير الاجسام التي تكون فيها وهي كمية من المانيزيا وأوكسيد الحديد وعلى الخصوص كية من الطفل ويسمي الجير الطاني الجير المتحصل من تكليس حجر جيري يكاد يكون نقيا وهذا الجير باطفائه يسخن وينتفخ كثيرا ويكون مع الماء عجينة لاصقة دسمة اذا مزجت بالرمل كونت المونة المعتادة

وتيبس المونة هو لامتصاصها شيئا فشيئا الانديد كربونيك فيتكون كربونات يتصلب فيضم بعض الاحجار الى بعض وخلط الرمل أو القصرمل أو غيره من المود الصلبة بالجير هو لازدياد صلابة المونة فيصير الصاقها بمواد البناء سهلا أي أن عمل هذه الاجسام التي تضاف الى الجير انما هو عمل ميكانيكي

والجير البلدي يحتوى على كية من الطفل وعلى كية صغيرة من المانيزيا

واوكسيد الحديد ولا يسخن بالماء الا قليلا وحجمه لا يكاد يتغير ولونه بعد معاملته بالماء يكون سنجابيا

والجير الايدروليكي هو متحصل احجار جيرية محتوية على مقدار من الطفل يختلف بين ١٠ و ٣٠ في المائة وهذا الجير يتجمد في الماء بعد مضي أيام عليه ويزداد صلابة شيئا فشيئا ولذلك يستعمل في المباني التي تبنى في المياه . وهو اصفر اللون يسخن قليلا عند صب الماء عليه ولكن لا يزداد حجمه واذا مزج بالرمل تحصل منه على مونة ايدروليكية تتجمد تحت الماء. ويمكن الحصول على مونة فيها هذه الصفات بخلط الجير بمواد طفلية محترقة كالفخار والخزف والطوب الاحمر . وباحراق الاحجار البركانية وخلطها بالجير السلطاني يتحصل على جير ايدروليكي جيد وذلك كالحجر المسمى (بوزلان) وهو حجر كثير الوجود بالقرب من البركان المسمى (فيزوف)

والسمنت نوع من الجير يتحصل عليه من تكليس الاحجار الجيرية المحتوية على مقدار من الطفل يختلف بين ١٠ و ٥٠ في المئة والسمنت اذا مزج بالماء استحال بعد زمن قليل الى كتلة صلبة

أما تصلب المونة الايدروليكية والسمنت فهو لان الطفل الذي صار ايدريا اي خاليا من الماء بالاحراق يصير ايدراتيا ويكون مع الجير سليكات مزدوجا للالومين والكالسيوم وهو مركب عادم الذوبان يكتسب تماسكا عظيما بملامسة الماء.

(كربونات الكاليسيوم) كربونات الكالسيوم يسمى ايضا بكربونات الجير يتولد في جميع الاحوال التي فيها يعامل ملح جير قابل للذوبان في الماء بكربونات قلوي فترسب في هيئة مسحوق ابيض كبير الحجم وهو احد المواد الكثيرة الانتشار ويكون جبال كجبل المقطم وقشر البيض. ومحار الحيوانات الرخوة مكون من كربونات الكالسيوم

وهو يوجد على حالات مختلفة فقد يكون متبلورا وقد يكون عادم الشكل وهذا هو الغالب عليه. ومن المتبلور منه حجر ازلاندة وهو كربونات كالسيوم متبلور ويكون شفافا وفيه خاصة عجيبة تسمى بالانكسار المزدوج وهو ان يرى من خلاله صورتان لمرئي واحد

فاذا نظر لنقطة سوداء مثلا من خلال بلورة من حجر ازلاندة فانها ترى

مزدوجة

والرخام الابيض هو كربونات كالسيوم نقي ذو مكسر بلوري شبيه بالسكر. والعادم الشكل البلوري أنواع مختلفة منها ماهو مندمج قابل للصقل وذلك كالرخام المتلون بأكاسيد معدنية أو بالقار

أكثر أنواع كربونات الكالسيوم نفعا هو حجر الجير المسمي أيضا بحجر البناء ويكون كتلا مختلفة الحجم ولونه ابيض او سنجابي او محمر ويسمي بأسماء مختلفة فتحته الدبش والدقشوم ومنه الدستور وغير ذلك كل ذلك بحسب حجمه كربونات الكالسيوم في هذه لاحجار كلها يكون مخلوطا بالرمل والطفل واوكسيد الحديد وكربونات المغنسيوم

والطباشير كربونات كالسيوم قليل التماسك وهو نتيجة اجتماع بقايا حيوانات دنيئة ذات قواقع جيرية

وحجر الطبع كربونات كالسيوم مندمج قابل للصقل

وأيا كانت الحالة التي يكون فيها كربونات الكالسيوم فان تمييزه أسهل من غيره وذلك انه يحصل فيه فوران اذا عومل بحمض ولو خفيفا فيتصاعد غاز الاندريد كربونيك ولا يذوب منه في الماء النقي الا آثار ويذوب أكثر من ذلك في الماء المشبع بالاندريد كربونيك فانه يتصاعد هذا الاخير يرسب كربونات الكالسيوم متبلورا. واذا سخن كربونات الكالسيوم على حرارة شديدة تحلل الى اندريد كربونيك والى اوكسيد كالسيوم وهو الجير الحي

(كبريتات الكالسيوم) هذا الملح يسمى بالجبس وبالجص ويوجد في الاراضي الثلاثية السفلي وقد يكون متبلوراً بلورات في هيئة النبال المجتمعة او صفائح رقيقة شفافة سهلة التخطط بالاظافر وقد يكون عادم الشكل البلوري وهو حجر الجبس وكل هذه الانواع تحتوي على جزئين من ماء التبلور

وهو ملح قليل الذوبان في الماء واذا سخن على درجة ٨٠ في تيار من الهواء أو على درجة ١٥٠ في أوان مغلقة فقد ماء تبلوره فيصير اندريا وتفعل هذه العملية في أفران مخصصة تسمي بأفران حرق الجبس والجبس الذى صار اندريا يسمى المصيص والجبس البلدى بحسب نقائه وجودته والاول أنقي وأجود

واذا مزج هذا الانهدريد بالماء صار عجينة رخوة تتصلب بعد زمن قليل وسبب هذا التصلب هو اتحاد الجبس الاندرى بالماء فتتكون بلورات من كبريتات الكالسيوم الايدراتي يتداخل بعضها في بعض فتكون مجموعا صلبا وباستحالة الجبس الاندرى الى ايدراتى يكبر حجمه ويستعمل الجبس فى المباني وفي عمل التماثيل ويضاف أحيانا الى الاراضي الزراعية لتحسينها وتصييرها قابلة لزراعة النباتات البقولية

(تحت كلورات الكالسيوم) هذا الملح يوجد فى مركب كثير الاستعمال فى الصنائع يسمي كلورور الجير يتحصل عليه بتعريض الجير الايدراتي لتأثير الكلور وهو (أى كلورور الجير) مخلوط من كلورور الكالسيوم وتحت كلوريت الكالسيوم

وهو جسم يفسخ الالوان ويزيل العفونة بقوة لما فيه من تحت كلوريت الجير الذي هو جسم يتحلل بتأثير الحوامض فيتصاعد منه الكلور لانه بتأثير الحوامض فى تحت كلوريت الكالسيوم يتكون كلورور الكالسيوم وينفصل حمض التحت كلورور وهذا بتأثيره في كلورور الكالسيوم يتكون ايدرات الكالسيوم وينفصل الكلور فيتصاعد

(فوسفات الكالسيوم) يوجد هذا الفوسفات في البنية الحيوانية مكونا لمعظم الجزء غير العضوى منها وفي الارض عقد تحتوى على كمية من ٥٤ الي ٨٠ فى المئة منه . وهذه العقد يظهر انها مجتمعات حجرية اى مواد برازية حفرية لسحال كبيرة انقرضت

ويوجد فى اسبانيا معدن متبلور يسمي اوباتيت يحتوى علي نحو ٨ في المئة من فوسفات الكالسيوم ويوجد نوع آخر يسمى فوسفوريت وهو فوسفات كالسيوم عادم الشكل يكون كتلا مندمجة ترابية وهذه الانواع كلها والفحم الحيواني المتحصل من تكليس العظام أسمدة نافعة تهم الزراع لان النباتات كالحيوانات في حاجة لحمض الفوسفوريك لتعيش وتنمو. (انظر كتاب الكيمياء لابراهيم بك مصطفى)

﴿كاليفورنيا﴾ هي احدى ولايات الممالك المتحدة مساحتها ٦٨٨٣٧٠ كيلو متراً مربعا وعدد سكانها ١٤٨٥٠٥٣

دخلت كاليفورنيا ضمن الولايات المتحدة سنة ١٨٥٠ عاصمتها ساكرامانتو

مناخها كمناخ الممالك التي على ساحل البحر الابيض المتوسط فيصفو فيها الجو من ابريل الى اكتوبر . وهي من الغني في المعادن بحيث أنست ذكر مملكة بيرو التي اشتهرت بكثرة معادنها وخصوصا الذهب وقد استخرج منها من سنة ١٨٤٨ الى سنة ١٨٩٠ من الذهب ما تقدر قيمته بـ ٦٦٠٠ مليون فرنك

وفيها زئبق كثير ومقادير وفيرة من زيت البترول وقصدير وبوراكس

وهي تنتج أيضا مقدارا عظيما من القمح والصوف وفيها كروم وأشجار زيتون وتفاح

﴿ كاليفورنيا المنخفضة ﴾ هي شبه جزيرة مستطيلة على الشاطئ المكسيكي على المحيط الهادى . ساحتها ١٥١١٠٩ كيلو مترات مربعة عدد اهلها ٤٧٠٨٢ نسمة عاصمتها لاباز وهي بلاد جافة قليلة المياه

﴿ كأن ﴾ حرف ينصب الاسم ويرفع الخبر نحو (كأن محمداً حاضر) وهو يجيء للتشبيه

﴿ كأين ﴾ اسم مركب من كاف وأي المنونة وهي بمعني كم وتفيد الكثرة غالبا

﴿ كب ﴾ الاناء يكبه كبا قلبه على رأسه و (كبه) صرعه فأكب هو وهو من النوادر لان اللازم منه مزيد بالهمزة والمتعدى ثلاثي مجرد

و(انكب على الامر) لزمه و(الكباب) هو اللحم يكب على الجمر يشوى عليه . و (الكبة) الجماعة من الخيل وغدة تشبه الخراج

﴿ كبكبه ﴾ قلبه وصرعه و (تكبكب القوم) تجمعوا و (الكبكبة) الجماعة

﴿ الكبابة الصينية ﴾ هو شجر ينبت بالهندو جاوة وافريقا وغينا الجديدة وغيرها والمستعمل ثمره

وثمره هذا حبوب حمصية الشكل اكبر حجما من الفلفل الاسود وهي مسودة مكرشة طعمها حار فيه مرارة ورائحتها أقوي من الفلفل ولكنها مقبولة وتحتوى على لوزة صفراء صلبة

حلل الكيماويون الكبابة فوجدوا فيها دهنا طيارا يقرب من ان يكون متجمدا ، وراتينجا يقرب من راتينج بلسم كوبا ، ومقدارا يسيرا من راتينج آخر ملون ، ومادة صمغة ملونة ، وقاعدة ازوتية اي خلاصية وجواهر ملحية من جملتها خلات البوتاس

وقد دقق العالم مونيم في تحليلها ووزن مركباتها فوجدها كما يأتي في كل الف جزء منها ٣٠ من مادة شحمية و٢٥ من دهن طيار أخضر و١٠ من دهن طيار أصفر و٤٥ من الكبابين و١٥ من راتينج باسمي و١٠ من كلورور الصوديوم و٦ من مادة خلاصية و٦٥٠ من مادة خشبية و١٥٥ مادة مفقودة

تأثير الكبابة الدوائي تعتبر الكبابة من المنبهات فاذا استعملت بمقدار من ٦ قمحات الى ١٢ قمحة أيقظت القوى المضمية وزادت في الشهية وأعانت على المضم . فهي تستعمل لهذه الخواص مقوية المعدة وطاردة للرياح ومحرضة لسيلان اللعاب. ولكنها اذا استعملت بمقدار كبير كدرهمين أو ثلاثة كدرت وظائف المضم وأحدثت غثيانا وقولنجا شديدا وحس احتراق في البطن واسهالا

ومن خواصها انها تبرىء السيلان مهما كان

ابتدأ دخول الكبابة في اوروبا سنة ١٨١٦ في انجلترة ثم الى فرنسا سنة ١٨١٨ وأطنب اطباء العرب في خواصها فقالوا انها ملطفة شديدة التفتيح لسدد الاحشاء مدرة البول منقية الكليتين حابسة البطن نافعة في قرحة اللثة والقلاع منقية لمجارى البول مصفية الحلق وهي مع هذا مذهبة الصداع أكلا ومضغا مصلحة للاعضاء الباطنية مقوية لها فتنفع المعدة والكبد والطحال واذا أمسكت في الفم طيبت النكهة وعطرت النفس وحسنت اللثة واذا جمعت مع الشحوم حللت الاورام طلاء

أحسن مستحضراتها مسحوقها فيؤخذ غراملق منه ثلاث مرات في اليوم

﴿كبت﴾ يكبته كبتا صرعه واخزاه واهلكه وأذله و(انكبت) مطاوع كبت

﴿كبج﴾ الدابة باللجام يكبحها كبحا جذبها اليه و(كبح شهواته) ردها

﴿كبد﴾ الامر يكبُده ويكبِده قصده . و(كَبِد الرجل) تألم من وجع كبده و(كُبِد) شكا من كبده فهو (مكبود) و(كابده) قاساه و(الكُباد) وجع الكبد و(الكَبِد والكِبْد) غدة في الحشا وضعت لافراز الصفراء من عصارات المضم . و(الكَبَد) المشقة

﴿الكبد﴾ الكبد من الاعضاء الرئيسية في الجسم البشرى وهو عرضة لامراض عضالة يجب الالمام بها ومعرفة

طرق الوقاية منها . وقد تفضل الطبيب المفضال الدكتور حسين افندي المراوى فكتب لدائرة معارف القرن العشرين فصلا في الكبد اجتزأنا به لانه جم فأوعى قال حفظه الله :

(الكبد) موضع الكبد من الجسم هو في الجهة اليمنى من الجسم فى أعلى التجويف البطني ويمكن رسمه من الخارج كما يأتي :

على بعد عشرة سنتيمترات من خط مرسوم يقسم الجسم من أعلى الى اسفل الى قسمين متساويين قسم على اليمين وقسم على اليسار على محور التماثل من اليسار ما بين الضلع الخامس والسادس اي في الموضع الذي يرى فيه نبض رأس القلب ثم خذ نقطة وارسم منها خطا يسير مع آخر طرف ضلوع الجهة اليمنى هذا يمثل طرف الكبد الاسفل أما النهاية العليا فانها ترسم كما يأتي :

ارسم خطا من النقطة التى فيا بين الضلع الخامس والسادس وارسم خطا بحيث يصعد بميل كلما اتجه الى اليمين بحيث يقطع الجهة اليمنى عند اتصال الضلع السادس بغضروفه ومده الي النهاية

هذا بالاختصار موضع الكبد من الجسم

أما تشريحه بالاختصار فهو غدة كبيرة جداً تشبه الهرم الرباعي وهو مغطي بالبريتون من جميع جهاته الا بقعة واحدة سيأتي وصفها

وقاعدة الهرم موجودة في الجهة اليمنى ملتصقة بالحجاب الحاجز من أول الضلع السابع الي الضلع الحادى عشر على طول خط مستقيم ينزل من الابط رأسيا الى اسفل . اما رأسه فالى الجهة اليسري في مستوى النقطة التى وصفناها اما سطحه الامامى والاعلى فهما ناعمان ومحدبان والامامي ملاصق لحائط البطن الامامي والاعلى للحجاب الحاجز ومتصل بواسطة البريتون والسطح الامامي مثلث الشكل ومتصل بالسطح الاعلي ضلع كثير الانحناء وكذلك مع القاعدة ولكن الضلع الذى يفصله عن السطح الاسفل محدود وواضح. وهو منقسم الي قسمين كلاهما متلاصقان بالحجاب الحاجز ويوجد جزء صغير بين الجزئين ملاصق للحائط الامامى للبطن في موضع الزاوية المكونة من ضلوع الجسم الانساني .

والسطح الاعلى ملاصق للحجاب الحاجز الذى يفصله عن الرئتين والبلورا (والغشاء الذي يغطي الرئتين) ومن القلب والتامور (الغشاء الذى يغطى القلب) وفيما تحت القلب فهو قليل التقعير وقد يرتفع هذا السطح الى مستوى المسافة التي بين الضلع الرابع والخامس

ويري ان الكبد مركب من جزئين متصل احدهما بالآخر وفيما بينهما يري غشاء من البريتون يسمي بالرباط المنجلي ويحتوى على الشريانين اللذين يغذيان جسم الجنين ويتضاءلان فيما بعد الولادة فيصيران رباطا

اما السطح الاسفل فهو ملاصق لكثير من محتويات البطن فمن الجهة الشمالية ملاصق للمعدة وفيه علامة (فم المعدة) واول قسم من الاثني عشرى والجزء الثاني منه ايضا وبعدها الي اليمين علامة موضع الحويصلة الصفراوية ثم علامة اخرى لثنية القولون الكبدية ووراء هذه علامة لاجل الكلية اليمنى

اما السطح الخلفي فأمام العمود الفقرى ويفصله عنه الحجاب الحاجز والاورطي وفيه تجويف لهذا الجزء الى الجهة اليسرى تجويف لاجل البلعوم فيصل ما بين ذلك الي العلامة الموجودة لاجل المعدة في السطح الاسفل وفي هذه البقعة فتحة الفؤاد ثم يلي اليمين فتحة للاجوف السفلي ثم بقعة أخري غير مغطاة بالبريتون

(الاوعية الموجودة في الكبد) اولا الشريان الكبدى يتفرع كالشجرة ومعه الوريد الباب ويصحب الاثنان الاوعية الصفراوية والجميع فى غطاء يكسوها اسمه غلاف جليسون

وكل هذه الاشياء تنفتح في الجهة السفلي من الكبد أما من الجهة العليا فيخرج الوريد الكبدى

(فسيولوجية الكبد) للكبد غطاءان أحدهما بريتونى والآخر ليفى. وهو الذى يستمر مع الاوعية الكبدية باسم غلاف جليسون

واذا قطعنا الكبد قطعا مستعرضا نري أنه مكون من فصوص صغيرة جدا الواحد منها عرض ملليمتر ونصف وفيها مركز دقيق ضارب الى السواد اما هذا المركز فمكون من وريد صغير يجمع الدم من شعريات الفص وينتهي الى الوريد الكبدي

وعيط الفص مكتنف بأوردة أخري

هي أطراف الاوعية البوابية والشعريات

تفصل مابين هذه والسابقة

الخلايا الكبدية موضوعة في تلك الشبكة المؤلفة من الشعريات السابقة الذكر وشكلها امادلبري او كثير الاضلاع قطره واحد من الف من البوصة ومتصلة ببعضها بغراء زلالي فيه شعريات الصفراء وفي اوقات الهضم يرى فيها كريات شحم وجليكوجين

(القنوات الصفراوية) تبتدئ كشعريات بين الخلايا وهذه تتصل وتنتهي الى القنوات

(وظائف الكبد) الوريد الباب يحتوي على الدم الواصل من المعدة والامعا والبنكرياس والطحال وفيه المواد المغذية من محتويات جميع الجهاز الهضمي فيدخل هذا الدم الى الكبد قبل ان يصل الى القلب ثم الى الدورة العامة

فيمر الى الخلايا من الخارج ثم يسير في الشعريات الحلوية بجوار الخلايا الكبدية ثم الى الوريد الكبدي ثم الى الاجوف السفلي

وله ثلاث وظائف هامة وهناك اثنتان أخريان

١ — عمل الجليكوجين وهو نوع من السكر يخزن في الكبد وهذا يعطيه للجسم بحسب الاحتياج فينظم بذلك دورة السكر في الجسم

٢ — فعله على المواد الزلالية

٣ — افراز الصفراء

٤ في الاطفال يعمل كريات الدم البيضاء في الاجنة

٥ — خزن الشحم

(١)

(عمل الجليكوجين) ك ١٠ يد ١٥

الجليكوجين موجود في خلايا الكبد السليمة وفي حالته النقية وهو مسحوق ابيض لا طعم له ولا رائحة ولا يذوب في الكحول ولكنه يذوب في الماء فيحدث محلول هلامي وهو أشبه شكلا بالنشا والفرق بينهما أن لونه مع اليود يكون احمر قاتما واذا اضفنا اليه حمضا مخففا او خميرة تحول الى دكسترين ملتوز ودكستروز بسرعة ويوجد ايضا الجليكوجين في العضلات وكذلك ايضا في اغلب اجزاء جسم الجنين

(طرق تحضيره) هذه المادة موجودة في الكبد ويفرزها من السكر الموجود في المواد المغذية التي تصل اليه بأن تخرج من

جزيئات السكر جزيئات ماء فتبقى جزيئات الجليكوجين واذا أطعمنا كلابا بالنشا او السكر الخالص فان اكبادها تحتوى على كثير من الجليكوجين واذا أطعمناها بمواد عضوية من حيوانات تقل جدا كميته وهذا يدل على أن الجليكوجين يمكن استخراجه من البروتيد ولكنه على الاكثر مأخوذ من السكريات الموجودة في الاطعمة ولا يوجد الجليكوجين فى أكباد الحيوانات الجائعة او الرديئة التغذية والاطعمة الدسمة لا تزيد كميته والاعمال البدنية تقلل من كميته في الكبد

(نصيب الجليكوجين فى الجسم) في العادة يحتوى الدم على واحد من مئة من الدكستروز واذا زادت هذه الكمية الى اثنين من مئة انفرزت فى البول على شكل البول السكرى وبعد هضم كمية كبيرة من السكر والنشويات يحتوى دم الكبد على كمية وافرة من السكر ولكن دم الجسم يحتوي على كميته العادية ففائدة الكبد هي تخزين هذه الكمية الزائدة على شكل جليكوجين ثم اعطاؤه قليلا قليلا الى الدم وبذلك يحفظ توازن السكر في الدم

ومن المظنون ان سكر الدم يستهلك في الاعمال البدنية ويخرج من الجسم على شكل غاز حمض الكربونيك وماء في التنفس

(البول السكرى) هو المرض المعروف بافراز سكر فى البول وأسبابه هي أن الكبد يحول كل الجليكوجين الموجود فيه الى سكر . ويمكن ايجاد هذا الداء صناعيا اذا خرقنا البصلة الشوكية عند نواة العصب العاشر وأن تعطي للمريض بعض العقاقير مثل الفلوريدزين فانه يحدث بول سكرى وقتي

(٢)

(فعله مع المواد الزلالية) يؤكسد ويستخلص جزئيات الماء من المنتجات النهائية من هضم البروتييد فينتج البولينا (*Urée*)

(٣)

(افراز الصفراء) وتلك تحتوي على افراز للمواد الملونة وأخرى تؤثر على الهضم فأملاح الصفراء تتكون في الكبد فاذا استأصلنا الكبد يمتنع وجود الاملاح الصفراوية ولكن اذا ربطنا قنوات الصفراء نجد تلك الاملاح منتشرة فى جميع اجزاء الجسم والمواد الملونة الصفراوية

من هيموجلو بين الدم بواسطة الكبد

اما الصفراء فهي سائل ذهبي اصفر قلوي المفعول ذو طعم مر جداً وكثافته النوعية ٣٥ر١ ويحتوى علي ٣٤ في المئة من المواد الصلبة المذوبة فيه واذا مر عليها زمن طويل في الحويصلة الصفراوية فانها تصير لزجة من وجود مخاط وفي الاربع والعشرين ساعة يفرز الكبد من الف الى الف وخمسمائة غرام

(تركيب الصفراء)

١ ميوسين	٣	أجزاء في المئة
٢ ملونات صفراوية	«	« «
٣ املاح صودا مع احماض الصفراء	١٠	« «
٤ كولسترين	١	« «
٥ ليسيتين	١	« «
٦ أملاح (غير عضوية)	١	« «
٧ ماء	٨٥	« «

(ملونات الصفراء) اللون الاصفر الموجود في صفراء الانسان وأكلة اللحوم منسوبة الى (الاصفر الصفراوى) البيلوروبين

والاخضر لأكلة الاعشاب وكذلك الإنسان الي البيلوفردين الاخضر

(كشاف ملين) اذا أضفنا حمض ازوتيك مركز الي ملونات الصفراء او صفراء بشرية على قطعة من الرخام الابيض نري تكون عدة ألوان متتابعة تشبه ألوان الطيف الشمسي اخضر . ازرق . احمر . ثم اصفر

(أملاح الصفراء) مركب من احماض التوروجوليك والجليكوليك مع الصوديوم وهذه الاحماض مركبة من حمض التوريك والجليكولين مع حمض البوليك

(كشاف بتنكوفر) اذا أضفت كمية قليلة من الصفراء المخففة على قليل من السكر وقليل من حمض الكبريتيك المركز يصير المحلول احمر قانيا ثم ينقلب الى اللون السنجابي

(الكولسترين) يؤخذ من حصيات الصفراء بواسطة غليانها مع الكحول ثم ترشيحها وهي لاتزال دفئة فيتكون من ذلك بلورات علي شكل معين

فوائد الصفراء

(١) تعديل العصارة المعدية في الاثني عشرى

(٢) تحويل النشا الي سكر

(٣) تحويل الشحم الى شكل مستحلب وصابون

(٤) تسهيل امتصاص الشحم

(٥) زيادة الحركة الدورية للامعاء

(امراض الكبد) اليرقان (الصفراء) هو انحباس الصفراء عن أن تتصرف الى الامعاء مع انتشارها في جميع اجزاء الجسم فيرى جلد الانسان أصفر ولون الصلبة العينية (بياض العين) أصفر أيضا وتفرز الصفراء في البول وكلما ازداد زمن هذا المرض كان لون الجلد اكثر صفرة . ولا يجوز ان نجهل أن هناك بعض الامراض يصبغ فيها الجلد بلون الصفرة مثل الخلوروز والانيمياء الخبيثة والملاريا وفي مرض اديسون

أما لون البول فانه اما أن يكون اصفر أو أخضر ويمكن رؤية اللون بسهولة اذا هززنا الاناء المحتوي علي البول فيحدث من ذلك (رغوة) أو زبد علی سطح السائل ملون بلون الصفراء . وقد يجوز أن تفرز في اللعاب او في لبن المرضعات أيضا واذا غمرنا قطعة من القماش أو الورق فی البول تلون بالصفرة وقد يوجد لون الصفراء في جميع افرازات الجسم ومتي علمنا أن تأثير الصفراء هو لتسهيل امتصاص الشحم ومنع تعفن محتويات الامعاء رأينا أن النتائج الطبيعية لعدم تصريف الصفراء أن يفقد الغائط لونه الاصفر ويصير ابيض او محمراً وذو رائحة عفنة وبما أن الصفراء تزيد الحركة الدورية للامعاء فان الامساك شيء عادی في مرض اليرقان ويصحب اليرقان اعراض أخرى كثيرة كهبوط النبض الي نحو الاربعين في الدقيقة وأكلان في الجلد او انتشار بعض الطفح الجلدی

(تفسير المرض) ليس من الصعب تفسير مرض اليرقان خصوصا اذا كان ناشئا عن انقباض في مجرى القنوات الصفراوية فان الافراز يتحول الى الحويصلة الصفراوية ويبقى بها ويستمر ذلك حتي تمتلئ جداً فتبتدئ الشعريات المفاوية تأخذ من محتويات الحويصلة وتوصل الى الدم فتحدث جميع اعراض الصفراء السابقة الذكر وفی بعض الاحيان يحصل مرض اليرقان بدون وجود أی انقباض وانسداد في فوهة القناة الصفراوية العامة وتفسير ذلك هو انسداد نفس هذه الاوعية وهي صغيرة جداً فی نفس الكبد

ويمكن الانسان أن يحدث صناعيا

مرض الصفراء باعطاء المريض قليل من *Toluylen diemine* تلير لين دياعين وسبب هذا الاصفرارهو تأكسد كثيرمن كريات الدم الحمراء واخراج الهيموجلوبين وهذا يسير الى الكبد فيزداد افراز اللون الاصفر الصفراوى عن المعتاد وتكون الصفراء المتفرزة منه فيها هذا اللون بكمية كبيرة فتمتصها الامعاء مع الاغذية فتحدث هذا المرض وربما كانت هذه التفسيرات صحيحة في أحوال اليرقان الذى يصحب التسمم بالفسفور والزرنيخ والاتتمون أوفى الحمي التيفودية والمتقطعة والحمى الصفراء أسبابه انسداد القنوات الصفراوية (١) اما بحصوات صفراوية او بحيوانات طفيلية دود الكبد *DistomaHpatica* او الدودة المستديرة *Saioslunıbricoibes* او جسم خارجي وهلم جرا (٢) انقباض المسالك بالالتهابات المختلفة او يكون شيء طبيعي في الشخص . (٣) ضغط بعض الاورام كالسرطان او الخراريج الكبدية والبنكرياس والكلية وهلم جرا (٤) ضمور الكبد (كما في الضمور الصفراوي الحاد) (٥) كثرة لزوجة الافراز من السموم من الفوسفور والزرنيخ وهلم جرا

(اليرقان في الاطفال) كثيرا مايحدث أن الطفل بعد ولادته بعد أيام يصاب باليرقان وسبب هذا أن الفساد يسري في الدم الى أجل محدود ثم يزول من نفسه بدون علاج

(الاستسقاء) هذا الاسم يطلق علي الحالة التي فيها التجويف البطنى يمتلئ بسائل كثافة النوعية ١ر٠٠٨ زلالى وفيه كلوريدات وأسبابه (١) انسداد دورة الوريد الباب (٢) أو مرض البريتون (٣) أو جزء من الاستسقاء العام

اما انسداد الوريد الباب فيكون من ضغط ورم او ضخامة غدد او سيروز فى الكبد او من امراض القلب . او من امراض البريتون والاستسقاءات العامة فلا موضع لبحثها هنا

وعلامة الاستسقاء وجود ماء كثير في البطن ويكبر حجمها وتصير جامدة واذا قرعنا عليها بالاصابع لانجد فيها رنة البطن الطبيعية ويمكن ضغطها وجس حركة السائل فيها ويعالج بالبذل

(الخراريج) هى علي ثلاثة أنواع اما خراج مفرد واما خراج متعدد تابع لمرض انتقل بواسطة الشرايين

(الخراريج المتعددة) اما تنتقل بالاوردة من اسفل البطن من اى بؤرة متعفنة من أول المعجان الى الحجاب الحاجز واما بالشرايين فى حالة وجود ميكروبات عائمة في الدم

وأعراضها حمي تعفنية مع انقلاب تام في حالة المريض والنبض يكون سريعا جدا ويحدث قئ ويتمدد الكبد حتى يصل الى السرة ويكون مؤلما عند اللمس ويحصل اليرقان ومن المؤكد موت المريض

علاج هذه الحالة لايجدي نفعا غير تحسين الحالة الوقتية بالافيون والبلادونا والكينا

(الخراج المفرد) يكون عادة تابعا لمرض الدوسنطاريا الامبي وهذا الخراج يصل حجمه من قدر البرتقالة الى مايقرب من كل حجم الكبد ويكون جداره سميكا جدا ومحتويا على صديد وتوجد الاميبا في جدرانه وربما كان معها استافيلوكوك واستربتوكوك

واذا كبر هذا الخراج انفتح في أي جهة فتارة ينفتح فى التجويف البريتونى وطوراً فى البلورا وربما فى التامور او اذا كان المريض ذو حظ حسن ينفتح في الامعاء فينزل الصديد مع البراز

اعراضه رعدة وقشعريرة يتبعها حمي وألم شديد في الجهة اليمنى في موضع الكبد وكثيراً مايحدث اليرقان واذا تنفس المريض يزداد الالم ويسعل وبعد اسبوعين تأتي أعراض التقيح ويتمدد الكبد وربما أمكن تحديد الخراج منه بالجس والضغط ويمكن أيضا معرفة وجود الصديد بتحليل الدم ومعرفة زيادة عدد كريات الدم البيضاء. أما الآلام في هذا المرض فتكون في المبدأ قليلة وغير ممكن تحديدها ثم تتجمع واذا نام المريض على جنبه الايسر يقل الالم لعدم وجود ضغط على الكبد وتزداد الحمي الي درجة ١٠٥ ف. ويكثر افراز العرق ويتغطي اللسان بطبقة بيضاء. ثم يهزل المريض وتسوء حاله وتأتي المضاعفات التي ذكرناها سابقا في أي جهة ينفتح الخراج

(العلاج) في الاول يحقن الاميتين ومصل الاستربتوكوك ولاستافيلوكوك واذا ظهرت أعراض التقيح تعمل له العملية الجراحية

(الالتهاب الصفراوي الضموري الكبدى) هذا المرض هام جداً ولكنه قليل بل نادر ولذلك نضرب صفحا

عن تفصيله وهو مرض يصاب المريض به أولا بيرقان ثم حرارة ثم هزال وسوء هضم وينقعر البطن ويضخم الطحال ويكثر في البول الكلورو الليوسين والتيروزين ويمكن رؤية هذه الاشياء بالعين المجردة وربما حصل بول دموى والموت مؤكد فى هذا المرض

سيروز الكبد أو الالتهاب الكبدى الخلالى

التهاب في الالياف الخلالية فى الكبد وتنشأ عن عدة أسباب

الكحول والزهرى سواء كان وراثيا أو كسبيا والامراض المعدية مثل الحصبة والالتهاب الرئوي والانيميا المصرية الطحالية والكلاآزار والبلهارسيا

وفي هذا المرض تتكون ألياف حول فصيص من فصيصات الكبد أو حول خلية واحدة ويكبر في هذا المرض حجم الكبد زيادة عن المعتاد حتى يمكن جسه تحت السرة وقد يكون سطح الكبد ناعما أو غير ناعم ومنشأ هذه الالياف كرات الدم البيضاء تتجمع حول غلاف جليسون وتتحول الى خلايا ليفية ثم تنقبض هـذه الاليـاف فتضغط الخلايا الموجودة بينها ومن هذا الضغط تضمحل قوى الخلايا الكبدية

الاعراض — اولا هـذا المرض يستمر ولا يشعر المريض الا بألم تافه فى الجهة اليمنى مع قليل من اليرقان واذا كان سببه الكحول ظهرت أعراض التهاب المعدة وفي هذا الدور يتمدد الكبد كثيراً ويحصل قيء دموي من انسداد الدورة الكبدية وبانسداد الوريد الباب يبقى الدم في الاعضاء البطنية بغير نظام فتحتقن وكذلك يكون حال أوردة المعدة وكثيراً ما تنقطع وينزل الدم منها كثيراً وربمـا أدى الى الموت والبواسير نتيجة طبيعية والاستسقاء قد سبق وصفه ويتمدد الطحال وتكبر الاوردة الجلدية الموجودة على البطن خصوصا بجوار السرة وتسمى من « وجه شبه » رأس الثعبان وتتورم الاطراف السفلى . ومن المعلوم ان الدورة الكبدية لها اتصال بالدورة العامة من خمسة مسالك وكل هذه المسالك تكون مفتوحة في مثل هذه الحالة وفي هذه الحالة تزداد حالة العليل سوءا ظاهر أجداً فيصير نحيفا وتغور عيناه ويصفر لونه ولكن حرارته ونبضه لا يرتفع ومن ضغط الاستسقاء على القلب والرئتين يقل عملها وتتغير مواضعها فتزيد حالة المريض سوءاً

والحكم على حالة المريض بالتأكيد غاية الرداءة. نعم ان للعلاج تأثيراً ولكن من سوء الحظ ان اغلب التأثير وقتي

(العلاج) ينحصر في ابطال الاسباب التي تولد هذا الداء كالخمر وغيره وازالة الماء الاستسقائي اما بمدرات البول والمسهلات او بالبذل او بالعملية الجراحية وهي خياطة الحائط البطني مع غشاء السرب وهذه قلما تفيد (عملية تلما)

(الكبد الشحمى) يعتري هذا المرض الكبد على نوعين اما التأثير فسيولوجي اومرضى فالفسيولوجي في نحو الحمل والسمن وفيها يحتوي الكبد على كثير من الشحم في خلاياه وإما استحالة خلايا الكبد الى شحم فهي في أمراض كثيرة منها الامراض المضعفة كالسل او التسمم كالفسفور والذراريح وتكون أعراض هذه الاشياء تابعة لعرض من أعراض المرض الاصلى المسبب لهذه الاستحالة

(الاستحالة النشائية للكبد) هذا المرض يعتري الكبد كنتيجة لامراض اخرى كتقيحات مزمنة غزيرة وامراض العظام الدرنية والزهرى وأمراض الكلي وأطلق عليه هذا الاسم لتلون الكبد بالاون المعتم الغامق اذا عامله بصبغة اليود كايلون بذلك النشا ولكنه فى الحقيقة مادة زلالية ولذلك سماها بعضهم بالاستحالة الشمعية أما أعراضها فهي :

ألم حقيقى في موضع الكبد . تمدد الكبد الى حجم كبير جداً وانتفاخ فى الطحال وبول زلالى واستسقا ويكون مصحوبا عادة باستحالات نشائية فى أعضاء أخري ويكون المرض المسبب له ظاهرا جدا

(العلاج) نزع أصل المرض من الجسم كل واحد بالعلاج الخاص بما فى ذلك العمليات الجراحية

(أعراض الكبد الزهرية) كثيراً ماتحدث أجسام صمغية في الكبد ويمكن جسها وتحديدها وكذلك يتمدد الكبد معها والواجب تمييز كل اختلاف بينها وبين الاورام الخبيثة وتعالج بعلاج الزهري

أما الاطفال الصغار فيصاب كبدهم بمرض الزهري اذا كان وراثيا من آبائهم ويعالج بالدلك بمرهم زئبقي كأحد أعراض الداء الاصلي

(السل الكبدى) دائما يكون

هذا الداء تابعا لبؤرة اخرى من الامراض الدرنية ويعالج مع باقى أجزاء الجسم وفى النادر أن يشفى مثل هذا المريض الذى يصاب بالدرن المنتشر

(الاورام التى تصيب الكبد) يصاب الكبد بعدة اورام ولكن اكثرهذه شيوعا هو السرطان ولـكن الاورام الاخرى مثـل الورم الوعائي الدموي (انجوما) وحويصلات الحيوانات الطفيلية ومرض هـدجكين واعرض هذه قليـلة جداً والسرطان الملون والاورام اللمفاوية قليلة

(سرطان الكبد) اما ان يكون ابتدائيا او تبعيا والثاني هو الغالب اذ ان أكثر من ثلاثة ارباع الحالات المعروفة تبعية لسرطان آخر في نقط اخرى من الجسم مثل الثدي وحويصلة الصفراء والاعور والمثانة البولية وهلم جرا

والسرطان اما منتشر في جميع أجزاء الكبد او في بورة واحدة من الكبـد فاذا كان الاول تغير شكل الكبد تغيراً تاماً وكبرت كل نقطة من السرطان فى جميع الجهات حتى تبلغ ثلاثة سنتيمـترات فى القطر ويستحيل باطنها استحالة شحميـة واذا امكن الانسان ان يجس احد هذه الاورام من سطح الكبـد وضغط عليـه يغوص اعـلاه كالسرة فى وسط البطن (أمبكيليشن) وفي بعض هذه الاورام نجد نزيفا ويتغـير لون النسيج الكبدي فيضرب لونه الى الصفرة اما الذي يتولد من سرطان الحويصلة الصفراوية فانه يكون حول هذا العضو بكثرة زائدة كأن هذه الحويصلة مغمورة فى نسيج من السرطان وفي هذه الاحوال يجوز انسداد الوريد الباب والقناة الصفراوية وأكثر مايكون هـذا عقب حصيات صفراوية مزمنة. أعراضه :

ألم شديد في الجهة اليمنى من موضع الكبد والكتف الايمن وهو يشبه ضربات السكاكين وفي النادر ان يكون الالم خفيفا ويتمدد الكبد الي قبيل السرة ويمكن جس قطع السرطان فيه وقد يتمدد الى أعلى فيضغط على الرئة اليمنى واذا جست قطع السرطان فانها تظهر جامدة جداً مثل الحجارة الصوانية وفي بعض الاحيان يحصل يرقان واستسقاء ثم يهزل المريض ويعتريه الاصفرار ويزيد ألم المريض حتي يصل به الى باب القبر

العلاج لاعلاج ولاشفاء وانما يسكن الالم بحقن المورفين ويقلل من الاغذية التي تحتاج لاعمال الكبد كثيرا

(الاكياس الديدانية)

ليس هذا موضع شرح اصلها انما هي دور من أدوار الدود تكون الدودة فيه على شكل كيس فى الكبد وهذا المرض قليل في مصر وأعراضه تمشي خطوة مع شكل الكيس وتصورهذا الكيس الكبير الذي ربما بلغ حجمه كحجم البطيخة في الكبد فيري في الكبد تموج الماء المحتوى فى الكيس وخطر هذه الاكياس في انها ربما (١) تنفجر فى البريتون فتحدث التهابا بريتونيا (٢) تموت وتضمحل (٣) تتقيح ثم تنفجر

نضرب صفحا عن الكلام فيه لانه غير سهل لكونه عملاجراحيا وذلك بأن يفتح البطن وينزع الكيس من مكانه ولكن الجزء المهم هو أن هذه الدودة تنتقل من الافراز (الغائط) الذى يفرزه الضأن والخنازير الى الكلب وهذا يعدى به الانسان. فالواجب منع الكلب من أكل كل ملوث بغائط الحيوانات السابقة الذكر وتطهيره من آفة هذه الدودة اذا اصيب بها

ومنع اختلاط الحيوان المعدي من البيوت لئلا يصيب أصحابها

(اليرقان الالتهابي) هو التهاب فى المجارى الصفراوية فيحدث منه تلوين جميع أجزاء الجسم باللون الاصفر ويجوز أن يكون ابتداء هذا الالتهاب من أول فتحة القناة الصفراوية في الاثنى عشري فيزداد سمك الغشاء المخاطي مع عدم زيادة شيء من افرازه. وأسبابه كما قدمنا من التهاب مستمر في الاثني عشرى أو التهاب فى المجارى الصفراوية من وجود حصيات بها. نعم ان الاستاذ تبرلور يقرر الرأى بوجود نوع من اليرقان ناشيء من الخوف وكذلك أنواع أخرى ناشئة عن الامراض المعدية

(الاعراض) سوء هضم وثقل وألم وانتفاخ في المعدة بعد الاكل مع قيء لمدة ثلاثة او اربعة اسابيع قبل اليرقان وفى بعض الاحيان لا يشعر المريض بأى ألم أو اى شيء آخر حتي يرى وجهه في المرآة وينبهه اخوانه ان وجهك اصفر وكذلك بياض عينيه والبياض، يتلون باللون الاخضر او الاصفر وله الخواص التي قدمناها وليس

مع هـذا المرض ارتفاع فى الحرارة او اضطراب والمريض عادة يكون غير مضطر لترك عمله وفي كثير من الحالات يكون المريض غير كفء لأي شيء وتعتريه الآلام المعدية وسوء الهضم وهلم جرا . وليس في الجهة اليمني أو موضع الكبد أي ألم وربما وجد قليل منه مع قليل من التمدد في الكبد ويمكن جس الحويصلة الصفراوية في قليل من الاحيان والنبض ربما يقل عن أصله

وهذا المرض يستمر لمدة أربعة الى ستة أسابيع ثم يزول

(علاجه) طعام سهل الهضم مسهلات بسيطة والقلويات خصوصاً الصودا والراوند

بيكربونات الصودا ١ غرام
مسحوق الراوند ٥ر٠ سنتي غرام

يعمل سفوفا في محافظ وتؤخذ منه ثلاث مرات او اربعا فى اليوم

ويؤخذ ايضـا منقوع ساق الحمام ثلاثة فناجين في اليوم وساليسلات الصوديوم نصف غرام ثلاث مرات او اربعة فى اليوم لان هذا يجعـل افراز الصفراء سائلا

(التهاب المسالك الصفراوية المتقيح)
هو التهاب يحصل من تقيح يبتديء من الاثنى عشري وغيره من الاعضاء المجاورة كالبنكرياس الخ ثم يمتد الى بقية الكبد

أعراضه كأعراض أكثر الخراريج التي أسلفناها وعلاجها كما قدمنا في الخراريج المتعددة

(التهاب الحويصلة الصفراوية من وجود حصيات) تتمدد الحويصلة وتكبر وتحدث ألما في مكان الحويصلة أمام الضلع التاسع من الجهة اليمنى واذا وضع الانسان يده علي مكانها ازداد الألم ويمكن جس الحصيات بها ويشعر المريض كأنه يريد أن يتقايأ وربما ارتفعت درجة حرارته وازداد الالم واتسعت دائرته فيشغل جميع الجنب الايمن ويأتي علي نوبات متعددة فيشتبه فيه كثيرا خصوصا بين الكلية السابحة واذا كانت الحرارة مرتفعة اشتبه فى التهاب الزائدة الدودية والاعور خصوصا اذا كان الالتهاب مصحوبا بتقيح من نتيجة حمي معـدية كالتيفوس والملاريا والالتهاب الرئوى وهلم جرا

(العـلاج) الراحة التـامة . وضع

مكدات على الجهة اليمني موضع الالم حقن مرتين واعطاء أغذية غير متعبة للكبد بأن يعطي اللبن وغيره من الاشياء سهلة الهضم وأخذ الاشياء القلوية كثانى كربونات الصوديوم واستعمال ماء كرلسباد

(الحصيات الصفراوية) هذه الحصيات مركبة من كولسترين ملتصق بعضه وملون بألوان السائل الصفراوى وكثافته النوعية لاتزيد كثيراً عن الماء فترسب في الماء وبعد جفاف الحصيات تعوم فوق الماء وهي اذا وجدت فى الحويصلة تكون متعددة أما أصلها وأسبابها فليس من المؤكد الموثوق به ولكن المؤكد أنها تكون دائما مسبوقة بالتهاب فى الحويصلة الصفراوية وأغلب مايكون هذا الالتهاب مزمنا فتفرز الاغشية المخاطية كثيراً من الكولسترين. نعم انه من الجائز أن يكون مبدأ هذه الاشياء التهاب معدي معوى يستمر اتصاله الي القناة الصفراوية وهي أغلب ماتصيب السيدات اللاتي يصبن كثيراً بسوء الهضم والامساك وأكثر الحالات تكون مصحوبة بسرطان أما كنتيجة فعلية او مسببة له وقد ذكر الاستاذان روز وكارلس أن السبب في احدي الحالات التي أتت الى أيديهما كانت امرأة ابتلعت دبوسا وصل الي الحويصلة الصفراوية فعملوا العاملية لازالة الحصيات فوجدوا هذا الدبوس محاطا بستة وستين حصاة

(مغص الحصيات الصفراوية) ألم زائد فى موضع الحويصلة الصفراوية أمام الضلع التاسع والعاشر يتشعع الى الظهر والى الكتف الايمن وربما تمتلىء الحويصلة الصفراوية بالصفراء فيمكن جسها ويتقايأ المريض أوربما يشعر بميل الي القىء ويشتكي من شدة الآلام والقىء يحصل بكثرة اذا وجدت التحامات بريتونية حول الحويصلة الصفراوية وهذا المغص ناشيء عن محاولة خروج حصاة صفراوية من الحويصلة فتنقبض حولها ويحصل بعد ذلك عدة نتائج

(١) احتباس الحصاة في مكانها وربما تقيح ماحولها

(٢) انحباسها في مصب الصفراء فى الاثني عشرى فتحدث تقيحات مختلفة ويرقان

(٣) تخرج الى الامعاء وتبرز مع الغائط

(١) ان تقيح جميع الاشياء التى تفصلها عن خارج البطن وتخرج منها

العلاج عملية جراحية في الغالب انفع . والعلاج المؤقت حقنةمورفين ثم يستعمل علاج التهاب الحويصلة السابقة ويستعمل ايضاً مرهم البلادونا والبخور وربما اضطر لاستعمال الكلوروفورم مخدراً عاماً

بقي ان نلخص الاسباب التي تطرأ على الغشاء البريتوني ويكون نتيجتها ضغط علي الكبد فيحصل من ذلك استحالة شحمية او انقباض على فوهته فيحصل انسداد في الوريد الباب وهذه الالتهابات اما موضعية او نتيجة التهابات اخرى ويستحيل تشخيص هذا المرض قبل العلاج ولكن العلاج هو نفسه علاج السيروز والاعراض مشابهة له

(التهاب فوهة الكبد) يحدث ذلك من نتيجة التهابات اخري تقيحية وتسير مع مجارى الدم واللمفا واعراضها تشبه جداً اعراض الخراريج المتعددة واكبر اسباب هذا المرض التهاب الزائدة الدودية المتقيح واكبر اعراضه ظهور اليرقان وعند ماتظهر اعراض هذا المرض بارتفاع الحرارة وسرعة النبض والهزال كان ذلك أسوأ حالا لان في هذه الحالة يكون الصديد قد جرى فى الدم وانتشر في جميع أجزاء الجسم

الدكتور

حسين المراوي

نقول: كل الامراض التي سردها حضرة الدكتور الفاضل فى مقالته تحتاج لعناية الطبيب الحاذق وخبرته الا أن من ضمنها واحداً شائعاً بين الناس وهو المغص الصفراوى فوجب علينا ان نذكر عنه شيأ يقرب من الطب الطبيعى يحفظ من آلامه ويبعد من نوبه ، ثم ينتهي بشفائه

اعتاد الناس عند ماينتابهم ألم المغص الصفراوى ان يستحضروا طبيبا ليحقنهم بالمورفين وهو لا يبقى تأثيره غير نحو ساعتين ثم يزول ويبقى الالم كما كان بل يشتد ويعد البنية لضعف كبير . فالاولى بالمريض ان ينغمس فى حمام من الزنك فيه ماء دفيء في درجة الجسم او ارفع منها قليلا فيزول الالم او يقل . ثم توضع رفادات مبتلة بماء ساخن جدا على المعدة والكبد وتكرر مرات عديدة او يوضع عليها رغيف من الخبز المصرى المسخن علي النار ويغير كلما برد. واحسن وسيلة لتسهيل نزول الحصاة المسببة للالم ان يشرب المريض ساعة شعوره به من

١٢ الى ١٥ ملعقة من زيت الزيتون الجيد فتزلق الحصاة من القناة الصفراوية ويزول الالم . نعم ان كثيراً من المصابين يتقززون من شرب هذا المقدار من الزيت دفعة واحدة، ولكن ماهم فيه أشد فيجب عليهم ان يختاروا أهون الشرين

فاذا زالت النوبة فأحسن علاج لهذه الحصيات هو شرب زيت الزيتون بمقدار ثلاثة فناجين قهوة يوما بعد يوم . ونظام هذه المعالجة أن يستيقظ المصاب في الساعة السادسة أو السابعة فيتعاطي الثلاثة الفناجين من الزيت على الخلاء ولا يتعاطي بعدها شيئا ثم يضطجع على جنبه الايمن من ساعة الى ٩٠ دقيقة ثم يقوم فيتناول الفطور . فاذا تعاصت نفسه عن شرب الزيت فيستطيع أن يموهه بأن يضعه في مغلي الكراويا أو القرفة ، ويستطيع أيضا ان يمتص بعد شربه ليمونة . نعم انه سيحس باضطرابات معدية ومعوية عند انصباب الصفراء فيهما بتأثير الزيت ويشعر من ذلك بشيء من الكرب ولكن كل هذا أخف من ألم الحصاة الذي يستمر من ساعات معدودة الي نحو ١٤ يوما. ثم ان هذا العلاج ينتهي امره بانقطاع النوب بتاتا وشفاء المريض

ويحسن أن يتعاطي مع الزيت اكسير البولدو *EleseirBoldo* بمقدار ملعقتين بن في قليل من الماء قبل كل أكلة اى ثلاث مرات في اليوم ويعقبها بحبة بعد الاكل من حبوب كولين كاموس *GolléineCamus* هو مستخرج من صفراء البقر ويحسن ان يجعل فترة في كل شهر فيبطل هذا الاكسير وهذه الحبوب مدة عشرة أيام ثم يعود اليها. أما الزيت فيجب الاصرار على تعاطيه مدة حتي يأمن عودة هذه الآلام وله بعد ذلك ان يعود الى الزيت في كل أسبوع مرة لان الزيت مسهل بطبيعته للصفراء ومنق للقنوات الصفراوية ومفتت للحصيات المتجمدة

اما التدبير الغذائي للمصابين بهذا المرض فهو الامتناع بتاتا عن أكل اللحم والحواذق علي أصنافها والنشويات والدهنيات والتوابل

﴿ الكباد ﴾ هو ثمر كالبرتقال ولكن قشره اخشن ويصير اصفر أو أكثر احمرارا ولبه حمضي مر . يستعمل الكباد فيما يستعمل فيه اليمون لتحميض اللحوم والاسماك

شجر الكباد اصله من الهند والصين ويعلو الى ارتفاع عظيم ويمكن ان يصل في اوروبا الجنوبيـة الى ٢٥ قدما وعلى فروعه شوك طويل مخضر واوراقه قريبة البيضية اومستطيلة ضيقة منتهيـة بطرف دقيق ومسننة في جزئها العلوي وازهارها منضمة الى باقات وكلها بيض والثمار متوسطة الغلظ مستديرة قليلا او منضغطة فى القمة وهي ملس او خشنة ولونها اصفر يتحول الي لون برتقاني قاتم مائل للحمرة وقشرتها شديدة المرارة وتلتصق باللب الذى هو مصفر حمضى مر

استنبت هذا النبات بكثرة فى اسبانيا ويرسل قشر ثمرة الى هولاندة ليصنع منه سائل يسمى عندهم قوارساو أو قويراسو وتوضع عصارته فى براميل وترسل الى انجلترة ليدخلوها معامل الصمغ واستنبت اصناف منه كثيرة في البساتين ورياض البرتقانيات بفرنسا وانما الرغبة موجهة كثيرا الى ازهارها لذكاء ريحها

اشجار الكباد تعيش عدة اجيال حتى قيل ان في حدائق النارنجيات بفرساي بفرنسا شجرة من الكباد معروفة عند العامة باسم بوربون الكبير واميرالجيوش الكبير وفرانسوا الاول قيل انها نبتت اولا من بزرة وضعتهـا ملكة من ملـكات نوار باسبانيا سنة ١٤٧٠ فلما نمت شجرتها نقلت الى بمپلون التي كانت حينذاك عاصمة مملكة نوار ثم نقلت الشجرة الي شنتيلى وعلى توالى الازمان وصلت لفرنسوا الاول ملك فرنسا ثم الى امير الجيوش بوربون الذى كان امير شنتيلي. وقد خرج على ملك فرنسا واستنجد بملك المانيا شرلكان فاستولى ملك فرنسا على امواله ومن جملتها هذه الشجرة فنقلت من شنتيلي الي فونتين بلو سنة ١٥٣٢ فكانت في ذلك الزمن وحيدة بفرنسا وصرف لهذا النقل ٣٠٠ ريال وفي سنة ١٦٨٤ نقل لويس الرابع عشر ملك فرنسا هذه الشجرة من فونتين بلو الى فرساي وصرف على هذا النقل ٦٠٠ فرنك وبقيت محفوظة من ذلك الزمن الى وقتنا هـذا فى حديقة النارنجيات باريس فيكون عمرها نحو ٤٥٤ سنة وارتفاعها عن الارض ١٧ قدما ولم يفسد تركيبها للآن ولم تقل قوة اثمارها

اصناف الكباد كثيرة بالبساتين فمنها الكباد الصيني يرتفع في جنوب اوربا الى ١٢ قدما وازهار هذا الصنف قوية

الرائحة واثمارها تربي بالسكر

ومنها الكباد الذى يشبه ورقه ورق الآس ومنظره كنظر الآس وأصله من الصين وثماره صفر ذهبية كرية

ومن الكباد الغريب وهو من اغرب نباتات المملكة النباتية لكونه يجتمع فيه على الشجرة الواحدة الى خمسة أنواع من الثمار المتميزة فيجني منها في آن واحد برتقال لذيذ وكباد مختلف الاشكال واترج وغير ذلك. وأغرب من ذلك أن الثمرة الواحدة قد يكون فيها صفات نوعين فيكون نصفها برتقالا ونصفها اترجا

كَبِرَ في السن يكبَر كِبرا طعن و (كبر) في القدر يكبُر كِبَرا عظم. و (كابره) غالبه وعانده. و (أكبره) رآه كبيرا و (تكبّر واستكبر) كان ذا كبر و (الكابر) الكبير و (الكبار والكُبّار) الكبير و (الكُبْر والكِبْر) معظم الشيء والاثم الكبير والتجبر

تكبيرة الاحرام قال اكثر الأئمة تكبيرة الاحرام من فروض الصلاة تنعقد بمجرد النية من غير تكبير. وقال أبو حنيفة تنعقد الصلاة بكل لفظ يفيد التعظيم مثل الله اعظم والله اعلم ولو قال (الله) كفاه ذلك ورفع اليدين عند التكبيرة سنة

الكبر القبار وهو شجيرة متلاسقة لاتمسك في الاتجاه الذى تعطاه، ساقها نصف خشبية منفرشة اسطوانية وفروعها خيطية خالية من الزغب حشيشية وتحمل اوراقا متعاقبة مفصلية قلبية الشكل مستديرة، وأزهارها كبيرة وحيدة ابطية

المستعمل فى الطب براعيم الكبر وازهاره وجذوره والاكثر استعمالا قشور جذوره

(استعمالاته الطبية) كان العرب يستعملون مطبوخ اوراقه ءلاجا لوجع الاسنان واوجاع الرأس فيوضع ذلك المطبوخ على المحل المتألم

وتوسع العرب فى ذكر خواص قشر جذر الكبر فنقلوا عن جالينوس انه يجلو وينقى ويفتح ويقطع بحرارة ويسخن ويحلل بحرافته ويجمع ويشد ويكثر بقبضه ولذا كان أحسن ما يعالج به الطحال عندهم ويقطع الاخلاط الغليظة اللزجة اذا شرب بالخل او بالخل والعسل ويخرجها بالبول وبالبراز

ويوضع ذلك القشر ضمادا على القروح

الخبيثة فيجلوها ويجففها وينفع من وجع الاسنان مضغا ومضمضة بطبيخه بخل خمر وشراب. ويحلل الخنازير والاورام الصلبة اذا خلط مع الادوية النافعة لذلك

وحكي عن ديسقوريدس انه حلل الخنازير ضمادا بورقه الى مدة يسيرة واذا كانت خاصة الورق ذلك فليس من العجب ان تكون عصارته قاتلة للدود الذي في الاذن لمرارتها . وثمرته المملحة قبل ان تغسل تطلق البطن ولا تغذو أما اذا غسلت ونقعت حتي تذهب عنها قوة الملح فانها تكون طعاما مغذيا غذاء يسيرا فتستعمل كالادام الذى يؤتدم به فتؤكل مع الخبز ليطيب به أكله وتكون كالدواء لتحريك الشهوة وللجلاء ما في المعدة والبطن من البلغم واخراجه بالبراز والبول، ولتفتيح سدد الكبد والطحال وتنقيتها وينبغى لاستعمالها لذاك ان تؤكل بالخل والعسل والزيت

ونقلوا عن ديسقوريدس انه اذا شرب من ثمره ٣٠ يوما كل يوم درهمان بشراب حلل أورام الطحال وأدر البول وسهل الدم ونفع من عرق النسا وقشر جذر الكبر يوافق القروح المزمنة الوسخة والجاسية وقد يخلط بدقيق الشعير ويضمد به تورم الطحال واذا دق ناعما وخلط بالخل ولطخ علي البهق الابيض جلاه

وقال الفارسي الكبر ترياق يطيب الفم ويطرد الريح

وقال غيره الكبر يشفى النواصير التي فى الآماق . وأصله جيد للبواسير اذا دخن به

وقال الطبري أصله ينفع من القروح الرطبة اذا وضع عليها من خارج . واذا طبخ وصب ماؤه علي الرأس الذى فيه قروح رطبة نفعه

وجاء فى كتاب التجربتين ان ورقه ولحاء اصله اى قشر جذره اذا جفف وسحق واحد منهما وأضيف الي الزفت وضمدت به قروح الرأس الشهدية اليابسة العتيقة أبرأها اذا توذي عليه ومثل ذلك القروح الخبيثة الغليظة وخصوصا فى مرطوبي المزاج فيوضع علي قروحهم الخبيثة مدروسا مع الشحم

واذا درس ورقه مع الشحم ووضع على أورام العنق البلغمية والخنازير حللها وكذا جميع الاورام البلغمية في سائر الجسم الا انه في اورام العنق والابط اقوى وكذا يوضع على فسوخ العضل ولا سيما في

الاعضاء الصلبة فينفعها. واذا سحق اصله وخلط بالادوية العطرية القوية كالسنبل والاسطوخودس والاذخر وعجن بعسل ولعق حلل ما في الصدر من الاوجاع الحادثة عنه وسهل نفثه . وينفع بهذه الصفة من أوجاع المعدة وسدد الكلي والطحال

وماء ورقه اذا شرب قتل أصناف الحيوانات المتولدة في الجوف

وقال الرازى الكبر المحلل يلطف الطحال ولا يسخن ولا يعطش الا قليلا ويضر في السعال والسحج ضررا شديدا فان أخذ منه فليتلاحق بصفرة البيض النيمرشت بعد التغرغر بالماء الحار مرارا

﴿ الكِبْر ﴾ هو ظن الانسان انه أكبر من غيره . والتكبر اظهار ذلك وهذه صفة لا يصح ان يتخلق بها احد من الناس. فان ظن الانسان بنفسه انه أكبر من غيره فى العلم فمن العلم ان لا يتظاهر بذلك وان لا يتخذ علمه آلة لاذلال عباد الله وافساد آدابهم بل وسيلة لتهذيب أخلاقهم وتربية ملكاتهم

وان كان يظن بنفسه انه أكبر منهم مالا فليذكر ان الله لم يهبه ذلك المال ليتعالى به على خلقه بل ليعين فقراءهم ويؤاسي محتاجيهم فالكبر على أى وجه قلبته لا تجد له مسوغا اللهم الا ان خبثت النفس وانحطت الهمة فان صاحبها يجد في الكبر بلال غلته ، وشفاء علته ولو توهما

ومما يدل على ان الكبر عرض لخسة النفس ودناءة الطبع، ولؤم الاصل، انك تصادفه في الجهلاء والفقراء أكثر منه في العلماء والاغنياء ، وتجده في السفلة الرعاع أشيع منه في العلية الخواص

قال العلامة أبو القاسم الحسين بن الفضل الراغب الاصبهانى في كتابه الذريعة الى مكارم الشريعة عند كلامه على الكبر والتكبر :

« التكبر يتولد من الاعجاب والاعجاب من الجهل بحقيقة المحاسن . والجهل رأس الانسلاخ من الانسانية ، ومن الكبر الامتناع عن قبول الحق . ولذلك عظم الله تعالى أمره فقال : انه لا يحب المستكبرين . وقال تعالى : اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون . وقال تعالى: كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار

« وقال صلى الله عليه وسلم عن الله

عز وجل: العظمة ازارى والكبرياء ردائي فمن نازعني واحدة منها قذفتـه فى نار جهنم

« ونبه تعالى نبيه صلي الله عليه وسلم فقال : ولا تمش في الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا

« وأقبح كبر بين الناس ماكان معه بخل . ولذلك قال عليه الصلاة والسلام خصلتان لا يجتمعان في مؤمن الكبر والبخل . واستحسن قول الشاعر :

جمعت أمرين ضاع الحزم بينهما
نفس الملوك واخلاق المماليك

« ومن تكبر لرياسة نالها دل على دناءة عنصره ومن تفكر في ذاته فعرف مبدأه ومنتهاه وأواسطه عرف نفسه وروض كبره. وقد نبه الله على ذلك بقوله: فلينظر الانسان مما خلق وقال الله تعالى قتل الانسان ما أكفره من اى شي خلقه من نطفة خلقه. وقال تعالي : انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج .

« والى هذا المعني نظر مطرف بن عبدالله الشخير لما قال ليزيد بن المهلب :

كيف يُزهى مَن ضجيعه
أبد الدهر رجيعه

وقال :

ياقريب العهد بالمخ
رج لم لا تتواضع

« فمن كان تكبره لغنيته فليعلم ان ذلك ظل زائل وعارية مستردة والاستطالة اظهار الطول فمن اظهر ذلك من غير طول فمنسلخ من الانسانيـة ، ومن أظهره مع طوله فقد ضيع الطول

« والصلف يقال باعتبار الميل في عنقه ، والصعر الميل في خده . ولذلك استعمل فيه الى الرأس نحو قوله تعالي: لووا رؤوسهم والباء (بأى نفسه رفعها وفخر بها) استعصاء النفس بالترفع عن الانقياد للواجب. والخيلاء أن يظن فى نفسه ماليس فيها من قولهم خلت. ولتصور هذا المعنى قال حكيم اعجاب المرء بنفسه ان يظن بها ما ليس فيها مع ضعف قوة فيظهر فرحه . والزهو الاستخفاف من الفرح بنفسه. وأما العزة فالترفع بالنفس عما يلحقه غضاضة كالمستظلف فى كونه فى ظلف من الارض لا يلحقه مذلة . والعزة منزلة شريفة وهي نتيجة معرفة الانسان بقدر نفسه واكرامها عن الضراعة للاعراض الدنيوية كما ان الكبر نتيجة جهل للانسان بقدر نفسه

وانزالمافوق منزلتهاوكثيرمايتصوراحدهما بصورة الآخر كتصورالتواضع والتضرع والتذلل بصورة واحدة وتصور الاسراف بصورة الجود والبخل بصورة الحزم ولهذا قال الحسن رضى الله تعالى عنه لمن قال له ماأعظمك من نفسك؟ فقال لست بعظيم ولكنني عزيز قال الله تعالي : ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين. وقال النبي صلى الله عليه وسلم لاينبغى للمؤمن أن يذل نفسه . ولما قلنا قالوا التكبر على الاغنياء تواضع تنبيها على ان هذا التكبر عزة نفس. ومن أجل أن هذا التكبر غير مذموم قال عزوجل : يتكبرون فى الارض بغير الحق. وقال ابن مسعود رضي الله تعالي عنه : من خضع لغني فوضع نفسه عنده طمعا فيه ذهب ثلثا دينه وشطر مروءته »

﴿ الكبريت ﴾ هذا العنصر كثير الوجود متحدا ومنفردا فيوجد متحداً بالفلزات على حالة كبريتور الحديد أو الرصاص أو النحاس علي حالة كبريتات الكالسيوم المعروف بالجبس ويوجد منفرداً في كثير من الاراضي البركانية. ويوجد منفردا أيضا بالقرب من البحر الاحمر

يستخرج هذا الجسم من الارض الكبريتية أى التي يكون فيها الكبريت على حالة انفراد مخلوطا بمواد ترابية وجبس ومواد رملية وغيرذلك. فان كانت الارض التي يراد استخراجه منها محتوية علي كثير منه وضعت القطعة منها فى قدر من الحديد وسخنت فالتسخين يصهر الكبريت ويصيره سائلا وتسقط المواد الغريبة فى قاع القدر فيرفع الكبريت السائل بملاعق كبيرة من الحديد وتصب في قوالب فيكتسب شكلها والمعتاد أن تكون هذه القوالب على شكل قرص

وان كانت الاراضي التي يراد استخراجه منها لاتحتوي على كثير منه جعلت اكواما بحيث انه لو أحرق جزء من كبريتها يصهر الجزء الآخر ويسيل فى قاعها ومنه الى قوالب فيتجمد فيها وقد تكون مساحة هذه الاكوام الف متر مكعب فيستغرق شهرين تقريبا

تحضير الكبريت بهذه الطريقة غير مستحسن لان جزءاً من الكبريت يزول بالاحتراق وحمض الكبريتوز الناتج عن هذا الاحتراق جسم متلف يعدم المزارع القريبة من المحل المستخرج فيه الكبريت

بهذه الطريقة

وفي سيسيليا يستخرج الكبريت بتقطير الارض المحتوية عليه في أوان من الفخار توضع على أفران خاصة وكل اناء منها متصل بمثلة موضوعا خارج الفرن فيتكاثف الكبريت المقطر

ولتنقية الكبريت المستخرج بهذه الطريقة ويسمى الكبريت الخام يقطر بتسخينه في قدور فيصير بخارا وهذا البخار يوجه الي قاعات من الطوب سعتها نحو ثمانية أمتار فان كان التقطير سريعا كانت كمية بخار الكبريت الذى يدخل فى القاعات عظيمة فترتفع درجة حرارتها الي أن تصير مساوية لدرجة صهر الكبريت فيتكاثف البخار سائلا فيؤخذ من فتحات في جدران القاعات بواسطة ملاعق من حديد ويصب فى قوالب من خشب البلوط مخروطية الشكل فيتجمد فيها فيكون في شكل أعمدة ولذلك يسمى الكبريت العمود

أما اذا كان التقطير بطيء فلا ترتفع حرارة القاعات الا بيطء فلا تصل الى درجة صهر الكبريت ولذلك كان بخار الكبريت الداخل فيها يتكاثف في شكل مسحوق فيجنى على هذه الحالة والمقطر هكذا يسمى زهر الكبريت

ويستخرج الكبريت من الكبريتورات الفلزية خصوصا من كبريتور الحديد لتقطيره فيتحلل هذا الكبريتور بالحرارة الى كبريت يتطاير بخارا يوجه القاعات والي كبريتور حديد مقدار ما فيه من الكبريت أقل مما كان فيه

(أوصاف الكبريت) هو جسم صلب لونه أصفر ليموني هش ينسحق بسهولة لايذوب في الماء ويذوب بسهولة فى بعض المذيبات كالبنزين وكبريتور الكربون وخصوصا مع الحرارة. وهو موصل رديء للحرارة ولذلك اذا وضع في اليد وهي حارة عمود من الكبريت وقبضت عليه من غير ضغط فانه يسمع منه ازيز خفيف ثم ينكسر .واذا دلك بقطعة من الصوف انتشرت عليه كهربائية سالبة فيجذب القطع الخفيفة من الورق وينصهر علي درجة ١١٤ فوق الصفر فيصير سائلا في قوام الماء. واذا ارتفعت درجة الحرارة عن ذلك فان سيولته تقل شيأ فشيأ ويدكن لونه فاذا وصلت درجة الحرارة الى ٢٥٠ كان لونه قريبا من السواد وصار ثخينا

بحيث لو قلبت الآنية التي هو فيها لا يسقط منه شيء . فاذا ارتفعت درجة الحرارة عن ذلك صار أكثر سيلانا واذا وصلت درجة الحرارة الى ٤٤٠ غلا وتصاعد منه بخار لونه احمر مسمر

واذا صب المصهور منه على درجة ١١٤ في الماء برد بسرعة وتجمد فيكون صلبا أصفر اللون هشا واذا صب في الماء بعد أن يأخذ قوامه في السخن فانه يصير كتلة سمراء أوسوداء مرنة كالصمغ المرن يمكن مدها خطوطا.وهذه الكتلة الرخوة تصير مصفرة اللون هشة ببطء على الدرجة المعتادة وبسرعة اذا سخنت على حرارة تقرب من غليان الماء.

والكبريت قابل للالتهاب فيلتهب في الهواء.فيكون الاندريد كبريتوز وحمض الازوتيك يؤكسده بمافيه من الاوكسيجين فيحيله الي حمض كبريتيك

(استعماله) الكبريت كثير الاستعمال ولكونه سهل الاحتراق تدهن به أطراف الاعواد الخشبية التى تتكون منها أعواد الكبريت ويدخل فى تركيب البارود . وباحتراقه يستحيل الي اندريد كبريتوز ومنه يحضر حمض الكبريتيك . وهو يستعمل فى الزراعة أيضا لاهلاك الحشرات والمركب الناشيء من اتحاده بالكربون كثير الاستعمال فى فرنسا لمعالجة الكروم. ومن الكبريت يحضر كبريتور الزئبق وكبريتور الانتيمون هما جسمان مستعملان في الالوان.ويستعمل أيضا لتنويع الصمغ المرن كي يصير لينا فى الشتاء كلينه فى الصيف (انظر كتاب الكيمياء لابراهيم بك مصطفي)

(النتائج الفسيولوجية للكبريت)

تأثيره منبه على المنسوجات الحية واذا وضع على الجلد في حالته الطبيعية كان الظاهر أنه لا يتأثر له أما اذا لامس سطحا جسديا متقرحا فانه يهيجه ويثير فيه عملا التهابيا ولذلك كان له تأثير واضح على أجزاء الجلد المغطاة بالقوابي أو بقشور أو اندفاعات جلدية مختلفة فيصيرها أكثر احمرارا وحيوية وحساسية فشفاؤه للامراض الجلدية انما هو بتنبيهه المنسوجات المرضية لا بردعه التهيج المرضي وتغيير محله

فاذا استعمل من الباطن تولد منه نوعان من النتائج الاول ينسب لتأثيره علي الطرق الغذائية والثاني لتأثيره على جميع المنسوجات العضوية.فاذا لم يستعمل منه

الا من ٤ قمحات الى ٦ قمحات كان ظاهر انه ينبه القوى الهضمية اذا لم يكدرها . فاذا استعمل بمقدار كبير كثمان عشرة قمحة الى نصف درهم أو درهم أو أكثر حصل منه احساس متعب في القسم المعدى وسبب استفراغا ثمليا والغالب أن لا يكون ذلك مصحوبا بقولنج . ويحصل منه مع ذلك جشاء نتن وتخرج رياح رائحتها لا تطاق

(خواص الكبريت الدوائية) أعظم فائدة تجنى من استعماله هي في علاج أمراض السطح الجلدى فيستعمل حينئذ من الباطن والظاهر مع التساوى فى النتيجة فيأخذ المريض كيتين أو ثلاث كيات قدر كل منها من أربع قمحات الى ١٨ وتطلى أجزاء الجلد التى عليها الداء بشحم أو قيروطى متحمل من ذلك الجوهر المعدني ويستعمل حمام من محلول كبد الكبريت كل يوم أو يومين فالقوة المنبهة التى في الكبريت هى السبب في الفائدة التي حصلت منه في تلك الآفات الجلدية فأجزاؤه التي تدخل بالامتصاص في الدم توقظ حيوية الجلد وتغير حالته الراهنة وتؤثر بمثل ذلك قوة الكبريت الموضوع على المحل المريض فتحرض فيه بالمباشرة التأثير المرضي وتطبع فيه زيادة فاعلية وشدة فيصير ذلك التنبه كحركة بحرانية تنهي المرض وتعيد للجلد صفاته الطبيعية ومع هذا فانه يهيج منسوج القلب والاوعية الدموية ويسبب حمى واضطرابا فيجب أن ينتبه الطبيب لذلك

كان الكبريت مستعملا من القدم لازالة العفونات ولم يكثر بقراط من ذكره وأول من أفاض في الكلام عليه ديسقوريدس وبليناس فأوصيا باستعماله من الباطن والظاهر فى أمراض الصدر. وأرسل جالينوس مرضاه المصابين بالسل الى سيسيليا لاستنشاق الهواء المكبرت من البراكين

وقد ثبت الآن انه لا ينفع الا في قليل من الامراض الجلدية المزمنة ولا يفيد الا في القوابي الرطبة أما في القوابي الجافة فلا يكون له تأثير عليها

والمراهم المصنوعة منه ومن الشحم الحلو كافية في اكثر الاحوال لشفاء الجرب بسرعة

واعتبر الكبريت وسيلة نافعة لاراحة المصابين بأوجاع روماتيزمية ونقرسية

واتفق الاقدمون علي نفعه في علاج السل الرئوى والنزلة المزمنة والربو ولكن تأكد الآن عدم نفعه في السل وانما ينفع في النزلات المزمنة فيعطى فيها مسحوقا أو أقراصا وهو لاحسن ولا سيما للاطفال .

ولم يتأكد أيضا نفعه في علاج الخنازير سواء من الباطن كمسهل خفيف أو من الظاهر كمحلل

وظن بعضهم ان مسحوقه مضاد للديدان فيعطي كمسهل

وأوصي بعضهم باستعماله في الدوسنطاريا الحادة ولكن بعد تسكين العوارض الاولى بالابيكاكوانا المستعملة دواء مقيئا

وذكر بعضهم انه يحفظ من وباء الهيضة والطاعون كما ينفع من البواسير حتي المؤلمة أما علي شكل مرهم أو كمسهل خفيف مجتمعا مع مسهل آخر

وذكروا نفعه في البول السكري وقطع الطمث وللحفظ من الحصبة وبالحمى القرمزية

ويستعمل الكبريت أيضا علي حالة حمض كبريتوز حمامات بخارية اى تدخينات. والكبريت قاعدة للمياه المعدنية الكبريتورية الكثيرة الاستعمال النافعة جداً في الحكة الخالية عن الحلمات والحزاز المزمن المنتشر علي الجسم والاطراف. هذه الآفات قد تطول مدتها سنين كثيرة وأحيانا تمكث الى الموت فتلك الامراض تنقاد لتلك المداواة بل يسرع شفاؤها بذلك

(مستحضرات الكبريت) يستعمل من الباطن أولا مطبوخه أو منقوعه المعدود مضاداً للديدان وللنقرس وثانيا مساحيقه التي هي عبارة عن كبريت مخلوط بأجسام مختلفة مسحوقة كعرق السوس والكافور وكبريتور الانتيمون وملح البارود وزبد الطرطير وغير ذلك وثالثا أقراص تحتوى على ١ على ١٢ أو ١ على ٩ من وزنها من الكبريت مجتمعا مع السكر او خلاصات أو أدهان طيارة أو حمض جاوى أو كبريتور الانتيمون أو نحو ذلك . ورابعاً بلوعات وحبوب ومعاجين ومربيات ونحو ذلك مما توجد فيه الخلاصات والراتينجات بل الاملاح مخلوطة مع الكبريت بواسطة العسل أو شرابات أو غير ذلك. وخامسا بلاسم الكبريت التي هي محلول الكبريت في الزيوت الثابتة أو الطيارة ويعمل ذلك بواسطة الحرارة وتلك السوائل ملونة نتنة اشتهرت سابقا فى القرن ١٥ و ١٦ وقل

استعمالها الآن وبتميز علي حسب طبيعة السائل الاصلي الي بلاسم ثابتة وبلاسم طيارة . فينسب الى البلاسم الاولى البلسم البسيط الكبريتي المكون من دهن اللوز الحلو وكبريت وأما البلاسم الطيارة فلا تحتوى غالبا من الكبريت الاعلى ١ على ١٢ وذلك كالبلسم الكبريتي الانيسوني الذى كان يستعمل لطرد الريح وكالكبريت التربنتيني المستعمل فى أمراض القنوات البولية

والمستحضرات المستعملة من الظاهر كثيرة فمنها القيروطيات الكبريتية وتستعمل وضعا أو مروخا بمقدار من درهم الى أربعة دراهم فى اليوم . وثانيا المراهم الكبريتية المستعملة بتلك الكيفية والعادة أن تكون مكونة من الشحم الحلو أو مرهم الخيار أو المرهم العادى أو زيوت ثابتة وكثيراً ما يضاف لها مركبات النوشادر أو الصودا أو كربونات البوتاسا أو أملاح أخر

(مقدار الاستعمال) مقداره من الباطن كمنبه من نصف غرام الى غرام واحد يكرر مرتين او ثلاثة فى اليوم ويوضع في معجون أو يعمل أقراصا وكمسهل من ٤ غرامات الى ٢٠ غراما في اللبن او في العسل أو معجون

(الحوامض الكبريتية) الحوامض التي قاعدتها الكبريت خمسة حمض تحت كبريتوز وحمض تحت كبريتيك وحمض كبريتوز وحمض كبريتيك وحمض كبريت ايدريك ونحن نذكر هنا أهمها بايجاز:

(حمض الكبريتوز) هو غاز عادم اللون ذو رائحة قوية قاطعة استنشاقه خطر يحرض السعال

يستعمل في الصنائع لتبييض الجواهر الآلية وسيما الحرير ويستعمل لازالة النكت الحاصلة في المنسوجات من الثمار ولحفظ العصارات النباتية والشرابات عن الاختمار ولايقاف تخميرها . واستعمل حافظا للامراض الوبائية زمن انتشارها وهو مزيل للعفونة فكانوا في العصور السابقة يحرقون الكبريت فى أزمنة الاوباء

واستعملوه أيضا لعلاج الهيضة الوبائية بشكل حمامات . واستعمل في معالجة الامراض الجلدية والروماتيزمية

وذكروا ان غاز الحمض المذكور يصح أن تداوى به العين المصابة بالكمنة

فى ابتدائها . ويصح استعماله لايقاظ فعل القلب والرئتين في حالة الغشى والاسفكسيا أى الاختناق ويكفي لذلك ايقاد عود من الكبريت ويقوي ذلك انخفاض شدة قواق من استنشق هذا البخار وكذا قيل بادخال الابخرة الكبريتية فى علاج آفات الصدر كما كان ذلك رأى جالينوس ولكن ثبت ان ضرر غاز الكبريت فى المصدورين اكبر من نفعه

(كبريتيت الصودا) هو مسحوق سنجابي اللون مصفر يستعمل لاجل كبرتة العصارات لحفظها من الفساد

(تحت كبريتيت الصودا) هو بلورات شفافة عادمة الرائحة وهو يستعمل في علاج الامراض الجلدية

(حمض الكبريت ايدريك) اذا أغلي زهر الكبريت مع محلول البوتاسا أو الجير المعلق فى الماء ذاب ذوبانا كيماويا بسبب اتحاد يحصل بينه وبين البوتاسيوم أو الجير فيصير المحلول اصفر محمراً لاحتوائه علي مركب من الكبريت والبوتاسيوم يقال له كبريتور الكالسيوم واذا عومل هذا المحلول بحمض تصاعد منه غاز رائحته كريهة كرائحة البيض المذر . وهذا الغاز مركب من الكبريت والايدروجين ويسمى بحمض الكبريت ايدريك

ويتكون هذا الغاز في تعفن المواد العضوية النباتية والحيوانية المحتوية على الكبريت وجزء من رائحة اللواحيض ينسب الى المركب الناشيء من اتحاد هذا الغاز بالنوشادر

وهو غاز وأئحته منتنة كريه الطعم ويشتعل بلهيب أزرق قليل النورانية فيتكون الماء والانتدريد كبريتيك ومحلوله يتحلل فى الهواء فيرسب منه مقدار من الكبريت

هذا الجوهر سم قتال مخوف فاذا دخل ١ على ١٥٠٠ منه في الهواء الذى يستنشقه عصفور مات لوقته و ١. .٨ منه يكفى لقتل كلب و١ على ٢٥٠ منه يكفي لقتل حصان

ومع هذا فقد استعمله الاطباء بمقدار خفيف في الآفات المعدية والرئوية . ولم يصح نفعه في داء الكلب واستعمل في الدوسنطاريا بنجاح

(حمض الكبريتيك) يسمي بزيت الزاج وهو كثير الاستعمال يحضر في الصنائع مقدار عظيم منه وهو عادم اللون

شرابي القوام يغلى على درجة ٢٣ فتنتشر منه أبخرة بيضاء حمضية خانقة . اذا وضعت قطعة من الخشب فيه اسودت لكون الحمض يأخذ منها أوكسيجينا وايدروجينا على صورة الماء وهو سم شديد يسبب اتلاف المواد العضوية وحمض شديد يؤثر فى جميع المعادن فيحيلها الي كبريتات الا الذهب والبلاتين ويتحلل بالفحم والكبريت والفوسفور فتأخذ جزءاً من أوكسيجينه لتتأكسد فيستحيل الي اندريد كبريتوز

وهو أكثر الحوامض استعمالا فجميع المعامل تستعمله اما مباشرة أو بالواسطة وهو يستعمل في تحضير الحوامض الاخر كحمض الكلورايدريك والازوتيك والفوسفوريك والليمونيك والطرطيريك والاوكساليك والكربونيك ، وفى تحضير عدد عظيم من الاملاح ككبريتات البوتاسيوم وكبريتات الصوديوم وكبريتات الامونيوم ، والفوق فوسفات الكثيرة الاستعمال فى الزراعة وفي تحضير الشب وكبريتات الخارصين وفى اذابة النيلة لصباغة الصوف بالزرقة وفي ترويق الزيوت المستعملة في الاستصباح وفي عمل شمع الاستيارين وفي تحضير سكر النشا ويدخل في الاعمدة الكهربائية المستعملة لتركيب المعادن

﴿ كبس ﴾ البئر يكبسها كبسا طمها بالتراب . و (كبسوا داره) هجموا عليها فجأة . و (الكباسة) العذق وهو من البلح كالعنقود من العنب و (الكبسة) الهجمة فجأة و (السنة الكبيسة) التي يؤخذ منها يوم

﴿ الكابوس ﴾ هو نوع من الاحلام المزعجة مع حس بثقل علي الصدر وضيق فى التنفس وتهدد بالاختناق . يحدث ذلك للانسان بينما يكون ممدداً لا حراك به فيتوهم انه يعمل مجهودات عظيمة ليخاص مما هو فيه . ثم لا تمضى الا دقائق معدودة حتي يستيقظ مذعوراً مبللا بالعرق وقلبه يخفق بشدة وقواه منحطة

الكابوس يظهر انه عرضة لسوء دورة الدم وحركة التنفس أو اضطراب في الجهة السفلي من البطن ويندر أن يكون عرضا لمرض في المخ

الكابوس يحدث عادة فى الساعات الاولي من الليل ويقل حدوثه في الساعات الاخيرة منه

(أسبابه) تهيج الاعصاب والوراثة وصعوبة التنفس لمرض في الانف وانزلاق الرأس عن المخدة الي الجهة الخلفية، وتعاطى الاغذية الصعبة الهضم وامتلاء المعدة بالمآكل قبل النوم، والاسراف في تعاطى العلاجات

(العلاج) أبعاد أسباب الاضطرابات النومية ويجب الامتناع عن تعاطي التبغ والقهوة والشاى والاشربة الكحولية لمن يكونون مصابين بالارق

ويجب على المصابين بالكابوس أن يروضوا أنفسهم في الاهوية الطلقة ويأتوا بحركات جسدية معتدلة ، ويجب ان يعرضوا أنفسهم للهواء ليلا ونهاراً صيفا وشتاء (مع التدثر) ولا يجوز أن يناموا ونوافذ غرفهم مؤصدة

ويجب ان لايتناولوا غير الاغذية السهلة الانهضام وأن يقللوا من العشاء وان لاينامو ا قبل ان يمضى عليه ثلاث ساعات على الاقل

﴿ كَبَشه ﴾ يكبُشه كبشا تناوله بجمع كفه. و (الكَبش) الحمل اذا مضي عليه سنتان وقيل بل أربع سنين

﴿ كبَل ﴾ الاسير يكبِله كبلا قيده ومثله كبّله . و (الكَبْل) القيد

﴿ كبا ﴾ لوجهه يكبو كبْوا وكُبُواً انكب على وجهه و (كبّي النار) ألقى عليها رماداً و (أكبي الزند) لم يور و (أكبي فلان وجهه) غيره

﴿ كتَب ﴾ يكتُب كتْبا وكتابا وكتابة خط على القرطاس ما يراد ابلاغه لغيره أو حفظه من النسيان . و (كتَب عليه كذا) قضى عليه . و (كتّب فلانا) علمه الكتابة . و (كتّب الكتائب) هيأها و (كاتبه) كتب أحدهما للآخر و (أكتبه) علمه الكتابة و (اكتتب الكتاب) خطه وقيل استملاه و (اكتتب فلان) سأل أن يكتب اسمه في أمر مشترك بين الكثيرين . و (أهل الكتاب) الامم التي لها كتاب منزل . و (ام الكتاب) اصله . والفاتحة . و (الكُتّاب) موضع التعليم جمعه كتاتيب . و (الكتيبة) الجيش وقيل قطعة منه و (المكاتَب) المملوك الذي كاتبه سيده على مال يؤديه فيعتق بأدائه. و (المكتب) موضع التعليم و (المكتبة) موضع الكتب جمعها مكتبات و (كاتب مملوكه) كتب على نفسه بثمنه فاذا اكتسبه وأداه عتق

﴿ كتاب المماليك ﴾ اتفق العلماء على ان كتابة المملوك الذي له كسب مستحبة مندوب اليها بل قال احدهم واجبة اذا دعا المملوك سيده اليها على قدر قيمته او اكثر

لاشك في أن هذا من الوسائل التى تذرع بها الاسلام الى تحديد دائرة الاسترقاق فانه ان كان يجب علي السيد أن يلبي طلب مملوكه في كتابة ثمنه عليه ليؤديه له من عمل جسده كان ذلك ولا شك داعياً لتحرير اكثر المملوكين ولا تعلم وسيلة افضل من هذه في تضييق دائرة الاسترقاق وهى ولا شك من آيات الدين الاسلامى ومن مميزاته العمرانية الكثيرة

﴿ الكتابة والكتاب ﴾ يراد بالكتابة في اصطلاحنا العصرى ما كان يعبر عنه فى الازمنة المتقدمة بانشاء الرسائل والخطب والكتب . وقد عني الاوربيون بتقسيم فنون الكتابة ومذاهب الكتاب تقسيما لا يشذ عن دائرته شيء من مولدات العقول وكنا على وشك انشاء فصل في ذلك لدائرة المعارف فعثرنا اتفاقا علي ملخص محاضرة القاهرة الالمعي احمد لطفي بك السيد في نادى المدارس العليا في سنة ١٩٠٩ فرأيناها جمعت أطراف هذا الموضوع فأحببنا أن نثبتها هنا تنويها باسمه وجزاء لفضله .

قال :

المعلومات الانسانية والمدركات العلمية كلها مستمدة من الاشياء الخارجية التي تحيط بالانسانية فكلما زاد احتكاك الانسان بهذه الاشياء وكثر اطلاعه عليها كلما زاد علمه وكثرت معارفه ولذلك فان الرجل الذى ساح البلاد وانتقل الى بقاع الارض وجال أماكنها واطلع بذلك علي كثير من الاشياء واحتك بأناس مختلفين يكون أكثر علما وأوسع اطلاعا من رجل قروي لم يزايل قريته ولم يتعد نظره دائرة ضيقة يظل محصوراً فيها ولا يقوي فكره على اجتياز محيطها

ولقد كان اختراع الكتابة من أول الوسائل على زيادة المعلومات الانسانية ومواتاة العقول بمعلومات كثيرة بدون حاجة الى الانتقال والمشاهدة بل بمجرد قراءة مايكتبه الكاتبون فتنتقل بذلك مشاهداتهم واستنتاجهم الى قرائهم وتبقى أثراً خالداً لأخلافهم يستطلعون بها كنه الحياة الاجتماعية في كل دور من أدوارها فكتب اليونان والرومان يكفى الاطلاع

على بعضها ليعرف القارى. كيف كان نظام جمعياتهم وشكل حكوماتهم وأساليب حياتهم في ادق الاشياء واصغرها

ولايقف تأثير الكتابة عند حد نقل المشاهدات الحسية بل هى تنقل شعور الكاتب وعواطفه الى نفس القاري. وتصبغه بالصبغة التي يريدها وهذا ما يتوخاه كتاب القصص والروايات فيما يؤلفونه منها وكثيراً ماتؤثرعلي قارئيها لدرجة تجعلهم يقلدون بطل الرواية فى هيئته ومشيته وزيه. ولو ذهبت الي قهوة بلدية فيها (شاعر) يقص على سامعيه قصة أبي زيد مثلا لرأيت انهم ينقسمون غالبا الى زغبيةوهلالية فينتصر فريق منهم الى (دياب بن غانم) وفريق آخر الي (أبي زيد الهلالى سلامة) وقد يفضى بينهم التحيزالي واحدمنهما لمشاكل تجر في كثير من الاحوال الى قضايا ترفع أمام المحاكم. فمثل هذه القصة تؤثر علي عواطف سامعيها حتي تصبغ احساسهم على مايريده المؤلف وتصب عواطفهم فى القالب الذى يختاره

من هنا يظهر مقدار الكتابة في الهيئات الاجتماعية والنتائج التي تنتجها علي الشعور العام صلاحا او فسادا تبعا لصلاحها او فسادها

ولكنها من جهة أخرى تابعة للحياة التى تؤثر عليها وتدفعها في نهج مخصوص لأن الكتاب لم يخرجوا عن كونهم أفراداً من جمعية لها عليهم تأثير في اخلاقهم وعواطفهم وميولهم على حسب الوسط الذي يحيط بهم

ولقدأصبحت الكتابة اليوم وسيلة من وسائل التربية العامة ووسيلة من وسائل ايقاظ الشعور وتنبيه العواطف ولكم نجح الكتاب بواسطة كتاباتهم فى قلب كيان الجمعيات وتغيير شكل الحياة الاجتماعية فى السيربها في الطريق التى يرضونها لها. ولقد عرف ذلك الامام الغزالى رضي الله عنه فقال أن الاخلاق الفاضلة لم تكن فى بداية أمرها الا عادة مصطنعة انتهت بأن تكون طبيعة راسخة ثم توارثها الابناء والاحفاد فصارت غريزة ثابتة

(أنواع الكتابة) تنقسم الكتابة لدي الاوربيين اليوم الي قسمين ريالسم واديالسم *Realisme et idéalisme* وهذه الفاظ لم توجد لها بعد مسميات فى اللغة العربية ويراد بالاولى منها الكتابة في الاشياء الواقعية بدون تخيل او تصنع

وبالثانية الكتابة الخيالية التي يصف بها الكاتب حالة تخيلها في ذهنه ويريد السعي الى تحقيقها بتقريبها لذهن القارىء وتجليتها أمام عينيه . فالريالسم هي الكتابة فيما هو كائن والايديالسم هي الكتابة فيما يجب ان يكون

وليس لهذا التقسيم من قاعدة طبيعية ثابتة ينبني عليها انما هو نتيجة الاستقراء للمؤلفات القديمة والحديثة وحشر كل صنف منها في واحد من هذين النوعين فالكوميدي *Comédie* تدخل في نوع الريالسم والتراجيدي *Tragédie* تدخل في نوع الايديالسم *idéalisme*

ويراد بالكوميدي تلك القصص الفكاهية التي تصف بعض احوال الحياة الانسانية كما هي بدون استعمال الخيال في تهذيبها. أما التراجيدي فهي تلك القصص التي يتخيل فيها الكاتب وقائع مخصوصة ويخترع لها اشخاصاً خياليين ويقصد بها نشر فكرة جديدة او الحث على فضيلة معلومة

(الايديالسم) الايديالسم هي كما قدمنا الكتابة بما يجب ان يكون على ما يصوره خيال الكاتب وهي لم تنشأ الا بعد الريالسم لان الكتاب قديماً لم يكونوا يستمدون معلوماتهم الامن المحسوسات الواقعة تحت أعينهم حتي اذا ما ألف ارسطاليس كتابه في الربوبية وتخيل لكل قوة من قوي الوجود سواء كانت خيرية او شرية عقلا قائما او صفة تمثلها اتبع الكتاب سبيله في تصوير أفكارهم ونشأت بذلك الكتابة من نوع الايديالسم

ومن أكبر كتاب الايديالسم في القرون الوسطي من تاريخ اوروبا كرني *Cornéille* وراسين *Racine* فكورني قصصي كبير وكاتب معروف كان في كل مؤلفاته يمثل حربا بين الفضيلة والرذيلة في الحوادث التي تقع بين أشخاص رواياته ويختمها بتغلب الفضيلة وانتصار العقل والحكمة . أما راسين فكان علي العكس من ذلك يغلب الرذيلة على الفضيلة وينصر الشهوة على العقل مظهراً بذلك ضعف الطبيعة الانسانية وخستها

اتبع الكتاب مذهب الايديالسم حتي القرن الثامن عشر وظهر المذهب التجريبي الحسى في الفلسفة فرجع الكتاب للريالسم ثانية وكان من أهم أنصاره موليير القصصي الهزلي الكبير ثم أتي بعده

الكسندر دوماس ثم اميل زولا . وهكذا فان الكتابة في كل عصر تتبع الفلسفة وتسير خلفها فكما نشأت الاديالسم مع فلسفة ارطاليس فقد نشأت الريالسم مع مذهب الفلسفة الحسية التجريبية *Positivisme*

وهناك نوع ثالث من الكتابة يسمى الدرام *Drame* اخترعه شكسبير *Shaekspeer* الانجليزي خلط فيه الريالسم بالايديالسم فأخذ من الاول وصف الحياة الواقعية الحقيقية وأخذ من الثاني الدعوة الى الفضائل العالية وتحبيب الناس فيها . ولقد نجح في ذلك نجاحا كبيرا فأرضى العامة لان فيه من وصف الحياة اليومية ما يوافق أمزجتهم ، وأرضى فيه النساء لأنهن يملن الى وصف الشهوات وتصوير الاحساسات والعواطف وأرضى فيه الحكماء والفلاسفة لانه يدعو الى الفضيلة والاخلاق الكاملة. ولقد قال فيكتور هوجو في ذلك ان الايديالسم والريالسم كانا متنافرين حتي وفق بينهما شكسبير فأخذ الاول بيمينه والثاني بشماله فكان الدرام وسطا بينهما .

(الكتابة)

الكتابة كما قدمنا لها تأثير كبير جدا على أخلاق الناس وطباعهم وعواطفهم وأميالهم . يكتب الكاتب قصة مثلا ويودعها حوادث غريبة تدور كلها حول بطل الرواية الذي يخلقه الكاتب على شكل يريده ويعطيه من الصفات والاخلاق ما يحب فاذا قرأ قارىء هذه القصة تأثر بحوادثها وتحيز الى بطلها وانصبغ بصبغته وكثيرا ما يشاهد ان قارئي الروايات أو من يحضرون تمثيلها يقلدون بطلها في حركاته وسكناته فكأن الكاتب بقصته قد صب عواطف قارئيها في قالب مخصوص وعليه ترجع تبعة ذلك وتلقى مسئوليته

(كتاب اليوم) هؤلاء هم الكتاب وهذا هو تأثيرهم وهذه هي مسئوليتهم فهل ترى كتابنا اليوم يقدرون ذلك حق قدره

انظر الى جرائدنا اليوم ماذا تجد فيها ؟ لا تجد غير حوادث تافهة فظيعة كحوادث القتل والنهب والسلب والتلصص وغير ذلك مما لا فائدة فيه في تقويم الاخلاق وتهذيب الطباع ان لم يكن مضرا بها . ثم انظر الى القصص والروايات فلا ترى فيها غير وصف الفظائع الانسانية وحوادث الاغواء والخيانة وغير ذلك مما يفتق الاذهان الخاملة الى سلوك هذا السبيل والاندفاع الى تيار الشهوات . فما

علة هذه الحال ؟ فهل فسد الناس فلا تجد في حياتهم وحوادثهم غير أمثال هذه الفضائح والمخازي؟ أفسد الكتاب وفسد خيالهم فلا يصورلهم الا ما تنبو عنه الاخلاق الكريمة وتأباه النفوس الطاهرة؟ أم فسدت الغرائز فهي لا تميل الا لقراءة هذه الحوادث التي تخجل منها الانسانيـة ولا تتفق مع الفضيلة البشرية ؟ الجواب علي ذلك هو ماقاله بديع الزمان الهمذاني «ما فسد الناس ولكن اطرد القياس »

فكذلك كتاب جرائدنا اليوم ومؤلفو القصص والروايات يتبعون طريقا تعودوها وسنة تبعوها في كتاباتهم وقصصهم بهذه الحوادث الشنيعة الشائنة وكان الواجب عليهم خلط القبيح بالطيب ليمثلوا الحياة الانسانية كما هى وليستفيد القارىء من أى كتاب يقع فى يده لان من القراء من لا يقرأ الا كتابا واحداً فى حياته

فقصة روميو وجوليت مثلا التي ألفها شكسبير ووصف فيها العشق الطاهر النقي كانت تصح ان تكون نموذجا يحتذيه كل النساء لولا مافيها من الغلو في الحب والاندفاع فيه كما كانت جوليت ويندر وجوده بين النساء

ولا ننسي ان نتكلم علي كتاب الجرائد الهزلية في مصر فان لهم تأثيرا كبيرا على العوام والاطفال لميلهم الشديد الى قراءتها ولقد شوهد غلام من تلامذة المدارس الابتدائية اشتهر والده بالافلاس والتدليس وحبس لذلك مراراً أنه قال لصديق له عند مامرا على السجن في ذهابهما صباحا الى المدرسة (هذه مدرسة بابا ؟)

فاذا وصل تأثير كتاب الجرائد الى هذه الدرجة فيجب الاعتناء بأمرهم والبحث في شأنهم، ولقد قال الامبراطور غليوم أنه يجب علي كتاب الجرائد أن يتخرجوا من مدارس خصوصية وتكون بأيديهم شهادات تؤهلهم لهذه الوظيفة الكبيرة فرد عليه الصحافي الكبير (هاردوان) قائلا :

اذا حتمت شهادة خصوصية علي الصحافيين فأي شهادة يجب أن تكون في أيدى الملوك وهم الحاكمون في الامم المتصرفون في شؤنها ؟ . .

وانا نحمد الله على ان ليس فى مصر أولئك الكتاب الاوربيون الذين اختل

نظام جسمهم واضطرب مجموعهم العصبي الا من الافراطات الجسمية والعقلية فكانوا داء اجتماعيا دوريا وخطر اشديدا على قارئيهم بما يبثونه فيهم من المبادئ السقمية والتعاليم المضرة غير اننا ننبه كتابنا الى تحرى أنجع الوسائل في تربية المجموع وحثه على فضائل الاخلاق وكريم الصفات ودعوته الي التضامن والتكافل

فانما الامم الاخلاق مابقيت

فان همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

﴿ الكتابة عند العرب ﴾

(الشعر) يظن الانسان لاول وهلة أن الشعر العربي كله من نوع الايديالسم ولكنه في الحقيقة أغلبه من نوع الريالسم مخلوطا بمبالغات تظهره بغير ذلك. انظر الى شعر عمر بن أبي ربيعة الشاعر الرقيق تجد قصائده رغماً عن رقتها ودقة التشبيهات فيها لاتخرج عن وصف الوقائع حتى أنها لتمثلها كأنها ألواح رسوم صورها مصور ماهر

كذلك فيلسوف الشعراء ابو العلاء المعرى فهو شاعر ريالست يصور الرذائل الانسانيـة تصويراً حقيقياً وينفر منهـا وخصوصاً في لزومياته وهو كالقصصي راسين يغلب الرذيلة علي الفضيلة وينظر الى الاشياء من جهاتها القبيحة فهو من مذهب المتشائمين *Pessimisme* ولقد أدرك أبو العلاء المعرى علي بعد عهده بالعصر الحاضر ما يجب أن تكون عليه الفلسفة وان تبنى على التجاريب والمشاهدات على ما يقول هكسلى وسبنسر فقال :

فمن عجب تقفو أحاديث كاذب

ونترك من جهل بنا ما نشاهـد

فالشعر العربي والحالة هذه من قبيل الريالسم أكثر مما هو من قبيل الايديالسم

(القصص العربيـة) لقد نبغ كتاب من العرب في كتـابة القصص وبلغوا من قوة الخيال مبلغاً بعيداً جـداً ولا برهان أكبر من القصص القديمة كقصة عنترة وأبي زيد وسيف بن ذى يزن والف ليلة وليلة وغيرها

هذه القصص ولو انها تحوى شيأ كثيرا من وقائع الجن والشياطين وما يماثلها مما يعده بعض الناس من قبيل الخيال فيذهب بذلك الى انها من نوع الايديالسم الا انها في الحقيقة من النوع الآخر أى الريالسم لانها ولو حوت مثل هذه الخرافات فان ذلك كان شائعـا في عصور تأليفها وهي فى نقلها لا تمثل غير

حقيقة الواقع» انتهى ماقاله احمد بك لطفي السيد

دور الكتب في العالم — غرى الانسان منذ تعلم فن الكتابة بتدوين معلوماته وحفظها فنشأت دور الكتب بمعناها العام. وقد جمع منها شيء كثير لدى الامم القديمة بين مصرية وهندية وصينية ولا سبيل الى معرفة عدد مؤلفاتها وتاريخ تكوينها. وغاية مايعلم ان الكتب في تلك الامم كانت تعتبر من الاشياء المقدسة التي لايجوز حفظها الا في هياكل العبادة فكان في هياكل مصر كتب تبحث في الامور الاعتقادية والطب والزراعة. وقد ذكر المؤرخون ان رمسيس الكبير أحد فراعنة مصر كان قد جمع شيئا كثيرا من المؤلفات في قصره ووضعها تحت حماية الالهتين توت وسافرين فالي المصريين القدماء يعود اذن فضل تأسيس المكتبات الخاصة ولكن فضل تأسيس المكتبات العامة يعود الى اليونانيين الاولين. فقد ثبت ان بيزيستراتيدس أسس مكتبة عامة في القرن السادس قبل ميلاد عيسى عليه السلام بقيت قائمة حتى أبادها الفاتح الفارسي اكسيركسيس بهدم تلك المدينة

ومن أشهر المكتبات اليونانية المكتبة التي أسسها بيرغام في أواخر القرن الثالث قبل الميلاد المسيحي وقد نقلت هذه المكتبة فيما بعد الى الاسكندرية ولا ندري ما حدث لها بعد ذلك

وأشهر من مكتبة بيرغام مكتبة الاسكندرية التي أسسها بطليموس سوتير (٢٨٣-٣٤٧) قبل الميلاد وقد ساعد هذا الملك في جمع الكتب الفيلسوف ديمتريوس دوفاليرفبلغ عدد مؤلفاتها نحو ٢٠٠٠٠٠ كتاب

ويأتي بعد هذه المكتبة في الشهرة مكتبة أرسطو التي أودعها كتبه وجميع ما عثر عليه من المؤلفات في الفلسفة والعلم والادب

وقد اختلف المؤرخون في عدد الكتب التي حوتها مكتبة الاسكندرية فقدرها بعضهم بـ ٤٠٠٠٠٠ والبعض الآخر بـ ٧٠٠٠٠٠ وليس لنا أن نثق بشيء من ذلك لان الكتب في تلك المكتبة كانت مزدوجة

وقد تأسست في رومية منذ أقدم تاريخها مكتبات رغما عن احتقار الرومانيين اذ ذاك لمولدات العقول

وقد تأسست أولا مكتبة عامة في رومية في عهد الامبراطور اغسطوس بمساعدة العالم ازينيوس بوليون فسميت بالمكتبة الاوكتافية . والي هذا الامبراطور يعود أيضاً فضل تأسيس مكتبة ابولون في القصر الملكي وقد كانت هذه المكتبات الرومانية تحت ادارة علماء رومانيين أو يونانيين ولكن مما يؤسف له ان كل هذه المكتبات التى تكلفت القناطير المقنطرة من الذهب أبادها المتوحشون حين هجومهم على رومية

انتشر حب جمع الكتب من رومية الى المدن الاخرى فأقيم في اكثرها مكتبات عامة كمكتبة النحوي الروماني ايبافروديت شيرونيه التى كانت تحتوى على نحو ٣٠٠٠٠ كتاب ومكتبة مربي الامير غورديان لوجوب (الشاب) التي كانت تحتوي على نحو ٦٢٠٠٠ كتاب

ثم زاد انتشار ذوق جمع الكتب فأصبح كل قصر فخم لسرى من السراة خال من دار للكتب يعد ناقصا وغير بالغ الغاية في الفخامة

فلما جاءت القرون الوسطي كانت المكتبات القديمة بين يونانية ورومانية قد أدركها العطب فلم يبق منها الا عدد نزر من المؤلفات القديمة فكان للكنيسة المسيحية الفضل في الاستيلاء عليها وحفظها بين جدرانها بعيدة عن الضياع ولكن مما يؤسف له أن القسوس كانوا اذا احتاجوا لشيء من الورق لكتابة دعواتهم ومواعظهم يعمدون الى أوراق تلك الكتب فيمحون ما عليها من الكتابات ويكتبون ما هم في حاجة اليه فضاعت على هذه الصورة أثمن الكتب القديمة أو نقصت صفحاتها نقصا مخلا بها ولكن مع كل هذا فما بقى من آثار الاقدمين لم يوجد الا في الكنائس المسيحية

فلما جاء الامبراطور شارلمان في القرن الثامن بعد المسيح نشأت في الامم الاوربية ناشئة من حب جمع الكتب فوجد مكتبات كثيرة في الاديرة وبعض الدور الكبيرة

ثم ترقي هذا الميل بعد القرن العاشر بزيادة عدد الكتاب والمفكرين حتي جاء القرن الخامس عشر وانتشرت المجادلات الدينية بين البروتستانت والكاثوليك فزاد عدد الكتب زيادة عظيمة ثم تلاها اشراق نور العلم الطبيعي واختراع المطبعة في القرن السادس عشر فنما عدد المؤلفات نمواً لم

يسبق له مثيل وكثر محبو جمع الكتب بين الملوك والعلماء فتأسست المكتبات العامة في كل بلد حتى وصلت الى القري

هذا ماكان من أمر الاوروبيين

وأما ماكان من أمر المسلمين فانه ما تكونت لهم دولة فى قرنهم الاول حتي هب قادة أفكارهم الى جمع الكتب على ندرتها لان الدين الاسلامي يدعو الي العلم والحكمة كما يدعو الي الصلاة والصيام بل جعل العلم بمعناه الاعم الوسيلة الوحيدة للخروج من ظلمات الشرك والالحاد والجهالة الى أنوار العقائد الحقة والحياة الانسانية الراقية . فقال تعالى : « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون» «وقل رب زدني علما» «يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً» بل جعل العلم وسيلة لفهم الدين فقال تعالى « وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون » بل جعل العلم محك النظر في التمييز بين الحق والباطل في المعتقدات والمعاملات فقال تعالي لانصار الباطل «هل عندكم من علم فتخرجوه لنا» فكان الاسلام بهذه الآيات وعشرات من أمثالها أقوي العوامل على نشر العلم بين العرب فهبوا هبة رجل واحد يطلبون العلم من مظانه . فجابوا الاقطار وتعرضوا للاخطار ، وقطعوا القارات والبحار ، وساكنوا الامم الاجنبية في بلادها ولم يدعوا وسيلة من الوسائل التى توصلهم الي زيادة معارفهم الا تذرعوا بها فجمعوا فى القرن الاول من ظهور الاسلام بين علوم القدماء والمعاصرين لهم من الهنود والفرس والرومانيين واليونانيين وقاموا بترجمة ماوقع تحت أيديهم من المؤلفات الاجنبية وتنافس الملوك والامراء في ذلك السبيل حتى حصلوا على عدد من المؤلفات لم يتسن لغيرهم من الامم المتقدمة

قالت دائرة معارف (تروسيه) تحت كلمة مكتبة (كان للعرب مكتبات عظيمة القيمة فى القاهرة والاسكندرية ، واذا صدقنا مايقولونه فقد كان عدد المؤلفات التي في مكتبة القاهرة يبلغ ١٦٠٠٠٠٠ كتاب . وكان لهم مكتبات أخرى فى بغداد وطرابلس الشام وفارس ولما كانوا يملكون الاندلس كان لهم فيها ٧٠ مكتبة عامة منها مكتبة قرطبة التي يبلغ عدد كتبها ٤٠٠٠٠٠ مجلد

وقال العلامة وليم درابر في كتابه

(المنازعة بين العلم والدين) عند كلامه على مدنية العرب :

« ذاق العرب في الفنون الادبية كل ماهن شأنه أن يحد القريحة ويصقل الذهن وقد افتخروا فيما بعد بأنهم أنجبوا من الشعراء بقدر ما أنجبت الامم كلها مجتمعة . أما في العلوم فقد كان تفوقهم ناشئاً عن الاسلوب الذي توخوه في المباحث . وهو أسلوب أخذوه عن فلاسفة اليونان الاوربيين فأنهم قد تحققوا ان الاسلوب العقلي النظري لايؤدي الى التقدم ، وان الامل في وجدان الحقيقة يجب أن يكون معقوداً بمشاهدة الحوادث ذاتها ومن هنا كان شعارهم في ابحاثهم الاسلوب التجريبي والدستور العملي الحسي. وكانوا يعتبرون الهندسة والعلوم الرياضية أدوات ومعدات لعلم المنطق . وقد يلاحظ المطالع لكتبهم العديدة على الميكانيكا والايدروستاتيك (علم موازنة السوائل وضغطها على جدران أوعيتها) ونظريات الضوء والابصار بأنهم قد اهتدوا الى حلول مسائلهم من طريق التجربة والنظر بواسطة الآلات . وهذا هو الذي قاد العرب لان يكونوا أول الواضعين لعلم الكيمياء ، والمكتشفين لجملة آلات التقطير والتصعيد والاسالة (اسالة الجوامد) والتصفية الخ وهذا بعينه أيضا هو الذي جعلهم يستعملون في ابحاثهم الفلكية الآلات المدرجة والسطوح المعلمة والاسطرلابات (هي آلة لقياس أبعاد الكواكب) ، وهو أيضا الذي بعثهم لاستخدام الميزان في العلوم الكيماوية ، وقد كانوا على ثقة تامة من نظريته ، وهو أيضاً الذي أرشدهم لعمل الجداول عن الاوزان النوعية للاجسام . والازياج الفلكية و (هي جداول تعرف منها حركات الكواكب مثل التي كانت في بغداد وقرطبة وسمرقند وهو أيضاً الذي أوجب لهم هذا الترقي الباهر في الهندسة وحساب المثلثات ، وهو أيضا الذي هم بهم لاكتشاف علم الجبر ، ودعاهم لاستعمال الارقام الهندية . هذا هو ثمرة تفضيلهم لاسلوب أرسطو الاستدلالي على مقالات افلاطون الاستنتاجية

« ولقد دأبوا على جمع الكتب بصفة منتظمة لاجل ان يتوصلوا الى تكوين المكتبات التي تكلمت عنها وقد قيل ان المأمون نقل الى بغداد مائة حمل بعير من

الكتب وقد كان أحد شروط معاهدة الصلح بينه وبين الامبراطور ميشيل الثالث أن يعطيه احدي مكتبات القسطنطينية التى كان فيها بين الذخائر الثمينة الاخرى كتاب بطليموس على الرياضيات السماوية فأمر المأمور بترجمته للعربية وسماه المجسطي وقد حصلت عناية بأمر هذه المكتبات حتى أن مكتبة القاهرة كان بها نحو من مائة الف كتاب معتنى بكتابتها وتجليدها غاية الاعتناء. وكان يوجد من بين هذه الكتب ستة آلاف وخمسمائة مجلد فى الطب والعلوم الفلكية فقط وكان من نظام هذه المكتبة أنها تعير كتبها للطلبة الساكنين فى القاهرة وكان بتلك المكتبة كرتان أرضيتان احداهما من الفضة والاخرى من البرنز قيل أن الاولى صنعها بطليموس الفلكي نفسه وأنها استدعت ثلاثة آلاف كورون (سكة يونانية) من الذهب. وقد اشتملت مكتبة خلفاء الاندلس فيما بعد على ستمائة الف مجلد وكان جدول أسمائه وحده محويا فى أربعة وأربعين جزءاً وغير هذا فقد كان بالاندلس سبعون مكتبة عامة وكثير من المكتبات الخاصة ومما يحكي أن أحد الدكاترة العرب رفض دعوة سلطان بخاري له محتجاً بأن كتبه لايمكن نقلها الا على أربعمائة بعير

« لقد كان يوجد في كل مكتبة محل خاص للنسخ والترجمة . وقد كان لبعض الخاصة مثل ذلك . فان هونيان الطبيب النسطورى كان له محل من هذا القبيل ببغداد سنة (٨٠٥) ترجم فيه كتبا لارسطو وافلاطون وهيبوكرات وغاليان الخ أما المؤلفات الحديثة فقد كان من عادة أساتذه هذه الجامعة أن يؤلفوا كتباً في الفروع العلمية التي تطلب منهم. وكان لكل خليفة مؤرخ خاص يكتب تاريخه . ومن ينظر الى تلك الاقاصيص والحكايات التي هي مثل الف ليلة وليلة يعرف مقدار التصور الشعرى الذى كان لدى العرب. ولم يقف بحث العرب عند حد فقد كتبوا فى كل فن وفى كل علم كالتاريخ والشريعة والسياسة والفلسفة وتراجم الرجال وتراجم الخيول والابل وكل هذه المؤلفات كانت تنشر بدون رقابة ولاحجر، وما يعلم من المراقبة على الكتب اللاهوتية فقد حدث فيما بعد هذا التاريخ . وقد كانت الكتب الزاخرة بالمعلومات التى تصلح لان تتخذ مادة فى المعلومات كثيرة جداً في الجغرافية

والاحصاءات والطب والتاريخ وقواميس اللغة. وكان لديهم دائرة معارف علمية ألفها محمد أبو عبد الله. وكان للعرب ذوق دقيق في صنع الورق النظيف الناصع البياض وفي اعطاء الحبر الالوان المختلفة وفي زخرفة وجوه الكتب بتشبيك تلك الالوان المختلفة من الحبر والابداع في تنميقها وتذهيبها على صفات شتي

« كان الملك الاسلامي العربي مملوءا بالمدارس والكليات، وكانت بلاد المغول والتتار ومراكش والاندلس حاصلة على عدد عديد منها . وكان في طرف من أطراف هذه المملكة الواسعة التي فاقت المملكة الرومانية كثيرا مرصد في سمرقند لرصد الكواكب وكان يقابله في الطرف الآخر مرصد جيرالد في الاندلس وقال جيبون (عند ذكر الحماية والرعاية التي بذلها المسلمون للعلوم ما يأتي):

« كان أمراء المسلمين في الاقاليم يناظرون الملوك في حماية العلم والعلماء. وكان من نتيجة تنشيطهم هذا للعلماء ان انتشر الذوق العلمي في المسافة الشاسعة التي بين سمرقند وبخاري الى فاس وقرطبة. وروي عن وزير لاحد السلاطين انه تبرع بمائتي الف دينار لتأسيس كلية علمية في بغداد ووقف عليها خمسة عشر الف دينار سنويا وكان عدد الطلبة فيها ستة آلاف لافرق بين غني وفقير . فكان ابن السيد العظيم وابن الصانع الفقير على السواء. وكانوا يكفون التلامذة الفقراء مؤنة دفع أجر التعليم ويعطون الاساتذة مرتباتهم بكرم وسماحة وكانت المؤلفات الجديدة الادبية تنسخ وتجمع سداً لحاجة أهل العلم وشهوة الاغنياء في جمع الكتب » انتهي

وقد أطلعنا علي مقالة نشرها بالانجليزية القاضي خودا بخش قاضي قضاة حيدر آباد عن مكتبات المسلمين فآثرنا نقلها لما فيها من الفوائد . والترجمة لمجلة المقتطف

قال القاضي الفاضل :

(مكاتب المسلمين) المكاتب (الكتبخانات) دليل علي كثرة المعارف وتفوق العمران وقد أثبت البحث في خرائب بابل وآشور ان الميل الى جمع الكتب ليس حديثاً في الدنيا

وبالانتقال من فجر التاريخ الى نهاره الساطع الضياء نجد في الرومان رغبة شديدة في جمع الكتب اما ليستفيد منها أفراد

الناس أو ليستفيد منها الجمهور ولقد ظهرت هذه الرغبة من كثيرين من ملوكهم ولا سيما من البيوس تراجنس الذي أنشأ أوسع المكاتب الملكية. ويقال انه كان في رومية وحدها في القرن الرابع الميلاد ثمان وعشرون مكتبة عمومية ولم تكن المكاتب محصورة في العاصمة وحدها

ولقد كان سقوط المملكة الرومانية الغربية بداءة انحطاط شأن المعارف فان البرابرة الذين اقتحموا تخومها تغلبوا عليها فنسيت معارف الرومان او لم يبق لها شأن الا عند نفر قليل

ومرت قرون علي اوروبا تنازلت فيها عن حقها في عضد المعارف لأمة أوجدها نداء الرسول العربي فان المسلمين وجهوا اعتناءهم الى رفع منار العلم بعد أن خرقوا سياج مملكة الروم وقوضوا دعائم مملكة الفرس. ومرت القرون الوسطي وأزمة العمران في يد أبناء الصحراء

ولا بأس بايراد فذلكة من تاريخ المعارف عند المسلمين تمهيداً للكلام على مكاتبهم:

من البين أن العرب كانوا على شيء من المعارف حتى فى عصر الجاهلية يدلك على ذلك مايروي عن سوق عكاظ حيث كان الشعراء يتبارون ويحكم بالسبق للمبرزين منهم فتكتب قصائدهم فى القباطي وتعلق على الكعبة اكراما لهم. الاان أقدم المحفوظ من أشعارهم لايمتد الى أبعد من قرن قبل الهجرة ولو قال قوم خلاف ذلك. ولم تعرف الكتابة عندهم الا قبل الهجرة بزمن يسير غير أنها دفعتهم لتسطير المحفوظ من أخبارهم وأشعارهم ومهدت السبيل الى ارتقائهم العقلى وتلا ذلك ان أبا الاسود الدؤلى وضع قواعد النحو باشارة الامام على فكان هذا مبدأ تدوينهم علوم اللغة

وبقيت معارف العرب قليلة جداً حتي موت النبي ولكن لم يمض عليهم وقت طويل حتي اتصلوا بالفرس والروم فعرفوا فوائد الحضارة وكان الفرس الذين بلغوا شأوا رفيعا من العمران فى عهد آل ساسان معلميهم الاولين ويتلوهم السريان الذين أرشدوهم الى علوم اليونان وفلسفتهم فتعلموا من الفرس الغناء والبناء والنقش والسياسة والفلسفة وحب التحلى والتأنق وأكثر علماء الاسلام من سكان بخارى وخراسان وبلخ ومن تلامذة مدارس

البصرة ونيسابور وسمرقند وهرات من أصل فارسي أو تركي. أما علوم اليونان فجاءت على يد نصارى نصيبين والرهاء وكان أكثر حملة العلم من الموالى كما قال الخليفة عبد الملك

ولم يكد المسلمون يدخلون ميدان العلم حتى خطوا فيه الخطى الطوال وسار خلفاؤهم وكبراؤهم في مقدمتهم ولم يكن قد نشأ فيهم شيء من التعصب الديني الذى من شأنه احتقار ما عند غيرهم من العلم والفلسفة بل تعلموا من الامم التي غلبوها وأتقنوا علومها واول مدرسة علمية في القرون الوسطي كانت مدرسة طليطلة التى أنشأها العرب وكانت مدرسة القاهرة المعروفة ببيت الحكمة على الاسلوب الذى اشار به الفيلسوف باكون بعد ذلك بزمن طويل

وأول من عني بجمع كتب العلم من امراء المسلمين خالد بن يزيد الاموى وقد ذكره ابن خلدون ونفى ما نسب اليه ولكن الاستاذ شبلى خطأ ابن خـلدون وأثبت الفضل لخالد مستشهداً بما قاله ابن نديم الذي قال ان خالدا كان من أعلم الناس بفنون العلم وله كلام فى صناعة الكيمياء والطب وكان بصيرا بهذين العلمين متقنا لهما وله رسائل دالة على معرفته وبراعته وبأمره ترجمت كتب الطب والكيمياء من اليونانية والقبطية وبقيت رسائله الى زمن ابن نديم

ولما تمهدت الامصار للخلفاء أخذوا في جمع كتب العلم الى ايام ابي جعفر المنصور فعني بترجمة كتب الفرس واليونان حتى اذا كثرت الكتب المترجمة والمؤلفة لدي الرشيد بني لها بيت الحكمة وجعله خزانة لها وديوانا للمترجمين فتقاطر العلماء الى بلاد المسلمين وكانت الكتب المجموعة في بيت الحكمة بلغات مختلفة فارسية ويونانية وقبطية وسريانية وكان يحيي بن خالد البرمكي رئيس هذه النهضة ومقدامها فاعتني خصوصا بنقل علوم الفرس لانه فارسي ونقل علوم الهند ايضا

وجاء المأمون بعد الرشـيد فاقتفى خطواته وزاد في جمع الكتب وترجمتها ويقال انه أنفق على ترجمة كتب اليونان ثلثمائة الف دينار. ولما كان في مرو راقت له أساليب الفرس فاقتدى باردشير وجمع كثيرا من التحف القديمة مما كان في بلاد العرب قبل الاسلام من ذلك كتابة كتبها عبد المطلب بيده وبقي جانب من

الكتب التي جمعها الي القرن السابع من الهجرة ورآها ابن ابي اصيبعة (صاحب كتاب طبقات الاطباء) والاهتمام بجمع الكتب وترجمتها دعا الي الاهتمام بصناعة النساخة والتجليد فاشتهر بالاولى ابن البواب وابن مقلة وزير المقتدر بالله وياقوت المستعصمي وبيرعلي وكان العرب يتنافسون في اجادة الخط كما يتنافس غيرهم في التصوير حتي ان الخليفة عثمان كتب بيده اربع نسخ من المصحف ارسلها الى الآفاق واقتفى أثره الحجاج بن يوسف الثقفي وأهدى نسخ المصحف التى نسخها بيده الي عواصم المملكة

وكان السلطان ابراهيم بن محمود الغزنوي يجيد الخط ويكتب نسخة كاملة من القرآن كل سنة يرسل بها الي مكة وذكر ابن خلدون أن السلطان أبا الحسن سلطان افريقية كتب نسخة من القرآن بيده وبعث بها الى مكة ونسخة اخرى بعث بها الي المدينة وكان ينوى كتابة نسخة ثالثة يبعث بها الى بيت المقدس فتوفى قبل اتمامها

وانتشرت الرغبة فى جمع الكتب في بغداد كلها اقتداء بالمأمون وكان كبراء الامة لا يضنون بمال في هذا السبيل فأنشأ الفتح بن خاقان وزير المتوكل بالله مكتبة عظيمة وكان وزيره الواثق بالله ينفق ثلاثين الف دينار كل شهر علي ترجمة الكتب ونسخها

وكانت كتب الواقدى (فى القرن التاسع) ملأ ستمائة صندوق ويقتضي حملها مئة وعشرين جملا

ولما انتقلت الخلافة من بني امية الي بني العباس هرب عبد الرحمن الاموى الي الاندلس فرحب به أهلها وأنشأ دولة في قرطبة فناظرت القاهرة وبغداد او فاقتها وبلغت علوم العرب اوجها في بلاد اسبانيا فلها أوربا مديونة أعظم دين لأنها أوقدت مصباح المعارف في اوربا. وكان المستنصر بالله الحكم سلطان قرطبة اليد الطولى فى هذه النهضة العلمية فانه جلب كتب الفلسفة من البلاد الشرقية وأمر بترجمتها. قال المقرى «كان يبعث في شراء الكتب الي الاقطار رجالا من التجار ويرسل اليهم الاموال لشرائها حتي جلب منها الى الاندلس مالم يعهدوه وبعث في كتاب الاغاني الى مصنفه ابي الفرج الاصفهاني وأرسل اليه الف دينار من الذهب العين

فبعث اليه بنسخة منه قبل ان يخرجه الى العراق . وجمع بداره الحذاق في صناعة النسخ والمهارة في الضبط والاجادة في التجليد فأوعي من ذلك كله واجتمعت بالاندلس خزائن من الكتب لم تكن لاحد من قبله ولا من بعده الا مايذكر عن الناصر العباسي بن المستضيء ولم تزل هذه الكتب بقرطبة الى ان بيع اكثرها في حصار البربر » واثبت ابن خلدون ان اسماء دواوين الشعر كانت تملأ ٨٨٠ صفحة

واختلف المؤرخون في عدد الكتب التي كانت في خزائن الحكم ولكنهم اتفقوا علي انها كانت كثيرة وكان على كثير منها شروح وحواش بيده

وخلف الحكم ابنه هشام المؤيد بالله وكان صغيرا فولي الاحكام وزيره المنصور ابن أبي عامر وكان كارها للفلسفة فأتلف كتب الحكمة والهيئة وكل مافيها من علوم الاوائل وأبقى كتب اللغة والشعر والتاريخ والفقه والحديث وظل الحال على هذا المنوال والناس علي غير رأي الحكم الى ان انقرضت دولة بني امية من الاندلس

ثم كثرت الفتن في البلاد وعبثت بالكتب الايادى فنقل بعضها الى اشبيلية وبعضها الى غرناطة وبعضها الى الالميرة وغيرها من العواصم . وبلغ عدد المكاتب العمومية في اسبانيا لما كانت في أوج مجدها في عصر العرب سبعين مكتبة ولا يزال فيها حتى الآن كثير من كتب العرب رغما عما مر بها من ازمنة البؤس ورغما عما أبداه النصارى وقت اخراجهم العرب

قال المقري عن الحضرمي ماخلاصته : ان الحضرمي كان يقيم في قرطبة ويحضر سوق الكتب كل يوم عساه يعثر علي كتاب كان يتطلبه وظل على ذلك اياما واخيرا عثر على الكتاب المطلوب فسامه وصار كلما زاد الثمن زاده الدلال أكثر حتي بلغ مبلغا فاحشا لا يستحقه فقال للدلال من مناظري في ابتياع هذا الكتاب فأراه رجلا من الكبراء فحياه الحضرمي قائلا حيا الله مولانا الاستاذ علامَ تغالى في هذا الكتاب فقد فاق ثمنه مايستحقه فان كنت ترغب فيه فهو لك من غير مزايدة فقال الرجل لست أستاذاً ولا أنا عارف موضوع الكتاب ولكن في بيتي خزانة كتب جمعتها ليعلو بها شأني

بين أقراني ولم يزل فيها فراغ يسع هذا الكتاب فأريد أن أبتاعه لتتم به

ولما عقد الصلح بين أبي يوسف سلطان المغرب الاقصي وبين دون سنخو كان من جملة شروطه أن يرد دون سنخو الكتب التي غنمها من كتب المسلمين فردها ووضعها السلطان في المدرسة التى بناها بفاس لكي يطالعها طلبة العلم

ولما ضعف شأن الخلفاء العباسيين وقوي ملوك الطوائف استقل بنو سامان في بخاري وبنو حمدان في الشام وبنو بويه في شيراز والفاطميون في مصر وكانت هذه الدول المستقلة تتنافس في رفع شأن العلم وتقريب رجاله فأنشأ نوح بن منصور سلطان بخاري مكتبة كبيرة قال عنها ابن سينا أنه دخلها وكانت عديمة المثال فيها من كل فن من الكتب المشهورة بأيدي الناس وغيرها مما لا يوجد فى سواها ولا سمع باسمه فضلا عن معرفته فظفر فيها بكتب من علم الاوائل وغيرها وحصل نخب فوائدها واطلع علي اكثر علومها

ونوح بن منصور هذا هو الذى عرض الوزارة على الصاحب بن عباد فاعتذر عن قبولها بأنه لا يستطيع ان ينتقل اليه ما لم يأخذ معه كتبه وهى حمل اربع مئة جمل

وذكر البشارى ان عضد الدولة أنشأ في شيراز اكبر المكاتب وجعلها في جانب من قصره ولم يكن لها مثيل فى ممالك الاسلام . وقال الامام الثعالبي انه مامن دار من دور الامراء بعد دور العباسيين كانت كثيرة الكتب مثل دار سيف الدولة وهو الذي قرب أبا نصر الفارابي وكان يجري عليه النفقة الى حين وفاته . وقضى ابو الفرج الاصفهاني خمسين سنة فى جمع كتاب الاغاني وحمله اليه فأجازه بألف دينار واعتذر اليه عن قلة المال لديه

وهاك ماذكره ابن نديم عن مجموع آخر من الكتب وهو حقيق بالنظر والاعتبار

« قال محمد بن اسحق كان بمدينة الحديثة (مما يلي الموصل) رجل يقال له محمد بن الحسين ويعرف بابن أبي بعرة جماعة للكتب له خزانة لم أر لأحد مثلها كثرة تحتوي على قطعة من الكتب العربية في النحو واللغة والادب والكتب القديمة . فلقيت هذا الرجل دفعات فأنس بي وكان نفوراً ضنيناً بما عنده خائفا من بني حمدان فأخرج لى قمطراً كبيراً فيه نحو

ثلثمائة رطل جلود فلجان وصكاك وقرطاس مصري وورق صيني وورق تهامي وجلود أدم وورق خراساني فيها تعليقات عن العرب وقصائد مفردات من اشعارهم وشيء من النحو وحكايات والاخبار والاسماء والانساب وغير ذلك من علوم العرب وغيرهم . وذكر ان رجلا من اهل الكوفة ذهب عني اسمه كان مشتهراً بجمع الخطوط القديمة وأنه لما حضرته الوفاة خصه بذلك لصداقة كانت بينهما وافضال من محمد بن الحسين عليه ومجانسة المذهب فانه كان شيعيا . فرأيتها وقلبتها فرأيت عجبا الا أن الزمان قد أخلقها وعمل فيها عملا أدرسها وأحرقها وكان على كل جزء أو ورقة أو مدرج توقيع بخطوط العلماء واحدا أثر واحد فذكر فيه خط من هو وتحت كل توقيع آخر خمسة وستة من شهادات العلماء على خطوط بعض لبعض ورأيت في جملتها مصحفا بخط خالد بن ابي الهياج صاحب علي رضى الله عنه. ثم وصل هذا المصحف الى عبدالله بن حسان رحمه الله ورأيت فيه بخطوط الامامين الحسن والحسين ورأيت عنده امانات وعهوداً بخط أمير المؤمنين علي عليه السلام وبخط غيره من كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن خط العلماء في النحو واللغة مثل ابي عمرو اسحق بن العلاء وابي عمرو الشيباني والاصمعي وابن الاعرابي وسيبويه والفراء والكسائي ومن خطوط اصحاب الحديث مثل سفيان بن عيينة وسفيان الثوري والاوزاعي وغيرهم ورأيت مايدل على أن النحو عن ابي الاسود ما هذه حكايته وهي أربعة أوراق أحسبها من ورق الصين ترجمتها هذه فيها كلام من الفاعل والمفعول من أبي الاسود رحمة الله عليه بخط يحيي ابن يعمر وتحت هذا الخط بخط عتيق هذا خط علان النحوي وتحته هذا خط النضر ابن شميل . ثم لما مات هذا الرجل فقدنا القمطر وما كان فيه فما سمعنا له خبراً ولا رأيت منه غير المصحف هذا على كثرة بحثي عنه

(المقتطف ذكر ماتقدم أبو الفرج محمد بن اسحق الوراق البغدادي المعروف بابن اسحاق النديم في كتاب الفهرست الذى ألفه سنة ٢٧٧ للهجرة)

وذكر ياقوت الرحالة المشهور أنه رأى في مرو اكثر من اثنى عشر خزانة للكتب وهناك جمع أكثر ماذكره في

معجم البلدان وكان اصحاب الكتب لا يضنون عليه بكتاب يستعيره منهم وكثيراً ما كان يبقى عنده مئتين من الكتب المستعارة

وقد اشرت قبلا الى خزائن الكتب التي جمعها الحكم في الاندلس واقول الآن انه لم يفقها الا خزائن الكتب التي جمعها الخلفاء الفاطميون في القاهرة. وقد اختلف المؤرخون في عدد ما كان فيها من الكتب وهي مائة الف مجلد على اقل تقدير وكان فيها كرتان الواحدة قديمة جداً والثانية صنعها ابو الحسن لاسد الدولة

وسنة ٣٩٥ أنشأ الخليفة الحاكم دار العلم المسماة ايضا دار الحكمة وجمع اليها أعظم علماء العصر في كل فن وقطع لهم ٢٥٧٠ ديناراً في السنة نفقة

ثم تفرق الجانب الاكبر من هذه الكتب ايدى سبا وصارت تعطي للناس بدل رواتبهم

(المقتطف وقد اشار الكاتب بذلك الى ماذكره المقريزى فى خططه فرأينا ان ننقل كلام المقريزي برمته اتماماً للفائدة قال نقلا عن المسبحي « انه ذكر عند العزيز بالله كتاب العين للخليل بن احمد فأمر خزان دفاتره فأخرجوا من خزائنه نيفا وثلاثين نسخة من كتاب العين منها نسخة بخط الخليل بن احمد . وحمل اليه رجل نسخة من كتاب تاريخ الطبري اشتراها بمئة دينار فأمر العزيز الخزان فأخرجوا من الخزانة ماينيف على عشرين نسخة من تاريخ الطبرى منها نسخة بخطه . وذكر عنده كتاب الجهرة لابن دريد فأخرج من الخزانة مئة نسخة منها .وقال فى كتاب الذخائر عدة الخزائن التي برسم الكتب في سائر العلوم بالقصر اربعون خزانة من جملتها ثمانية عشر الف كتاب من العلوم القديمة قال وكنت بمصر فى العشر الاولي من محرم سنة ٤٦١ فرأيت فيها خمسة وعشرين جملا موقرة كتبا محمولة الى دار الوزير ابي الفرج محمد بن جعفر المغربي فسألت عنها فعرفت ان الوزير أخذها من خزائن القصر هو والخطير ابن الموفق فى الدين بايجاب وهبت لهما عما يستحقانه وغلمانهما من ديوان الحسيبين وان حصة الوزير منها قومت عليه من جاري مماليكه وغلمانه بخمسة آلاف دينار ونهب جميعها من داره يوم انهزم ناصر الدولة بن حمدان من مصر فى صفر من

السنة المذكورة مع غيرها مما نهب من دور من سار معه. هذا سوى ما كان في خزائن دار العلم بالقاهرة وسوى ما صار الى عماد الدولة أبي الفضل بن المحترق بالاسكندرية ثم انتقل بعد مقتله الي المغرب وسوى ما ظفرت به لواتة محمولا مع ما صار اليه بالابتياع والغصب في بحر النيل الى الاسكندرية في سنة احدى وستين وار بمائة وما بعده من الكتب الجليلة المقدار المعدومة المثل في سائر الامصار صحة وحسن خط وتجليداً وغرابة التي اخذ جلودها عبيدهم واماؤهم برسم عمل ما يلبسونه في أرجلهم وأحرق ورقها تفاؤلا منهم انها خرجت من قصر السلطان أعز الله أنصاره وان فيها كلاما من المشارقة يخالف مذهبهم سوى ما غرق وتلف وحمل الي سائر الاقطار ونقى منها مالم يحرق وسفت عليه الرياح التراب فصار تلالا باقية الى اليوم في نواحي آثار تعرف بتلال الكتب. وقال ابن الطوير خزانة الكتب كانت في احد مجالس المارستان اليوم يعني المارستان العتيق فيجيء الخليفة راكبا ويترجل على الدكة المنصوبة ويجلس عليها ويحضر اليه من يتولاها وكان في ذلك الوقت الجليس ابن عبد القوي فيحضر اليه المصاحف بالخطوط المنسوبة وغير ذلك مما يقترحه من الكتب فان عن له أخذ شيء منها أخذه ثم يعيده وتحتوي هذه الخزانة على عدة رفوف في دور ذلك المجلس العظيم والرفوف مقطعة بحواجز وعلى كل حاجز باب مقفل بمفصلات وقفل وبها من أصناف الكتب ما يزيد علي مائتي الف كتاب من المجلدات ويسير من المجردات. فمنها الفقه علي سائر المذاهب والنحو واللغة وكتب الحديث والتواريخ وسير الملوك والنجامة والروحانية والكيمياء من كل صنف النسخ ومنها النواقص التي ما تممت كل ذلك بورقة مترجمة وملصقة علي باب كل خزانة وما فيها من المصاحف الكريمة في مكان فوقها وفيها من الدرج بخط ابن مقلة ونظائره كابن البواب وغيره وتولى بيعها ابن صورة في أيام الملك الناصر صلاح الدين فاذا أراد الخليفة الانفصال مشي فيها مشية لنظرها وفيها ناسخان وفراشان صاحب المرتبة وآخر فيعطى الشاهد عشرين دينارا ويخرج الى غيرها. وقال ابن ابي طي بعد ماذكر استيلاء صلاح الدين على القصر ومن جملة ما باعوه خزانة الكتب وكانت

من عجائب الدنيا ويقال انه لم يكن في جميع بلاد الاسلام دار كتب أعظم من التي كانت بالقاهرة في القصر ومن عجائبها انه كان فيها الف ومائتا نسخة من تاريخ الطبري الي غير ذلك ويقال انها كانت تشمل على الف الف وستمائة الف كتاب ومن الخطوط المنسوبة أشياء كثيرة انتهي ومما يؤيد ذلك أن القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي لما أنشأ المدرسة الفاضلية بالقاهرة جعل فيها من كتب القصر مائة الف كتاب مجلد . وباع ابن صورة دلال الكتب منها جملة في مدة أعوام فلو كانت كلها مائة الف لما فضل عن القاضي الفاضل منها شيء . وذكر ابن أبي واصل ان خزانة الكتب كانت تزيد علي مائة الف وعشرين مجلدا » انتهي ماذكره المقريزي

وذكر المقريزي وابو المحاسن والنويري ان من جملة ماوجد في دار امين الدولة ابي يحيي السامري كتب ثمينة يبلغ عددها مئة الف مجلد وبعضها من خط اعظم النساخ ولما توفي الامام نور الدين علي ابن جابر في القاهرة سنة ٧٢٥ وجد في خزانة كتبه ٦ آلاف مجلد

والظاهر ان جانبا كبيرا من الكتب التي كانت في القاهرة حمل الي الشام فوضع بعضه في طرابلس وحرقه الصليبيون لما فتحوها سنة ٥٠٢ للهجرة على ماقاله مؤرخو العرب والبعض الآخر وضع في المدرسة الناصرية بدمشق التي بناها الملك الناصر يوسف الايوبي . وذكر النويري ان الملك الناصر بعث من جملة هدية الى الخليفة في بغداد ثلثمائة مجلد بديعة بالنسخ

وقال ابن خلدون ان الوزير أبا الحسن على بن يوسف القفطي جمع من الكتب مالا يوصف تصيدها من الآفاق وكان لايحب من الدنيا سواها وأوصى بكتبه للناصر صاحب حلب وكانت تساوى خمسين الف دينار

وقال احمد العسقلاني المؤرخ عن محمد بن يعقوب الفيروزبادى مؤلف القاموس انه لم يكن يسافر الا ومعه احمال كثيرة من الكتب ومن الغريب ان افريقية لم تكن دون غيرها من ممالك الاسلام فى الكتب والمكاتب فقد قال مؤرخ من أهالى القيروان ان قاضيها واسمه أبو الفضل احمد جمع كتبا بيعت بعد وفاته بألف دينار . ولما استولي الافرنج علي سبتة سنة ٨١٧ للهجرة حملوا منها كل ما وجدوه فيها حتي كتب الملوك وكانت كثيرة

ومما يذكر بالاسف ان مؤرخي

العرب لم يذكروا تاريخ المكاتب العربية وكل ماذكروه عنها جاء عرضا في كلامهم على غيرها . وقد ذهبت هذه المكاتب أيدي سبا ولا سبيل لجمع شملها الآن فان الفتن السياسية والحروب الاهلية والخصومات الدينية كل ذلك قلص ظل العمران وأبعد العلم والعرفان عن معالم الاسلام. ولولا المغول الذين فاجأوا ممالك المسلمين كالسيل العرم واستباحوا محارمها وقوضوا معالمها لبقيت من كنوزها العلمية بقية تذكر الى اليوم فانهم لما فتحوا بخارى وسمرقند غالوا في التخريب والتدمير فحرق ابن هولاكو مدرسة مسعود بك في بخاري سنة ٦٧١ وكانت من أوسع دور العلم في ذلك العصر فالتهمت النار كتبها الكثيرة ولما فتح هلاكو مدينة حماة باع كتبها بأبخس الاثمان. واثبت ابن بطوطة ان التتار قتلوا في العراق اربعة وعشرين الفا من العلماء ولم ينج منهم الا اثنان

ولا بد لى قبل ختم هذه المقالة من ان اشير الى حال الهند فأقول : ان المغول عادوا الى تعضيد العلم بعد ان تمهدت لهم الامصار ولو لم يبلغوا في ذلك شأو العرب في بغداد والقاهرة وقرطبة فأبناء جنكيزخان وتيمورلنك اعتنقوا الاسلام ورفعوا امنزلة علمائهم وتحت لوائهم نشأ نصير الدين الطوسي وقطب الدين الشيرازى وسعد الدولة التفتازانى وغيرهم من المشاهير وكان لدولة المغول في الهند اليد البيضاء في تعضيد العلوم والفنون وكان السلطان شاه جهان كثير المطالعة مغرما بالكتب واقتفى عادل شاه وقطب شاه صاحبا دكان خطة سلاطين المغول من حيث الاهتمام بالعلم وتقريب العلماء. فنشأت مكاتب كثيرة في بلاد الهند ولكن لم يبق منها أثر بعد الفتنة لأنها حرقت او اخذت كتبها منها والقليل الذي بقي من كتب الهند بيع بثمن بخس

وعسى أن لا أنسب الى التباهي اذا اشرت الى المكتبة التي وهبتها لمدينة بطنا به لان غرضي من ذكرها انما هو تنبيه المستشرقين اليها. وهذه المكتبة في كنف الحكومة الآن وهي تعتنى بحفظها شديد الاعتناء، ولكنها تبقى دون المراد حتى تضاف اليها مطبع تطبع ما فيها من الكتب النادرة المثال وتنشرها الى الملأ وقد كان المرحوم والدى شديد الغرام بالكتب وانفق على جمعها واستنساخها اكثر دخله فبلغ عددها حين وفاته ١٤٠٠ مجلد ولما حضرته الوفاة

أوصاني بها وأمرني أن أجعلها مكتبة عمومية حالما أستطيع ذلك وقد ورثت منه محبة جمع الكتب وجمعت كثيرا منها بعد وفاته وفتحتها للجمهور سنة ١٨٩١ وكان فيها حينئذ سبعة آلاف مجلد من كتب الخط وعدد كتب الخط فيها الآن ثمانية آلاف وفيها أيضا نخبة كبيرة من الكتب الانجليزية العلمية والادبية

وفي هذه المكتبة كثير من الكتب لمشاهير المستشرقين مثل ده ساسي والسر غور أرزلي والمستر بلنشمان من مدرسة كلكتا وعلى بعضها حواش بخطهم

اشرت سابقا الى ما حل بالكتب العربية في زمن الفتن السياسية والحروب الصليبية ولذلك قلت الكتب التي ألفت بين القرن الثاني والسابع للهجرة وما يوجد من الكتب العربية الآن مؤلف اكثره بين اواسط القرن السابع واواخر القرن الحادي عشر للهجرة ولكنني توفقت الى جمع كتب قديمة في الفلك والجراحة والطب والفلسفة والتعاليم واكثرها مخطوط بأقلام اناس من المشاهير

قد وصفت هذه الكتب بالاسهاب في المجلد الاول من الفهرست الذي طبعته من ذلك كتاب خط للزهراوي في الجراحة تاريخه سنة ٥٨٤ للهجرة وفيه صور الآلات الجراحية مصورة بالاتقان التام ويستدل منها على أن بعضها كان مثل الآلات الجراحية التي يظن أنها اخترعت منذ عهد قريب . ومنها كتاب ديسقوريدس في النباتات الطبية الذي ترجمه العرب في تاريخ هرون الرشيد والنسخة التي عندي هي نفس النسخة التي وضعها جلال الدين شروان شاه في صيدلة شيراز منذ ستمائة سنة وفي المكتبة كتب كثيرة ألفها علماء العرب في هذا الموضوع بانين اياها على كتاب ديسقوريدس. وفيها أيضا كتاب قديم جداً من كتب ثابت بن قرة وشيء من كتب نصر الدين الفارابي وعبد الرحيم البيروني . وقال لي احد مشاهير المستشرقين ان النسخة التي عندنا من شرح المعلقات للنحاس أصح من النسخ التي في مكاتب اوروبا . وفيها كتب كثيرة من كتب سلاطين دهلي واكثر من اربع مئة ديوان من دواوين الشعر وبعضها مكتوب بخط بديع مذهب

وفيها كثير من كتب الدين كالحديث والفقه والاصول والتفسير وعليها تواقيع

كثيرين من مشاهير المؤلفين السبكي والذهبي وابن حجر . وتاريخ الهند كتبه كثيرون من الكتاب المسلمين وترجمان سلاطين المغول

هذه الكتب نادرة المثال واذا لم تبذل العناية بحفظها فقدت في نصف قرن وعلى المتولين أمر هذه المكتبة الآن ان يهتموا بتنقيح هذه الكتب وطبعها . وعسى أن تهتم حكومة الهند بطبع كتب الادب والتاريخ المهمة ونشرها بدلا من تركها مدفونة في زوايا المكاتب فانها اذا فعلت ذلك أفادت الجمهور باذاعتها كتبا ود الكثيرون الوقوف عليها

واذا التفتنا الى مايحيق الآن بالمسلمين من جهل كالليل الدامس رأينا تاريخ المعارف التي كان لهم فيها القدح المعلى رواية بديعة لايكاد يرجى عودها. ولكن على المرء ان يطرق باب الامل فلنرج أن فجر المعارف قد دنا والامل بحسن المآل ليس بعيداً وان المسلمين الذين استيقظوا الآن من سباتهم ورأوا أن لابد لهم من مجاراة الامم التى سبقتهم في العمران سيحرزون قصب السبق في العلم والعمل . انتهي مانقلناه

﴿ أشهر مكتبات العالم عدد كتبها ﴾

المدينة	اسم المكتبة	تاريخ تأسيسها	عدد مطبوعاتها	عدد مخطوطاتها
اكس	ميجان	١٤١٨	مئة الف	١٢٠٠٠
بوردو	المدينه	١٧٣٨	مئة واربعون الفا	٢٠٠
ليون	المدينة		مئة وخمسة وستون الفا	٢٤٠٠
باريس	الاهلية	١٣٥٠	مليونا ومئة الف	١٥٠٠٠٠
باريس	دار الصناعة	١٧٨١	مئة الف وخمسة وعشرون الفا	٦٠٠٠
باريس	سانت جنفيف	١٦٢٤	مئتا الف	٢٥٠٠
باريس	سازارين	١٦٦٠	مئة وستون الفا	٤٠٠٠
باريس	السوربون		مئة واربعون الفا	١٠٠٠
باريس	المجامع العلمية	١٧٥٩	مئة الف	

المدينة	اسم المكتبة	تاريخ تأسيسها	عدد مطبوعاتها	عدد مخطوطاتها
باريس	المدينة	١٧٥٩	مئة الف	
روان	المدينة	١٨٠٩	مئة وعشرون الفا	١٠٠٠
تروا	المدينة		مئة الف	٥٠٠٠
كامبردج	الكلية	١٤٧٥	اربع مئة الف	٣٠٠٠
دوبلين	كلية التثليث	١٦٠١	مئة وخمسة واربعون الفا	١٦٠٠
ادنبورغ	المحامين	١٦٨٠	ثلاث مئة الف	
ادنبورغ	الكلية	١٥٨٠	مئة وخمسون الفا	٣٠٠٠
غلاسكو	الكلية	١٤٧٣	مئة الف وخمسة آلاف	
ليفربول	العامة	١٨٥٠	مئة الف	
لوندرة	دار الآثار	١٧٥٣	مليون ومئة الف	
مانشستر	العامة	١٨٥٢	مئة وعشرون الفا	
اكسفورد	بودليان	١٥٩٨	٣٠٠ الف و٣٥ الفا	٣٠٠٠٠
ارغزبورغ	المدينة	١٥٣٧	مئة وخمسون الفا	
برلين	الملكية	١٦٥٠	سبع مئة الف	١٤٠٠٠
بون	الكلية	١٨١٨	مئتا الف	١٠٠٠
برسلو	الكلية	١٨١١	ثلاث مئة وخمسون الفا	٢٥٠٠
كارلسرو	المركزية		مئة الف وخمسة آلاف	١٣٠٠
كاستيل	الملكية	١٥٨٠	مئة الف	٤٠٠
دارمستاد	الغراندوقية	١٧٦٠	اربع مئة الف وخمسون الفا	٤٠٠٠
درسد	الملكية	١٥٥٥	خمس مئة الف	٣٠٠٠
ارلنجين	الكلية	١٧٤٣	مئة وعشرون الفا	١٠٠٠
فرانكفورت	المدينة		مئة الف	

المدينة	اسم المكتبة	تاريخ تأسيسها	عدد مطبوعاتها	عدد مخطوطاتها
فريبورغ	الكلية	١٤٥٧	مئتان وخمسون الفا	
غييش	الكلية	١٦٠٧	مئة الف	١٥٠٠
غوثا	الدوقية	١٦٤٠	مئة وخمسون الفا	٥٠٠٠
غوتينجن	الكلية	١٧٣٤	اربع مئة الف	٥٠٠٠
غرفسوالد	الكلية	١٦٠٤	مئة الف	
هال	الكلية	١٦٩٦	مئة الف	
هامبورغ	المدينة	١٥٢٩	مئتا الف	٥٠٠٠
هانوفر	الملكية	١٦٩٠	مئة وعشرون الفا	٢٠٠٠
هيدلبرغ	الكلية	١٧٠٣	مئتان وعشرون الفا	٢٠٠٠
يينا	الكلية	١٥٤٨	مئتا الف	
كييل	الكلية	١٥٦٥	مئة واربعون الفا	
كولسبرغ	الكلية المدينة	١٥٤٤	مئتا وعشرون الفا	
لبزغ	الكلية	١٥٤٣	مئتا الف	٢٥٠٠
لبزغ	المدينة	١٦٧٧	مئة وسبعون الفا	٢٠٠٠
ماربورغ	الكلية	١٥٢٧	مئة الف	
مايانس	المدينة		مئة وعشرون الفا	١٥٠٠
مونيخ	الملكية	١٦٦٠	تسع مئة الف	٢٢٠٠٠
مونيخ	الكلية	١٥٧٥	مئتان وثلاثون الفا	٢٠٠٠
روستوك	الكلية	١٤١٦	مئة وعشرون الفا	
ستراسبورغ	المدينة	١٥٣١	ثلاث مئة الف	
ستوغار	الملكية	١٧٦٥	ثلاث مئة الف	٣٥٠٠
تريف	المدينة	١٧٧٤	مئة الف	

المدينة	اسم المكتبة	تاريخ تأسيسها	عدد مطبوعاتها	عدد مخطوطاتها
توبنجين	الكلية	١٤٧٧	مئة الف	٢٠٠٠
ويمر	الغراندوقية		مئة وخمسون الفا	٢٠٠٠
ولفنبوتل	الدوقية	١٦٠٤	مئتان وخمسة وسبعون الفا	٥٠٠٠
ورزبورغ	الكلية	١٤٠٣	مئة الف	١٥٠٠
كاركوفي	الكلية	١٣٦٤	مئة واربعون الفا	٥٤٠٠
بيست	الاهلية	١٨٠٤	مئتا الف	
بيست	الكلية		مئتا الف وخمسة آلاف	١٠٠٠
براغ	الكلية	١٣٥٠	مئة واثنان واربعون الفا	٤٠٠٠
فينا	الكلية	١٤٤٠	ست مئة الف	٢٠٠٠٠
فينا	الكلية	١٧٧٧	مئة وستون الفا	
زوريخ	المدينة	١٨٣٢	مئة الف	
بولونيا	الكلية	١٦٩٠	مئتا الف	٦٠٠٠
فلورانس	الاهلية	١٨٦٤	مئتا الف	١٤٠٠٠
ميلان	امبروزيين	١٦٠٩	مئة الف	١٥٠٠٠
ميلان	بربرا	١٧٦٣	مئة وخمسة ثمانون الفا	
مودين	ايست		مئة الف	٥٠٠٠
نابل	بوربون	١٧٨٠	مئتا الف	٣٠٠٠
بادو	الكلية	١٦٢٠	مئة الف	١٥٠٠
بارم	العامة		مئة وأربعون الفا	
رومية	كازاناتنسى	١٧٠٠	مئة الف	٢٠٠٠
رومية	انجليكا	١٦٠٥	مئة الف	٢٣٠٠٠
رومية	فاتيكان	١٣٧٨	مئة الف وخمسة آلاف	٥٠٠٠

المدينة	اسم المكتبة	تاريخ تأسيسها	عدد مطبوعاتها	عدد مخطوطاتها
رومية	فكتور عمانويل	١٨٧٦	ست مئة وخمسون الفا	١٠٠٠٠
تورين	الكلية	١٤٣٦	مئة وخمسون الفا	
فنيزيا	سان مارك	١٤٦٧	مئة وعشرون الفا	١٠٠٠
مدريد	الاهلية	١٧١٢	مئة الف	٨٥٠٠
ليسبون	الاهلية	١٧٩٦	مئة وخمسون الفا	١٠٠٠٠
لاهيه	الملكية	١٧٩٥	مئتا الف	
الآستانة	مكاتب مختلفة		مئتا الف	
بروكسيل	الملكية	١٤٠٠	مئتان وخمسون الفا	٢٠٠٠٠
كوبنهاج	االملكية	١٥٥٠	خمس مئة وخمسون الفا	٢٥٠٠٠
كوبنهاج	الكلية	١٧٣١	مئتا الف	٥٠٠٠
كرستيانيا	الكلية	١٨١١	مئتا الف	
لاند	الكلية	١٦٧١	مئة الف	١٠٠٠
ستوكهولم	الملكية	١٥٤٠	مئة وخمسة وعشرون الفا	٥٠٠٠
أوبسال	الكلية	١٦٢١	مئة وخمسو الفا	٨٠٠٠
هلسنغفورس	الكلية	١٦٣٠	مئة وار بعون الفا	
كيف	الكلية	١٨٣٢	مئة الف وعشرة آلاف	
موسكو	الكلية	١٧٥٥	مئة وأربعة وسبعون الفا	
موسكو	دار الآثار		مئة وخمسة وستون الفا	٥٠٠٠
بتروغراد	الامبراطورية	١٧١٤	مليون ومئة الف	٣٥٠٠٠
بتروغراد	الجمعية العلمية	١٧٢٦	مئة وعشرون الفا	
أتينا	الكلية	١٨٣٧	مئة وخمسة وعشرون الفا	٦٠٠
القاهرة	السلطانية	١٨٦٩	٨٤ الف و٥٠٨ مجلدات	١٩٠٠٠

دار الكتب الملكية بالقاهرة

وضعنا بآخر القائمة السابقة اسم دار الكتب التي بالقاهرة وسنة تأسيسها ولا يغني هذا الاجمال القاريء المصري فهو يريد أن يعرف تفصيلا عن هذه الدار وأنواع الكتب التي فيها والاعيان الموقوفة عليها فرأينا أن ننشر هنا خلاصة ماوقفنا عليه من ذلك

أسست هذا الدار في سنة ١٢٨٦ هجرية الموافقة لسنة ١٨٥٩ ميلادية بأمر كريم من المغفور له الخديوي اسماعيل باشا، أصدره الي المرحوم علي مبارك باشا ليجمع شتات الكتب المبعثرة في المساجد وخزائن الاوقاف وغيرها. وكان هذا الجمع هو بدء رصيد دار الكتب وعدته نحو من عشرين الف مجلد

وبسبب اختلاف لغات المؤلفات التي اشتملت عليها دار الكتب السلطانية قسمت الي أقسام ثلاثة: قسم العلوم باللغة العربية، وقسم لسائر اللغات الشرقية، وقسم للغات الاوربية

وما زالت هذه الدار عامرة آهلة تنمو وتزيد حتي وصل مجموع مااشتملت عليه في اول ابريل سنة ١٩١٦ (٨٣٥٠٨) مجلداً

وكانت أعمالها الادارية في باديء الامر تقوم بها وزارة المعارف، وشئون المالية يقوم بها ديوان الاوقاف، وذلك لغاية ابريل سنة ١٨٨٩

وفي ٣٠ ابريل سنة ١٨٨٩ وقف عليها المرحوم توفيق باشا أطيانا من المؤمن بها في صندوق الدين، بعد الاتفاق مع أعضائه، وجعل النظر عليها لوزيري المعارف والمالية. ومن ذلك الوقت فصلت ماليتها عن ديوان الاوقاف مع قيامه بدفع خمسمائة جنيه اعانة سنوية لها

وفي هذه السنة لوحظ أن مكانها غير كاف فنقلت الى سلاملك المرحوم مصطفى فاضل باشا حيث كانت نظارة المعارف واستمرت في هذا المكان حتى بنيت لها الدار الحالية فنقلت اليها في أول سنة ١٩٠٤

وفي ١٩ ابريل سنة ١٩١١ صدر القانون رقم ٨ الذي نظم كيفية ادارة شؤون دار الكتب من الجهة المالية والجهة الادارية جميعاً. فعهد بالاولى الي وزارة المالية والثانية الى مجلس أعلى تحت رئاسة حضرة صاحب المعالي وزير المعارف العمومية

الاطيان الموقوفة

علي دار الكتب السلطانية

(أصلها فى سنة ١٨٨٩)

س	ط	فدن	الناحية	المديرية
٦	١٧	٥٥٠	جزيرة العجوز	المنوفية
..	..	١٠٥	بابل	«
٤	١٦	١٧	(منشاة جريس سنة ١٨٩٤)	«
..	٢٣	١٣	(شطانوف سنة ١٩٠٤)	«
١٢	١٥	٢١	دفرة	غربية
..	..	٢٦٥	الزرقاء	دقهلية
..	..	٤٦	أبو القراميط وكفر سلامة	«
٢٠	١٨	٢٠١	اكوة	«
..	..	٦٤	النبيرة	بحيرة
١٢	١٦	٦١	الحجر المحروق	«
٢	٤	٤٥	عزبة شلقان	قليوبية
..	٣	٤٤	بها	جيزة
٢٠	..	١٨٦	المناشى الجلائمة	«
٢٠	٣	٨٩	الطرفايه	«
١٢	١٧	١٤٤	الطويرات	قنا
١٤	١٦	١٨٣٥	جملة	

﴿ وصارت في سنة ١٩١٥ ﴾

مقدار الاطيان			الناحية	المديرية
س	ط	فدن		
٠٠	١٤	٤٨١	دروة	المنوفية
٢٠	١	٩٨	بابل	»
٢٠	١	١٥	منشاة جريس	»
٠٠	٢٣	١٣	شطانوف	»
٠٠	٠٠	٢٢	دفرة	غربية
٠٠	٢٠	٢٥١	الزرقاء	دقهلية
١٢	٤	٤٣	أبو القرميط وكفرسلامة	»
٨	١٣	١٨٨	اكوة	»
٣	٢١	٦١	النبيرة	بحيرة
٥	١٢	٦١	الحجر المحروق	»
٢	٢٣	٣٠	عزبة شلقان	قليوبية
١٤	١١	٣٢	بها	جيزه
٨	١٢	١٥٤	المناشى والجلاتمة	»
١٥	٢٠	٧٤	الطرفاية	»
٨	٣	١٤٠	الطورات	قنا
١٩	١٦	١٦٧٨	جملة	

ملاحظة – الفرق بين مقدارى الاطيـان في سنة ١٨٩٩ وسنة ١٩١٥ وقدره ١٥٧ فدان ناتج من : ١ أكل البحر : ٢ — المشاريع العمومية كالري والمنافع : ٣ — عجز مساحة أظهره فك الزمام . ومع ذلك فان دخل الاطيان في سنة ١٨٩٩ كان نحو ٣٩٥٠ جنيه ودخلها الحالي في (سنة ١٩١٥) هو نحو ١٢ الف جنيه

احصاء عام

عن الاسفار الموجودة بدار الكتب الملكية لغاية مارس سنة ٩١٦

عدد	
٣٨١٠٥	عربية
٣٠٩٤	تركية
٧٠١	فارسية
١٣٧	لغات شرقية اخرى وهي الجاوية والهندية والافغانية والحبشية
٤٢٥٦١	اوروبية
٨٤٥٠٨	المجموع العمومى

(احصاء المترددين على قاعة المطالعة)

الثلاثة الشهور الاولى من سنة ٩١٤	١١٢٣٨
« « « ٩١٥	٦٤٠٨
« « « ٩١٦	١٠٨٤٦

احصاء الزائرين لقاعة المعرض

	وطنيون	اجانب	المجموع
الثلاثة الشهور الاولى من سنة ٩١٤	٧٧٩٣	١٧٥٨	٩٥٥٠
« « « ٩١٥	٧٤٨٠	٢٤٧٠	٩٩٥٠
« « « ٩١٦	٤٦١١	١٣٤٨	٥٩٥٩

معلومات عامة

(١) يوجد بدار الكتب نحو ١٩ الف مجلد من المخطوطات فيها ١٨٩ مصحفا ومن هذه المصاحف ٢٧ بخط كوفى على رق غزال

(٢) من بين الكتب العربية يوجد ٧٥٤ كتابا موقوفة من المرحوم الشيخ محمد محمود التركزي الشنقيطي ومودعة باسمه بدار الكتب

(٣) ومن بين الكتب العربية أيضا ٣٤٥٨ كتابا منها ٢٤٧٣ بالعربي و٦٥٠ بالتركي و٣٣٥ بالفارسي مودعة باسم المرحوم مصطفى فاضل باشا وهذه الكتب الاخيرة اشتراها المغفور له اسماعيل باشا الخديو بمبلغ ثلاثة عشر الف جنيه من ماله الخاص وأهداها الى دار الكتب

(٥) أقدم كتاب مخطوط في القسم العربي هو رسالة الامام الشافعي بخط تلميذه الربيع الجيزى كتبها سنة ٢٦٤ ﻫ

(٥) أقدم بردية كتبت فى شهر ذى القعدة سنة ٨٧ هجرية

(٦) ويوجد من الصكوك المكتوبة على الجلد ٦ منها على جلد ضأن و ٤ على رق غزال

(٧) أقدم جريدة عربية الوقائع المصرية في سنة ١٢٦٣ هجرية الموافقة ١٨٤٧ أفرنكية

(٨) تبلغ مجموعة النقود العربية الموجودة بدار الكتب حوالي ٥ آلاف قطعة أقدمها دينار عبد الملك بن مروان ضرب سنة ٧٧ هجرية

(المكتبات الخاصة بمصر) المكتبة الازهرية تأسست سنة ١٨٧٩ م وفيها نحو ٣٦٦٤٢ مجلداً

كان في المكتبة الازهرية الي أول القرن الماضي نحو الف ومئة كتاب متفرقة فى الاروقة ثم زادت في أوائل القرن المذكور الى سنة (١٨٧٩) فأمر المرحوم توفيق باشا خديو مصر بجمع ماكان من الكتب في أروقة الازهر المختلفة مما يستغني عنه الطلبة وأن يجرى عليها مال ينفق في شراء الكتب وأجور العمال فجمعت تلك الكتب ووضعت في رواق الاتبغاوية

من كتبها نحو عشرين الفا فى العلوم الاسلامية ونحو ثلاثة آلاف في الادب ونحو أربعة آلاف في العلوم اللغوية ونحو ٩٨٠ في التاريخ ونحو ١٣٠ في الجغرافية والباقي فى علوم أخرى

(مكاتب الاروقة في الازهر) في الاروقة الازهرية مكتبات غير المكتبة الازهرية تحوي نحو ثلاثين الف مجلد منها أربعة آلاف في مكتبة رواق الشوام وتسعة آلاف فى مكتبة رواق الاتراك وثمانية آلاف فى رواق المغاربة

(مكاتب المساجد) فيها كلها ثلاثون الف وخمس مئة وسبعة وستون مجلد

(المكتبة البكرية) موجودة فى دار البكرية في الخرنفش بالقاهرة وتشتمل على الف وثمان مئة وستين مجلدا

وفى تلك الدار بالخرنفش مكتبة السيد عبد الحميد البكرى كبير البكرية الآن يبلغ عدد مجلداتها الف مجلد

(مكتبة الوفائية) التابعة للسجادة الوفائية بالقاهرة فيها نحو الف مجلد أكثرها خط يد

(مكتبة الدردير) نسبة الى الشيخ الدردير العدوى المتوفي سنة ١٢٠١ ه وضريحه بالكحكيين فقد وضع في مسجده ماكان عنده من الكتب وانضم اليها ماأهداه محبوه لمكتبته . عدد كتبها الف وثمانية وسبعون مجلدا

(مكتبة مدرسة الحقوق) فيها تسعة عشر الفا وتسع مئة وخمسون مجلدا منها الفان وست مئة وثلاثة عشر في القسم العربي وتسعة آلاف وثمان مئة وخمسة وسبعون في القسم الافرنجي وسبعة آلاف وأربع مئة واثنان وستون رسالة للتلامذة

(مكتبة مدرسة الطب) فيها نحو عشرة آلاف مجلد بالعربية والانجليزية والفرنسية

(مكتبة الجامعة الازهرية) فيها نحو اثني عشر الف مجلد

(مكتبة المجمع العلمي المصري) فيها نحو ثلاثة وعشرون الف كتاب بالعربية والفرنسية والانجليزية والايطالية واليونانية

(مكتبة وزارة الاشغال) فيها نحو ثلاثة آلاف مجلد أكثرها في الفنون المتعلقة بهذه الوزارة

(مكتبة المحارات فى الحربية) فيها نحو خمسة آلاف مجلد

(مكتبة المجلس البلدى بالاسكندرية) تأسست سنة ١٨٩٢ وفيها ستة عشر الفا ومئة وثلاثة وتسعون مجلدا

(المكتبة العباسية) نسبة الي أبي العباس المرسي أسسها الشيخ عبد الفتاح البنا أحد علماء الاسكندرية جمع فيها كتبه الى كتب أحد أعيان الاسكندرية وكتب محمد افندي توفيق من أبناء الامر القديمة ووضعت في مسجد أبي العباس المرسى مجلداتها ستة آلاف وخمس مئة وخمسون

(المكتبة الاحمدية بطنطا) فيها ستة آلاف مجلد أنشأها الشيخ ابراهيم الظواهرى شيخ الجامع الاحمدى الاسبق

سنة ١٨٩٨

(مكتبة خليل اغا) بطنطا تابعة المكتبة الاحمدية وفيها ثلاث مئة مجلد

(مكاتب الافراد بمصر) الخزانة التيمورية فيها ثمانية آلاف مجلد وهي لصاحبها احمد باشا تيمور اللغوي المشهور جعلها بأبمديته بقويسنا

(الخزانة الزكية) هي مكتبة العلامة احمد زكي باشا سكرتير مجلس الوزراء سابقا بها خمسة آلاف مجلد جمعها صاحبها في ثلاثين سنة بعد أن بذل جهداً عظيما وهي تمتاز عن المكتبات الخاصة الاخري بما فيها من الكتب الافرنجية النادرة فى هذه البلاد

(المكتبة الآصفية) هي للمرحوم محمد آصف بك ابن المرحوم علي آصف باشا وفيها نحو سبعة آلاف كتاب منها نحو الفين باللغتين الفرنسية والتركية . تمتاز هذه المكتبة بوجود كتاب سر الاسرار فى تاريخ الحركة العرابية وهو كتاب كبير يقع فى ثلاثة مجلدات كتبه احمد عرابي باشا بيده وهذه هي النسخة الوحيدة الموجودة من ذلك الكتاب

(مكتبة جليلاردوبك) فيها نحو تسعة آلاف كتاب وجليلاردوبك هذا هو ابن جليلاردوبك ناظر مدرسة الطب بالقاهرة سابقا

(مكتبة احمد بك الحسيني) فيها أربعة آلاف وسبع مئة وثمانون مجلدا

(مكتبة علي باشا رفاعة) فيها نحو الف مجلد

(مكتبة دير طورسينا) عدد مجلداتها ثلاثة آلاف وخمس مئة مجلد منها سبع مئة باللغة العربية

﴿ الكَتَد ﴾ مجتمع الكتفين من الانسان والفرس جمعه أكتاد وكُتود

﴿ كتع ﴾ الاكتع من رجعت أصابعه الى كفه وظهرت رواجبه

﴿ كَتَف ﴾ الرجل يكتفه كَتْفا شد يديه الى خلف كتفيه موثقاً بالكتاف ومثله كتّفه

﴿ الكُتْلة ﴾ من الطين وغيره ما جمع منه وما تلبد

﴿ كتلك ﴾ الكاثوليك (انظر مسيحية)

﴿ كتَم ﴾ الشيء يكتُمه كَتْما أخفاه ومثله كتّمه . و (كاتمه سره) كتمه عنه . و (انكتم الشيء) مطاوع كتمه . و (اكتتمه) كتمه . و (الكَتْم)

من النباتات الجبلية وورقه كورق الآس يخضب به مدقوقا وله ثمر كثمر الفلفل يسود اذا نضج

﴿ الكتم ﴾ قال أطباء العرب المشهور انه النيلا، وقيل نبت له ورق دقيق وزهر اصفر وحمل اسود كالفلفل

(خواصه الطبية) يخضب كالنيلاء ويحذى وينفع من القروح والزكام بخورا وطلاء: يقوى الشعر ويمنع سقوطه

﴿ الكتان ﴾ نبات سنوى يوجد بالمزارع ويستنبت لاجل بزوره وقشر سوقه ومنافع زيته وغير ذلك . أصنافه كثيرة تختلف في الحجم وكان الاقدمون يظنون ان منشأه مصر ولكن بعض المتأخرين يظن ان أصله الهند. وهو الآن يستنبت فى بلاد كثيرة

كان يزرع بمصر كثيراً في القدم وقد قلت زراعته الآن بعد دخول القطن الي مصر حتي أصبحت محصورة في مديريتي الجيزة والفيوم وجنوب الدلتا

أحسن الجهات التي توافقه المعتدلة الحرارة وهو من أكبر المحاصيل في شمال ارلندة واوربا وامريكا . زراعته مجهدة للارض جداً فلا يجوز أن تتكرر زراعته في الارض الواحدة مراراً

يعتبر عندنا من الزروع الشتوية فيزرع بعد الذرة بدلا من الغلال أو البرسيم وينبت بشدة بعد تبوير الارض أما شعر الكتان المصري فليس ببالغ حد الجودة

يجب أن يتوخى من زراعة الكتان الحصول علي أحد محصولين اما الشعر واما البزر فان صلاح أحدهما يصيب الآخر بالضرر ولا يتأتي أخذهما جيدين جميعا لانه ان ترك المحصول حتي يدرك فان سوق الشجيرات تنمو نمواً عظيما وتصير خشبية ولا يكون الشعر جيداً

تحتاج زراعته الى أرض خصبة نظيفة ويجب ان يكون على حال جيدة فتلائمه أراضي مصر السوداء الصفراء. ولا ينجح في الاراضي الرملية ولا يأتي بمحصول وفير واذا زرع في الاراضى السوداء جاء شعره رديئا

أما جذوره فقليلة الغوص ولذلك فالاسمدة التي تستعمل له يجب ان تكون بحالة تجعلها علي استعداد لان تمتص مباشرة

واذا لم تهيأ الارض للكتان جيدا جاء محصوله رديئا جداً ويجب أن لا تكون

الارض رطبة عند بذره لئلا تتعفن بذوره فيها

فتحرث له الارض مرتين أو ثلاث مرات مع تزحيفها بعد كل حرثة ثم تقسم الى خطوط ذات مساحات صغيرة طول كل منها قصبتان وعرضها قصبة

ثم تسلط عليها المياه ثم تصفى منها ثم تبذر البذور والارض رطبة ثم تغطى البزور بلوح خفيف

وفي أرض الحياض بالصعيد تبذر البذور على الطين حينما ينحسر عنها الماء ثم تغطي بالرمروم او اللوح

زمن البذور في الوجه البحري منتصف شهر اكتوبر الى آخر نوفبر وفي الوجه القبلي يزرع بعد تصريف المياه من الحياض

فاذا كان المقصود من زراعته بزوره فتستعمل للفدان سبع كيلات

ولكن في مصر يزرع الكتان لاخذ بزوره وشعره معا ولذلك يستعملون للفدان من خمس الى ست كيلات

لاجل الحصول على كتان جيد يجب أن تكون زراعته خفيفة مع بقائها في الارض حتي تنضج جيداً ولكن يجب أن تقلع قبل انفتاح الغلاف مباشرة وذلك بعد البذر بأربعة أشهر ونصف شهر أو خمسة شهور أى في مارس أو في ابريل فتقلع شجيرات الكتان ثم تترك مدة شهر أو أكثر لتجف تماما وبعد ذلك تدرس بدقها على العصي أو علي الاحجار

ولكن للحصول علي شعر جيد يجب زرع الكتان كثيفاً جداً ويعجل بتقليعه بعد الازهار فى أول شهر مارس عند ما يسقط الزهر الاخير وتظهر على السيقان والاوراق السفلي علامات الاصفرار ويجب أن لا تجف الشجيرات كثيراً حتى لا يكون الشعر خشنا . ويحتاط لقلع الشجيرات حتي يتسني بقاء الشعر طويلا ثم تحزم حزما صغيرة وتترك لتجف فى الغيط مدة أربعة أو خمسة أيام ومتي جفت تقطع رؤوسها ثم تنقع جيداً فى حياض كما سيأتى بعد

يعرف الفلاحون نوعين من الكتان أحدهما البعلي ويزرع فى الحياض وقد يروى بعد البذر أو لا يروى، والآخر المسقاوي وهو يحتاج الى الري والعادة أن يروى مرتين بعد الزرع فالسقية الاولى عند ما يكون ارتفاع النبات من عشرين الى خمسة وعشرين سنتيمتراً والسقية الثانية قبل الازهار مباشرة

كثرة التسميد تحول دون جودة نمو الشعر على انه يفيد فى انتاج البذر لا سيما اذا اشتمل علي ازوتات

يستعمل عادة نحو ٦٠ حملا من السماد الكفرى للفدان واستعماله غالبا قبل الحرثة الاخيرة أو يوضع فوق الارض حينما تكون الشجيرات قد ارتفعت ارتفاعا مناسبا ويندر استعمال السماد الكيماوى والسماد البلدي لزراعة الكتان

الخدمة التالية لزراعة الكتان قاصرة في حالة الكتان البعلى علي تنقية الاعشاب وعلى الرى في حالة الكتان المسقاوى فيجب قلع الاعشاب الكبيرة . أما الاعشاب الصغيرة فتميتها شجيرات الكتان نفسها بالنسبة لسرعة نموها ولكونها متقاربة بعضها من بعض . فالخردل عشب رديء يجب قلعه قبل أزهار الكتان لانه ينقص من قيمة بزره وزيته

ألد أعداء الكتان هو الحامول ولذلك يجب غربلة الحبوب بدقة كي تنفصل بذور الحامول الصغير فى الحال ويجب أيضاً قلع واحراق مايظهر منه بالغيط

يكفي ستة رجال في اليوم لتقليع فدان واحد

يترك الكتان في بلادنا شهرين ليجف واذا كان المقصود البزر والشعر فيترك شهراً ثالثاً ثم يدرس بالمراوة (النبوت) بحيث لاتدق الا الرؤس فقط وتفصل البزور أيضا بدق الحزم علي حجر كبير

ثم ينظف البزور ويباع ويستخرج الزيت منه بعصره في معاصر ويستعمله الاهالى ممزوجا مع أنواع أخرى من الزيوت في الطبخ وهو المسمي بالزيت الحار وهو يستعمل بكثرة في مزج ألوان الدهان (البويه)

تحتوي بزور الكتان الجيدة على زيت من ٢٠ الى ٢٧ في المئة واذا لم تكن جيدة فتعطي من ٢٥ الى ٣٠ فقط

مايبقى منه بعد استخراج الزيت تعمل منه أقراص بذر الكتان وتعطي غذاء للماشية الصغيرة وحيوانات الحب

يستخرج الشعر من شجيرات الكتان بوضع سيقان تلك الشجيرات في بركة ماؤها راكد وتترك فيها من اثني عشر الى خمسة عشر يوما ويجب ان لاتوضع مياه جديدة في الحوض أثناء عملية التعطين الا بقدر المياه التي فقدت بالتبخير .واذا صرفت المياه أثناء نقع السيقان ووضعت

بدلها مياه جديدة تبطل عمل التخمير . ولا بد من استخدام عمال ماهرين لهذا العمل

بعد هذا العمل يخرج الشعر ويجفف في الشمس. والعمل التالى ينحصر في دق الكتان بالعصى لينفصل الغلاف الخشبي عن الشعر الذى يحويه ثم يسرح بأمشاط خشبية لكي تجعل الشعر مستقيما ونظيفا من جميع المواد الملتصقة به

بعد التمشيط يمرر الشعر من بين اسطوانتين فتجعلانه ادق ثم يكون بعد ذلك معداً للغزل

شعر الكتان المصري يضرب للون الرماد ويبيض احيانا على ان تبييضه ربما أضر بالشعر . وكلما كانت الخيوط ادق وانعم واطول كانت اثمن

متوسط محصول الفدان في مصر اربعة ارادب من البزور وثمن الاردب من مئة وستين الى مئة وثمانين قرشا ومن خمسة الى ستة قناطير من الشعر وثمن القنطار من مئة وعشرين الى مئة واربعين قرشا

(بزر الكتان وخواصه) يحتوي بزر الكتان على مقدار كبير من اللعاب والزيت ومأوى اللعاب الاغلفة ومحل الزيوت اللوز نفسه . هذا الكتان باتحاده مع الماء يتكاثف في البزرة فتتسع أجزاؤه وتنمو فاذا أغليت قبضة من البزر طويلا اكتسب حجم الماء منها قواما عظيما وقد بحث العالم (وكلين) في هذا اللعاب فوجده مركبا من صمغ يوجد فيه جوهر حيواني أى مادة أزوتية ومن حمض خلي خالص ومن خلات البوتاسا والكلس وفوسفات الكلس وسليس اي رمل . وثبت من تحليل بعض الكيماويين أيضا انه يوجد فى البزور غير ماذكر مادة مخاطية نباتية ومادة خلاصية عذبة ونشا وزلال نباتي وجلوتين اى مادة دبقة وراتينج رخو ومادة ملونة وغير ذلك

(استعماله في العلاج) يستعمل مغلى بزر الكتان للتأثير على الاعضاء تأثيراً مرخيا فتظهر النتيجة سريعاً فى معدات الذين جهازهم المضمى ضعيفا فيحسون بعد بضعة ايام بانحطاط عظيم في قواهم المضمية فتنعدم شهيتهم ولا تهضم اغذيتهم الا بعسر ويحدث لهم غثيان (قرف) واسهال

واما المعدة القوية فتقاوم التأثير المرخي فلا تحصل لها هذه الاعراض

فاذا أدمن على استعمال هـذا المغلى امتقع اللون وانتفخ الوجه وحدث ضعف وقلت التبـخرات والافرازات وضعف التأثير الشرياني فحصل في الجسم فساد تدريجي ولهذا المغلى أيضاً تأثير على المراكز العصبيةوضفائر الاعصاب العقدية فطول استعماله يبطل وظائفها

وقد اشتهر استعمال مغلى بزر الكتان في الطب لخاصية الارخاء المذكورة فيستعمل غـ لات وكمادات وحمامات وحقناوزرقات لاجـل التلطيف والارخاء والتنـدية أو التسكين للاجزاء الملتهبة أو المتقرحة

أما لاجل الشرب فلا يستعمل الا المنقوع الخفيف فيكون علاجا مرخيـا فى الامراض الالتهابية والآفات الناتجةمن تهيـج مرضى فيستعمـل في ذات الرئة والالتهاب الشعبي لتسهيل نفث النخامات ومقاومة الاحـتراق والجفاف فى الطرق الهوائية

ويستعمل أيضا فى الاسهـال والدوسنطاريا بالقولنجات لتسكين التهيج وشفاء قروح القناة الهضمية

أكثر اشتهار هذا المغلى في عـلاج أمراض الاعضاء البولية فيستعمل لذلك لتسهيل افراز البول واذا كان هناك تهيج في الجهاز البولى . وكذا يستعمل اذا حصل في منسوج الـكليتين عمل التهابي أو كان هناك بول مدمم او دموي ومدحوه في تقطير البول وتعسره أي اذا حصـل تعسر في انقذاف السائل المفرز من الـكليتين

وتدخل بزور الكتان فى كثير من الوضعيات فينقع مسحوقها الجديد فى تركيب الضمادات التي توضع على الاورام الالتهابية والمرض الجديد والقروح المؤلمة جداً ونحو ذلك ويستعمـل هذا الضماد حاراً ثخينـا ويجب حلق شعر العضو قبل وضعه عليه. ويجب ان يكون مسحوق تلك البزور غير مغشوش وكثيرا مايغش بالنخالة

واذا أخذت قطعة من الصوف وغمرت فى المطبوخ الثخين الفاتر لبزور الكتان ثم وضعت على البـدن كان ذلك واسطة جيدة في علاج الالتهابات الشاغلة لاحد الاحشاء أولمحل مامن هذا التجويف فملامسة هذا السائل اللعابي للجلد ترخيه ويمتلىء منها منسوجه وتمتد تلك النتيجـة المرخية للاجزاء التى تحته

تارة تستعمل تلك الضمادات باردة

اذا كان لايلاحظ في وضعها حفظ حرارة الجزء المريض

(المقدار وكيفية الاستعمال) يصنع مغلى بزر الكتان بأخذ عشرة غرامات من البزور ولتر من الماء المغلي ينقع فيه مدة ساعتين ولعاب بزر الكتان يصنع بأخذ ٣٢ غراما من البزور و ٢٠٠ غرام من المغلى يهضم ذلك مدة ست ساعات مع التحريك زمنا فزمنا ثم يصفى مع العصر

وحقنة بزر الكتان تصنع باغلاء عشرة غرامات من البزر مدة ربع ساعة فى مقدار من الماء كاف لاعطاء نصف لتر من الناتج ثم يصفى

(زيت بزر الكتان) يسمى بالزيت الحار وهو يستخرج اما بدق البزور دقا قويا وتعريضها لحظات لبخار الماء الحار ثم تعصر العجينة، واما أن تحمص البزور بلطف لاتلاف المادة اللعابية ثم تدق وبعد ذلك تسخن مع قليل من الماء ثم يعصر الكل

مدح هذا الزيت في صناعة العلاج والذي يستخرج بالطريقة الاولي أفضل ويجب ان يكون جديدا. وأما المستخرج بالطريقة الثانية فحريف مهيج مغث وليس فيه خاصة الارخاء

فى الزيت الحار خاصة الارخاء بشدة فاذا استعمل منه عدة ملاعق غير الحالة الطبيعية للقناة الهضمية بعد أيام قليلة وحصل منه استفراغات ثفليةفيؤثر حينئذ كتأثير الفواعل الملينة اي المسهلة بلطف

(خواصه الطبية) يستعمل فى التهابات الطرق الهوائية ومدحوا نفعه في ذات الجنب أى الالتهاب البلوراوي ولا سيا اذا مزج بالشراب واستعمل ملعقة ملعقة

ويستعمل أيضا فى نفث الدم كما ينفع أيضا في التهاب القناة الغذائية ولذا يوصون به في الدوسنطاريا . ويناسب استعماله أيضاً اذا كان هناك تغير فى التأثير العصبي حرض انقباضات غير اعتيادية فى الغشاء العضلي المعوى وحصل منه القولنجات التي يسمونها تشنجية . مع أنه مدح أيضا فى القولنج المعدي وفي الالتهاب الكلوى وغير ذلك

وعدوه أيضاً من الادوية المضادة للديدان حتي أن بعضهم فضله علي غيره في طرد الديدان المبرومة في الاطفال

ويعطى حقنا في القولنج المعدى .

والمقدار منه للاستعمال من الباطن من أوقية الى أربع أوقيات ويجب أن يكون جديداً عادم الحرافة

الزيت الحار يستعمل في الصنائع فان المنسوجات التى تغمس فيه اذا عصرت وجففت تكون منها قماش شفاف غير قابل لنفوذ السوائل منه وخاصة التجفيف التي فيه صيرته اهلا لان يختلط بالمنسوجات طبقة طبقة مع التجفيف بحيث تكون كأنها مصنوعة بالصمغ المرن ولذا كان أغلب الشموع والجسات القنوية المرنة وغيرها مما يزعمون أنه من الصمغ المرن انما هي مصنوعة بالزيت الحار بتلك الكيفية

ويصنع من ذلك الزيت أطلية يستعملها النقاشون وذلك بأن يغلي مع المرتك فتزيد فيه خاصة التجفيف السريع وهو يدخل في تركيب المداد الاسود المخصوص بطبع الكتب

﴿الكتان الصغير﴾ هو نبات سنوى زيتي من الفصيلة الصليبية ينبت طبيعة باوربا حيث ينبت القمح ولكن استنبت بمقدار كبير لاجل استخراج زيت بزوره جذره سنوى مغزلى دقيق مستطيل ابيض وساقه قائمة بسيطة من الاسفل ومتفرعة من الاعلى اسطوانية زغبية قليلة والاوراق متعاقبة عادمة الذنيب. والازهار صفراء صغيرة ذوات حوامل والكأس أربع قطع والتويج اربع اهداب

(استعماله) يستخرج من هذا النبات زيت يؤكل في بعض الاقاليم اذا كان جديداً ولكن أكثر استعماله للاستصباح فهو نافع لذلك جداً بعد تنقيته من مادته المخاطية وهو مفضل على زيت السلجم لان رائحته ودخانه أقل مما يحصل من الآخر عند الحرق ويستعمل ذلك الزيت أيضا في التصوير وعمل الصابون وغير ذلك

اما في الطب فهو انفع من الزيوت الاخري اذا كان جديداً ولكن يفضل عليه زيت الزيتون وزيت اللوز الحلو . وقد يستعمل النبات لعلف الدواب . ويصح أن يستخرج منه نوع من التيل بعد تعطينه ولكنه يكون رديئا

﴿الكَثِيب﴾ التل من الرمل جمعه كُثْبان . و (الكَثَب) القرب

﴿كَثّ﴾ الشعر يكَثّ كَثاثة كثف . و (لحية كَثّة) كثيرة الشعر

﴿ كَثَرَه ﴾ يكثُره كَثْراً غلبه في الكثرة. و (كثُر الشيء) يكثُر كثرة خلاف قل. و (كثَّره) جعله كثيرا. و (اكثر الرجل) كثر ماله واتي بكثير و (اكثر الشيء) جعله كثيراً. و (تكاثروا) كثروا. و (الكُثْر) الكثير. و (الكَوثر) الكثير

قال الله تعالى «انا أعطيناك الكوثر» قيل معناه الخير المفرط والكثير من العلم والعمل وشرف الدارين هذا هو القول الارجح في نظرنا

ولكنهم رووا عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه قال: انه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير احلى من العسل وابيض من اللبن وأبرد من الثلج وألين من الزبد حافتاه الزبرجد وأوانيه من فضة لا يظمأ من شرب منه

وقيل المراد بالكوثر حوض في الجنة

وقيل المراد بالكوثر اولاد النبي صلى الله عليه وسلم واتباعه وعلماء امته. وقيل المراد القرآن

﴿ الكثيراء ﴾ هو صمغ يؤخذ من شوك القتاد يوجد لاصقا به زمن الصيف وهو نوعان ابيض يختص بالاكل واحمر للطلاء. وأجوده الحلو الاملس النقي

(خواصه الطبية) يكسر سموم الادوية وحدتها ويقوى وينفع من السعال وخشونة الصدر والرئة وحرقة البول والمعي والكلي. والاحمر منه يطلى بخل فيزيل الكلف والنمش. ومع البورق والكبريت يزيل الجرب والحكة والبهق والبرص وينعم البشرة وهو يضر السفل ويصلحه الانيسون ويشرب الي خمسة دراهم وبدله الصمغ وهو يسمي بالفرنسية *Gomme adragante*

﴿ ابن كثير ﴾ هو عبدالله بن كثير ابو معبد احد القراء السبعة مكي وينسب للدار بطن من لخم منهم تميم الداري. وقيل انما نسب تميم الى دارين لانه كان عطاراً بها

ابن كثير كان مولى عمرو بن علقمة الكناني وهو من أبناء فارس الذين بعثهم كسري بالسفن الي اليمن حين طرد الحبشة عنها. وكان يخضب بالحناء وكان قاضي الجماعة بمكة. وهو من الطبقة الثانية من التابعين. وكان شيخا كبيراً طويلا جسيما اسمر اشهل العين وكان حسن السكينة

ولد بمكة سنة (٤٥) وتوفي سنة (١٢٩)

﴿ كثير عزة ﴾ هو ابو صخر كثير بن عبد الرحمن بن أبي جمعة الاسود بن عامر بن عويمر الخزاعي الشاعر المشهور أحد عشاق العرب المعدودين

وقال ابن الكلبي في جمهرة النسب هو كثير بن عبد الرحمن بن الاسود بن عويمر بن مخلد

من اخباره انه هوي امرأة يقال لها عزّة بنت جميل بن حفص وله معها نوادر كثيرة وأكثر شعره فيها وكان يدخل على عبد الملك بن مروان فينشده مع انه كان رافضيا شديد التعصب لمذهبه من حب على بن أبي طالب وأولاده

حكي ابن قتيبة في طبقات الشعراء ان كثيراً دخل يوما على عبد الملك ابن مروان فقال له عبد الملك بحق على بن أبي طالب هل رأيت أحداً أعشق منك

قال ياأمير المؤمنين لو نشدتني بحقك أخبرتك

فقال عبد الملك بحقي الا ماأخبرتني

قال كثير بينا انا اسير في بعض الفلوات اذا أنا برجل قد نصب حبالة .

فقالت له ماأجلسك ههنا ؟ قال أهلكني وأهلي الجوع فنصبت حبالتي هذه لأصيد لهم شيئا ولنفسي مايكفينا ويعصمنا يومنا هذا

قلت أرأيت ان أقمت معك فأصبت صيداً تجعل لي منه جزءا ؟

قال نعم . فبينا نحن كذلك اذ وقعت ظبية في الحبالة فخرجنا نبتدر فبدرني اليها فحلها وأطلقها

فقلت له ماحملك على هذا ؟

قال دخلتني عليها رقة لشبهها بليلى وأنشأ يقول :

أياشبه ليلى لاتراعي فانني
لك اليوم من وحشية لصديق
أقول وقد أطلقتها من وثاقها
فأنت لليلى ماحييت طليق

ولما عزم عبد الملك على الخروج لمحاربة مصعب بن الزبير ناشدته زوجته عاتكة بنت يزيد بن معاوية أن لايخرج بنفسه وأن يستنيب غيره في حربه ولم تزل تلح عليه في المسألة وهو يمتنع من الاجابة فلما يئست أخذت في البكاء حتى بكي من كان حولها من جواريها وحشمها

فقال عبد الملك قاتل الله ابي جمعة (يعني كثيرا) كأنه رأى موقفنا هذا حين قال :

اذا ماأراد الغزو لم يثن عزمه
حصان عليها نظم دريزينها
نهته فلما لم تر النهي عاقه
بكت فبكي مما شجاها قطينها

ثم عزم عليها ان تقصر فأقصرت فخرج لقصده

وكان لكثير غلام عطار بالمدينة وربما باع لنساء العرب بالنسيئة، فأعطي عزة وهو لا يعرفها شيئا من العطر فمطلته أياما وحضرت الي حانوته في نسوة فطالبها فقالت له حبا وكرامة ما أقرب الوفاء واسرعه . فأنشد الغلام قول سيده :

قضي كل ذي دين فوفى غريمه
وعزة ممطول معني غريمها

فقالت له النسوة أتدري من غريمتك فقال لا والله . فقلن هي والله عزة. فقال اشهدكن انها فى حل مما لى قبلها . ثم مضي الى سيده فأخبره بذلك. فقال كثير وانا اشهد انك حر لوجهه ، ووهبه جميع ما في حانوت العطر فكان ذلك من عجائب الاتفاق

ولكثير في مطالها بالوعد شعر كثير فمن ذلك قوله :

أقول لها عزيز مطلت ديني
وشر الغانيات ذوو المطال
فقالت ويح غيرك كيف أقضي
غريما ماذهبت له بمال

ومن شعره :

وقد زعمت انى تغيرت بعدها
ومن ذا الذى ياعز لا يتغير
تغير جسمى والخليقة كالذي
عهدت ولم يخبر بسرك مخبر

ولما قتل يزيد بن المهلب بن أبي صفرة وجماعة من أهل بيته بعقر بابل وكانوا يكثرون الاحسان الى كثير فلما بلغه ذلك قال ماأجل الخطب ، ضحي بنو حرب بالدين يوم الطف ، وضحي بنو مروان بالكرم يوم العقر ، وأسبلت عيناه بالدموع

حدث صاحب الاغاني قال : ان كثيراً خرج من عند عبد الملك بن مروان وعليه مطرف فاعترضته عجوز في الطريق اقتبست نارا فى روثة فتأنف كثير في وجهها فقالت من أنت ؟ قال انا كثير عزة فقالت ألست القائل:

فما روضة زهراء طيبة الثرى
يمج الندي جثجاثها وعرارها
باطيب من اردان عزة موهنا
اذا اوقدت بالمندل الرطب نارها

فقال لها كثير نعم . فقالت لو وضع المندل الرطب على هذه الروثة يطيب رائحتها هلا قلت كما قال امرؤ القيس :

ألم ترياني كلما جئت طارقا
وجدت بها طيبا وان لم تطيب

فناولها المطرف وقال استرى عليّ هذا

ودخل كثير على عبد العزيز بن مروان أخي عبد الملك بن مروان ووالد عمر بن عبد العزيز الخليفة المشهور ايام كان واليا على مصر يعوده في مرضه ، واهله يتمنون ان يضحك . فلما وقع عليه قال لولا ان سرورك لا يتم الا بأن تسلم واسقم لدعوت الله ربي أن يصرف ما بك اليّ ولكني أسأل الله تعالى لك العافية ولي في كنفك النعمة. فضحك عبد العزيز وأنشد كثير :

ونعود سيدنا وسيد غيرنا
ليت التشكي كان بالعواد
لو كان يقبل فدية لفديته
بالمصطفى من طارفي وتلادي

قيل كان كثير عزة يقول بالتناسخ أي برجعة الارواح الى الدنيا في أجساد جديدة . فكان يدخل على عمة له يزورها فتكرمه وتطرح له وسادة يجلس عليها فقال لها يوما لا والله ماتعرفيني ولا تكرميني حق كرامتي . قالت بلي والله اني لأعرفك. قال فمن انا؟ قالت فلان بن فلان وابن فلانة وجعلت تمدح أباه وأمه. فقال لها قد علمت انك لا تعرفيني. قالت فمن انت ؟ قال انا يونس بن متى (اى ان روح يونس قد حلت فيه)

وكان يتشيع لعلى بن ابى طالب وآله تشيعا قبيحا حتي أدي ذلك الى استهزاء الناس به

كان عبد الملك بن مروان معجبا بشعره فقال له كثير يوما كيف ترى شعرى ياأمير المؤمنين ؟ قال الخليفة أراه يسبق السحر ، ويغلب الشعر

وقال له عبد الملك يوما من أشعر الناس ياأبا صخر ؟

قال من يروى امير المؤمنين من شعره

فقال له عبد الملك انك لمنهم

وكان اول امره مع عزة التي كان يتعشقها

انه مر بنسوة من بني صخر ومعه جلب غنم فأرسلن اليه عزة وهي صغيرة فقالت له يقلن لك النسوة بعنا كبشا من هذه الغنم وانسئنا بثمنه الى ان ترجع،فأعطاها كبشاوأعجبته،فلمارجع جاءته امرأةمنهن بدراهمه . فقال وأين الصبية التي أخذت مني الكبش ؟ فقالت وما تصنع بها هذه دراهمك . قال لا آخذ دراهمي الا ممن دفعت اليها الكبش ، وولى وهو يقول

قضى كل ذى دين فوفى غريمه
وعزة ممطول معنى غريمها

فقلن له أبيت الا عزة وأبرزنهاله وهي كارهة . ثم أنها أحبته بعد ذلك أشد من حبه لها

ثم ان عزة اجبرها اهلها ان تتزوج بغيره فبقيا على حبهما الاول لم يتغيرا . قال الهيثم بن عدي ان عبد الملك بن مروان سأل كثيرا عن اعجب خبر لهمع عزة . فقال حججت سنة من السنين وحج زوج عزة بها . ولم يعلم أحد منا بصاحبه . فلما كنا ببعض الطريق أمرها زوجها بابتياع سمن يصلح به طعاما لاجل رفقته فجعلت تدور الخيام خيمةخيمة حتى دخلت اليّ وهي لا تعلم أنها خيمتي . وكنت أبري سهما لي فلما رأيتها جعلت أبرى وأنظر اليهاولاأعلم حتي بريت ذراعي وأنا لاأشعر به والدم يجري . فلما تبينت ذلك دخلت الى فأمسكت بيدى وجعلت تمسح الدم بثوبها ، وكان عندى نحي من سمن فحلفت لتأخذنه ، فجاءت به الى زوجها فلما رأى الدم سألها عن خبره . قال فكاتمته حتى حلف عليها لتصدقنه فلما اخبرته ضربها وحلف لتشتمني في وجهي . فوقفت عليّ وهو معها فقالت لى ياابن الزانية،وهي تبكي،ثم انصرفا فذلك حيث أقول :

أسيئي بنا أو أحسني لاملومة
لدينا ولا مقلية ان تقلت
هنيئامريئاغير داء مخامر
لعزةمن اعراضنامااستحلت

وقال فيها مرة :

وددت وحق الله انك بكرة
وانى هجان مصعب ثم نهرب
كلانا به عر فمن يرنا يقل
على حسنهاجرباء تعدي وأجرب
نكون لذى مال كثير مغفل
فلاهو يرعاناولا نحن نطلب

اذا ماوردنا منهلاصاح اهله
علينافما ننفعك رمى و نضرب

يحكي أن عزة لما بلغها ذلك وحضر اليها أنشدته الابيات وقالت له ويحك لقد أردت بي الشقاء أما وجدت أمنية أوطأ من هذه ؟ فخرج من عندها خجلا

حدث محمد بن سلام قال كان كثير يقول ولم يكن عاشقا ، وكان جميل صادق الصبابة والعشق

وقال ابو عبيدة كان جميل يصدق في فى حبه ، وكان كثير يكذب فى حبه

ويروي انه نظر ذات يوم الي عزة وهي تميس في مشيتها فلم يعرفها واتبعها وقال لها ياسيدتى قفي لى أكلمك فاني لم أر مثلك قط فمن أنت؟ قالت ويحك وهل تركت عزة فيك بقية لاحد ؟ فقال بأبي لو أن عزة أمة لوهبتها لك. قالت فهل لك في المخاللة؟ قال وكيف لى بذلك ؟ قالت وكيف بما قلته في عزة ؟ قال اقلبه كله وأحوله اليك. فكشفت عن وجهها وقالت اغدرا يافاسق وانك لهكذا ؟ فأبلس ولم ينطق وبهت فلما مضت أنشأ يقول :

ألا ليتنى قبل الذى قلت شيب لي
من السم جرعات بماء الذرارح

فمت ولم تعلم علىّ خيانة
وكم طالب للربح ليس برابح

ابوء بذنبي انني قد ظلمتها
واني بباقى سرها غير بائح

كان كثير بمصر وعزة بالمدينة فاشتاق اليها فسافر ليلقاها فصادفها في الطريق وهي متوجهة الى مصر فجرى بينهما كلام طويل ، ثم أنها انفصلت عنه وقدمت مصر ، ثم عاد كثير الي مصر فوافاها وقد توفيت والناس منصرفون عن جنازتها فاتي قبرها واناخ راحلته ومكث ساعة ثم رحل وهو يقول أبياتا منها :

اقول ونضوي واقف عند قبرها
عليك سلام الله والعين تسفح

وقد كنت ابكي من فراقك حية
فأنت لعمري الآن انأى وانزح

ومما يستجاد من شعر كثير قصيدته التي يقول من جملتها :

واني وتهيامي بعزة بعدما
تسليت من وجد بها وتسلت

لكالمرتجي ظل الغمامة كلما
تبوأ منها للمقيل اضمحلت

توفي كثير سنة (١٠٥)

﴿ كشف ﴾ الشيء يكشف كشافة

غلظ وكثر فهو كثيف و(كثّفه) جعله كثيفا و(تكاثف الشيء) غلظ و (الكثافة) ضد اللطافة

﴿ أكثم بن صيفي ﴾ هو قاضي العرب في الجاهلية من كلامه لبني سعد والرباب وقد استشاروه في خلاف لهم مع قوم قال وهو من عيون الحكم:

«اقلوا الخلاف على امرائكم، واعلموا أن كثرة الصياح من الفشل، والمرء يعذر لامحالة . ياقوم تثبتوا فان احزم الفريقين الركين، ورب عجلة تهب ريثا ، واتزروا للحرب وادرعوا الليل فانه اخفى للويل ، ولا جماعة لمن اختلف »

ادرك اكثم بن صيفي الاسلام واختلف في اسلامه

ومن كلامه ايضا :

« ويل عالم أمر من جاهله . من جهل شيئا عاداه ومن احب شيئا استعبده »

﴿ كَحَلَ ﴾ العين يكحُلها كحلا جعل فيها الكُحل . و (كَحِلت العين) تكحّل كَحَلا كانت ذات كَحَل والكَحَل هو سواد منابت شعر العين خلقة و (اكتحل) وضع الكُحل في عينه. و (الكُحل) الاثمد . و (الكَحِيل) المرأة المكحولة. و (المُكْحُلة) مايوضع فيه الكحل

﴿ الكحل ﴾ عادة التكحل شائعة عند العرب وقد أخذها المصريون عنهم فيما نظن ، يقصد بها النساء التجمل والرجال الفائدة . وقد سرت هذه العادة الى الاوربيين أيضا فنساؤهم الآن يكتحلن بمساحيق سوداء غاية في اللطافة فيضعنها في حوافي الاجفان وضعا خفيفا بحيث لا يعرفها الا المدقق الخبير وذلك منهن طلبا للتجمل

والعرب يتكحلون بالاثمد وهو معدن اسود يوجد ببلادهم (انظر هذه الكلمة)

وقد تكلم أبقراط في الكحل ومدحه.

والاكحال اصناف كثيرة لها اسماء متعددة يصنعونها من مواد تناسب أمراض العيون ولا نري فائدة من ذكرها لان اكثر المواد التي كانت تدخل فيها غير موجودة الآن ، ولان استعمالها في الطب بطل

﴿ الكحول ﴾ هي تعريب كلمة *Alcool* اول من عربها الدكتور الامريكي فانديك المستشرق . وقد عرف العرب الكحول واستخرجوه واستفادوا منه في صنائعهم

الـكحول اى (السبيرتو) سائل عادم اللون كثير الحركة محرق كثافته ٠٫٧٩ يغلي علي درجة ٧٨ ويتجمد على درجة ١٣٠ تحت الصفر وهو من اعظم المذيبات للاجسام فيذيب الدهنيات والراتينجيات والزيوت الطيارة والقلويات وهو اخص عناصر الخمور بل هو العنصر المسكر منها وقد كتب حضرة الدكتور الفاضل حسين افندى الهراوي فصلا في الكحول خاصا لدأرة معارف القرن العشرين سيجد منه القراء فائدة عظيمة

قال حضرته :

﴿ الكحول ﴾

(فائدته الطبية) يستعمل الكحول في الحميات والامراض المصحوبة بهزال في الجسم فيمنع كثرة مايستهلك من البدن في هذه الامراض .وهو أيضا منبه للقلب والمجموع العصبي خيفة السكتة القلبية في هذه الآفات . ويستدل على ذلك من النبض الذي يكون خافتا وسريعا ويكون المريض فى حالة هياج او تهوس . ومن فائدته أيضا انه يلطف الحرارة في الحميات كالتيفودية والتيفوسية الخ كما يستدل على ذلك بالترمومتر ويصحب هبوط الحرارة ترطيب اللسان وزوال الارق وراحة المريض ومن المؤكد الذى لاحظناه نحن هو ان ذلك حقيقى في كثير من الاحيان ومع ذلك فنى الحميات يعطي الكحول بمقادير معينة على عدة مرات في اليوم لتخفيف الاعراض التي أسلفناها (من أوقية كل ثلاث ساعات الى مافوق ذلك حسب الحاجة) ولكن الآن كثيرا مايعمد الاطباء الى الثلج وتدليك المريض به لتخفيف الحرارة بسرعة و يعطي الكحول كمنبه ومغذ فقط

ومما لاشك فيه ان الكحول ليس ضروريا في كل حمى بل في بعض الحميات يتحتم عدم استعماله قط ويستعمل ماهو أقوى منه تأثيرا مثل الكافيين والاستركنين الخ من المنبهات وفي الامراض المزمنة المصحوبة بهزال في الجسم وعدم شهية للطعام يستعمل الكحول بمقادير صغيرة (أوقية قبل الاكل) في مثل السل الرئوى المزمن فانه يفتح الشهية ويخفض الحرارة ويغذى أيضا والحذر من الاكثار منه . وخير استعمال الكحول هو ماقدمنا من انه من خير منبهات القلب في الحميات والاغماء والنزيف (بعد وقفه) والصدمة

فانه كبير الفائدة خصوصا لانه يمكن استحضاره بسهولة وهو سريع الفعل ومؤكد ويعطي في هذه الاحوال قليل من الوسكي او النبيذ او الكونياك الخالص او مخففا بالماء امام الفم او حقنة شرجية او حقنة تحت الجلد

ويستعمل الكحول في الماليخوليا والضعف الناشيء عن الحزن والاسف الشديد وكثرة العمل مع الافراط وخصوصا في الادمان على المسكر ليكون منقذا من سوء هذه الحالات ولكنه انقاذ مؤقت وكذلك أيضا في الهستريا (الضعف العام للمجموع العصبي) او الارق

ذلك مجمل الفوائد الطبية الحقيقية لهذا السم القتال الذي يستعمله الشبان وغيرهم فيذهب بالثروة والعقل والاعراض اما الثروة فشاهدنا الآلاف من البيوت التي خربت، واما العقل فانا موردون هنا حكم الطب فيه ايضا

(الكحول والجنون)

لايخفى على كل انسان تأثير الكحول على العقل فان هذا المسكر اول العوامل التى تولد الجنون التسممي ونتيجة مفعوله يتوقف علي مقدار مايأخذه الانسان منه ومقدار الزمن الذى يتعرض المجموع العصبي لتأثيره ولايخفى ان استعداد الشخص له تأثير فى هذه الحالة

ان الشخص الطبيعي يمكنه ان يؤكسد اوقيتين من الكحول (الايتلى) العادي فى كل اربع وعشرين ساعة بدون ادني تأثير

اما الجنون الناشيء عن السكر بالكحول فيري في كثير من الناس الذين ادمنوا على الخمر عدة سنوات في احصائيات مستشفي المجاذيب المصرية ان عدد مجانين الخمر في سنة ١٩١٥ من المصريين كانوا ٤٤ نفسا اربعين ذكرا واربع اناث

وبالطبع فان نوع الكحول المشروب له تأثير على هذه النتيجة فان الكحولات الغالية والادهيدات (مركبات من الكحول) الموجودة في الوسكي وغيره من المسكرات لها تأثير اضر من تأثير الكحول وحده . وهذا مايقال ايضا عن كل الخمور كالبوظة وغيرها ولو ان هذه الاشياء قلما تؤدى الى الجنون

وكل فرد يمكنه مقاومة تأثير الكحول المرضى مقاومة خاصة ولكن تلك المقاومة تختلف باختلاف الاشخاص فبعضهم يتأثر

بمقادير صغيرة وهذه القابلية تكون شديدة في الامراض ذات المزاج العصبي وخصوصا فيمن يصابون بالصرع او الجنون والاستعداد لتأثيره الضار كثيراً ما ينتج من اصابة في الرأس أو التعرض لضربة الشمس او امراض اخري وبعض العلماء يرى ان الادمان على الخمر نتيجة جنون وليس الجنون نتيجة الادمان مثاله رجل مصاب بالماليخوليا (نوع من الجنون يكون مصحوبا بالحزن والهدوء) قد يشرب كثيرا لكي يسكر فينسى الحالة السيئة الحزينة التي تنتابه . والشلل العام يبتدىء بدور يكون المريض فيه فاقدا لقوة الارادة فيدمن على الخمر

(انواع الجنون من الخمر)

(حالة السكر) الهذيان المرتعش *Delirium mrenens* والجنون الكحولي والولع الشديد بشرب الخمر

(حالة السكر) وهي المعروفة تنشأ من شرب كمية وافرة من الكحول وربما كانت الكمية قليلة بحسب استعداد الشخص وفي هذه الحالة يشعر بدفء وشهية للطعام ولو ان درجة الحرارة تكون منخفضة وذلك لان الشرايين تكون اوسع منها في الحالة الطبيعية للانسان ويختل نظام العضلات كما يشاهد ذلك في عدم امكان الشخص ان يمشي مستقيما او يدور بسرعة او يقف وهو مغمض عينيه ويكون على اللسان طبقة بيضاء وربما يتقايأ السكران او ينام وتحتقن العينان ولا تتأثر الحدقتان بالضوء ويكون في بعض الاحيان اختلاف ظاهر بين اتساع انساني العينين وربما وجد حول وقتي

اما التأثير في المخ فان الشارب يشعر بتعب ونصب وضعف في الذاكرة ولا يتمالك نفسه وربما انمحت آثار التربيـة فتختلف كثيرا صفات الشخص الادبية عن اصلهـا ولا يمكنه ان يعرف الزمان والمكان وتختلف تأثيرات الكحول ايضا في مسألة الكلام فقد يكون الثمـل كثير الكلام لا يسكت مطلقا وقد يكون ساكتا وقد يتشاجر مع كل من يقابله ، ويضرب الناس بغير سبب . وبعضهم يرتكب اكبر الآثام وتلك نقطة هامـة لان النشوان يرتكب الجرم وهو ليس عالما به خصوصـا الطبقة السافلة من شـاربي الكحول الردىء وفي بعض الاحيان لا تقع جرائم الشخص الا على نفسه فينتحر او

يضرب نفسه فيهشم عضواً من جسمه او يفتك بالاعراض.ويقتل الناس ويعيث في الارض فساداً وربما انتهي الحال بالموت من الكوماولكن الغالب ان يصحو المخمور بعد نوم طويل وهو في حالته الطبيعية

(العلاج) يعالج السكران في مثل هذه الاحوال بغسل المعدة واعطائه المسهلات والمنعشات مثل القهوة والشاى

(الهذيان المرتعش) هذا الداء يصيب المدمنين من السكيرين اذا اعترتهم اصابات في الرأس اومرضوا بالتهاب رئوى او امراض اخرى ولا يصيب هذا المرض السكيرين المدمنين اذا منع عنهم الكحول مرة واحدة ويعلل ذلك بأنه قد حصل تسمم ثان اضعف المجموع العصبي وهذا التسمم يكون من نفس الجسم.ومن اصيب بهذا المرض من السكيرين كان عرضة له ثانية مهما شفي منه

وفي هذا المرض يرى المريض جميع جلده محتقنا وعليه عرق غزير ولا يسكن مطلقا بل دائما يحرك اصابعه او يديه او غيرهما واطرافه دائما ترتعش من ضعف العضلات ولا ينام أبداً ولسان المريض دائما يرتعش ايضا ويصوم كثيراً معرضاً عن طعامه وشرابه ويعتريه الامساك ويزيد عدد ضربات القلب ويقل ضغطه وفي خمسة في المئة من الذين يموتون يكون سبب موتهم السكتة القلبية وترتفع الحرارة الي ١٠٠ فرنهيت ويحتوي البول علي زلال من وجود مرض كلوى معه وقبل ان يبتدئ هذا المرض بزمن وجيز يعترى المريض الارق وعدم الراحة والتهوس ويرى مناظر فظيعة كالعفاريت الزرق والفيران والثعابين تحوم حوله ويمسها ويشعر بها ويسمع اصواتها ويسمع ويرى ان اشخاصا تتآمر على قتله ويظن دائما ان طعامه مسموم وفي كل شيء روائح كريهة ولا يعي شيئا فيجهل اقاربه وزمانه ومكانه ويكون متطوراً في حالات هياجه الى امد بعيد فيقتل نفسه اوغيره بتصور ان نفسه لاتزال على حالاتها وانه لايزال في عمله فاذا كان حوذيا مثلا قطع قميصه واتخذ منه لجاما وربطه في اطراف اصابع رجليه ويستعمل اى عصا بصفة كرباج كأنه يسوق خيل المركبة

(العلاج) الاعتناء الزائد بتمريض المصاب واعطاؤه المنومات والبروموذ

والتربونال والاعتناء بتغذيته ومنع الخمر عنه

(الجنون الكحولي)
(والادمان علي الخمر)

تأثير هذا النوع من المرض بطيء علي عقل المريض ويحل الشقاء بأسرة المريض ومن حوله لانه يتخبط في اقواله وأفعاله ولا يحاسب نفسه على الفاظه سواء في حالة الصحو أو السكر ويصبح لاعهد له ولا كلمة ولا ميعاد ولا يعرف نفسه أو من حوله حتى يتناول جرعة من الخمر ويعتريه سوء الهضم وتسوء صحته ويداه ترتعشان وان لم يعتن بمثل هذا المريض فحياته تكون لعنة الهية على من اتصل به لانه اما أن يشقي من حوله بأعماله أو يكون نزيل دار البوليس هذا من جهة الادمان أما الجنون فيأتي ببطء فتتحول أخلاق الشخص الى ضدها ويعتريه التهوس وسوء الظن بالناس والتهابات عصبية مختلفة أو هبوط تام فى قوى المخ ويكون المريض فى هذه الحالة محتقن الجلد والاوردة ممتلئة بالدم الازرق وشفتاه ترتعشان وقلما يقوي علي النطق وتأتيه نوبات اغمائية او تشنجات وانقباضات صرعية ، ولا يقوي المريض على المشى بحالته الطبيعية وتقل جداً قواه الفكرية وينسى الاشياء والامور الحديثة الوقوع ومع ذلك فانه يخترع قصصا يقصها علي أنها حقيقية ويكون قذراً في عادته غير معتن بأي شيء أو مكترث بما حوله ويسمع أصواتا ويرى أشباحا كلها خيالية ولا يشك في حقيقتها فيرى أشخاص المتآمرين عليه ويسمع أصواتهم ويفهم أقوالهم ويأخذ الحيطة في الدفاع عن نفسه وكل ذلك أوهام ولكنه ربما كانت الحيطة أن يقتل بعض الابرياء الذين يسوقهم سوء الطالع نحوه وربما شعر المريض كأن حيوانات تجري على جلده فيجتهد فى مسكها فلا يجد شيأ فيتغيظ ويضرب ويشتم وهلم جرا وتتغير حاسة الذوق فيجد طعم الاشياء مغايرا لأصله ولذلك يكون دائما متخوفا من أن يكون في طعامه سم واما خيالاته فلانهاية لها اذ تشبه أعراض الشلل العام فهو فى نظر نفسه ملك الملوك وهو الاله القادر وربما يكون العكس من الصعود الي الهبوط فيتصور نفسه سخرية العالم ويتولد عنده سوء الظن وحب الانتقام وأول من يتعرض لهذه الكارثة هي زوجته فيتهمها بالسوء ويهم بالانتقام منها اما بالقتل أو الضرب المميت

وبعد ذلك تهبط القوى الفكرية فيه الى الحضيض ونصيب المسكين في هذه الحال دار المجانين وعلاج هذا المرض هو عادة في تلك الدار فلنضرب عنه صفحا

(الولع الشديد بالخمر)

هذا النوع من الجنون يعترى السكير المدمن على نوبات متقطعة بين الواحدة والاخري عدة شهور ويبتدىء بأن يكون المريض شديد التأثر قليل الهدوء كثير الغضب ثم يشعر بميل شديد الي شرب الخمر فيجبره هذا الميل الى الشرب فاذا لم يتمكن زاد به الوجد الى ان يهتم لاجله ويرتكب له افظع الآثام. ويذكر العلماء ان الرجل يصير لصا او محتالا او قاتلا او قاطع طريق والمرأة تتجر بعرضها للحصول علي قليل من الدراهم لاجل الخمر واذا ظفر به انغمس فيه وأكب عليه واستمر في الشرب كثيراً واذا انتهت هذه النوبة كره الخمر كرها شديدا ثم تعتريه النوبة ثانية وهلم جرا. أما علاج هذا الداء فيعالج بمقويات البنية ومنع الخمر مالم ير الطبيب ان ذلك ضاراً بالمريض نفسه ويعالج أيضا بالتنويم المغناطيسى والتأثير النفسى. هذه هي الامراض العقلية التي يسببها الكحول

وهناك كثير من الامراض تأتي منه أيضا ويطول بنا شرحها ولكننا نذكر هنا أسماءها مع قليل من الشرح

(١) تمدد الكبد والتهابه نتيجتان للخمر وتختلف باختلاف الامزجة ومقدار الخمر الذي يشربه الشخص فيشعر المريض بألم زائد في الجهة اليمني ويزداد هذا الألم كل يوم ولعل أكثر حالات أمراض الكبد التي من هذا القبيل تكون مصحوبة بالتهاب معدى أيضا فيحصل تقايؤ وعدم شهية للاكل ثم من التغيرات الباتولوجية يحصل احتقان فى أوردة المعدة فيتقايأ المريض دما ويحتقن جميع محتويات البطن ثم يحصل بواسير ويأتي بعد ذلك دور الاستسقاء فيمتلىء البطن بسائل اصفر ويكون مرتفعا وجامداً با ضغط عليه وتتغير مواضع أجزاء الجسم من ضغط السائل الموجود فى البطن فالقلب مثلا يتحول الى أعلى والرئتان يتغير موضعهما والطحال ينحسر من مكانه ويكبر

(٢) اذا مرض السكير بمرض ميكروبي كالالتهاب الرئوي كان انذار المرض خطراً جداً لان فعل كريات الدم البيضاء يكون علي أقل ما يكن وربما تسبب

من ذلك غنغرينة فى الرئة ويموت المريض

(٣) الالتهاب الكلوى المزمن ويعرفه العوام بالزلال فى البول وهذا مرض كثيراً مايحدث من الادمان على الخمر ويجب معرفة أنها احدي مسببات هذا المرض وليس كل التهاب كاوي نتيجة الخمر

(٤) الالتهاب المعدى وفيه يتقايأ المريض وتنعدم شهية الاكل فيه ولا يستقر شي من الطعام ببطنه وربما تقايأ دما ويسوء هضمه

(٥) التهاب الاعصاب المختلفة بما في ذلك عصب البصر وأعراض تلك الامراض ان يكون في المريض عضو أو أعضاء تتألم جداً وفيها وجع يشبه وخز الابر والدبابيس وهذا يكون مستمراً أما التهاب عصب البصر فيقلل النظر شيئا فشيئا الى أن ينتهي به الحال الي العمي

(٦) تمدد المعدة كثيراً مايحصل من هذا الادمان وقد تتمدد المعدة الى اتساع كبير وقد شاهدت معدة تسع تسعة لترات من الماء

(٨) يصاب شاربو البيرة بنمو عظيم في شحم الرقبة حتي يصل حجمها الي قدر كبير فيضطر الى نزعها بعملية جراحية

هذا قليل من كثير واملى فى ذلك وازعا للسكيرين الدكتور

حسين المراوي

﴿ مكحول الشامي ﴾ هو أبو عبد الله مكحول بن عبد الله الشامي من سبي كابل

قال ابن عائشة كان مولى لامرأة من قيس وكان سنديا لايفصح

وقال الواقدي كان مولي لامرأة من هذيل . وقيل هو مولي سعيد بن العاص وقيل مولى لبني ليث

قال الخطيب كان جده ساول من هراة فتزوج ابنة الملك من ملوك كابل ثم هلك عنها وهى حامل فانصرفت الى أهلها فولدت سهراز فلم تزل فى أخواله بكابل حتي ولد مكحول فلما ترعرع سبي ثم وقع الى سعيد بن العاص فوهبه لامرأة هذيلية فأعتقته فتعلم العلم حتي برع فيه وصار علما يعشو طالبه الى ناره من جميع الامصار وهو أستاذ الاوزاعي وسعيد ابن عبد العزيز

قال الزهرى العلماء أربعة :سعيد بن المسيب بالمدينة والشعبي بالكوفة والحسن البصري بالبصرة ومكحول بالشام ولم يكن

في زمنه أبصر منه بالفتيا، وكان لا يفتي حتى يقول: لاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم هذا رأى والرأى يخطيء ويصيب

سمع العلم عن أنس بن مالك وواثلة ابن الاسقع وأبي هندى الرازى وغيرهم

وكان مقامه بدمشق وفي لسانه عجمة ظاهرة ويبدل بعض الحروف ببعضها الآخر قال نوح بن قيس سأله بعض الامراء عن القدر فقال اساهر إنا، يريد اساحر انا ؟

وكان يقول بالقدر ورجع عنه

وقال معقل بن عبد الاعلى القرشي سمعته يقول لرجل مافعلت تلك الهاجة ؟ يريد الحاجة. وهذه العجمة تغلب علي أهل السند وغيرهم

توفي مكحول سنة (١١٨) وقيل بل (١١٣) أو (١١٦) أو (١١٢)

﴿ كَخْ كَخْ ﴾ أو كَخّ كَخّ كلمة تقال عند زجر الصبي

﴿ كدَحَ ﴾ في العمل يكدَح كَدْحا سعي وأجهد نفسه . و (اكتدح لعياله) كسب لهم . و (الكَدْح) الخدش الجمع كدوح

﴿ كَد ﴾ الرجل يكُد كداً اشتد في العمل

﴿ كدَر ﴾ يكدُر كدارة. وكدُر يكدُر. وكدِر يكدَر كدَراً أو كُدورة ضد صفا . و (كدَّر الشيْ) جعله كدراً . و (تكدَّر الشيْ) بمعني كدر. و (انكدر) أسرع وأنقض

﴿ كدَس ﴾ الحصيد يكدِسه جعله كُدْسا بعضه فوق بعض . و (كدَس الرجل) طرده. و (اكداس الرمل) واحدها كُدْس وهو المتراكب منه

﴿ كدَمه ﴾ يكدِمه كَدْما عضه و (الكَدْم) الاثر جمعه كُدوم و (المُكَدَّم) المعضض

﴿ الكَدم ﴾ يطلق فى الطب علي تمزق للاوعية الشعرية السطحية للجلد وانسكاب الدم فيه وفي النسيج الخلوى ويكون محله أحمر أو بنفسجي اللون أو مسوداً بحسب رقة الجلد المرضوض

عادة الكدم أنه في اليوم الثالث يصير بنفسجيا ذا حدود غير واضحة وفي السادس يخضر وفي السابع أو الثامن يصفر ويضمحل أثره نحو اليوم العاشر أو الثاني عشر بحسب قوة الشخص ومقدار الدم المنسكب وقلما يرافقه ألم وانتفاخ

(العلاج) توضع رفادات من الماء

البارد أو الماء الابيض أوالسبيرتو المكوفر تغير كل ساعتين ، أو بصبغة الارنيكا مخففة بالماء أو بماء كولونيا أو بماء ملح أو بخل مخفف. ويفيد فيه كثيراً رفادة مؤلفة من كلس عرق مذاب فيه قطعة صابون قد الجوزة تغير كلما سخنت

أما الماء الابيض الذى ذكرناه فيعمل هكذا

تحت خلات الرصاص السائل أو

ملح الرصاص	٨غرامات
ماء	نصف لتر

يضاف اليه قليل من الكحول الصرف أو الكحول المكوفر أو العرق

والورم أوالانتفاخ يحصل اذا كانت كمية الدم المنسكب وافرة وهو يزول تدريجا أو يتحول الى خراجة فاذا شوهد في أول أمره يجب أن يضغط عليه ضغطا لطيفا بالاصابع أو باليد أو بقطعة من النقود او بجسم آخر صلب لتفريق الدم المنسكب ومنع غيره من التجمع ثم يحاط الموضع بلفافة رطبة يضغط بها باعتدال وتبل من حين لآخر بماء بارد ممزوج بقدره من السبرتو أو الخل كما ذكر

واذا حدث ألم وسخونة في الجلد واحمرار فيستدل من ذلك على حدوث التهاب فيضمد بضمادات ملطفة كبزر الكتان ولب الخبز والنخالة ودقيق البطاطا والرز ولب التفاح واذا كان الالم شديداً ينقط عليها عدة نقط من اللودانوم اي خلاصة الافيون

﴿ كدَّى ﴾ الرجل تكدّى يه سأل فهو مُكْدٍ. و(أكدَى) بخل وقل خيره تقول (سأله فأكدَي) أي وجده مثل الكُدْية وهو الحجر العظيم الغليظ

﴿ كذَب ﴾ الرجل يكذِب كذْبا قال غير الحق . و (كذّبه) جعله كاذبا . و (أكذبه) وجده كاذبا . و (الأكذوبة) الكذب جمعها أكاذيب

﴿ الكرابيسى ﴾ هو أبو علي الحسن ابن علي بن يزيد الكرابيسي البغدادى

هو صاحب الامام الشافعي وأشهر تلاميذه بحضور مجلسه وأحفظهم لمذهبه له تصانيف كثيرة في أصول الفقه وفروعه. وكان متكلما عارفا بالحديث. وصنف أيضا في الجرح والتعديل وغيره وأخذ عنه الفقه خلق كثير

توفى سنة (٢٤٥) وقيل بل (٢٤٨)

الكرابيسى نسبة الى الكرابيس وهي

الثياب الغليظة واحدها كِرْباس وهو لفظ فارسي مُعرب وكان يبيعها فنسب اليها

﴿ الكراويا ﴾ هو نبات من الفصيلة الخيمية جذره يعيش سنتين وهو مستطيل لحمي مبيض متفرع قليلا وغلظه وطوله كالابهام وله رائحة قريبة من رائحة الجزر وساقه قائمة تعلو من قدم الى قدمين . والاوراق كبيرة ثنائية التشقق وهي محمولة على ذنيبات طويلة جداً . والازهار بيض مهيأة بهيئة خيمات في قمة الاغصان. والثمار بيضية مستطيلة محززة

هذا النبات يوجد في المروج والمحال الجبلية وجذره يؤكل كالجزر على ما فيه من حرافة . المستعمل في الطب بزوره وهي لاتكون جيدة الا في السنة الثانية من عمر النبات فتكون بيضية مستطيلة مضلعة مسودة مريحة طعمها سكري حار لذاع وهذا ناشىء من الدهن الذي فيها

(استعمال بذور الكراويا) أكثر استعمالها بمصر حيث تأتي من بلاد المغرب ويضعها النمساويون في خبزهم وجبنهم وأمراقهم ليسهل هضمها ويضعها الانجليز في فطيرهم ومربياتهم وتعمل منها ارواح كحولية ولا سيما الروح المسمى بدهن الزهرة

نص ديسقوريدس وجالينوس على انها طاردة للرياح ومسهلة للهضم ومدرة للبول. وهي احدى البزور الاربعة الشديدة الحرارة . وتقرب خواصها من خواص الانيسون فتعطي في القولنجات الريحية العصبية المصاحبة لتصاعد الغاز في القناة المعوية وكذا في عسر الهضم وغير ذلك فيكون منقوعا مشروبا منها بلطف يتجه فعله بالاكثر للمجموع المبخر . ويستعمل مسحوقها بنجاح علاجا للديدان المعوية كما يستعمل ايضا دهنها الطيار دلكا على البطن بمقدار من ٢٠ الى ٣٠ نقطة في اوقية من زيت الزيتون او من زيت اللوز الحلو لاجل طرد الرياح وتحريض الحيض وغير ذلك

ويوضع في ذلك الدهن من نقطتين الى اربع نقط في الجرعات الطاردة للريح

وبالجملة فان خاصة التنبيه في تلك البزور شديدة . وتستعمل في جميع ما تستعمل فيه بقية بذور هذه الفصيلة

وقال اطباء العرب نقلا عن جالينوس ان هذه البذور تسخن وتجفف وبما فيها من الحرافة المعتدلة تعتبر هي بل النبتة

كلها طاردة للرياح ومدرة للبول

وعن ديسقوريدس هذه البزور طيبة الرائحة جيدة للمعدة هاضمة للطعام تقع في أخلاط الادوية وتسرع في احدار الطعام وقوتها شبيهة بقوة الاينسون

وقال ابن ماسويه الكراويا أغلظ من الكمون وتخرج حب القروح من البطن وتقوى المعدة وتعقل البطن أقل من الكمون

وقال الطبري الكراويا تنفع من الريح المعوية اذا دخلت في الطعام او خلطت بالادوية وهي شبيهة القوة بالكمون والكاشم

وقال اسحق بن عمران الكراويا صالحة في الامراض الباردة مذهبة للتخم نافعة للمعدة التي أضرب بها الرطوبة . واذا أخذ منها كل يومين على الريق مقدار درهمين كما هي حبا أو أمسكت في الفم حتى تلين ومضغت وبلعت نفعت من ضيق النفس منفعة قوية وحللت نفخ المعدة ونفعت من أوجاعها وتنفع من الخفقان المتولد عن أخلاط لزجة في المعدة وكذا تنفع من البهر (انقطاع وتتابع النفس من الاعياء) المتولد من ضعف فم المعدة كما يفعل الانيسون

واذا طبخت بالماء وشرب ماؤها كان فعلها أضعف وهي تحبس البخار في الرأس وتمنع التخم وحمض الطعام وتعين الادوية على التلطيف والتحليل

(مقدارها وكيفية استعمالها) يصنع منقوعها كغيره من جواهر هذه الفصيلة وماؤها المقطر يصنع بجزء منها أو أربعة أجزاء من الماء والمقدار منه من ٥٠ غراما الى ١٠٠ غرام في جرعة . ودهنها الطيار يدخل في الجرعات بمقدار ١٠ سنتي غرامات الى ٣٠ سنتي غراما وصبغتها تصنع بجزء منها و ٢ من الكحول والمقدار منها للاستعمال من غرامين الى ٢٠ غراما في جرعة ومسحوقها من غرام واحد الى أربعة غرامات بلوعا أو حبوبا

﴿ كَرَبَه ﴾ الامر يكرُبه كربا شق عليه . و (كرَب الشيء) دنا و (كرَب يفعل) اي كاد و (كاربه) قاربه . و (الكَرْب) الحزن و (الكَرَب) أصول السعف الغلاظ . و (الكَرْبة) الحزن و (الكَرُوبيون) الملائكة المقربون و (الكَريب) المكروب و (المَكْروب) المهموم

﴿ الكربون ﴾ هو أحد العناصر المهمة الكثيرة الانتشار في الوجود وهو الذى يكون أكثر أجزاء الفحم ويدخل في تركيب جميع الكائنات . ويوجد على حالة حمض كربونيك في الهواء والمياه الغازية وعلي حالة كربونات الجير .ولا يوجد نقيا الا في الماس والغرانيت

(اوكسيدالكربون وحمض الكربون) الكربون يكون باتحاده بالاوكسيجين مركبين هما المذكوران . فالاول يكون من اتحاد ذرة من كل منهما والثاني يكون من اتحاد ذرة من الكربون بذرتين من الاوكسيجين .الاول سام لو استنشقه الانسان هلك لوقته . واما الثاني فليس بسام ولكنه ان كثر تشبع الهواء به اختنق الانسان وهذا سبب هلاك بعض الناس فى حمامات البيوت فانهم يدخلون موقد الفحم معهم فيها وبها قطع منه لم يتم احتراقها فباحتراقها فى الحمام يستنفد كربونها الاوكسيجين الموجود بهواء الحمام ويحيله الى حمض كربونيك فلا يجد المستحم اوكسيجيناصالحا لتنفسه فيختنق فان اسعفه اهله وفتحوا له باب الحمام ليدخل اليه الهواء نجا مما وقع فيه والا هلك مختنقا لامحالة وقد استوفينا الكلام على الاسعافات الصحية الواجب اتخاذها للمختنق بالفحم في كلمة اسفكسيا صحيفة ٣٠٨ من المجلد الاول

(حمض الكربونيك) هذا الحمض يدخل في تركيب المياه الغازية واذابته في الماء يكون اما بتوجيهه الي أوان مملوءة بالماء متصلة بالجهاز المعد لتحضيره . واما بتوجيهه الى أوان مملوءة بالماء مهيئة لاذابته بواسطة طلمبات ماصة كابسة

﴿ كرت ﴾ تكريت بليدة بالعراق

﴿ كرثه ﴾ الغم يكرثه كرثا اشتد عليه و (اكترث له) بالى به . و (الاكتراث) الاعتناء

﴿ الكراث ﴾ نبات من فصيلة البصل له جذر لبنى وأوراق مصمتة قوية يسيرا مستطيلة حادة تطول الى اكثر من قدم غمدية مزنقة بعضها الي بعض ملززة ولحمية من قاعدتها بحيث يتكون فيها بصلة بيضاء مستطيلة منتفخة قليلا وجميع أغشيتها تعتبر أوراق تحيط بساق بسيط أسطواني يعلو من ٣ أقدام الى أربعة والخيمة الزهرية كرية مركبة من أزهار صغيرة محمرة

يكثر الناس عندنا وفي كل بلد استعمال هذا النوع من البصل غذاء فتطبخ أوراقه لتعمل منها أصناف من الاطعمة لذة وقد تغلى فتصنع منها اشوربات ويحضر احيانا من أوراقه حقنا اذا كان هناك امساك او أريد اللين

كراث المائدة أصله من سيبيريا وهو يستعمل في الحدائق لاستعمال أوراقه توابل

(خواصه الطبية) يقوي المعدة ويعمل من مغلاه سائل ينفع السعال والنزلات الرطبة وغيرهما من أمراض الصدر وعصارته مدرة للبول ومفتتة لحصاة المثانة. الخلاصة ان خواصه تشبه خواص البصل

وقال أطباء العرب الكراث ينفع من الربو وأوجاع الصدر والسعال اذا طبخ في الشعير شربا . وينفع من القولنج وحده واذا تضمد به صاحب البواسير بالصبر أزالها حتي ان بزره يقطعها اذا لوزم. وهو يجلو الكلف والنمش والثاليل والبرص طلاء بالعسل ويجلو القروح وينفع من السموم وهو يثقل الدماغ ويظلم البصر ويحرق الدم وتصلحه الكزبرة والهندبا

﴿ الكرج ﴾ قال ابن حوقل الكرج مدينة مقفرعة البناء ليس لها اجتماع المدن وتعرف بكرج أبي دلف لانها كانت مسكنا له ولاولاده ولها زروع ومواش ولكن ليس لها بساتين ولا متنزهات والفواكه تجلب اليها من بروجرد

وقيل الكرج مدينة طويلة نحو فرسخ وجاء في المشترك ان الكرج مدينة بين همذان واصفهان وكان أول من مصرها أبو دلف القاسم بن عيسى واستوطنها وقصده الشعراء بها وتوصف بشدة البرد

﴿ الكرخ ﴾ قال ياقوت هي كلمة نبطية من قولهم كرخت المال وغيره أي جمعته وهي في عدة مواضع تنسب اليها ، منها كرخ البصرة وكرخ بغداد وكرخ الرقة وتشبه أن تكون أسواقا لهذه المدن

﴿ كردستان ﴾ هي بقعة من الارض في آسيا يسكنها الاكراد وهم على حالة نصف بداوة تقع بلاده في آسيا الغربية بين بلاد الفرس وارمينية والاناضول وجزيرة ابن عمرو (أي الجزيرة الواقعة بين نهرى الدجلة والفرات) منها جزء تابع لحكومة الفرس وسائرها مع الدولة العثمانية تبلغ مساحة بلادهم نحو ٩٠٠ كيلومتر طولا في ١٠٠ الي ٢٠٠ عرضا

عاصمة الكردستان العثماني ديار بكر

وقاعدة الكردستان الفارسي كرمنشاه هذه البلاد عبارة عن مجموعة جبلية وعرة المسالك تحوي بينها وديانا في غاية الخصوبة

أما الاكراد فهم شعب فيهم عنصر تركي . وأما من جهة اللغة فهم يلتحقون بالشعوب الايرانية. وهم يسكنون جماعات جماعات على حدود آسيا الصغرى وبلاد الفرس . ويشاهدون مكونين لجماعات متفاصلة من أول سهوب التركان بشمال بلاد الفرس الى وسط آسيا الصغري

﴿ الكُرْدوسة ﴾ القطعة العظيمة من الخيل جمعها كرَاديس

﴿ كَرَّهُ ﴾ يكره كرا فكرَّ هو أي أرجعه فرجع يتعدي ويلزم

(كرّره) أعاده . و (الكَرَّة) المرة والحملة في الحرب جمعها كَرَّات. و (المَكَر) موضع الكر في القتال

﴿ الكرز والاشنة ﴾ يسمى الجنس العام كرز وله أنواع كثيرة وهو المسمى بالفرنسية

شجره مرتفع اذا استنبت كان له أغصان منفرشة يتكون من مجموعها شبه رأس مستدير وجذعه قائم اسطواني وقشره املس براق وخشبه احمر مطلوب في الصناعة وأوراقه ذنيبية معلقة بيضية حادة مسننة وأزهارها بيضاء لها حوامل ويتكون منها حزم محاطة من قاعدتها بفلوس

(صفات ثمر الكرز) هذا الثمر نووى لحمي مستدير احمر شديد الاحمرار فيه حز مستطيل . فالشكل كروي والجلد يسهل انفصاله واللحم وردي والعصارة عادمة اللون والطعم حمضى تختلف حمضيته باختلاف الاصناف وهذا لا ينجب ببلادنا فلاضرورة لايراد كيفية زراعته

(خواصه الطبية) جميع ثمار هذا الجنس مندية مرطبة معدلة تسكن حرارة الاعضاء وتخفض تهيج الاحشاء المضمية وتلطف حرارة الاخلاط كما يقول ذلك قدماء الاطباء . وهي جيدة في التغذية تؤكل علي الموائد كما هي معتدلة عند المرضى بسبب خفة حمض عصارتها فتعطي في الحميات لتعديل العطش ونحو ذلك

ويعمل منها مشروب مضاد للالتهاب محلل. وهي تربي وتجفف أيضا في الشمس والتنانير

تحتوى عصاراتها علي رأى (ميسلم) الكيماوى السويدي على ملح قاعدته

الـكلس وحمض شبيه بحمض الفورميك والنمليك

حوامل الكرز أي معلقات ثمره معروفة عند العامة بادرار البول. وقد تخلط أحيانا قشور الكرز بقشور الكينا مع ان قشوره ليس لها دخل في مضادة الحمى أبدا فلا فائدة في تلك الاضافة

جميع أنواع هذا الجنس تفرز نوع صمغ مشابه للصمغ العربي ويستعمـل فى جميع استعمالاته يسمى فى اوروبا بالصمغ البلدي

﴿ كرّس ﴾ البناء تكريسا أسسه. و (الكُرّاس) الجزء من الكتاب ومثله (الكُرّاسة). و (الكُرْسي) معروف

﴿ الكرسنة ﴾ هو نبات سنوي ينبت فى محال الحصاد ويحمل قرونا منعرجة مفصلية تحتوي على بزور غليظة كحب الشهدانج . مدورة زاوية لونها صنجابي محمر صلبة وطعمها مقبول قليـلا اذا كانت نجة وتـكون مؤذية اذا خلط دقيقها بالخبز فتسبب ضعف السـاقين بل الشلل

دقيق الكرسنة هو أحد الادقة الاربعة التي لها خاصية التحليل ضمادا

قال أطباء العرب الكرسنة لا يأكلها أكثر الناس وهي من مأكل الدواب واجودها المضلعة المائلة الى صفرة الرزينة وطعمها بين الماش والعدس

(خواصها الطبية) قال أطباء العرب ان فيها تقطيعا وجلاء تفتح السدد والاكثار منها يسبب بول الدم واذا طبخت وعلفت بها الماشية سمنتها بسرعة

وقالوا ان دقيقها نافع في الطب وكيفية الحصول عليه أن يصب على البزور ماء وتترك زمنا ما حتي تشرب به ثم تخرج وتغلى علي النار حتي تتقشر ثم تطحن وينخل دقيقها بمنخل صفيق ثم يخزن

هذا الدقيق مسهل للبطن مدر للبول محسن للون ومقدار مايستعمل منه الى ثلاثة دراهم

واذا خلط بالعسل نقى القروح والبثور اللبنية والآثار والـكلف وينقي البشرة غسولا ويمنع القروح الخبيثة من السعي ويلين الاورام الصلبة وخصوصا في الثدى ويقلع النار الفارسية اذا عجن بشراب

واذا ضمد به مع الشراب عضة الـكلب ونهشة الافعي وعضة الانسان نفع نفعا بينا

واذا استعمل بالخل شرب انفع من عسر البول وسكن الزحير والمغص ودقيق الكرسنة اذا صب على شقاق البرد والحكة نفعها

واذا عجنت بالخل مع افسنتين وضمد بها لسع العقارب أبرأتها وأنبتت اللحم في الجراحات الغائرة مفردة ومعجونة بعسل انتهي

ويقال انه اذا عجن بماء الدفلي وبزر البطيخ أزال البرص وان طلى به الوجه المصفر حمره بشدة ونوره وكثيراً ما تستعمله المواشط

وقالوا انه يولد اخلاطا رديئة ويبول الدم لشدة ادراره ويصلحه ماء الورد

﴿ الكُرْسوع ﴾ طرف الزند الذي يلي الخنصر وهو الناتئ عند الرسغ

﴿ كرَّش ﴾ الرجل وجهه قطبه . و (تَكرَّش وجهه) تقبض و (الكِرْش والكَرِش) من المجترات بمنزلة المعدة للانسان

﴿ كَرَع ﴾ في الماء يكرَع كَرْعا وكُرُوعا . و كَرَع منه يكرَع . دعنقه وتناول منه . و (الكُراع) مستدق الساق من الغنم والبقر جمعه أكرُع

﴿ الكرفس ﴾ بقلة كالمقدونس تؤكل وهو نبات يعيش سنتين جذره لبني أو منتفخ وأوراقه جناحية وأزهاره بيضاء خيمية

يزرع عندنا منه نوعان: (١) البلدى (٢) والفرنسى

أما البلدى فغير جيد لانه خشن وله فروع كثيرة وأوراق وعروق أوراقه رفيعة

وأما الفرنسي فيزرع منه ثلاثة أصناف تعرف بالاسماء الآتية وهو الغليظ الابيض والغليظ الابيض الذهبي والقصير ذو العصب الكبير . وهذه الاصناف الثلاثة بيضاء اللون أوراقها قليلة الا أنها غليظة وعروقها كذلك

(كيفية زراعته) تبذر بزوره نثرا في حيضان مسمدة تسميداً جيداً وتنبت بزوره ببطء

يزرع فى شهر يناير وفبراير

يحتاج هذا النبات لنحو خمسة أشهر حتي ينقل ويكون نقله عادة في شهر يونيه فتغرس نباتاته في خطوط بحيث يكون بعضها بعيداً عن البعض الآخر بنحو ٣٥ سنتي مترا وتكون المسافة بين الخطوط ٤٠ سنتي مترا وأحسن من هذا أن تحفر حفر

مستديرة يبلغ عمق كل منها ٣٠ سنتيمترا ثم تملأ هذه الحفر بالطين المختلط بكثير من السماد ثم تغرس في كل منها شجيرة ثم تروى الارض

يحتاج الكرفس لارض خفيفة خصبة رطبة ويحتاج أيضا لعناية كبيرة وسماد كثير وماء غزير

للحصول على نوع جيد منه يجب أن يكون ذلك النوع أبيض ويتوصل الى ذلك بحجبه عن الضوء وأحسن طريقة لذلك هي تغطيته بالتراب وينبغي عمل ذلك قبيل نضجه مرتين بحيث تكون الفترة بينهما ثمانية أيام ولما كان تغطية النبات تدريجا يعوق نموه لانه يكون عرضة للتعفن فيجب ان تربط الاوراق بعضها ببعض قبل دفنها

يبدأ حصاده في اكتوبر ولكن لايتم نضجه الا في ديسمبر

(مادة طبية) للكرفس عدة أنواع وللنوع المعروف لنا ثلاثة أصناف رئيسية الاول البري والثاني المستنبت أي البستاني والثالث البرتغالي والاكثر استعمالا ووجوداً هو المستنبت

(خواصه) كان العرب يعرفون الكرفس وخواصه الطبية ذكروه في كتبهم وذكروا له أنواعا تابعوا في ايرادها اليونانيين . فقالوا الكرفس أصناف فمنه جبلي أي بري وبستاني وصخري ومنهماينبت في الماء وهو كرفس الماء وجرجير الماء ويسمي سير ويكون في الماء الراكد وفيه عطرية ومنه ماينبت بقرب الماء وهو كالنابت في الماء وأعظم من البستاني وأجوف تميل ساقه الى البياض ويسمى ادرساليون ويختلف باختلاف البلاد

وقال ابن البيطار ذكر ديسقوريدس انه نبات له ساق طولها نحو شبر ومخرجها من جذر دقيق وعلى الساق أغصان ورؤوس دقيقة وفيها ثمر مستطيل حريف طيب الرائحة شبيه بالكمون وينبت بالصخور والاماكن الجبلية

ومن الكرفس ضرب يسمى باليونانية بطراساليون أويقال فطراساليون وتأويله كرفس الصخر وهو المقدونس وبزره شبيه بالنانخواه غير انه أطيب رائحة وأشد حرافة وهو عطر الرائحة مع ان النبات كله مع ورقه وقضبانه يشبه البزر في الحرافة ومن الكرفس نوع يقال له باليونانية اقوساليون ومعنا الكرفس العظيم وهو الكرفس

النبطى والمشرقي والعريض وهو أعظم من البستاني ومائل للبياض وساقه مجوفة طويلة ناعمة وأوراقه أعرض وله جمة شبثية تنفتح ويظهر عنها زهر وبزر اسود مستطيل حريف عطري وله أصل أى جذر أبيض طيب الطعم ليس بغليظ وينبت بالمواضع المظللة وعند الآجام ويستعمل أكلا كالبستاني نيئا ومطبوخا . ومن الكرفس البري صنف يقال له سمورنيون وهو الكرفس الطبري له ساق فيها شعب كثيرة وورق أعرض من ورق الكرفس ومما يلي الارض من ورقه يكون منحنيا الى الخارج وفيه رطوبة يسيرة تدبق اليد وهو طيب الرائحة مع حدة وطعم فى ورقه ، ولونه الى الصفرة وعلي الساق اكليل كأكاليل الشبث وله بزر مستدير كبزر الكرنب اسود حريف رائحته كرائحة المر بعينها وله أصل حريف طيب الرائحة ليس بكثير الماء يلذع الحنك وعليه قشرة وخارجه اسود وداخله اصفر الي البياض وينبت في مواضع صخرية وعلي التلول

(تحليل الكرفس) حلل العالم فوجيل الكرفس البستاني فوجد فيه زيتا شحميا ودهنا طيارا وهو الذى يعطي الرائحة للنبات وكبريتا بمقدار يسير ومانيتا وباصورين وصمغا ومادة خلاصية وأملاحا

(خواصه الطبية) كان جذر الكرفس معروفا عند القدماء بأنه أحد الجذور الخمسة المفتحة العالية وهو الذى يستعمل في الطب غالبا مع انه يعسر تحصيله ولذلك ترك دخوله في شراب الشكوريا والماء العام مع انه جزء منها . ويستعمل مطبوخا بمقدار من ٤ الي ٨ دراهم وذلك المطبوخ لعابي ويمكن صيرورته جليديا وهو مفتح ومحلل وظن القدماء أنه كالباقي من النبات معقم واتفق الاكثرون على ان منافعه كنافع المقدونس الذى هو كرفس جبلى او صخرى فيكون منبها لطيفا يدر البول والطمث واللبن ويعرق ويسخن وينفع من الحفر والامراض الضعفية والحمى فاذا استعملت عصارة أوراقه بمقدار ست أوقيات كانت كما قال (رنفور) دواء جيدا لمقاومة الحمي اذا تعوطيت وقت القشعريرة وأكد انه ان أخذ درهم من خلاصتها مع درهمين من الكينا كان ذلك أعظم في خاصة مضادة الحمي ويعمل من تلك العصارة شراب . وتدخل الاوراق فى المرهم المنظف ولصوق قسطرن وغير ذلك

وأطنب علماء العرب في خواصه فنقلوا عن جالينوس ان البستاني مدر للبول والطمث محلل للرياح والنفخ سيما بزره وانه أنفع للمعدة من سائر أنواع الكرفس لانه ألذ منها وأعون للطبيعة

وذكروا عن ديسقوريدس ان تضمد العين به مع الخبز يسكن أورامها الحارة وورم الثدي . وشرب طبيخه مع الاصل ينفع من الادوية القتالة ويحرك القيء ويعقل البطن وينفع من نهش الهوام وينتفع به في الادوية المسكنة للاوجاع والطاردة للسموم وأدوية السعال

وقال الكرفس يقلل اللبن وروى عن روفس انه قال ان طول أكله يملأ الارحام رطوبة حريفة

وعن مسيح الخطيب انه يفتح سدد الكبد والطحال

وعن الطبري ينفع ورقه الرطب المعدة والكبد الباردتين ويذهب الحصاة وينفع ورقه وعصيره من الحمى النافض البلغمية وسيما اذا شرب مع عصير ورقه الرزيانج الرطب وحبه أقوي من ورقه

وعن الرازي ينبغي أن يجتنب أكله اذا خيف من لدغ العقارب ومرباه صالح المعدة مسكن للغثي ونفخه لطيف ينحل سريعاً ولايحتاج أصحاب الامزجة الباردة في اصلاحه الي ان يكثروا منه جدا فيحتاجون حينئذ الي مايحل النفخ كالكمون والانيسون واصلاحه لاصحاب الامزجة الحارة أن يصنعوه بالخل

وعن جالينوس ان الحامل اذا اكثرت من أكله زمن حملها تولد في بدن الجنين بعد خروجه من الرحم بثور رديئة وقروح عفنة ولذا كره جميع الاطباء أن يطعموا المرضع كرفسا لئلا يصير الطفل احمق ضعيف العقل . وذلك من فعل الكرفس بتصعيده الفضول الي أعالي البدن

فعل ورق الكرفس أقوى من فعل بزره وجذره أكثر اطلاقاللبطن من ورقه لان اصله يفعل على سبيل الدواء . ورقه على مافيه من الحرافة والتلطيف بعد الانهضام والانحدار

وعن الاسرائيلي اذا أكل الخس مع الكرفس عدله أي أكسبه اعتدالا ولذاذة الخس في البرودة والرطوبة ويقال لما في الخس من البرودة والرطوبة. ويقال ان تعاطي بزره ينقي الكبد والمثانة

ويفتح سددها ويحلل الرياح والنفخ الحادث في المعدة ويضر أصحاب الصرع كما يضر الكرفس الاجنة في الارحام من جهة ان الفضول اذا انحدرت الى الارحام اختلطت بغذاء الجنين وولدت في بدنه رطوبات حارة عفنة من جنس الطواعين

يستعمل منقوعه من ٣٠ الي ٦٠ غراما منه لاجل لتر من الماء ، وشرابه يصنع بجزء منه و٣٠ من الماء والسكر ويستعمل منه من ٣٠ الى ٦٠ غراما

واذا أريد استعماله من الظاهر فيصنع منقوعه بمقدار منه من ٥٠ غراما الى ١٠٠ لكل كيلو غرام أى لتر من الماء ليستعمل رفادات أو غسلات أو غير ذلك . ويصنع من أوراقه ضماداً بقدر الكفاية (انظر مقدونس) مادة من نوعه

﴿ الكركم ﴾ يسمى بالعروق الصفر وعروق الصباغين وبقلة الخطاطيف ولكن هذا الاسم الاخير يطلق على المساميرأي الذي هو صغير الكركم

الكركم جذر نباتي من الفصيلة الحماماوية أو أمومية ينبتان بالهند الشرقية ولذا يسمى الكركم بزعفران الهند . هذان النباتان لا يتخالفان في صفاتهما الا قليلا ولكن جذريهما يخالفان معظم أصناف هذا النوع تخرج منهما مادة ملونة صفراء كالتي توجد في الكركم

وهو نبات معمر وجذره درني مستطيل عقدي مرفقي في غلظ الاصبع مع ألياف لحمية متولدة من العقد . وأوراقه سهمية تطول اكثر من قدم بل تزيد عن ٣ ديسيمتر والازهار مهيأة بهيئة سنبلة قصيرة غليظة تنشأ في وسط الاوراق

حلله فوجيل وبلتيير فوجدا فيه مادة ملونة صفراء تشبه الراتينجات وتغيرها القلويات الى حمرة كحمرة الدم ومادة أخرى ملونة سمراء تشبه المادة المستخرجة من كثير من الحاصلات ودهنا طيارا كثير الحرافة ودقيقا نشائيا وقليلا من الصمغ ومقداراً يسيراً من كلورايدرات الكلس أهم تلك القواعد هى المادة الملونة الصفراء منظرها اللامع مرغوب فيه في الصبغ وان كان قليل الثبات تلك المادة كثيرة الذوبان في الكحول والاتير والادهان الثابتة والطيارة

(استعماله الدوائي) الكركم منبه عطرى شديد الفاعلية حار لذاع يهيج مسحوق الغشاء النخامى فيحرض العطاس

ويسخن باطن الفم ويسيل اللعاب بكثرة وإذا أخذ من الباطن نبه المعدة وفتح الشهية وأعان على الهضم وقد تنتشر خاصته المنبهة في جميع الاعضاء فيتواتر النبض ويسخن البدن وتقوي الدورة وتتأثر جميع الوظائف فهو دواء مقو منبه مدر للبول مضاد للحفر . والهنود يسمونه بحشيشة الالم المعدي يدخلونه كالتوابل في أغذيتهم ويصنعون من جذوره الجديدة مربيات بالسكر ويستعمل الكركم لتحريض الولادة وبعضهم يستعمله لعلاج الاسهال المائي وقالوا انه يستعمل في جزيرة جاوة في العلل الماساريقية

وذكر الطبيب (مولان) انه يستعمل أيضا في علاج اليرقان بسبب لونه الاصفر ولكنه أصبح قليل الاستعمال

وذكروا انه مع ادراره للبول يفتت الحصى والذوبان جزء من مادته الملونة في الشحم يستعمله الاقرباذينيون لتلوين المراهم والادهان والزيوت الدوائية والسوائل الروحية وغير ذلك

ويضم أحيانا للنيلاء فيتكون منها لون أخضر تلون به بعض المراهم وزيت الغار

هذا رأي الاطباء المحدثين اما الاطباء العرب فجعلوا الكركم صنفين كبير يسمي بالفارسية زردجوبه وبالعربية الهود وهو الكركم يقينا ، وصنفا صغيراً وهو الماميران ويسميه اليونانيون خالندونيون هوماغا

وذكروا ان الكركم نافع للبصر ولكن لا كالماميران وينفع أصحاب اليرقان والسدد سواء في الكبد أو في غيره فيسقون منه مقداراً الى درهم بشراب أبيض مع مثله انيسون ومضغ هذه الجذور نافع لوجع الاسنان واذا تضمد به مع الشراب أبرأ النملة وجفف القروح

(المقدار وكيفية الاستعمال) منقوعه المستعمل من الباطن يصنع بمقدار من غرامين الي ١٠ غرامات لاجل ليتر من الماء ونصف هذا المقدار من الجوهر لاستعمال مسحوقه ، وباغلاء الكركم يكون لزجا بسبب الدقيق والصمغ المحتوي عليهما ويكون اصفر مسمراً مراً وصبغته تصنع بجزء منه و٦ في العرقي النقي ومقدار الاستعمال من غرام واحد الى غرامين في جرعة

الكركي طائر كبير يقرب من

الاور ابتر الذنب رمادي اللون في خده لمعات سود قليل اللحم صلب العظم جمعه كراكي وذهب قوم الي انه الغرنوق وهو من الحيوانات التي تعيش أسرابا تحت قيادة رئيس

قال عنه الدميرى ان فى طبعه الحذر والتحارس فى النوبة والذي يحرس يهتف بصوت خفى كأنه ينذر بأنه حارس فاذا قضى نوبته قام الذى كان نائما يحرس مكانه حتى يقضى كل مايلزمه من الحراسة ولها مشتات ومصايف . ومن أصنافها مايلزم موضعا واحدا ومنها مايسافر بعيدا وفي طبعه التناصر . ولا تطير الجماعة منه متفرقة بل صفا واحدا يقدمها واحد منها كالرئيس لها وهى تتبعه ،يكون ذلك حينا ثم يخلفه آخر منها مقدما حتي يصير الذى كان مقدما مؤخرا وفى طبعه ان ابويه اذا كبرا عالها . وقد مدح هذا الخلق أبو الفتح بن كشاجم حيث يقول مخاطبا لولده :

اتخذ فيَّ خلة فى الكراكي
أتخذ فيك خلة الوطواط
انا ان لم تبرني في عناء
فببري ترجو جواز الصراط

ومعني قوله خلة الوطواط انه يبر ولده فلا يتركه بمضيعة بل يحمله معه حيثما توجه

قال الدميري: «وللوك مصر وأمرائها في صيده تغال لايدرك حده وانفاق مال لا يستطاع حصره وعده لذلك علت مملكتهم على كثير من الممالك،وان يهلك على الله الا هالك او متهالك ؟

اما نحن فلم ندرك العلاقة التي بين صيد الكراكي وعلاء الملك ولا نشك في أن هذا من خرافات الاوائل

يكنيه العرب ابو عريان وابو عيناء وابو العيزار وابو نعيم وابو الهيصم

وضربوا به الامثال فقالو أحرس من الكركي . لانه يقوم الليل كله على احدى رجليه

﴿كرُم﴾ الشيء يكرُم كرامة وكرَما عز . و (كرُم الرجل) اعطي . وضد لؤم و (كرَّمه) عظمه . و (تكرَّم) تكلف الكرم . و(تكرَّم عن كذا) تنزه عنه . و (الكرَام) الكريم . و (الكرَامة) حدوث أمر خارق للعادة على يد رجل صالح و (الكرْم) العنب . و (الكرَّام) صاحب الكرم . و (الأكرُومة) فعل الكرم و (التكرِمة) الوسادة التي يجلس

عليها تكرمة وتعظيما . و (المَكرُمة) فعل الكرم

﴿ كرامات الاولياء ﴾ يعول جميع أصحاب الاديان على الخوارق التي تصدر من صالحي أتباعها . فجعلها المسيحيون من علامات تأييد روح القدس لمن تصدر علي أيديهم . وأمر المسيح أتباعه بنشر دينه وبشرهم بحدوث خوارق علي أيديهم تؤيد دعوتهم حتي جعل ذلك علامة لهم تميزهم عن كذَبة الدعاة الذين يلتحقون بدينه وليسوا منه في شيء وقد بالغ المسلمون في عصورهم المتأخرة في اعتبار الخوارق ولكنهم لم يجعلوها أساساً لدعوة داع، فان دينهم أقام لهم من العقل فاروقا بين الحق والباطل . فما حكم به العقل بعد اجهاد النظر وانعام التأمل فهو الحق عندهم وللمصيب أجران وللمخطىء أجر ، وما نبذه العقل بعد بذل الغاية فى تمحيصه فهو الباطل وان أيده من الخوارق مالا مزيد عليه

هذا مبنى الدين الاسلامي في حقيقته وما غلا المسلمون فى أمر اعتبار الخوارق الا من وجهة الحكم على الاشخاص بدرجات القرب من الله

الخوارق في نظرنا ليست من الامور الممكنة فقط بل من الامور الضرورية الملازمة لبعض الحالات العالية التي تكون عليها الروح الانسانية . فان هذه الروح فينا نفحة من نفحات الحق سكنت هذا الجثمان حينا من الزمان فستر جلالها هذا الجسد الكثيف ، فمن عرف هذا السر ففتح فى قلبه نافذة يطل منها عليها انبعث عليه من نورها مايجعله روحا صرفا فتصدر على يديه أمور خارقة للعادة لان للروح تسلطا لاحد له علي الماديات ، ويستحيل ان تشرق الروح علي شخص ولا تصدر الخوارق على يديه والذي يحدث في جلسات تحضير الارواح في اوربا حينما يتجرد الوسيط عن حالته العادية ويدخل الي حالة أخري تحت سلطان روحه يثبت هذا القول بالحس

ولكن ليس صدور الخوارق في نظرنا بالدليل القاطع علي القرب من الله بالاعمال الصالحة . فان المسألة مسألة قوة روحية . وروح العاصى من طبيعة روح الطائع فاذا توصل العاصى الى الاستفادة من هذه القوة فيه وعرف طريق ذلك من جهة الرياضة وصل من ذلك الى مايقصر عنه

العابد المتبتل الذى يجهل تلك القوة فيه وسر استخدامها

وعلى هذا فمدار الحكم على الصلاح او القرب من الله لايصح ان تكون الخوارق بل الاعمال الصالحة، والعزمات الصادقة . هذا هو حكم الاسلام نفسه ولا عبرة بما يستهتر فيه بعض المحبين للاعاجيب فأنهم لا يعتمدون من الاسلام علي شيء بغلوهم فى اعتبار الخوارق

ان مايحدث من الخوارق في جلسات تحضير الارواح وتحت نظر العلماء الطبيعيين المجربين يثبت مانقول ، وهي خوارق لو صدرت أمام أحد هؤلاء الغلاة لحكموا بولاية من تحصل على يديه وليس ذلك من العدل في شيء

فالولى تصدر منه الخوارق كلازم من لوازم تغلب روحه على جسده، وغير الولى قد تصدر منه الخوارق من طريق الرياضة ومدار التفرقة بينهما العمل الصالح والسيرة المنزهة عن الشوائب

الكَرْم هو شجر العنب وهو منتشر انتشاراً عظيما فى الاقطار الواقعة بين الدرجة ٤٠ و ٥٠ من خطوط العرض ولبلادنا منه حظ وافر وخصوصا بقرب الاسكندرية وفي مديرية الفيوم

(زراعته) يزرع الكرم عادة من عقل طولها نصف متر تؤخذ في فبراير وتزرع فى الارض فى اتجاهات مائلة لاجل أن يتكون عليها عدد عظيم من الالياف الجذرية مع ترك زرين أعلا سطح الارض ويمكن حصول الزرع بعد ارتفاع النيل ف اغسطس الا ان نجاحه أقل من نجاح الاول

ويمكن الحصول علي أصناف متنوعه بالتطعيم بطريقة الشق وأحسن وقت لهذا العمل هو فبراير ويمكن أن يعمل أيضا في أغسطس الا أن نجاحه فيه يكون أقل

ويحصل الترقيد كثيراً في شهر فبراير ويجب أن تنتخب الاعضاء لهذا الغرض قوية وموشحة بأزرار جيدة وأن تدفن في أرض مسمدة جيدة مع حفظها رطبة وأن تقلم بحيث لاتبقى الازرار فوق سطح الارض

وسواء كان النبات مستخرجا بالعقل أو الترقيد فانه ينقل اذا بلغ سنه سنتين أو ثلاث سنين فى شهر فبراير قبل أن تزداد العصارة

تقليم الكروم ضروري في كل سنة وأوفق أوقاته فى شهر فبراير فالكروم المغروسة

يجب أن تقلم فوق زرين مباشرة من أسفل الساق واذا كانت الاعناب على الارض فان التقليم يجب ان يكون متقاربا بحيث يكون شجر العنب مثل العشب . ويفضل تقليم الاغصان وهي خضراء خصوصا اذا كان العنب على الارض . أحسن وقت لهذا العمل عند ماتكون الحبوب في حجم الذرة وفي هذه الحالة يتحصل على عنب أحسن بسبب عظم كمية العصارة التي تتكون

يجب أن يسمد العنب مرة في كل عامين على الاقل بسماد بلدي جيد ومتحلل جيداً عند ماتكون الاشجار حاملة ثمرها

﴿ كرمان ﴾ قال ياقوت الحمري في معجم البلدان هي ولاية مشهورة ذات بلاد وقري ومدن بين مكران وسجستان وخراسان فشرقيها مكران ومفازة مابين مكران والبحر وغربيها أرض فارس وشمالها مفازة خراسان وجنوبها بحر فارس . من مدنها المشهورة جيرفت وموقان. وكرمان أيضاً مدينة بين غزنة وبلاد الهند بينهما أربعة أيام

نقول ان كرمان الآن هي احدى ولايات مملكة ايران وقد اختلفت في حدودها اليوم عما كانت عليه أيام ياقوت . وهى بلاد كثيرة الجبال والأنهار والبحيرات تكثر فيها الحبوب والكروم والنخيل وفيها ابل وغنم ومعز ومن أوبارها تصنع المنسوجات المتداولة في تجاراتهم

من المدن المشهورة اليوم في كرمان سيرجان وهي ذات تجارة واسعة في الشيلان والاسلحة التى تصدر الى بلاد الافغان وبخاري ويبلغ عدد أهلها نحو (٤٠٠٠٠) نسمة

﴿ الكرنب ﴾ أصله من اوروبا وهو يصلح في جميع الاقاليم لكنه ينجب في الاقاليم الرطبة ، وتوافقه الارض الطينية الرملية ويجب أن تكون أرضه غائرة ومحتوية على كثير من السماد

يزرع منه في مصر ثلاثة أنواع: (١) الكرنب البلدى (٢) والكرنب الاحمر الفرنسي (٣) وكرنب البطة

أما الاول فبزوره مصرية وهو كبير الجسم علي شكل الطبل ابيض اللون صلب خشن يزرع بكثرة

اما الاحمر فتستحضر بزوره من الخارج وأصنافه المهمة هي الاحمر القاتم

المبكر والاحمر الصغير والاحمر الغليظ المبكر وهذه الاصناف قصيرة ذات رأس على شكل الطبل وليست صلبة وتتأخر زراعتها ولا تزرع بكثرة على انها مطلوبة من الاوربيين بكثرة

والنوع الثالث يزرع منه صنفان وهو كبير ذو رأس خشن وأكبر من رأس الكرنب البلدى والطلب عليه كثير

يزرع الكرنب من البزور وهي تحتاج الى عناية في انتخابها ووقت زراعته شهرا يونيه ويوليه ويمكن زراعة كرنب البطة في أواخر فبراير

ينقل الكرنب بعد زرعه بأربعين أو خمسين يوماً ويغرس في صفوف متباعدة بنحو ٨٠ سنتمترا ويكون بين الكرنبة واختها من ٥٠ الى ٧٥ سنتيمترا

يزرع الكرنب فى أرض صفراء رطبة محروثة حرثا جيدا والافضل ان تكون الارض ثقيلة ويجب صرف الماء من ارضه صرفا جيدا والاكثار من السماد ويجب تسميده قبل ابتداء تكون رؤسه ولا بد من ان يخدم سطح الارض كثيرا مع الاتقان وكثرة الرى

يقلع الكرنب بعد نقله بخمسة أشهر أو ستة ويستغرق حصاده نحو شهر ونصف شهر

يوجد كرنب يسمى بكرنب بروكسل لا يزرع هنا منه الا القليل مع ان الرغبة فيه شديدة وهو يزرع كغيره ويدرك فى شهر ديسمبر

ولا بد لزراعته من أرض خصبة ويحتاج الي زمن طويل وأفضل انواعه النوعان المعروفان بكرنب بركسل العادى والكرنب المتوسط القصر من لاهال

(خواصه الطبية) الكرنب كأكثر الخضر تحصل فيه بالاغلاء ظواهر كيماوية بها تتغير طبيعته. فاذا كان الكرنب نيئاً كان يابساً فيه مرارة ورائحة مقبولة وأحياناً تكون مسكية. وفي أول الاغلاء تظهر عطريته وتنتشر الى بعد فاذا وقف الاغلاء كان ماؤه نتناً ويتلف بسرعه غريبة فينتن المطبوخ فاذا دووم علي طبخه نقصت هذه الرائحة ولان النبات وصار سكريا واكتسب طعما مقبولا فتكون مرقته لذيذة مغذية فيجب والحالة هذه ان يطبخ الكرنب جيداً ليحصل منه على غذاء ثمين القيمة وأقل زمن لطبخه خمس ساعات حتي تحدث فيه التغيرات النافعة

المذكورة ولاستحالته لى طعام سليم مقبول

وقد ثبت بالتحليل ان فى الكرنب تبريتا ومادة حيوانية أي أزوتية فهو نبات جليل القيمة من الوجهة الغذائية ولكنه مولد للرياح والقراقر في المعدة والامعاء وذلك ناشيء فى أغلب الاحوال من عدم اجادة الطبخ

وقيل انه يمنع الاسكار وانه مضاد للحفر وانه يحفظ من النقرس ووجع المفاصل وان ماءه الاول مسهل خفيف والاخير قابض وأوراقه الطريئة تنفع من قروح السعفة وكانوا يستعملون بزوره ضد الديدان

وقال اطباء العرب ان هذا النبات بجميع أجزائه يفجر الاورام ويلحم القروح وانه بالنطرون والعسل يزيل الجرب

ويحضر من الكرنب مرقة وشراب يناسبان الاشخاص الذين صدورهم في غاية اللطافة، ويأمرون به للمساولين لان هذا النوع كثير السكرية . وتعمل منه مربى بالعسل والسكر تستعمل في امراض الصدر

كيفية عمل شراب الكرنب ان تؤخذ جزء من العصارة المنقاة للكرنب الاحمر وجزءان من السكر الابيض ثم يمزجا حسب الصناعة وذلك الشراب كثير الاستعمالات فى الاسهالات المزمنة بمقدار من ٦٤ غراما الى ١٢٥

وقد توسع أطباء العرب فى ذكر خواص الكرنب فنقلوا عن جالينوس أن الكرنب قوته مجففة ان اكل او وضع من خارج ولكنه ليس بظاهر الحدة والحرافة بل قوته تبلغ به الي ادمال الجراحات وشفاء القروح الخبيثة والاورام التى قد صلبت وصارت فى حد ما يعسر تحلله وقضبان الكرنب اذا حرقت كان رمادها مجففا تجفيفا شديدا فاذا مزج بشحم عتيق او أي شحم كان نفع من الخنازير والدبيلات والجراحات، واذا سلق الكرنب سلقا خفيفا وأكل أمسك البطن وسيما ان سلق مرتين اي بماء بعد ماء. وقلب الكرنب أسهل للمعدة وأدر للبول من سائر أجزائه . وأكل الكرنب للمخمور يسكن خماره . وشرب عصارته بالشراب ينفع من لسع الافعي والتضمد به مخلوطا بدقيق الحلبة والخل ينفع من النقرس ووجع المفاصل والقروح الوسخة

العميقة واذا احتملته المرأة مع دقيق الشيلم أدر الطمث والتضمد بورقه مدقوقا أو مع سويق ينفع من كل ورم حار من الاورام البلغمية ويبرئ الشرى والجرب المتقرح واذا مضغ وشرب ماؤه أصلح الصوت

وبزر الكرنب الذي ينبت بمصر هو الذي يقتل الدود لانه شديد المرار ولا يقع في اخلاط الترياقات

وقالوا الكرنب ينفع من السعال القديم ومن النقرس اذا صب طبيخه على المفاصل واطعامه للصبيان ينشئهم سريعا وشرب عصيره مخلوطا بالنبيذ كل يوم يذهب وجع الطحال ورماده يبرئ حرق النار وعصيره يبرئ الحكة والجرب وان خلط بالزاج والخل وطلى به البرص والجرب ... وان خلط رماده ببياض البيض أبرأ حرق النار والاكثار منه يولد السوداء والدم العكر

وقال جالينوس أغذية الكرنب تحدث في البطن من الظلمة ما يحدث العدس وهما يخففان جميعا على مثال واحد الا أن العدس مغذ غذاء كثيرا ، وغذاؤه غليظ قريب من السوداء والكرنب يغذو غذاء يسيرا وغذاؤه أرق وأرطب من غذاء العدس لانه ليس من الاغذية اليابسة الجرم . والخلط المتولد من الكرنب ليس جيداً ولا محمراً كالدم المتولد من الخس بل هو رديء كريه الرائحة وليس للكرنب في البول كثير عمل لا في جودته ولا في رداءته

وقال الرازى ادمانه يولد دما اسود ولذلك يجب أن يجتنبه المستعدون للسوداء والذين ابتدأت فيهم الماليخوليا والسرطان وداء الفيل والدوالى والبواسير . وبالجملة لا يوافق المحرورين فان أكلوه فليشربوا عليه شربا كثيراً

قالوا وأما القنبيط فهو أغلظ وأقوى وأبطأ في المعدة من غيره وورقه الناشيء حواليه أقل اضراراً وأصلح من جمارته الناشئة في وسطه واجتنابه كله احمد لتوليده الدم العكر، والاكثار منه يضعف البصر. وهو مدلق للبطن كثير البخار يولد أحلاما رديئة ومرة سوداء. وجمارته تهيج القراقر والنفخ

وقال اسحق بن عمران القنبيط اكثر غلظا وأبطأ في المعدة من الكرنب وهو أفضل منه في ادرار البول واطلاق البطن وللمائية خاصة في نفع السكر

وقال الاسرائيلي اذا شرب قبل الشراب نفع من كثرة السكر واذا شرب به المخمور حلل خماره واذا أحرق ورق الكرنب كما هو في قدر فخار جديد ثم أضيف الى بعض الشحوم أبرأ الاورام الصلبة التي في العنق ومنها الخنازير

واذا أخذت عرق الكرنب البرى وهو ينبت في حماة وحمص ودمشق وجففت ثم سحقت وأعطي منها الذى نهشته الافعي قدر درهمين بشراب خلص من نهشة الافعي مجرب

﴿كره﴾ الشيء يكرهه كرها وكرها ضد أحبه و (كره الامر يكره كراهة وكراهية) قبح فهو (كريه) و (كرهه الشيء) جعله يكرهه و (أكرهه على الامر) حمله عليه و (تكرهه) تسخطه و (فعله كرها) أي اكراها و (الكريهة) الحرب

﴿الكروان﴾ طائر يشبه البط لا ينام الليل والانثى كروانة وجمع كروان كروان بكسر الكاف مثل ورشان وورشان على غير قياس

ويضرب به المثل فيقال: أجبن من كروان قال الدميري لانه اذا قيل له أطرق كرا ، ان النعام في القرى. التصق بالارض. فيلقى عليه ثوب فيصاد وهذا المثل يضرب للمعجب بنفسه قال الشاعر :

أمير أبي موسي يرى الناس حوله
كأنهم الكروان أبصر باريا

﴿الكراء﴾ أجرة المستأجر . و (اكترى الدار واستكراها) استأجرها و (أكره داره) أجرها له و (المكارى) الذي يكرى الدواب

﴿الكزبرة الخضراء﴾ هي نبات سنوى جذره مغزلي بسيط أبيض والساق متفرعة قائمة خالية من الزغب أسطوانية محززة تعلو نحو قدمين والاوراق جذرية ذنيبية وريقاتها بيضية مقطعة مسننة والازهار بيض صغيرة على هيئة خيمات والتويج مكون من خمس أهداب متساوية قلبية

(صفاتها الطبيعية والكيماوية) اذا هرس هذا النبات بين الاصابع ظهرت له رائحة وطعمه فيه مرار ولذع وبزوره بيضية مستطيلة لامعة والعادة أن تخلط الفروع الصغيرة للكزبرة مع الاغذية لتكون رائحتها مقبولة وطعمها مشوب بحرافة قليلة وتحتوي علي كثير من الاصول الحاطية

القابلة لان تتحول الى كيلوس فاذا تقدم النبات في الانبات كان محتويا علي عصارة خاصة عطرية تتضح خاصيتها الدوائية كأوراق كثير من نباتات هذه الفصيلة كأوراق الشعر والمقدونس والكرفس

(خواص الكزبرة الخضراء) عصارتها تدخل في تركيب العصارات المزيلة للعفونة والمضادة للحفر ويستخرج منها ماء مقطر بالتقطير والمواد الطيارة الموجودة في هذا النبات تؤثر على المنسوجات الحية باحداث التنبه فيها وكثيراً ماينتج منها ادرار البول لأنها يقينا تزيد في الحيوية والفعل المفرز للجهاز الكلوي ومن المحقق ادرار هذا النبات للطمث ولكن بضعف

وذكروا أن عصارة الكزبرة أو مغليها فى مصل اللبن واسطة قوية في سدد الاحشاء ومدحوها في اليرقان وأوصوا بمحضراتها في الربو والنزلات المزمنة وأمراض الجلد والحفر

وأوصى العالم «جوفروا» بعصارة الكزبرة في الاستسقاءات وأكد انه كثيراً ماشاهد منها سيلان البول بكثرة فى هذه الآفات قوة التنبيه التي في النبات هي التي تسبب النتائج النافعة ، ولكن هناك علماء يؤكدون بأن في هذا النبات قوة الترطيب وانه يقلل حرارة الدم

وقال (ميريه) يستعمل مطبوخ الكزبرة كدواء محلل ومدر للطمث والبول ومقطب للجروح ولتسكين الاوجاع الباسورية ويوضع علي الرضوض والاثداء المحتقنة باللبن وعلى الجروح . ومدحوه في السل والاستسقاء والامراض الجلدية وأكد العالم «ذوفال» تأثيره في الرمد نحو ٦٠ مريضا فتوضع الكزبرة ضماداً على العين الملتهبة وكذا تغسل العين بمطبوخ هذا النبات

(كيفية الاستعمال ومقداره) يصنع ماؤها المقطر بأخذ جزء منها وثلاثة أجزاء من الماء والمقدار منه للتعاطي من ٥٠ الي ١٠٠ غرام في جرعة . والشراب يصنع بجزء من العصارة وجزئين من السكر والمقدار للتعاطى من ١٥ الى ٦٠ غراما فى جرعة والعصارة المنقاة مقدار ما يستعمل منها ٥٠ غراما الى ١٠٠ غرام والخلاصة مقدارها من غرام واحد الى ١٥ غراما بلوعا أو حبوبا

اما من الظاهر فالمطبوخ يصنع بأخذ

مقدار من ٣٠ الى ٦٠ غراما منها لاجل لترمن الماء لتعمل بذلك غسلات وكمادات وضمادات

﴿ الكزبرة الجافة ﴾ هي نبات جذرها سنوى مغزلى ابيض يعلوه ساق أسطوانية عادمة الزغب والاوراق الجذرية تكاد تكون كاملة أومقطعة وتدية الشكل والازهار بيض وردية مهيأة بهيئة خيمة مركبة من خمسة أشفار أوستة غير متساوية وأزهار الدائرة شعاعية وأهدابها أكبر والثمر مزدوج الحب بيضى كروى متوج بالاسنان الغير المساوية للكأس وبالمهبلين ويمكن فصله الى حبتين كريتين بتقدم النضج وبالتجفيف

(الصفات الطبيعية الكيماوية للكزبرة الجافة) هذه البزور سنجابية مستديرة فى حجم رش الرصاص وفيها خطوط صغيرة منتهية بانتفاخ صغير ورائحتها كرائحة البق كورقها الاخضر الطري ايضا وربما استكرهت تلك الرائحة اذا تجمع من النبات مقدار كبير ثم اذا جففت صارت عطرية وطعمها يقرب من طعم الانيسون وان كانت أضعف منه وبالجملة تصير مقبولة الرائحة والطعم ولذلك يستعملها العطريون وتجار المشروبات الروحية لتعطير مشروباتهم ومعاجينهم ويخرج منها دهن عطرى عادم اللون شديد السيولة . كثافته نحو ٧٦ر٠

(خواصها الطبية) يستعمل بزر الكزبرة فى الاطعمة ليطهرها ولذلك استنبت في جميع الجهات لهذا السبب

ويستعمل منقوع الكزبرة هاضما ومقويا للمعدة وطاردا للرياح ومضادا للتشنج فهو من المقويات اللطيفة

والدهن الطيار للكزبرة فيه خواص البزور فيوضع منه نقط فى المنقوعات النبيذية والجرعات

وذكر أطباء العرب ان للكزبرة اليابسة خاصية في تقوية القلب وتفريحه وسيما في المزاج الحار. وقالوا ان أكل طريها يقطع الباه وكذا الاكثار من يابسها . واذا شرب نقيع اليابسة قطع الانعاظ الشديد

وقالوا أنها تطيل بقاء الاغذية في المعدة فينتفع بها من لا تستقر الاغذية في بطونهم . وكذا ينتفع بها من يتقايأ الطعام بعد تناوله. ويجب أن يقلل منها من كان معه ربو ومن كانت معه بلادة وأمراض باردة في الدماغ

وقال ابو جريج الراهب الكزبرة باردة مخدرة تورث الغم والغشى وتجمد الدم

وقال محمد الغافقي أما قول المحدثين في الكزبرة ووضعهم لها في رتبة الشوكران والافيون من الادوية المخدرة وكل ذلك منهم كذب وجهل

وقال صاحب كتاب السموم أن الكزبرة الرطبة اذا شرب من عصيرها أربع أوقيات قتلت

(المقدار وكيفية الاستعمال) مسحوقها نادر الاستعمال ومقداره من غرام واحد الي خمسة غرامات والغالب استعمال المنقوع المصنوع بمقدار نحو ٣٠ غراما لاجل لتر من الماء وبعضهم يجعل هذا المقدار ١٠ غرامات فبذلك يتحمل السائل قواعدها العطرية ويكون ممتعا بخاصية تنبيه المنسوجات الحية فيستعمل ذلك المشروب اذا أريد تنبيه الشهية واصلاح ضعف المعدة وطرد الرياح العارضة من الهضم غير المنتظم

وماؤها المقطر يصنع بجزء منها و ٤ أجزاء من الماء ومقداره من ٢٠ الى ٣٠ غراما في جرعة والصبغه تصنع بجزء منها و ٨ من العرقي ومقدار التعاطي منها من غرام الى غرامين في جرعة. وهذه المقادير كبيرة نظراً لسمية هذا النبات والافضل الابتعاد عنه بتاتا

﴿ كزّ ﴾ الشيء يكزُ كَزازة يبس وانقبض فهو (كزّ) و (كزّ الشيءَ) ضيقه . و (الكُزاز) داء يعترى الانسان من شدة البرد. أو الرعدة من شدة البرد و (الكز) اليابس المنقبض. و (الكَزز) البخل

﴿ كَسَب ﴾ الشيء يكسِبه كسبا جمعه و (تكسّب) اى تكلف الكسب . و (الكُسب) ثفل الدهن وعصارته . و (الكِسْبة) الكسب يقال (هو طيب الكِسْبة) و (الكَسوب) الكثير الكسب. و (المكسَب) الكسب

﴿ الكُستيج ﴾ خيط غليظ كالاصبع من الصوف كان يشده النصارى فوق ثيابهم والآن بطل ذلك الا لدى رجال الدين منهم

﴿ كَسَح ﴾ البيت يكسَحه كَسْحا كنسه ثم استعير لتنقية البئر وغيره . (الكُساح) داء في الابل . و (الكُساحة) الكناسة وداء يعترى اليدين والرجلين وأكثر مايستعمل في

الرجلين ومنه (كسِح الرجل كسَحا) كان بيديه أو رجليه عاهة.أوثقت احدي رجليه في المشي فاذا مشي جرها جرا فهو (أكسح وكَسْحان وكَسيح)و(الاكسح) ذوالكَسح والاعرج والمقعد ج كُسْحان و (المِكسحة) المكنسة . و (المُكَسَّح) المقشر يقال عود مُكَسَّح

(الكساح) يطلق اليوم هذا الاسم على مرض يصيب الاطفال يختل به نمو عظامهم فلا يتصلب مايتجدد منها فتلين وترتخي . وهو يحدث بعد الشهر الرابع ويسبقه انحراف في وظيفة الهضم وغثيان وعطش وذرب مواد رصاصية كريهة الرائحة ويصير الطفل كئيبا لايحب اللعب ولا يرمي الي شيء من الحياة فيستلقى على ظهره ويبطل المشي والزحف ويبكي اذا نهض ويعرق ثم تنتفخ أطراف عظامه ويبقي اليافوخان متسعين ويكبر الرأس ويبقى الوجه صغيراً فتشبه هيئته هيئة شيخ مسن على جسم سقيم . وتلين اضلاعه وتلتوي عظامه الطويلة ومقدم صدره ، ويحدودب جذعه

(العلاج) أولا يجب اسكان الطفل في الخلاء ليتمتع بطلاقة الهواء ونقائه ، ويتعرض للشمس وفعلها المحيي ولا بد من الباسه ملابس صوفية وغسله بالماء كثيراً والأفضل أن يكون ماء البحر أو ماء ملح يغلى فيه ورق الجوز أومواد عطرية ويجب ترويضه باللعب المعتدل لتقوية عضلاته وينبغي الالتفات لمأكله فلا يعطي له الا مايسهل هضمه كالحليب والبيض واذا كان لديه ذرب ومبرزاته حامضة فيضاف الى الحليب ماء الكلس

واذا أخرج الي الخارج وجب أن يكون ملقى علي ظهره غير منزعج ولا يصح أن يراد علي الوقوف أو المشي لئلا يزداد العيب

وأحسن وسيلة لعلاجه بالعقاقير هي اعطاؤه زيت كبد الحوت أى زيت السمك اذا لم يكن عنده اسهال فان كان هناك اسهال وجب اصلاحه بماء الكلس وينبغى استحضار زيت السمك من محل يؤمن منه الغش لان الذى يباع منه بمصر بتسعة قروش الرطل هو عبارة عن زيت زيتون عادى من الصنف الردىء مذوبة فيه بعض العقاقير التى يشبه رائحتها رائحة زيت السمك فلا يفيد الطفل بشيء بل يزيد معدته تلفا وحالته سوءا

ومن أوفق العلاجات أيضا كلورايدرو فوسفات الكلس محلولا بماء وسكر ومقدار الجرعة منه نصف غرام مرتين يوميا مع الطعام او غليسيروفوسفات الكلس

﴿ كَسَدَ ﴾ الشيء يكسُد كَسادا لم ينفق فهو كاسد . و (أ كسد القوم) كسدت سوقهم

﴿ كَسَر ﴾ العود يكسِره قصمه . و (انكسر) مطاوع كسر و (الكُسارة) ماتكسر من الشيء و (الكَسر) في الحساب مالا يبلغ واحداً صحيحا . و (كسري) اسم ملك من ملوك الفرس ومعناه واسع الملك جمعه أكاسرة واما كسري الذي ولد النبي صلى الله عليه وسلم في زمنه فكان اسمه أنوشروان و (الكِسرة) القطعة من الشيء المكسور جمعه كِسَر . و (الكَسير) المكسور و (الاِكسير) في الاصطلاح القديم الدواء الذي يلقى على النحاس فيحيله ذهبا . وفي الاصطلاح الحديث كل ما أذيب في الكحول من العلاجات

﴿ كسر العظام ﴾ أكثر الاعضاء تعرضا للكسر هي الفخذ والساق ثم الترقوة ثم العضد والساعد ثم الرأس والكسور اما أن تكون بسيطة أو مرافقة لجرح وتسمى مضاعفة

تلتحم الكسور في مدة لا تتجاوز الاربعين يوما اذا احكم ردها ولم يكن فيها تفتت او صحبت بجرح او كان المصاب متقدما في السن او بقي العضو متحركا او كانت القطعتان المكسورتان متباعدتين

والكسور الواقعة في منتصف العظام الطويلة أقل خطراً وأقرب انجباراً من الكسور في أطرافها . والكسور المتصلة بمفصل أشد خطراً من غيرها وكثيراً ما تيبس المفاصل وييبس العضو وقتيا بعد الكسر ويداوى بتحريكه تدريجا فيعود الى عمله الطبيعي

(التشخيص) يعرف الكسر بالخشخشة وعدم التمكن من تحريك العضو المكسور أو يتحرك بالتحريك حركة غير طبيعية وروغانه عن اتجاهه الطبيعي

العلاج اذا كسر الطرف السفلي فان كان الكسر في الفخذ أو في الساق ولم توجد وسائط لتجبيره حالا يقرب الطرفان أحدهما من الآخر ويربطان معا بعصائب أو مناديل ولا بد من وضع قطن

من الخشب الرقيق حول العضو بعد احاطتها بالقطن وشدها عليه شداً محكما

واذا كسر الطرف العلوى يعلق بالعنق بمنديل مربع يطوى على هيئة مثلثة يلقى الساعد على وسطه ويدار طرفه المقدم حول العنق على الجانب الذى فيه الكسر والطرف الخلفى على الجانب الصحيح ويعقدان خلفه . فاذا لم يكن المنديل كافيا يحاط العنق بمنديل آخر يعلق به المثلث المذكوروالتعليق وثني اليد واجبان فى جميع كسورالطرف العلوي عدا كسر رأس المرفق (الكوع) وتجبير العضد يكون بجبائر كالمذكورة آنفا وأما الساعد فيجبر بجبيرتين طولها كطوله واحدة الى المقدم وأخري الي الخلف بعد لفهما بقطن وقماش ناعم

وكسور الاضلاع تجبر بلفافة تكتنف الصدر فتخفف حركاته

في جميع أنواع الكسور توضع أولا رفائد مبلولة بكحول مكوفر أى فيه كافور أو بعرقي مضاف اليه صابون وملح وتبقى تحت اللفافة واذا كان الكسر مضاعفا يكشف الجرح ويغسل بماء الحامض الفنيك ثم يوسي به ويجبر علي احدى الطرق المذكورة وبحسب وضعه ربما يحضر الطبيب

وكسور الرأس تداوى أولا بالماء البارد ان كان جرح أولم يكن ووضع الخردل على الرجلين والعضدين لتحويل الدم عن الدماغ ثم تربط بالعصائب اللازمة وهي غالبا شديدة الخطر يحصل عنها اغماء وغيبة وأحيانا يقتضى الحال الاسراع بمداواتها وتنبيه المصاب بانشاقه خلا أوماء كولونيا ورش وجهه بالماء البارد

﴿كَسَفَ﴾ الثوب يكسِفه كَسْفا قطعه . و (كَسَفَ الله الشمس) حجبها . و (كَسَفَ الشيءَ) قطعه . و (انكسفت الشمس والقمر) احتجبا . (وهو كاسف البال) أى سيء الحال.و (الكِسْفة) القطعة من الشيء جمعها كِسَف

﴿كسوف الشمس﴾ الشمس كرة مضيئه ثابتة في مركزها بالنسبة الينا والارض سابحة حولها والقمر دائر حول الارض فمتى توسط القمر بين الارض والشمس حجب ضوءها عن الجهة المقابلة لها من سطح الارض فيقال كسفت الشمس ومتي توسطت الارض بين الشمس والقمر حجبت أشعة الشمس عنه وارتمى ظلها عليه

فيعم قرصه فيقال خسف القمر وكل من الكسوفين يكون جزئيا او كليا كما لا يخفى. ان اردت التوسع في هذا الباب فانظر كلمتي (فلك وقمر) من هذا الكتاب

﴿الكسكسي﴾ هو اسم لما يفتل من الدقيق والسمن وهو عند اهله من المغاربة يسمى الكسكسو

قال الطبيب داود الانطاكي في تذكرته أجوده المأخوذ من خالص دقيق الحنطة المجفف بعد تفويره وهو حار رطب في آخر الثانية جيد الخلط كثير الغذاء اذا أكل بالعسل او السكر ممن الابدان الضعيفة وولد الدم الجيد وينبغي لمن به الريح ان لا يأكله بخضر ولا بدون العسل وللمحرور ان يأكله بالخضر ولا يكثر من دهنه . ومتى أكل علي الشبع ولد السدد والتخم ويصلحه السكنجبين (اى الليمو نادة بالليمون أو الخل)

﴿كسِل﴾ الرجل يكسَل كسلا تثاقل وتوانى فهو كسلان . و (أكسله) أوقعه في الكسل . و (تكاسل) كسل و و (المِكسال) الكسلان

﴿كساه﴾ ثوبا يكسوه كسوا البسه . و (أكساه ثوبا) مثله . و (تكسّى بالكساء) لبسه . و (اكتسى) لبس الكساء . و (الكِساء) الثوب و (الكِسوة) اللباس جمعها كُسَى

﴿الكسائي﴾ هو الحسن على بن حمزة بن عبد الله بن عثمان بن فيروز الاسدي بالولاء الكوفي المعروف بالكسائي أحد القراء السبعة

كان اماماً في النحو واللغة والقراءات ولم يكن له في الشعر يد . كان يؤدب الامين بن هرون الرشيد ويعلمه وكانت له عليهما دالة فوق الدالة التي له لعلمه وفضله

قيل أنه اجتمع يوما بمحمد بن الحسن الفقيه الحنفي في مجلس الرشيد فقال الكسائي من يتبحر في علم النحو يهدى الى جميع العلوم فقال له محمد: ماتقول فيمن سها في سجود السهو هل يسجد مرة أخرى؟

قال الكسائي لا .

قال محمد لماذا ؟

قال الكسائي لان النحاة تقول المصغر لا يصغر

فقال محمد : ماتقول في تعليق الطلاق بالملك ؟

فقال الكسائي لا يصح

قال محمد لم ؟

قال الكسائي لان السيل لا يسبق المطر

وذكر الخطيب في تاريخ بغداد ان هذه المحاورت جرت بين محمد بن الحسن المذكور والفراء

روي الكسأئي عن ابى بكر عياش وحمزة الزيات وابن عيينة وغيرهم. وروي عنه الفراء وابو عبيد القاسم بن سلام وغيرهما

توفى سنة (١٨٩) بالري وكان قد خرج اليها صحبة هارون الرشيد وفي ذلك اليوم توفى محمد بن الحسن المذكور آنفا بالرى أيضا

وقيل أن الكسأئي مات بطوس سنة (١٨٢) او (١٨٣) ويقال ان الرشيد كان يقول دفنت الفقه والعربية بالرى . يريد انه دفن عالميها وهما محمد بن الحسن صاحب ابي حنيفة والكسأئي الذي نحن بصدده

﴿ كشاجم ﴾ هو أبو الفتح محمود ابن الحسين الكاتب مؤلف كتاب (أدب النديم) توفي سنة (٣٥٠) ه

﴿ كشَح ﴾ له بالعداوة يكشَح كشحا عاداه. و (انكشح القوم) تفرقوا و (الكَشْح) ما بين الخاصرة الي الضلع الخلفى وهو اقصر الاضلاع

﴿ كَشَر ﴾ عن اسنانه يكشر كشرا أبداها ومثله (كشّر) و (كاشره) ضاحكه

﴿ كَشَط ﴾ يكشُط كشطا رفع شيأ عن شئ قد غطاه و (انكشط) مطاوع كشط

﴿ كشَف ﴾ الشئ يكشِفه كشفا اظهره. و (كاشفه بما في قلبه) اظهره له . و (انكشف الشئ) ظهر. و (تكشّف) ظهر و (اكتشف الشئ) اظهره

﴿ الكُشكول ﴾ قدح الشحاذ الذي يجمع فيه الاطعمة

﴿ كظّه ﴾ الطعام يكُظه كظا ملأه حتي لا يطيق النفس و (كاظّه) طال ملازمته و (اكتظ من الطعام) امتلأ . والكِظة (البطنة)

﴿ كَظَم ﴾ غيظه يكظِمه كظما رده وحبسه و (الكِظام) سداد الشئ. و (الكَظَم) الحلق او الفم جمعه أكظام و (الكَظوم) المكروب من الغيظ

﴿ الكاظم ﴾ هو ابو الحسن موسي

الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر ابن علي زين العابدين بن الحسن بن علي بن ابي طالب احد الأئمة في مذهب الامامية (انظر امامية)

وقال الخطيب في تاريخ بغداد كان موسي يدعي العبد الصالح من عبادته واجتهاده

روى انه دخل مسجد رسول الله صلي الله تعالى عليه وسلم فسجد سجدة في اول الليل وسمع وهو يقول في سجوده عظم الذنب من عندي فليحسن العفو من عندك يا أهل التقوي ويا أهل المغفرة. فجعل يرددها حتى اصبح

وكان سخيا كريما فكان يبلغه عن الرجل انه يؤذيه فيبعث اليه بصرة فيها الف دينار. وكان يصر الصرر ثلاثمئة دينار واربع مئة دينار ومئتي دينار ثم يقسمها بالمدينة . وكان يسكن المدينة فأقدمه المهدى الى بغداد وحبسه. فرأى في النوم على بن ابي طالب وهو يقول : يا محمد « فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم » قال الربيع وهو حاجب المهدى فأرسل اليّ ليلا فراعني ذلك فجئته فاذا هو يقرأ هذه الآية وكان احسن الناس صوتا وقال : علي بموسي بن جعفر فجئته به فعانقه وأجلسه الى جانبه . وقال ابا الحسن انى رأيت امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه في النوم يقرأ عليّ كذا أفتؤمنني ان تخرج عليّ او على احد من اولادي؟ فقال الكاظم والله لا فعلت ذلك ولا هو من شأني . قال المهدي صدقت .اعطوه ثلاثة آلاف دينار وردوه الى اهله الى المدينة

قال الربيع فأحكمت أمره ليلا فما اصبح الا وهو في الطريق خوف العوائق واقام بالمدينة الى ايام هرون الرشيد فقدم مرة من عمرة شهر رمضان سنة (١٧٩) فحمل موسى معه الى بغداد وحبسه بها الى ان توفي في محبسه

وذكر ايضا ان هرون الرشيد حج فأتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم زائراً وحوله قريش وافناء القبائل ومعه موسى ابن جعفر فقال السلام عليكم يارسول الله ياابن عمي افتخاراً على من حوله . فقال موسي السلام عليكم ياابت . فتغير وجه هرون الرشيد وقال هذا هو الفخر ياابا الحسن حقا

وقال ابو الحسن على بن الحسن بن

على المسعودي في كتاب مروج الذهب فى أخبار هرون الرشيد ان عبد الله بن مالك الخزاعي كان علي دار هرون الرشيد وشرطته فقال أتاني رسول الرشيد وقتا ماجاءنى فيه قط فانتزعنى من موضعي ومنعني من تغيير ثيابي فراعني ذلك فلما صرت الى الدار سبقني الخادم فعرف الرشيد خبرى فأذن لى في الدخول عليه فوجدته قاعداً على فرشه فسلمت عليه فسكت ساعة فطار عقلى وتضاعف الجزع علىّ . ثم قال يا عبد الله أتدرى لما طلبتك في هذا الوقت؟ قلت لا والله ياأمير المؤمنين قال اني رأيت الساعة في منامي كأن حبشياً قد أتاني ومعه حربة فقال ان خليت عن موسي بن جعفر الساعة والا نحرتك بهذه الحربة ، فاذهب فخل عنه

قال عبد الله ياأمير المؤمنين أطلق موسى بن جعفر وكررتها ثلاثا . قال الرشيد نعم امض الساعة حتي تطلق موسي بن جعفر وأعطه ثلاثين الف درهم وقل له ان احببت المقام قبلنا فلك عندي ماتحب وان أحببت المضي الى المدينة فالاذن في ذلك لك

قال عبد الله فمضت الى الحبس لاخرجه . فلما رآني موسى وثب الىّ قائما وظن اني قد أمرت فيه بمكروه فقلت لا تخف فقد أمرني باطلاقك وان ادفع لك ثلاثين الف درهم وهو يقول لك ان احببت المقام قبلنا فلك ذلك ولك كل ما تحب وان أحببت الانصراف الي المدينة فالامر فى ذلك مطلق لك وأعطيته ثلاثين الف درهم وخليت سبيله وقلت له لقد رأيت من أمرك عجبا

قال فاني أخبرك بينما أنا نائم اذ أتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ياموسي حبست مظلوما فقل هذه الكلمات فانك لاتبيت هذه الليلة في الحبس فقلت بأبي وأمى ماأقول ؟

فقال قل :

« ياسامع كل صوت ، وياسائق القوت ، وياكاسي العظام لحما ومنشرها بعد الموت ، أسألك بأسمائك الحسنى وباسمك الاعظم الاكبر المخزون المكنون الذى لم يطلع عليه أحد من المخلوقين ياحليما ذا اناة لايقوى على اناته ، ياذا المعروف الذي لاينقطع أبداً ولا يحصى عدداً فرج عنى . » فكان ماتري

وله أخبار كثيرة . ولد سنة (١٢٩)

وقيل سنة (١٢٨) بالمدينة وتوفي سنة (١٨٣) ببغداد وقيل انه توفي مسموما ودفن في مقابر الشونيزية خارج القبة وقبره هناك مشهور يزار وكان عليه مشهد عظيم فيه من قناديل الذهب والفضة وأنواع الآلات والفرش مالا يحد

﴿ كَعَبت ﴾ الجارية تكعُب كُعوبا نهد ثديها فهي كَعاب وكاعب . و (الكَعْب) كل مفصل للعظام . والعظم الناشز فوق القدم . والعظمان الناشزان من جانبيها جمعه أكْعُب وكُعُوب

يقال (هو عالي الكَعْب) أى شريف و (الكعبة) البيت الحرام بمكة و (الكَعبة) كل بيت مربع. و (الكُعُبرة) الكوع وأصل الرأس

﴿ الكعبة ﴾ هى البيت الحرام بناها ابراهيم عليه السلام وهو رسول من أولى ارسله الله الى الكلدانيين في جنوب وكانوا يعبدون النجوم والاوثان ثم ترك ابراهيم قومه حين عصوه الى مدين وهناك أمره الله تعالى ولده اسماعيل وأمه هاجر الي فقصدوا مكة ثم أمره الله ببناء الكعبة وكان أول بيت وضع للناس ببلاد العرب قال تعالى : « ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدي للعالمين »

الكعبة بناء مربع زواياها الي الجهات الاربع لكي تتكسر عليها الرياح ولا تضرها مهما اشتدت

مازالت الكعبة على بناء ابراهيم حتي جددها العماليق ثم بنوجرهم

ولما آل أمر الكعبة الى قصى بن كلاب أحد أجداد النبي صلى الله عليه وسلم فى القرن الثانى قبل الهجرة هدمها وبناها فأحكم بناءها وسقفها بخشب الدوم وجذوع النخل وبني الى جانبها دار الندوة وهي أول بناء الكعبة فى مكة وكان بها حكومته ومحل شوراه مع أصحابه. ثم قسم جهات الكعبة بين طوائف قريش فبنوا دورهم على المطاف حول الكعبة وفتحوا عليه أبوابهم

قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم بخمس سنين هدم السيل الكعبة فاقتسمت القبائل العمل لبنائها وكان الذى يبنيها باقوم الرومى بمساعدة نجار مصرى . فلما انتهوا الى وضع الحجر الاسود حدث بين

القبائل خلاف في أيهـا تختص بشرف وضعه فرأوا أن يحكموا محمد بن عبد الله وعمره خمس وثلاثون سنة لما عرفوه من وفورعقله وسداد رأيه فطلب رداء ووضع عليه الحجر وأمر القبائل فأمسكت بأطرافه ورفعوه حتي اذا وصل الى مكانه من البناء في الركن الشرقي أخذه هو فوضعه بيده. وكانت النفقة قد بهظتهم فقصروا بناءها علي ماهى عليه الآن . فكان رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول لعائشة : « لولا ان قومك حديثو عهد بالاسلام لهدمت الكعبة فألزقتها بالارض ، ولجعلت لها بابا شرقيا وبابا غربيا وزدت فيها ستة أذرع من الحجر فان قريشا استصغرتهـا حينما بنت الكعبة

فلما تولى عبد الله بن الزبير الخلافة بمكة في عهد يزيد بن معاوية حاربه بهـا الحصين قائد يزيد وأصاب الكعبة بالمنجنيق فانهدمت وأحرقت كسوتها مع بعض أخشابها ثم رجع عنها لموت يزيد بن معاوية فرأى ابن الزبير ان يهدم الكعبة ويعيد بناءها فأتي لهـا بالجص النقى من اليمن وبناها به داخل الحجر فى البيت وألصق الباب بالارض و جعل قبالته بابا ليخرج الناس منه وجعل ارتفاعهـا سبعة وعشرين ذراعا. ولما فرغ من بنائها ضمخها بالمسك والعنبر داخلا وخارجا وكساها بالديباج وكان انتهاؤه من بنائهـا في ١٧ رجب سنة (٦٤) هـ

ولما تغلب الحجاج على ابن الزبير ودخل الكعبة أخبر عبد الملك بن مروان بما أحدثه فيها ابن الزبير فأمره بارجاعها الى شكلها الاول فهدم الحجاج من جانبها الشمالى ستة أذرع وشبرا وبنى ذلك الجدار علي أساس قريش ورفع الباب الشرقي وسد الغربي ثم كبس أرضها بالحجارة التي فضلت منها

فلما ولى السلطان سليمان العثماني سنة (٩٦٠) غير سقفها. ولما ولى السلطان احمد سنة (١٠٢١) أحدث فيها ترميما . ولما حدث السيل العظيم سنة (١٠٣٩) هدم بعض حوائطها الشمالية والشرقية والغربية فأمر السلطان مراد الرابع بترميمها

شكل الكعبة مربع تقريبا مبنية بالحجارة الزرقاء الصلبة ويبلغ ارتفاعهـا ١٦ مترا وطول ضلعها الذى فيه الميزاب والذى قبالته ١٠ أمتار و ١٠ سنتيمترات وطول الضلع الذي فيه الباب والذى يقابله

اثني عشر متراً وبابها على ارتفاع مترين من الارض و يصعد اليه بسلالم كسلالم المنابر . وسلمها الحالى من الخشب المصفح بالفضة اهداه الي الكعبة احد امراء الهند وهو لا يوضع فى مكانه منها الا اذا فتح للزائرين وفى الاحتفالات الكبري وهي لاتزيد عن خمس عشرة مرة فى السنة

وفى الركن الذي علي يسار باب الكعبة الحجر الاسود على ارتفاع متر وخمسين سنتيمترا من ارض المطاف

يسمى العرب زوايا الكعبة بالاركان علي حسب اتجاهاتها فيسمي الشمالي بالركن العراقي . والغربي بالشامي والقبلى باليمانى، والشرقى بالاسود لان به الحجر الاسود، وهو حجر ثقيل بيضي الشكل غير منتظم لونه اسود ضارب الى الحمرة وفيه نقط حمراء وتعاريج صفراء وهي أثر لحام القطع التي كانت تكسرت منه ، قطره نحو ٣٠ سنتيمترا يحيط به اطار من الفضة عرضه ١٠ سنتى مترات والمسافة التى بين ركن الحجر وباب الكعبة يسمونها الملتزم وهو مايلتزمه الطائف فى دعائه واستغاثته

ويخرج من منتصف الحائط الشمالي الغربي من اعلاه الميزاب (المزراب) ويقال له ميزاب الرحمة وهو من عمل الحجاج حتي لا يقف المطر علي سطحها فغيره السلطان سليمان سنة (٩٥٩) بآخر من الفضة وابدله السلطان احمد سنة (١٠٢١) بآخر من الفضة المنقوشة بالميناء الزرقاء تتخللها النقوش الذهبية

وفي سنة (١٢٧٣) ارسل اليها السلطان عبدالمجيد ميزابا من الذهب وهو الموجود بها الآن

وقبالة الميزاب يوجد الحطيم وهو قوس من البناء طرفاه الى زاويتي البيت الشمالية والغربية ويبعدان عنها بمترين وثلاثة سنتيمترات ويبلغ ارتفاعه متراً وسمكه مترا ونصف متر وهو مبطن بالرخام المنقوش وفي محيطه من اعلاه كتابة محفورة. والمسافة بين منتصف هذا القوس من داخله الى منتصف ضلع الكعبة ثمانية امتار واربعة واربعون سنتيمتراً والفضاء الواقع بين الحطيم وحائط البيت وهو مايسمونه بحجر اسماعيل قد كان يدخل منه ثلاثة امتار تقريبا فى الكعبة في بناء ابراهيم ، والباقى كانت زريبة لغنم هاجر وولدها .ويقال ان هاجر واسماعيل

مدفونان به

أما شكل الكعبة من الداخل فمربع مشطور الزاوية الشمالية وبهذه الشطرة باب صغير اسمه باب التوبة يوصل الى سلم صغير يصعد بها سطحها . وبوسطها من الداخل ثلاثة أعمدة من خشب العود عليها مقاصير ترتكز على حافة الميزاب من جهة وحائط الحجر الاسود من جهة أخرى . وهذه الاعمدة موجودة من عهد عبد الله بن الزبير وهي غالية القيمة جدا ويغطي سقف الكعبة وحوائطها من الداخل كسوة من الحرير الوردي عليها مربعات مكتوب فيها (الله جل جلاله) أهداها اليها السلطان عبدالعزيز العثماني وفى قبالة الداخل من الباب محراب كان يصلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم

ويحيط بيناء البيت من الداخل هامش من الرخام المجزع على ارتفاع نحو مترين

وداخل البيت ألواح محفور فيها أسماء من أحدثوا به شيئاً من العمارة ففيها لوحة باسم يوسف بن عمر بن على رسول بتاريخ سنة (٦٨٠) وثانية فيها اسم السلطان محمد العثماني وتشعر بأنه جدد سقف الكعبة سنة (١٠٧٠) ﻫ وثالثة باسم الملك الاشرف ابو النصر برسباي بتاريخ سنة (٨٢٦) ﻫ ورابعة باسم أبو جعفر المنصور المستنصر بالله من خلفاء الفاطميين بمصر سنة (٦٢٩) ﻫ وخامسة باسم السلطان مراد العثماني تؤذن له بأنه جدد عمارة الكعبة سنة (١٠٤٠) ﻫ وسادسة باسم السلطان قايتباي ملك مصر تدل على تجديد داخل الكعبة سنة(٤ ٨)ﻫ ومكتوب على باب التوبة أبيات تشير الى ان أم السلطان مصطفى العثماني أحدثت عمارة بالكعبة سنة (١١٠٩) ﻫ

وبجانب الباب على يسار الداخل خوان من الخشب الاخضر مغطي بالحرير موضوع عليها كيس مفاتيح الكعبة وهو من الاطلس الاخضر المزركش بأسلاك الفضة يأتي اليه سنويا من مصر مع الكسوة الشريفة. ومعلق بسقف البيت شيء كثير من الذخائر التي اهديت للبيت منها عدة مصابيح ذهبية وفضية لا تقل عن مئة مصباح منها مصباحان من الذهب المرصع بالجواهر أهداهما للكعبة السلطان سليمان سنة (٩٨٤) ﻫ

تفتح الكعبة في العاشر من المحرم

للرجال وفي ليلة الحادي عشر منه للنساء وفي ليلة الثاني عشر من ربيع الاول للدعاء للسلطان ولا يدخلها في ذلك اليوم أحد من الزائرين . وتفتح في العشرين من المحرم لتغسل بحضور الشريف والوالي وفي أول جمعة من رجب للرجال وفي تاليه للنساء وفي صباح تاليه للرجال وفي مسائه للنساء ، وفي ليلة النصف من شعبان للدعاء للسلطان وفي صباح تاليه للرجال وفي مسائه للنساء وفي يوم الجمعة الاولى من رمضان للرجال وفي تاليه للنساء وفي التاسع عشر منه للدعاء للسلطان وفي آخر جمعة منه كذلك ، وفي نصف ذي القعدة للرجال وفي تاليه للنساء ، وفي عشرين منه لغسلها وفي الثامن والعشرين منه لاحرامها (أي باحاطتها بقماش أبيض من الخارج على ارتفاع نحو مترين من أرض المطاف) وتفتح في موسم الحج مراراً لمن يزورها من الحجاج في مقابل أجرة يأخذها سدنتها . وتفتح أيضاً في نحو العشرين من ذي الحجة لغسلها

لغسل الكعبة احتفال عظيم يحضره الشريف والوالي والاعيان وعظماء الحجاج فيدخل الشريف في المقدمة فيصلي ركعتين ثم يؤتى بدلاء من ماء زمزم فتغسل أرضها بمكانس صغيرة من الخوص ويسيل الماء من ثقب في عتبتها ثم يغسلها بماء الورد وبعد ذلك يضمخ أرضها وحوائطها على ارتفاع الايدي بأنواع الادهان العطرية وفي أثناء ذلك يكون البخور متصاعداً فيه . ثم يقف الشريف على الباب ويلقي على الحاضرين المكانس التي استخدمها في غسل الكعبة فينهالك الواقفون عليها تهالكاً عظيماً فمن حصل على واحدة منها عدها من الذخائر التي لا تقدر بمال

(منزلة الكعبة قبل الاسلام) كان للكعبة من المنزلة في اعين العرب ما ليس لمعبد غيره اذ كانوا يعتبرونه بيتاً لله. ومن العجيب ان قدم هذا البناء ومقام بانيه حمل الامم الاجنبية عن العرب كالفرس والهنود واليهود والنصارى على تعظيمه

فكان الهنود يقولون ان روح سيفا وهو الاقنوم الثالث من الثالوث البوذي قد حلت في الحجر الاسود حين زار مع زوجته بلاد الحجاز

وكان الصابئة وهم عباد الكواكب من الفرس والكلدانيين يعدونها أحد

البيوت السبعة المعظمة

وكان الفرس من غير الصابئة يحترمون الكعبة أيضاً زاعمين أن روح هرمز حلت فيها وكانوا يحجون اليها

وكان اليهود يحترمون الكعبة ويعبدون الله فيها على دين ابراهيم . وكان بها صور وتماثيل منها تمثالا ابراهيم واسماعيل وبأيديهما الازلام وصورتا العذراء والمسيح وكان للعرب بها ٣٦٠ صنما ويقال ان أول من جعلها بيتاً للاوثان عمرو بن لحي كبير خزاعة حينما ولي أمر البيت ضاهي بذلك مايفعله الوثنيون بهياكلهم

فلما فتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة هدم الاصنام التي بها وطهرها لعبادة الاله الحق وحده

وكان الناس يحجون الى الكعبة من جميع أنحاء البلاد العربية وكانت أشهر الحج عندهم شوالا وذا القعدة وذا الحجة وكانوا يحرمون الشهر الذى يكون فيه الحج وهو ذو الحجة والذى قبله والذى بعده وكانوا يحرمون شهر رجب أيضاً ويسمونه شهر الله الاصم اى الذي لانسمع فيه قعقعة السلاح فكانوا في هذه الشهور الاربعة يلقون السلاح ولا يغزو بعضهم بعضا

وقد أقر الاسلام حرمة هذه الاشهر .

وفي السنة الثانية من الهجرة جعل الله الكعبة قبلة المسلمين وكانوا قبل ذلك يصلون الى بيت المقدس

من مناسك الحج الطواف حول الكعبة سبع مرات ويشترط فيه الطهارة التامة يبدأ الشوط من الحجر الاسود فاذا حاذاه الطائف تقدم اليه فقبله والا توجه اليه وقال: «اللهم اني نويت طواف بيتك المعظم سبعة أشواط فيسرها الى وتقبلها مني» ثم يسير مسلماً بيده قائلا « بسم الله الله اكبر » ويطوف جاعلا الكعبة من يساره والمطاف عبارة عن دائرة بيضية يبلغ قطرها نحو ٥١ متراً من الشمال الي الجنوب ونحو ٤١ متراً من الشرق الغرب وقد حسب أن السبعة الاشواط من الطواف تبلغ نحو ٧٠٠ متر

بعد الطواف يقصد الطائف حجر اسماعيل فيصلى به ركعتين سنة الطواف ثم يختمه بهما وان لم يستطع ففي مقام ابراهيم وهو قبة قامت علي اربعة اعمدة واحاطت بها مقصورة نحاسية مربعة يبلغ طول كل ضلع منها نحو ثلاثة امتار وستين سنتيمتراً هي علي آخر المطاف تجاه باب الكعبة وفي

داخلها الحجر الذي كان يقف عليه ابراهيم حال بناء الكعبة وبه أثر يقال انه أثر قدميه وكان هذا الحجر موضوعا بالمعجن الى جوار الكعبة ثم أبعد عنها بعد الفتح حتي لا تتطرق الوثنية الى الاسلام ودفن بمكانه الحالي وقد بنيت عليه القبة بعد ذلك

ولمقام ابراهيم كسوة من الحرير المطرز بالاسلاك الفضية تأتي اليه سنويا من مصر مع كسوة الكعبة ويتصل بمقصورته من الشرق سقيفة علي طولها بعرض متر وثمانين سنتيمتراً يزدحم الناس فيها ليصلوا ركعتي الطواف ثم يذهبون الى قبة زمزم وباب هذه القبة الي الشرق وفيها بئر زمزم وخرزتها من الرخام الابيض أمر بعملها لها السلطان سليمان العثماني ومن دونها حوض يصب الملاؤن فيها بدلائهم

(كسوة الكعبة) كان العرب يكسون الكعبة من عهد بعيد وأول من كساها تبع أبو بكر اسعد ملك حمير سنة ٢٠ قبل الهجرة كساها بالبرود المطرزة بأسلاك الفضة وتبعه خلفاؤه فكانوا يكسونها بالجلد والقباطي زمناً مديداً . ثم أخذ الناس يكسونها بأردية مختلفة فيضعونها بعضها على بعض وكان اذا بلي منها ثوب وضع عليه سواه الى زمن قصي فوضع علي العرب رفادة لكسوتها سنويا واستمر ذلك في بنيه وكان أبو ربيعة بن المغيرة يكسوها سنة وقبائل قريش تكسوها اخري

وقد كساها النبي صلي الله عليه وسلم بالثياب اليمانية ثم عمرها عثمان وابن الزبير وعبد الملك بن مروان . ولما حج الخليفة العباسي المهدى شكا اليه سدنة الكعبة من تراكم الاكسية على سطح الكعبة وذكروا انه يخشي من سقوطه فأمر برفع تلك الاكسية وابدالها بكسوة واحدة كل سنة فجري العمل على تلك الي الآن

اما كسوتها من الداخل فأول من فعل ذلك ام العباس بن عبد المطلب كستها بالديباج. وكان العباس ابنها قد ضل وهو صغير فنذرت ان هي وجدته لتكسون داخل الكعبة فلما وجدته وفت بنذرها

وكان العباسيون يبالغون في كسوتها فكانوا يكسونها بالحرير الاسود. فلما ضعف أمرهم صار يكسوها تارة ملوك اليمن وأخري ملوك مصر الى أن استقرت في سلاطين مصر فوقف عليها الملك الصالح ابن الملك الناصر بن قلاوون قريتي باسوس

وسنديس من مديرية القليوبية ، ومن ثم صارت ترسل الكسوة الخارجية السوداء اليها وكان كلما يتجدد سلطان يرسل الى الكعبة بكسوة داخلية . من هذا التاريخ صارت كسوة الكعبة ترسل سنويا من مصر وهي ثمانية ستائر من الحرير الاسود المكتوب بالنسيج في كل مكان منه (لااله الا الله محمد رسول الله) وطول الستارة نحو ١٥ متراً ومتوسط عرضها خمسة أمتار وعدة سنتيمترات وكل ستارتين تعلقان على جهة من جهات الكعبة فتربطان من اعلاها في حلقتين من الحديد ثم تربطان احداهما بالاخرى بعرى وازرار فاذا انتهي تشبيكها كلها صارت كالقميص المربع الاسود . ثم يوضع علي محيط الكعبة فوق هذه الستائر فيما دون ثلثها الاعلى حزام يسمى رنكا مركب من اربع قطع مصنوعة من المخيش المذهب مكتوب فيه بالخط الجميل آيات قرآنية . ومكتوب على هذا الحزام من الجهة التي فيها باب الكعبة: « بسم الله الرحمن الرحيم واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود، واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ، ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم»

ومكتوب فى الجهة التي تليها من جهة الحجر الاسود : « بسم الله الرحمن الرحيم. قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين. ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم . » « بسم الله الرحمن الرحيم. واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت ان لاتشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود، وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلي كل ضامر يأتين من كل فج عميق »

ومكتوب فى الجهة المقابلة للمقام المالكي : « ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على مارزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ، ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذرهم وليطوفوا بالبيت العتيق »

كل هذه الآيات كتبت بخط الخطاط

التركي المشهور عبد الله بك زهدي وهي من ابدع الخطوط واجلها ان لم تكن ابدعها واجلها على الاطلاق

الكسوة تعمل بمصر سنويا بدار فسيحة بالخرنفش ومصاريفها تصرف من المالية وميزانيتها ٤٥٠٠ جنيها

ويتبع هذه الكسوة ستارة باب الكعبة من خارجها ويسمونها بالبرقع وستارة باب منبر الحرم الشريف وهي من الاطلس المصنوع بالحيش الذهبي والفضي

ولما تصل الكسوة الى مكة تسلم للشيبي القائم بسدانة الكعبة باشهاد شرعي بحضره الكبراء والعلماء فتبقى في منزله الى صباح يوم عيد النحر فيؤتي بها على أعناق الرجال وتعلق على الكعبة بعد انزال الكسوة القديمة ويكون المسجد خلواً من الناس لان سوادهم يكون بمنى ولا يصبح بمكة الا نفر قليل

أما الكسوة القديمة فيرسل المقصب منها الى شريف مكة واذا كان الحج بالجمعة يرسل الى السلطان وغير المقصب يأخذه الشيبي فيبيعه على الحجاج للتبرك

(المحمل) تاريخ المحمل لايصعد الى مافوق سنة (٦٤٥) ﻫ وأصله أن شجرة الدر ملكت مصر لما حجت تلك السنة ركبت هودجا وعمل لها احتفال حافل فصار بعد ذلك في كل سنة

يعمل للمحمل في مصر يوم خروجه احتفال كبير منذ أيام الدولة الايوبية الي يومنا هذا ، فيسير الجمل الحامل للهودج وحوله وأمامه الجنود الراكبة والراجلة حتي ينتهي الى ميدان القلعة فيكون هنالك الامراء والكبراء فيأتي مأمور الكسوة وبيده زمام الجمل فيسلمه السلطان ويقبله ثم يسلمه الي أمير الحج وعندها تطلق المدافع ويسير الموكب الى العباسية وهنالك يتفرق الناس وينزل ركب المحمل الى خيامهم في فضاء العباسية وينصب المحمل في وسط ساحتها ليزوره من يريد التبرك به. ثم يقوم من العباسية الى السويس علي قطار خاص ومنها الى جدة فمكة

للمحمل المصري كسوتان كسوته اليومية وهي القماش الاخضر وكسوته المزركشة ولا توضع عليه الا يوم الاحتفالات

وعند وصول المحمل الى المدينة المنورة يدخلها باحتفال كبير من باب العنبرية وهنالك تطلق له المدافع حتي اذا وصل

الي الباب المصري ترجل كل من في موكبه
اجلالا لمقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاذا وصلوا الى باب السلام آتي شيخ الحرم
واستلم زمام الجمل واصعده على سلم الباب
وأناخه على تلك الصدفة الواسعة وهنالك
يرفع المحمل ويوضع في مكانه من الحرم
غرب المنبر وترفع كسوته المزركشة ويضعون
عليه الكسوة الخضراء ويلبس أمير الحاج
ومن معه من الموظفين لباس الخدمة في
الحجرة النبوية وهي عمامة وفرجية بيضاء
مشدود عليها حزام ابيض ثم يحملون
كسوة المحمل ويدخلونها في الحجرة الشريفة
من الباب الشامي ويتركونها في جانب من
ساحة مقام السيدة فاطمة بنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم . ولا تزال بالحجرة
الشريفة حتي يخرجوها يوم سفر المحمل
من المدينة المنورة في موكب حافل

وعند عودة المحمل تحتفل الحكومة
به رسميا فيسير من العباسية الى القلعة الي
المصطبة وهناك يستلم الملك من أمير
الحاج زمام الجمل ويسلمه الى مأمور
تشغيل الكسوة وعندها تطلق المدافع ويتم
الاحتفال وتحفظ كسوة المحمل بمخزن في
المالية . وهذه الكسوة تجدد كل عشرين
سنة مرة ويبلغ تكاليفها نحو ١٥٠٠٠ جنيه

اما الكسوة الخضراء فتعمل له سنويا
بعد عودته الى ضريح سيدي يونس السعدي
(بجبانة باب النصر) ويظن ان السعدى
المذكور كان عاملا في خدمة المحمل

اليك بيان مايصرف على المحمل من
المالية سنويا في سبيل تسفيره والمرتبات التي
تصرف في مكة والمدينة

جنيه	
١٢٨٣	مرتبات وتعيينات لامير الحج ومستخدمي المحمل
٢٥٩١	مرتبات العربان
١٤٩٣	« الاشراف بمكة والمدينة
١٠٦١	« تكية مكة
١٦٥٧	« تكية المدينة
٢٨٧٩	« اهالى مكة والمدينة
٣٠٠٠	« لمكة والمدينة تصرف سنويا من أوقاف الحرمين والاوقاف الخصوصية
٢٢٥٠٠	ثمن ومصاريف قمح الصدقة بمكة والمدينة
١٦٢٩	شمع وقناديل للحرمين
١٥٥	خيام وقرب وغيرها
٤٢٤٨	أجرة منقولات برا وبحرا

جنيه

	وأجر
٦٤٢٠	قيمة مايرسل كل سنة الى الحرمين من الزيوت وغيره من وزارة الاوقاف
٢٦٥	مصاريف متنوعة
٥٠٠٠٠	المجموع

واقد كان للمحمل شأن أكبر من هذا الشأن في زمن دولة الفاطميين فقد كانوا ينفقون عليه مثني الف دينار

وكانت وظيفة أمير الحج في المرتبة الثالثة من مراتب الدولة وكان صاحبها في عهد المماليك مرشحا لان يكون حاكما للقاهرة وكانت أكبر وظيفة بعد وظيفة السلطان وكانت هذه الوظيفة دائما يصدر بها فرمان سلطاني ، وكان لمتوليها الكلمة النافذة في الحجاز فكان له عزل الشريف وتعيين بدله

وقد بلغ من اكبار ملوك دولة المماليك للمحمل أنهم قضوا على جميع حكام البلاد التي كان يمر عليها في طريقه بأن يقبلوا خف جمل المحمل عند استقباله وبقى أمراء مكة يقبلونه الي ان اعفاهم من ذلك السلطان جقمق في سنة (٨١٣) هـ

وكان للمحمل المصرى شأن أكبر من شأنه الآن الى نهاية حكم المرحوم اسماعيل باشا فكانوا يحتفلون بسفره وايابه احتفالا عظيما جداً حتى انه عند ايابه كانوا يبلون السكر فيسقون منه الرائحين والغادين ثلاثة أيام . وكان يسافر في خدمته غير مستخدميه من امير وامين صرة وكتبة وصيارف كثير من الخدم والحشم والعكامة والجمالة والفراشية والنجارين والفراشين والخيمية والسقايين

وكان ضمن وظائف المحمل وظيفة اسمها امين الكساوى والحلواء ومن شأنه توزيع الحلواء والكساوى التى كانت ترسل للعرب واستعيض عنها الآن بأثمانها

وكان يخرج معه موظف باسم مأمور الذخيرة فى عهدته البقسماط الذي كان يؤخذ لما عساه أن يحصل في الايام غير المعتادة من المجاعة للصرف منها علي الحجاج عند الضرورة

وكان من ضمن خدمته رجل يقال له شيخ الجمل وآخر اسمه أبو القطط ثم سائس المرجلة (المركلة) ومقدم العيط ثم سواق المقاطيع. وكانت وظيفة الاول أن يشتري الجمال اللازمة للمحمل ويركب وراء جمل

المحمل في موكبه لملاحظته في سيره من الخلف كما يلاحظ المحاملي في سيره من الامام . اما الثاني فكما يقال كان يقوم بغذاء القطط التي كانت تتبع رحل المحمل مدة سفره في البر ويقال ان هذا كان اسمه اما وظيفته فهي التي غيروها بامام المحمل.أما الثالث فقدكان رئيساً للضوية والعكامة يستدعيهم حينما تكون هناك حركة هامة والرابع كان يباشر الذين يقعد بهم المرض أو الفقر عن الاستمرار مع الركب وجميع هؤلاء كان تعيينهم بفرمانات خاصة ولهم مرتبات من عهد بعيد وقد استغني الآن عن أكثرهم مع صرف مرتباتهم اليهم كما كانت

وكان للمحمل عشرون جملا وكان لها مناخ في بولاق بجوار شيخ اسمه سيدى سعيد . وكانت الحكومة في الزمن السابق تشترى مع هذه الجمال جملا تجعله فداء عنها كل سنة . فيأتي به الجمالة موكب الحج ويركبون عليه شيخ المحمل ويسيرون به ومعهم العكامة والضوية وامامهم الفرايحية يحيط بهم الوف الغوغاء يمرون في القاهرة ثم يذهبون الى باب الشيخ سعيد ويذبحونه هناك ويأخذ المحاملي ربعه والجمال ربعه وخدمة الشيخ سعيد ربعه وخدمة الشيخ يونس الربع الباقي وكانوا يبيعون لحمه الى الناس على سبيل البركة مدعين ان لحمه ينفع من الصداع وشحمه للبواسير .لهذا فانهم ما كانوا يلقون به الى الارض لذبحه حتي تهجم عليه العامة فيقطعونه اربا اربا وهو حي قبل أن يذبح

لما بلغ سمو الخديو السابق هذا الامر أمر بابطاله ودفع ثمن الجمل سنويا الى مستحقيه

نقلنا هذه التفصيلات من كتاب الرحلة الحجارية لحضرة الالمعي محمد لبيب بك البتنوني

﴿ كعب بن زهير ﴾ كان أبوه زهير ابن أبي سلمي الشاعر الكبير صاحب المعلقة المشهورة فنشأ ابنه على قدم أبيه في الشعر أدرك الاسلام وهو يعتبر من فحول الشعراء كان الحطيئة الشاعر المشهور راوية لزهير أبي كعب فجاء الي كعب يوما وقال له يا كعب قد علمت روايتي لكم أهل البيت وانقطاعي اليكم وقد ذهب الفحول غيرى وغيرك فلو قلت شعراً تذكر فيه نفسك وتضعني موضعا بعدك ، فان الناس لاشعاركم اروى واليها اسرع ، فقال كعب :

فمن للقوافي شأنها من يحوكها
اذا ما ثوى كعب وفوز جرول
يقول فلا تعيا بشيء تقوله
ومن قائليها من يسيء ويعجل
كفيتك لا تلقى من الناس واحداً
تنحل منها مثل ما يتنحل
يثقفها حين تلين متونها
فيقصر عنها كل ما يتمثل

وجرول لقب الحطيئة

روى اسحق بن الجصاص قال قال زهير بيتاً ونصف بيت ثم اكدى فمر به النابغة فقال له يا أبا امامة اجز فقال وما قلت ؟ قال قلت :

تزيد الارض اما مت خفا
وتحيا ان حييت بها ثقيلا
نزلت بمستقر العرض منها
. . . . . .

ثم قال له زهير أجز . قال فأكدى والله النابغة ، واقبل كعب بن زهير وانه لغلام فقال أبوه أجز يا بني . فقال وما أجيز فأنشده . فأجاز نصف البيت فقال : (وتمنع جانبيها أن يزولا)

فضمه زهير اليه وقال اشهد انك ابني

قال ابن الاعرابي قال حماد الراوية تحرك كعب بن زهير وهو يتكلم بالشعر فكان زهير ينهاه مخافة أن يكون لم يستحكم شعره فيروى له ما لا خير فيه فكان يضربه في ذلك فكلما ضربه يزيد فيه فغلبه فطال عليه ذلك فأخذه وحبسه فقال والذي احلف به لا تتكلم ببيت شعر الا ضربتك ضرباً ينكلك عن ذلك . فمكث محبوساً عدة أيام ثم أخبر انه يتكلم به فدعاه فضربه ضرباً شديداً ثم أطلقه وسرحه في بهمة وهو غليم صغير فانطلق فرحاً ثم راح عشية وهو يرتجز :

كأنما أحدو ببهمي عيرا
من القرى موقرة شعيرا

فخرج اليه زهير وهو غضبان فدعا بناقته فكفلها بكسائه ثم قعد عليها حتى انتهى الى ابنه كعب فأخذ بيده فأردفه خلفه ثم خرج فضرب ناقته وهو يريد أن يبعث ابنه كعبا ليعلم ما عنده من الشعر فقال زهير حين برز الى الحي :

واني لتعديني على الحي جسرة
تخب بوصال صروم وتعنق

ثم ضرب كعبا وقال له اجز يا لكع فقال كعب :

كبنيانة القرى موضع رحلها
وآثار نسعيها من الدف ابلق
فقال زهير :
علي لاحب مثل المجرة خلته
اذا ما علا نشزاً من الارض مهرق
أجز يالكع فقال كعب:
منير هداه ليـله كنهاره
جميع اذا يعلو الحزونة افرق
قال فتبدي زهير في نعت النعـام
وترك الابل ، يتعسفه عمدا ليعلم ما عنده
وقال :
وظل بوعساء الكثيب كأنه
خباء علي صقبي بوان مروق
صقبي بوان عمود من اعمدة البيت
فقال كعب :
تراخي به حب الضحاء وقد رأى
سماوة قشراء الوظيفين عوهق
فقال زهير :
تحن الى مثل الحبابير جثم
لدي منتج من قيضها المتفلق
الحبابير جمع حباري فقال كعبـ :
تحطم عنها قيضها عن خراطم
وعن حدق كالنبخ لم يتفتق
الخراطيم هنا المراد بها المناقير والنبخ

الجدري شبه اعين ولد النعامة به . قال فأخذ زهير بيد ابنه كعب ثم قال له قد أذنت لك في الشعر يا بني. فلما نزل كعب وانتهي الي اهله وهو صغير يومئذ قال :
ابيت فلا اهجو الصديق ومن يبع
بعرض ابيه في المعاشر ينفق
قال وهي اول قصيدة قالها :
قال ابوزيد عمرو بن شبه ان زهيرا كان نظارا متوقيا وانه رأى في منامه آتيا اتاه فحمله الى السماء حتي كاد يمسها بيده ثم تركه فهوى الى الارض فلما احتضر قص رؤياه علي ولده، وقال واني لاأشـك انه كائن من خبر السماء بعدى شيء، فان كان فتمسكوا به وسارعوا اليه . فلما بعث النبي عليه السلام خرج اليه بجير بن زهير اخو كعب فأسلم ثم رجع فى بلاد قومه فلما هاجر رسول الله صلي الله عليه وسلم اتاه بجير بالمدينة وكان من خيار المسلمين شهد يوم الفتح مع رسول الله ويوم خيبر ويوم حنين وقال في ذلك :
صبحناهم بالف من سليم
والف من بني عثمان واف
فرحنا والجياد تجول فيهم
بارماح مثقفة خفاف

وفي أكتافهم طعن وضرب
ورشق بالمريشة اللطاف

وروى في اسلام كعب وبجير انهما خرجا الي رسول الله صلي الله عليه وسلم حتي بلغا أبرق العزاف، فقال كعب لبجير إلحق الرجل وأنا مقيم ههنا فانظر مايقول فقدم بجير على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع منه وأسلم . وبلغ ذلك كعبا فقال :

ألاأبلغاعني بجيرا رسالة
على اي شيء ويب غيرك دلكا
علي خلق لم تلف اما ولا ابا
عليه ولم يدرك عليه اخا لكا
سقاك ابو بكر بكأس روية
فانهلك المأمون منها وعلكا

يقول له على اى شيء دلك ويلك؟ اقد دلك على أخلاق لم تجد عليها امك ولا اباك ولا اخاك الخ

قال فبلغت ابياته هذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاهدر دمه ، وقال من لقي منك كعب بن زهير فليقتله ، فكتب اليه اخوه بجير يخبره . وقال انجه وما أراك بمفلت، وكتب اليه بعد ذلك يأمره ان يسلم ويقبل الى رسول الله صلي الله عليه وسلم ويقول ان من شهد ان لااله الا الله وان محمدا رسول الله قبل النبي ذلك منه واسقط ما كان قبل

فلما بلغه كتاب اخيه هذا اتي الى بني مزينة قبيلته لتجيره من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبت عليه ذلك، فحينئذ ضاقت عليه الارض واشفق على نفسه ، وارجف به من كان يعاديه فقالوا هو مقتول

فلم ير بدأ من القدوم على رسول الله صلي الله عليه وسلم فأقبل حتي أناخ راحلته بباب مسجد رسول الله صلي الله عليه وسلم وكان مجلسه من اصحابه مكان المائدة من القوم حلقة ثم حلقة وهو وسطهم فيقبل على هؤلاء يحدثهم ثم على هؤلاء ثم على هؤلاء فأقبل كعب حتي دخل المسجد فتخطي حتي جلس الى رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال يارسول الله الامان قال ومن أنت ؟ قال كعب بن زهير ؟ قال انت الذي يقول ؟ كيف قال ياأبا بكر ؟ فأنشده حتي بلغ الى قوله :

سقاك ابو بكر بكأس روية
وانهلك المأمون منها وعلكا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مأمون والله . عند ذلك اندفع كعب بن زهير ينشده لاميته المشهورة مادحاله وهي:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول
متيم أثرها لم يُفدَ مكبول
وما سعاد غداة البين اذ رحلوا
الا أغن غضيض الطرف مكحول
هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة
لا يُشتكي قصر منها ولا طول
تجلو عوارض ذي ظلم اذا ابتسمت
كأنه منهل بالراح معلول
شجت بذي شبم من ماء محنية
صاف بأبطح أضحي وهو مشمول
تنفي الرياح القذى عنه وافرطه
من صوب سارية بيض يعاليل
أكرِمْ بها خلة لو انها صدقت
موعودها ولو ان النصح مقبول
لكنها خله قد سيط من دمها
فجع وولع واخلاف وتبديل
فما تدوم على حال تدوم بها
كما تلوّن في أثوابها الغول
ولا تَمسّكُ بالعهد الذي زعمت
الا كما يُمسك الماء الغرابيل
فلا يغرنك مامنت وما وعدت
ان الامانيّ والاحلام تضليل
كانت مواعيد عرقوب لها مثلا
وما مواعيدها الا الاباطيل
ارجو وآمل ان تدنو مودتها
وما إخال لدينا منك تنويل
امست سعاد بأرض لا يبلغها
الا العتاق النجيبات المراسيل
ولن يبلغها الا عُذافرة
لها على الأين إرقال وتبغيل
من كل نضّاخة الذِفرى اذا عرقت
عرضتها طامس الاعلام مجهول
ترمي الغيوب بعيني مفرد لهق
اذا توقدت الحزّان والميل
ضخم مُقلدها فعْم مقيَّدها
في خَلقها عن بنات الفحل تفضيل
علباء وجناء علكوم مذكرة
في دفها سعة قدامها ميل
وجلدها من أطوم لا يؤيسه
طلح بضاحية المتنين مهزول
حرف اخوها أبوها من مهجنة
وعمها خالها وجناء شمليل
يمشي القراد عليها ثم يزلقه
منها لبان وأقراب زهاليل
عيرانة قذفت بالنحض عن عُرُض
مرفقها عن بنات الزور مفتول
كأنما فات عينيها ومذبحها
عن خطمها ومن اللحيين برطيل

تمر مثل عسيب النخل ذا خصل
في غارز لم تخونه الاحاليل
قنواء في حرتيها للبصير بها
عتق مبين وفي الخدين تسهيل
تحذى علي يسرات وهي لاحقة
ذوابل مسهن الارض تحليل
سمر العجابات يتركن الحصى زيما
لم يقهن رؤوس الأكم تنعيل
كأن اوب ذراعيها اذا عرفت
وقد تلفع بالكور العساقيل
يوما يظل به الحرباء مصطخدا
كأن صاحبه بالشمس مملول
وقال للقوم حاديهم وقد جعلت
ورق الجنادب يركضن الحصا قيلوا
شد النهار ذراعا عيطل نصف
قامت فجاوبها نكد مثاكيل
نواحة رخوة الضبعين ليس لها
لما نعى بكرها الناعون معقول
تفري اللبان بكفيها ومدرعها
مشقق عن تراقيها رعابيل
تسعي الوشاة جانبيها وقولهم
انك يا ابن ابي سلمي لمقتول
وقال كل خليل كنت آمله
لا ألهينك اني عنك مشغول
فقلت خلوا سبيلي لا أبا لكم
فكل ما قدر الرحمن مفعول
كل ابن أنثي وان طالت سلامته
يوما علي آلة حدباء محمول
انبئت ان رسول الله اوعدني
والعفو عند رسول الله مأمول
مهلا هداك الذي اعطاك نافلة ا
لقرآن فيها مواعيظ وتفصيل
لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم
أذنب وان كثرت فيَّ الاقاويل
لقد أقوم مقاما لو أقوم به
اري واسمع ما لم يسمع الفيل
لظل يرعد الا ان يكون له
من الرسول باذن الله تنويل
حتي وضعت يميني لا انازعه
في كف ذي نقمات قيله القيل
كذاك اهيب عندي اذ اكلمه
وقيل انك منسوب ومسؤل
من خادر من ليوث الاسد مسكنه
من بطن عثر غيل دونه غيل
يغدو فيلحم ضرغامين عيشهما
لحم من القوم معفور خراديل
اذا يساور قرنا لا يحل له
ان يترك القرن الا وهو مفلول

منه تظل سباع الجو ضامرة
ولا تمشي بواديه الاراجيل
ولا يزال بواديه اخو ثقة
مطرح البز والدرسان مأمول
ان الرسول لسيف يستضاء به
مهند من سيوف الهند مسلول
في فتية من قريش قال قائلهم
ببطن مكة لما أسلموا زولوا
زالوا فما زال انكاس ولا كشف
عند اللقاء ولا ميل معازيل
فلما انتهى الشاعر الى هنا أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الناس ان يصغوا الي شعر كعب بن زهير. فاندفع يتمم القصيدة فقال :
شم العرانين ابطال لبوسهم
من نسج داود في الهيجا سرابيل
بيض سوابغ قد شكت لها حلق
كأنها حلق القفعاء مجدول
يمشون مشي الجمال الزهر يعصمهم
ضرب اذا عرد السود التنابيل
لا يفرحون اذا نالت رماحهم
قوما وليسوا مجازيعا اذا نيلوا
لا يقع الطعن الا في نحورهم
وما لهم من حياض الموت تهليل

قال الرواة وعرض بالانصار في قصيدته هذه في عدة مواضع منها قوله :
كانت مواعيد عرقوب لها مثلا
وما مواعيدها الا الاباطيل
وعرقوب رجل من الأوس؟ فلما سمع المهاجرون ذلك قالوا ما مدحنا من هجا الانصار فأنكروا قوله وعوتب على ذلك فقال :
من سره كرم الحياة فلا يزل
في مقنب من صالحي الانصار
الباذلين نفوسهم لنبيهم
عند الهياج وسطوة الجبار
والناظرين بأعين محمرة
كالجمر غير كليلة الابصار
والضاربين الناس عن أديانهم
بالمشرفي وبالقنا الخطار
يتطهرون يرونه نسكا لهم
بدماء من علقوا من الكفار
صدموا الكتيبة يوم بدر صدمة
ذلت لوقعتها رقاب نزار
توفي كعب بن زهير سنة (٢٤)

﴿ كعب الاحبار ﴾ كان أحد كبار احبار اليهود في عصر النبي صلى الله عليه وسلم ثم اخذ يتردد عليه فمال الى الاسلام

ولكنه أرجأ اسلامه رسميا حتى يتحقق من سائر العلامات التي كان يجدها فى كتب قومه عن النبي العربي واصحابه فلما انتهي أمر الخلافة الي عثمان رأي ان تلك البشارات قد تحققت فأعلن اسلامه

اما ابو بن كعب فكان حبراً من أحبار اليهود ايضا ولكنه سبق كعبا باعلان اسلامه في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من اجلاء الصحابة

﴿ الكعبية ﴾ فرقة من فرق المسلمين أتباع أبي القاسم عبدالله بن احمد بن محمود البلخي المعروف بالكعبي فكانوا شعبة من القدرية خالفوا البصريين من المعتزلة في امور كثيرة فكانوا يقولون بأن الله لا يرى نفسه ولا خلقه الا على معنى علمه بنفسه وبغيره وتابعوا النظام في قوله الله لا يرى شيأ في الحقيقة . وقالوا أيضا ان الله لا يسمع شيأ علي معنى الادراك المسمى بالسمع وتأولوا وصفه بالسميع البصير على معني انه عليم بالمسموعات التى يسمعها غيره والمرئيات التي يراها غيره

وقالوا ايضا ان الله ليست له ارادة على الحقيقة فاذا قيل ان الله أراد شيأ من فعله فمعناه انه فعله ، واذا قيل انه اراد من عباده فعلا فمعناه انه أمر به . وقالوا ان وصفه بالارادة في الوجهين جميعا مجاز كما ان وصف الجدار بالارادة في قوله تعالى (جداراً يريد أن ينقض فأقامه) مجاز

وقد أوجبوا على الله فعل الاصلح فى باب التكليف . وقالوا ان الاستطاعة هى صحة البدن وسلامته

﴿ الكَعْك ﴾ خبز يعمل مستديرا واحدته كعكة جمعها كعكات

﴿ كفأه ﴾ يكفأه كفأ جرفه وكبه و (كافأه على كذا) جاراه . و (أكفأ) مال . و (أكفأه) أماله . و (انكفأ) رجع . و (الكفاءة) الاهلية و (الكفؤ) المثل . و (الكفوء) المماثل . و (الاكفاء) فى الشعر ان يخالف الشاعر بين قوافيه فيجعل بعضها الفا وبعضها جيا الخ

﴿ كفَتَه ﴾ يكفِته كفتا صرفه عن وجهه . و (الكِفات) الموضع يكفت فيه أو اسم لما يضم

﴿ كفَحه ﴾ بالعصا يكفَحه كفحا ضربه . و (كافحه) واجهه واستقبله في الحرب . و (تكافحوا) تضاربوا

﴿ كَفَر ﴾ الرجل يكفُر كُفرا وكَفرا ضد آمن و (كفر بالنعمة

كفورا) جحدها. و (كفر الشيء يكفره) ستره. و (كفّر الله ذنبه) محاه. و (كفّر عن يمينه) اعطي عنه الكفارة. و (اكفر زيداً) دعاه كافراً. و (الكفر) الارض البعيدة عن الناس (الكفّارة) ما كفر به عن الذنب من صدقة أو صوم ونحوهما

﴿ بلاد الكفر ﴾ يطلق هذا الاسم على قسم من الساحل الشرقي الافريقي من جنوب نهر الزامبيز. ويمكن تمييز بلاد الكفر الانجليزية التي ألحقت بمستعمرة الكاب سنة ١٨٤٧ من بلاد الكفر الاصلية وهي بين بلاد الكفر الانجليزية والناتال. وقد ألحقت هي أيضا بمستعمرة الكاب سنة ١٨٧٥ ١٨٧٦

﴿ الكفريون ﴾ هم جيل من الناس سود الالوان من اهل افريقا الجنوبية يسكنون القسم الشرقي من مستعمرة الكاب الانجليزية، وقد امتدوا في هذه الايام الى جهة الشمال بحيث قد بعدوا عن بلادهم الاصلية

الكفريون ويسمون ايضا اماكوزاً يؤلفون قبيلة من طائفة الزولوس ولكن لهم لهجة خاصة بهم

﴿ الكفراوي ﴾ هو الشيخ حسن الكفراوي صاحب الشرح المشهور على الآجرومية. توفي سنة (١٢٠٢)

﴿ كفّ ﴾ الثوب يكفّه كفاً خاط حاشيته وهي الخياطة الثانية بعد الشل و (كُفّ بصره و كُفّ) عمي و (كفّه عنه فكفّ) اى منعه فامتنع و (تكفّف الناس) مد كفه اليهم بالسؤال. و (الكفّ) مطاوع كفّ) و (جاء الناس كافة) اي كلهم . ويقال (هو كفافه) اى مثله و (الكفاف) من الرزق ما يغني صاحبه عن السؤال. و (الكفّ) اليد او الي الكوع و (الكِفّة) من الميزان التي يجعل فيها الشيء الموزون و (الكفيف) الاعمى

﴿ كفكفه ﴾ عنه دفعه ومنعه . و (تكفكف عنه) انصرف عنه

﴿ كفَل ﴾ الرجل والصغير يكفُله كفلا وكفالة عاله وانفق عليه . و (كفل عنه بالمال لغريمه) ضمنه . و (كفّله) عاله وانفق عليه. و (كفّله اياه) ضمنه اياه. و (كافله) كان مكافلا له . و (اكفله اياه) ضمنه اياه قال تعالى : (فقال اكفلنيها وعزني في الخطاب) اى ملكنيها واجعلني أكفلها. و (تكفّل له به) ضمنه له . و (تكافلوا) كفل

بعضهم بعضا . و (الكَفالة) الضمانة جمعه كَفالات.و(الكِفْل) الضعيف من الاجر و(الكَفَل) العجز وقيل ردفه جمعه أكفال و (الكَفيل) الضامن

﴿ كَفَن ﴾ الميت يكفِنه وضع عليه الكفن. و (كفّنه) مثله

﴿ التكفين ﴾ تكفين الميت واجب بالاتفاق مقدم على أداء الدين والورثة واقله ثوب يعم الميت

والمستحب عند الشافعي ومالك واحمد ان يكفن الرجل في ثلاثة اثواب وهي لفائف

وقال ابو حنيفة ازار ورداء وقميص والمستحب البياض . والمستحب للمرأة خمسة اثواب

قال مالك ليس للكفن حد وانما الواجب ستر الميت وتكفين المرأة في العصفر والمزعفر والحرير مكروه عند الشافعي واحمد . وليس بمكروه عند أبي حنيفة

﴿ كفهر ﴾ اكْفَهَرَّ النجم بدا وجهه وضوءه في شدة الظلمة.و (اكْفَهَر الليل) اشتدت ظلمته

﴿ كَفَى ﴾ الشيء يكفِي كفاية استغنى به . (والمكافأة) مقابلة الاحسان بمثله

﴿ كلأه ﴾ الله يكلأه كلأ وكلاءة حفظه وحرسه .و(كَلِئت الارض تكلأ كلأ) كثر بها الكلأ . و (الكَلأ) العشب

﴿ كَلِب ﴾ الكلب يكلَب كلَبا اصابه الكَلَب فهو كلِب و (كلب عليه) ألح عليه.و(كُلِب الرجل) ذهب عقله من عضة الكلب.و(كلّب الكلبَ) علمه الصيد و (كالبه) شارّه وضايقه . و (تكالبوا) تجاهروا بالعداوة

﴿ الكلب ﴾ تطلق هذه الكلمة علي كل سبع عقور ولكنها غلبت علي الكلب المعروف . وهو من الحيوانات ذات الخلال الحسنة واظهر مافيه من تلك الخلال خلة الوفاء لصاحبه والقيام على ماله وملازمة داره والذود عنه بنفسه

تعرف من الكلاب اصناف عديدة تختلف حجما وصورة والذي يميز الكلب الوحشي من المستأنس ان الاول لاينبح ولكنه يصوت كما يصوت الثعلب

الكلب المستأنس قديم العهد بالانس بالانسان فقد صحبه من لدن

عصر الحجر المصقول قبل التاريخ كما ثبت ذلك علميا . ويوجد منه الآن عند جميع الشعوب المتوحشة وهو شديد النهم يحب اللحم وقد يقنع بالخبز متي لم يجد غيره وله معدة قوية جداً تهضم العظام وهو ذكي جداً ومحب لسيده . يجري مسافات شاسعة بدون كلال ويحسن السباحة وهو قليل العرق ويظهر انه لو كان محروراً سال عرقه من اسنانه

وهو شديد الحس بالشم ولا يبلغ مبلغه فى ذلك غيره من الحيوانات . تحمل أنثاه ٦٣ يوماً وتلد من جروين الي اثني عشر جرواً . ويبلغ الجرو أشده فى سنتين ولا يزيد عمر الكلب عن ٢٠ سنة

وقال عنه الدميري في حياة الحيوان الكلب حيوان شديد الرياضة كثير الوفاء وهو لاسبع ولا بهيمة حتى كأنه من الخلق المركب لانه لو تم له طباع السبع ماألف الناس ولو تم له طباع البهيمة ما أكل لحم الحيوان لكن في الحديث اطلاق البهيمة عليه

ثم قال الدميرى : وهو نوعان أهلي وسلوقي نسبة الى سلوق وهي مدينة باليمن تنسب اليها الكلاب السلوقية وكلا النوعين فى الطبع سواء . وفي طبعه الاحتلام وتحيض اناثه وتحمل الانثى ستين يوما ومنها ماتقل عن ذلك وتضع جراءها عميا فلا تفتح عيونها الا بعد ١٢ يوما . والذكور تهيج قبل الاناث وهى تنزو اذا كمل لها سنة وربما تسفد قبل ذلك. واذا أسفد الكلبة كلاب مختلفة الالوان أدت الي كل كلب شبهه وفى الكلب من اقتفاء الاثر وشم الرائحة ماليس لغيره من الحيوانات . والجيفة أحب اليه من اللحم الغريض ويأكل العذرة ويرجع في قيئه وبينه وبين الضبع عداوة شديدة

الى ان قال : وهو أيقظ الحيوانات عينا في وقت حاجته الي النوم وانما غالب نومه نهارا عند الاستغناء عن الحراسة وهو في نومه أسمع من فرس وأحذر من عقعق واذا نام كسر أجفان عينيه ولا يطبقها وذلك لخفة نومه

ومن عجيب طباعه انه يكرم الجلة من الناس وأهل الوجاهة ولا ينبح أحداً منهم وربما حاد عن طريقه وينبح الاسود من الناس والدنس الثياب والضعيف الحال ومن طباعه البصبصة بذنبه والترضي والتودد والتألف بحيث اذا دعي بعد الضرب

والطرد رجع، واذا لاعبه ربه عضه العض الذي لا يؤلم واضراسه لو انشبها في الحجر لنشبت ويقبل التأديب والتلقين والتعليم حتي لو وضعت على رأسه مسرجة وطرح له مأكول لم يلتفت اليه مادام علي تلك الحالة فاذا أخذت المسرجة عن رأسه وثب الى مأكوله وتعرض له أمراض سوداوية في زمن مخصوص

ويعرض له الكلب وهو داء يشبه الجنون وعلامة ذلك ان تحمر عيناه وتعلوهما غشارة وتسترخي أذناه ويندلع لسانه ويكثر لعابه وسيلان أنفه ويطأطيء رأسه ويتحدب ظهره ويتعوج صلبه الى جانبه ولا يزال يدخل ذنبه بين رجليه ويمشي خائفا مغموما كأنه سكران ويجوع فلا يأكل ويعطش فلا يشرب وربما رأى الماء فيفزع منه وربما يموت خوفا واذا لاح له شبح حمل عليه من غير نبح والكلاب تهرب منه فان دنا منها غفلة بصبصت له وخضعت وخشعت بين يديه، فاذا عض هذا الكلب انسانا عرض له أمراض رديئة، منها انه يمتنع من شرب الماء حتي يهلك عطشا، ولا يزال يستقي حتي اذا سقي الماء لم يشربه فاذا استحكمت هذه العلة به فقعد للبول خرج منه شيء على هيئة الكلاب الصغار (؟)

قال صاحب الموجز في الطب الكلب حالة كالجذام تعرض للكلب والذئب وابن آوي وابن عرس والثعلب. ثم ذكر غالب ماتقدم

وقال غيره الكلب جنون يصيب الكلاب فتموت وتقتل كل شيء عضته الا الانسان فانه قد يعالج فيسلم

قال وداء الكلب يعرض للحمار ويقع في الابل ايضا فيقال كلبت الابل تكلب كلبا. وأكلب القوم اذا وقع في ابلهم يقال كلب الكلب واستكلب اذا ضري أو تعود أكل الناس انتهي

وقال ابن عباس رضي الله عنه: كلب أمين خير من صاحب خؤن

وكان للحرث بن صعصعة ندماء لا يفارقهم فخرج في بعض متنزهاته ومعه ندماؤه فتخلف منهم واحد فدخل على زوجته فوثب الكلب عليهما فقتلهما فلما رجع الحرث الى منزله وجدهما قتيلين فعرف الامر فأنشأ يقول :

وما زال يرعي ذمتي ويحوطني
ويحفظ عرسي والخليل يخون

فياعجبا للخل يهتك حرمتي
ويا عجباً للكلب كيف يصون

وقال الفقيه منصور اليمني الشافعي الضرير في الكلب:

الكلب احسن عشرة
وهو النهاية في الخساسة
ممن ينازع في الريا
سة قبل إبان الرياسة

ويروي للشافعي رضى الله عنه:

ليت الكلاب لنا كانت مجاورة
وليتنا لا نري ممن نرى احدا
ان الكلاب لتهدا في مرابضها
والناس ليس بهاد شرهم أبدا

وقال ابو نواس في الكلب:

أنعت كلبا أهله في كده
قد سعدت جدودهم بجده
فكل خير عندهم من عنده
وكل رفد نالهم من رفده
يظل مولاه كعبد عبده
يبيت أدني صاحب من فهده
اذ عري جلله ببرده
ذا غرة محجلا بزنده
يلذ منه العين حسن قده
يا حسن شدقيه وطول خده

(فقه) الكلاب كلها نجسة المعلمة وغيرها الصغير والكبير وبه قال الاوزاعي وأبو حنيفة واحمد بن حنبل واسحق وأبو ثور وأبو عبيدة ولا فرق بين الكلب المأذون في اقتنائه وغيره ولا بين كلب البدوى والحضري

وقال الزهرى ومالك بن أنس وداود الظاهري انه طاهر وانما يغسل الاناء من ولوغه تعبداً

ويحكي هذا أيضاً عن الحسن البصري وعروة بن الزبير محتجين بقوله تعالى: «فكلوا مما أمسكن عليكم» ولم يذكر غسل موضع امساكها، وبحديث ابن عمر قال: «كانت الكلاب تقبل وتدبر في مسجد رسول الله صلي الله عليه وسلم وتبول فلم يكونوا يرشون شيئا من ذلك» ذكره البخارى في صحيحه

ولكن الحاكمين بنجاسة الكلب قالوا لعل حديث ابن عمر كان قبل الامر بالغسل من ولوغ الكلب أو ان بولها خفي مكانه فمن تيقنه لزمه غسله

﴿داء الكَلَب﴾ هو داء قاتل يصيب الكلب والقط وما يشبههما وهو يعدى سائر الحيوانات ويعدي الانسان ايضا بواسطة

العض

ويعلم الكلب الكَلِب بأنه يكون مضطربا كئيبا ذيله مرخي وحنكه مفتوح ولسانه أحمر مدلى يستشيط غضبا عند رؤية كلب غيره ويأكل كل ما يصادفه ثم يعتريه ارتجاف ثم ضعف ثم يموت

متي عض كلب كَلِب انسانا فليس بمحتم أن يصاب بداء الكلب ولكنه متي أصيب به فلا يبرأ منه ، فلم تشاهد حادثة واحدة شفيت بغير التلقيح حتي الآن ولا تعلم نجاة الشخص من الاصابة الا بعد مضى عشرين يوما من تاريخ العضة وهو الزمن الكافي لتفريخ الميكروبات

أما أعراض الاصابة فهو أن يعترى المصاب الحزن والاضطراب والهذيان ثم الضعف ثم الموت . والطريقة الوحيدة للنجاة منه هي قطع خط الرجعة على المرض ومنعه من الظهور . وقد وفق العلامة الفرنسي (باستور) لابتكار طريقة لذلك وهو انه شاهد ان مخ الكلب الكَلِب يكون كلعابه في العدوي فارتأى ان يأخذ قطعة من هذا المخ ويضعها في الهواء الطلق اياما حتى تهلك اكثر ميكروباتها ثم يحقن بها الحيوان المعضوض ثم يحقنه ثانية بعد عدة أيام بتلك المادة المخاطية ولكن يلاحظ أن تكون محتوية على ميكروبات أكثر وهكذا يوالي الحقن ويلاحظ زيادة الميكروبات في المادة المخية المحقونة حتي تصير تلك المادة على أشد ماتكون امتلاء بالميكروبات فيصير الحيوان المعضوض عادم القابلية للاصابة بالكلب فينجو واول تجربة أجريت على الانسان كانت سنة ١٨٨٥) فأسفرت عن نجاح عظيم فاستحق العلامة باستور ثناء العالم كله ونجي بذلك من الهلاك ملايين من النفوس

﴿ الكلبتان ﴾ آلة من حديد يمسك بها الحديد المحمى. و (الكلاّب) صاحب الكلاب ومعلم الكلاب

﴿ كليب ﴾ هو كليب بن ربيعة أخو المهلهل الشاعر الجاهلي المشهور وخال امرئ القيس. كان أعز الناس في العرب، بلغ من عزه فيهم انه اتخذ جرو كلب فاذا مر بمنزل فيه كلأ قذف ذلك الجرو فيه فعوى فحيث ما بلغ عواؤه لايرعى احد عشب ذلك الموضع الا باذنه. واذا جلس لايمر أحد بين يديه اجلالا له، ولا يحتبي احد في مجلسه غيره ، ولا توقد غير ناره ، ولا يجير تغلبي ولا بكري رجلا ولا يحمي

حمي ولا يغير الا باذنه وكان يحمي الصيد فيقول صيد كذا في جواري فلا يصيب احد منه شيأ . وكان قد حمي حمي لا يطأه انسان ولا بهيمة فدخل فيه يوما فطارت قنبرة بين يديه من على بيضها فقال لها :

يالك من قنبرة بمعمر
خلا لك الجو فبيضي واصفري
ونقري ماشئت ان تنقرى

كانت امرأته جليلة بنت مرة بن شيبان، وكان لمرة وهو من بني بكر عشرة من الولد منهم الحرث وجساس ونضلة وهمام. فجاءت الى جساس خالة له اسمها البسوس، فنزلت عليه ولها ابن وناقة تسمى سراب يتلوها فصيل لها فدخل كليب الحمي يوما فوجد بيض القنبرة مكسراً فسأل عن ذلك فقيل له ان ناقة خالة جساس دخلت الحمي فهشمت ذلك البيض فقال كليب او قد بلغ من قدر جساس ان يجير دون أذني ؟ ياغلام ارم ضرعها . فرماه الغلام فخرقه بسهم ، وقتل فصيلها. ثم طرد ابل جساس ونفاها عن المياه

فجاءه جساس فقال له: قد نفيت ابلى عن المياه حتى كدت تهلكها

فقال كليب : انا للمياه شاغلون

فقال جساس . هذا كفعلك بناقة خالتي وفصيلها

فقال كليب : أو قد ذكرتها اما أني لو وجدتها في غير ابل مرة استحللت تلك الابل لها

فاستشاط جساس غضبا وعطف عليه فرسه فطعنه فلما أحس الموت قال ياجساس اسقني ماء . فقال له جساس تجاوزت شبيثا والأحص (هما اسمان لغديرين كان طرد ابل جساس عنهما) واحتز رأسه وأمال يديه ورجع الى قومه

فقالت اخته وهي امرأة كليب لابيها ان جساسا جاء خارجة ركبتاه. فقال ابوها والله ماخرجتا الا لامر . فلما قاربه قال ماوراءك يابني ؟ فقال جساس طعنت طعنة لتشغلن شيوخ وائل رقصا . قال له ابوه قتلت كليبا ؟ قال نعم . فقال أبوه وددت انك واخوتك متم قبل هذا مابنا الا ان تتشاءم بنا وائل . ثم لقى جساس أخاه نضلة فقال :

واني قد جنيت عليك حربا
تغص الشيخ بالماء القراح

فأجابه اخوه نضلة بقوله :

فان تك قد جنيت على حربا
فلا وان ولارث السلاح

وكان اخوه همام قد آخي مهلهلا أخا كليب وعاهده ان لا يكتمه شيأ فجاءته أمة له وعنده مهلهل فأسرت اليه الخبر. فقال له مهلهل ماقالت لك أمتك؟ فقال زعمت ان اخي جساسا قتل كليبا. فقال ذرع اخيك اضيق من ذلك

وتحمل القوم وغدا مهلهل في ثار اخيه واجتمعت اشراف تغلب واتوا مرة (وهو ابو زوجة كليب وجساس) فتكلموا معه في القصاص من جساس واخوته. فقال مرة نعطي الدية فغضبت تغلب ووقعت في حرب مع بني بكر فدامت بينهم اربعين عاما وكان فيما بينهم خمس وقائع اولها يوم عنيزة وآخرها قتل جساس

وذلك انه لما اجتمع نساء تغلب للمأتم قالوا لاخت كليب رحلي جليلة (زوجة كليب) عن مأتمه فان قيامها شماتة بنا وعار علينا. فقالت اخت كليب لجليلة اخرجي ياهذه عن مأتمنا فانك شقيقة قاتلنا. فلما رحلت قالت اخت كليب رحلة المعتدي، وفرار الشامت، وبل غدا لآل مرة، من الكرة بعد الكرة. فلما بلغ ذلك جليلة قالت وكيف تشمت الحرة بهتك سترها، وترقب وترها، أسعد الله جد أختي أفلا قالت : نفرة الحياء وخوف الاعتداء. وجاءت وهي حامل فولدت غلاما وسمته الهجرس فرباه جساس فكان لا يعرف أبا غيره. فزوجه ابنته. فوقع بينه وبين بكري كلام فقال له البكرى ماأنت بمنته حتى ألحقك بأبيك فأمسك عنه ودخل الى امه فسألها فأخبرته فلما أوي الى فراشه وضع أنفه بين ثديي زوجته وتنفس تنفيسة نفط مابين ثدييها من حرارتها فقامت امرأته فزعة فدخلت الى أبيها فأعلمته. فقال أبوها كليب : ثائر ورب الكعبة

فلما اصبح ارسل وراء الهجرس فأتاه فقال انما انت ولدي ومني. وقد كانت الحرب في ابيك زمانا طويلا حتي كدنا نتفاني وقد اصطلحنا الآن فانطلق معي حتي نأخذ عليك ماأخذ علينا

قال الهجرس ولكن مثلي لا يأتي قومه الا بسلاحه فأتيا جمعا من قومهما فقص عليهم جساس ما كانوا فيه من البلاء وما صاروا اليه من العافية. ثم قال وهذا ابن اختي قد جاء ليدخل فيما دخلتم فيه فلما

قدموا العقد أخذ الهجرس بوسط رمحه وقال:

وفرسي وأذنيه ، ورمحي ونصليه ،

وسيفي وغراريه ، ودرعي وزريه ، لا يترك الرجل قاتل أبيه وهو ينظر اليه . ثم طعن جساسا فقتله ولحق بقومه بني تغلب وكان آخر قتيل فيهم

وقد ذكرت في قتل كليب أقاويل أخرى شأن الروايات المنقولة عن الجاهلية

وقد خلد النابغة الجعدى الشاعر هذه الحادثة بشعره فقال :

كليب لعمري كان أكثر ناصرا

وأيسر جرماً منك ضرج بالدم

رمي ضرع ناب فاستمر بطعنة

كحاشية البرد اليماني المسهم

فقال لجساس أغثني بشربة

تدارك بها منا علي وأنعم

فقال تجاوزت الاحص وماءه

وبطن شبيث وهو ذو مترسم

المترسم اتباع الماء في قعر البئر

﴿ الكلبي ﴾ هو أبو النصر محمد بن السائب بن بشر وقيل مبشر بن عمرو الكلبي . وقال محمد بن سعد هو محمد بن السائب الكلبي بن بشر بن عمرو بن الحرث بن عبد العزي بن امرىء القيس ابن عامر الكوفى صاحب التفسير والعلامة بالانساب

كان اماما في التفسير والنسب حكي ولده هشام عنه قال :

دخلت على ضرار بن عطارد بن حاجب بن زرارة التميمى بالكوفة واذا عنده رجل كأنه جرذ يتمرغ في الحر وهو الفرزدق الشاعر . فغمزه ضرار وقال سله ممن أنت فسألته. فقال الفرزدق ان كنت نسابا فأنسبني فاني من بني تميم فابتدأت النسب تميما حتي بلغت الى غالب وهو والد الفرزدق، فقلت وولد غالب هماما وهو اسم الفرزدق. فاستوى الفرزدق جالساً وقال والله ماسماني به أبواى ولا ساعه من النهار .

فقلت والله اني لأعرف اليوم الذى سماك أبوك فيه الفرزدق

فقال وأي يوم ؟

فقلت بعثك في حاجة فخرجت تمشي وعليك مستقة فقال والله كأنك فرزدق دهقان ، قرية قد سماها بالجبل

فقال الفرزذق صدقت والله . ثم قال له أتروى شيئا من شعري ؟

فقلت لا ولكن أروي لجرير مئة قصيدة

فقال تروى لابن المراغة ولا تروى لى والله لاهجون كلبـا سنة أو تروى لى كما رويت لجرير. فجعلت أختلف اليه أقرأ عليه النقائض خوفا ومالى في شيء منهـا حاجة

اُلمستقة المذكورة آنفا الفروة الطويلة وقال النضر بن شميل هي الجبة الواسعة

كان الكلبي المذكور من أتباع عبد الله بن سبأ الذي كان يقول ان على بن ابي طالب لم يمت وانه راجع الى الدنيا. روي عنه سفيان الثورى ومحمد بن اسحق وكانا يقولان اذا حدثا عنه حدثنا أبو النصر حتي لا يعرف

شهد الكلبي المذكور وقعة دير الجماجم مع عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث الذي خرج على الحجاج وشهد جده بشر وبنو السائب وعبيد وعبد الرحمن وقعة الجمـل وصفين مع على بن أبي طالب وقتل السائب مع مصعب بن الزبير وفيه يقول ابن ورقاء النخعي :

فمن مبلغ عني عبيداً بأنني
علوت أخاه بالحسام المهند
فان كنت تبغى العلم عنه فانه
مقيم لدى الدير بن غير موسد
وعمداً علوت الرأس منه بصارم
فأثكله سفيان بعد محمد

سفيان ومحمدا بنا السائب وذكر هشام ابن الكلبي المذكور في كتاب جمهرة النسب ان جدهم عبد العزى كان جميلا شريفا وقد وفد على بعض بني جفنة بأفراس فقبلهـا وأعجبه حديثه وكان يسامرهم فقتلت بنو كنانة ابنا له فقال لعبد العزى ائتني بهم فقال انهم قوم أحرار ليس لى عليهم فضل وكتب الى قومه ينذرهم . فقال في شعر له طويل:

جزانى جزاه الله شر جـزائه
جزاء سنمار وما كان ذا ذنب

وسنمار هذا الذي ضرب به المثل هو الذى بنى القصر المسمى بالخورنق للنعمان بن المنذر ملك الحيرة فألقاه من أعلاه فقتـله حتى لا يبني لاحد مثله

توفى محمد الكلبي المذكور سنة (١٤٦) بالكوفة

ابن الـكلبي هو ابن المتقدم أبو المنذر هشام بن أبي النصر محمـد بن السائب بن بشر بن عمرو الـكلبي النسابة الكوفي

كان من كبار علماء النسب روي عن

أبيه وروي عنه ابنه العباس وخليفة بن خياط ومحمد بن سعد كاتب الواقدي ومحمد ابن ابي السري البغدادى وابو الاشعث احمد بن المقدام وغيرهم

لهشام كتاب الجمهرة في النسب وهو من محاسن الكتب فى هذا الفن وكان من الحفاظ المشهورين وذكر الخطيب في تاريخ بغداد عنه أنه دخل بغداد وحدث بها وقال حفظت مالم يحفظه أحد ونسبت مالم ينسبه أحد. وكان لي معلم يعاتبني علي عدم حفظ القرآن فدخلت بيتا وحلفت أن لا أخرج منه حتي أحفظ القرآن فحفظته في ثلاثة أيام (؟)

ونظرت يوما فى المرآة فقبضت على لحيتي لآخذ مادون القبضة فأخذت مافوق القبضة

له من التصانيف شيء كثير فمن ذلك كتاب حلف عبد المطلب وخزاعة وكتاب حلف الفضول وكتاب حلف تميم وكلب وكتاب بيوتات قريش وكتاب فضائل قيس بن عيلان وكتاب الموردات وكتاب بيوتات ربيعة وكتاب الكني وكتاب شرف قصي وولده في الجاهلية والاسلام وكتاب ألقاب قريش وكتاب القاب اليمن وكتاب المثال وكتاب ادعاء معاوية زيادا وكتاب اخبار زياد ابن ابيه وكتاب صنائع قريش وكتاب المشاجرات وكتاب المعاتبات وكتاب ملوك الطوائف وكتاب ملوك كندة وكتاب افتراق ولد نزار وكتاب تفريق الازد وكتاب طسم وهي تزيد علي مئة وخمسين تصنيفا وأحسنها كتابه المعروف بالجمهرة في معرفة الانساب، وكتابه الذي سماه المنزل في النسب ، وكتاب الفريد صنفه للمأمون في الانساب وكتاب الملوكي صنفه لجعفر بن يحيي البرمكي فى النسب أيضا

كان ابن الكلبي هشام واسع الرواية لأيام الناس وأخبارهم فمن رواياته انه قال اجتمعت بنو أمية عند معاوية بن أبي سفيان فماتبوه في تفضيل عمرو بن العاص وادعاء زياد بن ابيه فتكلم معاوية ثم حرك عمرا على الكلام . فقال فى بعض كلامه أنا الذي أقول يوم صفين :

اذا تخازرت ومابي من خزر
ثم كسرت العين من غير عور
الفيتني ألوي بعيد المستمر
احمل ماحملت من خير وشر

كالحية الصماء في أصل الشجر

أما والله ماأنا بالواني ولا العاني ، واني أنا الحية الصماء التي لايسلم سليمها ، ولا ينام كايمها ،واني أنا المرء ان همزت كسرت،وان كويت انضجت، فمن شاء فليشاور،ومن شاء فليؤامر،مع انهم والله لو عاينوا من يوم الهرير ماعاينت، أوولوا ماوليت، اضاق عليهم المخرج ، ولتفاقم بهم المنهج ، اذ شدعلينا أبو الحسن وعن يمينه وشماله المبشرون من أهل البصائر ، وكرام العشائر ، فهناك والله شخصت الابصار ، وارتفع الشرار ، وتقلصت الخصى الى مواضع الكلي ، وقارعت الامهات عن ثكلها ، وذهلت عن حملها، واحمر الحدق ، واغبر الافق،والجم العرق، وسال العلق ، وثار القتام،وصبر الكرام، وخام اللئام، وذهب الكلام ، وأزبدت الاشداق ، وكثر العناق،وقامت الحرب على ساق ، وحضر الفراق ، وتضاربت الرجال بأغماد سيوفها بعد فناء نبلها ، وتقصفت رماحها ، فلا يسمع يومئذ الا التغمغم من الرجال ، والتحمحم من الخيل الجياد ، ووقع السيوف علي الهام ، كأنه دق غاسل بخشبته علي منصته ، فدأب ذلك يوماً حتي طمن الليل بغسقه ، وأقبل الصبح بفلقه ، ثم لم يبق من القتال الا الهرير والزئير لعلمهم اني أحسن بلاء،وأعظم عناء،وأصبر علي اللأواء، واني واياكم كماقال الشاعر :

وأغضي على أشياء لوشئت قلتها
ولو قلتها لم أبق للصلح موضعا
وان كان عودي من نضار فانني
لأكرمه من أن أخاطر خروعا

توفي هشام بن الكلبي سنة (٢٤٠)

﴿ كَلْثم ﴾ لحمُ الوجه اجتمع . (الكُلثُوم) الكثير لحم الخدين والوجه

﴿ كلح ﴾ وجهه يكلح كلوحا عبس و (الكالح) الذي قد قلصت شفته عن أسنانه

﴿ كَلَس ﴾ البيت طلاه بالكلس وهو الجير

﴿ كلف ﴾ الوجه يكلف كلفا علته حمرة كدرة فهو (أكلف) . و (كلفه) أمره بما يصعب عليه . (تكلف الامر) تجشمه وتحمله بمشقة. و (الكلَف) شيء يعلو الوجه كالسمسم ويعرف بالنمش . و (الكُلْفة) ماتكلفه الانسان من أمر . والمشقة. و(الأكلف)

الذي به كاف في وجهه . و (التكلفة) المشقة جمعها تكاليف

﴿ الكلف والنمش ﴾ انظر وجه

﴿ كلّ ﴾ الرجل من المشي يكِل كَلا أعيا. و (كل البصر) أعيا فهو كايل وكَل . و (تكَلل الرجل) لبس الاكليل وهو التاج . و (الكلال) الاعياء . و (الكلالة) الاعياء ومن لاولد له ولا والد . ومن لم يكن من النسب لحما وقيل هي الاخوة للام او بنوالعم الاباعد يقال . (هو ابن عم الكلالة وابن عم كلالةً) اذا لم يكن لحا وكان رجلا من العشيرة . ويقال : (لم يرثه كَلالة) اى لم يرثه عن عرض بل عن قرب واستحقاق و (الكَل) الذى لاخير فيه .والعيّل والضعيف . و (كُل) اسم موضوع لاستغراق أفراد المنكر نحو (كل انسان حر فيما يحب) والمعرف المجموع نحو (وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً)

﴿ كلا ﴾ حرف معناه الردع والزجر و (أخذه بكُليته) أي جميعه

﴿ كلكتة ﴾ هي عاصمة البلاد الهندية يسكنها نحو ١٣٠٠٠٠٠ نسمة وهي مدينة مستطيلة من الجنوب للشمال علي النهر ففي شمالها يسكن الهنود ، وفي جنوبها يقيم الانجليز وضاحيتها المسماة هوراه يقيم بها العملة علي الشاطيء الايمن لنهر الغانج

صناعتها ليست بعظيمة جداً فهي مدينة ادارية يصدر منها الافيون والحبوب الزيتية والرز والنيلاء . وهي علي البحر وتقدر حركتها التجارية بخمسة ملايين طن . والحكومة تنتقل منها صيفا الى سملا

﴿ الكلكل ﴾ الصدر أو ما بين الترقوتين أو باطن الزور

﴿ كَلَمه ﴾ يكلُمه ويكلِمه كَلْما جرحه فهو (مَكلوم وكَليم) و (كلّمه) حدثه وجرحه . و (كالمه) جاوبه . و (الكُلاَم) الارض الغليظة و (الكَلْمة) الجرح.و (رجل كلَماني) أى جيد الكلام فصيحه

﴿ علم الكلام ﴾ هو علم تقرير اصول الدين بالفلسفة العقلية التى قاعدتها علم المنطق وعلوم الاوائل . حدث هذا العلم فى القرن الثاني من الهجرة في دولة العباسيين وسمي علم الكلام أما لان اول مسألة اختلف فيها بعض العلماء هي هل القرآن وهو كلام الله القديم قديم أو محدث واما لكون اقوي اسلحة هذا العلم هو الكلام

وصوغ الحجة القاطعة واتقان التعبير عن المقاصد الخ وهو يشبه علم اللاهوت عند النصارى (انظر علم)

الكلوروفورم هو سائل صاف عادم اللون يحضر بتقطير مزيج من كلوريتات الكلس والكلس المروي والسبيرتو على حرارة معتدلة وغسل الكلوروفورم غير النقي بماء وحمض كبريتيك وماء قلوي وازالة مائه بكلوريد الكلس غير الهيدراني واعادة الاستقطار ثم يزاد الى الحاصل ۰٫۰۱ من أتيل الكحول لوقايته

(خواصه الطبية) هو مخدر شديد يسكن ويضاد التشنج اذا أعطي من الباطن وقد يعطي تنقيطا على قطعة من السكر لمنع الدوار البحري او يعطي مضاداً للحمي المتقطعة متي فشلت الكينا والسنكونا ويستعمل من الخارج للتنبيه في الغنغرينا والقروح البليدة . ويستعمل بخاره في امراض العين والمستقيم والهبل وقد اشتهر استعماله فى الجراحة للتخدير على سبيل الاستنشاق اما وحده او ممزوجا بالاتير . وقد يركب مع الكافور لازالة ألم الاسنان أو يوضع على لسع الزنابير لتسكين الالم ويضاف الى الادهان المسكنة قبل الاكونيت والبلادونا والبنج

يضاده في الفعل الهواء النقي والتنفس الصناعي ونتريت الاميل

(مستحضراته) ماء الكلوروفورم وجرعته من نصف أوقية الي أوقيتين أي من ١٥ الى ٦٠ غراما

دهن الكلوروفورم وهو يستعمل لتخفيف الالم

وروح الكلوروفورم لمنع التشنج

وصبغة الكلوروفورم لمنع التشنج ايضا

كِلَا وكِلْتا اسمان لفظهما مفرد ومعناهما مثنى . تقول : (كِلا الرجلين) اى كل واحد من الرجلين

الكُلْية هو العضو المفرز للبول من الانسان وهما كُلْيتان وتحت هذا الفصل ننشر مقالا ممتعا كتبه حضرة الدكتور المفضال حسين افندى المراوى لدائرة معارف القرن العشرين سيجد منه القراء فائدة جزيلة ومعلومات جمة . قال حضرته :

(الكليتان) كليتا الانسان هما غدتان مركزهما على جانبي العمود الفقرى خلف البريتون (الثرب) ولكل منهما غلاف

وعلي رأس كل واحدة غدة أخري صغيرة . أما أعلي نقطة في الكلية اليمنى فتوازي الحرف الاعلى للضلع الثانية عشرة أما اليسري فقد ترتفع الي الحرف الاسفل للضلع الحادية عشرة وطول كل كلية نحو عشرة سنتيمترات الى أسفل هاتين النقطتين وعرض كل واحدة خمسة سنتيمترات وشكل الكلية خاص بها فانها مستديرة الشكل محدودة من ناحية ومقعرة في الاخري تشبه نصف هلال اذا لم تكن أطرافه محدودة

وأمام الكلية اليمني الكبد والقولون والجزء الثاني من الاثني عشرى وامام الكلية اليسرى الطحال والبنكرياس والمعدة والقولون النازل

جدول تحليل البول الطبيعي

ماء		١٥٠٠ر٠٠ جرام
المذوبات		٧٢ر٠٠ «
البولينا		٣٣ر٠٠ «
حمض البوليك		٠٠ر٥٥ «
حمض هيبوريك		٠٠ر٤٠ «
كرياتين		٠٠ر٩١ «
ملونات		١٠ر٠٠ «
حمض الكبريتيك (في مركباته		٢ر٠١ «
حمض الفوسفوريك	«	٣ر١٦ «
الكلورين	«	٧ر٥٠ «
نشادر	«	٠ر٧٧ «
بوتاسا	«	٢ر٥٠ «
صودا	«	١١ر٠٩ «
كالسيوم	«	٠ر٢٦ «
مغنسيوم	«	٠ر٢١ «

(فسيولوجيا الكليتين)

تتركب الكلية من غلاف ليفي مرن رقيق يسهل نزعه وجسم الكلية مكون من طبقتين الخارجة قشرية والداخلة مركزية وهذه أقل احمراراً في لونها من الاولى وتحتوى على اهرام منفصل بعضها عن بعض وتنتهى قمم تلك الاهرام فى الحويض على هيئة حلمات هى فتحات القنوات البولية واذا تتبعنا هذه القنوات نجدها مستقيمة ويصب فيها قنوات جانبية وهذه باجتماعها مع فروع صغيرة تسمى فروع هنلى تكون الاهرام السابقة الذكر

أما الطبقة القشرية ففيها جسيمات ماليبجي محاطة بمحفظة بومان ويصل الي هذه المحفظة فريع شرياني يثقبها ويتفرع داخلها على هيئة شبكة ثم يتكون من هذه الشبكة فرع آخر ثم يخرج هذا لينقسم الى فريعات اخري فى نفس الكلية وتنشأ من جسيمات مليبجي قنا بولية صغيرة تتصل بمحفظة بومان على هيئة عنق ثم تتسع وتتعرج ولهذا يعبر عنها بالانابيب المتعرجة ثم تضيق وتغور باستقامة في الطبقة المركزية وتسمى فروع هنلى النازلة ثم تصعد ثانيا الي سطح الكلية

اما البول فيفرز فى جسيمات ماليبجي فى محفظة بومان ويستمر في الانابيب النازلة فالصاعدة ثم ينزل الي القنوات فرؤوس الاهرام

وغير هذا يظن ان للكلي افرازاً داخليا ينتج عنه قلة افراز البولينا

(البول) يبول الانسان فى حالته الطبيعية لتراً ونصف لتر من البول ويعترى هذه الكمية آفات النقصان والزيادة . فقد يتسبب النقصان من غزارة الافرازات الاخرى كالعرق وغيره كما هو الحال في فصول الصيف والزيادة في البرد

أما التغيرات المرضية فتعتريه التغيرات الآتية :

تكثر كمية البول في بداية أمراض الكلي الخلالية وفي الاستحالة الشمعية وفي أمراض المخ وفي البول السكري المصحوب بافراز سكر أو بدونه وفى حالات الهستريا وفي بعض الحالات العصبية مثل الكشف الطبي في شركات التأمين على الحياة او استعمال مدرات البول او المشروبات الروحية

ويقل افراز البول في مبدأ مرض برايت وفي ختام المرض الخلالى وفى انسداد

الحالب البولي وفي الحميات وفي ختام أمراض القلب . وكثافة البول النوعيـة تختلف باختلاف لاشياء المذوبة فيه وهي تختلف أيضا باختلاف ساعات النهار ولذلك يجب جمع كل المنفرز في ٢٤ساعة ثم أخذ كثافته النوعية من المتوسط وتختلف الكثافة النوعيـة من ١٠٠٠ الى ١٠٥٠ علي نسبة ان الماء ١٠٠٠ وتؤخذ هذه بواسطة البولومتر وهو مقياس معلوم وفى حالة الصحة تكون كثافة البول النوعية من١٠١٥ الى١٠٢٥ فاذا كثر افراز البول نزلت هذه الى ١٠٠٦ أو أقل من ذلك وترتفع هذه القيمـة في كل مايقلل افراز البول أو يزيد في محتوياته الجامـدة أما الزلال فيمكن وجوده مع ارتفاع أو انخفاض الكثافة النوعية

(محتويات البول الذائبة)

يحتوى افراز البول في ٢٤ ساعة على ٥٨ غراما من المذوبات واذا أردنا تقديرها بدقة فاننا نأخذ بول ٢٤ ساعة ونبخره ونزن الباقي بعد ذلك فنجد متوسط هذه البقايا هو ٠٤ر٠ اذا اعتبرنا ان متوسط الكثافة النوعية ١٠٢٠ وأهم محتويات البول هو مايأتي :

البولينا هي نحو نصف محتويات البول وهى أهمها تقريبا لأنها الجسم المحتوى علي النيتروجين المفرز من الكلي وتقدر بنحو ٣٢ غراما في اليوم وهي نصف البول وتتأثر هذه الكميـة بمقـدار النيتروجين الذي يهضم وتزداد أيضا بازدياد السوائل التي يتناولها الانسان والاملاح المختلفة وتقل من أكل المواد السكرية والنشوية

وتزداد افرازها فى الحميات والبول السكرى وتقل في مرض برايت

الكلورور مقداره في اليوم ٧غرامات وتقل هذه في الحميات خصوصا في ذات الرئة حيث تنعدم فى بعض الاحيان

السلفات مقدارها من غرام ونصف الى ثلاثة وتكثر مقاديرها من عفونة في الامعاء وتكثر بكمية عظيمة في أمراض الامعاء مثل الامساك والالتهاب البريتوني وانسداد الامعاء

الفسفات يفرز بمقدار من اثنين الى ثلاثة ونصف غرام فى اليوم من حمض الفسفوريك متحداً مع الصودا والبوتاسا والجير والمغنسيوم . والفسفات القلوية هى بنسبة ثلثي القيمة وهذه دائما تذوب أما

الفسفات الارضية فهي الثلث الباقي وتذوب مادام البول حمضيا وهذه ترسب كثيراً وهي منشأ كثير من الحصيات فاذا كان البول قلويا سواء في الجسم أو بعد التبول رسبت الفسفات والبول يكون قلويا اذا أكل الانسان كثيراً من الخضر أو أشياء أخرى فيها حمض الليمون والطرطريك أو الصودا أو البوتاسا فهذه الاشياء تتحول الى كربونات في الامعاء ثم تمتص في الدم فتقلل من حمض البول أو تجعله قلويا وفي بعض الاحيان يبول الانسان فيجد بوله محتويا على رواسب فسفاتية ومن المعلوم ان الفسفات ترسب اذا سخن البول على النار فتشبه في رسوبها الزلال ولكن الفرق يظهر فاضافة نقطة من حمض الخليك فتذوب الفسفات

وقد يكون البول قلويا بعد خروجه من الجسم من تحليل البولينا بالميكروبات وقد يكون هذا داخل المثانة كما في أحوال التهاب المثانة أو بعد تعرض البول للهواء

الاوكسالات — هذه كمية صغيرة جداً ولكن أهميتها في تكوين حصيات في الكلي وشكلها تحت الميكروسكوب يشبه شكل ظروف الخطابات وبعضها يشبه كرتين صغيرتين متصلتين بقضيب صغير

أوكسالات الجير لاتذوب بسهولة في حمض الكلورايدريك ولا تذوب أبداً في حمض الخليك وتكثر بكثرة الخضر المأكولة كالكرنب والراند

(حمض البوريك) أملاح حمض البوريك التي يفرزها الانسان في اليوم تتراوح بين نصف غرام الى غرام واحد في اليوم ومع ذلك فكثيراً ما يرسب هو بنفسه أو أملاحه ولا يؤخذ هذا دليلا على ان افرازه قد زاد عن المعتاد . وتلك الرواسب دائما تكون في البول الحمضي ويمكن تمييزها بلونها الاصفر أو البرتقالي او الاحمر وتحت الميكروسكوب ترى على شكل معين في زاويتيه المتقابلتين تدوير محسوس وبعض الاحيان تكون هذه الجوانب فيها خطوط وملونة بملونات البول أما أملاح حمض البوريك فلا شكل لها وأسباب رسوبها أن يبرد البول أو يتركز وسبب هذا التركز في حالة الصحة قلة السوائل التي تشرب أو العرق الغزير وفي المرض القيء وأمراض القلب وفي الحميات وفي كثرة تبخر الماء من الرئتين واذا سخنا

البول المحتوى علي هذه الاملاح تذوب بسرعة

﴿أمراض الكلى﴾

(الالتهاب الكلوى)

(اومرض برايت)

كان للدكتور ريشار برايت الفضل الاول في اكتشاف الصلة بين تورم جميع أجزاء الجسم وبين وجود الزلال في البول ووجود هذه الاعراض مع التهاب الكليتين فقد وجد ان الكلية قد تكون ضاربة الى الصفرة فى لونها وملساء وفى أحيان أخرى صغيرة ودكناء وعلى سطحها حبيبات صغيرة وتجعيدات ففسر الثانى انه نتيجة لضمور في النوع الاول وعلى ذلك أصبح اسم برايت ملازما لكل مرض في الكلي مصحوب بالتهاب دون صديد . وأسباب هذا الالتهاب كثيرة (١) سموم الحميات المختلفة وأشهرها الحمي القرمزية (٢) وجود ميكروبات في الكلي على شكل خراج (٣) وصول الميكروبات الي الكلية بطريق الحالب من المثانة (٤) وجود حصاة فى حوض الكلية (٥) الكحول والرصاص والنقرس (٦) سموم أمراض خاصة كالزهري تابعا لاستحالة في الشرايين (٧) استحالة ناشئة عن كبر فى السن ومن وجهة الانسجة نجد ان الكلي تصاب في ثلاثة أجزائها (١) التهاب القنوات البولية (الالتهابات الجوهرى) (٢) التهاب الالياف الخلالية (الالتهاب الخلالي) واستحالة الشرايين الكلوية ولكن لا يمكن وضع حد فاصل بين جميع هذه الاجزاء لانها قد يختلط بعضها ببعض

وهناك أعراض أخري غير التي ذكرناها تصحب مرض برايت هذا وهي :

(١) الزلال فى البول (٢) البول الدموي (٣) اسطوانات بولية (٤) تورم جميع اجزاء الجسم (٥) ضخامة القلب واستحالة الشرايين (٦) تغيرات فى العين (٧) التهابات مختلفة (٨) تسمم الجسم (٩) التهابات مختلفة (١٠) تسمم بولى (١١) عدم افراز البول الكافي

(البول الزلالي)

الزلال في البول علامة مؤكدة على الالتهاب الجوهرى الكلوي او مرض برايت وله عدة كشافات

(١) الحرارة فيوضع البول فى أنبوبة اختبار ويسخن عليه فيرسب

الزلال ويضاف الي الراسب قليل من نقط حمض الخليك فاذا استمر وجود الراسب كان زلالا . وخطأ هذا الكشاف اذا كان البول قلويا فلا يرسب الزلال ولذلك يجب جعل البول حمضيا باضافة حمض الخليك اليه قبل تسخينه

(٢) حمض النتريك . يصب هذا الحمض علي جانب أنبوبة الاختبار المحتوية على البول فيرى خاتم اسود في محل اجتماع السائلين

(٣) حمض البكريك تأثيره كحمض النتريك ولكن لون الخاتم يكون ابيض

(تقدير الزلال)

أسهل الطرق التي يمكن أن تستعمل في البيوت هي طريقة اسباخ والجهاز عبارة عن أنبوبة اختبار مدرجة وموجود عليها علامتان الاولى للبول والثانية للكشاف وتحت ذلك علامات تدل علي نسبة الراسب الزلالى أجزاء في الالف من البول. والكشاف عبارة عن محلول حمض البكريك بنسبة واحد وحمض الليمونيك اثنين على المئة من الماء

(أسباب الزلال)

(١) التهاب كلوى حاد بالاسباب المتقدمة (٢) التهاب كلوي صديد (٣) استحالة نشوية أو اصابة درنية (٤) حمى حادة (٥) انسداد وريدي (٦) التهاب الغشاء الداخلى للقلب المصحوب بتقيح (٧) الاورام المختلفة (٨) الامراض العامة كالانيميا (٩) انسداد الحالب البولى (١٠) الامراض العصبية (١١) بعض السموم (١٢) زلال نسبي لا أصل له

وأعراض في غير الكلي كالتهاب الحوض الكلوي والدرن الكلوى والتهاب المثانة ونضرب صفحا عن النظريات التي وضعت لتفسير زلال البول لأنها مطولة ولكونها نظريات لاتفيد سير العلاج

(البول الدموى)

كشافاته (١) بالميكروسكوب ترى الكريات نفسها (٢) نظارة الطيف الشمسي وأحسن الكشافات كشاف صبغة خشب الانبياء اذ توضع هذه علي ورق نشاف قد غمر في البول ثم يوضع ماء اوكسيجينى علي الورق فيتلون باللون الازرق

(الاسطوانات الكلاوية)

هذه لها عدة أنواع وترى بالميكروسكوب ولها عدة أصول وأنواع فهي اما دموية

أو خلوية أو زلالية أو شحمية أو شمعية

(التورم)

هذا يكون عاما وينشأ عن ضعف القلب الناتج عن المرض وفي هذا النوع ينحصر التورم في جميع الاطراف السفلى والبطن بينما يكون الوجه والايدي سليمة والنوع الثاني خاص بمرض الكلي فيكون التورم عاما بجميع أجزاء الجسم من الوجه واليدين والرجلين الخ وفي النهار ينحصر الورم في الرجلين وذلك بفعل الجاذبة الارضية وفى الليل يتورم جميع أجزاء الجسم خصوصاً فى الجفون واذا نام الشخص على أحد جانبيه يتحول الورم الي هذه الجهة بفعل الجاذبة أيضا واذا كان الورم أشد من ذلك تورمت جميع أجزاء الجسم بغير استثناء واذا أدخلنا فى الجزء الورم أنبوبة سوتلى خرج منها ذلك السائل الموجود تحت الجلد وهبط الورم ولنضرب صفحا عن تفسير هذا التورم

(تغيرات الجهاز الدوري)

(١) زيادة ضغط الدم (٢) ضخامة القلب (٣) تصلب الشرايين ولكل من هذه مباحث ليس هنا موضعها

(التغيرات البصرية)

(١) تورم في الشبكية (٢) وجود عتامات ونقط على الشبكية (٣) نزيف فى الشبكية (٤) ضمور فى الحلمة (٥) تصلب شرايين العين

(الانزفة)

هذه كثيرة الحدوث في جميع أجزاء الجسم خصوصاً في المخ وسبب زيادة ضغط الدم وشرايين القلب مع ضعف الشرايين المتصلبة

(التهابات مختلفة)

فى البلورا والتامور والنزلات الشعبية والتهابات البريتون

(التسمم البولى)

اما حاد واما مزمن فالحاد يشبه فى أعراضه نوبة الصرع ففى البداية يكون تصلبا في العضلات عامة وبعدها تشنجات متعددة واهتزازات ويكون الوجه ازرق ويظهر على الفم زبد ويسيل اللعاب مختلطا بالدم وتتسع حدقة العين وبعد ذلك يقع المريض في كوما (غيبوبة) يخرج منها الى تشنجات أخرى ثم الي غيبوبة ويزيد التنفس والنبض وترتفع درجة الحرارة وقد لاتكون هذه الاعراض موجودة برمتها

ولكن المريض يصاب بهذيان أو بالجنون المائج أو بالعمى لمدة من الايام ثم بعد ذلك يشفى منه وبالصمم ايضا أما المزمن فيبدأ بوجع في الرأس واضطراب في الاصابع وعسر في التنفس وحركة مستمرة وأكلة في الجلد وقيء واسهال

(قلة افراز البول)

يقاس هذا بقياس البول وقياس محتوياته من النيتروجين أو حقن ازرق الميثلين وملاحظة افرازه من الجسم في أكثر من ٤٨ ساعة (الحالة الطبيعية)

(الالتهاب الكلوى الحاد)

أسبابه التسمم أو الميكروبات أو تعرض للبرد مما يستدعى هبوط القوى المقاومة فى الجسم ، والحميات كالقرمزية والدفتريا وغيرها والحمل وبعض العقاقير كالذراريح وحمض الفنيك والكحول

أعراضه — التورم وقد سبق شرحه . وتغيرات في البول فيقل افرازه ومحتوياته وينعدم افراز الكلور وترتفع كثافته النوعية ويكون فيه دم وتحتوى رواسبه على كريات الدم وخلايا كلوية وزلال الى نسبة واحد فى المئة ويقل افراز البولينا وقد تخف وطأة هذه الاعراض بعد قليل من الايام وتتحسن حالة المريض وقد ينعدم افراز البول بالمرة بضع ساعات الي يوم وتحدث أعراض التسمم البولى وربما قضى المريض نحبه او تحسن اما من جهة التورم فربما عدا على الرئتين والتامور والبلورا فتنعدم وظائف التنفس والقلب فيموت المريض واذا زاد تورم الرجلين ربما انتهي بهما الحال الي غنغرينة

الانذار على العموم حسن وكثير جداً من حالات الالتهاب تشفى أو تصير مزمنة ولا يموت المريض فى الحالة الحادة ولكن الاعراض السيئة هى ماقدمناه من التهاب الاعضاء الهامة في الجسم

العلاج — علاج الكلية نفسها يهمل في الغالب مالم يكن بها ألم فتعالج بكاسات الهواء او اللبخ خصوصا اذا حصل نزيف أما العلاج الهام فهو اخراج جميع افرازات الجسم بالطرق الاخري كالامعاء والجلد وذلك باعطاء المعرقات والمسهلات ونزع مسببات المرض ويوضع المريض فى غرفة حارة

وطعام المريض لايكون غير اللبن الصافي أو المخلوط بماء الصودا ولا يسمح

للمريض بشيء من اللحم او السمك أو البيض ولكن يجوز اعطاء الاطعمة النشوية اذا كانت الاعراض غير شديدة . اما العقاقير المسهلة والمرقة فأحسن ماتكون اذا كانت ملحية كالملح الانجليزى وسلفات الصودا وسترات الصودا والليمونادة وطرطيرات الصودا والبوتاسا

ويجب أن لايكون في غذاء المريض أدني كمية من ملح الطعام لانه لايفرز من الجسم ويسيء حالة المرض

ومن أحسن المعرقات حمام الهواء الساخن وهو عبارة عن صندوق خشبي يجلس فيه المريض وتدخل اليه حرارة مدخنة مصباح فيفرز العرق بغزارة تامة أو حمام بالبخار بأن توضع غلاية لها فوهة توصل البخار الى هذا الصندوق

وأحسن نوع من المعرقات هو نترات البيلوكاربين سدس حبة او ربع حبة او وضع انابيب سوتلي واذا حصل تشنج للمريض يجب اسعافه بالكلوروفورم وقليل من النفط فقط لان قلب المريض ربما يكون ضعيفا ويجب الاعتناء بلسانه اذ ربما يعضه بأسنانه أويعمل للمريض عملية الفصد ولكن يجب التأني في هذه العملية لانه ليس من الصواب ان يفقد صريع الالتهاب الكلوي بفقد دمه . ولا تعمل هذه العملية الا اذا كانت التشنجات قوية جداً . ويعطي للمريض مقدار حبة من نترات البيلوكاربين اما القيء فيعالج باعطاء ماء الصودا أو حمض السياندريك المخفف (دستور انجليزى ٤ نقط) ويعتنى بملابس المريض وحفظه من البرد

﴿الالتهاب الكلوى الجوهري﴾
(المزمن)

(أسبابه) كأسباب الحاد وتختلف عنه بأن أعراضه قد لاتكون حادة أى انه يبتديء على شكل مزمن من الاول وربما كانت نتيجته نوبة حادة الاعراض. استمرار الاعراض الحادة السابقة الذكر وهي التورم في جميع اجزاء الجسم والاغشية الداخلية وضخامة في القلب ولكن المرض الذى يبتدىء مزمنا من اوله فيبتدىء بضعف في شهية الطعام ووجع فى الرأس وبعد ذلك بمدة تورم في الاطراف السفلى او جميع اجزاء الجسم في الليل ثم تزداد هذه الاعراض فتصير كأعراض المرض الحاد في شكل البول ومحتوياته وضخامة القلب وتصلب الشرايين وربما ينتهي الحال

بالموت كما فى الحالة الحادة او بعدمدة من الزمن يضمر النسيج الكلوى ويصير كالالتهاب الخلالي المزمن

(العلاج) كما في الحاد وينصح المريض بالاقامة بالبلاد الحارة ويعطي الحديدوالزرنيخ لتقليل مايعتريه من فقر الدم

سترات الحديد والنوشادر	٥٠ر٠س م
سائل الزرنيخ	٢٠ر٠س.م
صبغة الجوز المقيء	٤٠ر٠س.م
روح الكلوروفورم	٠١ر س.م
ماء كاف	

ثلاثة فناجين قهوة في اليوم

ولقد ابتدأ الاستاذ اديبوهلس منذ عدة سنين في معالجة الكلي الملتهبة بعملية جراحية ينزع بها غلاف الكلي ويقال انها افلحت

(الالتهاب الكلوى الخلالى) (المزمن)

(اسبابه) النقرس والتسمم الرصاصي والكحولى والتسمم المعوى المزمن ويري الاستاذ ديكنسون ان المنطقة المعتدلة اكثر البلاد اعدادا لهذا المرض لكثرة التغيرات الجوية ومن الاسف ان هناك كثيراً من الحالات لم يمكن البحث عن سبب لها

(الاعراض) قليلة في بداية الامر وكثيرما يحدث للمريض مضاعفات المرض وهو لا يشعر بمرضه الاصلى أما الاعراض التي تجعل الانسان يفكر في هذا المرض فهي صداع مستمر وتهوع وقيء وقصر في النفس وفقر دم وبعض المرضى يشعر بكثرة افراز البول خصوصا في وقت الليل وفي بعض الاحايين تغيب كل هذه الاعراض ولا يشعر المريض الا بعينيه قد ابتدأ نظرهما يضعف ويتغير

اما البول فاليك التغيرات التي تطرأ عليه :

اولا يزيد مقداره ويكون لونه رائقا وربما كان كالماء وكثافته النوعية قليلة من ١٫٠٠٥ الى ١٫٣ر١ وجميع محتويات البول تقل عن المعتاد واما كمية الزلال فهي قليلة جداً وربما كانت منعدمة او لا تجاوز خمسة في الالف ويكون في البول راسب ابيض ولا يوجد في بداية هذا المرض شيء من التورم فى جهة من الجسم اللهم الا ان يتقدم المرض فترم الاقدام فقط واذا حصل التورم فيكون هذا نتيجة ضعف القلب او وجود التهاب كلوى حاد على الالتهاب

الكاوي المزمن وتتغير أشكال ضربات القلب فالضربة الاولى تكون متكررة والضربة الثانية تزداد قوتها فوق ضخامة الاورطي

ويمضي زمن طويل او قصير على حالة المريض ثم تبتدىء المضاعفات التي شرحناها في مقدمة هذا القول

وأهم تأثير في المرض المزمن يكون على القلب فتستولى عليه الضخامة والاتساع ثم يظهر النفخ الانقباضي *Systoliemmurmur* في قمة القلب من اصابة الصمام المترال وبعد ذلك يضطرب القلب اضطراباً مريعاً وتحتقن الرئة ويحصل فيها نزيف وتحتقن الكبد ثم تحصل أعراض عدم كفاية القلب للقيام بمهمته

(العلاج) : بعد منع السبب الذى نتج عنه الالتهاب تعالج أعراض المرض الرئيسية وهى : (١) تقليل المواد الغذائية التي تفرزها الكلي (٢) تقليل ضغط الدم وصلابة الشرايين فلا يضطر القلب لبذل مجهود عظيم (٣) معالجة فقر الدم الناتج عن المرض (٤) مضاعفات المرض

أما الطعام فلا بد ان يكون لبنا وخاليا من اللحوم الحمراء واستعمال المرقات وتجنب البرد وعدم التعب الجسمى أو العقلى والطعام يكون من الاشياء المركبة من الدقيق والنشا وتجتنب الاشياء الحريفة كالبهار والفلفل والكحول الخ

ويجب تقليل لامتلاء الشرياني وضغط الدم باستعمال النترات والنيتروجلسرين (واحد على مئة نقطة) ثلاثة يوميا والاريترول النيتراتى الرباعي . ويستعمل الحديد والزرنيخ والحقن بكاكوديلات الحديد . اما المضاعفات فتعالج بالعلاج الخاص بها

والالتهاب الكاوى المختلط يكون فيه أعراض الدائين ويعالج بعلاجهما مما

(الالتهاب التقيحي الكاوي)

اما ان يكون هذا التقيح نتيجة امتداد التهابي تقيحي من اى جزء من الجهاز البولى من اول القضيب فالمجرى البولى فالمثانة والبروستاتة فالحالب البولى ويمتد الى الكلي والاعراض الاولي رعدة وقشعريرة وارتفاع في درجة الحرارة وحمى التقيح (*Hectic fever*) وفي بعض الاحيان تشبه أعراض هذا الداء الحمي التيفودية سواء بسواء ويكون الالم العظيم في مركز وجود الكلي خصوصاً بالضغط

عليه وتتغير حالة البول فيحتوى على صديد وتقل البولينا وقد لاحظ السير هنري موريس انه تحدث في هذا المرض نوع من الحمي المتقطعة يكون البول في وقتها أكثر مما في غيرها ونتيجة هذا المرض الموت في مدة تتراوح من ثلاثة أيام الى ثلاثة اسابيع

العلاج : يعالج المرض الاصلي التقيحي وتعالج الحمى بالكينين (٥ر٠ سنتي غرام) والبوروتروبين مثله ثلاثة يوميا واستعمال حقن مميتة للميكروبات اما مصل او تلقيح

(الاكياس الكلوية «استسقاء الكلي»)

نتيجة انسداد الحوض الكلوي او الحالب البولي بحصاة كاوية بولية وهذا هو الشائع وقد تكون هذه الانسدادات مرضية كالاورام والبلهارسيا اوربط الحالب في عملية جراحية او يولد الطفل بهذه العاهة

الاعراض : تصور كيسا من الماء موضوعا مكان الكلى قد كبر حتي بلغ شيئا عظيما بحيث انه في بعض الاحيان يملأ البطن ويكون فيه التموج المائي ويأتى من جهة الكلية ويتمدد الى جميع الجهات

ومن أعراضه الهامة انه يفرغ مافيه من الماء في المثانة في بعض الأحيان فلا يرى على حالته الاولى ثم يبول المريض مقدارا كبيراً من البول وهلم جرا واذا كانت الاصابة مزدوجة أي في كلتا الكليتين يموت المريض من التسمم البولى

العلاج : ان تنتظر حتي يفرغ الكيس محتوياته في المثانة اذا لم يكن خطر من الانفجار او يستعمل له البذل اويستأصل بعملية جراحية

***

الاستحالة النشوية والاكياس الديدانية والدرن والتقيح أعراضها هي نفسها أعراض الكبد مع تغيير مركز الالم

(الاورام)

الخبيثة أهمها السرطان اللحمى والنخاعي الخ اما ابتدائيا او تابعيا

الاعراض : (١) وجود ورم يمكن جسه وتحديده في الكلية

(٢) بول دموى قليل متقطع

(٣) اذا فحص البول فحصا ميكروسكوبيا وجد فيه خليات السرطان ويمكن للباتولوجي الماهر تمييزها

(٤) ألم شديد في الوسط ويمتد الى

الانحاذ واذا تجمد الدم في الحالب البولى حصل مغص كلوى أما بقيـة الاعراض فهي الكاشيكسيا ووجع الرأس والقيء والهزال وفقر الدم وأكثر ما يعيش المريض سنتين

العلاج : بعد التأكد من التشخيص تستأصل الكلية المصابة

(الـكلية السابحة)

اكثر ماتكون في السيدات اللاتي حبلن كثيرا او كل من اعتراه هزال بعد سمن او اصيب بسقوط الامعاء

وأعراضه : ألم في الوسط مسحوب الى الاطارف السفلي ويزداد هـذا الالم بالتحرك المضـطرب والمشى وغيره وفي بعض الاحيان قد تختنق الكلية فتحصل نوبة ديتل وهي عبارة عن ألم شديد جداً في الجنب وتقايؤ وقلة في البول وربما كان دمويا ويقال أن سبب هذه النوبة التواء الاوعية الكلوية وتزول هذه بعد اسبوع وتتبع هذه الاعراض أعراض التهاب المعدة وسوء الهضم ويمكن جس الـكلية السابحة باليد فتتحرك في مكانها

(العلاج) : الراحة التامة والنوم على الظهر واعطاء المأكولات السهـلة ثم ربط البطن بحزام ضاغط واذا لم تتحول الآلام تعمل عملية جراحية تثبت بها الكلية في مكانها

(الحصيات الـكلوية)

لها عدة أنواع أشهرها أملاح حمض البوريك وبورات الصودا واوكسـلات الجير ومزيج من فسفات الجير والنشادر وفسفات الجير وكربونات الجير والسيستين والزانتين والنيلاء وهى اما مفردة أو متعددة وأسبابها غير مؤكدة الى الآن فالبعض ينسبها لاضطراب التغذية العام وعلى العموم فأنها تبدأ صغيرة ثم ترسب علي ذلك رواسب متكررة فتنمو

(الاعراض) اما ان تكون الحصاة في حوض الـكلية فلا تحدث اعراضا مطلقا او تحدث التهابا في الحوض فينشأ عن ذلك بول دموى او زلالي او قيحي حسب درجة الالتهاب ويجو ان يكون ذلك نتيجـة حصيات متعددة صغيرة (الرمل الكلوى)

(٢) واذا انحشرت الحصاة في الحالب فيتسبب عنها المغص الـكلوى أو الانحباس البولي وينشأ المغص الـكلوي من تشنج الحالب فيثور الالم فجأة خصوصا

بعد وثب او جري ويشتد في حذاء النقطة المصابة ويكون الالم ناخسا ويتشعع في اتجاه الحالب الى المثانة والى الاطراف السفلي وفي الخصية وتارة يمتد الى البطن والصدر ومن شدة ألم المريض يضطر ان ينثني تخفيفا لالمه ويتصبب العرق من جميع اجزاء جسمه وربما حصل قيء ويصغر النبض ويبول بولا محمراً داميا والنتيجة أحد أمرين اما ان تسير الحصاة الى المثانة وربما ترجع ثانية الى الحوض الكلوي فيهدأ الالم فجأة وبعد ذلك يبول المريض الحصاة او تبقى في الكلية لترجع ثانية فتعقب مغصا كلويا والنتيجة الثانية ان تبقى الحصاة في مكانها بالحالب فيحتبس البول وتتقيح جميع الاجزاء المجاورة ويضخم الحالب. وبعد هذا التقيح تحدث الخراريج المتعددة فيما يجاور هذه الحصاة واذا حدث مثل هذا في الكليتين في آن واحد قضى المريض نحبه

(العلاج) اذا كان البول حمضيا فالحصاة من حمض البوريك او املاحه ولذلك تعطي القلويات بكثرة والعقاقير التي تذيب حمض البوريك اما القلويات فهي بيكربونات الصودا (اربع او خمس غرامات في اليوم) او مثل هذا المقدار من سترات الصودا المذوبة في كثير من الماء وتقلل أكل اللحم أو يمنع عنه وتؤكل الاشياء السكرية والنشوية ويجتنب الكحول وينصح (رالف) استعمال زيت التربنتينا في محافظ عشرة فقط مرتين في اليوم والاستحمام والاقامة في فيشي وفيتيل وكارلسباد الخ واستعمال اليوردينال والسليولوم والبيبرازين الخ واذا كانت الحصاة كبيرة لاتذوب تنزع من مكانها بالعملية الجراحية

(علاج المغص الكلوى) الادوية المسكنة لها فائدتان الاولى انها تضاد تشنج الحالب فيسهل نزول الحصوة والثانية انها تخفف الالم وافضل من هذه حقنة مورفين او الافيون علي شكل جرع او حبوب او استعمال الكلوروفورم اذا كان الالم لا يطاق والابخ ومرهم او لصقة البلادونا او حمام دفيء ويكتفى من الاكل والشرب بماء الشعير واللبن

اما اذا كانت الحصاة قلوية او من اوكسالات الجير فتستعمل لها الحوامض كحمض المرياتيك من ١٠ الى ٢٠ نقطة في اليوم

الدكتور حسين الهراوي

﴿الكمأة﴾ هي نبات ينبت في جوف الارض بدون ساق وبدون أوراق وبدون جذور ودوائرها البزرية محوية في سمك منسوج لحمي تتركب منه وتلقح عند ائتلافه ليتولد نوعها

هذا النبات ينبت في باطن الارض ولا يظهر على سطحها أصلا وشكله مستدير يكاد يكون منتظما سطحه املس او درن ولون باطنه اسمر اوسنجابي واحيانا ابيض والاكثر ان يكون اللون مرمريا وهذا اللون يختلف باختلاف أنواعه

من أنواع الكمأة مايؤكل وهو الذى يسميه الايطاليون طرطوفو وهو يكون مستديراً بدون انتظام وأحيانا يكون قصبيا وحجمه يكون بقدر حجم البندقة ويزيد الي ان يبلغ حجم قبضة اليد ويوجد في سطحه الخارج حبوب خشنة كالجلد المقطب وله رائحة خاصة قوية جداً مقبولة وتنتشر لمحل بعيد وله طعم خاص أيضاً ولا يمكن مقابلته بطعم جسم آخر

ولما كانت الكمأة لاتنبت الا في باطن الارض فيستدل عليه مجتنوها برائحتها وبالحشرات التي تطير فوقها . والغالب استخدام الخنازير والكلاب للاستعانة بها علي العثور عليها لأنها تستلذ أكلها وهي تنبت بطبعها وقد جربوا استنباتها بالصناعة فلم يتيسر ذلك

وقد غري بأكل الكمأة ناس كثيرون في أوروبا فادعوا أنها خفيفة علي المعدة سليمة العاقبة وزعم بعضهم أنها ثقيلة على المعدة قاتلة

﴿كم﴾ اسم بأتي بمعني كثير فتكون خبرية أو استفهامية بمعني أى عدد . أما تمييز الخبرية فيجب خفضه نحو : (كم عبد عنده) اى كثير الا اذا فصل بينها وبين التمييز فيجب نصبه نحو (كم لنا كتبا)

اما الاستفهامية فيجب في تمييزها النصب نحو : (كم كتابا ملكت ؟)

﴿الكُمَيت﴾ من الخيل الذى خالط حمرته سواد غير خالص ويستوي فيه المذكر والمؤنث

﴿الكمثري﴾ فاكهة تسمى الاجاص واحدتها كمثراة خشبها صلب لاتؤثر فيه الحشرات يستعمل بدل الآبنوس

الكمثري من أقدم الفواكه المعروفة اصلها من الجهات المعتدلة بأوروبا وآسيا حيث هي هناك كنبات بري وقد أتقن زرع هذه الاشجار في فرنسا وشمال ايطاليا وهي من

احسن الفواكه

لا يمكن القول بنجاح زراعته في مصر على ان فيها من أنواعه السكري والبلدي والقللى والخشابي وجميعها خالية من الشوك تزهر في مارس وابريل علي حسب أنواعها وتنضج فاكهتها في اشهر الصيف بعضها في اوائله وبعضها في اواخره وهذه الانواع المذكورة ثمارها غير جيدة فهي خشنة ليفية صلبة

تزرع الكمثرى في ارض خصبة ويجب ان تصرف مياهها صرفا جيدا وكل ارض صفراء صرفة جيدة تكون موافقة لزرعها وخصوصا اذا كان فيها مقدار كاف من الجير

التوالد - اذا اعتبرنا توالد الكمثرى وجدنا ان هذا النبات يمكن تولده على اشجار مختلفة فالغالب ان يستعمل اما الكمثري واما السفرجل فتزرع الكمثرى المقصود التطعيم عليها من البزرة وتطعم متى بلغت النمو الكافي بالنوع المراد تطعيمها به . اما السفرجل فاما ان يكون من الفروع التي تنمو في اسفل الساق في اشجار السفرجل او من العقل ففى الحالة الاولي تنتج اشجار كبيرة قوية صلبة الا انها تظل مثمرة زمنا طويلا

وفي الحالة الاخيرة تكون جذور الاشجار الناشئة قليلة العمق وأقل قوة وعمرها اقصر الا انها تكون اسرع اثمارا والغالب ان يكون ذلك في السنة الثالثة بعد التطعيم وثمرها اكبر واجمل واجود نوعا

فيجب تطعيم اشجار الكمثري على السفرجل خصوصا اذا اريد اقتصاد الزمن

وطريقة التطعيم في مصر هى طريقة الشق ويجب ان تعمل فى محلات التربية قرب آخر فبراير علي سيقان عمرها عامان وهو يحصل اما من العقل او من الجذيرات وأحيانا يكون التطعيم علي فرع ناشيء من اصل شجرة قديمة ناجحة وفى مثل هذه الحالة يلزم انتخاب اقوى الفروع ومتي طعم تقطع باقى الفروع ويمكن ان تزرع الاشجار الصغيرة خارج محل التربية بعد التطعيم بعام في شهر فبراير قبل بدء النمو الشديد وعلى ابعاد قدر كل منها خمسة امتار

يندر تقليل أشجار الكمثرى بمصر بل يكتفى بقطع الاخشاب الجافة القديمة من وقت لآخر

تنمو الكمثري على افرع تتكون في مدة سنتين او ثلاثة او اكثر ولا يحسن ان يترك بالاشجار الصغيرة عدد كثير من الفروع

كلما تقدمت الشجرة في السن كانت كثيرة الفروع ويمكن ان يزال بعضها من وقت لآخر كلما ظهر لزوم ذلك لتحسين حال الشجرة. ويجب ان يكون هذا الحذف بحكمة وأن لا يزال في فصل واحد الا جزء قليل. كما يجب فحص الاشجار سنويا وقطع الفروع التى لا تشتمل الا على قليل من الثمر في أطرافها حتي يمكن ان ينمو فرع آخر عليه ثمر

يجب ان تجني الكمثرى بمجرد فقدها لطعمها الخشبي وتحتوي على سكر كاف ولا بد من جنيها باليد باعتناء. ولا يجوز ان تبقى على الشجرة الى أن تلين لان ذلك يفضي بها الى الجفاف ثم اللين ثم تصير كالدقيق وربما تعفن قلبها وقد يحصل الامران معا

والعلامة الجيدة لادراكها انك اذا ضغطت عليها بالابهام من طرفها لانت بسهولة

يرد الي مصر سنويا مقدار عظيم من الكمثري من ايطاليا وآسيا الصغرى وبلاد اليونان وغيرها

(خواصها الطبية) الكمثرى من الفواكه النافعة المحتوية على كثير من المادة الفوسفورية فيجب اغتنام الاكل منها في ابانها وفيها حوامض نافعة للمعدة ولاصلاح الدم وهي سهلة الهضم والخلاصة أنها من الفواكه العظيمة القدر التي يجب ان يحرص على اكلها

وقد ذكرها أطباء العرب فقالوا انها تحبس البخار وتذهب الحرارة والعطش وتقوي المعدة وتهضم الطعام وتفرح القلب وتذهب الخفقان والنزلات

والحامض منها ان أكل علي الطعام اسهل الصفراء. والاقبض ويقوى الشهية ويصلح الكبد ومزاج الكلي .والحلو يذهب حرقة المثانة ويعدل الدم . وكل أنواعها يولد القولنج والسدد ويصلحه الثمار. والحامض يضر المشايخ والمبرودين ويصلحه الزنجبيل . وكله يصلح في المحرورين بالسكنجبين (الليمونادة بالليمون او الخل)

وورقها وزهرها يقطع الاسهال ويحدث تفريحا. وصمغها قوي الانضاج والتحليل. وحبها يسقط الديدان ويتعاطي منه الى مثقالين

﴿ الكيلوس ﴾ هو الطعام اذا انهضم في المعدة

﴿ كَمِش ﴾ يكمَش كَمَشا كان سريعا ماضيا . و (كَمُش الرجل يكمُش كَماشة)شجع واسرع.و (كمَش الحادى) أسرع فى السير . و (كمَّش فلانا السيرُ) أسرعه و (تكمَّش) أسرعو (الكَميش) السريع

﴿ كَمَل ﴾ يكمُل وكَمِل يكمَل وكَمُل يكمُل كمالا تم . و (كمّله وأكمله) أتمه . و (تكمّل الشيء وتكامل واكتمل) تم .و(الكمال)اسم مصدر و(تكمِلة الشيْ) مايتم به

﴿ الكاملية ﴾ فرقة من الفرق الاسلامية اصحاب كامل حكموا بكفر جميع الصحابة لتركهم مبايعة علي عليه السلام بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام وطعنوا في علي أيضا بتركه حقه. قال زعيمهم كامل كان على علي أن يخرج ويظهر الحق

على انه غلا فى حقه . وكان يقول الامامة نور يتناسخ من شخص الى شخص وذلك النور فى شخص يكون نبوة وفى شخص يكون امامة وربما تتناسخ الامامة الى نبوة وقال بتناسخ الارواح بعد الموت

قال العلامة الشهرستاني في كتاب الملل والنحل . والغلاة علي اصنافها كلهم متفقون علي التناسخ والحلول . ولقد كان التناسخ مقالة لفرقة في كل أمة تلقوها من المجوس المزدكية والهند والبراهمة ومن الفلاسفة والصابئة ومذهبهم ان الله تعالي قائم بكل مكان ناطق بكل لسان ظاهر بشخص من أشخاص البشر وذلك معنى الحلول. وقد يكون الحلول بجزء وقد يكون بكل أما الحلول بجزء فهو كاشراق الشمس في كوة أو كاشراقها علي البلور. وأما الحلول بالكل فهو كظهور ملك بشخص او كشيطان بحيوان ومراتب التناسخ اربعة النسخ والمسخ والفسخ والرسخ وسيأتى شرح ذلك عند ذكر فرقهم من المجوس على التفصيل . وأعلى المراتب مرتبة الملكية أو النبوة وأسفل المراتب الشيطانية والجنية

وهذا أبو كامل كان يقول بالتناسخ ظاهراً من غير تفصيل مذهبهم

﴿ كمال الدين بن منعة ﴾ هو ابو الفتح موسى بن أبي الفضل يونس بن محمد ابن منعة بن مالك بن محمد الملقب كمال الدين الفقيه الشافعى

تلقى الفقه على والده بالموصل ثم رحل الى بغداد سنة (٥٧١) ه وأقام بالمدرسة

النظامية يأخذ عن السديد السلماني وكان المدرس بها يومئذ الشيخ رضي الشيرازي فقرأ الخلاف والاصول واخذ الادب عن الكمال ابي البركات عبد الرحمن بن محمد الانباری وكان قرأ قبل ذلك علي الشيخ ابي بكر يحيي بن سعدون القرطبي فتميز ومهر ثم اصعد الى الموصل وعكف على الاشتغال ودرس بعد وفاة والده بموضعه بالمسجد المعروف بالامير زين الدين صاحب اربل ويعرف بالمدرسة الكمالية نسبة الى كمال الدين المذكور ولماذاع فضله قصده الفقهاء وتبحر في جميع الفنون وجمع من العلوم مالم يجمعه احد وتفرد بعلم الرياضة . وكان الفقهاء يقولون انه يعرف اربعة وعشرين فنادراية تامة منها المذهب الذى فاق فيه جميع اهل عصره وكان جماعة من الحنفية يشتغلون عليه بمذهبهم ويحل لهم مسائل الجامع الكبير احسن حل مع ماهى عليه من الاشكالات . وكان يتقن فن الخلاف العراقي والبخارى واصول الفقه واصول الدين

ولما وصلت كتب فخر الدين الرازي الى الموصل وكان بها اذ ذاك جماعة من الفضلاء لم يفهم احد منهم اصطلاحه فيها سواه وكذلك الارشاد للعميدي لما وقف عليه حلها فى ليلة واحدة وقرأها علي ماقالوه

وكان يدرى فى الفلسفة والمنطق والطبيعى والالهي والطب ويعرف فنون الرياضة عن اقليدس والهيئة والمخروطات والمتوسطات والمجسطي وأنواع الحساب المفتوح منه والجبر والمقابلة والارثماطيقى وطريق الخطابيين والموسيقى والمساحة معرفة لايشاركه فيهاغيره الافي ظواهر هذه العلوم دون دقائقها وحقائقها. واستخرج في علم الاوفاق طرقا لم يهتد اليها أحد . وكان يبحث في العربية والتصريف بحثا تاما حتي كان يقرأ كتاب سيبويه والايضاح والتكملة لابى على الفارسي والمفصل للزمخشرى وكان له في التفسير والحديث وما يتعلق به واسما الرجال يد جيدة . وكان يحفظ من التاريخ وايام العرب ووقائعهم والاشعار والمحاضرات شيأ كثيرا

وكان اهل الذمة يقرأون عليه التوراة والانجيل وشرح لهم هذين الكتابين شرحا يعتبرون أنهم لايجدون من يوضحه لهم مثله

وكان في كل فن من الفنون كأنه لا يعرف سواه لقوته فيه وبالجملة فان مجموع ماكان يعلمه من الفنون لم يسمع احد ممن تقدمه انه قد جمعه

قال القاضي بن خلكان الذى ننقل عنه هذه الترجمة :

« ولقد جاءنا الشيخ اثير الدين المفضل الابهري صاحب التعليقة في الخلاف والزيج والتصانيف المشهورة من الموصل الى اربل فى سنة «٦٥٥» ونزل بدار الحديث وكنت اشتغل عليه بشيء من الخلاف فبينما انا يوما عنده دخل عليه بعض فقهاء بغداد وكان فاضلا فتجاريا فى الحديث زماناوجري ذكر الشيخ كمال الدين في اثناء الحديث فقال له الاثير لما حج الشيخ كمال الدين ودخل بغداد كنت هناك ؟ فقال نعم : فقال كيف كان اقبال الديوان العزيز ؟ فقال له ذلك الفقيه ماانصفوه على قدر استحقاقه. فقال الاثيرماهذا الا عجب، والله مادخل بغداد مثل الشيخ . فاستعظمت منه هذا الكلام وقلت له ياسيدنا كيف تقول كذا؟ فقال ياولدى مادخل بغداد مثل ابي حامد الغزالى ووالله مابينه وبين الشيخ نسبة .

قال ابن خلكان : وكان الاثير على جلالة قدره فى العلوم يأخذ الكتاب ويجلس بين يديه ويقرأ عليه والناس يوم ذاك يشتغلون فى تصانيف الاثير. ولقد شاهدت هذا بعيني وهو يقرأ عليه كتاب المجسطى

ثم قال : ولقد حكي بعض الفقهاء انه سأل الشيخ كمال الدين عن الاثير ومنزلته فى العلوم فقال مااعلم . فقال وكيف هذا يامولانا وهو فى خدمتك منذ سنين عديدة ويشتغل عليك ؟ فقال لانني مهما قلت له تلقاه بالقبول ، وقال نعم يامولاي ، وما حادثني في بحث قط حتي اعلم حقيقة فضله ولا شك انه كان يعتمد هذا القدر مع الشيخ تأدبا وكان معيدا عنده بالمدرسة البدرية وكان يقول ماتركت بلادى وقصدت الموصل الا لاشتغال على الشيخ

قال القاضي ابن خلكان. ومن يقف على هذه الترجمة فقد ينسبني الى المغالاة في حق الشيخ ومن كان من اهل تلك البلاد وعرف ماكان عليه الشيخ يعلم اني ما اعزته وصفا ونعوذ بالله من الغلو والتساهل في النقل

ولقد ذكره ابو البركات المبارك بن المستوفي فقال هو عالم مقدم ضرب في كل

علم وهو فى علم الاوائل كالهندسة والمنطق وغيرهما ممن يشار اليه . حل أقليدس والمجسطي على الشيخ شرف الدين المظفر ابن محمد بن المظفر الطوسى القارى يعني صاحب الاصطرلاب الخطى المعروف بالعصائم

قال ابن المستوفى وردت عليه مسائل من بغداد فى مشكلات هذ العلم فحلها واستصغرها ونبه على براهينها بعد أن احتقرها . وهو فى الفقه والعلوم الاسلامية نسيج وحده . درس فى عدة مدارس بالموصل وتخرج عليه خلق كثير فى كل فن ثم قال: أنشدنى لنفسه وأنفذها الى صاحب الموصل يشفع عنده :

لئن شرفت أرض بمالك رقها
فمملكة الدنيا بكم تتشرف
بقيت بقاء الدهر أمرك نافذ
وسعيك مشكور وحكمك منصف
ومكنت في حفظ البسيطة مثل ما
تمكن في أمصار فرعون يوسف

قال ابن خلكان .ولقد أنشدنى هذه الابيات عنه أحد أصحابنا بمدينة حلب وكنت بدمشق سنة ٦٣٣ وبها رجل فاضل في علوم الرياضة فاشكل عليه مواضع فى مسائل الحساب والجبر والمقابلة والمساحة واقليدس فكتب جميعها في درج وسيرها الى الموصل ثم بعد أشهر عاد جوابه وقد كشف عن خفيها وأوضح غامضها وذكر ما يعجز الانسان عن وصفه ثم كتب في آخر الجواب :

«فليمهد العذر في التقصير فى الاجوبة فان القريحة جامدة والفطنة خامدة ، قد أستولى عليها كثرة النسيان ، وشغلتها حوادث الزمان ، وكثير مما استخرجناه وعرفناه نسيناه ، بحيث صرنا كأنا ما عرفناه »

قال القاضى بن خلكان : وقال لى صاحب المسائل المذكورة ما سمعت هذا الكلام الا للاوائل المتقنين لهذه العلوم ، ما هذا من كلام أبناء زماننا

ظل كمال الدين بن منعة مواظباً على القاء الدروس والافادة وحضر فى بعض الايام دروسه جماعة من المدرسين من أرباب الطيالس وكان العماد أبو على عمر بن عبد النور بن مأجوج بن يوسف الصنهاجي اللزني النحوى البجائي حاضرا فأنشد على البديهة قوله :

كمال كمال الدين للعلم والعلى
فهيهات ساع في مساعيك يطمع
اذا اجتمع النظار في كل موطن
فغاية كل ان تقول ويسمعوا
فلا تحسبوهم من عناد تطيلسوا
ولكن حياء واعترافا تقنعوا
وللعماد المذكور فيه أيضاً:
تجر الموصل الاذيال فخرا
على كل المنازل والرسوم
بدجلة والكمال هما شفاء
لهيم أو لذى فهم سقيم
فذا بحر تدفق وهو عذب
واذا بحر ولكن من علوم
قال ابن خلكان: وكان الشيخ سامحه الله يتهم في دينه لكون العلوم العقلية غالبة عليه . وكانت تعتريه غفلة في بعض الاحيان لاستيلاء الفكرة عليه بسبب هذه العلوم فعمل فيه العماد المذكور:
أجدك قد جاد بعد التعبس
غزال بوصل لى وأصبح مؤنسى
وعاطيته صهباء من فيه مزجها
كرقة شعري أو كدين بن يونس
ولد سنة (٥٥١) بالموصل وتوفي بها سنة (٦٣٩) م

كمال الدين بن النبيه هو علي ابن محمد بن الحسن بن يوسف بن يحيي الشاعر البارع المصرى
مدح بني أيوب واتصل بالملك الاشرف موسي وكتب الانشاء وسكن بنصيبين وتوفي بها سنة (٦٠٩)

من شعره قوله متغزلا:

بدر تم له من الشعر هاله
من رآه من المحبين هاله
قصر الليل حين زار ولا غر
وغزال غارت عليه الغزالة
يا نسيم الصبا عساك تحملـ
ـت لنا من أهيل نجد رسالة
كل معسولة المراشف بيضا
ء حمتها سمر القنا العسالة
عانقتني كصارمي وأدارت
معصميها في عاتقي كالحمالة
ان بالرقمتين ملعب لهو
بسطت دوحه علينا ظلاله
معلم معلم وشي بسطه الزهـ
ـر وحاكته ديمة هطالة
وكأن الحمام فيه قيان
عربت لحنها على غير آلة

وكأن القضيب شمر للر
ص سحيراً عن ساقه أذياله
ان حوض الظلماء أطيب عندي
من مطايا امست تشكي كلالة
فهي مثل القسي شكي ولكن
هي في السبق أسهم لامحالة
تركتها الحداة في الخفض والرف
ع حروفا في جرها عمالة

ومن شعره أيضاً :

رنا وانثني كالسيف والصعدة السمرا
فما اكثر القتلى وما ارخص الاسري
خذوا حذراً من خارجي عذاره
فقد جاء زحفا في كتيبته الخضرا
غلام أراد الله اطفاء فتنة
بعارضه فاستأنفت فتنة أخرى
فزرفن بالاصداغ جنة خده
وأرخي عليها من ذوائبه سترا
أخوض عباب الموت من دون ثغره
كذاك يخوض البحر من طلب الدرا
غزال رخيم الدل في يوم سلمه
ولكن له في حربه البطشة الكبرى
دري بحمل الكأس في يوم لذة
ولكن بحمل السيف يوم الوغي أدرى

أهيم به في عقده ونجاده
فلا ئدمنه في السرائر والضرا
وظامية الخلخال اماوشاحها
فهذا قد استغنى وذاك اشتكي فقرا
لها معصم لولا السوار يصده
اذا حصرت أكامها الجرى نهرا
دعتني الي السلوان عنه بحبها
فما كنت أرضى بعد ايماني الكفرا
بأي اعتذار التقى حسن وجهه
اذا شغلتني عنه غانية عذرا

وقال أيضاً :

باكر صبوحك أهني العيش باكره
فقد ترنم فوق الايك طائره
والليل تجرى الدراري في مجرته
كالروض تطفو على نهر أزاهره
وكوكب الصبح نجاب على يده
مخلق تملأ الدنيا بشائره
فانهض الى ذوب ياقوت لهاحبب
ينوب عن ثغر من تهوي جواهره
حمراء في وجنة الساقي لها شبه
فهل جناها مع العنقود عاصره
ساق تكون من صبح ومن غسق
فأبيض خداه واسودت غدائره

مفلج الثغر معسول اللمى غنج
مؤنث الجفن فحل اللحظ شاطره
مهفهف القد يبدي جسمه ترفا
مختصر الخصر عبل الردف وافره
بيض سوالفه لعس مراشفه
نعس نواظره خرس أساوره
تعلمت بانة الوادي شمائله
وزورت حسن عينيه جآذره
كأنه بسواد الصدغ مكتحل
وركبت فوق خديه محاجره
نبي حسن أظلته ذوائبه
وقام من فترة الاجفان ناظره
فلو رأت مقلتا هاروت آيته اا
كبري لآمن بعد الكفر ساحره
قامت أدلة صدغيه لعاشقه
على عذول أتى فيه يناظره
خذ من زمانك ما اعطاك مغتنما
وانت ناه لهذا الدهر آمره
فالعمر كالكأس تستحلي اوائله
لكنه ربما مرت اواخره

وقال ايضاً :

طاب الصبوح لنا فهاك وهات
واشرب هنيئا يا اخا اللذات
كم ذا التواني والشباب مطاوع
والدهر سمح والحبيب مواتي
قم فاصطبح من شمس كأسك واغتبق
بكواكب طلعت من الكاسات
صفراء صافية توقد بردها
فعجبت للنيران في الجنات
ويسيل من قار الظروف حبابها
فالدر مجتلب من الظلمات
عذراء واقعها المزاج أما ترى
منديل عذرتها بكف سقاة
يسعى بها عبل الروادف أهيف
خنث الشمائل شاطر الحركات
يهوى فتسبقه أساود شعره
ملتفة كأساود الحيات
يدري منازل نيرات كؤوسه
مابين منصرف وآخر آت

وقال أيضاً :

يزيد جمال وجهك كل يوم
ولي جسد يذوب ويضمحل
وما عرف السقام طريق جسمي
ولكن دل من أهوى يدل
يميل بطرفه التركي عني
صدقتم ان ضيق العين بخل

اذا نشرت ذوائبه عليه
تري ماء يرف عليه ظل

ومن شعره أيضا :

صن ناظرا مترقبا لك ان يرى
فلقد كفي من دمعه ماقد جرى

يامن حكي في الحسن صورة يوسف
آهالوانك مثل يوسف تشتري

تعشو العيون لخده فيردها
ويقول ليست هذه نارالقري

يا قاتل الله الجمال فانه
ما زال يصحب باخلا متجبرا

ياغصن بان فى نقارمل لقد
ابدعته اذ أثمرت بدرا يرى

ماضر طيفك ان اكون مكانه
فقد اشتهينا في السهاد فما ترى

اترى لأيامي بوصلك عودة
لو انها في بعض احلام الكري

زمناشربت زلال وجهك صافيا
وجنيت روض رضاك أسمر مثمرا

الكمال بن العديم هو عمر بن احمد بن هبة الله بن أبي جرادة الصاحب رئيس الشام كمال الدين العقيلى الحلبي المعروف بابن العديم

سمع الحديث من أبيه وعمه أبي غانم وابن طبرزذ والافتخار والكندى والخرستاني وسمع جماعة كثيرة بدمشق وحلب والقدس والحجاز والعراق وكان محدثا فاضلا حافظا مؤرخا صادقا فقيها مفتيا منشئا بليغا درس وافتي وصنف وترسل عن الملوك وكان رأسا في الخط المنسوب لاسيما النسخ والحواشي

أطنب الحافظ شرف الدين الدمياطي فى وصفه فقال : ولى قضاء حلب خمسة من آبائه متتالية وله الخط البديع ، والخط الرفيع، والتصانيف الرائقة منها تاريخ حلب وأدركته المنية قبل اكمال تبييضه روي عنه الدراري وغيره ودفن بسفح المقطم فى القاهرة

له من المصنفات كتاب الدراري فى ذكر الدراري صنفه للملك الظاهر غازى وقدمه له يوم ولدو لد الملك العزيز وكتاب الاخبار المستفادة في ذكر بني جرادة . وكتاب فى الخط وعلومه وآدابه ووصف ضروبه وأقلامه . وكتاب رفع الظلم والتجرى عن أبي العلاء المعري وكتاب تدبير حرارة الاكباد فى الصبر على فقد الاولاد . وكان اذا سافر الي مصر يركب في محفة تحمله بين بغلين . وكان اذا قدم

مصر لازمه أبو الحسين الجزار فقال بعض
أهل عصره في ذلك :

يا ابن العديم عدمت كل فضيلة
وغدوت تحمل راية الادبار
ما ان رأيت ولا سمعت بمثلها
تيس يلذ بصحبة الجزار

من شعر الصاحب كمال الدين بن
العديم :

وأهيف معسول المراشف خلته
وفي وجنتيه للمدامة عاصر
تسيل الى فيه اللذيذ مدامة
رحيقا وقد مرت عليه الاعاصر
فيسكر منه عند ذاك قوامه
فيهتز تيها والعيون فواتر
كأن أمير النوم يهوي جفونه
اذا هم رفعا خالفته المحاجر
خلوت به من بعد ما نام أهله
وقد غابت الجوزاء والليل ساتر
فوسدته كفي وبات معانقي
الي أن بدا ضوء من الصبح سافر
فقام يجر البرد منه علي نقا
وقمت ولم تحلل لاثم ما زر

وقال وكتب بها الى نور الدين
ابن سعيد :

يا أحسن الناس نظما غير مفتقر
الى شهادة مثلي مع توحده
ان كان حظي كساخطا كتبت به
الى حسنا بدا في لون اسوده
فقد أتت منك ابيات تعلمني
نظم القريض الذي يحلو لمنشده
ارسلتها تقتضيني ما وعدت به
والحر حاشاه من اخلاف موعده
وما نسيت ولكن عاقني ورق
يجيد خطي فآتيه بأجوده
وسوف اسرع فيه الآن مجتهدا
حتي يوافيك بدرا في مجلده
بأحرف حسنت كالوجه دار به
مثل الحواشي عذار في مورده

وكتب الى والده قاضي القضاة مجد
الدين :

هذا كتابي الى من غاب عن نظري
وشخصه في سويدا القلب والبصر
ولا يمن بطيف منه يطرقني
عند المنام ويأتيني على [illegible] در
ولا كتاب له يأتي فأسمع من
انبائه عنه فيه اطيب الخبر
حتي الشمال التي تسري على حلب
ضنت على فلم تخطر ولم تسر

أخصه بتحياتي وأخبره

اني سئمت من الترحال والسفر

أبيت أرعى نجوم الليل مكتئبا

مفكرا في الذى القى الى السحر

وليس لى أرب في غير رؤيته

وذاك عندي أقصى السؤل والوطر

ولد سنة (٥٨٦) وتوفي سنة (٦٦٦) ه

﴿ الكمال بن الزملكانى ﴾ هو محمد ابن على بن عبد الواحد الشيخ العلامة قاضى القضاة كمال الدين بن الزملكاني الانصاري السماكي الدمشقى كبير الشافعية فى عصره

سمع من ابن علان والفخر علي وابن الواسطي وابن القواس وكان فصيحا بصيراً بالمذهب والاصول أتقن العربية . تفقه علي الشيخ تاج الدين وأفتي وعمره لم يبلغ الثلاثين. وكان يضرب بذكائه المثل وكان جميل الهيئة حسن البزة، له شيبة موقرة ، وكان مع ذلك كريم النفس عالى الهمة. وله الانشاء الجيد والتواقيع المعجبة. درس بالشامية البرانية والطاهرية والرواحية وولي نظر ديوان الافرم والخزانة ووكالة بيت المال وكتب في ديوان الانشاء ثم نقل الى قاضى القضاة بحلب ومدارسها فأقام بها أكثر من سنتين . ثم طلبه السلطان من حلب ليوليه قضاء دمشق لما نقل قاضى القضاة القزويني الى مصر، فمات فى طريقه اليها

حكي ولده تقى الدين ان والده كمال الدين قال له عند نقله من حلب الي دمشق يا ولدى أنا والله ميت ولا أتولى لا مصر ولا غيرها وما بقى بعد حلب ولاية أخري لانه في الوقت الفلاني حضر الي دمشق فلان الصالح فترددت اليه وخدمته وطلبت منه التسليك فأمرني بالصوم مدة ثم أمرني بصيام ثلاثة أيام أفطر فيها على الماء واللبان الذكر وكان في آخر ليلة الثلاثاء ليلة نصف شعبان . فقال لي الليلة تجيء الى الجامع تتفرج أو تخلو بنفسك ؟ فقلت أخلو بنفسي فقال جيد ، ولا تزال تصلي حتي أجيء اليك . فخلوت بنفسي أصلى ساعة جيدة فلما كنت فى الصلاة اذا به قد أقبل فلم أبطل الصلاة واذا قد خيل لى قبة عظيمة بين السماء والارض وظاهرها معارج ومراقى والناس يصعدون فيها من الارض الى السماء فصعدت معهم فكنت أري على كل مرقاة مكتوبا نظر الخزانة وعلى أخرى وأخري وأخرى وكالة

بيت المال ، التوقيع ، المدرسة الفلانية ، قضاء حلب ، فلما وصلت الى هذه المرقاة أشفقت من تلك الحالة ورجعت الى حسي وبت ليلتي فلما اجتمعت بالشيخ قال لي كيف كانت ليلتك ، وجئت اليك وما قصرت لانك اشتغلت بي والقبة التي رأيتها هي الدنيا والمراقي هي المراتب والوظائف والارزاق وهذا الذي رأيته كله تناله. والله ياعبدالرحمن وكل شيء رأيته نلته وكان آخر الكل قضاء حلب وقد قرب الاجل

كان الشيخ كمال الدين كثير التخيل شديد الاحتراس يتوهم أشياء بعيدة ويبني عليها وتعب من ذلك وعودي

من شعره قصيدة قالها في الكعبة :

أهواك يا ربة الاستار أهواك
وان تباعد عن مغناي مغناك
وأعمل العيس والاشواق ترشدني
عسى يشاهد معناك معناك
تهوي بها البيد لا تخشى الضلال وقد
هدت ببرق الثنايا الغر مضناك
تشوقها نسمات الصبح سارية
تسوقها نحو رؤياك برياك
ياربة الحرم العالي الامين لمن
وافاك من أين هذا الامن لولاك

ان شبهوا الخال بالمسك الذكي فم
ذا الخال من دونه المحكي والحاكي
أفدي بأسود قلبي نور أسوده
من لي بتقبيله من بعد يمناك

وهي على هذا النسق . ومن شعره أيضاً :

ياسائق الظعن قف بي هذه الكثب
عساي أقضي بها ما للهوى يجب
فثم حي حياتي في خيامهم
فالموت ان بعدوا والعيش ان قربوا
لي فيهم قمر في القلب منزله
لكن طرفي له بالبعد يرتقب
لدن القوام رشيق القد ذو هيف
تغار من لينه الاغصان والقضب
حلو المقبل معسول مراشفه
يجول فيه رضاب طعمه الضرب
لاغرو ان لاح نشوان ففي فمه
خمر ودر ثناياه لها حبب
ولائم لامني في البعد عنه وفي
قلبي من الشوق نيران لها لهب
فقلت ان صروف الدهر تصرفني
عما أروم فما لي في النوى سبب
ومذ رماني زماني في البعاد ولم
يرحم خضوعي ولا يبقى لي نشب

ولد سنة (٦٦٧) وتوفي سنة (٧٢٧)
لما توفي رثاه جمال الدين بن نباتة
الشاعر المشهور بقوله :

بلغا القاصدين ان الليالى
قبضت جملة العلا بالكمال
وقفا في مدارس العقل والنقـ
ـل ونوحا معي على الاطلال
سائلا عسي ان يجيب صداها
أين ولى مجيب أهل السؤال
أين ولي بحر العلوم وأبقى
بين أجفاننا الدموع لآلى
أين ذاك الذهن الذى قد ورثنا
عنه ما في الحشا من الاشتعال
أين تلك الافلاك يوم انتصار
لعوالى الرماح يوم النزال
ينقل الناس من حديث هداها
طرق العلم عن متون العوالى
ومفيد الحيا من اللفظ حلواً
حيث كانت نوعا من العسال

﴿ كليوبترة ﴾ هى ملكة مصر بنت بطليموس الثانى عشر من دولة البطالسة اليونانية التي حكمت مصر بعد الاسكندر الاكبر

لما حضرت أباها الوفاة كان ابنه بطليموس الثالث عشر قاصرا وكانت أخته كليوبترة تبلغ من العمر ١٧ عاما فعهد أبوها باشراكها مع أخيها في الحكم فلما مات أبوها تولت هي وأخوها الملك فأقيم عليها ثلاثة أوصياء كانوا يمقتونها لموالاتها للرومانيين

ولما وقع العداء بين يوليوس قيصر وبومبيوس وكانت مقاليد الرومانيين بأيديهما استنجد بها بومبيوس على خصمه فأنجدته بستين سفينة فنقم عليها الناس ذلك ففرت الى سورية ولم تفد نجدتها بومبيوس فانه فر الى مصر ملتجئا بعد مادحره خصمه يوليوس قيصر فقبض عليه بطليموس الثاني عشر وكان قد بلغ أشده وأمر بقتله فغاظ ذلك خصمه يوليوس وحنق على بطليموس وورد كليوبترة الى مصر لتحكمها مع أخيها

وكان المصريون ناقمين على الاسرة المالكة لتساهلها في تدخل الرومان في شؤن البلاد وأغروا رئيس الجيش المصرى على محاربة يوليوس قيصر بالاسكندرية فحاربه وكاد يلقيه هو وجنوده الى البحر لولا أن أنجده متريدات من سوريا بجيش فتمكن من خصومه وغرق بطليموس

الثاني عشر بالبحر فطلب المصريون الصلح فصالحهم وأقام عليهم بطليموس الثالث عشر ملكا مع كليوبترة وذلك سنة ٤٧ قبل الميلاد

فتزوج بطليموس الثالث عشر كليوبترة وكانت أخته فصارت صاحبة النفوذ المطلق في مصر وذهبت مع زوجها الي رومية لتوثيق عري المودة بينها وبين يوليوس قيصر . فلما قتل يوليوس قيصر بقيت كليوبترة عادمة النصير ولا سيما بعد أن مات زوجها . قيل أنها سمته لتولية ابنها الصغير بطليموس الرابع عشر وهو على دعوي المؤرخين ابن يوليوس قيصر

في مدة حكم بطليموس الرابع عشر كان مرقس انطونيوس الذي كان يقود جيوش بطليموس الثاني عشر رئيسا لمجلس رومية مع شريكه اوكتاف وكان قد علق بهوي كليوبترة فأهمل وظيفته وأقام معها بمصر ولما هدده مجلس رومية بخلعه من منصب الرئاسة خرج من مصر مكرها فتوجه الى ايطاليا ومنها الي سورية لغزو الفرس . فطلبت اليه كليوبترة جزيرة قبرس وبلاد العرب فعرج على الاسكندرية لاجابة طلبات عشيقته وأعطي لقب ملك لولديه منها فعزله مجلس رومية وشهر الحرب عليه بمصر فتأهبت كليوبترة للدفاع عنه وحدثت موقعة بحرية بين الامتين في مدينة اكتيوم التي هي الآن ازيو على ساحل المورة من بلاد اليونان وكان ذلك في سنة ٣١ قبل الميلاد فدارت الدائرة علي كليوبترة فهربت على احدى السفن ولا يعلم ان كانت هربت لفزعها من الحرب أو لاتفاق وقع بينها وبين اوكتاف رئيس الجمهورية الرومانية وولي عشيقها انطونيوس وراءها الا أن أوكتاف اقتفى أثرهما فسلمته كليوبترة مدينة الفرما التي هي مفتاح مصر أرادت بهذه الخيانة أن تقربه منها وتقضي على عشيقها انطونيوس فلما وصل انطونيوس هذا الي الاسكندرية قابلته كليوبترة بفتور وأشارت الى جيشها فانحاز عنه وانضم الى أوكتاف . ثم عادت فندمت علي هذه الخيانة فتوارت في المدفن الذى أعدته لنفسها وأشاعت أنها قتلت نفسها فلما علم عشيقها بذلك طعن نفسه بخنجر ثم علم وهو يجود بنفسه أنها لم تمت فأمر أن يحملوه بها فأخذت الخنجر وتظاهرت بقتل نفسها لتفتن اوكتاف كما فتنت عمه يوليوس قيصر فلم تفلح ولما شعرت بأنها مأسورة

لامحالة قتلت نفسها ، قيل أنها عمدت الى ثعبان فمكنته من عضها في ثديها فماتت اما أوكتاف فقتل ابنها بطليموس الرابع عشر وعمل لكليوبتره تمثالا جعل بجانبه ثعبانا يلسعها . وبموتها انقرضت أسرة البطالسة وكان ذلك سنة ٣٠ قبل الميلاد وأصبحت مصر ولاية تابعة لرومية

﴿ كَمَّ ﴾ الشيءَ يكُمه كَماً غطاه. و (كَمَّت النخلة) أخرجت أكمامها . و (تكمَّم الرجل بثيابه) تغطي بها و (الكِمام) مايكم به فم البعير ومثله الكِمامة. و (الكَمّ) عند الفلاسفة عرض يقبل القسمة و (الكُمّ) من الثوب معروف. و (الكِم) وعاء الطلع وغطاء النَور والغلاف الذى ينشق عن الثمر و (الكَمّية) المقدار

﴿ كَمَن ﴾ الرجل يكمُن وكمِن يكمَن كمُونا اختفى . و (أكمنه) أخفاه . و (اكتمن) اختفى . و (المكمَن) الموضع الذى يكمن فيه

﴿ الكمون ﴾ هو نبات سنوي ساقه متفرعة اثنين اثنين تقريبا وتعلو عن الارض قدما فأكثر أوراقها خالية من الزغب وأزهارها بهيئة خيمات مركبة من أشعة يسيرة والثمار بيضية مستطيلة منضغطة وعلى كل وجه من وجهيها خمسة حزوز واضحة بالطول وتجتمع كلها في نقطة عامة وذلك ماعيزها عن غيرها

أصل الكمون مصر وبلاد الحبش والنوبة وآسيا الصغرى واستنبت في جزائر اليونان ومالطة وسيسليا وغيرها

بزور الكمون شقراء مصفرة ورائحتها عطرية قوية متعبة وطعمها حريف حار مع بعض مرار

(خواصها الكيماوية) يخرج منها بالتقطير بالماء دهن طيار كثير أصفر أو مخضر لذاع رائحته كرائحة البزر فاذا اعتق جداً صار حمضيا يحتوى على حمض السكستيك

(استعمال الكمون) يستعمله النمساويون في الفطير والخبز والجبن ليعطيها طعما . ويستعمل في الطب كاستعمال الانيسون والرازيانج فيكون منبها عطريا حاراً يعطي مقويا للمعدة ومدراً للطمث وللبول ومحللا للقولنجات بل اعتبره الطبيب كولان أقوى طارد للرياح. واعتبره غيره معرقا في درجة عالية

ويكثر بياطرة اوروبا من استعماله للحيوانات

ويستعمل منقوعه من الباطن في الامراض المذكورة وهو يعتبر أحد البزور الاربعة الحارة ويوضع من الظاهر أكياسا على الاحتقانات الباردة في الثديين والخصيتين والخنازير ويزرق منقوعه في القناة السمعية لثقل السمع ويدخل في تركيب لازوق الكمون

والعرب في بلاد الجزائر يطلقون اسم الكمون على نوع منه ينبت باسبانيا ويعتبرونه طارداً للرياح

أما أطباء العرب القدماء فنوعوا الكمون الى أنواع كرماني وهو أسود اللون أو أجود وفارسي أصفر اللون وشامي قريب الاحوال من الفارسي ومنه نبطي وهو أبيض وهو أكل فعلا وأشد تأثيراً

وقال البري من الجميع أشد حرافة من البستاني وصنف من البري يشبه بزره بزر السوسن . وقال أقوى الانواع الكرماني ثم الفارسي

ومن البري صنف أسود يشبه الشونيز قوي الكيفية . وأنواع الكمون حارة ويابسة كل منها مسخن مجفف فيه قبض

ونقل عن جالينوس ان أكثر ما يستعمل من هذا النبات بزره كما يستعمل الانيسون وبزر الكاشم الرومي وبزر الكرفس الجبلي. وقوة الكمون حارة كقوة كل واحد من هذه البزور وشأنه ادرار البول وطرد الرياح واذهاب النفخ

ونقل عن ديسقوريدس انه اذا طبخ بالزيت واحتقن به أو تضمد به مع دقيق الشعير وافق المغص والنفخ وقد يسقى بخل ممزوج بالماء لعسر النفس الذي يحتاج معه الى الانتصاب ويسقى بالشراب لنهش الهوام وينفع من ورم الانثيين اذا خلط بالزيت ودقيق الباقلا أو بقيروطي ووضع عليها. وقد يقطع السيلان المزمن ويقطع الرعاف اذا قرب من الانف وهو مسحوق وقد خلط بخل

وقال يونس الكمون الكرماني يعقل البطن والنبطي يسهله

وقال ابن ماسويه ان قلي الكمون ونقع في الخل عقل الطبيعة المنطلقة من الرطوبة وهو نافع من الريح الغليظة مجفف المعدة صالح للكبد . واذا احتملته المرأة مع زيت عتيق قطع كثرة الحيض وهو غاية للمبرودين والمشايخ والمبلغمين. واذا وضع مع الافاويه في الطبيخ لطف اللحوم الغليظة تلطيفا قويا وقوي هضمها وأطلق

البطن وأدر البول وحلل النفخ وخصوصاً اذا جمع مع الحمض والشبت والدارصيني وان مزج بالسعتر وتغرغر به سكن أوجاع الاسنان والنزلات

ومن الغريب قولهم ان المولود اذا دهن بمطبوخه لم يتولد عليه القمل . وقد تواتر انه ينمو اذا مشت فيه النساء ، وانه يروي اذا وعد بالماء . وهذا وهم ظاهر

وقال ديسقوريدس ان الكمون البري ينبت بأماكن عينها من بلاد اليونان وقال هو نبات له ساق طولها نحو شبر دقيقة عليها ٤ وريقات أو ٥ دقاق مشققة كورق الشاهترج وعلي طرفها رؤس صغار ٥ أو ٦ مستديرة ناعمة فيها ثمار وفي الثمرة شيء كالتبن والنخالة محيط بالبزور أشد حرافة من الكمون البستاني ويشرب بزره لمغص والنفخ واذا شرب بالخل سكن الفواق واذا شرب بالشراب وافق ضرر ذوات السموم من الهوام

وقال ديسقوريدس أيضاً هنالك نوع من الكمون الذى ليس ببستاني شبيه بالبستاني يخرج منه غلف صغار شبيهة بالقرون فيها بزر شبيه بالشونيز اذا شرب بزره كان نافعا من نهش الهوام وقد ينتفع به من معه تقطير في البول والحصر والذي يبول دما منعقداً وينبغي أن يشرب بعد ماء الكرفس البستاني

(المقدار وكيفية الاستعمال) يستعمل من الباطن منقوعه المصنوع بمقدار منه من ١٠ الي ٢٠ لاجل كيلوغرام من الماء . وماؤه المقطر يصنع بجزءين منه على ١٥ من الماء والاستعمال من ٥٠ غراما الى ١٠٠ في جرعة . والصبغة الاتيرية تصنع بجزء منه و ٨ من الاتير الكبريتي والاستعمال من ٥٠ سنتي غرام الى غرام واحد في جرعة أو جلاب ودهنه الطيار يستعمل بمقدار من ١٠ سنتي غرام الى ٣٠ في جرعة أو جلاب ومسحوقه من غرام الى خمسة غرامات بلوعا . ويستعمل من الظاهر دهنه الطيار بمقدار كاف مروخا على الخثلة في الهستريا مثلا

﴿ كَمِهَ ﴾ يكمه كمها عمي وصار أعشى وزال عقله فهو (أكمه) و (الكَمَه) العمى

﴿ الكَمِيّ ﴾ الشجاع

﴿ كَنَدَ ﴾ الشيء يكنده كنداً قطعه و (كَنَدَ النعمة) كنوداً كفرها . و (الكَنُود) كافر النعمة . و (كِنْدة)

أبو حي من اليمن (انظر عرب) . و (الكَنود) الكفور للنعمة

﴿ كندا ﴾ هي مملكة في شمال أمريكا شاسعة الاكناف تابعة لانجلترة وهي شاغلة لجميع شمال أمريكا . مساحتها (٩٠٠٠٠٠٠) ميلو مترمربع وأهلها خليط من فرنسيين وانجليز وارلنديين والمانيين أما أهل البلاد الاصليون هم ذوو اللون الاحمر وعددهم لايربو عن (١٠٠٠٠٠) نسمة. وأما القوم المسمون بالاسكيمو فيسكنون الاقاليم الشمالية ومعيشتهم من الصيد ولغة كندا هي الفرنسية والانجليزية وديانتهم الكثلكة والبروتستانتية والكنديون متمدنون مرتقون في العلوم والصنائع ومن أهل البلاد من تمدن بتمدنهم ومنهم من بقي على وحشيته وسكن مع الاسكيمو في شمال البلاد

حكومة كندا جمهورية مكونة من سبع جمهوريات مستقلة في ادارتها الداخلية ومتحدة في الادارة العامة وتدير شؤنها جميعها حكومة تحت رئاسة حاكم عام انجليزي ومعه مجلس شوري تنتخبهم الجمهوريات بنسبة عدد سكانها

عدد سكان كندا نحو(٦٠٠٠٠٠٠) نسمة وجيشها في زمن السلم (٤٠٠٠٠) ويمكن ابلاغه وقت السلم الى نحو (٦٠٠٠٠٠) جندي ايراداتها تبلغ نحو عشرة ملايين من الجنيهات ومصروفاتها أقل من ذلك وديونها تبلغ نحو ٦٠ مليون جنيه

(تاريخها) كانت كندا من أملاك فرنسا فتنازلت لانجلترة عنها سنة (١٧١٣) وفي سنة (١٧٨٣) أنشئت شركة الاراضي الشمالية الغربية ثم اختلطت هذه الشركة بشركة خليج هودسون . ثم انضمت اليها أراضي أخرى من تلك الجهة فاتسعت حتى بلغت الى حالتها الحاضرة. وقد زاد أهلها بالمهاجرة زيادة مطردة يتبينها القارىء من الجدول الآتي . فقد كان أهلها :

سنة ١٨٢٥ - ٥٨١٩٢٠
وسنة ١٨٥١ — ١٨٤٢٢٦٥
وسنة ١٨٦١ ٢٠٩٠٥٦١
وسنة ١٨٧١ — ٣٦٣٥٠٢٤
وسنة ١٨٨١ — ٤٣٢٤٨١٠
وسنة ١٨٩١ — ٤٨٣٣٢٣٩
وسنة ١٩٠١ ٥٣٦٩٦٦٦

يوجد في كندا نحو مئة الف هندي

ومن اهلها نحو اربعة ملايين يتكلمون الانجليزية ونحو مليون ونصف يتكلمون الفرنسية

زراعتها في غاية الكمال وفيها غابات تقدر مساحتها ٢٤٨٧٩٨ ميلا مربعا وقد بيع منها في سنة ١٩٠٠ بما قيمته ٣٢ مليون و ٩١٠٧٠ دولارات اى ريالات امريكية

اما تجارتها فقد قدرت سنة ١٩٠١ ب ١١٥٢٢٤٩٣١ ريالا . وقد انتقلت صادراتها من المعادن من ٦٩٨٢٠٠٠ ريالا في سنة ١٨٩٠ الي ٢٤٥٧٥٠٠٠ سنة ١٩٠٦

واما حركة موانيها فقد دخل اليها سنة (١٩٠٠) ١٤٦٠٧ سفينة حمولتها ٧٢٦٢٧٢١ طنا منها ٢٥٢٤٥٣٦ من انجلترة

﴿ الكندر ﴾ هو المسمى باللبان الذكر وهو افضل انواع العلك. وقد تكلم قدماء اليونانيين والرمانيين ومن بعدهم علي الشجر الذى يخرج منه الكندر ولكن جاءت عباراتهم متخالفة وكل مايستنتج منها ان الكندر مصدره شجر بافريقا. وجاء من بعدهم فلم يكونوا أحسن حظا فى تعيين شجره ثم جاء العرب فلم يهتدوا اليه أيضاً وأخيرا وجد هذا الشجر الرحالة بوفور في افريقا وكتب عنه سنة ١٧٢٤ وهو ينبت في جميع الجزء المتوسط الشديد الحرارة من افريقا

الاوربيون يميزون كندر المتجر الى نوعين احدهما كندر افريقا وثانيها كندر الهند (صفاته الطبيعية) كندر افريقا ابيض مصفر ليموني او محمر فيه بياض وعلى هيئة قطع غير منتظمة وقد يكون محببا مستديرا او بيضيا او مستطيلا لامعا نصف شفاف سهل الكسر يتكسر تحت الاسنان وقد يتجمع كتلا فيكون سنجابيا كثير العتامة وهو يلين في الفم ويبيض اللعاب وطعمه قليل الوضوح ر تينجي فيه بعض بلسمية

أما كندر الهند المسمى ايضا بكندر مخا فهو أقل نقاء ولونه سنجابي واكبر قطعا واكثر في عدم الانتظام ويقل كونه حبوبا صفراء مستديرة نصف معتمة نقية ويتميز عن المصطكي بشفافيته وبالجملة هنالك تخالف في الصفات الطبيعية عند المؤلفين بحيث يعسر تمييز هذين النوعين أحدهما عن الآخر. ورائحة الكندر خاصة به فليست بلسمية ولا تربنتينية بل هي كأم

من أمهات الراتينج توجد في كثير من النباتات من أجناس بل فصائل مختلفة ولذا وقع الاضطراب في تعيين الشجر المنتج للكندر

(الصفات الكيماوية للكندر) تستخرج من ١٠٠ جزء منه ٥٦ جزءا من راتينج صاف محمر اللون يلين فى درجة ١٠٠ من الحرارة ويذوب فى الحمض الكبريتي ويرسب بالماء و٥ غرامات من دهن طيار أصفر اللون ليموني الرائحة و٣٠ من الصمغ وأما الرماد الحاصل من حرقة فيحتوى علي كربونات وكبريتات وايدروكلورات البوتاسا وكربونات وفوسفات الكلس . وهذا الجوهر يذوب كله تقريباً في الكحول وأقل ذوباناً فى الدهن الطيار التربنتيني

(خواصة الطبية) كان الكندر مستعملا كثيراً فى الطب عند القدماء كبقراط وجالينوس وغيرهما وخصوصاً في أمراض الصدر ونفث الدم والفيضانات الاسهالية والسيلانات البيض فهو مقو منبه لا يستعمل كبقية الجواهر الصمغية الراتينجية في الآفات التهيجية أو الالتهابية الا مع الاحتراس ويدخل في الترياق والاقراص المريحة وبلوع لسان الثور وغير ذلك من المركبات ويستعمل للتبخير به لان ابخرته اكثر بلسمية ونفوذا وأقوى تأثيراً مع النجاح في المنسوج الخاص للرئتين فيعطي لتلك الاعضاء قوة فاعلية في الربو الرطب والضعف والتقلص الضعفى ونحو ذلك

ورائحته الحاصلة من التبخير معدودة من الادوية المحية المنبهة لعضو العقل فبالنظر لذلك لا يستعمل الا في المحال الكثيرة الهواء بسبب الاخطار التي تحصل من استنشاق ابخرته كالصداع وفقد الحس والحركة ونحو ذلك . وامر كثير من العلماء باستنشاق ابخرته في الامراض الروماتيزمية والعامة يضعون مسحوقه فى الاسنان المتسوسة لتسكين ألمها

وقد أطنب أطباء العرب في خواصه نقلا عن جالينوس فقالوا أنه مسخن ومجفف مع قبض يسير وان الابيض منه لا قبض فيه فهو منضج محلل من غير قبض

ونقلوا عن ديسقوريدس انه يقبض ويسخن ويجلو ظلمة البصر ويملأ القروح العميقة ويدملها ويلزق الجراحات الطرية ويقطع نزيف الدم من أي موضع كان من الخارج ويمنع القروح الخبيثة التي بالمقعدة

وغيرها من الانتشار اذا خلط بلبن وعملت منه فتيلة وجعلت فيها

واذا خلط بالخل والزيت ولطخ به في ابتداء المرض المسمى باليونانية مرميقيا وهو وجع يعرض في البدن كانما ليل مع دبيب كدبيب النمل وهذا الداء مقدمة للخدر نفعه. واذا مزج بالشحم الحلو أو نحوه أبرأ القروح العارضة من حرق النار والشقاق العارضة من البرد . واذا خلط بالنطرون وغسل به الرأس أبرأ قروحه الرطبة وقد يخلط بالادوية القابضة لقصبة الرئة وبالضمادات المحللة للاورام الاحشاء وشرب نصف درهم منه ينفع لنفث الدم

واذا نقع مثقال منه في ماء وشرب ذلك الماء كل يوم نفع من البلغم وزاد في الحفظ وجلا الذهن وأزال النسيان. ويقال انه يهضم ويطرد الريح

وعن جالينوس ان الاكتحال به يحلل الدم المتجمد في العين وطبقاتها وينفع تدخينه في الوباء

ونقلوا عن جالينوس ان قشور الكندر تقبض قبضا بينا فلذلك تجفف تجفيفا شديدا وليس فيها حدة ولا حرافة أصلا ولذا يكثر الاطباء استعمالها لنفث الدم ولاسترخاء المعدة وقرحة الامعاء

ونقلوا عن ديسقوريدس ان قوة قشور الكندر كقوة الكندر غير ان القشر أقوي وأشد قبضا ولذا يشرب لنفث الدم وسيلان رطوبة الارحام حمولا ويصلح كحلا لآثار قروح العين وأوساخها واذا وضع في المراهم جفف القروح

وأما دقاق الكندر فهو دواء فيه قبض ولذا كان أفضل من الكندر في كثير من العلل اذ الكندر انما فيه قوة تفتح بسبب انه لا يقبض وسيما ما كان احمر كثير الدسومة لان ما يضرب الي الحمرة أشد تجفيفا من الشديد البياض . ودقاق الكندر يكسبه قبضا

وقال جالينوس دقاق الكندر أشد قبضا من الكندر والكندر أبلغ في الالزاق والتغرية من دقاقه. وقال أيضا في الدقاق تحليل ويبس وجلاء مع قبض يسير. وقال دقاق الكندر هو ما ينزل من المنخل اذا نخل الكندر غير المسحوق وهو ما تفتت منه في الاعدال الكبار ويخالطه أجزاء صغار جداً من قشر الكندر فاذا كان علي تلك الصفة كان بينه وبين الكندر من الفرق ان فيه مع ماله من الكندر من الانضاج

والتسكين قبضا قليلا

أما بخار الكندر فمسكن لاوجاع البدن الحادة قاطعة لسيلان الرطوبات منها منقية لقروحها منبتة للحم في قروحها المسماة قيلوماطا مسكنة لسرطانها. واذا حرق مع القطران كان دخانهما منبتا للشعر فى داء الثعلب وقد يجمع دخان المر ودخان الميعة المسماة أصطرك على هذه الصفة فيوافق ما يوافقه دخان الكندر. وكذا يجمع دخان سائر الراتينجات والصمغ الراتينجية واما ثمر الشجر الشبيه بحب الآس فيزيل الدوسنطاريات واكثاره يحرق الدم ويصلحه السكر ويصلح الصلب منه مضغ جوزبوا والبسباسة

﴿ كنز ﴾ المال يكنِزه كنزا ادخره و (تكنّز لحمه) تجمع وتصلب و (اكتنز) اجتمع وامتلأ . و (الكَنز) المال المدفون

﴿ كنَس ﴾ البيت يكنُسه كنسا نظفه بالمكنسة و (كنَس الظبي يكنِس كُنوسا) استتر في كِناسه اي بيته . و (الجوارى الكُنّس) هى النجوم الكُنَّس لانها تكنِس فى المغيب كالظباء فى الكُنُس و (الكُناسة) هي الزبالة . و (المِكنَسة) معروفة

﴿ ابن مكنسة ﴾ هو ابن مكنسة الاسكندراني اسماعيل بن محمد كان من الشعراء المجيدين والادباء المشهورين من شعره :

رقت معاقد خصره فكأنها
مشتقة من عقده وتجلدى

وتجمدت اصداغه فكأنها
مسروقة من خلقه المتجعد

ما باله يجفو وقد زعم الورى
ان الندي يختص بالوجه الندى

لايخدعنك وجنة محمرة
رقت ففي الياقوت طبع الجلمد

وزعمت اني لست من أهل الهوى
صبا فقل ماشئته وتقلد

والله ما أبصرت يوما ابيضا
منذا بتليت بحب طرف اسود

ومن شعره في المديح :

يعطيك مبتدئا لدي سرائه
ويضاعف الاعطاء فى ضرائه

بت جاره فالعيش تحت ظلاله
واستسقه فالبحر من أنوائه

يلقى الخطوب بمثلها من صبره
والباترات بمثلها من رائه

فالطود حاسد حلمه وأناته
والسيف حاسد بأسه ومضائه

وله أيضا في سكير زعم انه تاب :

يارب عربيد اذا ما انتشى
أربي على المجنون في مسه
قالوا لقد تاب ووالله ما
يتوب او يجعل في رمسه
وانما توبته هذه
عربدة أيضا على نفسه

توفي في حدود الخمس مئة

الكنعانيين هم من نسل كنعان ابن حام بن نوح عليه السلام كانت لهم مدائن بسواحل الخليج الفارسي في أقليم بلاد العرب المعروفة الآن باسم القطيف أو البحرين . وقد أطلق اليونانيون على هذه الامة اسم الفنيقيين لما انتشروا في سواحل الشام بين جبل لبنان والبحر الابيض فبنوا في تلك الاصقاع بضع مدائن ومعاقل منها مدينة صيدا وصور وطرابلس وعكا (انظر فنيقيين)

كَنَف الشيءُ يكنِفه كَنْفاً صانه وحفظه. و (كَنَفه) ضمه اليه و (كَنَف كنيفا) اتخذه و (الكَنيف) الارض المطمئنة المحاطة بالشجر . و (كنّفه) أحاطه و (كانفه) عاونه . و (تكنّفه واكتنفه) أحاط به . و (اكتنف القوم) اتخذوا كنفا . و (الكَنَف) الجانب والظل والناحية جمعه أكناف

كَنَّ الشيء يكُنه كَنا ستره و (كنّنه وأكنه وأكتنّه) ستره . و (اكتنّ الرجل) استتر . و (استكنّ) مثله . و (الكِنَان) وقاء كل شيء جمعه أكِنّه و (الكِنانة) جعبة تجعل فيها السهام تتخذ من جلود جمعها كنائن وكِنانات و (بنو كِنانة) قبيلة و (الكِن) وقاء كل شيء والبيت جمعه أكنان

الكناني هو أبو الحسن على بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الملقب سديد الملك

هو صاحب قلعة شيذر في القرن الخامس وكان شجاعا مقداما كريما وهو أول من ملك قلعة شيذر من بني منقذ . وكيفية استيلائه عليها . انه كان نازلا بجوار القلعة بقرب الجسر المعروف بجسر بني منقذ وكانت تلك القلعة بيد الروم فحدثته نفسه بأخذها منهم فنازلها وتسلمها بالامان في رجب سنة (٤٧٤) ه ولم تزل في يده ويد اولاده الى ان جاءت

الزلزلة سنة (٥٥٢) فهدمتها وقتلت كل من فيها من بني منقذ وغيرهم تحت الهدم وشغرت فجاء نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام في بقية السنة واخذها

وذكر بهاء الدين بن شداد في سيرة صلاح الدين انه جاءت زلزلة بحلب وأخربت كثيرا من البلاد وذلك في ٢ شوال سنة (٥٦٥) وهذه غير تلك . واما الاولى فقد ذكرها ابن الجوزى فى شذور العقود وغيره

كان سديد الملك المذكور مقصودا وخرج من اسرته عدة نجباء وامراء نضلاء ومدحه جماعة من الشعراء كابن الخياط والخفاجي وغيرهما . وكان له شعر جيد ايضا

وكان موصوفا بقوة الفطنة وينقل عنه انه كان يتردد الى حلب قبل تملكه شيذر وصاحبها يومئذ تاج الملوك محمود بن صالح بن مرد س فجرى امر خاف سديد الملك المذكور على نفسه منه فخرج من حلب الى طرابلس الشام وصاحبها يومئذ جلال الملك بن عمار فأقام عنده فتقدم محمود بن صالح الي كاتبه ابي نصر محمد ابن الحسين بن على بن النحاس الحلبي ان يكتب الى سديد الملك كتابا يتشوفه ويستعطفه ويستدعيه اليه وفهم الكاتب انه يقصد له شراً وكان صديقا لسديد الملك فكتب الكتاب كما أمر الي ان بلغ الى ان شاء الله تعالي فشدد النون وفتحها . فلما وصل الكتاب الى سديد الملك عرضه على ابن عمار صاحب طرابلس ومن فى مجلسه من خواصه فاستحسنوا عبارة الكاتب واستعظموا مافيه من رغبة محمود فيه وإيثاره لقربه. فقال سديد الملك اني أرى في الكتاب مالا ترون ثم أجابه عن الكتاب بما اقتضاه الحال وكتب في جملة الكتاب انا الخادم المقر بالانعام وكسر الهمزة من أنا وشدد النون . فلما وصل الكتاب الى محمود ووقف عليه الكاتب سر بما فيه . وقال لاصدقائه قد علمت أن الذى كتبته لايخفى على سديد الملك وقد أجاب بما طيب نفسي . وكان الكاتب قد قصد قول الله تعالى: (ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك) فأجاب سديد الملك بقوله تعالى : (انا لن ندخلها أبداً ماداموا فيها) فكانت هذه معدودة من تيقظه وفهمه

توفي سنة (٤٧٥) ه

﴿ كُنْه الشيء ﴾ حقيقته واصله

و (اكْتَنَهَ الشيْ) بلغ كُنهه

﴿الكَنَّة﴾ زوجة الولد او الاخ

﴿كنا﴾ به عن كذا يكنو ِكناية أى ذكره ليدل به علي غيره كقولك (فلان جبان الكلب) كناية عن كرمه لان جبن كلبه يدل على تعوده الناس ، وهو ماتعودهم الا لان سيده مقصود بالزيارة، والناس لا يقصدون الا كريما او عالما

﴿الكناية﴾ هي لفظ أريد به لازم معناه مع جواز ارادة ذلك المعنى نحو : (فلان رفيع العماد) الاصل في العماد انه لرفع البيت فقولك فلان رفيع العماد أى عالى أعمدة البيت لا يراد بهذا المعنى بل يراد به لازمه ، ولازم رفعة العماد شرف الاصل وكرم الاعراق. فهذا الضرب من التعبير يسمى كناية

الكناية ان كثرت فيها الوسائط سميت تلويحا كقولك (فلان جبان الكلب) في المثال المتقدم في كلمة (كنا)

﴿كَنَى﴾ به عن كذا يَكنِي ِكناية مثل كنا . و (كنَاه أبا فلان) سماه به و (تكنّى بكذا واكتنَى به) تسمّى به و (الكنْية) اسم يطلق علي الشخص . للتعظيم نحو أبي الحسن كنية علىّ عليه السلام جمعها كُنَى

﴿الكهرباء﴾ هى كلمة أطلقت للدلالة على ذلك العامل القوى المجهول الذي يتولد فى بعض الاجسام بالدلك . فاذا دلكت قطعة من الزجاج دلكا قويا بقطعة من الصوف اكتسبت خاصية جذب الاجسام الخفيفة كقصاصات الورق وقد شوهد صنفان من الكهرباء وهما الكهرباء الموجبة والكهرباء السالبة ، وقد عرفا بأن الجسمين المتكهربين من نوع واحد يتنافران ،وأما اذا كانا متكهربين من نوعين مختلفين فانهما يتجاذبان .ولا يعلم كنه تينك الكهربائيتين المختلفتين وقد سميت احداهما موجبة والاخرى سالبة

وقد كان علم الاقدمين ان الكهرمان الاصفر يكتسب بالدلك خاصة جذب الاجسام الخفيفة كنشارة الخشب وقصاصات الورق وزغب الريش . وقد نسب فلاسفة ذلك العصر هذه الخاصة لسبب خاص سموه بالكهرباء

وفي نهاية القرن السادس عشر علم ان هذه الخاصة الموجودة في الكهرمان توجد أيضا في عدد عظيم من الاجسام كالراتينج

والزجاج والكبريت وغير ذلك. وتوجد أجسام أخري وبالاخص المعادن لاتظهر فيها هذه الخاصية مهما كانت المدة التي تدلك فيها. وبذا قسمت الاجسام عند ذلك الي أجسام تتكهرب بالدلك وأجسام لاتتكهرب به. الا انه قد ظهر فيما بعد ان هذا التقسيم ليس بحقيقي

وفي مقدمة القرن الثاني عشر توصل الطبيعي (غري) لبيان ان الكهربائية التي تتولد بالدلك علي أنبوبة من الزجاج تسري منها الى سدادة من الفلين مثبتة على فوهتها ثم الى ساق من البلوط مثبت في هذه السدادة ثم الي فتيلة من الكتان مربوطة في هذه الساق واخيرا الي كرة من العاج معلقة في نهاية هذه الفتيلة وعلى بعد من طرفها الثاني يزيد عن مئتي قدم فظهر له حينئذ من هذه التجربة ومن جملة تجارب أخرى مشابهة لها انه يمكن اعتبار الكهربائية ناتجة من سيال خاص يتولد على الاجسام التي كالكهرمان والزجاج بالدلك ويمكن أن يسرى منها الى أجسام أخري ملامسة لها كالفلين والخشب والكتان والعاج والمعادن

وقد سميت هذه الاجسام الاخيرة أي التي يظهر انها لاتحدث مقاومة محسوسة على سريان الكهربائية فيها بالاجسام الجيدة التوصيل للكهربائية

وقد شوهد ان الكرة الارضية جيدة التوصيل للكهربائية وذلك لانه اذا أوصل جسم موصل للكهربائية ومتكهرب ككرة العاج السالفة الذكر بالارض بواسطة جسم موصل للكهربائية شوهد انه يفقد كهربائيته. وكذا اذا لمس الجسم المذكور باليد وهذا دليل على ان جسم الانسان موصل للكهربائية ايضا

أما الاجسام الرديئة التوصيل للكهربائية فهي التي تقاوم سريان الكهرباء في أجزائها مثال ذلك اذا دلكت قطعة من الراتينج بالصوف حدثت كهربائية على النقط المدلوكة دون غيرها ولا تسرى تلك الكهربائية الى النقط الاخري وقد سميت أمثال هذه الاجسام بالاجسام الرديئة التوصيل للكهربائية لأنها تقاوم سريان التيار فيها

من الاجسام الرديئة التوصيل للكهربائية الراتينج والزجاج والكبريت والصمغ المرن والحرير والورق الخ. والهواء موصل رديء للكهربائية لانه لو كان موصلا

جيداً لما كانت الكهربائية التي تتولد على سطح الاجسام بالدلك تضيع في الجو،وكان من الممكن ان تكون الظواهر الكهربائية غير معلومة لنا الى الآن. ومع ذلك فان الهواء يكون موصلا للكهربائية كثيرا او قليلا عندما يكون رطبا وبذلك يصعب عمل التجارب الكهربائية في أوقات الرطوبة

اذا تقرر أن الكهرباء تتولد بالدلك قلنا انه وحده وسيلة لتوليدها في الصناعة وقد صنع لذلك دائرة واسعة من الزجاج تدور على محور بواسطة آلة بخارية دورانا شديدا وجعلت في بعض نقط سطحيها ملامسة لقطع من الصوف بحيث اذا أديرت دلكت بها دلكا مستمراً فتتولد عليها الكهرباء فتسرى منها الي قطع من المعادن أعدت لاجتنائها اولا فأولا بواسطة التماس فان الكهرباء تسري من الجسم المكهرب الي جسم آخر بمجرد تماسها . ثم توصل تلك الاجسام المكهربة بأسلاك اما لتوليد الضوء او لتوليد الحركة

اما استخدام الكهرباء في ادارة الآلات فسهل التفسير لأنها لما كانت قوة مؤثرة فاذا سلطت على آلات قابلة للتحرك كالعجلات أونحوها تحركت مضطرة كأنها مسونة بالبخار

واما توليدها للضوء فيحتاج لبعض التفصيل وذلك ان الكهرباء لا تتولد الا مصحوبة بمقدار من الحرارة على حسب شدتها وهذه الحرارة تظهر في الاسلاك على نسبة ثخنها فكلما رقت كانت اكثر تأثراً بها . وقد توصل المخترعون لان يصلوا بالاسلاك الكهربائية المعتادة سلكا شعريا من المعدن في غاية الدقة بحيث لو مرت فيه الكهرباء سخنته تسخينا شديدا بسبب دقته واستحالت الى ضوء ساطع لا يعدله ضوء آخر . ومن يتأمل في المصابيح الكهربائية يري ذلك السلك الدقيق ملفوفا لفا حلزونيا داخل فقاقيع زجاجية مغلقة

ثبت أن كل شيء فيه نوعان من الكهرباء سالبة وموجبة علي حالة تعادل وتوازن حتى في الانسان نفسه

وفي الجو كهرباء قوية تحدث من احتكاك الرياح بعضها ببعض ومن التفاعلات الكيماوية الكثيرة التى تحدث على سطح الارض ومن دوام تبخر الماء

من البحار والأنهار الخ (انظر كلمة صاعقة)

(ماهي الكهربائية) ان ظواهر الكهربائية المختلفة أدت الطبيعي سيمير الي وضع نظرية في الكهرباء هي المتفق عليها الى الآن حتى يتيح الله للناس من يكشف لهم عن حقيقة هذه القوي الغريبة

هذه النظرية تعتبر الاجسام الارضية محتوية بطبيعتها على سيالين كهربائيين مختلفي النوع يسمي احدهما سيالا سالبا والثاني سيالا موجبا (هذه التسمية مأخوذة من نظرية وضعها العالم فرنكلان الامريكي وهى ليست الا اصطلاحا) فقبل دلك جسمين احدهما بالآخر يكون كل منهما محتويا في جميع نقطه علي مقدارين متساويين من الكهربائية السالبة والموجبة فيقال حينئذ أنهما على الحالة المتعادلة ونتيجة دلك الجسمين احدهما بالآخر تكون حينئذ نقل جزء من السيال الموجب الموجود في احدهما الى الجسم الآخر وبالعكس. وبذلك عند مايفصل الجسمان احدهما عن الآخر تظهر على احدهما خواص الكهربائية السالبة وعلي الثاني خواص الكهربائية الموجبة واخيراً فلاجل بيان سبب التجاذب والتنافر المشاهدين في هذين النوعين المختلفين من الكهربائية فرض سميران الكهربائيتين اللتين من نوع واحد يطرد أحدهما الآخر

هذا ماقاله سيمير ووافق عليه العلماء موقتا ولكن الجميع يعترفون بأنهم لايعرفون من الكهربائية الا اسمها وظواهرها أما حقيقتها فلا تزال كسر الروح الانسانية محتجبة عنا بحجب الغيب وعسى الله أن يكشفها لنا فى يوم من الايام

(العلاج بالكهربائية) ادخلت التيارات الكهربائية فى معالجة بعض الامراض العصبية والروماتيزمية فأفادت كثيرا ولكن لايجوز الاندفاع فى هذا الطريق بتسويلات المشتغلين بذلك ممن اتخذوا هذه الصناعة ديدنهم فانهم ينسبون اليها شفاء جميع الامراض بين عصبية وعضوية وهو ضلال بعيد. نعم انه شوهد للتيارات الكهربائية تأثيراً على الحالة العامة للجسم الانساني ولكن هذا التأثير لايتعدي حدودا معينة وفي أحوال خاصة يجب ان يعينها الطبيب المشتغل بمراقبة سير المرض فى المرضى فلا يجوز والحالة هذه ان يعول المرضي على هذا الضرب من

العلاج الا بعد استشارة نطس الاطبـاء وتعيين نوع التيار الكهربائي الذي يفيدهم ونحن آتون هنا بمعلومات ثمينة في هذا الموضوع ارشاداً للمستشفيين بالكهربائية فنقول :

تفيد الكهربائية في الطب اما لاعانة الطبيب على التشخيص او لنيل الشفاء من بعض الامراض . مثال ذلك اذا شـكا عليل من عرض برجليـه وأُمر التيـار الكهربائي على عضلات الطرف الواحد وتحركت العضـلات فيه ولم تتحرك في الآخر حكم الطبيب بانحراف ذلك الآخر عن حالته الطبيعية. والعضلات اذا لم تتأثر بالكهربائية اعتبرت مريضة ولا عكس اى اذا تأثرت بها لا يحكم بأنها صحيحة فالكهربائية والحالة هذه تعين علي التشخيص

واذا اصيب انسان بفقد الصوت وأُمر تيار كهربائي علي الحنجرة عاد اليه الصوت ولو مؤقتا فكأن العليل قد شفي مع ان انقطاع النطق قد يكون عرضا لعلة لاتبرأ وكثيرا ما يزول بها اعتقال ويسكن ألم ويوقف ضمور ولاسيما في شلل الاطفال فتمتنع بهـا بعض العيوب وان لم يشف الشلل

(أنواع الكهربائية المستعملة في الطب) النوع الاول : كهربائيـة الموازنة اى كهربائية الاحتكاك فيجلس العليـل علي كرسي محصور مشحون بالكهربائيـة فيشعر بوقوف شعره ويفيد هذا النوع في العلل العصبية من الطبيعة الهستيرية

النوع الثاني الكهربائية الجلفانية وتتم بواسطة بطارية جفلانيـة بهـا يمر بجسم المريض او بقسم منه مجري كهربائي دائم وأشكال البطريات كثيرة يختار منها ماهو موافق وسهل للنقل . وحدة هذا النوع اقل من حدة الاول ولكن افعاله الكيماوية اكثر ويفيد في تسكين الآلام العصبية وادرار اللبن

واذا أُمر المجري من مركز الاعصاب الى اطرافها سمي مستقيما وبالعكس سمى منعكسا فالمستقيم يسكن الاعصاب والمنعكس يسكن قابليتها للتأثر

النوع الثالث كهربائيـة المجاورة او الكهربائية المغناطيسية وهى تكون متصلة بالكهربائية الجلفانية وتستعمل منقطعـة برفع الشريط عن الجلد واعادته بسرعة او بتركيب قاطع الوصل على الآلة . ولآلاتها اشكال كثيرة يختار منها

الاسهل استعمالا ونقلا

(تأثير الكهربائية) اولا . افعال كياوية يكوى بها الجلد ويخثر الدم وتكوي الاجزاء العميقة بادخال ابرة فيها واحمائها ببطرية وبهذه الطريقة يعالج الانيوروزم وتذوب السلعات

ثانيا افعال حيوية . اكثر استعمال الكهربائية في الطب هو لاجل فعلها في الوظائف الحيوية كفعلها في قبض العضلات والحس والالم وما اشبه ذلك وهذه الافعال الحيوية ظاهرة في العصب والعضل والجلد والاوعية الشعرية

(فعل الكهربائية فى العصب)

الكهربائية تنبه فعل العصب سواء كان عصب حس او عصب حركة . فاذا كان العصب لا يزال حيا هيجت الكهربائية وظيفته الخاصة وبالعكس اذا زاد هيجانه سكنته . مثال ذلك اذا فقد الحس من الجلد حتى لا يشعر العليل بكي النار فالكهربائية ولا سيما المغناطيسية ترجع الحس اليه وتشفيه. ويكون الحال بعكس ذلك اذا اعتقلت عضلة أو أصيبت بارتجاف او الم من فرط هيجان اعصابها فالكهربائية تسكنها

(فعل الكهربائية في العضلات) يتضح فعلها مما ذكر آنفا ونزيد عليه بأنه اذا لم تتم عضلة عملها بسبب ضمور في مادتها أو بسبب ضعف العصبية فيها فيتنبه عملها بالمجرى المتقطع ويمتنع ضمورها

(فعل الكهربائية فى الجلد) تري أصابع اليد المشلولة أو أظافرها زرقاء باردة وذلك من بطلان الدورة الشعرية فيها فاذا أمررت بها مجرى كهربائيا زالت الزرقة وسخنت اليد وعادت اليها حاسة اللمس وليس هذا فقط بل تتأثر ايضا الانسجة العميقة فتتحسن تغذية العضلات والاعصاب . ولذلك تستعمل الكهربائية لتجديد تغذية المواضع الظاهرة كما فى الشلل الحادث من قبل برد والشلل الحاصل من التسمم بالرصاص والفالج الضموري في الاولاد

الكهف البيت المنقور فى الجبل جمعه كهوف

(أهل الكهف) قال الله تعالى : «أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا . اذ أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا . فضربنا على

آذانهم في الكهف سنين عددا . ثم بعثناهم
لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا. نحن
نقص عليك نبأهم بالحق ، انهم فتية آمنوا
بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم
اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض
لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذاً شططا.
هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا
يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن
افترى على الله كذبا. واذا اعتزلتموهم وما
يعبدون الا الله، فأووا الى الكهف ينشر لكم
ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا.
وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم
ذات اليمين ، واذا غربت تقرضهم ذات
الشمال وهم في فجوة منه، ذلك من آيات الله
من يهدي الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن
تجد له وليا مرشدا . وتحسبهم أيقاظا وهم
رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال
وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد، لو اطلعت
عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا.
وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم، قال قائل
منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم،
قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم
هذه الى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما
فليأتكم برزق منه وليتلطف ، ولا يشعرن
بكم أحدا. انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم أو
يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا اذاً أبداً.
وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله
حق وأن الساعة لاريب فيها ، اذ يتنازعون
بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم
أعلم بهم، قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن
عليهم مسجداً. سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم
ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب
ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم، قل ربي أعلم
بعدتهم مايعلمهم الا قليل، فلا تمار فيهم لا
مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا.
ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غداً الا
أن يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت وقل
عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا
رشدا. ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين
وازدادوا تسعا. قل الله أعلم بما لبثوا له غيب
السموات والارض أبصر به وأسمع مالهم
من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه
أحدا »

(تفسير هذه الآية) الكهف هو
البيت المنقور في الجبل كما قدمنا والرقيم
اسم الجبل أو الوادي الذي فيه كهفهم أو
اسم قريتهم أو كلبهم. وقيل ان أصحاب
الرقيم هم غير أصحاب الكهف وكانت

قصتهم من العجب أيضاً كقصة أصحاب الكهف الذين سيأتي ذكرهم . قيل كان أصحاب الرقيم ثلاثة رجال خرجوا يرتادون لاهليهم فأخذتهم السماء فأووا الي الكهف فانحطت صخرة وسدت بابه فقال أحدهم اذكروا أيكم عمل حسنة لعل الله يرحمنا ببركته . فقال أحدهم استعملت اجراء ذات يوم فجاء رجل وسط النهار وعمل في بقيته مثل عملهم فأعطيته مثل أجرهم فغضب أحدهم وترك أجره فوضعته في جانب البيت ثم مر بي نفر فاشتريت به فصيلة فبلغت ماشاء الله فرجع اليّ بعد حين شيخا ضعيفا لا اعرفه وقال ان لي عندك حقا وذكره حتي عرفته فدفعتها اليه جميعا. اللهم ان كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا، فانصدع الجبل حتي رأوا الضوء

وقال آخر كان فيّ فضل واصابت الناس شدة فجاءتني امرأة فطلبت مني معروفا فقلت والله ماهو دون نفسك وأبت وعادت. ثم رجعت ثلاثا ثم ذكرت ذلك لزوجها فقال أجيبي له وأغيثي عيالك فأتت وسلمت اليّ نفسها. فلما تكشفتها وهممت بها ارتعدت، فقلت مالك ؟ فقالت أخاف الله . فقلت لها خفتيه في الشدة ولم أخفه في الرخاء ، فتركتها وأعطيتها ملتمسها . اللهم ان كنت فعلته لوجهك فافرج عنا . فانصدع حتى تعارفوا

وقال الثالث كان لي أبوان همّان (أي شيخان) وكان لي غنم وكنت أطعمهما وأسقيهما ثم أرجع الى غنمي فحبسني ذات يوم غيث فلم أُرح (أي لم أعد الي البيت في العشية) حتي أمسيت فأتيت أهلي وأخذت محلبي فحلبت فيه ومضيت اليهما فوجدتهما نائمين فشق علي أن أوقظهما فتوقفت جالسا ومحلبي علي يدي حتى أيقظهما الصبح فسقيتهما . اللهم ان كنت فعلته لوجهك فافرج عنا . ففرج الله عنهم فخرجوا . وقد عزا هذا الخبر نعمان بن بشير الي النبي صلى الله عليه وسلم

أما أهل الكهف فهم فتية من أشراف الروم أرادهم ملكهم دقيانوس على الشرك فأبوا وهربوا الى الكهف فقالوا (ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا . فضربنا على آذانهم) أي ضربنا عليها حجابا يمنع السماع والمراد أنمناهم انامة لاتنبههم فيها الاصوات . فبثوا علي تلك الحالة سنين . ثم أيقظهم الله

ليعلم اي الحزبين المختلفين منهم او من غيرهم ضبط في مدة لبثهم بالكهف حساب الزمن الذي لبثوه

ثم قال الله تعالى : (نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدي بالتثبيت (وربطنا علي قلوبهم) اي قويناهم بالصبر على هجر الآل والمال والجراءة على اظهار الحق والرد على دقيانوس الجبار (اذقاموا) بين يديه (فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا) اي لقد قلنا اذاً كلاما بعيداً عن الصواب (هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين) أي هلا يستدلون عليها ببرهان واضح (فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا) ثم رجع بعضهم الى بعض فقالوا (واذا اعتزلتموهم وما يعبدون) من الاصنام (الا الله) فانهم كانوا يعبدون الله ايضا (فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته) اى يبسط لكم الرزق (ويهيىء لكم من امركم مرفقا) اى ما ترتفقون به اى تنتفعون به (وتري الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم) تميل عنه ولا يقع شعاعها عليهم (ذات اليمين) اى جهة اليمين (واذا غربت تقرضهم) اى تقطعهم (ذات الشمال) أي جهة الشمال (وهم في فجوة منه) اى وهم فى متسع من الكهف (ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا)

ثم قال تعالى : (وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) كيلا تؤثر الارض على أبدانهم (وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد) أي بفناء الكهف (لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا) لما ألبسهم الله من الهيبة او لوحشة مكانهم (وكذلك بعثناهم) اي وكما انمناهم أيقظناهم (ليتساءلوا بينهم) ليسأل بعضهم بعضا فيتعرفوا حالهم وماصنع الله بهم فيزدادوا يقينا (قال قائل منهم كم لبثتم؟ قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم) بناء علي غالب ظنهم ولان ذلك عادة الناس في نومهم (قالوا ربكم اعلم بما لبثتم) يجوز ان يكون هذا رد من بعضهم علي البعض الذى قال لبثنا يوما او بعض يوم . لانهم لما رأوا طول اظفارهم وشعورهم شكوا في مدة لبثهم (فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة) الورق الفضة مضروبة او غير مضروبة (فلينظر ايها ازكي طعاما) اى اطيب طعاما

واحل (فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم احدا) اى مستخفيا (انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم او يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا اذاً أبدا) اي اذا دخلتم في ملتهم (وكذلك أعثرنا عليهم) اي وكما أنمناهم وبعثناهم أطلعنا الناس عليهم (ليعلموا) اى الذين اطلعوا عليهم (ان وعد الله حق) اى ان وعده بالبعث حق (وان الساعة لاريب فيها) اى لاشك فيها (اذ يتنازعون بينهم امرهم) المعني انهم لما عاشوا بين الناس ثم ماتوا الموت الحق تنازع الناس أمرهم فقال بعضهم ماتوا وقال آخرون بل ناموا كما كانوا نائمين اول مرة . وقال بعضهم نبني عليهم بنيانا يسكنه الناس ويتخذونه قرية وقال آخرون لنتخذن عليهم مسجداً يصلي فيه (فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا) حكي ان الذين بعثوه منهم الى السوق ليشترى لهم طعاما اخرج الدراهم وكان عليها اسم دقيانوس فاتهموه بأنه وجد كنزاً لبعد عهد الملك دقيانوس فذهبوا به الي الملك وكان نصرانيا موحدا (فقص عليه القصص فقال بعضهم ان آباءنا اخبرونا بأن فتية فروا بدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء فانطلق الملك واهل المدينة من مؤمن وكافر وابصروهم وكلموهم . ثم قال الفتية الملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الي مضاجعهم فماتوا فدفنهم الملك في الكهف وبني عليهم مسجدا (سيقولون) اى سيقول الخائضون في قصتهم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم هم (ثلاثة رابعهم كلبهم. ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم. قل ربي أعلم بعدتهم مايعلمهم الا قليل. فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا) اى لا تجادل فيهم الا جدالا غير متعمق فيه (ولا تستفت فيهم منهم احدا. ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله) وفيه تأديب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانه حين قال اليهود لقريش سلوه عن الروح واصحاب الكهف وذي القرنين فسألوه فقال ائتوني غداً اخبركم ولم يقل ان شاء الله فأبطأ عليه الوحي بضعة عشر يوما حتي شق عليه ذلك وكذبته قريش فنزلت هذه الآية تأديبا له (واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى ان يهدين

ربي لاقرب من هذا رشدا) وفيه تعليم النبي صلى الله عليه وسلم (ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا) وهذا بيان لقوله تعالى سنين عددا فيما تقدم وقيل انه حكاية كلام اهل الكهف فانهم اختلفوا في مدة لبثهم كما اختلفوا في عدتهم (قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض) اي انه أعلم بمدة لبثهم (أبصر به وأسمع) أي ماأبصره وما أسمعه (مالهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحداً)

نقول ان هذه الآية صريحة لا تحتمل التأويل في ان أهل الكهف لبثوا نائمين مدة طويلة علي خلاف ماجرت به السنن الالهية في نوم الناس الطبيعي وليس في ذلك شئ من المستحيل فان قدرته سبحانه وتعالى صالحة لذلك فاذا تعذر علينا تعليل كيفية ابقائهم أحياء هذه السنين الطويلة بدون غذاء فنكل ذلك الي الله سبحانه وتعالى فلعله يكشف لنا في المستقبل وجه امكان ذلك كما كشف لنا سواه مما كنا نعده من المستحيلات

﴿ كَهَلَ ﴾ الرجل يكهل كهولا صار كهلا.و (كَهُلَ يكهُل كهولا) صار كهلا أيضا . ومثله (اكتهل) وسن الكهولة من الثلاثين الى الخمسين وقيل الي الستين و (الكاهل) مقدم الظهر مما يلي العنق وهو الثلث الاعلي

﴿ كَهِمَ ﴾ الرجل يكهم كهاما ضعف و (كهم السيفُ) كل فهو (كَهَام)

﴿ كَهَنَ ﴾ له يكهن كهانة ويكهن قضى له بالغيب.و (كَهُن يكهُن كهانة) صار كاهنا.و (كاهنه) حاباه و (الكِهانة) حرفة الكاهن

﴿ الكهانة ﴾ الكهانة هي استخدام الجن في معرفة الامور المغيبة وقد كانت هذه الصناعة معروفة عند العرب فكان اذا ناب أحدهم أمر يريد معرفة دخيلته أو مستقبله منه ذهب الي الكاهن فأخبره بما يهمه منه.وكان لكل كاهن منهم صاحب من الجن يحضر اليه فيخبره بما يريد ، وليس هذا الاستخدام ببعيد عن العقل فان مايحصل في اوروبا من استحضار الارواح يسهل فهمه على الباحثين ويحسن بالقاريء ان يراجع ماكتبناه في كلمة اسبرتزم وروح من هذا القاموس

أشهر كهان العرب سطيح الغساني أكهن الناس فقد كان أنذر بسيل العرم

وكان من تخي العظام يدرج جسده كما يدرج الثوب خلا جمجمة رأسه وكانت اذا مست باليد أثر ذلك في عظمها

قيل من كهانته انه لما كانت ليلة ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتج ايوان كسرى فسقطت منه اربع عشرة شرفة فأعظم ذلك اهل المملكة وكتب الى كسرى صاحب الشام ان وادى السماوة انقطع تلك الليلة . وكتب اليه صاحب اليمن ان بحيرة ساوة غاصت تلك الليلة وكتب اليه صاحب طبرية ان الماء لم يجر تلك الليلة في بحيرة طبرية، وكتب اليه صاحب فارس أن بيوت النار خمدت تلك الليلة ولم تخمد قبل ذلك بألف سنة . فلما تواترت عليه الكتب أظهر سريره وبرز الى أهل مملكته فأخبرهم الخبر . فقال الموبذان أيها الملك اني رأيت تلك الليلة رؤيا هالتني رأيت ابلا صعابا تقود خيلا عرابا حتي اقتحمت دجلة وانتشرت في بلادنا قال فما عندك في تأويلها؟ قال ماعندي شيء ولكن ارسل الى عاملك بالحيرة يوجه اليك رجلا من علمائهم فانهم أصحاب علم بالحدثان فبعث اليه فوجه عبد المسيح بن نفيلة الغساني فأخبره كسري بالخبر . فقال أيها الملك ماعندي فيها شيء ولكن جهزني الي الشام الى خالي سطيح فجهزه فلما قدم عليه وجده قد احتضر فناداه فلم يجبه فقال :

أصم أم يسمع غطريف اليمن
رسول قيل العجم يهوى للوثن
يافاصل الخطة أعيت من ومن
أتاك شيخ الحي من آل سنن
أبيض فضفاض الرداء والرسن

فرفع سطيح رأسه وقال :

عبد المسيح، على جمل مشيح ، أقبل الى سطيح، وقد أوفي الى الضريح، بعثك ملك بني ساسان ، لارتجاج الايوان ، وخمود النيران ورؤيا الموبذان، رأي ابلا صعابا ، تقود خيلا عرابا ، حتي اقتحمت الواد ، وانتشرت في البلاد

عبدَ المسيح ، اذا ظهرت التلاوة ، وغاض وادي السماة، وظهر صاحب الهراوة فايست الشام، لسطيح بشام ، يملك منهم ملوكا وملكات ، بعدد ما سقط من الشرفات ، وكل ماهو آت آت ثم قال :

ان كان ملك بني ساسان أفرطهم
فان ذا الدهر أطوار دهارير
منهم بنو الصرح بهرام واخوته
والهرمزان وسابور وسابور

فربما أصبحوا منهم بمنزلة
يهاب صولهم الاسد اليهاصير
حثوا المطى وجدوا فى رحيلهم
فما يقوم لهم سرج ولا كور
والناس أبناء علات فمن علموا
ان قد أحد فمحقور ومهجور
والخير والشر مقرونان في قرن
والخير متبع والشر محذور
وأتى كسرى فأخبره فغمه ذلك فقال
الى ان يملك منا أربعة عشر ملكا يدور
الزمان . فملكوا كلهم في اربعين سنة

نقول هكذا تروى هذه الحكاية وهي موضوعة بقصد تعظيم شأن النبي صلى الله عليه وسلم ولو علم ذلك الوضاع انه صلى الله عليه في غير حاجة الى هذا التلفيق لما أقدم الى ما أقدم عليه. ان رسول الله فى غني عن مثل هذه الاخبار المصطنعة فان ما أتاه من الاعمال التي تعجز البشر من نشر دين وجمع كلمة قبائل متفرقة وحفظ وجودها بشريعة لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها وبعثها لحمل خلافة الله في الارض ، بعض هذا أكبر من أكبر معجزة

كوبا هي أكبر جزر أرخبيل الانتيل مساحتها ١١٣٩٠٠ كيلومترا مربعا فهي اكبر مساحة من البرتغال . طولها ١٤٥٠ كيلومترا وعرضها في المتوسط ١٠٠ كيلومتر. بها جبال سيرا مايسترا الذى علوه ٢٠٦٢ مترا أرضها كلسية وبها كثير من المغاور والكهوف تذهب فيها مياه الانهار والامطار سدى فرغما عن شدة صوب السماء فيها تقل فيها المياه الضرورية. مناخها حار محرق أمطارها غزيرة متوسط ارتفاعها السنوى ١٫٣٠ متر وهي معرضة للزوابع والاعاصير

كان عدد أهلها سنة (١٨٩٩) ١٥٧٢٧٩٧ أى أنه كان يخص كل كيلومتر واحد ١٣٫٨ ساكنا وهي نسبة قليلة بالنسبة لجزيرة ولكن هذه النسبة تختلف باختلاف المواقع ففي هافان عاصمتها حسب الكل كيلو متر ٥٩ ساكنا وفي ماتانزاس ٢ وفي كلارا ١٤ وفي بنار ديلريو ١٣ وفي سانتياغو ١٠ وفي بوبرتو رانسيب ٣

ونسبة البيض فيها الى السود ٦٧٫٩ فى المئة فكوبا بين جميع جزائر الانتيل أكثر احتواء على البيض من سواها

كوبا بلاد زراعية وأكثر ما تزرعه قصب السكر فهو عماد الثروة فيها فقد

أنتجت في سنة (١٨٩٤) ٩١٩٣٠١١ طنا من السكر وأنتجت في سنة (١٨٩٩ - ١٩٠٠) ٤٦٠٠٠٠ رزمة كل رزمة فيها ٥٠ كيلو غراما من التبغ

أما صناعاتها فتنحصر في عمل السكر والسجار

ثارت في سنة ١٨٩٨ على مستعمريها الاسبانيين وأعانتها أمريكا الشمالية عليهم فتخلصت من نيرهم واستقلت ولكنها في الحقيقة وقعت تحت حماية الولايات الامريكية المتحدة

﴿ كوبنهاج ﴾ هي عاصمة الدانمارك عدد أهلها (٤٧١٨٠٦) وهي واقعة في جزيرة سيلاند في الطرف الجنوبي من السوند يصدر منها الدقيق والماشية والجلد والصوف والزبد

﴿ كوت ﴾ ترددت كلمة كوت في أيام الحرب العامة فيما كان يطرق أسماعنا من أسماء بلاد العراق بسبب الوقائع فكنا لا ندري عنها شيئا حتي كتب عنها حضرة محمد افندي الهاشمي البغدادى مقالة في المقطم نري ان ننقلها هنا للقراء دائرة معارف القرن العشرين قال :

أسمع كثيراً في الجرائد المحلية لفظ كوت ولا أظن كثيرين من القراء يفهمونها فانها من اصطلاحات العراق ولذلك أريد أن أكتب شيئا عن أكوات العراق لعل فيما أبينه فائدة فأقول :

كلمة كوت مشهورة متعارفة في العراق ونجد وما جاورهما من البلاد العربية وبعض بلاد العجم والهند الساحلية وقد شاع استعمالها على الالسنة حتي صرفوها تصريف الكلمات العربية الاصلية فصغروها وجمعوها فقالوا كويت وأكوات وبالمصغر سميت البلدة التي على ضفاف البحر الفارسي أو خليج البصرة

وهذه الكلمة توارثها العراقيون عن آبائهم البابليين والكلدانيين وكان الآشوريون يستعملونها كما توارثوا أشياء أخرى باقية فيهم الى الآن . وجاءت لفظة كوت في سفر الملوك «١٧ : ٢٤» وأتي ملك أشور بقوم من بابل وكوت وعوا وحماة وسفرائيم» ويقال فيها كوثا وكوثى ربّا وهي المدينة الشهيرة بمدينة ابراهيم - تعرف اليوم بتل ابراهيم أو جبل ابراهيم

وهي تطلق عندهم علي البيت المربع المبني كالحصن والقلعة وغيرهما مما يبنى للحاجة ويبني حوله بيوت صغار حقيرة

بالنسبة اليه ويكون ذلك البيت فرضة للسفن والبواخر ترسو عنده لتكمل منه ماينقصها من الفحم والزاد وما أشبه ذلك من حاجات السفر

ولا تطلق الا على ماينى قريبا من الماء سواء أكان من ماء البحر أو النهر أوالبحيرة أوالمستنقعة وقد يطلق الكوت على النهر الصغير أيضا ويسمى به الآن بعض القري في العراق توسعا ولعلها كانت في اول امرها اكواتا صغيرة ثم تقاطر اليها الناس وعمروها فاتسعت وبقيت علي اسمها الاول او كانت أنشئت بقربها فغلب اسم الكوت عليها وهذه الاكوات لاتوجد في الموصل وغيرها من البلاد العليا الواقعة على ضفة دجلة فان اول كوت يمر به الذاهب من بغداد الي البصرة كوت الامارة او الكوت وهو اشهر الاكوات وهو المنطقة المتوسطة بين البصرة وبغداد وموقعه الجانب الشرقي من دجلة وفيه قائمقام وقاض وفيه ثكنة عسكرية (قشلاق) فيها طائفة من الجنود يحمون البلد من هجوم الاعراب وقطاع الطريق

وهو قرية جميلة عذبة الهواء طيبة التربة تغلب الصحة في أهلها وفيها جسر (كوري) خشبي قديم وفيها رشدية (ثانوية) وأخرى ابتدائية وحمامتها جميلة ظاهرة وفيها سوق كبير مسقوفة وأهلها نحو اثني عشر الفا تقريبا أكثرهم شيعيون

وقد قيل أنها بنيت باسم أمير كان عليها يدعي كوت وهو من قبيلة ربيعة العراق وهذه القرية حسنة البناء بالجملة تحفها الحدائق والحقول وهي التى تكرر ذكرها فى الجرائد المحلية وغيرها من الجرائد الافرنجية

وقدأسست بعدخراب مدينة واسط الشهيرةالمعروفة فىالتاريخ العباسي وكانت واسط ربيعة من هذه البليدة في الجانب الغربي من دجلة وقد زرتها منذ سنتين تقريبا

وهناك أكوات أخرى تبلغ ٢٧ كوتا واذا أطلق الكوت أريد به كوت الامارة ومن البلاد التي يطلق عليها كوت كوت الامارة وكوت ابن نعمة وكوت الباشا وكوت العصيبي مصغر منسوب وكوت السادة وكوت الجوع وكوت زهير وكوت الكوام كشدادو كوت غضبان وكوت الافرنجي وهو محل بالبصرة معدة لتصليح

السفن والبوالخر وبنائها وكوت الشيخ وكوت الخليفة. واما الأنهر الصغيرة التي يسمونها كوتا فمنها كوت الضاحي وكوت الصلحي وكوت الحرامية وكوت بندر وكوت عباس وكوت حلاوة وثلاثة أنهار صغار يسمونها الكوت ومنها كوت خضراوى وهذه أنهر صغار في الجانب الغربي من شط العرب وهناك أنهر أخرى صغيرة تبلغ اربعمائة وسبعين نهرا

وفي الجانب الشرقى من شط العرب اكوات اخرى وهي أنهر منها كوت الخان والخان لقب الملك او ابنه عند الفرس ولعل الخان هذا خزعل خان امير المحمرة. وكوت السادة وكوت زعير مصغر وكوت الخراب وكوت عبدالله وهنالك أنهر صغيرة نحو ثمانين نهرا

﴿ كوح ﴾ كاوحه مكاوحة قاتله فغلبه

﴿ الكُوخ ﴾ بيت مسنم من قصب بلا كوة جمعه اكواخ

﴿ الكودبين ﴾ هي مادة يستخرجونها من الافيون بعد تجريده من المورفين . فيتحصل على الكودبين في شكل بلورات لالون لها قليلة الذوبان في الماء لكنها تقبله في الكحول والاتير

(خواص الكودبين الطبية) مهدىء للاعصاب كالمورفين ولكن بأقل درجة وهو كذلك أقل منه سمية . وهو يسبب للانسان نوما هادئا غير مصحوب بثقل في الرأس كما يحدث من المورفين

هذا العلاج يصنع منه شراب مركب من غرامين من الكودبين ذائبة في ٥٠ غراما من شراب السكر يؤخذ منه ملعقتان صغيرتان للقهوة على دفعتين في كل ٢٤ ساعة

﴿ كود ﴾ كاد يفعل كذا كَوْداً أي قارب وهو من افعال المقاربة التي ترفع المبتدا وتنصب الخبر بصفة اسم وخبر لها

﴿ كوَّر ﴾ العمامة تكويراً لفها . و (كوَّر فلانا) صرعه . و (تكوَّر الشيْ) سقط. و(الكَوْر) الدور من العمامة جمعه أكوار . و (الكُور) الرحل باداته جمعه أكوار . و (الكُورة) المدينة

﴿ الكُوز ﴾ اناء فخار له عروة

﴿ الكُوع ﴾ طرف الزند الذى يلى الابهام

﴿ الكُوفة ﴾ قال ياقوت هي المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق

وقال غيره سميت الكوفة لاستدارتها أو لاجتماع الناس بها وقيل سميت كوفة لموضعها من الارض وذلك لان كل رملة يخالطها حصى تسمى كوفة وقيل غير ذلك

وقال ابن حوقل مدينة الكوفة قريبة من مدينة البصرة فى الكبر هواؤها أصح وماؤها أعذب وهي على الفرات. بناؤها كبناء البصرة وهي خطط لقبائل العرب الا انها خراب بخلاف البصرة لان ضياع الكوفة قديمة جداً وضياع البصرة أحياء موات في الاسلام

وقال القزويني هي التي مصرها الاسلاميون بعد البصرة بسنتين يأتيها الماء بعذوبة وبرودة وأما البصرة فبعد تغيره وفساده

وزعموا ان من أصدق مايقول الناس في أهل كل بلدة قولهم الكوفى لايوفي

ومما نقم على أهل الكوفة انهم طعنوا على الحسن بن على وقتلوا الحسين بعد أن استدعوه الى آخر مايماثل ذلك

ينسب الى الكوفة الامام ابو حنيفة وسفيان الثوري وابو أمية شريح القاضى وابو عبد الله سعيد بن جبير وأبو الطيب المتنبي امام الشعراء

فيها جامع معروف بمشهد على وولده الحسين عليهما السلام واليه يحج الشيعة

﴿ الكريفة ﴾ يقال لها كويفة ابن عمر لانه نزلها وهى بقرب بريقيا . وقال بعضهم هي موضع فى بلاد الازد يقال له كويفة عمر بن قيس الازدى

﴿ الكوكب ﴾ فى اصطلاح اللغة هو النجم ولكنه في اصطلاح الفلكيين العصريين هي الاجرام السماوية الدائرة حول الشموس خاصة. أما التي هي في ذاتها شموس فيقال لها نجوم (انظر فلك)

﴿ الكوكا ﴾ هى شجرة تنبت فى بيرو من امريكا الجنوبية يبلغ طولها من مترين الى ثلاثة أمتار وهي شهيرة بخصائص أوراقها تلك الاوراق بيضية الشكل مستطيلة غير محززة عرضها من سنتيمترين الي خمسة سنتيمترات

(خواصها الطبية) لهذه الاوراق خاصة تهدىء الاعصاب واذا مضغ القليل منها حفظ قوى الانسان وسمح له باحتمال الجوع والعطش طول النهار. فاذا عمل منها شاى كانت من المنبهات الجليلة وهي فوق ذلك تسهل الهضم وتؤثر تأثيرا نافعا على القوي العقلية

يستخرج من الكوكا أصل فعال يقال له الكوكايين يستعمل مخدراً موضعيا وقد يستعمله بعضهم مخدراً ملهيا كالحشيش والخمر فيصيبهم منه ضرر عظيم (انظر كوكايين)

﴿ الكوكايين ﴾ هي الاصل الفعال المستخرج من ورق الكوكا المار ذكره وقد قلنا انه يستخرج منه مادة مخدرة تستعمل في الطب وانه قد شاع استعماله كمخدر مله كالحشيش والخمر . وقد كتب لنا حضرة الدكتور الفاضل حسين افندي المراوي فصلا جليل الفائدة في مضاره على مستعمليه من العاطلين ننشره مع الشكر لحضرته على خدمة العلم والانسانية

قال حضرته :

شاعت في مصر مادة الكوكايين التى اخذت تنتشر بسرعة غريبة فى كل مكان حتى صار الكوكايين خطرا حقيقيا على هذا المجتمع الانساني وحربا عوانا على عقول الناس تضيع به وناهيك بعادة مآل صاحبها الجنون او الانتحار

وانا لذاكرون حكم الطب علي هذه العادة والمادة السمية الزعافة . فان هذا الداء فلوى يستخرج من شجر الكوكا بجنوب امريكا وهو شائع الاستعمال في الطب كمخدر موضعي في العمليات الجراحية الصغيرة كعمليات العيون والانف والحنجرة وما أشبه ذلك

واذا أخذ الكوكايين بمقادير صغيرة فانه من اجود المنبهات والمقويات العامة حتي ان اهل بيرو (حيث تكثر زراعة أشجار الكوكايين) يأخذون قليلا من أوراقه ويمضغونها قبل البدء في الاعمال الشاقة وبذلك يمكنهم الاستمرار علي العمل مدة طويلة بغير جوع او عطش او ألم مطلقا وبعض القوم يعزو ذلك الي فعل الكوكايين المغذى ولكن في هذا الرأي شيئا من الخطأ لان المؤكد من التجارب التي عملت على الحيوانات انه لا يزيد في اعمارها اذا تركناها تموت جوعا والتجارب التي عملت على الحيوان كلها تؤكد تأثير الكوكايين المهيج في العضلات فلا ينبه المخ والبصلة والنخاع الشوكي ويزيد ضربات القلب ويقل معه ضغط الدم

والذين يألفون هذه العادة المضرة لهم منها احد مأربين بخلاف فريق من الناس الذين يتعودونه من كثرة استعماله فى التطبيب كالقطرة ومرض الانف والحنجرة

وفى ألم الاسنان

أماذووالمآرب السيئة فيستعملونه اما للامور النسائية (والكيف) كالدخان كما يدخن المدخنون بدون ان يعرفوا فائدة تذكر او احتياج اليه غير أن كثيرا من الناس يدخن

أما الثانية فهي لشدة تنبه الذهن والفكر لان لهذا الجوهر تأثيراً غريباً على القوى العقلية في اول امره فيشعر الانسان بالانبساط والانشراح والسرور وتقوى القوة الفكرية فيه الي درجة عظيمة ويكون الذكاء وقاداً حتى أن طلبة الطب يتعاطونه قبل الدخول فى الامتحانات للاستعانة به على النجاح وهذا شائع فى البلاد الاجنبية

وطرق استعماله ثلاثة اما تعاطيا او سعوطا او حقنا تحت الجلد ولكن من خبرتي الشخصية في المرضي الذين يستشيرونني وجدت ان اهل هذا القطر من الشبان يستعملون سعوطه بكثرة زائدة واذا استمر الشخص على تعاطي الكوكايين وجب عليه ان يزيد كل يوم المقدار الذي يتناوله كي يأتي الدرجة التي يريدها وتصبح له هذه هي عادة وبعد مدة من الزمن يشعر الذي ية اول هذا الجوهر بدوار في رأسه وخفقان فى قلبه وهبوط مستمر في قواه العقلية ويكون سريع التأثر والانفعال ثم يزيد هذا التأثير في نفس المريض

ولا يستطيع مقاومته أو اخماده الا بتناول مقدار من هذا السم فتزول هذه التأثيرات ويعود المريض الي حالة السرور والانشراح

وبعد مضي مدة على مثل هذه الحالة التي أعدها أول درجة فى الجنون تتغير طباع الشخص تغيراً كلياً وتضعف قواه العقلية ويصير غير كفء لاى عمل عقلي او فكرى ثم يعتريه الوهم والخيال فيتخيل خيالات شتي اجرامية وغير اجرامية ويترك المريض عمله وأماكن ارتزاقه ويهيم فى وديان الضلال والخيال ويتبع مايوحيه اليه فكره فيعتريه هزال فى جسمه فيصير نحيفا ويصاب بفقر الدم الشديد وتغور عيناه وينتابه الارق ايضا فلا ينام الا غراراً واذا أعوزه المال أوالطريق التى يصل بها الى غرضه رتب له أشد الوسائل خطراً بما في ذلك النصب والاحتيال والسرقة وهلم جرا

ثم يأتي بعد ذلك دور الجنون ويبتدئ غالبا بالتفكير في الانتحار. وربما

تخاص المسكين من نفسه لاول طاريء من خاطر واذا لم ينفذ هذا الخاطر او تأخر مجيئه مسه الجنون وقلما تنفع فيه حيل الاطباء ويكون الشخص قاتلا ومجرما ولصا وسفاحا وفتاكا بالاعراض وقس على هذا ويكون نصيبه واحدة من اثنين اما دار المجانين واما الانتحار والاول اغلب ويشعر المريض كأن في ملابسه بقا يلدغه (بق الكوكايين)

ولقد اتفقت آراء الباحثين على أن الجنون والتسمم اللذين يحدثهما الكوكايين ليسا نتيجة طبيعية له ولكنهم يعللونه بأن كل سم يدخل الجسم الانساني يجد من طبيعة الجسم مقاومة له فتفرز الغدد مركبات كيماوية مضادة لذلك السم ثم قالوا ان تأثير الكوكايين وقتي ولكن الاعراض التي تأتي من تلك العادة منشأها هذه الافراز المضادة للسم الذي يفرزه الجسم ومهما يكن من الامر فالكوكايين اصل من اصول الدمار

واذا تناول الشخص مقدارا ساما يشعر بتهيج شديد فيزيد النبض والتنفس ثم يأتي بعد ذلك دور الاغماء فانقباضات العصلات ثم الموت

نضرب صفحا عن ذكر العلاج لهذا الداء الوبيل حتي لا يجد الجاهل في هذه المقالة ترقيا للسم فيتمادى فيه

بعد كتابة ماتقدم أتاني عدة أشخاص مصابين بالضعف العام يريدون أن يعالجوا بالكوكايين وكذلك آخرون يريدون ان يزيدوا قواهم العقلية

ونحن نجيب السائلين ونرشد الغافلين ان الكوكايين سم زعاف مورث للجنون ومؤد للهلاك ويجب الابتعاد عن مزاياه خشية عقباه المؤكدة من الخسران

ولا أظن أن هناك شكا في العاقبة الوخيمة المترتبة على تعاطي هذا السم لانه منهك للقوي العقلية كما يشعل الانسان الشمعة من طرفيها فتكون أكثر نوراً وأقل عمراً .

الدكتور

حسين الهراوي

﴿ كولومب ﴾ هو الرحالة الجغرافي كريستوف كولومب مكتشف امريكا في القرن الخامس عشر

ولد بمدينة جين من ايطاليا سنة ١٤٤٦ ومات في مدينة فالادوليد سنة ١٥٠٦

يعتبر كولومب مكتشف الامريكا ولكن يرجح ان بحارة من البروتون والباسك قد وصلوا في شطحاتهم الى الارض الجديدة

من امريكا ثم تنوسي ذلك ولم يصل خبره الى كولومب نفسه

كان غرض كولومب اولا وجدان طريق الهند من جهة الغرب لتسهيل الاتصال بها على التجار الاوروبيين فسعي مدة طويلة للحصول على مايعينه على اداء هذه الخدمة للمجتمع فعرض مشروعه على كثير من الملوك والقادة فلم يرفع به احدهم رأسا واخيراً قبل الملك فرديناند ملك اراغون وايليزابت ملكة قسطيلة بالاندلس ان يساعداه وعيناه مقدما حاكما على كل ارض يحتلها باسمها. فأبحر من بالوس في ٣ اغسطس سنة ١٤٩٢ فاكتشف في اثناء هذه السفرة انحراف الابرة المغناطيسية . وفي ١٢ اكتوبر وصل الي غاناهاني ثم الى كوبا فظنها كولومب بلاد اليابان ووصل ايضا الى سان دومنج. فرجع في مارس سنة ١٤٩٣ رجوع الفائز العظيم

وفي سبتمبر سنة ١٤٩٣ أبحر كولومب من اسبانيا ومعه ١٢٠٠ مستعمر من الاوربين فطاف جزائر الانتيل ثم عاد الي اسبانيا سنة ١٤٩٦

ثم سافر ثالث مرة سنة (١٤٩٩ — ١٥٠٠) فاكتشف فينزويلا وكولومبيا . ولكنه عجز عن حفظ النظام في هذه المستعمرات فعزلته اسبانيا وعينت حاكما بدله اسمه بوباديلا . فقبض هذا على كولومب وأرسله مكبلا في الحديد الي اوربا ولكن فرديناندو اليزابت عفوا عنه وأطلقاه فسافر سنة ١٥٠٢ الى امريكا فاكتشف ساحل هوندوراس الى مضيق داريان وكان مقصده ان يجد المضيق الموصل الى الهند على ماكان يتخيله ثم مات سنة ١٥٠٦ تاركا وراءه شهرة خالدة جزاء اقدامه العظيم وجرأته المتناهية

مما يروى في سيرته انه لما حسده بعض نظرائه كما هي عادة الناس وقالوا ان كولومب ماعمل الا مايستطيع ان يعمله كل انسان يرمي بنفسه في لجج البحر متجها الى الوجهة التي اتجه اليها . فبلغ كولومب ذلك فأدب لهم مأدبة ودعاهم اليها وبينما هم على المائدة اعطي كلا منهم بيضة ورغب اليهم ان يجتهد كل منهم في وقف بيضته على قمتها فحاولوا ذلك فعجزوا فقال لهم كولومب الامر سهل جدا ثم ضرب قمة البيضة على المائدة فانبعجت وصار لها قاعدة تسمح لها بالوقوف علي

تلك الحالة . ثم التفت اليهم قائلا ها أنا قد استطعت ان أنف البيضة على قتها

فقالوا : كل واحد منا يقدر على مثل مافعلت

فقال لهم كولومب ولم لم تفعلوا ؟

ففهم الجماعة أنه يعرض بهم لماسمع من تنقصهم اياه فخجلوا

﴿ كولومبيا ﴾ هي جمهورية بامريكا الجنوبية كانت تابعة لاسبانيا ثم استقلت عنها حدودها الآن موضوعا للنزاع بينها وبين جاراتها البريزيل والاكواتور والبيرو

مساحتها (١٣٣٠٨٧٥) كيلو متراً مربعا ويقدر سكانها بأربعة ملايين نسمة منهم ١٥٠ الف من اهالى تلك البلاد الاصليين وهم لايزالون على همجيتهم

في كولومبيا معادن كثيرة منها الذهب والفضة والحديد والنحاس والزئبق والزمرذ

يقدر القسم المزروع منها بمئة الف كيلو متر مربع فقط وهي تنتج الحبوب والبن والتبغ والسكر والعاج النباتي

﴿ كولومبيا الانجليزية ﴾ هي ولاية من كندا التابعة لانجلترة في امريكا الشمالية مساحتها ٩٨٩١٢٤ كيلو مترا مربعا وعدد أهلها ٩٠ الف فقط . عاصمتها فيكتوريا . وكانت كولومبيا هذه تسمى خاليدونيا الجديدة الى سنة ١٨٥٨ فيها غابات ومعادن ومصايد للاسماك . وهي لاتقبل الزراعة الا في جنوبها أما غاباتها فعظيمة وهي تبلغ ثلاثه ارباع مساحتها . يستخرج من كولومبيا ذهب وفضة وفحم حجري

﴿ الكوليرة ﴾ الكوليرة مرض وبائي ينشأ من ميكروبات صغيرة تدخل معدة الانسان مع الماء الذى يشربه أو الطعام الذي يأكله فاذا لم تبده عصارات معدته ووصلت الي أمعائه سليمة نمت هنالك وتكاثرت وأخذت طبيعة جسمه تحاول التخلص منها بالقئ والاسهال ولكن قلما يفيد ذلك فينتشر سمها في جسمه ويميته

فاذا اتصلت مبرزات هذا المريض بالماء او غسلت ثيابه الملطخة بها في ترعة وشرب الناس منها ودخل من تلك الميكروبات شئ الي معداتهم انتشرت فيهم الكوليرة وفتكت بهم كما فتكت بصاحبهم الاول

ثم ان الذين يخالطون المصاب او يغسلون ثيابه تتلطخ أيديهم بشئ من

تلك المبرزات فيعلق بها شيء من الميكروبات فاذا لم يبدها بالمبيدات المعروفة تسربت الى معدتهم وفتكت بهم ايضا

واذا طرحت المبرزات في الشوارع فقد تقع عليها الذبان فيلتصق ميكروب الكوليرة بأرجلها وأجنحتها ثم تقع على الطعام فتنقل الميكروب اليه وتعدي من يأكله

هذه اشهر طرق العدوى فاذا أخذت الحيطة من جهتها وقف انتشار الكوليرة لا محالة

فاذا انتشرت الكوليرة في بلد كان من الواجب على اهلها اخذ الاحتياطات الآتية اتقاء لخطرها

(أولا) حفظ المعدة في حالة جيدة من الصحة حتى تستطيع مكافحة ميكروبات الكوليرة اذا دخلتها. وقد شرب الدكتور (كلين) خصيم الدكتور كوخ كأساً فيها كثير من ميكروبات الكوليرة اثباتا لنظريته فلم يصب بسوء. فأثبت بذلك انه ما دامت حموضة المعدة طبيعية مات ميكروب الكوليرة فيها. ولكن اذا زالت الحموضة منها وصارت قلوية لم يمت بل يمر منها سليما الى الامعاء حيث يلقى هناك عصا التسيار وينمو ويتكاثر ولذلك يشير الاطباء باضافة قليل من حمض البنيك او الايدروكلوريك الى الماء وقت شربه تسهيلا للهضم ومساعدة لحموضة المعدة على قتل ميكروب الكوليرة

(ثانيا) تنقية الماء مما يمكن ان يخالطه من ميكروبات الكوليرة باغلائه ثم تبريده فان ميكروب الكوليرة يموت بالحرارة ولو كانت درجتها بين ٥٥ و ٦٠ بميزان سنتغراد اي تحت درجة الغليان ولكن الغليان اجدر بالمحتاط

(ثانيا) تنقية المآكل بتسخينها قبل أكلها أو بغسلها بالماء المغلي حتي الخبز والفاكهة لان الذباب الذي يقع عليها قد ينقل ميكروب الكوليرة اليها

(رابعا) غسل اليدين قبل الأكل ببعض المطهرات اى بماء يكون فيه حمض الكربوليك او السليماني . اما حمض الكربوليك فيمزج الدرهم منه بخمسين درهما من الماء . وأما السليماني فيمزج الدرهم منه بثلاثة آلاف درهم من الماء

(خامسا) الامتناع عن الاطعمة التى تلبك المعدة مهما كانت وعن الافراط فى اي طعام آخر لانه اذا ضعفت المعدة عسر عليها قتل ميكروب الكوليرة كما تقدم

(سادسا) الابتعاد عن الاماكن

الموبوءة اذ أمكن لان وسائط التوقي قد لاتمنع وصول ميكروب الكوليرة الي الطعام او الي الشراب لاسيما وان الذبان تنقله اليها كما تقدم

أما قيء المصابين ومبرزاتهم فيجب صب السليماني عليها كلها لكي يميت مافيها من الميكروبات . وثيابهم الملطخة تطهر بالبخار السخن أو بمحلول السليماني او تحرق وهذا هو الافضل

ولا يجوز صب مبيدات الميكروبات في الكنف لان ميكروبات الفساد التي في الكنف تكفي لاماتة ميكروبات الكوليرة . وأما اذا صب فيها مواد مبيدة للميكروبات فقد يميت ميكروبات الفساد ويبقى ميكروب الكوليرة حيا

هذا من جهة الوقاية من الكوليرة . اما من جهة العلاج فيجب ان يوكل الى الاطباء النطاسيين. وهناك أسلوبان لمعالجة الكوليرة أحدهما أسلوب الدكتور كانتاني والثاني أسلوب الدكتور السير جورج جنسن

أما أسلوب كانتاني فمداره على ان حمض التنيك الذى يمزج الدرهم منه بمئة درهم من الماء ويسخن الي الدرجة ٣٨ يميت ميكروب الكوليرة في الامعاء اذا حقن به من المستقيم او يمنع ضرره وان الماء الذي فيه قليل من ملح الطعام يقاوم تكاثف الدم

اما حمض التنيك فيذاب عشرة غرامات منه الى عشرين غراما في لتر ونصف الى لترين من الماء السخن الذى حرارته الى اربعين درجة ويضاف اليها من ٢٠ الى ٣٠ نقطة من اللاودانوم ويحقن به المصاب في المستقيم أما الملح فيذاب اربعة غرامات منه وثلاثة غرامات من كربونات الصودا في لتر من الماء المسخن ويحقن به المصاب تحت الجلد في الجزء القطني البطني والاربيتين وتحت الكتفين والاليتين . والحقن الاول بحمض التنيك يميت الميكروبات ويوقف الاسهال . والحقن الثاني بالماء والملح يمنع تكاثف الدم والتسمم الهيضي الكيماوي وهو لا يستعمل الا في الادوار الاخيرة من أدوار الكوليرة

اما اسلوب السير جورج جنسن فقد أسسه على هذه النظريات وهى :

ان الاسهال الذى يصحب الكوليرة هو وسيلة يلجأ اليها الجسم للتخلص من المواد السمية التي تفرزها الميكروبات .

وأما القئ فسببه تهيج المعدة بالمشاركة فالاسهال علاج طبيعي تحدثه الطبيعة للنجاة من شر ماألم بها . فمن كانت بنيته قوية واحتمل الضعف الناتج من الاسهال الى أن يتم التخلص من سموم الميكروبات نال الشفاء والامات قتيل الاسهال. وشدة الاسهال تكون بنسبة كثرة السموم التي تفرزها الميكروبات . فالساعي الى وقف الاسهال والحالة هذه يكون عاملا على قتل المريض لامحالة

وقد بني الدكتور جورج جنسن أسلوبه علي هذا البيان فقال :

(أولا) يجب التنبه لكل اسهال يحصل وقت انتشار الكوليرة وعدم اهماله ساعة واحدة

(ثانيا) لايجوز السعي في وقف ذلك الاسهال بواسطة مركبات الافيون أوغيرها من القوابض مادامت الدلائل تدل علي وجود مواد سامة أو مهيجة أو منتنة في الامعاء والا فيكون فعل القوابض وقتيا ومتي انتهي رجع الاسهال . وفي مدة استعمال الدواء القابض يزيد امتصاص الجسم للسم الذى في الامعاء ولذلك يجب طرد ذلك السم من الامعاء أولا بمسهل بسيط ولا بأس بعد ذلك من أخذ جرعات صغيرة قابضة لتلطيف الاسهال اذا زاد كثيراً

وقد وجد بالاختبار ان زيت الخروع أفضل من غيره في هذه الحالة لسرعة فعله وعدم تهييجه الامعاء فتؤخذ ملعقة كبيرة منه بعد أن تمزج باللبن أو عصير الليمون أو الكونياك أو مستحلب الصمغ العربي اخفاء لطعمه. واذا تقايأ المصاب الجرعة الاولى تكرر حالا ويمنع من تناول شيء الي أن يمضي نصف ساعة أي حتي يصل الزيت الى الامعاء ويبتدىء فعله . واذا حدث من فعله ضعف فيعطي المصاب نقطا قليلة من الافيون . واذا كان لا يستطيع شرب زيت الخروع مطلقا فلا بأس من اعطائه الكالوميل مع الكافور فاذا فعل المسهل فعله واتضح انه لم يبق في الامعاء ألم ولا غاز ولا تطبل ونظف اللسان يستنتج ان المهيجات قد خرجت من الامعاء وان الامعاء قد صارت في غني عن المسهلات فيعطي المصاب اذ ذاك طعاما لطيفا مع قليل من الكنياك ويوقف الاسهال بالافيون

(ثالثا) لا يعطي الافيون الا بعد

أن يخرج ميكروب الكوليرة ومفرزاته من الامعاء ويجب فى بعض الاحوال ان يكرر زيت الخروع والافيون على التعاقب للتلطيف اذا كان الاسهال قويا ووبائيا ضعيفا. واذا فُرّغت الامعاء بجرعة من زيت الخروع تعود فتمتلىء حالا من الافرازات المهيجة التي تكون قد تكونت فيها أو رشحت من الاوعية الدموية فيعاد اعطاء الزيت الخروع

واذا رافق الاسهال قئ وجبت مساعدته بالماء الساخن وفائدة هذا الماء الساخن مزدوجة فانه ينبه الدورة الدموية ويساعد الاسهال . ولكن اذا جاشت النفس ولم يحصل القئ وترجح وجود مواد مهيجة أو غير مهضومة في المعدة فلا يكفي الماء الساخن بل يجب اعطاء مقئ كملعقة كبيرة من ملح الطعام او ٢٠ قمحة من مسحوق عرق الذهب في ماء ساخن . ومتي زاد القئ فى القوة أو عدد المرات يحسن تلطيفه بالثلج أو بوضع الخردل على المعدة أو اعطاء جرعة من الكالوميل لتصريف مهيجات المعدة من طريق الامعاء

ويروى العطش باعطاء الماء المبرد المحمض بقليل من عصير الليمون أو حمض الكبريتيك العطر . ولا بد من أن يكون ماء الشرب نقيا وأن يقيم المصاب فى الفراش

واذا استمر الاسهال وصارت المواد المفرزة مائلة الى البياض كماء الارز وهبطت حرارة الجسم وازرق لونه يكون المرض قد وصل الي الدرجة الثالثة درجة التهور فيجب حينئذ ان يلقى المصاب علي ظهره ويرفع رأسه وصدره عن مساواة جسمه ويمنع عن الحركة وتفتح له الشبابيك والابواب لتجديد الهواء ويسمح له بشرب مقدار كبير من الماء المبرد بالثلج أو قطع الثلج ولكن لا الى درجة كافية لحط حرارة الجسد الداخلية . واذا اشتدت الحالة جداً فيستحسن الجرى علي ضد ذلك أى يسقى الماء السخن لتدفئته وتنبيه الدورة الدموية واذا لم يحصل قيء فى الحالين يمنع القئ لئلا تتمدد المعدة به فتعيق التنفس وقد مدح بعضهم الحقن بالماء السخن لتنبيه الدورة الدموية ولا غنى عن تدفئة الاطراف بالفلانلا المسخنة وقوارير الماء السخن

ومتى حدثت الاعتقالات العضلية في الدرجة الثالثة يستعمل الدلك بالفلانلا

المسخنة ولا بأس باستعمال الادهنة المنبهة كالكلوروفورم والتربنتينا ووضع الاطراف في ماء قد سخن وأضيف اليه قليل من خردل

وتعرف حالة المصاب من المواد البرازية وحالة البطن ففي الاصابات السليمة يدوم الاسهال مدة الدرجة الثالثة وينتهي المرض بالموت غالبا وعليه فمن أهم الامور في الدرجة الثالثة منع الامساك بجرعات صغيرة من زيت الخروع . ومن دقق في فحص المصاب في الدرجة الثالثة وجد أمعاءه متمددة بالمواد المائعة وليس فيها قوة لدفعها

واذا حدث نزف من الامعاء يمنع استعمال زيت الخروع ويبدل بزيت التربنتينا ٢٠ نقطة كل ساعتين مع مستحلب الصمغ العربي . ويمنع اعطاء الطعام للمصاب في الدرجة الثالثة لان افرازات المعدة تكون متوقفة فيبقى الطعام غير مهضوم ولا بد من اعطاء مسهل خفيف من وقت الى آخر في درجة رد الفعل ويطعم المصاب حينئذ الاطعمة المغذية الخفيفة كاللبن والارز والبيوكا والارروط وتكون المعدة ضعيفة وتبقى مدة قبل ان تسترجع قوتها على هضم الجوامد فيحسن في هذه الحالة أن يعطى المصاب جرعات صغيرة مقوية من الكينا وحمض الايدروكلوريك مع الطعام

هذا أحسن ماوقفنا عليه في معالجة الكوليرة وقد اعتمدنا على ما كتبه المرحوم الدكتور سالم باشا سالم في المقتطف عن الاسلوب الاول وحضرة الدكتور وديع افندي برباري عن الاسلوب الثاني وأفضل من هذا كله قطع الطريق على ميكروبات الكوليرة باتخاذ التدابير الصحية الفعالة على ماذكرناه في صدر هذه العجالة فقد ثبت ان لهذه التحوطات تأثيرا عظيما في منع انتشارها وزوالها

﴿ كوّم ﴾ التراب جمعه وجعله كُومة كُومة اى قطعة قطعة و (اكتام الرجل) قعد على أطراف أصابع رجليه و (الكُوم) القطعة من الابل.و (الكُومة والكَومة) القطعة من التراب وغيره جمعها أكوام وكُوَم . و (الأكْوم) المرتفع والبعير المرتفع السنام . والناقة كوماء جمعها كُوم

﴿ كان ﴾ عليه يكون كَونا وكِيانا تكفل به والاسم الكِيانة . وكان الشيء كَونا وكِيانا وكَينُونة حدث

وقد تكون كان ناقصة فتدخل على

المبتدا والخبر فترفع الاول ويسمى اسمها وتنصب الثاني ويسمى خبرها نحو (كان زيد قائما)

وتكون تامة وهي أم الافعال لان كل شيء داخل تحت الكون فتأتي بمعنى ثبت نحو. (كان الله ولا شيء معه) وبمعني حدث نحو: (اذا كان الشتاء فأدفئوني) وبمعنى حضر نحو: (وان كان ذو عسرة فنظرة الي ميسرة) وبمعنى وقع نحو: (ماشاء الله كان وما لم يشألم يكن) وبمعنى أقام نحو (كانوا وكنا) وبمعني ينبغى نحو (ما كان لكم أن تنبتوا شجرها) وبمعني صار نحو: (وكان من الكافرين) وبمعنى الاستقبال نحو: (يخافون يوما كان شره مستطيرا) وبمعني المضي المنقطع نحو: (وكان في المدينة تسعة رهط) وبمعنى الحال نحو: (كنتم خير أمة أخرجت للناس) وبمعني الازل والابد نحو: (وكان الله عليما حكيما) وبمعني الدوام والاستمرار نحو (وكان الله غفوراً رحيما)

ويقول الرجل لصاحبه اذا تفرس فيه (كن أبا فلان) ليعلم ان كان كما ظن

وتقول العرب فى الدعاء على انسان (لاكان ولا تكون) أى لاخلق ولا تحرك يكنون به عن موته

تحذف النون جوازا فى مضارع كان المجرد عن الضمائر البارزة المجزوم اذا لم يكن بعدها همزة وصل نحو: لم يكن زيد قائما ولا فرق في هذا بين كان الناقصة والتامة

وقد تزداد كان للتأكيد بين الشيئين المتلازمين كالمبتدا وخبره نحو (زيد كان قائم) والفعل ومرفوعه نحو (لم يوجد كان مثلك) والموصول وصلته نحو (جاء الذي كان أكرمته) والموصوف وصفته نحو (مررت برجل كان قائم)

وتنقاس زيادتها بين ما وفعل التعجب نحو (ماكان أحسن زيداً) ولا تزداد في غيره الا سماعا

أكثر ماتزداد كان بلفظ الماضي وقد شذت زيادتها بلفظ المضارع كقول الشاعر:

أنت تكون ماجد نبيل
اذا تهب شمأل بليل

و(كناهم) ى كنالهم و (كنت الغزل) أي غزلته و (كنت الكوفة) أى كنت بها و (منازل اقفرت كأن لم يكنهاأحد) أى لم يكن بها أحد

و (كوّن الشيء) أحدثه. وتكوّن

الشيء)حدث و (استكان) ذل وخضع . و(الكائنة) الحادثة جمعها كائنات و كوائن و (الكُنْـتِيّ والكُنتُنِيّ) الكبير العمر كأنه نسب الى قوله كنت في شبابي كذا وكذا والجمع كُنتيون وكُنتنيون.والكِيان الطبيعة وقيل هي سريانية.و (الـكِيَـانة) الكفالة وهي اسم من كنت علي فلان كونا اى تكفلت به . و (كِيوان) اسم زحل وهو فارسي معرب . و (الكَوْنى)الكبير العمر . و (المَكان) موضع كون الشيء وهو حصوله.و (المَكانة) الموضع والمنزلة جمعها مَكانات

تقول : (فلان مَكين عندفلان)أي بين المكانة عنده

﴿ كواه ﴾ يَكويه كَياأحرق جلده بحديدة . و (اكتوى) مطاوع كوى . و (المِكواة) حديدة يكوى بها البدن

﴿ كي ﴾ عن المغنى لابن هشام انها تأتي علي ثلاثة اوجه :

احدها ان تكون اسما مختصرا من كيف تقول (كي تجنحون الي سلم) اى كيف فحذفت الفاء كما يقال بعضهم سَوْ أفعل يريد سوف أفعل

ثانيها ان تكون بمنزلة لام التعليل معني وعملا وهي الداخلة على ما الاستفهامية في قولهم في السؤال عن العلة (كَيم جئت) وتتصل بها الهاء عندالوقف فيقال (كيمه) كما يقال (لمه) وعلى ما المصـدرية كما في قوله (يرجي الفتي كيما يضر وينفع) أى لانه يضر وينفع . وقيل ما كافة وعلى ان المصدرية مضمرة وجوابا نحو(جئتك كي تكرمني) اذا قدرت النصب بأن

ثالثها ان تكون بمنزلة ان المصدرية معني وعملا وذلك في نحو (لكي لاتأسوا) يؤيده صحة حلول ان محلها وانها لو كانت حرف تعليل لم يدخل عليها حرف تعليل آخر.ومن ذلك قولك(جئتك كي تكرمني) وقوله تعالى (كي لاتكون دولة)اذاقدرت اللام قبلها فان لم تقدر اللام فهي تعليلية جارة ويجب حينئذ اضمار أن بعدها ولا تظهر أن بعد كي الا في الضرورة كقوله (لسانك كيما ان تغر وتخدعا)

﴿ الكي ﴾ يستعمل الكي في الطب لتحويل التهابات مزمنة . وقد كان قديم الاستعمال عندالامم القديمة. ويري الاطباء المحدثون ان الحراريق والذراريح تقوم مقامه ولا سيما اذا تكررت

علي ان الاطباء المحدثين يستعملون

الكي في علل النخاع الشوكي بواسطة جهاز خاص ويعملون عدة منها في وقت وجيز

واشتهر الكي الآن بالكهربائية فيسلطون تياراً بواسطة سلك على الجهة المراد كيها واكثر استعمال الكي في اللثات الملتهبة وفي الجهات التي قطع منها الكالو والسنط من الاعضاء

﴿كَيْتَ وكَيْتِ﴾ تستعمل بمعنى كذا وكذا فيقال كان من أمره كيت وكيت اى كذا وكذا

﴿كاده﴾ يكيده كَيداً خدعه والاسم المَكيدة. و (كاده) احتال عليه. و (كاد فلانا) حاربه. و (كاد بنفسه) جاد بها و (كايده) مكر به. و (الكيد) الخبث والمكر والحيلة

﴿الكِير﴾ زق ينفخ فيه الحداد واما المبني من طين فهو كُور جمعه أكيار وكِيَرة بكسر ففتح

﴿الكَيْس﴾ الفطنة والسكون. و (كاس الغلام يَكِيس كَيساً وكِياسة) ظرف وفطن وسكن. و (كاس) حمق فهو ضد وهو (كَيِّس). و (كاس فلانا) غلبه في الكياسة. و (كَيَّسه) جعله كيسا. و (كايسه) مكايسة غالبه في الكَيس. و (كايسه في البيع) غلبه. و (أكيس الرجل إكياسا وأكاس إكاسة) ولد له أولاد كَيْسَى. و (تكيَّس فلان) تظرف. و (الكِياسة) هي تمكين النفوس من استنباط ماهو انفع. و (الكَيْس) خلاف الحمق والجماعة. والطب. والجود. والعقل والظرف والفطنة. وحسن التأني في الامور

و (الكِيس) للدراهم والدنانير والدر والياقوت جمعه أكياس وكِيَسة بكسر ففتح

و (كَيسان) اسم للغدر و (الكيِّس) الظريف البين الكياسة. و (امرأة مِكياس) تلد الاكياس

﴿الكيسانية﴾ فرقة من الفرق الاسلامية أتباع المختار بن أبي عبيد الثقفى الذي قام بثأر الحسين بن على بن أبي طالب وقتل اكثر الذين قتلوا الحسين بكربلاء. قيل انه اخذ مذهبه عن مولى لعلي كان اسمه كيسان وقيل كيسان هذا لقبه. وقد افترق اهل مذهبه الى فرق يجمعها شيئان احدهما قولهم بامامة محمد ابن الحنفية (هو ابن على عليه السلام من غير فاطمة الزهراء) واليه كان يدعو المختار ابن ابي عبيد. والثاني قولهم بجواز البدء

على الله عز وجل . ولهذا البدعة قال بتفكيرهم كل من لايجيز البدء على الله سبحانه وتعالى

وقد اختلف الكيسانية فى سبب امامة محمد بن الحنفية فزعم بعضهم انه كان اماماً بعد أبيه علي ابن أبي طالب واستدل علي ذلك بأن علياً دفع اليه الراية يوم الجمل وقال له (أيك محمد لاخير في الحرب اذا لم تزيك) (كذا)

وقال آخرون منهم ان الامامة بعد على كانت لابنه الحسن ثم للحسين ثم صارت الى محمد بن الحنفية بعد أخيه الحسين بوصية منه حين هرب من المدينة الى مكة وقد طولب بالبيعة ليزيد بن معاوية

ثم افترق الذين قالوا بامامة محمد بن الحنفية فزعم قوم منهم يقال لهم الكربية أصحاب ابى كرب الضرير ان محمد بن الحنفية حى لم يمت وانه في جبل رضوى وعنده عين من الماء وعين من العسل يأخذ منها رزقه وعن يمينه أسد وعن يساره نمر يحفظانه من اعدائه الى وقت خروجه وهو المهدى المنتظر

وذهب الباقون من الكيسانية الي الاقرار بموت محمد بن الحنفية واختلفوا في الامام بعده فمنهم من زعم ان الامامة بعده رجعت الى ابن اخيه على ابن الحسين زين العابدين . ومنهم من قال برجوعها بعده الى أبي هشام عبد الله بن محمد بن الحنفية. واختلف هؤلاء في الامام بعد أبي هاشم . فمنهم من نقلها الى أبي محمد بن على بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بوصية أبي هاشم اليه وهذا قول الروندية ومنهم من زعم بأن الامامة بعد أبي هاشم صارت الى بيان بن سمعان وزعموا ان روح الله تعالى كانت في أبي هاشم ثم انتقلت منه الى بيان . ومنهم من زعم ان تلك الروح انتقلت من أبي هاشم الى عبد الله بن عمرو بن حرب وادعت هذه الفرقة الهية عبدالله بن عمرو ابن حرب . والبيانية والحربية كلاهما من فرق الغلاة وكان كثير الشاعر المشهور على مذهب الكيسانية الذين ادعوا حياة محمد ابن الحنفية ولم يصدقوا بموته ولذا قال فى قصيدة له :

ألا ان الائمة من قريش
ولاة الحق أربعة سواء

علي والثلاثة من بنيه
هم الاسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط ايمان وبر
وسبط غيبته كربلاء
وسبط لا يذوق الموت حتى
يقود الخيل يقدمها الولاء
تغيب لا يري فيهم زمانا
برضوي عنده عسل وماء

وقال كثير ايضا في مذهبه ذلك:

برئت الى الاله من ابن اروي
ومن دين الخوارج اجمعينا
ومن عمر برئت ومن عتيق
غداة دعا امير المؤمنينا

يريد بعمر عمر بن الخطاب وعتيق ابا بكر الصديق

وقال كثير ايضا:

ألا قل للوصي فدتك نفسي
اطلت بذلك الجبل المقاما
أضرت بمعشر ولوك منا
وسموك الخليفة والاماما
وعادوا فيك اهل الارض طراً
مقامك عندهم ستين عاما

ثم قال في هذه القصيدة:

وماذاق ابن خولة طعم موت
ولا وارت له ارض عظاما
لقد أمسى بمجري شعب رضوي
تراجعه الملائكة الكلاما
وان له لرزقا من امام
وأشربة يُعل لها الطعاما

وكان الشاعر المشهور السيد الحميري علي مذهب الكيسانية ايضا من الذين ينتظرون محمد بن الحنفية ويزعمون انه محبوس بجبل رضوي الى ان يؤذن له بالخروج ولذا قال في شعر له:

ولكن كل من في الارض فان
بذا حكم الذى خلق الاناما

وكان اول من قام بدعوة الكيسانية الى امامة محمد بن الحنفية المختار بن ابي عبيد الثقفي. وكان السبب فى ذلك ان عبيد الله ابن زياد لما فرغ من قتل مسلم بن عقيل وفرغ من قتل الحسين بن علي عليهما السلام بلغه ان المختار بن ابي عبيد كان ممن خرج مع مسلم بن عقيل ثم اختفي فأمر باحضاره فلما دخل عليه رماه بعمود كان في يده فشتر عينه وحبسه فتشفع اليه فى أمره قوم فأخرجه من الحبس وقال له قد اجلتك ثلاثة ايام فان خرجت فيها

من الكوفة والا ضربت عنقك فخرج المختار هاربا من الكوفة الى مكة وبايع عبد الله بن الزبير وقاتل معه الى أن قاتل ابن الزبير جيش يزيد بن معاوية الذي كان تحت قيادة الحصين بن نمير السكوني واشتدت نكاية المختار في تلك الحروب على أهل الشام . ثم مات يزيد بن معاوية ورجع جند الشام الى الشام واستقام لابن الزبير ولاية الحجاز واليمن والعراق وفارس ولقى المختار من ابن الزبير جفوة فهرب منه الى الكوفة وواليها يومئذ عبد الله بن يزيد الانصارى من قبل عبد الله بن الزبير فلما دخل الكوفة بعث رسله الى شيعة الكوفة ونواحيها الى المدائن ودعاهم الى البيعة له ووعدهم أنه يخرج طالبا بثأر الحسين بن على ودعاهم الى محمد بن الحنفية وزعم أنه استخلفه وانه قد أمرهم بطاعته . واتفق ان عزل ابن الزبير في خلال ذلك عبد الله بن يزيد عن الكوفة وولاها عبد الله ابن مطيع العدوي واجتمع الى المختار من بايعه في السر وكانوا زهاء سبعة عشر الفا ودخل فى بيعته عبيد الله بن الحر الذى لم يكن في زمانه أشجع منه وابراهيم بن مالك الاشتر ولم يك في شيعة الكوفة اكثر منه تبعا فخرج بهم على والي الكوفة عبد الله بن مطيع وهو يومئذ في عشرين الف مقاتل ودامت الحرب بينهما أياما ثم انتهت بهزيمة الوالي واستولى المختار على الكوفة فقتل كل من اشترك من أهلها في قتال الحسين بن على بكربلاء . ثم صعد المنبر وخطب قائلا :

الحمد لله الذي وعد وليه النصر وعدوه الخسر ، وجعلها فيهما الى آخر الدهر ، قضاء مقضيا ، ووعداً مأتيا

يا أيها الناس قد سمعنا دعوة الداعي وقبلنا قبل الواعي فكم من باغ وباغية ، وقتلى في الواعية ، فهلموا عباد الله الى بيعة الهدى ، ومجاهدة العدا فاني انا المسلط على المحلين ، والطالب بثأر بن بنت خاتم النبيين

ثم نزل عن منبره وأنفذ بصاحب شرطته الي دار عمر بن سعد حتى أخذ رأسه ثم أخذ رأس ابنه جعفر بن عمر وهو ابن اخت المختار وقال ذاك برأس الحسين وهذا برأس ابن الحسين الكبير ثم بعث بابراهيم بن مالك الاشتر مع ستة آلاف رجل الي حرب عبيد الله بن زياد وهو يومئذ بالموصل فى ثمانين الفا من جند الشام قد ولاه

عليهم عبد الملك بن مروان فلما التقى الجمعان على باب الموصل انهزم جند الشام وقتل رئيسه والحصين بن نمير فأنفذ ابراهيم ابن الاشتر برؤسهم الى المختار

فلما تمت للمختار ولاية الكوفة والجزيرة والماهين الى حدود ارمينية تكهن بعد ذلك وسجع كاسجاع الكهنة وقيل انه ادعي نزول الوحي عليه وروى ان من اسجاعه قوله :

أما والذي نزل القرآن، وبين الفرقان، وشرع الاديان، وكره العصيان، لاقتلن البغاة من ازد عمان ومذحج وهمذان، ونهد وخولان، وبكر وهزان وثعل ونبهان، وعبس وذبيان، وقيس وعيلان. ثم قال وحق السميع العليم، العلى العظيم، العزيز الحكيم، الرحمن الرحيم، لأعركن عرك الاديم، أشراف بني تميم

فبلغ خبر المختار محمد بن الحنفية وخاف من جهة الفتنة باسمه في الدين فأراد قدوم العراق ليصير اليه الذين اعتقدوا امامته وسمع المختار ذلك فخاف ذهاب ولايته لمقدمه فقال لجنده انا على بيعة المهدي ولكن للمهدي علامة وهو أن يضرب بالسيف ضربة فان لم يقطع السيف جلده فهو المهدى وانتهي قوله هذا الي محمد بن الحنفية فأقام بمكة خوفا من ان يقتله المختار

ثم ان المختار خدعه السبابية الغلاة من الرافضة فقالوا له أنت حجة هذا الزمان وحملوه على دعوي النبوة فادعاها لنفسه عند خواصه وزعم أن الوحي ينزل عليه وسجع بعد ذلك فقال :

أما وممشي السحاب، الشديد العقاب، السريع الحساب، العزيز الوهاب، القدير الغلاب، لأنبشن قبر ابن شهاب، المفتري الكذاب، المجرم المرتاب، ثم ورب العالمين ورب البلد الامين، لأقتلن الشاعر المهين، وراجز المارقين، وأولياء الكافرين، اعوان الظالمين، واخوان الشياطين، الذين اجتمعوا على الاباطيل، وتقولوا على الاقاويل الخ الخ

ونحن نرى أن زعيما كالمختار استهوي أفئدة الناس اليه وجمع الامصار عليه لا يمكن ان ينزل الى مثل هذا السجع الفارغ فهو ولا شك من تقولات الناس عليه. وهذا لا يمنع انه يتطاول الى ما هو فوق قدره من مقاوم الشرف، ورتب الكمال، فأحبط عمله، وأغضب المنتمين اليه. وقد حدث ذلك فان أهل الكوفة خرجوا عليه،

ونصرته السبابية من غلاة الرافضة وعبيد أهل الكوفة لانه وعدهم ان يعطيهم أموال ساداتهم وقاتل بهم الخارجين عليه ظفر بهم وقتل منهم كثيرين وأسر جماعة منهم سراقة بن مروان البارقي فقدم الى المختار وخاف ان يقتله فاحتال بحيلة وذلك أنه لما مثل بين يديه رفع صوته قائلا ما أنتم أسرتمونا ولا أنتم هزمتمونا بعددكم وانما هزمنا الملائكة الذين رأيناهم على الخيل البلق فوق عسكركم. فأعجب المختار قوله هذا فخلى سبيله فلحق بمصعب بن الزبير بالبصرة وكتب الى المختار هذه الابيات

ألا أبلغ أبا اسحق اني
رأيت البلق دهما مصمتات
أرى عينيّ مالم تنظراه
كلانا عالم بالترهات
كفرت وحيكم وجعلت نذرا
علي قتالكم حتى الممات

أما سبب قول المختار بجواز البدء على الله عز وجل فهو ان ابراهيم بن الاشتر لما بلغه ان المختار تكهن وادعي نزول الوحي عليه قعد عن نصرته واستولى لنفسه على بلاد الجزيرة ، وعلم مصعب بن الزبير ان ابراهيم بن الاشتر لاينصر المختار فطمع عند ذلك في قهر المختار ولحق به عبيد الله ابن الحر الجعفي ومحمد بن الاشعث الكندي وأكثر سادات الكوفة غيظا منهم من المختار لاستيلائه على أموالهم وعبيدهم وأطمعوا مصعبا في اخذ الكوفة قهرا فخرج مصعب من البصرة في سبعة آلاف رجل من عنده سوى من انضم اليه من سادات الكوفة وجعل على مقدمته المهلب بن أبي صفرة مع أتباعه من الازد وجعل أعنة الخيل الى عبيد الله بن معمر التيمي وجعل الاحنف بن قيس علي خيل تميم . فلما انتهي خبرهم الى المختار أخرج صاحبه أحمد بن شميط الى قتال مصعب في ثلاثة آلاف رجل من نخبة عسكره وأخبرهم بأن الظفر يكون لهم وزعم ان الوحي قد نزل عليه بذلك فالتقى الجيشان بالمدائن وانهزم أصحاب المختار وقتل أميرهم ابن شميط وأكثر قواد المختار ورجع فلولهم الي المختار وقالوا له ألم تعدنا بالنصرة على عدونا؟ فقال ان الله تعالى كان قد وعدني ذلك لكنه (بداله) أي أنه بدا له رأي آخر فتحول عن الاول. وهذا معنى قولهم أنه كان يقول بالبدء . واستدل المختار علي قوله هذا بقوله تعالى (يمحو الله مايشاء

ويثبت)

ثم ان المختار خرج لقتال مصعب ابن الزبير بنفسه فحدثت بينهما وقعة بالمذار من ناحية الكوفة وقتل في تلك الوقعة محمد بن الاشعث الكندى فقال المختار طابت نفسي بقتله اذ لم يكن قد بقي من قتلة الحسين غيره ولا أبالى بالموت بعد هذا. ثم وقعت الهزيمة على المختار وأصحابه فانهزموا الي دار الامامة بالكوفة وتحصن بها مع أربع مئة من أتباعه وحاصرهم مصعب فيها ثلاثة أيام حتي فني طعامهم ثم خرجوا اليه فى اليوم الرابع مستقتلين فقتلوا وقتل المختار معهم . وفي ذلك يقول أعشي همدان الشاعر :

لقد نبئت والانباء تنمي
بما لاقي الكوارث بالمذار

وما ان سرني اهلاك قومي
وان كانوا وحقك في خسار

ولكني سررت بما يلاقي
ابو اسحق من خزي وعار

واختلف الكيسانية الذين انتظروا محمد بن الحنفية وزعموا انه حي محبوس بجبل رضوى الى أن يأذن الله له بالخروج واختلفوا فى سبب حبسه هالك بزعمهم. فمنهم من قال لله في أمره سر لا يعلمه الا هو ولا يعرف سبب حبسه . ومنهم من قال ان الله تعالي عاقبه بالحبس لخروجه بعد قتل الحسين بن على الي يزيد بن معاوية وطلبه الامان منه وأخذه عطاءه ثم لخروجه فى وجه الزبير من مكة الي عبد الملك بن مروان هاربا من ابن الزبير . وزعموا أن صاحبه عامر بن واثلة الكنانى سار بين يديه وقال في ذلك المسير لاتباعه :

ياأخواني ، ياشيعتى لاتبعدوا ، ووازروا المهدى كي تهتدوا، محمد الخيرات ، يامحمد انت الامام الطاهر المسدد، لاابن الزبير السامرى الملحد ، ولا والذي نحن اليه نقصد

وقال الذين اختلفوا فيه انه كان يجب عليه أن يقاتل ابن الزبير ولا يهرب فعصى ربه بتركه قتاله وعصاه بقصده عبد الملك ابن مروان وكان قد عصاه قبل ذلك بقصده يزيد بن معاوية ثم انه رجع من طريقه الى ابن مروان الى الطائف ومات بها ابن عباس ودفنه محمد بن الحنفية ثم سار منها الي الذر فلما بلغ شعب رضوي اختلفوا فيه فزعم المقرون بموته أنه مات فيه وزعم المنتظرون له أن الله حبسه

هنالك وغيبه عن عيون الناس عقوبة له على الذنوب التي اضاعها اليه الى ان يؤذن له بالخروج وهو المهدي المنتظر

﴿ كيس الراعي ﴾ اسم نبات كثير الوجود بأوروباله أوراق جذرية عليقية أي مستطيلة ريشيه التشقق وفصوصها حادة متجهة نحو القاعدة وله ازهار بيضاء صغيرة وثمار ثلاثية الزوايا مقورة من الاعلى وعلى شكل قلب منقلب وهو يزهر في معظم السنة ويكون على حافات الطرق والحيطان والبساتين

(خواصه الطبية) فيه قبض وعصارته تستعمل من أوقية الى اربع أوقيات علاجا للبول الدموي وغير ذلك من الانزفة حتي في البهائم. واشتهر أيضاً بمضادته الحفر والحمى وادرار البول والربو الرطب والاستسقاء وغير ذلك. واعتبروا بزوره صالحة لتنبيه التغلب وأوصوا بوضع النبات كله مدقوقا على الاوجاع الروماتيزمية والبواسير ونحوها

قال العلامة (ميريه) كتب لنا الطبيب ليجون أنه نال نتائج عظيمة من هذا النبات فى أمراض الصدر وسيما في النفث الدموي

ينبغي استعمال هذا النبات طريالانه اذا جف زالت خواصه وقد قل استعماله الآن

وقال عنه اطباء العرب : انه يفجر الدبيلات التى تحدث في الجو اذا شرب وهو يدر الطمث ويضر الحوامل. واذا احتمل به نفع من عرق النسا. وهو لقوة فعله في البدن والاسهال يسهل دما ويخرج بالقيء بلاغم واخلاطا مرارية اذا شرب منه مقدار أربعة دوانق ونصف

وقال ديسقوريدس بزره حريف مسخن اذا شرب منه ١٨ قيراطا أخرج المرة الصفراء بالقيء والاسهال

وذكر قراطس أن منه صنفا يسميه بعض الناس بالخردل الفارسي ونباته عريض الورق كبير الاصل وهو أقلها حرافة وحدة يدخل جرمه وبزره فى اخلاط الحقن لعرق النسا فينفع نفعا بينا ويعرف هذا الصنف في الشام بالحرقف ويسميه أهل مصر والموصل حرفوف وحشيشة السلطات وقد يصلح بالملح والماء ينشف ويعمل باللبن فيطيب طعمه ويجيش فيشهي وهو اجود الابزار التي تعمل باللبن

﴿ كيف ﴾ يقال فيها كي كما يقال في سوف سو وهي اسم مبهم غير متمكن وتستعمل على وجهين احدهما ان تكون شرطا فتقتضي فعلين متفقي اللفظ والمعني غير مجزومين نحو (كيف تصنعُ اصنعُ) ولا يجوز (كيف تجلسُ أذهبُ) ولا (كيف تجلسْ أجلسْ) بالجزم وقيل يجوز الجزم بشرط اقترانها بما

والثاني وهو الغالب فيها ان تكون استفهاما اما حقيقيا نحو (كيف زيد ؟) او غيره نحو (كيف تكفرون بالله؟) فانه اخرج مخرج التعجب ونحو قوله (كيف ترجون سقاطي) فانه اخرج مخرج النفي ونحو قوله تعالي (وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله) فانه للتوبيخ

وتقع خبرا قبل مالا يستغني عنه نحو (كيف انت وكيف كنت) ومنه (كيف ظننت زيدا) و (كيف علمت فرسك)

وتقع حالا قبل ما يستغني عنه نحو (وكيف جاء زيد) اى على اى حالة كقولك (لأكرمنك كيف كنت)

وتقع مفعولا مطلقا نحو (كيف فعل ربك) اى اى فعل فعل ربك . ومثله (فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد) اى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد يصنعون

ولا يسأل بكيف الا عن الاوصاف الغريزية يقال (كيف زيد أصحيح أم سقيم) ولا يقال (كيف زيد اقاعد ام قائم) بل يكون السؤال عن مثل هذه بهل او بالهمزة

(الكَيْفة) الكسفة من الثوب . والخرقة ترقع ذيل القميص من قدام. وما كان من خلف فخَيْفه جمعها كِيَف

و (الكيفية) من كل شئ حاله وصفته

و (كيفما) مركبة من كيف وما اسم شرط نحو كيفما تتوجهْ تصادفْ خيرا

﴿ كال ﴾ الطعام يكيله كَيلا حقق مقداره بواسطة الكيل ومثله (كيَّل الطعام) و (اكتال منه او عليه) اخذ منه وتولى الكيل بنفسه . و (الكِيالة) حرفة الكيال واجرة الكيل و (الكِيلة) نوع الكيل

﴿ الكيلة ﴾ صحتها بالعربية (الكيلجة) هي في مصر جزء من اثني عشر جزءا من الاردب وهي ربعان

﴿ الكيلو غرام ﴾ هو من الموازين

الفرنسية يساوي الف غرام أو ٣٢٠ درهما والغرام هو وزن سنتيمتر مكعب من الماء الذي درجته ٤ فوق الصفر. والكيلوغرام مشمول وعاء مكعب طوله عشرة سنتيمترات وعرضه مثلها وارتفاعه كذلك

﴿ الكيلو متر ﴾ هو مقياس فرنسي تقدر به الاطوال طوله الف متر

﴿ الكيمياء ﴾ هو علم يبحث فيه عن طبائع وخواص الاجسام الارضية وكيفية تحليلها وتركيبها

يعتبر هذا العلم من العلوم الحديثة العهد فلم يعد تاريخ تكونه على حالته المعروفة اليوم عن مئة سنة. أما قبل ذلك فقد كان عبارة عن نظريات تجريبية لا نظام لها ولا قانون يجمع شتاتها وكثيراً ما كانت محتوشة بالخطأ. أما اليوم فقد صارت الكيمياء من وجهتها النظرية والعلمية في مصاف جميع العلوم المقررة. ومما يؤثر عنها أنها ترقت ترقيا سريعا للغاية فان قيامها على حالتها العصرية لم تكن نتيجة مجهودات القرائح في أجيال عديدة كما كانت حال جميع العلوم الاخرى فان مسائل تحليل الهواء ونظرية الاحتراق والتنفس والتمييز بين الاجسام القابلة للوزن وغير القابلة للوزن والفصل بين الاجزاء البسيطة والمركبة وجميع المكتشفات التي قلبت حال هذا العلم تمت كلها في خمس عشرة سنة. وكل هذه الانقلابات السريعة المدهشة التي طرأت على هذا العلم هي عمل رجل واحد هو لافوازييه العالم الفرنسي

وقد عزي الى العلامة لافوازييه أيضا القانون الطبيعي الخطير وهو (لا شيء يجد في الكون ولا شيء يعدم فيه)

كان العلماء في منتصف القرن الثامن عشر يسلمون بما كان يقول به العلماء الاقدمون من الخلط بين المادة نفسها وبين الحالة التي تكون عليها من صلابة وسيوله وغازية. وكان القول بالعناصر الاربعة الماء والتراب والهواء والنار من المقررات العلمية الثابتة. ومن هنا سرى اليهم الاعتقاد بتطور المعادن واستحالاتها وامكان تحول النحاس وغيره الى ذهب

ولكنا تحققنا اليوم أن الماء والهواء اللذين كانا يعتبران عنصرين ليسا غير جسمين مركبين، وأن التراب وهو العنصر الوحيد المشتبه قد حلت محله العناصر المختلفة الجالية، وان النار بدل أن تعتبر مادة من المواد قد اعتبرت ظاهرة من الظواهر

الطبيعية . من هنا نشأ حد فاصل بين الاجسام القابلة للوزن والاجسام غير القابلة له وهذا الفصل أيضا من عمل لافوازبيه

وقد عزى الى لافوازييه القانون الكيماوي المشهور (لاشيء يجد في الكون ولا شيء يعدم فيه) ولكن ظهر ان هذا القانون كان يقول به أتباع الفيلسوف ابيقور. وقيل أن لافوازييه هو أول من استخدم الميزان في الكيمياء وهو خطأ فان الميزان كان من أخص أدوات الكيمياء في كل زمان ومكان

كان علماء الكيمياء الى القرن الثامن عشر يجهلون أن في الكون غازات مستقلة عن الهواء العادى ولكن العالم (بويل) نجح في توليد (هواء صناعي) بصب حمض الفيتريوليك الممدود بالماء على الحديد ، وغفل عن أن هذا الغاز المتولد الذى سماه (هواء صناعيا) هو الايدروجين وجاء (هاليس) و(بورهاف) فلم يكونا أبصر من بويل بحقيقة ذلك الغاز

وظل العلامة (بومبه) مدة طويلة يحسب الايدروجين هواء وينسب عدم امكان الاحتراق فيه الى مواد زيتية معلقة في الهواء

وقد تساءل لافوازبيه قائلا قبل اكتشاف عنصري الهواء : « هل توجد أنواع من الهواء ، وهل هذه الاهوية المختلفة التي نجدها في الطبيعة أو نتوصل الى تكوينها هي تغيرات من الهواء الجوى؟ »

فلما نبغ الطبيعى الانجليزى (بلاك) أثبت فى سنة (١٧٥٧) وجود حمض الكربونيك مستقلا عن الهواء. ودل على أنه يزول باتحاده بالقلويات ويعود للظهور ثانية ان عوملت تلك القلويات بالنار أو بالحوامض وعلى انه يبقى على حالته مع مروره من مركب الى مركب آخر

ولما ظهر (كافانديش) أثبت في سنة ١٧١٧ وجود غاز جديد سماه الهواء القابل للالتهاب. وكان هذا الغاز هو الايدروجين

ومن سنة ١٧٧١ الي سنة ١٧٧٤ اكتشف بريستلى أعظم الغازات وهى الاوكسيجين وسماه الهواء الديفلوجستيك وبي اوكسيد الازوت وسماه الهواء النتري وبروتوكسيد الازوت وسماه الهواء النترى ديفلوجيستيك، والامونياك وسماه الهواء القلوى الخ

ولما اكتشف لافوازبيه سنة ١٧٧٧

اوكسيد الكربون ، وبولتا سنة ١٧٧٨ غاز المستنقعات ، واكتشف شيل غاز الكلور بطلت نظرية وجود غاز مفرد وحلت محلها نظرية وجود اجسام كثيرة ذات اشكال غازية

ثم ان لافوازييه استفاد من جميع هذه الاكتشافات واستخدمها في تجاربه فتأدي الي احداث الانقلاب العظيم الذي احدثه في علم الكيمياء . اول ماتصدي لذلك اثبت سنة ١٧٧٤ ان المعادن في استحالتها الى جير تزداد وزنا واثبت ان تكلس القصدير في اوان مؤصدة ناشيء من اتحاده بمقدار من الهواء وان هذا الكلس مساو لذلك المقدار من الهواء .

وبرهن ايضا ان هذا القدر هو جزء من الهواء لا الهواء برمته وسمي ذلك الجزء الاوكسيجين وان الجزء الذي يبقي في الآنية من الهواء هو غاز آخر سماه الازوت فأثبت بهذه التجربة ان الهواء مكون من عنصرين هما الاوكسيجين والايدروجين فأغضب اكتشافه هذا جمهور العلماء وعدوا لافوازييه مبتدعا في العلم حتي حمل السخط علماء برلين علي احراق صورته

ولكن لافوازييه لم ينهزم امام هذه المظاهرات التعصبية فأثبت بواسطة التركيب صدق نظريته التحليلية اي انه أتي بمقدار من الاوكسيجين وآخر من الايدروجين فركب منهما الهواء بصفاته المعروفة

ثم أخذ في بيان خواص هذين الغازين فبين وظيفة الاوكسيجين فى تركيب الحوامض سنة (١٧٧٣) فبرهن انه بانضمام الاوكسيجين الي الكبريت والفوسفور والكربون يتكون حمض الكبريتيك والفوسفوريك والكربونيك وان اوزان هذه الحوامض المختلفة هي عين وزن كل جسم منها مضافا اليه الاوكسيجين الذى دخل في تركيبه

واثبت لافوازييه أيضا ان تنفس الحيوانات هو عبارة عن احتراق بطيء لأنها تمتص الاوكسيجين من الهواء وتخرجه على هيئة حمض كربونيك

ووزن هو ولابلاس سنة ١٧٠٣ بكل دقة نتائج التنفس بواسطة ميزان الثقل وميزان الحرارة

وفى سنة ١٧٠٢ كلف العالم جيتون دومورفو بتحرير القسم الكيماوى فى الانسيكلوبيذيا التي كانت تدعي اصوليه فشرع في احداث تسمية جديدة للاجسام

تدل على مايدخل في تركيبها من البسائط وعلى شيء من خواصها الاصلية . فبذل عدة سنين فى هذا السبيل ولاجل ان يبلغ الغاية منه استعان باخوانه من العلماء الكيماويين المعاصرين وكان منهم لافوزييه نفسه والعلماء بيرتوليه وفوركروا فوالوا الاجتماعات ثمانية اشهر متوالية حتي أتموا هذه التسمية ورفعوها الى المجمع العلمي فى جلسته المنعقدة فى ١٨ ابريل سنة ١٧٨٧ وكانت تستند علي تجارب لافوازييه وتستمد أهم أصولها من التمييز بين المركبات الثنائية الاوكسيجينيـة من أكاسيد وحوامض وهي التي بتركبها تكون الاملاح المختلفة . وقد أعطيت الاجسـام البسيطة أسماء تشير الي خواصها الرئيسية. ودعيت الاجسام المركبة بأسماء تومىء الى عناصرها المركبة لها . فالاوكسيجين باتحاده مع الكربون والكبريت والفوسفور والازوت والزرنيخ يكون حمض الكربونيك والفوسفوريك والازوتيك والزرنيخيك . وينتج من اتحاده بالمعادن مركبات سموها أكاسيد يطلقون علي كل منها لفظ اوكسيد متبوعا باسم المعدن . والمركبات الثنائية الخالية من الاوكسيجـين اعطوها اسماء منحوتة من أسماء مركباتها مثل كبريتور الرصاص وكلورور الحديد . واذا اتحد جسمان بسيطان احدهما بالآخر علي نسب مختلفة فأوجدا مركبات عديدة يشار الى أقل مركباتهما اوكسيجينا بلفظ اوز *eux*) فى آخر الاخير منهما والى أكثرهما اوكسيجينا بلفظ ايك (*ique*) مثل حمض الكبريتوز *acide sulfureux* وحمض الكبريتيك الخ *Acide sulfurique*

والمركبات الاشد تركيبا اللاتي كانت معروفة اذ ذاك في الكيمياء المعدنية ظهر لهؤلاء العلماء انها تتأدى جميعها الي املاح فأعطوها أسماء باعتبارها مركبات ثنائيـة فاعتبر كل ملح مكونا من حمض واوكسيد فوضعوا اسميهما معا بعد حذف كلمة حمض وابدال الوصف التالى لها بكلمة اخري تنتهي بحرفي آت او بحروف إيت مثل قولهم سلفات اوكسيد النحاس او بالايجاز سلفات النحاس وكبريتيت النحاس

وفي سنة ١٧٨٩ أوضح برتيللو الصفات الحمضية للايدروجـين المكبرت وحمض البروسيك الخاليين كليهما من الاوكسيجين وبين (دافى) بعده ان الكلور ليس بأوكسيد لحمض المورياتيك ولكنه أصل

ذلك الحمض

وأظهر لافوازييه شكه في كون القلويات والبوتاسا والجير والالومين اجساما بسيطة

وفي سنة ١٨٠ استخدم العمود الكهربائي الذي اخترعه فولتا سنة ١٨٠٠ في التحاليل الكيماوية. وبتحليله البوتاسا والجير الخ بواسطة التيار الكهربائي اكتشف المعادن القلوية والقلويات الترابية

واثبت دافي ايضا ان الكلور عنصر بسيط بعد ان كان يعتبر مركبا باسم حمض المورياتيك الاوكسيجيني. وبعد أن بذل تينار وغيلوساك مجهودات عظيمة لتخليصه من الاوكسيجين الذي كان يتوهم فيه عادا فاعترفا مع دافي بأنه جسم بسيط. والي دافي هذا يرجع فضل البت بأن الكلور جسم بسيط وانه باتحاده مع الايدروجين يكون حمضا فتأيد قول لافوازييه ان الاوكسيجين وحده ليس بالعنصر المكون للحوامض بل ان هنالك اجساما اخرى مشابهة له تعطى باتحادها مع الايدروجين مركبات حمضية لاتخلو من مشابهة مع الماء

وبينما كان لافوازييه يضع أساس علم الكيمياء العصرى كان علماء آخرون مثل (ونزل) يجدون وراء تقرير النسب القابلة للوزن للاجسام الصلبة ولاحجام الغازات التي تؤثر عليها بواسطة رد الفعل فنالت الكيمياء بواسطتهم درجة عظيمة من الدقة وتأسست الوسائل التحاليلية المضبوطة

وبعد هذا التاريخ بعشرين عاما نشر العالم (ريختر) كتابه المدعو صناعة قياس العناصر الكيماوية فأثبت فيه مشاهدات (ونزل) وقرر النسب التي تتحد الاجسام بعضها ببعض على موجبها

وأفاض العالم دالتون في الكلام على القوانين التي تسرى على نسب الاتحادات بين الاجسام

وفي سنة ١٨١١ أثبت الكيماوي الايطالى المدعو (افوغادرو) ان بين ذرات الاجسام الغازية تنافرا وقرر ان عدد هذه الذرات للغازات المختلفة يكون واحداً في الاحياز المتساوية

وتوالي بعد هؤلاء العلماء دوماس وبرتيلو وفرانكلان وميندليف ووليم تومسون وفراديه وفريى وكابور وهرفان ومتسشرليخ وبيو وبيرسوز وبان وكيركوف وبراكونو وثفيل ودوليبج ووهلر وبونس وورتز وويليامسو

وجيرهاردوت أوجد كل منهم لعلم الكيمياء اما إكتشافا جديدا أو أسلوبا نافعافوصل العلم بمجهوداتهم الى حالته الراهنة ولا سبيل لنا الي تفصيل اعمال كل من هؤلاء العلماء لانها فنية محضه ولانهم الا طائفة الكيماويين وليس علينا فى هذه الدائرة الا بيان تاريخ هذا العلم بوجه عام وقد قمنا به فى هذه العجالة على صورة نراها كافية لمثل هذا الكتاب

(الكيمياء عند المسلمين) ثبت ان المسلمين الاولين اتجهت عنايتهم الي اتقان سائر العلوم وأول من نقل علم الكيمياء من اليونانية الي العربية هو خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وعنه أخذها جعفر الصادق المتوفي سنة (١٤٠) ثم نبغ بعدهما جابر بن حيان ثم الكندي ثم أبو بكر الرازي وسواهم فاكتشفوا كثيراً من المركبات الكيماوية وعرفوا أشياء جمة عن أسرار اتحادات عناصرها ولا شك في ان كيماويي العرب هم الذين وضعوا أساس الكيمياء العصرية بما اكتشفوه فيها من الاجسام والمركبات وما أحدثوه في أساليبها من التحسين

وقد ذكر محققو المؤرخين من أهل اوروبا انهم حضروا حمض النتريك وحمض الكبريتيك وماء الذهب أى حمض النيترو ايدركلوريك واكتشفوا البوتاسا وروح النشادر وملحه وحجر جهنم (نترات الفضة) والسليماني (كلوريد الزئبق) والراسب الاحمر (اكسيد الزئبق) وملح الطرطير وملح البارود (نترات البوتاسا) والزاج الاخضر و (كبريتات الحديد) والكحول والقلي والزرنيخ والبورو وغيرها من المركبات التي لم يصل الينا خبر عنها ومن الذى كان يعتقد ان البارود المستعمل في الحرب هو من أعمال العرب لولا ماذكره بعض المؤرخين من منصفى الاوربيين. وهم أول من أوجد التقطير والترشيح والتصعيد والبلورة والتذويب وكتب أماثلهم فى ابطال كيمياء الذهب والحكم بأنها من مولدات الخيال وأول من ألف في ذلك الفيلسوف يعقوب الكندى في أواسط القرن الثالث للهجرة وقد تابعه الشاعر فقال :

أعيا الفلاسفة الماضين في الحقب
ان يصنعوا ذهبا الامن الذهب
او يصنعوا فضة بيضاء خالصة
الا من الفضة المعروفة النسب

فقل لطالبها من غير معدنها
أضعت عمرك في التنكيد والتعب

للكيمياء الذهبية انصار في كل زمان ومكان وقد انتشر القول بها في بلاد المسلمين واشتغل بها رجال كثيرون ومنهم من صرح في كتبه وشعره بأنه وصل اليها ولا ندري مبلغ هذا القول من الصحة وقد اشتغل بها الاوربيون ايضا نقلا عن العرب وقد توصلوا اخيرا الى تكوين الذهب بالصناعة ولكنه يحتاج لنفقة طائلة ويحسن بنا ان نثبت هنا قصيدة عصماء لابي الحسن الانصاري علي بن موسى الاندلسي المتوفى سنة (٥٩٣) وهو من كبار الذين اشتغلوا بعلم الكيمياء الذهبية وقال فيها من الشعر ما يعد من أرقه وأبدعه حتي قيل فيه ان لم يعلمك صناعة الذهب علمك صناعة الادب. وقيل هو شاعر الحكماء وحكيم الشعراء . وهذه القصيدة طائية بدأها بالغزل وانتقل منه الى قصة موسى ثم تخلص من ذلك الى ذكر صناعة الكيمياء ولا يخلو بيت من غزله وماقاله في قصة موسى من الاشارة الى صناعته قال :

بزيتونة الدهن المباركة الوسطي
غنينا فلم نبدل بها الاثل والخطا

صفونا فآنسنا من الطور نارها
تشب لنا وهنا ونحن بذي الارطي

فلما أتيناها وقرب عبرنا
على السير من بعد المسافة ما اشتطا

نحاول منها جذوة ما ينالها
من الناس من لا يعرف القبض والبسطا

هبطنا من الوادي المقدس شاطئا
الى الجانب الغربي نمتثل الشرطا

وقد أدرج الارجاء منها كأنها
لطيب شذاها تحرق العود والقسطا

وقمنا فألقينا العصا في طلابها
اذا هي تسعى نحوها حية رقطا

وثار لطيف النقع عند اهتزازها
وأظلم من نور الظهيرة ما غطى

ومد اليها الفيلسوف يمينه
فجاذبها أخذاً وأوسعها ضغطا

فصارت عصا في كفه واحبها
واخرجها بيضاء تجلو الدجي كشطا

فلم أر ثعبانا أدل لعالم
سواها ولا منها على جاهل أسطي

هي المركب الصعب المرام ولنها
ذلول ولكن لا لكل من استمطي

فأعجب بها من آية لمفكر
يقصر عن ادراكه كل من اخطى

وتفجيرها من صخرة عشر أعين
وثنتين تسقى كل واحدة سبطا
وتفليقها رهوا من البحر فاستوى
طريقا فمن ناج ومن هالك غمطا
فتلك عصانا لا عصى خيزرانة
على انها في كف ممسكها ألطا
وقد كان للزيتون فيها قساوة
ولكن اين الدهر صيرها نقطا
تسيل بماء الخد ابيض صافيا
اذا ماشرطناه على ساقها شرطا
ومن قبل ما اغوى ابانا بذوقها
جذاذا فأخطى والقضاء فما أخطا
قطفت جناها واعتصرت مياهها
فجددت ما استعلي وذوبت ما انحطا
ولينة الاعطاف قاسية الحشا
اذ نفثت في الصخر تصدعه هبطا
كأن عليها من زخارف جلدها
رداء من الوشي المفوف اومرطا
توصل ابليس بها في هبوطه
الى الارض من عدن ففارقها سخطا
امت بها حيا وسودت ابيضا
واسرفت في قلع السواد فما ابطا
وأحييت تلك الارض من بعد موتها
بري وكانت تشتكي الجدب والقحطا

كأن العيون الثابتات بخصرها
عقدن نطاقا اوعلى جيدها سمطا
كأن من البدر المنير مشابها
ومن أنجم الجوزاء في اذنها قرطا
كأن من الصدغ الذى فوق خدها
على ورده نونا ومن خاله نقطا
ظفرت بها بالنفس من جسم امها
كما ظفرت بالقلب في صدره لقطا
وارضعتها بالدر من ثدى بنتها
فعاشت وكانت قبل ماتت به عبطا
فحات به روح الحياة كأنما
مزجت لها في ذلك الدر اسفنطا
وصيرتها بنتا وصيرت بنتها
لها مرضعا فاعجب لمرضعة شمطا
فحلت هناك البنت والام فضة
فتي لم يزاحمه العذار ولا خطا
له منظر كالشمس يعطي ضياؤه
وليس كمثل البدر يأخذ ما أعطي
فهذا الذي اعيا الانام فاضمروا
لمن وضعوا الارماز فى علمها سخطا
وهذا هو الكنز الذي وضعواله
برابى أخميم وخصوا بها نفطا
وتخليصه سهل بغير مشقة
لمن عرف التطهير والعقد والخلطا

أبا جعفر خذها اليك يتيمة
تورع لوقا ان يورثها قسطا
ولكنني لما رأيتك أهلها
سمحت بها لفظا وأثبتها خطا

ومن شعره ايضا فيها :

لقد قلبت عيناي من عينه قلبي
بلينة الاعطاف قاسية القلب
يهيم الفتى الشرقي منها بغادة
تشوق الى شرق وترغب عن غرب
هي الشمس الا أنها قمرية
هي البدر الا انه كامن الشهب
اذا الفلك الناري أطلع شهبها
على الذروة العليا من الغصن الرطب
تراءت عروسا برزة الوجه تبتغي
رفاقا وكانت خلف الف من الحجب
فزوجها بكرا أخاها لأمها
أبوها رجاء في المودة والقرب
فعاد بها حيا وكان فراقها
له سبب اذ مات من شقة الحب
فجن هوى لما استجنت بنفسه
وطار فقالت بعد جهد له حسبي
ولما ثنته عن طبيعته التي
بدت عنه الا أن تناهبها قلبي

تعالى عن الاشياء لونا وجوهرا
وجل فلم ينسب الى طينة الترب

﴿ كان ﴾ له يكين كينا خضع

﴿ الكينونية ﴾ من الفرق الدينية زعموا ان الاصول ثلاثة النار والارض والماء وانما حدثت الموجودات من هذه الاصول دون الاصلين اللذين أثبتهما الثنوية قالوا والنار بطبعها خيرية نورانية والماء ضدها في الطبع فما رأيت من خير في هذا العالم فمن النار وما كان من شر فمن الماء والارض متوسطة. وهؤلاء يتعصبون للنار من أنها علوية نورانية لطيفة ولا وجود الا بها ولا بقاء الا بامدادها. والماء يخالفها في الطبع فيخالفها في الفعل. والارض متوسطة بينهما فيتركب العالم من هذه الاصول

﴿ الكنكينا ﴾ اسم امريكي لجملة قشور من أشجار تنبت ببلاد امريكا وقد عرفت هذه القشور بمضادتها للحمى ولا سيما القشور المأخوذة من جنس سنكونا وقد يطلق عليها اسم كينا أيضا . وأما سنكونا فهو آت من اسم زوجة حاكم البيرو وكانت تسمى سنكون

قد عرف الاسبانيون الفاتحون لامريكا خواص الكينا ضد الحمي فى سنة (١٦٣٢)

حينما أعطاها هندى من هنود امريكا لاحد الجنود الاسبانيين فنال بها الشفاء ولكن لم تتضح خواصها الا سنة ١٦٣٨ حيث مرضت زوجة حاكم البيرو المسماة سنكون بحمي ثلاثية استعصت على جميع الوسائل فأعطاها حاكم لوكسا مسحوق الكينا فشفيت سريعاً فحدث من ذلك تأثير كبير واشتهرت الكينا منذ ذلك الحين بمضادتها للحمى ثم حملت الي اسبانيا سنة ١٦٤٠ مع تلك الاميرة وشهرتها باسم مسحوق الاميرة

وفي سنة ١٦٥٩ اشتهر أمرها عند اليسوعيين برومية وسموها هناك بمسحوق اليسوعيين

وفي سنة ١٤٧٩ اشترى لويز الرابع عشر ملك فرنسا هذا الدواء السرى من انجليزى يسمى تالبوت وكان لم يعلم في فرنسا بأن هذا المسحوق هو مسحوق قشر شجرة الكنكينا. فلما هلك سنة ١٦٨٢ عرف ذلك السر فأخذ التجار يستوردونها ويبيعونها للناس

ثم تقرر تأثير الكينا علي الحميات طبياً بعد توالي المشاهدات في المستشفيات ولكن لم تشرح شجرة الكينا شرحا علمياً الا سنة ١٧٣٧ حيث قام بذلك العلامة كندامين

شجرة الكينا جميلة مغطاة دائما بأوراق وجذعها معتدل طوله من ١٠ الى ١٥ قدما أى نحو خمسة أمتار وقطرها ٣٠ سنتيمتراً وقشورها مشققة بشقوق كثيرة ولونها سنجاني رمادي ويسيل منها بالشق عصارة مصفرة مرة قابضة وفروع هذا الشجر مستقيمة متقابلة أفقية وتحمل أوراقا متقابلة بيضية سهمية لامعة خالية من الزغب وتقرب لان تكون جلدية وطول الذنيب نحو ٣ سنتيمترات . وأزهارها بيضاء أو وردية ومهيئة بهيئة قمة انتهائية وحوامل الازهار أسطوانية حريرية كأنها غبارية وثمرها كم بيضي متوج بأسنان الكأس وثنائي المخزن وينفصل عن القاعدة نحو القمة الى جوزتين يحتويان على بزور كثيرة عدسية الشكل

(الصفات الكماوية لقشور الكينا)

ذكر العلامة بوشرداه ان هذه القشور تنقسم الي رتبتين احداهما كينا صادقة وتدخل فيها الانواع التي تحتوى على مقدار عظيم من الكينين أو السنكونين ويكون فيها خاصة مضادة الحمي ، وثانيهما كينا

كاذبة لاتحتوى على شئ أصلا وانما هي قشور عادمة التأثير

وبعض العلماء يقسم قشور الكينا الى سنجابية وصفراء وحمراء ولكن هذا التقسيم لايخلو من الاشتباه

قال بوشارداه أن الكينا السنجابية والصفراء والحمراء تحتوي علي حسب تحاليل بالتيرو كونتو علي كينا الكلس وكينات الكينين وكينات السنكونين ولاحمر السنكوني الغير القابل للذوبان ومادة ملونة صفراء ومادة شحمية خضراء ونشا وجسم خشبي

وأنواع الكينا السنجابية والصفراء تحتوى على صمغ على حسب ماذكره هنرى وبليسون يوجد الكينين والسنكونين بمقدار كبير متحدا بالاحمر السنكونيني . وعلى حسب تحليلي تحتوي كيناجان على اريسين انتهي كلام بوشارداه

اما الاوصاف الرئيسية الهامة للجواهر الموجودة في انواع الكينا فهي ان كينات الكينين والسنكونين ملحان يذوبان جيداً في الماء ولا يذوبان في الكحول الذي فى درجة ٣٦ من مقياس الكثافة وانما يذوبان في الكحول الضعيف . والقلويات تحلل تركيبها وترسب منها القواعد وطعمها شديد المرار ويمكن تبلورهما اذا نديا بالماء المقطر بعد اذابتهما بتبخير محلولاتهما الى الجفاف فيتحولان شيأ فشيأ الى كتلة حلمية مكونة من بلورات لامعة. والاحمر السنكونيني القابل للذوبان والغير القابل له لهما صفات قريبة جداً من المادة التنينية النقية أو المتغيرة فقد استخرج برزليوس من الاحمر القابل للذوبان مادة تنينية عادمة اللون

وأما المادة الدسمة والشحمية وكينات الكلس والمادة الملونة وغير ذلك فليس لها قيمة طبية

وقد بحث العلماء في أجزاء شجرة الكينا فوجدوا ان الجوهر الخشبي والدقيق واللعاب أى الصمغ لايصح أن تنسب لها فاعلية الكينا

وكذلك كينات الكلس والمادة الخضراء والمادة الصفراء القليلتا الطعم والاحمر السنكونيني الذى هو عادم الطعم قليل الذوبان في السوائل ولا ينكر تأثير المادة التنينية التى في الكينا لان لها دخلا في فعلها الدوائي. وانما ينبوع القوة الدوائية في الكينين والسنكونين اذ انهما يؤثران

على عضو الذوق واستعمالها يحرض النتائج الصحية الفزيولوجية فى البنية ، فقوة فاعليتها ثابتة بالتجارب الكلينيكية اعمام كز قوة الكينا والكينين والسنكونين فى ذلك سواء وكما يصح استعمالها نقيين يستعملان أيضا محولين الي كبريتات وكل منهما فيه خاصية مضادة الدورية واضحة

(خواص الكنكينا الطبية) الكينا علاج عظيم القدر فى ازالة الامراض الناتجة عن الاسترخاء وقلة التغذية وضعف الاعضاء لحجمها وتركيبها الطبيعيين اذا غيرهما ضعف التغذية. ولكن استعمالها يكون خطراً فى الاحوال التي يوجد معها حرارة أو تهييج أو التهاب في محل ما من البنية فقد تزيد في العمل الالتهابي وتنشره في المنسوجات والاجهزة . الاخر فعند ما تكون الطرق المضمية ملتهبة يتسبب من تأثيرها على السطح المعدى المعوي عطش وجفاف في اللسان وحرارة باطنة ورياح معوية وقولنج وغير ذلك اذا وصلت أجزاؤها الممتصة لجميع المنسوجات العضوية فانها تؤثر على القلب والاوعية الدموية بحيث يحصل فيها حساسية مرضية فيحصل فى النبض زيادة حيوية وفي الجلد حرارة وجفاف فاذا كان في اللب المخي والنخاعي عمل التهابي كان كثيراً مايحصل من فعل الكينا هذيان زائد واهتزاز في الاوتار واضطراب وسهر وتعب فيستنتج من ذلك كله أن الكينا فيها خاصة التقوية في أي حال استعملت فيها

وللكينا شهرة عظيمة بخاصة ذاتية فيها وهى مقاومتها لجميع الحركات المرضية التى لها سير دوري فتنقاد لها الحميات والآلام المتقطعة التى تتكرر فى أوقات متحدة او تقرب لان تكون متحدة وكذا الآفات العصبية التي تأتى نوبا . ومن العظيم الاعتبار أن تلك الخاصة المضادة للدورية في الكينا لاتشاهد اذا كانت تلك الآفات في شدة اندفاعها التهيجية أي عند نوبة الحى او آلامها فاذا أعطيت فى حمي ثلاثية او يومية بعد ابتداء التكدر الحمي فانها تصير النوبة أشد وأشق وأطول نعم يغلب أن تكون هذه النوبة هى الاخيرة فاذا أخذت قبل النوبة جاز أن تمنع ظهورها ثانيا

وتستعمل الكينا أيضا لوقف الاسهال الناشئ عن ضعف مادي فى القناة الغذائية حادث من عدم هضم الاغذية

التي استعملتها المرضى

وكذا تنفع في الاسهالات المتسببة عن تقرحات فى السطح المعوي ولكن ينبغى لنجاحها أن تكون تلك القروح سطحية وأن لاتوجد استحالة فاسدة فى منسوج القناة الغذائية ويختار من أنواع الكينا حينئذ ماتكون قابضة قوية واضحة هى الكينا السنجابية أو الحمراء وتنفع أيضا فى الاسهال الحاصل من عدم انهضام اللبن واذا استعملها من عندهم ضعف فى القوي الهضمية عدة أيام نفعهم ذلك لارجاع قوة المعدة وفتح الشهية وتسهيل الهضم. ومقدارها في هذه الاعراض يجب أن يكون يسيراً

وقال الاطباء ان الكينا لايجوز أن تعطي فى الحيات المتقطعة الا اذا انتظم سيرها الدوري ويلزم أيضا تهيئة الطرق الاولية لاستفراغ المواد التي توجد فيها قبل الامر باستعمالها وعلى أي حال يجب التأكد من عدم وجود علامات التهاب في المعدة ولا في الامعاء

قال بعض الاطباء يجب اعطاء الكينا قبل النوبة وقال البعض الآخر يجب اعطاؤها بعد النوبة وفي كل اربع ساعات يستعمل مقدار جديد الى الساعة القريبة من النوبة التالية قال بهذه الطريقة تالبوت ومدحها سيدنام

(مقاديرها فى الحميات) قال بعض الاطباء أن ٢٢ غراما بل ٨ غرامات من الكينا الصفراء تكفي في العادة لقطع نوبة من الحمي المتقطعة ولكن يلزم استعمالها في مرة واحدة فان استعملت كسوراً لم تنتج مثل هذه النتيجة فقد أعطي ٦٠ غراما من الكينا المذكورة مدة خمسة أيام أو ستة في فترات الحمي فلم تذهب الحمي بذلك مع ان ١٥ غراما استعملت فى دفعة واحدة فحصل منها النتيجة المطلوبة . وليتنبه القارىء الى هذه الكينا فهى الكينا الخشبية وليست ملح الكينا الابيض فان هذا الملح الابيض الذى اعتيد تعاطيه فى هذه البلاد وغيرها الآن لايجوز أن يتعاطى منه الا مقدار يسير ربع غرام أو نحو ذلك . ثم أن الكينا التى تعطي للتقوية وغيرها هي الكينا الخشبية لاملح الكينا فليتنبه لذلك من يريد استعمالها لئلا يحدث من الخلط بينهما خطر عظيم

والطريق المعتاد لاخذ الكينا في الحميات هو الفم وقد تحقن من الشرج

ان لم يستطع المريض تعاطيها وقد يدلك بها الجسم ويحقن بها

وقد عمل للكينا مستحضرات عديدة فأدخلت على الانبذة وأضيفت الى جواهر أخرى

واشتهر استعمال الكينا أيضا في الاحوال التي يكون فيها المجموع العصبي ضعيفاً والوظائف الحيوية منفكة وشوهد فيها خاصة مضادة الصرع والنقرس بل من الاطباء من سماها في علاج النقرس بالدواء الالهي ولكن نفعها في الصرع غير موثوق به لان الصرع نوباذات دورية غير منتظمة فلا تؤثر عليها الكينا

وشوهد أيضا ان الكينا واسطة نافعة لمقاومة السعال الرطب اذا كان المنسوج الرئوي مسترخيا وكان فيه مقدار كبير من الدم والخلايا الشعبية افراز زائد من مادة مخاطية ولكن لا يستعمل منها في هذه الآفات الا مقادير متوسطة تكرر مرات في اليوم

وتناسب أيضاً في السعال التشنجي والتحربض سيلان الطمث اذا تقهقر حصوله الدوري لخود المجموع الرحمي أو ضعف جميع الجسم ويصح أن يستعمل لذلك منقوعها أو خلاصتها أو نبيذها منفردا كل منها او مجتمعا مع جواهر منبهة ويكرر ذلك كل يوم ثلاث مرات فتأثير قواعد الكينا على الرحم يوقظ حيويتها ويحرضها على الدخول في الفوران الذي يسبق السيلان الطمثي ويصحبه

وقال بربييه من المؤكد ان الكينا تلطف بل تقطع القيء وخفقان القلب وعسر التنفس ونحو ذلك من العوارض التي هي من طبيعة تشنجية . فاذا كانت الاعضاء التي هي مجلس لتلك الظاهرات المرضية سليمة وكان انخرام افعالها وحركاتها ناشئا من الاندفاع الذي حملته لها الاعصاب لكون المخ أو النخاع المستطيل او الضفائر العصبية حصل لها تنوع مرضي صارت في حالة جديدة أي عارضية فانه يلزم لاجل معرفة كيفية اعادة الكينا للعضو حالته الطبيعية أن تعرف أيضاً حقيقة هذا التنوع المرضي وما تقوم به هذه التغيرات غير الطبيعية في المراكز العصبية التي قذفت هذا التكدر في سير التأثير العصبي

والكينا واسطة نافعة أيضاً في الضعف والنقص التدريجي للقوى والحجم حيث يكون ذلك تابعاً للاستفراغات الكثيرة

والأنزفة الدموية والافراطات الباهية ونحو ذلك واستعمالها في ذلك مشهور

ويجب أن يتعاطى في هذه الاحوال بمقادير يسيرة تستعمل وقت الاكل فيختلط فعل الدواء مع نتيجة التغذية الجيدة لان هذا الفعل الدوائي اذا كان منفرداً منعزلا عن محصول التغذية المجهز من الغذاء لم يحصل منه نتيجة شفائية لان الفعل المقوى على المنسوجات النحيلة قليل المنفعة فيها بل عادمها. اما اذا حصل ذلك التأثير فى الوقت الذى تصل فيه الاصول المجهزة من الغذاء اليها فانه يكون سببا لتغير نافع عظيم الاهتمام باحداثه تثبيتا وامتزاجا لتلك الاصول بجوهر الجزء الذى هو محل هذا التأثير

ونبيذ الكينا وصبغتها دواءان قويان في الآفات الخنازيرية واحتقانات عقد الاطفال ولين العظام الذى ليس هو الا خنازير العظام فيعطي المريض ثلاث مرات في اليوم قرب وقت الاكل ملعقتان كبيرتان من الصبغة للبالغ فالتأثير المقوي لهذه المركبات على جميع الجسم وسيما العقد الالينفاوية شديد النفع في تلك الآفات ولكن عظم منفعتها المؤلمة منها لايحصل جيداً الا اذا ارتبطت نتائجها بنتائج التدبير الغذائى وحصل منها تأثير قوى فى تغذية السائلات والجامدات الحية. وقد يأمرون في هذه الآفات بشراب الكينا الذي يجمع غالبا للشراب المضاد للحفر ويصح أن يعطى ذلك لمراضع الاطفال اذا ظن وجود الاستعداد الخنازيرى فيهم من ابتداء خلقتهم فيكون ذلك فيهم حينئذ واسطة حافظة من الداء . فاذا وجدت الخنازير في سن متقدم عن ذلك عولجت أيضا بالكينا علاجا نافعا

وتعطي الكينا أيضا في آفات اللينفا بمقادير يسيرة ولكن مع استدامة الاعمال زمنا طويلا على شرط أن لايوجد فى البنية علامة التهابية ولا تأثير مرضي يدل على آفة في الاحشاء

ومستحضرات الكينا تنفع أيضاً فى علاج الآفات الحفرية لان فعلها المقوى يؤثر التأثير الدوائى الذى كثيراً مايضطر اليه في هذه الآفات التي يكون فيها استرخاء الاعضاء ولين منسوجاتها الظاهرتان المرضيتان الواضحتان المحزنتان

(استعمال الكينا من الظاهر) يوضع مسحوقها أو مغليها على الاعضاء التي يراد

ايقلظ القوة فيها فيوضع مسحوقا على المنسوج المسترخي للثة الاسنان لاجل ان ترجع لحالتها الاعتيادية وكذا لاجل شفاء القروح التي تتكون اذذاك . وخاصة مضادة العفونة في الكينا مشهورة سواء كانت الغنغرينة حاصلة من سبب باطني كما يكثر ذلك في بعض الحميات التيفوسية أو حصلت من سبب ظاهر كما يكثر وجود ذلك في الاعمال الجراحية . فأما الغنغرينة فتستعمل فيها الكينا من الباطن وتوضع من الظاهر على الجزء الميت

(سلفات الكينين) هي كبريتات الكينين . كل الخواص التي ذكرناها آنفا هي لخشب الكينا نفسه لا لاملاحها مثل سلفات الكينين وغيره فلينتبه لذلك القراء فقد اصطلح العلماء أن يسموا سلفات الكينين هذا بالكينا

يحضر سلفات الكينين من الكينا الصفراء الملكية وقد شوهد أن المئة من خشب الكينا يستخرج منها ٣١ من كبريتات الكينين فيؤخذ من ذلك انه لاجل اعطاء مقدار من كبريتات الكينين مساو لمقدار الكينا اللازم شفاء الحمى المتقطعة البسيطة يلزم ان يعطي المريض بدل كل درهم منها ١٢ سنتيغرا اما من الكينين فيؤخذ من ذلك أنه لاجل اعطاء المريض ما يوازي ٢٥ سنتيغرا اما من سلفات الكينين يعطي ٨ غرامات من مسحوق الكينا الصفراء . مع ان هذا الاستنتاج ظهر بطلانه بالتجربة فان درهمين من خشب الكينا كانا دواء قويا ضد الحمى ولم تحصل من سلفات الكينين نتيجة مشابهة لتلك الا بتعاطي ١٨ قمحة منها

وقد يغش الباعة سلفات الكينين بالسكر والمانيت والنشا والصمغ العربي والفاريقون الابيض والاستيارين وكبريتات الكلس وغيرها

(خواص سلفات الكينين) شوهد أن فيه خاصية التقوية ومضادة الدورية وهي سريعة التأثير ويبقى تأثيرها عدة ساعات وهو يضاد الالتهاب أيضا ويسكن ويهدىء

وشوهد ان استعماله أزال أوجاع القسم المعدى التي استعصت على استعمال الاستفراغات الدموية وكانت مصاحبة لاحمرار اللسان وشبه سدد في القناة الهضمية

وقال بنكييه ان في هذا الملح خاصة مسكنة تؤثر على المخ وله على القلب تأثير وهو مهدىء حتى ظن انه يجب وضعه في رتبه

الافيون والبنج وغيرهما من المسكنات

اما نفعه فى الحميات المتقطعة فمشهور ولكنه اكثر تهييجاً من خشب الكينا أولا بسبب شدة فاعليته ، ثانيا انه ليس فيه المعدل الموجود في القشر وهو المادة التنينية ولذلك يحرض التهابات معدية مزمنة واسهالا اكثر مما تفعله الكينا ويحترس من هذه العواض بجمع جواهر اخرى معه

وقال بعض الاطباء لايجوز اعطاؤه للحوامل لانه يضرهن

وهو يؤخذ من ٦ قمحات الى ٨ قمحات قبل مجيء النوبة بأربع ساعات فيمنع ظهورها أو ينوعها

حرف اللام

﴿ لات ﴾ معناها ليس وهى كلمتان (لا) النافية وتاء التأنيث وتعمل عمل ليس ولا يذكر بعدها الاحد المعمولين والغالب حذفه نحو ولات حين مناص. أي ولات الحين حين مناص

قال ابن فارس في كتابه (فقه اللغة وسنن العرب في كلامها) لات اختلف الناس فيها فمنهم من زعم ان التاء متصلة بلا وانها بمنزلة ليس على تأويل (وليس حينَ مناص) نصب حين بغير ليس . وقال الأفوه وجعل لات بمعني حين :

ترك الناس لنا اكتافهم
وتولوا لات لم يغن الفرارُ

﴿ اللاتين ﴾ هم اللاتينيون سكان قطر اللاتينيوم وهو قطر قديم من ايطاليا الوسطي ممتد علي طول بحر تيربيين واللغة اللاتينية من ارسع اللغات وقد اشتقت منها الفرنسية والايطالية والاسبانية وغيرها وهى لغة علمية عالية

الكنيسة اللاتينية هى كنيسة نصاري الغرب فى مقابلة الكنيسة اليونانية او الاغريقية

﴿ اللاادرية ﴾ فرقة من الفلاسفة يتوقفون في الحكم على الاشياء ويكثرون من قول لاأدرى وهم تابعون في فلسفتهم لبيرون الفيلسوف اليونانى وقد استوفينا الكلام علي هذا المذهب في ترجمة هذا الفيلسوف في حرف الباء

﴿ اللاذقية ﴾ قال ياقوت الحموى هى مدينة في ساحل بحر الشام تعد في أعمال حمص وهي غربي جبلة بينهما ستة فراسخ وهي الآن من اعمال حلب ، مدينة عتيقة روميةفيها أبنية قديمة أثرية وهو بلد حسن في وطاء من الارض وله مرفأ جيد محكم وقلعتان متصلتان على تل مشرف على الربض والبحر غربيها

قال صاحب المرآة وكانت اللاذقية قديما تجارة واسعة في الخرويقال لهالاذقية العرب . واما الآن فأكثر تجارتها في التبغ الذى يجلب من الجبال المجاورة لها والحريروالقطن والسمسم والحبوب والزيت والعسل والشمع والصوف وهي كثيرة الزلازل وقدخربت الاقليلاواهلهايبلغون أربعة آلاف

نقول يريد المؤلف من قوله لاذقية العرب تمييزها عن لاذقية الترك احدى مدن آسيا الصغري.وقداندثرت وقامت على اطلالها مدينة اسكي حصار

اما لاذقية العرب فهي لاتزال علي ساحل البحر الابيض بها آثارأبنية قديمة ولها تجارةفي التبغ والحريروالحبوب والقطن والصوف وأنواع الزيوت.يسكنها اربعة آلاف نسمة فيهم خلق الكرم ويحبون الغريب

﴿ اللاذن ﴾ هو جوهر صمغى راتنجي ينتج من جملةأنواع قسمها بعض النباتيين الى قسمين أحدهماأزهاره وردية أو أرجوانية وثانيهما أزهاره صفر أو بيض فمن القسم الاول مايسمي قسط قريط أو كريت من الجزر اليونانية . وتنبت تلك الشجرة أيضاً في قندية والشام ومحال أخرى من جزائر اليونان . سوقها قائمة متفرعة وأوراقها حادة منفرجة الحافات زغبية منتهية من الاسفل بذنيب عريض غشائي والازهار كبيرةالحوامل ولونها أحمر كحمرة الوردة وتنضم غالبا ثلاثة في قمة الساق وتنفتح كأزهار بقيةأنواع الفصيلة عند ماتظهر الاشعة الاولى للشمس وتتبع هذا الكوكب في سيره وتذبل عند المساء

ومنه نوع أوراقه بيض قطنية الوجهين وهذه الشجرة تعلو من ٣ اقدام الي اربعة وأغصانها متفرعة متكاثفة أى متكاثف بعضها على بعض

ومن أنواعها ما سماه بعض النباتيين بالمتشنج وهو أقل ارتفاعا من السابق وينبت بالاماكن التي ينبت فيها وقشرته

سمراء وأغصانه الجديدة زغبية مبيضة وتحمل أوراقا مذنجة الحافات مبيضة قطنية الوجهين

وأما القسم الثاني فمن أنواعه شجيرة جميلة قد تعلو من ٥ أقدام الى ٦ وتحمل أغصانها أوراقا متقابلة سهمية ضيقة حادة خضراء من الاعلي ومبيضة قليلا من الاسفل وهي مغطاة بمادة لزجة ولكن تلك الاوراق عادمة الزغب ورائحتها عطرية والازهار كبيرة بيضاء وأهدابها كثيراً ما يوجد في قاعدتها نكتة أرجوانية

وهذا النبات ينبت بالمشرق بجزائر اليونان واسبانيا وبروفانسا

ولهذا القسم نوع أوراقه سهمية لونها أخضر قاتم في وجهها العلوي ومبيضة في وجهها السفلي ومغطاة بطلاء راتينجي عطري وأزهاره صفر منتقعة تضرب للبياض وهي مهيئة بهيئة باقة في قمة تفرعات الساق

وقد أخطأ علماء العرب في جعل هذا الشجر نوعا من اللبلاب أو شبيها به أو جعلوا جوهره طلا يقع على الورق عند بعضهم أو ينشأ من الشجرة نفسها عند آخرين ويقولون إن المعز ترتع في هذا الورق فتلزق بها الرطوبة الدبقة فتتيبس في أفخاذها وفي لحاء التيوس فما تعلق بلحاها وأعاليها فهو الجيد وما تعلق بأسافلها وأظلافها ووطأته مع الرمل والتراب فهو الرديء. قالوا ان من الناس من يأخذ منها هذه الرطوبة فيصفيها ويجعلها أقراصا ويخزنها للمتجر. ومنهم من يأخذ حبالا أو سوراً من جلد فيمر بها على هذه الشجرة فما لزق بها من هذه الرطوبة جمعوه وعملوه اقراصا وهذا هو الخالص ويسمى بالعنبري

وقال صاحب كتاب مالا يسع ان الاول اى كونه طلا يقع على الاشجار المذكورة أشهر وأصح. ولكن قد عرفت ان هذا كله ليس بصحيح

قال ميريه الشجيرات اللاذنية دبقة الملمس لان الجوهر المدهونة به وهو اللاذن دسم لزج ملصق مريح يعلق بشعر الحيوانات التى ترتع في تلك الشجيرات ولا سيما المعز فتكشط وتجمع فتسمي باللاذن

(أنواعه وصفاته الطبيعية) يتميز اللاذن في المتجر الى أنواع. الاول الحقيقى الذى لايحتوى لا علي مايحمل من الحال التى يجني منها ويكون على شكل كتلة متجانسة الطبيعة مسودة دبقة تلين بسهولة بين الاصابع بل تلتصق بها ومكسرها

سنجابي ويتحول بمماسة الهواء الى السواد ورائحتها قوية مقبولة وطعمها فيه مرارة

والثاني اللاذن الكتلي المتجري وهو عين النوع الاول الا انه مخلوط بمواد راتينجية وصمغية وغير ذلك. وهذا أيضا فيه نقاء

والثالث اللاذن الملتف وهو قطع ملتفة التفافا حلزونيا وفي غلظ الابهام وثقيلة جداً ولونها سنجابي ترابي وطعمها مروهي وسخة جافة سهلة الكسر ومكسرها طلقي محبب وتفتت تحت الاسنان وهي مركب صناعي غير نقي تصنعه أهل البلاد من اللاذن الحقيقي والرمل الحديدي والتراب وغير ذلك

ويمكن أن يزاد على هذه الانواع نوع رابع وهو لاذن اسبانيا أي اللاذن الحاصل بالاغلاء . وذلك انه يغلي في الماء أنواع من النباتات اللاذنية فينال منها سائل يسبح على الماء ويتجمد بالتبريد وذلك النوع هو المستعمل باسبانيا . ولكن لا يكون مشابهاً من جميع الاوجه للاذن قندية وغيرها . وهو قليل الطلب ولا يوجد في متجر الادوية وربما سمي بالبلسم الاسود أكثر مايوجد في المتجر هو الكتلي

والملتف مع عدم نقاء هذا الاخير

وقال جيبور كان الناس سابقاً يجنونه بتمشيط شعور التيوس التي ترتع بأوراق شجرة اللاذن بكريت . والآن يتحصل عليه بامرار حبال من الجلد مترابطة على الشجر وتلك الحبال مهيئة بهيئة أسنان المشط ثم يقشط بسكين من الحبال المذكورة الراتينج ويوضع في مثانات يزيد فيها قوامه واللاذن المتحصل عليه هكذا نادر في المتجر . قال وقد رأيت منه كتلة تقرب من ٢٥ رطلا محوية في مثانة وكان أسود صلبا ولكنه لزج وفيه يبس ومكسره سنجابي ويسود سريعا من الهواء ويلين بين الاصابع بأعظم سهولة ويلتصق بها كالتصاق القار وحينئذ تنتشر منه رائحة خاصة قوية بلسمية

(خواصه الكيماوية) يختلف تحليل اللاذن باختلاف الانواع المبحوث فيها فتحليل بلتييه كان في اللاذن الملتف فوجد في ١٠٠ جزء منه ٢٠ من الراتينج و٣ر٦٠ من صمغ محتو على قليل من مالات الكلس و ٦ر٠ من حمض الماليك أي التفاحي و١ر٩٠ من الشمع و ٧١ من الرمل الحديدي و١ر٩٠ من الدهن الطيار

والاجزاء المفقودة

قال جيبور ومن الواضح ان عمله كان في لاذن غير نقي وأنا قد عالجت ١٠٠ قمحة من الذي شرحته أولا بالكحول الذي في كثافة ٤٠ درجة ومغلي فاستولى السائل علي الكتلة بالتبريد . ولما مدت بالكحول ورشحت ثانية لم يبق على المرشح الا سبع قمحات من الشمع . وأما المحلول الكحولي فأعطي بالتبخير ٨٦ قمحة من راتينج احمر شفاف رخو قوى الرائحة يعطي بالتقطير مع الماء دهنا طيارا . وجزء اللاذن الغير القابل للذوبان في الكحول لم يعط للماء الا قمحة من جوهر لم يحمر محلوله صبغة عباد الشمس ولم يرسب فيه راسب بالكحول وتكدر مع العصر بأوكسالات النوشادر ولم يرسب بتحت خلات النوشادر الا بعد زمن ما . وتلك النتائج تدل علي عدم وجود صمغ وحمض تفاحي أو تفاحات الكلس أو انه لايوجد منها فيه الا قليل جدا . والفضيلة غير القابلة الذوبان في الماء غير مركبة فيما يظهر الا من تراب وشعر ووزنها ست قمحات . ويستفاد من هذا التحليل ان اللاذن مركب من ٨٦ من راتينج ودهن طيار و ٧ من شمع وواحد من خلاصة مائية و ٦ من مادة ترابية وشعر .

ووجود الشمع في اللاذن ناشئ يقينا من الكيفية التي جني بها . فان كثيرا من النباتات يقطع الناظر عن العصارات الخاصة المحوية في باطنها ولكثرتها في الغالب تتصاعد منها الي الخارج يوجد علي سطحها عدد كثير من شبه أجربه أى أغشية رقيقة مملوءة بالشمع ويقرب للعقل ان شجر لاذن كريت هو بهذه الكيفية

(خواصه العلاجية) هذا اللاذن فيه الخواص المنبهة والمقوية نظير الادوية المشابهة له ولذلك استعملوه في الاحتقانات الباردة في الاحشاء وفي النزلات المزمنة وفي القروح الباطنة ولتعريض خروج المشيمة ونحو ذلك . ويستعمل من الظاهر محللا ومذيبا ومقويا مخلوطا بالمراهم أو اللزوقات ويوجد في البلسم الاختناقي أي المستعمل في اختناق الرحم واللزوج المعدي واللزوج المضاد للكسر وراتينجه المستخرج بالكحول يكون جزءا من الترياق الالهي ويدخل أيضا في بيوت العطريات والاقراص وغير ذلك

وذكر متيول انه لايوجد بايطاليا نقيا الا عند العطريين ويعمل منه الاتراك

كرات يضيفون له المسك والعنبر ويضعونه على النار بخوراً مماساً للهواء

وذكر بعض السياحين ان أهل مصر يمسكونه بأيديهم حفظا من الطاعون وهذا خطأ فان الذي يمسكه بعض الناس في زمن الطاعون هو اللاحى وهو راتينج آخر مذكور هنا

وله في كتب العرب استعمالات كثيرة منها ما أخذوه عن اليونانيين ومنها ما هو من تجاربهم فقالوا انه يحلل وينضج وانضاجه أقوى من تحليله وهو مفتح لافواه العروق باعتدال ولذا كان نافعا من علل الارحام واذا قطر في الاذن مع الشراب المسمى أدورمالى أو مع دهن الورد أبرأ أوجاعها . وقد يدخن به في قمع لاخراج المشيمة وادرار الطمث

واذا وقع في أخلاط الفرزجات واحتمل أبرأ صلابة الرحم وحلل أورامها وقد يقع في أخلاط الادوية المسكنة للاوجاع وفي أدوية السعال والمراهم واذا شرب بشراب عتيق أدر البول وقد يدر البول . واذا حل في دهن ورد وطلي به يافوخ الصبيان نفع من نزلاتهم ومن السعال المتولد عنها . واذا قطر به مقدم الدماغ وتمودى عليه نفع أيضاً من نزلات الصبيان. واذا وضع علي المعدة المسترخية شدها وعلامتها الغثيان وسيلان اللعاب وقلة العطش

واذا حل بدهن الورد واحتقن به للسحج نفع منه. وقالوا انه مفتح للسدد . واذا خلط بشراب ومر ودهن آس أمسك الشعر المتساقط فيسد بقبضه المسام التي فيها مراكز الشعر

﴿ لاركس ﴾ هو شجر كالصنوبر ويتميز عنه بسنابله المرية البسيطة غير المنضمة الى عناقيد وبفلوس مخروطاته المؤنثة اذ أنها رقيقة القمة وغير ثخينتها وهو أحد الاشجار المخروطية التي تكتسب بأوروبا أبعاداً عظيمة وجذعه جيد الاستقامة يرتفع غالبا ارتفاعا كبيرا بحيث يجاوز ١٠٠ قدم وقطره من ٣ أقدام الى ٤ في قاعدته وفروعه أفقية وأغصانه الصغيرة دقيقة معلقة وأوراقه قصيرة مخرازية فيها خشونة وتتولد حزما صغيرة [illegible] الأغصان القصيرة جداً لم يتم نموها. وهذا الشجر على خلاف طبيعة الاشجار المخروطية يفقد أوراقه ويجددها كل سنة وأزهاره وحيدة المحل وعلي هيئة سنابل هرية تنشأ من مركز حزمة أوراق

أوانها تكون انتهائية

هذا الشجر ينبت بالجبال المرتفعة بفرنسا وايطاليا والنمسا والروسيا وغيرها خشبه محمر البطن ولذا كان مقبولا جداً وهو وان كان خفيفا الا انه صلب ويدوم زمنا طويلا بل خفته نافعة ليدخل فى الابنية والعمارات

ولهذا الخشب منفعة جليلة جداً في كونه يحفظ سليما في الماء ذكر مليير أنه وجد فى البحر الشمالي سفينة مكونة من خشب الملبزهذاوخشب دبريس غارقة فى الماء من مدة تزيد على الف سنة ولم يزل ذلك الخشب سليما

ويستخدم ذلك الخشب أيضا لعمل قنوات الماء مدفونة في الارض ولعمل الدنان والبراميل والدلاء ونحو ذلك

وهو كأشجار الصنوبر والتنوب مملوء بجوهر راتينجي تسيل من شقوق تعمل في قشرته تربنتينا نقية جداً تستعمل فى الطب والصنائع وتسمى تربنتينا برنيصون وتوجد بين الخشب والقشرة كما أن أغصانه تفرز مادة دبقة تارة يكون فيها راتينجية والغالب كونها صمغية وتسمي صمغ أورمبورغ وتذوب كلها في الماء كالصمغ العربي الذي تقوم هي مقامه فى تلك البلاد ويأتي ذلك الصمغ كثير من غابات أورال بلاد الروسيا ويخرج بالاكثر من قلب الشجرة والخشب وأما التربنتينا فمن القشرة ويخرج الصمغ وحده من قديم ذلك الشجر وأما الفروع الصغيرة السن فتفرز التربنتينا

كان هذا الصمغ معروفا عند ديسقوريدس وجالينوس ولكنهما كانا لا يعرفان الشجر الذي يأتي هو منه. وأما مثيول ورنديروبالاس فجزموا بأن الملبز وهو اللاركس الذى نحن بصدده يسيل من قشره في الربيع عصارة صمغية وفي الصيف نوع آخر فيه راتينجية وفي الشتاء راتينج حقيقي

وقال رنديران أزرار هذا الشجر تكون في الربيع مدهونة براتينج مشابه لبلسم مكة ولان هذه الشجرة فى أوستريا تتصاعد من اوراقها مدة الحر الشديد عصارة عسلية تتيبس فتكون على شكل المن وهو يكون على شكل مادة لزجة سكرية تتكاثف على شكل حبوب صغيرة لونها مبيض وطعمها سكري فيه تفاهة ويقال ان فيه خاصة المن الذي يسيل من

الدار ولكنه قليل جداً لانه يتشرب ويزول بعد خروجه بزمن يسير. فقد ظهر أن هذا الشجر يحمر منه مواد سكرية صمغية وراتينجية في أزمنة مختلفة وتتنوع بتنوع الاستنبات ولا ينبت الغاريقون الابيض الا على هذه الشجرة (المادة الطبية)

﴿لازورد﴾ هو معدن يوجد بجبال أرمينية وفارس اجوده الصافى الرزين الشفاف الضارب بزرقته الى خضرة وحمرة ويغش بزرنيخ أصفر مع كل من الزاج والرمل

﴿لأك﴾ الملأك الرسالة والملك حذفت همزته فصارت ملَك بدل ملأك و (الملأكة) الرسالة

﴿لألأ﴾ النجم لمع و(تلألأ) مثله. و (اللألاء) الفرح الكامل وضوء السراج. و (اللُؤلُؤ) لدرجمعه لآلىء. و(اللُؤلؤة) واحدة اللؤلؤ

﴿اللؤلؤ﴾ معروف وهو مكون من طبقات صدفية متراكزة يظهر أن في وسطها جسم غريب. اعتبر بليناس من الاقدمين هذا اللؤلؤ من بادزهر وحصيات ناشئة من طمحان عارض في الصدف الذي لا يتميز عنه في نظر علم الكيمياء

لاجل اجتناء اللؤلؤ يغوص الغواصون عليه في أعماق البحار لتقلع منها الحيوانات الصدفية التي توجد فيها اللآلىء وتلك الحيوانات تكثر بجوار جزيرة سيلان ورأس قوران والخليج الفارسي وهولاندة الجديدة وخليج المكسيك ولذلك يميز اللؤلؤ الى شرقي وغربي. اللؤلؤ كلما كان ماؤه اصفى وحجمه اعظم وشكله انظم كان اكثر اعتباراً وأجل قيمة وقد ذكر أن اللؤلؤ يفقد لمعانه ولاجل اعادته اليه قيل يعطي للدجاج لتزدرده ثم تذبح بعد دقيقة ويخرج اللؤلؤ من معداتها ملمعا فاذا صح هذا يمكن تفسيره بأن اللؤلؤ شديد التأثر بالحوامض حتي الضعيفة فان ازدردته الدجاج أثرت عليه حوامض معدتها وأخذت من سطحه طبقة فعاد اليه لمعانه

وقد يقلد اللؤلؤ بكرات صغيرة مجوفة من زجاج مطلية من الباطن بغراء السمك المتحمل لمسحوق قشور الابليت وهو سمك صغير. والمادة الصدفية التي تحيط بقاعدة فلوس هذا السمك هى دهن المشرقيين يستعمل لاجل أن تعطي للؤلؤ الزجاج منظر اللؤلؤ الطبيعي وتحفظ في

روح النوشادر

وقد اشتهرت اللآلئ الصغيرة في طب العرب وغيرهم من الاقدمين وقد بطل الآن استعمالها فأوصى الاقدمون باختيار الابيض الزاهي الشفاف النقي منها وقالوا اذا تحول اللؤلؤ الي مسحوق فانه يعطى بمقدار من ٦ قمحات الي نصف درهم فيكون مقويا للقلب ومضاداً للسم وغير ذلك ولا سيما القلويات ويعدونه ماصا وعلاجا للامراض الطاعونية والسموم والصرع والاسهال والانزفة ونحوها . ويدخل في معجون القرمز ومسحوق الورد الاحمر مع أنه في الحقيقة ماص فقط عادم الطعم

قال بلينــاس أول من جرب اللؤلؤ رجل من اهل الثروة والخلاعة اسمه قلوديوس أراد أن يعرف طعمــه فوجده جيداً مفرحا فتعاطاه وأعطي ندماءه منه

يوجد من اللؤلؤ ما لونه وردي او اصفر او سنجابي او اسود وهو من الاحجــار الكريمة وقد يبلغ ثمن الواحدة اذا توفرت فيها شروط النقاء والصفاء والضخامة عشرات من ألوف الفرنكات

لأمه يلأمه لأما نسبه الى اللؤم . و (لأمه) اصلحه و (لؤم الرجل يلؤم لؤما) ضد كرم فهو لئيم . و (لاءمه ملاءمة) وافقه و (ألام الرجل) أتي بما يلام عليه. و (التأم الجرح) انضمت أجزاؤه وصلح . و (التأم الشيئان) اتفقا و (استلأم) تدرع و (اللأمة) الدرع و (اللأمة) الشكل والمثل والجماعة

اللامى هو راتينج معروف عند القدماء باسم اللامي ينتج من شجر في بلاد الحبشة والسودان أوراقه متعاقبــة ريشية منتهية بفرد وريقاتها متقابلة وخالية من الاذينات وأزهاره بيضاء مهيئة بهيئة عناقيد أبطية وثمره فيه لحيــة يسيرة ثم يصــير بالتجفيف جلديا ويحتوى على نوى عدده من ١ الى ٥ وحيدة البزرة

قال ميريه اللامى الموجود بالمتجر هو راتينج كان يسمي سـابقا صمغ الـلامى ويتحصل عليه بواسطة شقوق تعمـل في الشجرة فالعصارة الراتينجية تكون أولا سـائلة ثم تتيبس في الشمس على القشرة فيكون هذا الراتينج حينئذ أصفر مخضراً قطني الملمس مخلوطا أحيانا بنقط حمر وخفيفا سهل الكسر ويلين في اليد وليس له طعم واضح اذا كان نقيا والا كان حارا فيه مرار ويكون متوسط الشفافية ورائحته تربنتينية

فيها شيء من رائحة المصطكي ولذلك يشبه بها . فاذا كان جديدا كانت رائحته شبيهة برائحة البلسم وهو يصل الى اوربا من اسبانيا في صناديق كل صندوق فيه من ٢٠٠ رطل الى ٣٠٠ ويقال أن اللامى الحقيقي فيه رائحة الشمار ولونه اخضر مبيض فضي ولا يوجد الآن في بيت من بيوت الادوية اللامي المحاط بورق الغاب . ثقله الخاص ١٨ ٠ ر١

(صفاته الكيماوية) لامي المتجر حلله بونستر فوجد في ١٠٠ جزء منه ٦٠ جزء من الراتينج و٢٤ من تحت راتينج و١٢ من الدهن الطيار و٢ من مادة خلاصية مرة وجزء واحد من مواد وسخة غريبة ويستخرج دهنه الطيار بالتقطير واليه تنسب رائحته وهو قابل للذوبان في الكحول بمقدار كبير والفضلة من ذلك الذوبان يظهر أنها من طبيعة صمغية وهو بأى جزء كان ينضم الى الجواهر الشحمية ويغش احيانا بالراتينج الآتي من بيفوس أو صطرالس

وقد يخلط اللامي ايضا ببلسم كندة الذي يقل ذوبانه في الكحول وتربتينا ساقس وبغير ذلك . وأحيانا يباع باسم اللامي الصمغ الراتينجي للزيتون ويجني في فيلبين راتينج لامى ايضا

(استعماله) يستعمل اللامى فى مركبات قديمة مثل مرهم الاصطركس وطلاء اركيوس وغيرهما وخواصه كخواص الراتينجيات عامة اي انه منبه مسخن محلل جيد لتحليل الرضوض العتيقة ومزيل للاحتقانات الباردة الخارجة وللاوجاع الروماتيزمية ونحو ذلك . وظنوا نفعه في علاج الجروح والضربات على الرأس ولكنه لا يستعمل الآن الا من الظاهر ولا يستعمل وحده أصلا . ومع هذا فقد أوصي هرمان بمقدار نصف درهم منه ممزوجا بمح بيضة ويستعمل ذلك من الباطن علاجا للجنوريا

أما علماء العرب فقالوا ان اللامي اسم مشهور بالعراق لصمغ يجلب من الهند يميل الي بياض وصفرة ورائحته طيبة بين المر والمصطكي وهو حار يابس قابض مسخن قد جرب منه الصاق الجراح العظام ويضاف الي الادوية المسخنة فيقويها ويلطفها وهو من أدوية العصب والمبرودين والمشايخ

وقالوا انه مسخن ملطف مذهب البلغم ويفتح السدد شربا ويصلح الجروح والقروح والكسر والرض وضعف العصب

والامراض البـاردة شربا وطلاء ويبخر به فيجلب العرق واذا حل فى ماء الآس وطلى به من فى عصبه استرخاء أو الاطفال الذين أبطأ بهم النهوض اشتدوا من وقتهم وهو محلل للاورام قاطع للرائحة الخبيثة ولا يناسب المحرورين

﴿ اللأواء ﴾ الشدة

﴿ اللِبَأ ﴾ أول اللبن

﴿ لبَّ ﴾ بالمكان يلِب لبًا أقام به ومثله (ألبَّ بالمكان)

(لبب الرجل) يلبَب صار ذا لُب ومثله (لبُب يلبُب) و (اللبَاب) المختار الخالص من كل شيء. و (لبَّيك) أى إلبابا بك بعد إلباب واقامة بعد اقامة أو اجابة بعد اجابة

و (اللب) خالص كل شيء والسم والعقـل . و (اللبَب) المنحر وموضع القلادة وما يشد من سيور السرج في إلبَّة من صدر الدابة و (إلبَّة) المنحر

﴿ اللبلاب ﴾ هو نبات شعاعي أصله من الهند الشرقية ورقه على شكل شرشرة منحنية على زاوية قائمة وهو نبات سنوى ذو ساق متفرع يعلو من مترين الى ثلاثة وأوراقه مركبة من ثلاث وريقات بيضية خادة وأزهاره عنقودية بنفسجية متراكبة قليلا وية كاثر بالبزور في فصـل الربيع ويستعمل زينة في البيوت

وجاء فى كتب علماء العرب ان اللبلاب علم على كل ذي خيوط تتعلق بما يقاربها ورقه كورق اللوبياء ويسمي قسوس وقينالس وعاشق الشجر وحبل المساكين قالوا وهو بمصر يسمي العليق وهو بحسب الزهر لونا والثمر وعدمها وحجم الاوراق أنواع، الاسود منه فرفيرى الزهر ، وغيره كزهره في اللون . ويكون غالبه أبيض وهو احمر وازرق واصفر والبرى لاثمر له والمستنبت له ثمار صغار بين أوراقه وأزهاره مبهجة ويسمي حسنة ساعة. ويطول جداً وان قطع خرج منه أبيض، وكله يتفرع ، ولا قوة له بل يسقط في قليل من الزمان

(خواصه الطبية) قال أطبـاء العرب انه ينفع من قرحة المعى عن تجربة ويدمل الجراح ويفجر الدماميل خصوصاً باللبن ويمنع حرق النار بالشمع وكذا ورقه ضماداً وينفع زيته أوجاع الاذن قطوراً أو عصارته تفيد من الصداع المزمن سعوطا بالايرسا والعسـل والنطرون . وهو يسود اذا اختضب به

وان طبخ في اي دهن كان حلل الاوجاع مروخا والاعياء والمفاصل

وأما الشحمية منه وهو الخشن المستطيل الورق فينفع من السعال والقولنج واوجاع الرئة والسدد والحميات والمحال. والاسود منه يشوش الذهن . وهو يضر المثانة ويصلحه الصمغ والسكر ويشرب الى ثلاثة دراهم . ويشرب ماؤه من اثنى عشر الى ثلاثين درهما

﴿ لبث ﴾ بالمكان يَلْبَث لَبثا ولُبثا ولِباثا مكث وأقام و.(ما لَبِث أن فعل كذا)أي ما أبطأ . و (لَبَّثه وألبثه) جعله يلبث.و (تَلَبَّث بالمكان) توقف و (اللَّبْثة) التوقف

﴿ لَبَخه ﴾ يَلْبَخه لَبْخا ضربه (تَلبَّخ الرجل) تطيب باللَبيخة وهى نافجة المسك

﴿ اللبخ ﴾ هو شجر لطيف المنظر اصله من بلاد الهند الشرقية وبلاد الحبشة وقد انتشر كثيراً بالقطر المصرى وهو ينمو بسرعة وخصوصاً اذا كان مغروساً في ارض خصبة

يتكاثر بالعقل التى تزرع زمن لافراك وهو الزمن الذي يفقد فيه اللبخ أور قه القديمة. معظم العقل ينجح بشرط أن يسقى بماء وافر كل خمسة أيام مرة وبعد ثلاث سنوات او اربع تنقل من أرض الورش وتزرع بالمحل الذي أعد لها وينبغى ان تكون فى زراعتها متباعدة الواحدة عن الاخرى بنحو خمسة أمتار ومع ذلك فمتى وصلت هذه الاشجار الى سن العشرين سنة تصير فروعها كثيرة متراكمة فينبغى أن تقلع شجرة بجميع جذورها وصلايتها من بين كل شجرتين بعد قطع جميع فروعها وجزء من ساقها ثم تنقل فتغرس في أرض أخرى

تزهر هذه الاشجار في فصل الصيف فتنتشر منها رائحة ذكية في الهواء . والاشجار التى تحمل أزهاراً كثيرة تسقم ويتأخر خروج أوراقها الحديثة وربما ماتت ولاجل تدارك هذا الضرر تقطع جميع فروعها العليا ولا يترك الا الفروع الغليظة الاصلية فبهذه الكيفية تعود لها قوتها

هذا الشجر يتحصل منه كثير من الخشب ومن المناسب تقليم فروعه كل سنتين مرة لاجل نمو ساقه

خشب هذا الشجر ابيض ضارب للصفرة مندمج يستعمله الخراطون بكثرة

ويستعمل أيضا لصناعة مركز العجلات المعدة لحمل الاثقال وزيادة على مافيه من فائدة الاظلال يستعمله النجارون أيضا في أوجه مختلفة

(خواصه الطبية) ذكر له أطباء العرب خواص طبية فقالوا انه يقطع الدم حيث كان شربا وذروراً ووجع الاسنان مضغا وهو يقوى الشعر ضمادا ويحلل الاورام طلاء بالشراب ويرد الوني والرض والكسر من اللاذن والآس في أسرع وقت ودخانه يطرد الهوام . وهو يصدع وأكله يورث الصمم

﴿ لبد ﴾ بالمكان يلبد لبودا أقام به . ومثله (لبِد بالمكان يلبَد لبَدا) . و(لبَد الصوف يلبِده ولبَّده) نفشه وبله بماء ثم خاطه وجعله فى رأس العمد وقاية للبجاد ان يخرقه . و (تلبَّد الصوف) لزق بعضه ببعض و (تلبَّد الطائر بالارض) جثم . و (اللبَّادة) مايلبس من اللبود وقاية من المطر . و(اللبود) جمع لبد وهو كل شعر او صوف متلبد . وما يجعل على ظهر الدابة تحت السرج . و (اللِبْد) الصوف. و (مال لُبَد) كثير. و (لُبَد) اسم آخر نسر اتخذه لقمان . و(ابو لُبَد) الاسد و (اللِبْدة واللُبدة) كل صوف أو شعر متلبد

﴿ لبيد ﴾ هو لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب العامرى وكان يقال لابيه ربيعة المقترين . ويكني لبيد ابا عقيل وكان من شعراء الجاهلية وفرسانهم

وكان الحرث بن أبي شمر الغساني وهو الاعرج وجه الى المنذر بن ماء السماء مئة فارس وأمره عليهم فصاروا الي عسكر المنذر وأظهروا انهم أتوه داخلين فى طاعته فلما تمكنوا منه قتلوه وركبوا خيلهم فقتل أكثرهم ونجا لبيد فأتي ملك غسان أخبره، فحمل الغسانيون على عسكر المنذر فهزموهم يوم حليمة، وحليمه هذه بنت ملك غسان وكانت طيبت هولاء الفتيان وألبستهم الاكفان وبرنس الاضريج وهو نوع من الاكسية

ادرك لبيد الاسلام ووفد على رسول الله صلي الله عليه وسلم في وفد بني كلاب، فأسلموا ورجعوا الى بلادهم وقدم لبيد الكوفة بعد ذلك فأقام بها الى ان مات فدفن فى صحراء بني جعفر بن كلاب . ويقال ان وفاته كانت في اول خلافة

معاوية ومات وهو ابن مئة وسبع وخمسين سنة . ولم يقل شعراً في الاسلام الا بيتا واحدا وهو قوله :

الحمد لله اذ لم يأتني أجلي
حتي كساني من الاسلام سربالا

وقال غيره بل هو قوله:

ماعاتب المرء الكريم كنفسه
والمرء يصلحه الجليس الصالح

قال له عمر بن الخطاب يوما أنشدني من شعرك . فقرأ سورة البقرة وقال ماكنت لاقول شعرا بعداذا علمني الله سورة البقرة فزاد عمر في عطائه خمس مئة درهم وكان الفين . فلما كان في زمن معاوية قال له هذان الفودان فما بال العلاوة يعني بالفودان الالفين وبالعلاوة الخمس مئة . قال لبيد أموت الآن وتبقى العلاوة والفودان فترك له معاوية عطاءه كاملا

كان لبيد آلي على نفسه في الجاهلية ان يطعم الناس كلما هبت الصبا وألزم ذلك نفسه في الاسلام. فخطب الوليد بن عقبة الناس بالكوفة فقال ان اخاكم لبيدا كان آلى على نفسه ان يطعم الناس كلما هبت الصبا وألزم ذلك نفسه في الاسلام وهذا اليوم من أيامه فأعينوه فأنا أول من يعينه ثم نزل فبعث اليه بمئة ناقة وكتب اليه :

أرى الجزار يشحذ شفرتيه
اذا هبت رياح ابي عقيل
أغر الوجه ابيض عامرى
طويل الباع كالسيف الصقيل
وفي ابن الجعفرى بحلفتيه
على العلات والمال الجزيل
بنحر الكوم اذ سحبت عليه
ذيول صبا تجاوب بالاصيل

فلما أتاه الشعر قال لابنته اجيبيه فقد اراني ولا اعيا بجواب شاعر فقالت :

اذا هبت رياح ابي عقيل
دعونا عند هبتها الوليدا
اغر الوجه ابيض عبشميا
اعان على مروءته لبيدا
بأمثال الهضاب كأن ركبا
عليها من بني حام قعودا
ابا وهب جزاك الله خيرا
نحرناها واطعمنا الثريدا
فعد ان الكريم له معاد
وظني يا ابن أروى أن تعودا

فقال لبيد لابنته احسنت لولا انك استطعمتيه. فقالت انه ملك وليس بسوقة ولا بأس باستطعام الملوك

وملاعب الاسنة هو عم لبيد وهو عامر بن مالك وسمي ملاعب الاسنة لقول أوس بن حجر فيه :

ولاعب أطراف الاسنة عامر
فراح له حظ الكتيبة أجمع

وكان ملاعب الاسنة اخذ اربعين مرباعا في الجاهلية. وأربد بن قيس الذي أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عامر ابن الطفيل هو اخو لبيد لامه فدعا رسول الله عليه فأصابته صاعقة فأحرقته فقال فيه لبيد :

أخشى على أربد الحتوف ولا
ارهب نوء السماك والاسد
فجعني والرعد والصواعق بالـ
فارس عند الكريهة النجد

وفيه يقول :

بلينا وما تبلى النجوم الطوالع
وتبقى الديار بعدنا والمصانع
وقد كنت في أكناف جار مضنة
ففارقني جار بأربد نافع
فلا جزع ان فرق الدهر بيننا
فكل امرىء يوما به الدهر فاجع
وما الناس الا كالديار واهلها
بها يوم حلوها وغدوا بلاقع
وما المرء الا كالشهاب وضوءه
يحور رمادا بعد ماهو ساطع
وما المال والاهلون الا ودائع
ولا بد يوما ان ترد الودائع
وما الناس الا عاملون فعامل
يتبر ما يبني وآخر رافع
فمنهم سعيد آخذ بنصيبه
ومنهم شقي بالمعيشة قانع
أليس ورائي ان تراخت منيتي
لزوم العصا تحنى عليها الاصابع
أخبر أخبار القرون التي مضت
أدب كأني كلما قمت راكع
فأصبحت مثل السيف اخلق جفنه
تقادم عهد القين والسيف قاطع
فلا تبعدن ان المنية موعد
علينا فدان للطلوع وطالع
اعاذل مايدريك الا تظنيا
اذا رحل السفار من هوراجع
أتجزع مما أحدث الدهر بالفتى
واى كريم لم تصبه القوارع

ومن جيد شعره قوله :

اذا المرء أسري ليلة ظن أنه
قضى عملا والمرء ماعاش عامل

حبائله مبثوثة بفنائه

ويفني اذا ما أخطأته الحبائل

فقولا له ان كان يقسم امره

ألما يعظك الدهر امك هابل

فان أنت لم تصدقك نفسك فانتسب

لعلك تهديك القرون الاوائل

فان لم تجد من دون عدنان باقيا

ودون معد فلتزعك العواذل

وكل امرىء يوما سيعلم سعيه

اذا جمعت عند الاله المحاصل

ويستجاد قوله :

واكذب النفس اذا حدثتها

ان صدق النفس يزري بالامل

يقول اكذب النفس اذ تمنيها الخير وتمدها اياه لانه اذا صدقتها فقال مصيرك الى الزوال اررى ذلك بأمله

ويعاب عليه من هذه القصيدة قوله :

ومقام ضيق فرجته

بمقامي ولساني جدل

لو يقوم الفيل او فياله

زل عن مثل مقامي وزحل

قالوا ليس للفيال من الخطابة والبيان ولا من القوة ما يجعله مثلا لنفسه . وانما ذهب الى ان الفيل اقوى البهائم فظن ان فياله اقوى الناس

قالوا ولما حضرته الوفاة انشد يخاطب ابنتيه :

تمني ابنتاي ان يعيش ابوهما

وهل انا الا من ربيعة اومضر

فقوما فقولا بالذي تعلمانه

ولا تخمشا وجها ولا تحلقا شعر

وقولا هو المرء الذي لا صديقه

اخاف ولا خان الصديق ولا غدر

الى الحول ثم اسم السلام عليكما

ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

وهو احد اصحاب المعلقات نأتي على معلقته هنا قال :

عفت الديار محلها فمقامها

بمنى تأبد غولها فرجامها (١)

فمدافع الريان عري رسمها

خلقا كما ضمن الوحي سلامها (٢)

(١) عفت اندرست . المحل مكان الحلول . والمقام محل الاقامة . ومنى اسم موضع . وتأبد توحش . والغول والرجام موضعان . يقول . اندرست ديار الاحبة بمنى وتوحش هذان الموضعان لارتحال الاحباب عنها

(٢) مدافع جمع مدفع وهو مجري

دمن تجرم بعدعهد أنيسها

حججخلون حلالهاو حرامها(٣)

رزقت مرابيع النجوم وصابها

ودق الرواعدجودهافرهامها(٤)

الماء والريان جبل بعينه والخلق القديم والوحي جمع وحي وهو الكتابةاو المكتوب والسِلام الحجارة. يقول: ان مدافع الريان خلت من الاحبة بعد ان كانت قديمة يسكنها م اياها ولم يبق من ديارهم الا كل هامد خامد كالكتابة علي الاحجار . شبه ما بقي من آثارهم بالكتابة علي الاحجار

(٣) الدمن جمع دمنة وهي آثار الديار من البعر والرماد وغيرها وتجرم ذهب . وحجج جمع حجة وهي السنة . يقول أن هذه الديار بَعُد عهد أهلها بها فمضت السنون وأيامها ومنها الشهور الحلال والحرام والعرب كان لها أشهرُ حرُم تحرم فيها القتال كالقعدة والحجة والمحرم ورجب

(٤) المرابيع جمع مرباع وهي الامطار في الربيع . وصابها أصابها والودق المطر والرواعد السحائب والجَوْد المطر الغزير والرغام المطر الضعيف . يقول سقى الله هاتيك الديار امطار الربيع وامطر عليها من مطر السحائب ذوات الرعد ما بين

من كل سارية وغادٍ مُدجن

وعشية متجاوب أرزامها(٥)

فعلا فروع الايهقان واطفلت

بالجلهتين ظباؤها ونعامها(٦)

والعين عاكفة علي اطلائها

عُوذاً تأجلُ بالفضاء بهامها(٧)

غزيرة وضعيفة

(٥) السارية السحابة التى تسرى ليلا. والغادي السحاب الذى ينشأ غدوة والمدجن المطبق آفاق السماء . والارزام التصويت يقول : سقاها الله در السحب الليلية والنهارية وسحائب كل عشية تدوي اصوات رعودها

(٦) الايهقان الجرجير. واطفلت صار لها أطفال والجلهتان ناحيتا الوادي. يقول: طالت بسبب الامطار في هذه الديار فروع الجرجير وولدت ظباؤها ونعامها

(٧) العين الواسعة العينين وهي البقرة الوحشية والاطلاء جمع طلا وهو ولدها . وعوذ جمع عائذ وهي الحديثات النتاج من كل انثى. وتؤجل اي تصير آجالا والآجال جمع إجل وهو القطيع من بقر الوحش والفضاء الصحراء وبهام جمع بهم وهو جمع بهمة وهي اولاد الضأن والمعز والبقر

وجلا السيول عن الطلول كأنها
زُبُرٌ تُجِدُّ متونها أقلامُها (٨)
أو رجع واشمة أُسِفَّ نؤورها
كِففاً تعرَّض فوقهن وشامها (٩)

يقول: والبقرات الوحشية الواسعات العيون وهن حديثات الولادة قد عكفن على صغارهن يرضعنهم وقد صارت أسرابا وانتشرت في الفلوات

(٨) جلا كشف والزبر جمع زبور وهو الكتاب وتجد تجدد والمتون الظهور وأراد بها هنا التي عليها الكتابة. يقول لما هطلت تلك الامطار وتكونت منها السيول كشفت آثار الديار فكأن تلك السيول أقلام تجدد كتابة تلك الكتب

(٩) الرجع الاعادة والواشمة المرأة التي تصنع الوشم وأسف بضم الالف اي ذرو النؤر الكحل الذي ترشه الواشمة على الجرح والكفف الدوائر من كل شيء ككفة الميزان وغيره والوشام جمع وشم وهو غرز الابرة في اللحم ثم ذر الكحل عليه. يقول: وكأن تلك السيول واشمة رجعت وشما قد ضعف أثره على يد واعادته بذر النؤور على ذراته حتى صار جديداً

فوقفت اسألها وكيف سؤالنا
صماً خوالد ما يبين كلامُها (١٠)
عريت وكان بها الجميع فابكروا
منها وغودر نؤيها وثمامها (١١)
شاقتك ظعن الحي حين تحملوا
فتكنسوا قطناً تصر خيامها (١٢)

الصم الصلاب وخوالد بواق مايبين اى مايظهر يقول وقفت أسأل تلك الديار عن اهلها ولكن اى فائدة في سؤال احجار صلبة لا تجيب سائلا ولا تفصح عن مرادها

(١١) ابكروا سار عنها بكرة والنؤي حفيرة تحفر حول البيت ليجري فيها ماء المطر والسيل فلا يدخل البيت والثمام نبت ضعيف. يقول: خلت هذه الديار من اهلها وارتحلوا عنها بكرة ولم يتركوا الا النؤي والثمام

(٢) شاقتك اي هاجت شوقك والظعن جمع ظعينة وهي المرأة مادامت في الهودج. وتحملوا ارتحلوا وتكنسوا دخلوا الكناس وهو بيت الظبي تصر من الصرير وهو صوت الباب والرحل يقول: هيج شوقك نساء الحي حين ارتحلن على هوادج من القطن وجعل

من كل محفوف يُظل عصيَّه
زوج عليه كِلة وقِرامها (١٣)

زُجُلا كأن نعاج توضِح فوقها
وظبا وَجْرة عُطفا آرامها (١٤)

حُفزت وزيلها السراب كأنها
اجزاع بيشة أثلها ورضامها (١٥)

الخيام تصر اى أنها كانت جديدة

(١٣) المحفوف المغطى . وزوج نوع من البسط تطرح على الهوادج . والكلة الستر الرقيق . والقرام ستر رقيق ايضا . يقول : أنهن حين ارتحلن دخلن هوادج مغطاة بالثياب قد غطيت عيدانه بنوع من البسط يسمى الزوج وجعل فوقها ستر رقيق ثم ستر آخر منقوش

(١٤) الزجل جمع زجلة وهي الطائفة من الناس والنعاج. وتوضح ووجرة موضعان وعطف جمع عاطف من العطف وهو الميل. وآرام جمع رئم وهو الظبي الابيض. يقول: ارتحلن جماعات كأنهن فى هوادجهن نعاج أى بقرات وحش توضح وظباء وجرة عاطفات على اطفالهن

(١٥) حفزت أى دفعت . وزيلها أي فارقها. واجزاع جمع جزع وهو منعطف الوادي . وبيشة اسم واد. والاثل شجر. والرضام صخور عظام يقول ان ابل تلك النسوة خرجت فاندفعت فى سيرها حتي فارقها السراب كأنها أثلات وادى بيشة واحجاره الضخمة يريد أنها ضخمة

بل ما تذكر من نوار وقد نأت
وتقطعت اسبابها ورِمامها (١٦)

مُرية حلت بفيد وجاورت
اهل الحجاز فأين أين مرامها (١٧)

بمشارق الجبلين او بمحجر
فتضمنتها فردة فرجامها (١٨)

(١٦) نوار اسم امرأة . والاسباب الحبال . والرمام جمع رُمة وهي قطعة من الحبل بالية . يقول : اى شيء تتذكر من هذه المحبوبة وقد بعدت دارها وتقطعت عنك حبالها اي لم يبق بينكما صلة

(١٧) و (١٨) مرية منسوبة الى مرة وهي قبيلة. وفيد موضع. ومشارق الجبلين أى جوانبهما التي تلي المشرق . والمحجر اسم مكان. وتضمنتها اى اشتملت عليها لنزولها فيها . وفردة ورجام موضعان. يقول : ان هذه المحبوبة نزلت هذه المواضع علي دفعات كل دفعة تنزل موضعا منها فكيف يتسني لك الوصول اليها

فصوائق ان ايمنت فمظنة
منها وحاف القهر أو طلخامها (١٩)
فاقطع لبانة من تعرض وصله
ولشر واصل خلة صرامها (٢٠)
واحب المجامل بالجزيل وصرمه
باق اذا ظلعت وزاغ قوامها (٢١)
بطليح اسفار تركن بقية
منها فأحنق صلبها وسنامها (٢٢)

(١٩) صوائق وحاف القهر وطلخام مواضع. وايمنت اتت باليمن ومظنة الشيء الموضع الذي يظن كونه فيه . يقول: انها ان قصدت نحو اليمن فالمكان الذي هو مظنة لنزولها وحاف القهر او طلخام من صوائق

(٢٠) اللبانة الحاجة . والخلة المحبة . وصرّام قطّاع . يقول : فاقطع حاجتك ممن لم يستقم لك وصله فشر الناس من يقيم على المحبة حتي تستحكم ثم يقطعها

(٢١) احب أعط. والصرم القطيعة. وظلعت من الظلع وهو غمز الدواب في مشيها. وزاغ مال . وقوام الامر مايقوم به. يقول: من عاملك بالجميل فعامله بالمثل فاذا آنست منه ظلما في مودته فمل عنه كما مال عنك

(٢٢) الطلح الذي اعجزه السير

فاذا تغالى لحمها وتحسرت
وتقطعت بعد الكلال خدامها (٢٣)
فلها هباب في الزمام كأنها
صهباء خف مع الجنوب جهامها (٢٤)
او ملمع وسقت لأحقب لاحه
طرد الفحول وضربها وكدامها (٢٥)

واهزله ، وتركن الضمير للاسفار. واحنق اى هزل ورق . والصلب الظهر . يقول: من مال عنك فمل عنه بركوب ناقة قد اهتزلتها الاسفار وفيها بقية من قوة

(٢٣) و (٢٤) تغالى ارتفع وتحسرت انكشفت عظامها. وخدامها جمع خدمة وهو سير يشد في رسغ البعير . والهباب النشاط. والصهباء سحابة في لونها صهبة اى حمرة . والجهام السحاب الذى أراق ماءه . يقول تكون هذه الناقة بعد ان هزلت وتقطعت سيورها خفيفة في السير كأنها سحابة أسرعت مع ريح الجنوب

(٢٥) ملمع من ألمعت الفرس والاتان اذا اشرقت ضروعها للحمل واسودت حلمتاها ووسقت حملت. والاحقب حمار الوحش. ولاحه غيره . والكدم العض بأدني الفم يقول: او كأن تلك الناقة اتان اشرق ضرعها باللبن واسودت حلمتاها قد حملت من

يعلو بها حدب الاكام مسحج
قدرا به عصيانها ووحامها (٢٦)
بأحزة الثلبوت يربأ فوقها
قفر المراكب خوفها آرامها (٢٧)
حتي اذا سلخا جمادي ستة
جزءا فطال صيامه وصيامها (٢٨)
رجعا بأمرهما الي ذي مرة
حصد ونجح صريمة ابرامها (٢٩)
ورمي دوابرها السفا وتهيجت
ريح المصايف سومها وسهامها (٣٠)
فتنازعا سبطا يطير ظلاله
كدخان مشعلة يشب ضرامها (٣١)

حمار وحش احقب أى في حقويه بياض وقد هزله طراد الفحول له وعضها اياه

(٢٦) حدب الاكام ما احدودب منها . والآكام جمع أكمة . والمسحج المعضض والوحام شهوة النكاح وقد يخص بشدة شهوة الحامل لبعض المآكل . يقول : ان هذا الحمار يعلو بهذه الاتان ليبعدها عن الفحول وهو فى ريبة من عصيانها عليه وشهوتها

(٢٧) احزة جمع حزيز وهو المكان الغليظ . والثلبوت اسم مكان . وربأ يرقب . والآرام اعلام الطريق . يقول: مازال ذلك الحمار وتلك الاتان باحزة الثلبوت يرقب فوقها ليبصر ماحوله

(٢٨) و (٢٩) سلخا أى مر عليهما برمته . وجمادى اذا أطلق أريد به زمن الشتاء . وان لم يقع في جمادي . وصيامه امساكه عن الماء . والمرة القوة . وحصد محكم . والصريمة العزيمة . وابرام الامر إحكامه . يقول : مازالا باحزة الثلبوت حتي مر عليهما الشتاء وجاء الربيع حتى صارا يكتفيان بأكل رطب الحشيش عن ورد الماء رجعا بأمرهما الي رأي قوى محكم يريد انهما عزما بعد ذلك على النزول لطلب الماء

(٣٠) الدوابر ما خير الحوافر . السفا شوك شجر البهمى . والمصايف جمع المصيف وهو الصيف . وسومها . مرها والسهام ريح حارة . يقول : وقد رمى دوابرها الشوك وهيجت ريح الصيف الحشيش بمرورها وحرارتها

(٣١) سبطا اي غبارا مرتفعا طويلا ومشعلة اى نار مشعلة . ويشب يوقد . وضرام جمع ضرم وهو جمع ضرمة وهو كل شيء تسرع فيه النار . يقول : انهما ركضا الى الماء حتى ثار الغبار فكأنه دخان نار موقد

مشمولة غلثت بنـابت عرفج
كدخان نار ساطع اسنامها (٣٢)
فمضى وقدمها وكانت عادة
منه اذا هي عردت اقدامها (٣٣)
فتوسطا عرض السرى وصدعا
مسجورة متجاوراً قلامها (٣٤)

ارتفع من تحت أرجلها دخان نار مشعلة تتوقد ضرامها

(٣٢) مشمولة اي اصابتها ريح الشمال وهى صفة لمشعلة . وغلثت خلطت ونابت عرفج اى طرى النبات المسمي بالعرفج . وأسنامها ماارتفع منها . يقول: ان الغبار الذى اثاراه كان كدخان نار هبت عليها ريح الشمال ووضع عليها الغض من نبات العرفج فزاد فى دخانه

(٣٣) عردت أى حادت وتأخرت واقدامها تقدمها . يقول: سار الحمار قاصدا الماء وجعلها أمامه لكي لا تفر منه وكان ذلك ديدنه معها كلما سارها

(٣٤) توسطا صارا في الوسط . والعرض الناحية والسرى النهر الصغير وصدعا شققا النبت الذي على الماء . والمسجورة المملوءة . والقلام نبت يكون على الأنهار . يقول : انهما خاضا النهر

محفوفة وسط اليراع يظلها
منه مصرّع غابة وقيامها (٣٥)
أفتلك أم وحشية مسبوعة
خذلت وهادية الصوار قوامها (٣٦)
خنساء ضيعت الفرير فلم يرم
عرض الشقائق طوفها وبغامها (٣٧)

حتي توسطاه وشققا النبت الذى عليه

(٣٥) محفوفة أى محاطة . واليراع القصب . والمصرع الساقط . يقول : ان شدة عطشهما حملها على توسط النهر على كثرة نباته وعلي انه محاط بالقصب يظله منه ماسقط وما هو قائم

(٣٦) الوحشية البقرة الوحشية . والمسبوعة التي أكل السبع ولدها . وخذلت اي تأخرت عن القطيع . وهادية الصوار التي تتقدمه . والصوار القطيع من البقر . وقوامها الذى يقوم به . يقول : أفتلك الاتان تشبه ناقتى أم بقرة وحشية أكل السبع ولدها وقد تأخرت عن أصحابها من الوحوش وأقامت على ولدها ترعاه وتتلفت الى البقر فاذا رأتها طابت نفسا وعلمت ان القطيع لم يفتها

(٣٧) خنساء من الخنس وهو تأخر الانف وقصره والابقار كلها خنساء

لمعفر قَهْد تنازع شلوه

غبس كواسب لايمن طعامها (٣٨)

صادفن منها غرة فأصبنها

ان المنايا لاتطيش سهامها (٣٩)

والفرير ولد البقرة . ولم يرم لم يبرح . والشقائق جمع شقيقة وهى ارض صلبة بين رملتين . والطوف الطواف . والبغام صوت تختلسه البقرة اختلاسا . يقول هذه البقرة الخنساء قد ضيعت ولدها حتي افترسه السباع ولم يبرح طوافها وخوارها يرن في نواحي الارضين الصلبة فى طلبه

(٣٨) المعفر الملقى علي العفر وهو أديم الارض . والقهد الابيض . والشلو العضو وقيل بقية الجسد . والغبس جمع أغبس وهو الذي لونه كاون الرماد. والمن القطع يقول : هى تطوف وتصيح لاجل جؤذر ملقى على الارض ابيض قد تنازعت أعضاءه ذئاب غبس لاينقطع طعامها أى هى لاتفتر عن الاصطياد

(٣٩) يقول : صادفت هذه الذئاب منها غفلة فأصبنها باقتراس ولدها . ثم قال وانِ الموت لاتطيش سهامه

باتت وأسبل وأكف من ديمة

يروي الخمائل دائما تسجامها (٤٠)

يعلو طريقة متنها متواتر

في ليلة كفر النجوم غمامها (٤١)

تجتاف أصلا قالصا متنبذاً

بعجوب انقاء يميل هيامها (٤٢)

(٤٠) واكف من الوكف والوكفان وهو نزول المطر . والديمة المطرة التي تدوم واقلها نصف يوم وليلة والخمائل جمع خميلة وهى كل رملة ذات نبت وقيل هي ارض ذات شجر . والتسجام اي السجم يقال سجم الدمع اي صبه وسجم الدمع اى انصب ، يقول : باتت البقرة بعد فقدها ولدها وقد أسبل مطر واكف من مطر دائم يروي الرمال المنبتة في حال دوم سبكها الماء

(٤١) طريقة المتن خط من ذنبها الى عنقها . والكفر التغطية . يقول : يعلو صلب هذه البقرة قطر متواتر فى ليلة سترت غيومها نجومها

(٤٢) الاجتياف الدخول فى جوف الشيء . والتنبذ التنحي . والعجب أصل الذنب . والنقا الكثيب من الرمل والهيام مالا تماسك به من الرمل . يقول : وقد دخلت البقرة الوحشية في جوف اصل

وتضيء في وجه الظلام منيرة
كجمانة البحري سل نظامها (٤٣)
حتى اذا احسر الظلام وأسفرت
بكرت تزل عن الثرى ازلامها (٤٤)
علهت تردد في نهاء صعائد
سبعا تؤاما كاملا أيامها (٤٥)

شجرة متنح عن سائر الشجر وقد قلصت اغصانها وذلك الشجر في اصول كثبان من الرمل يميل مالا يتماسك منه عليها لهطلان المطر وهبوب الريح

(٤٣) وجه الظلام اوله . والجمان درر مصوغ من الفضة ثم يستعار للدر يقول : تضيء هذه البقرة في اول ظلام الليل كدرة الصدف البحري حين سل النظام منها

(٤٤) الانحسار الانكشاف . والاسفار الاضاءة والازلام قوائمها واحده زلم يقول : حتى اذا انجلي ظلام الليل بكرت الناقة من مأواها فتزل قوائمها عن التراب الندي لكثرة المطر الذي أصابه ليلا

(٤٥) العله والهلع الأنهماك في الجزع والضجر . والنهاء جمع نهي ونهى وهما الغدير . وصعائد اسم موضع والتؤام جمع تؤم يقول : أمعنت هذه البقرة في الجزع وترددت متحيرة في وهادهذا الموضع

حتى اذا يئست واسحق خالق
لم يبله ارضاعها وفطامها (٤٦)
فتوجست رز الانيس فراعها
عن ظهر غيب والانيس سقامها (٤٧)
فغدت كلاالفرجين تحسب أنه
مولى المخافة خلفها وأمامها (٤٨)

وغدرانه سبع ليال تؤام للايام وقد كملت أيام تلك الليالى أى أنها ترددت فى طلب ولدها سبع ليال بأيامها وجعل أيامها كاملة اشارة الي أنها كانت من أيام الصيف وشهور الحر

(٤٦) الاسحاق الاخلاق . والخالق الضرع الممتليء لبنا وانما كان خلقا لانقطاع لبنها . ثم قال ولم يبل ضرعها ارضاعها ولدها لافطامها اياه وانما أبلاه فقدها اياه

(٤٧) الرز الصوت الخفي والانيس والانس واحد . يقول : فتسمعت البقرة صوت الناس فأفزعها ذلك وانما سمعته عن ظهر غيب أي لم تر الانيس . ثم قال والناس سقام الوحش وداؤها لأنهم يصيدونها

(٤٨) الفرج موضع المخافة . والفرج ما بين قوائم الدواب فما بين اليدين فرج وما بين الرجلين فرج ، والمولى هنا بمعني

حتي اذا يئس الرماة وارسلوا
غضفادواجن قافلاأعصامها(٤٩)
فلحقن واعتكرت لهامدرية
كالسمهرية حدها وتمامها(٥٠)
لتذودهن وأيقنت ان لم تذد
ان قدأحم من الحتوف حمامها(٥١)

الاولي بالشيء . يقول فندت البقرة وهي تحسب ان كلا من فرجيها محلا للمخافةاو تحسب ان كل فرج من فرجيهاهو الاولى بالمخافة

(٤٩) الغضف من الكلاب المسترخية الآذان . والدواجن المعلمات. والقفول اليبس واعصامها بطونها. يقول: حتى اذا يئس الرماة من البقرة،وعلموا ان سهامهم لاتنالها ارسلوا كلابا مسترخية الآذان معلمة ضامرة البطون

(٥٠) اعتكرت عطفت . والمدرية طرف قرنها . والسمهرية الرماح. يقول: فلحقت الكلاب البقرةفأقبلت البقرة على الكلاب وطعنتها بقرنها الذىهو كالرماح

(٥١) الذود الرد . والاحمام القرب يقول : عطفت البقرة لترد الكلاب عن نفسها وايقنت انها ان لم تذدها قرب موتها

فتقصدت منها كساب،فضرجت
بدم وغودر في المكر سخامها(٥٢)
فبتلك اذرقص اللوامع بالضحى
واجتاب اردية السراب اكامها(٥٣)
أقضى اللبانة لاأفرط ريبة
او ان يلوم بحاجة لوامها (٥٤)
او لم تكن تدرى نوار بأنني
وصال عقد حبائل جذامها(٥٥)

(٥٢) تقصدت قتلت . وكساب اسم كلبة.وسخام اسم كلبة اخرى . يقول : فقتلت البقرة كساب وضرجتها بالدم وتركت سخاما فى موضع كرها صريعة

(٥٣) يقول:فبتلك الناقة اذا رقص لوامع السراب بالضحي ولبست الآكام أردية من السراب اقضى حوائجي وهذا الجواب في البيت التالى

(٥٤) اللبانة الحاجة . والتفريط التضييع.والريبة التهمة. واللوام مبالغة في اللائم . يقول: بركوب هذه الناقة واتعابها فى حر المواجر أقضي وطرى ولا أفرط في طلب بغيتي الا ان يلومني لائم . وتحرير المعني انه لا يقصر ولكن لا يمكنه الاحتراز من لوم اللوام

(٥٥) الحبائل جمع الحبالة وهي

تراك أمكنة اذا لم ارضها
او يعتلق بعض النفوس حمامها (٥٦)
بل انت لاتدرين كم من ليلة
طلق لذيذ لهوها وندامها (٥٧)
قد بت سامرها وغاية تاجر
وافيت اذ رفعت وعز مدامها (٥٨)

مستعارة للعهد والمودة . والجذم القطع . والجذام مبالغة الجاذم . رجع الي التشبيب بمحبوبته فقال او لم تكن تعلم نوار اني وصال عقد العهود والمودات وقطاعها. يريد انه يصل من استحق الصلة ويقطع من استحق القطيعة

(٥٦) يقول : اني تراك أماكن اذا لم ارضها الا ان يرتبط نفسى حمامها فلا يمكنها البراح واراد ببعض النفوس نفسه

(٥٧) ليلة طلق وطلقة ساكنة لاحر فيها ولا قر . والندام جمع نديم ، والندام ايضا المنادمة . يقول : بل انت لاتعلمين كم من ليلة ساكنة غير مؤذية بحر ولا ببرد لذيذة اللهو والمنادمة قد بت اسامر ندمائي فيها وهذا الخبر يأتي فى البيت الذي بعده

(٥٨) الغاية راية ينصبها الخمار ليعرف مكانه . والتاجر الخمار . يقول قد بت تلك

أغلي السباء بكل أدكن عاتق
او جونة قدحت وفض ختامها (٥٩)
بصبوح صافية وجذب كرينة
بموتر تأتاله ابهامها (٦٠)
بادرت حاجتها الدجاج بسحرة
لأعل منها حين هب نيامها (٦١)

الليلة أسامر ندمائي ورب راية خمار اتيتها حين رفعت ونصبت وغلت خمرها وقل وجودها يتمدح باشترائه الخمر غالية لندمائه

(٥٩) سبأت الخمر اشتريتها . واغلى الشيء اشتراه غاليا . والادكن الذي فيه دكنة ، والجونة السوداء أراد بها خابية سوداء . والقدح الغرف . والفض الكسر . والختام الخاتم . يقول : اشترى الخمر غالية السعر باشترائي كل زق ادكن او خابية سوداء قد فض ختامها واغترف منها

(٦٠) الكرينة الجارية العوادة . والائتيال المعالجة . والموتر العود . يقول . وكم من صبوح خمر صافية وجذب عوادة عوداً متوتراً تعالجه بابهامها استمتعت بالاصغاء الى أغانيها

(٦١) يقول : بادرت الديوك لحاجتي الى الخمر اي تعاطيت شربها قبل ان يصدح الديك لاسقي منها مرة بعد اخرى

وغداة ريح قد وزعت وقرة
قد أصبحت بيد الشمال زمامها (٦٢)
ولقد حميت الحي تحمل شكتي
فرط وشاحي اذ غدوت لجامها (٦٣)
فعلوت مرتقبا على ذي هبوة
حرج الى اعلامهن قتامها (٦٤)
حين استيقظ نيام السحر

(٦٢) القرة البرد . يقول : وكم من غداة تهب فيهـا الشمال وهي ابرد الرياح وبرد قد ملكت الشمال زمامه قد كففت عادية البرد عن الناس باطعامهم

(٦٣) الشكة السلاح . والفُرط الفرس المتقدم السريع الخفيف . يقول : ولقد حميت قبيلتي في حال حمـل فرس متقدم سريع سلاحي ، ووشاحي لجامها اذ غدوت. يريد انه يتوشح بلجامها لفرط الحاجة اليه

(٦٤) المرتقب المكان المرتفع الذى يقوم عليه الرقيب.والهبوة الغبرة والحرج الضيق جداً . والاعلام الجبال والرايات والقتام الغبار . يقول : فعلوت عند حماية الحي مكانا عاليا اى كنت ربيئة لهم على ذى هبوة أي على جبل ذى هبوة ،وقد قرب قتام تلك الهبوة الى أعـلام فرق الاعداء وقبائلهم اى على جبل قريب من جبال الاعداء وراياتهم

حتي اذا ألقت يداً في كافر
وأجن عورات الثغور ظلامها (٦٥)
أسهلت وانتصبت كجزع منيفة
جرداء يحصر دونها جرامها (٦٦)

(٦٥) الكافر الليل سمى به لكفره الاشياء اى لستره اياها،والاجفان الستر والثغر موضع المخافة،وعوراته أشدها مخافة، يقول : حتى اذا ألقت الشمس يدها في الليل ابتدأت في الغروب، وعبر عن هذا المعني بالقاء اليد لان من ابتـدأ بالشيء قيل القى يده فيه ، وستر الظلام مواضع المخافة

(٦٦) أسهل أتي السهل من الارض والمنيفة العالية الطويلة والجرداء القليلة السعف والليف ، والحصَر ضيق الصدر، والجرام جمع الجارم وهو الذى يجرم النخل أي يقطع حمله . يقول :لما غربت الشمس وأظلم الليل نزلت من المرقب وأتيت مكانا سهلا وانتصبت الفرس لجزع نخلة طويلة بضيق صدور الذين يريدون قطع حملها لعجزهم عن ارتقائها

رفعتها طرد النعام وشله
حتى اذا سخنت وخف عظامها (٦٧)
قلقت رحالتها واسبل نحرها
وابتل من زبد الحميم حزامها (٦٨)
ترقي وتطعن في العنان وتنتحي
ورد الحمامة اذ أجد حمامها (٦٩)

(٦٧) رفعتها مبالغة في رفعتها . والطرد والشل واحد وهو المطاردة. يقول: حملت فرسي وكلفتها عدوا مثل عدو النعام او يصلح لاصطياد النعام حتي اذا اجدت فى الجرى وخف عظامها فى السير قلقت رحالتها الخ

(٦٨) القلق سرعة الحركة. والرحالة شبه سرج يتخذ من جلود الغنم ليكون أخف. وأسبل أمطر وهطل. والحميم العرق. يقول : اضطربت رحالتها على ظهرها لاسراعها في عدوها وامطر نحرها عرقا وابتل حزامها

(٦٩) الانتحاء الاعتماد . يقول : ترفع عنقها نشاطا في عدوها حتي كأنها تطعن بعنقها في عنانها وتعدت في عدوها الذي يشبه ورد الحمامة حين جدا الحمام التى فى جملتها فى الطيران لما ألح عليها من العطش

وكثيرة غرباؤها مجهولة
ترجي نوافلها ويخشي ذامها (٧٠)
غلب تشذر بالذحول كأنها
جن البدى رواسيا أقدامها (٧١)
أنكرت باطلها وبؤت بحقها
عندي ولم يفخر على كرامها (٧٢)

(٧٠) الذام العيب . يقول : ورب مقامة أو قبة أو دار كثرت غرباؤها وغاشيتها وجهلت اي لا يعرف بعض الغرباء بعضا فيها ترجى عطاياها ويخشى عيبها. يفتخر بالمناظرة التي جرت بينه وبين الربيع بن زياد في مجلس النعمان بن المنذر

(٧١) الغلب الغلاظ الاعناق . والتشذر التهدد والذحول الاحقاد الواحدة ذحل والبدى اسم موضع . والرواسي الثوابت. يقول : هم رجال غلاظ الاعناق كالاسود اي خلقوا خلقة الاسود يهدد بعضهم بعضا بسبب الاحقاد التي بينهم ثم شبههم بجن ذلك الموضع فى ثباتهم في الخصام والجدال

(٧٢) باء بكذا أقر به . يقول : أنكرت باطل دعاوى اولئك الرجال الغلب واقررت بما كان حقا منها عندي ولم يفتخر على كرامها أي لم يغلبني بالفخر كرامها

وجزور ايسار د وت لحتفها
بمغالق متشابه أجسامها (٣)
أدعو بهن لعاقر أو مطفل
بذلت لجيران جميع لحامها (٧٤)
فالضيف والجار الجنيب كأنما
هبطا تبالة مخصبا اهضامها (٧٥)

(٠٣) الجرور الناقة التي تذبح . وايسار جمع يَسَر وهو صاحب الميسر. والمغالق سهام الميسر . يقول: ورب جزور اصحاب ميسر دعوت ندمائي لعقرها ونحرها بأزلام متشابهة الاجسام . وسهام الميسر يشبه بعضها بعضا . وتحرير المعني ورب جزوو اصحاب ميسر كانت تصلح لتقامر الايسار عليها دعوت ندمائي لهلاكها اي لنحرها بسهام متشابهة. يفتخر بنحره اياها من صلب ماله لا من كسب قماره

(٧٤) العاقر التي لا تلد والمطفل ذات الطفل . واللحام جمع لحم . يقول : أدعو بالقداح لنحر ناقة عاقر او ناقة مطفل تبذل لحومها لجميع الجيران. وذكر العاقر لأنها اسمن والمطفل لأنها أنفس

(٧٥) الجنيب الغريب . وتبالة واد مخصب من أودية اليمن . والاهضام جمع هضم المطمئن من الارض . يقول : فالاضياف والجيران الغرباء عندي كأنهم نازلون هذا الوادي في كثرة نبات أماكنه المطمئنة . شبه ضيفه وجاره في الخصب والسعة بنازل هذا الوادي أيام الربيع

تأوى الى الاطناب كل رذية
مثل البلية قالص اهدامها (٧٦)
ويكللون اذا الرياح تناوحت
خلجا تمد شوارعا ايتامها (٧٧)

(٧٦) الاطناب حبال البيت واحدها طُنُب. والرذية التي تُرذى في السفر أى تخلف لفرط هزالها او كلالها استعارها للفقيرة والبلية الناقة التي تشد على قبر صاحبها حتى تموت. والاهدام الاخلاق من الثياب وقلوصها قصرها. يقول: وتأوى الى اطناب بيتي كل مسكينة ضعيفة متقلصة الاهدام ثم شبهها بالبلية في شدة قصورها وعجزها عن الكسب

(٧٧) تناوحت تقابلت. والخلج جمع خليج وهو النهر الصغير يخلج من نهر كبير او من بحر . وتمد تزاد . وشرع في الماء خاض فيه. يقول: وتكلل للفقراء والمساكين والجيران اذا تقابلت الرياح أي في كَلَب الشتاء واختلاف هبوب الرياح جفانا تحكي

انا اذا التقت المجامع لم يزل
منا لزاز عظيمة جشامها (٧٨)
ومقسم يعطي العشيرة حقها
ومغذمر لحقوقها هضامها (٧٩)
فضلا وذو كرم يعين علي الندى
سمح كسوب رغائب غنامها (٨٠)
بكثرة مرقها انهارا تشرع ايتام المساكين
فيها وقد كللت بكسر اللحم

(٧٨) لزاز يقال رجل لزاز الخصوم أي يلزبهم ان يقرن ليقهرهم . يقول: اذا اجتمعت جماعات القبائل فلم يزل يسودهم رجل منا يقمع الخصوم عند الجدال ويتجشم عظائم الخصام

(٧٩) التغذمر والغذمرة التغضب مع همهمة والهضم الكسر والظلم . يقول: هذا الرجل يقسم الغنائم فيوفر على العشائر حقوقها ويتغضب عند اضاعة شيء من حقوقها ويهضم حقوق نفسه ويريد بقوله ومغذمر لحقوقها اى لاجل حقوقها

(٨٠) الندي الكرم والرغائب جمع الرغيبة وهي مارغب فيه من شيء نفيس او خصلة شريفة اوغيرها . والغنام مبالغة الغانم . يقول : انه يفعل ماسبق ذكره تفضلا ولم يزل منا كريم يعين اصحابه

من معشر سنت لهم آباؤهم
ولكل قوم سنة وامامها (٨١)
لايطبعون ولا يبور فعالهم
اذلايميل مع الهوي احلامها (٨٢)
فاقنع بما قسم المليك فانما
قسم الخلائق بيننا علامها (٨٣)
واذا الامانة قسمت فى معشر
أوفى بأوفر حظنا قسامها (٨٤)
علي الكرم اى يعطيهم مايعطيه جواد يكسب رغائب المعالى ويغتنمها

(٨١) يقول : هو من قوم سنت لهم اسلافهم كسب رغائب المعالى واغتنامها ثم قال ولكل قوم سنة وامام يأتمون به

(٨٢) الطبع تدنس العرض وتلطخه والفعل طبع يطبع . و (البوار) الفساد والهلاك . والفعال الفعل جميلا او قبيحا يقول لاتدنس اعراضهم بعار ولا تفسد افعالهم اذ لاتميل عقولهم مع اهوائهم

(٨٣) يقول فاقنع ايها العدو بماقسم الله تعالى فان قسام المعايش والخلائق علامها . يريد ان الله تعالى قسم لكل انسان ماستحقه من كمال ونقص ورفعة وضعة

(٨٤) المعشر القوم . وأوفى ووفي كل

فبني لنا بيتا رفيعا سمكه
فسما اليه كهلها وغلامها (٨٥)
وهم السعاة اذا العشيرة أفظعت
وهم فوارسها وهم حكامها (٨٦)
وهم ربيع للمجاور فيهم
والمرملات اذا تطاول عامها (٨٧)

ووفر . والوفور الكثرة. وبأوفر حظنا أي بأكثر حظنا. يقول: واذا قسمت الامانات بين أقوام وفر وكل قسمنا من الامانة اى نصيبا الاكثر منها

(٨٥) يقول : بني الله تعالى لنا بيت شرف ومجد عالى السمك اى السقف فارتفع الى ذلك الشرف كهل العشيرة . وغلامها. يريد أن كهولهم وشبابهم يسمون الى المعالى والمكارم

(٨٦) السعاة جمع الساعي وأفظعت أصيبت بأمر فظيع . يقول : اذا أصاب العشيرة أمر عظيم سعوا في دفعه وكشفه وهم فرسان العشيرة عند قتالها وحكامها عند تخاصمها . يريد رهطه الادنين

(٨٧) أرمل القوم نفدت أزوادهم . يقول: هم لمن جاورهم وللنساء اللواتى نفدت أزوادهم ربيع لعموم نفعهم واحيائهم اياه بجودهم كما يحيي الربيع الارض . وهم

وهم العشيرة ان يبطيء حاسد
أو أن يميل مع العدو لئامها (٨٨)

المعني أنهم لمن جاورهم وللنساء اللواتي نفدت أزوادهن بمنزلة الربيع اذا تطاول عامها لسوء حالها لان زمان الشدة يستطال

(٨٨) يبطيء حاسد اي كراهية ان يبطيء حاسد بعضهم عن نصر بعض أو كيلا يبطيء حاسد بعضهم عن نصر بعض وكراهته ان يميل لئام الشعيرة واخساؤها مع العدا ويظاهر الاعداء على الاقرباء.

﴿ لبس ﴾ عليه الامر يلبسه لبسا خلطه . و (لبس الثوب يلبسه لبسا) وضعه على جسمه . و (لبّس عليه الامر) خلطه . و (لابسه ملابسة) خالطه . و(لابس الامر) زاوله . و (ألبسه) غطاه و (تلبّس بالامر أو بالثوب) اختلط به و (اللباس) مايلبس جمعه ألبسة. والزوج والزوجة يقال لكل منهما لباس للآخر . و (اللبْس) الخلط و (اللبس) مايلبس جمعه لبوس. و (اللبسة) هيئة اللبس. و (اللبْسة) الشبهة. و (اللبوس) مايلبس . و (الملبَس) مايلبس

﴿ الملبس ﴾ بحسن بنا تحت هذا

العنوان أن نأتي على نبذة صحية في امره .

الملبس هو الحاجة الثالثة للانسان بعد الشرب والاكل، وهو على شدة ضرورته وتأثير شكله على الصحة يذهب فيه أكثر الناس مذهبا لايتفق مع علم الصحة ولا مع الغرض الذى وضع هو لاجله فنجمل الكلام عليه فيما يلي :

كثير من الناس يحتملون الامراض لاجسامهم بسوء ملبسهم فقد يشاهد كثير منهم يركمون على اجسادهم من الملابس مالاتستدعيه حال الجو ظنا منهم أن ذلك يحميهم عوادي البرد، وهم في ذلك واهمون فقد ثبت أن الاكثار من الملابس لايدفع مرضا ولا يمنع عرضا مادام لم يراع العلم فيها

فان الامراض الخطيرة الشأن كالروماتيزم والتهابات الرئتين، والاضطرابات الهضمية وامراض القلب واوجاع الرأس وآلام الصدر الخ كلها قد تتأتي من التشدد في التدثر بالملابس الكثيرة ولبيان ذلك نقول :

خلق الله الجسم وجعل فيه ثقوبا صغيرة يقال لها المسام احصاها العلماء، فبلغت نحو ٢٤٠٠٠٠٠ وظيفتها افراز العرق والغازات المختلفة . وليس هذا العرق الا افرازاً يحتوي على كثير من المتحصلات السمية التي تتخلف من الاطعمة من هلاك عدد لايحصي من الخلايا الجسدية التى بادت بحركة الحياة وصار خروجها من الدم ضربة لازب والا بقيت فيه وأحدثت اضطرابا عظيما في البنية . ألا ترى أن التعريق يشفى كثيراً من أنواع الحمى وأمراضا أخري الامر الذى يدل دلالة واضحة على خطورة وظيفة هذه المسام الجسدية ؟ فاذا أهمل الانسان العناية بأمر هذه الفتحات فتركها تنسد بالدهن الذي يفرزه الجسم ولم يتعهدها بما يزيله من الغسل بالصابون والدلك بالماء قصرت عن أداء وظيفتها فحدث من وراء ذلك اضطراب في الصحة ينجم عنه كل ماقدمناه من الامراض فيسرع المصاب الى تلمس الصحة بالعقاقير وهو غافل عن السبب الاصلي للمرض وهو اهماله أمر الصحة الجلدية فلا تجديه تلك العقاقير نفعا

الملابس الكثيرة التي لايراعي فيها العلم الصحي مما يساعد على منع المسام عن أداء وظيفتها فتكون سببا فى تلك الامراض أيضا

اذ تقرر هذا فما هو الملبس الصحي الذى يحمينا شدائد الحر والبرد ولا يمنع المسام من أداء وظيفتها ؟

يجيب علماء الصحة على هذا السؤال بقولهم ان كثرة الملابس ليست وسيلة محمودة للتدثر للسبب الذى ذكرناه آنفا وهو تعطيل مسام الجلد عن أداء وظيفتها ويقولون ان احسن وسيلة للتدثر هو ايقاظ الحرارة الغريزية للجسم بتعهد الجلد بالغسل يوميا بماء فاتر ولا يراد بالغسل المكث في الحمام مدة طويلة بل بدلك الجسم كله بفوطة خشنة مبتلة مدة لاتزيد عن دقيقتين او ثلاث. ثم تجفيف البدن جيداً وأرداف ذلك بحركات رياضية مناسبة كتحريك الذراعين حول العضد ، والساقين حول مفصلها العلويين على حالات شتي ، وثني الجسم وتقويمه علي نظام خاص مدة لاتزيد عن ربع أو نصف ساعة

بهذه الواسطة ينتشر الدم فى الجلد فتتولد فيه مناعة طبيعية دافعة لافاعيل البرد لامناعة صناعية كما يحصل من التدثر بالملابس

أما الاعتماد على الملابس وترك الجلد خاليا من الدم بعدم تعهد الاعضاء بالحركة فطريقة تؤدي بالانسان الى كثير من المضار أقلها صيرورة الانسان قابلا للتأثر بأقل تيار من الهواء يصيبه فى وقت من الاوقات

وفى النظر لحالة العملة من الصناع والزراع عبرة لمن يريد الاعتبار فانهم لا يلبسون من الملابس مايتعدي الشعار والدثار المصنوعين من القطن بل منهم من ليس علي صدره شئ وهم مع ذلك متمتعون من الحرارة الغريزية بما لا يتمتع به ساكنو القصور في حجراتهم الموصدة وحول مواقدهم المتأججة

العلة في ذلك ان العملة بتحريكهم اعضاءهم بالعمل يولدون فيها حرارة غريزية كافية لمقاومة برد الجو المحيط بهم فيتمتعون بالدفء الذاتي الذي يحميهم غوائل الطبيعة ولكن الاغنياء يهملون استثمار ذلك الينبوع الحرارى الطبيعى الكامن فى أجسادهم ويعمدون الى اعاضته بالملابس والمدافئ فيشبهون الزمني والعجزة ويتعرضون بذلك لفعل التيارات الهوائية متي لاح لهم عمل خارج بيوتهم فلا يكاد يغادرهم الزكام طول فصل الشتاء

لايجوز أن تختلف ملابس الشتاء عن ملابس الصيف الا في منسوجاتها فيجب أن تكون في الشتاء من الصوف وفي الصيف من القطن فان للصوف خاصة التدفئة بطبيعته ناهيك انه اللبوس الذي اختاره الله للحيوان الاعجم فهو والحالة هذه أليق الملابس بالاجسام الحيوانية

هنا يجب ان ننبه ان الانتقال من عادة اكثار الملابس الى هذه الطريقة الصحية لايجوز أن يكون الا تدريجا تفاديا من حدوث برد او زكام على ان الطبيعة ذاتها أكبر هاد للانسان الي ما يجب عمله فانه متي بدأ فى الاعتناء بصحة جلده من تعهده بالدلك والماء الفاتر ثم البارد زادت حرارته الغريزية وأحس بدفء طبيعي ونشاط يحمله على ترك طبقة او طبقات من ملابسه الاعتيادية

﴿رأى الدكتور (ايخلر) في الملبس الصحي﴾

كتب الدكتور ايخلر الالماني مقالا في موضوع الملبس نقله عنه الاستاذ (بلز) في كتابه الطب الطبيعي ننقله عنه قال:

يجب الالتفات أولا الى هذا الامر وهو انه ليس الحامي لنامن البرد هوالقماش المنسوج من مادة خاصة ولكن السر في التدفئة يعود الي طريقة صنعه وأسلوب نسجه، فانالثوبالثقيل الصفيق لايحمينا من البرد بقدر مايحمينا منه ثوب رقيق واسع النسيج لانه ليس الثوب هو الذي يوجد لنا الدفء بل الطبقة الهوائية التي توجد بين الجسم وبينه . هذه هي الحقيقة الاولية فى قانون الملبس فلا يجوز نسيانها فالملابس مهما كانت غليظة اذا لم تحفظ طبقة من الهواء بين جسمنا وبينها تفقدنا الحرارة الجسمية اولا فأولا

فالكساء لايكون مدفئا الا علي قدر ماتكون وبرته الداخلةمكونة لخزانةهوائية ولم تكن قد تحلت بالاستعمال . فالصدار الجديد من الصدف يدفيء اكثر من صدار آخر قد ذهب وبره. والفراء لا تدفيء الا لان صوفها يخزن كمية كبيرة من الهواء.

الملابس التي تلى الجسد مباشرة وظيفتها هامة جداً في أمر التدفئة فيجب أن تترك محلا لطبقة من الهواء أى أن لا تكون لاصقة بالجلد.هذه الطبقةمن الهواء لاتمنع فقط الفقد السريع للحرارة بل تحيط الجسم أيضا بدرجة منها ثابتة . ويكون المحيط الهوائى الذى يتنفس فيه

الجسم دفئا وثابتا على قدر مافيه من طبقات الهواء. ولذلك نجد ان عدة أقمصة خفيفة واسعة النسج تدفيء أكثر من ثوب واحد مهما كان ثخينا

والافضل تعويد الجسم على أن يستغني عن الصدار الصوفي والحريري . وان كره ذلك الذين تضطرهم أعمالهم الى الجلوس عدة ساعات في مكان موصد

الملابس الداخلة يجب أن تكون قابلة لتعدية السوائل وتكون الملابس الخارجة غير قابلة لتلك التعدية حتي لا تمتص رطوبة الجو فيحدث من تبخرها برد عظيم

ويرى الدكتور (ايخلر) انه يمكن جعل الملابس الخارجة غير قابلة لامتصاص الماء بتشبيعها بالمحلول الآتي وهو : ١٠٠ جزء من الماء و٣٠ جزء من الشب و٤٩ جزء من اسيتات الرصاص و٣ أجزاء من الجلاتين

هذا المحلول قليل الثمن ولكنه يجعل الثوب الخارجي غير قابل لامتصاص الرطوبة عدة سنين فيترك الرطوبة تسيل عليه كما يتركها ريش الطيور

فاذا أوجزنا نتيجة المباحث على مسئلة الملابس تحصل لدينا ما يأتي وهو : ان الملابس يجب ان تتكون من نوعين من الاقمشة تكون طبيعتاهما متناقضتين فيجب ان يكون منسوج الالبسة الداخلة التي تلي البدن واسعًا ويصلح لامتصاص السوائل التي تنفرز من الجلد. وأما الملابس الداخلة الملامسة للهواء الجوي فيجب أن تكون على العكس ذات منسوج ضيق وغير قابلة لامتصاص الرطوبة . ويجب ان يكون الصنفان رديئي الايصال للحرارة وحسَنَيْ الايصال للهواء . فالذين يجعلون ملابسهم على هذه القاعدة يتقون خطر تغيرات الجو

﴿ لبق ﴾ الرجل يلبَق لَبَقا . ولبُق يلبُق لَبَاقة حذق . و (اللَبِق واللَبِيق) اللين الظريف .و (رجل لَبِق) اي حاذق

﴿ لبك ﴾ الشيء يلبُكه لبكا خلطه و (لبِك الامر) يلبَك لبَكا اختلط . و (لبَّكه) خلطه . و (تلبَّك) تلبس . و (الْتَبك) اختلط

﴿ اللبن ﴾ هو السائل المغذي الابيض الذي ينفرز من ثدي المرأة وأناث بعض الحيوانات لتغذية صغارهن في أدوار الطفولية الاولى . و (ألبن القومُ) كثر لبنهم. و (اللَبَان) الصدر . و (اللِبان)

الرضاع. و (اللُبان) هو الكندر انظر كندر . و (اللُبان) الحاجات جمع لُبانة و (اللَبِن) المضروب من الطوب واحدته لَبِنة

﴿ اللبن ﴾ هو سائل ابيض معتم حلو الطعم مقبول جداً ينفرز من الغدد الثديية لاناث ذوات الثدى عند خروجه من الثدى تكون فيه عطرية خاصة وهي آتية من وجود حوامض فيه

وهو مكون من مادة ملحية ومادة حمضية وثلاث قواعد توجد فيه اما محلولة او على هيئة مستحلبية اعني الزبد والجبن وسكر اللبن. ومقدار هذه الجواهر يختلف كثيراً كقوام اللبن وطعمه وغيرهما. وكما يختلف اللبن باختلاف الحيوانات يختلف أيضاً في النوع الواحد باختلاف الاقاليم والفصول والامزجة والممارسة وجنس التغذية وغير ذلك. ويقال ان بعض النساء ان انتقلن من الاقليم الذي يقمن به الي اقليم آخر تغير تركيب لبنهن وصار ملحا لا يصلح لتغذية الاطفال

وذكر بعض المؤلفين ان لبن البقرة فى بلاد التتار خال من الدسم بحيث لا يستخرج منه زبد . ولذا كان لبن الفرس هناك أجود منه

وذكر غرونيير كلبة كان يتجمد لبنها وحده ويخرج منه زبد اذا تغذت بأغذية نباتية ويصير قلويا خاليا من الزبد اذا تغذت بمواد حيوانية

وقد عرف ان النباتات الصليبية والثومية تعطي طعمها ورائحتها للبن الحيوانات وان البازلة الخضراء تعطيه ذوقا خاصا . ويلونه البقم باللون الاحمر ولذلك يؤثر عليه الزعفران. وقد يتلون لبن البقرة بالزرقة ويكون ذلك ناشئا من المواد الغذائية التي تتعاطاها وعلم ان النباتات المسهلة تجعل لبن الاناث مسهلا

بل ذكروا ان لبن البقرة الواحدة قد تعتريه تغيرات واضحة فى أزمنة مختلفة من النهار ، وقد يكون ذلك من تأثير التغيرات الجوية فقط. وقد يتفق فى الحلبة الواحدة ان الجزء الاخير من اللبن يكون اكثر تحملا للزبد فيكون أخف من الجزء الاول . ولذا يجب اختيار ما يناسب منه سواء أخذ للتداوى او التغذى

فأول شروط صلاحيته ان يكون مأخوذا من حيوانات سليمة متغذية من الحشيش

الطرى مرباة فى زرائب خارجة من المدن نظيفة جيدة الهواء

وأجود لبن البقر هو ماأخذ من بقر عمرها من ٣ الى ٤ سنين وبعد أن تلد بثلاثة أشهر . ووقت جنيه الصباح من أيام الربيع

واللبن الذى يباع بالمدن يكون متغيرا عن حالته الطبيعية لانتزاع الباءة قشدته ومده بالماء وكثيراً مايغشونه بالدقيق أو بياض البيض او عصارة عذبة لاخفاء الغش الاول اى نزع القشدة منه ولكن الذوق يكشف ذلك

ولقبول اللبن في الثدى للتغير يمكن الاستفادة من ذلك لتحويله الي تركيب نافع لبعض الاحوال المرضية . فيمكن اعطاء المراضع الاغذية المناسبة لحالة مرض الجنين ومنعها عن الاغذية المخالفة لها حتي يجيء اللبن نافعا للطفل غير ضار به . ومما اشتهر من ذلك منع المراضع عن أكل الاثمار الفجة والكرنب والقرنبيط لان اللبن مع هذه المآكل يسبب القولنجات للطفل وقد يعطين مسهلات اذا أريد اسهال رضيعهن ، ويعرضن للعلاج الزئبق لاجل شفاء أولادهن من الزهرى وشوهد أيضا اكتساب اللبن خواص السم بأكل الحيوانات نباتات سامة أو تعاطيها أغذية كانت موضوعة في أوان من النحاس وغير ذلك

(الصفات الكيماوية للبن) اللبن يحمر صبغة عباد الشمس وهو أثقل من الماء ويمتزج به ويتجمد على البارد ويتجمد على الحرارة بأى حمض كان وهذه ظاهرة تنفع لتحضير مصل اللبن . وتفعل مثل هذا الفعل أيضا الاملاح الحمضية ولاسيما زبدة الطرطير وكبريتات النوشادر وأدركلورات النوشادر والكحول والاتير المائى وكثير من جواهر حيوانية تستعمل لتحضير الجبن كالانفحة (المنفحة) الغشاء الباطن لقوانص الطيور

واللبن الحار يتجمد أيضا اذا شبع بالسكر أو الصمغ . ولكن اكثر الاملاح المتعادلة الاخرى على العكس لايحصل منها تغير لطبيعة اللبن . والقلويات وروح النوشادر تبعد تجمده وانما تحل جبنه متى فصلته منه . ومعرفة هذه الخواص نافعة للاطباء ولبيوت تحضير العلاجات

واذا عرض اللبن للهواء ولاسيما اذا كانت درجة الحرارة لطيفة فانه يتغطي

حالا بطبقة مصفرة يختلف ثخنها ثم يتكون تحتها بعد قليل جسم متجمد يسبح في المصل وبالجملة ينفصل اللبن الى ثلاثة أشياء مختلفة يمكن عزلها وهي القشدة والجبن والمصل

واذا وضع اللبن في أوان مسدودة وفي حرارة من ١٨ الي ٢٠ درجة من مقياس ريومور فانه يحصل فيه تخمر بطيء فيتكون فيه غاز الحمض الكربوني ويجمد ويحمض وبعد نحو ٢٠ يوما يوجد فيه آثار من الكحول

واللبن المغلي اسهل حفظا من اللبن العادى فانه اذا تبخر على نار هادئة خرج منه ماء ذو رائحة ويتحول الي نوع من العجين يحلي ويعطر ليوضع في أنواع من الفطير

ولبن البقر وان كان كثير الشيوع في اوروبا الا انه يستعمل في كثير من البلاد ألبان أخرى تستخرج من الغنم والمعز والحمير والجاموس ويؤخذ اللبن في امريكا من حيوان اسمه فيجونيو وفي بلاد الفرس وبلاد العرب والشام يؤخذ اللبن من النياق وجميع هذه الالبان تختلف طعما ولونا ورائحة وقواما وتركيبا وان كانت مكونة من قواعد واحدة

والغالب أن لبن الحيوانات المجترة كالبقر والمعز والغنم يكون اكثر تحملا للاجزاء الجبنية وأقل سكرية (أى سكر اللبن) من لبن النساء والحيوانات غير المجترة كالحمير والافراس وهاهي الصفات المميزة لكل من تلك الالبان

(لبن الضأن) أثقل من لبن البقر وأقل مصلا وأكثر زبداً أو لبنا وذوبانا ويحتوى أيضا على جبن أكثر دسما ولزوجة ولا يتكون منه خلط منعقد وفيه قليل من سكر اللبن وايدروكلورات البوتاسا والكلس والنوشادر ووجد فيه بالتحليل الكيماوى ١١٫٦ من القشدة و٥٫٠ من الزبد و٩٥٫٤ من الجبن و٤٫٣ من سكر اللبن ويعمل منه جبن مقبول جدا

(لبن المعز) كثير الشبه بلبن البقر ويختلف عنه في الرائحة الخفيفة للتيس في كونه أكثر منه قواما وقشدته أقل تحملا للزبد وجبنه أكثر ولزوجته أكبر من لزوجة الضأن وزبده أصلب وأشد بياضا ومصله يحتوى علي سكر اللبن وايدر كلورات الكلس. وقد ظهر بالتحليل ان فيه ٨ من القشدة و٤٫٦ من الزبد و٩٫٢ من الجبن

و٤ر٤ من سكر اللبن

(لبن الانسان) أخف من لبن البقر وأقل قواما منه وفيه جبن أقل ولا يتجمد بالحوامض الضعيفة وطعمه أحلى وأكثر سكرية لان فيه مقداراً كبيراً من سكر اللبن والقشدة ويندر أن يخرج منه زبد ويحتوي على ايدروكلورات الصودا والكلس وعلى كبريت أيضا

(لبن الحمير) يستعمل الاوربيون هذا اللبن وهو يقرب من لبن النساء غير انه يحتوي على قشدة أقل وجبن أكثر ولذا كان أكثر تجمدا

(لبن الفرس) متوسط بين لبن النساء ولبن البقر وقشدته لاتعطي زيدا والحوامض ترسب منه الجبن على شكل ندف صغيرة . وقد وجد فيه بالتحليل ايدروكلورات النوشادر وجسم شبيه بكبريتات الكلس وهذا اللبن يصنع منه في بلاد التتار النبيذ المسمى كومس وهو سائل عذب الطعم لذاع

(استعمالات اللبن) اللبن غذاء الاطفال الطبيعي ولكن الكبار اعتادوا تعاطيه تغذيا وتداويا لخفته واحتوائه على جميع مقومات الجسم

من خواصه العلاجية انه يهيء للسمن ويلطف الفاعلية العضوية فيحمل على الظرف وهدوء الشهوات . واذا جمع اللبن مع الدقيق والبيض والسكر كان قاعدة لكثير من الاطعمة الكثيرة الاستعمال ولا تتغير بذلك صفته الملطفة . أما اذا ضم للشاي أو القهوة والشكولاتا أو نحو ذلك من الجواهر الاخر العطرية أو الكحوليات فان تأثيره يتنوع تنوعا كبيرا

ثم ان التغذية اللبنية تكون أساسا علاجيا لآفات الصدر والطرق الهضمية والمثانة وتكون ملطفة في أغلب الآفات العصبية وأمراض الجلد وفي الآفات المزمنة المصاحبة لقابلية تهيج قوية . ومدحوها أيضا في النقرس وفي الآفات الروماتيزمية والبول السكرى واليرقان. ولا يخفى نتائجها الجليلة النافعة فى التسممات بالجواهر الاكالة اما كلطافة واما مضادة للسموم كما في بعض الاحوال

ولكن الخاصة المغذية التى في اللبن على أعلى ماتكون تمنع من استعماله فى الاحوال التي يؤمر فيها المريض بالحمية القاسية غير انه اذا مد بماء كثير جاز أن يعطي كمشروب مرخ حتي فى بعض الحميات

الحادة

ثم يظهر ان كل نوع من أنواع الالبن يناسب أحوالا خاصة وان كان كل منها يقوم مقام الآخر عند الحاجة فيشاهد على وجه عام أن ألبان الحيوانات المجترة أقل خفة من ألبان النساء والفرس والاتان فهي مفضلة متي أريد تسكين التهيج الالتهابي او العصبي بدون ارادة تغذية المرضي تغذية كثيرة. ولبن الماعز ولاسيما اذا تغذت بحشائش عطرية اقل ارخاء من الالبان الاخر واحسن انهضاما بل كأنه مقو وهو الذي يستعمل غالبا في الارضاع الصناعي فيعطي للاطفال زيادة حيوية . ولبن النعاج أكثر زبداً من غيره وأقل مصلا وسكرية فهو كثير التلطيف ولذا يؤمر به الشيوخ الذين أليافهم متيبسة ولبن النساء الذي يحتوى على كثير من سكر اللبن مناسب بالاكثر لاحوال الذبول والهبوط الناشئين من الافراط في الشهوات وفي السل الرئوى وان منعه فيه بعضهم خوفا من العدوي اذا باشر المريض مصه من الثدى بنفسه . ولبن الاتان عند من لا يتحاشاه يناسب ايضا في تلك الاحوال ويستعمل بالاكثر مسكنا سواء في معالجة

هذا الدواء الاخير ولا سيما اذا تقدم الداء يسيراً أو في علاج الاحتقانات البطنية أو في نقاهة الامراض الضعفية التي تستعمل فيها أنواع الالبان. ولبن الفرس الذى هو أخف من لبن النساء والاتان كثيراً ما يختار لذلك اذا سهل وجدانه . وهو علي رأي بعضهم دواء في بعض الحال للديدان المبرومة مع ان بعض العلماء نسب لافراط الاغذية اللبنية تولد هذه الحيوانات وتضاعفها

وأما لبن الحيوانات التي تتغذي باللحم فلم تعمل عليها تجارب حاسمة

وكثيراً مايستعمل اللبن كمضامض وغراغر في الخناقات وزرقات وحقنا في التهابات الامعاء والبواسير والاغشية المخاطية الباطنية وكمادات سواء بخرق تغمس فيه أو بوضعه فى مثانة توضع علي الصدر أو البطن أو غيرهما رجاء نفوذ تأثيره المرخي أو الملطف الى الاعضاء المحوية فى تلك التجاويف . ويستعمل حمامات موضعية أو عامة ويكون خالصا اومخلوطا بسوائل أخر فيكون ملطفا أو مرخيا أو مسكنا أو محسنا او غير ذلك. ويضم الى لباب الخبز أو الي أدقة مختلفة لتتكون منه ضمادات

مرخية توضع على الوجه أو الثدي أو غير ذلك من الاجزاء التي جلدها لطيف المزاج ولكنها تحمض بسهولة فيلزم تجديدها كثيرا وكثيرا مايجمع لاجل ذلك مع جواهر لعابية اومخدرة أو زعفران ويتكون منه مع الجواهر المنومة مطبوخات وضمادات مضادة للديدان وغير ذلك

واللبن يكون غالبا قليل المناسبة للضعفاء او الذين بنيتهم بالطبيعة رخوة لينفاوية معرضة للخنازير او مصابة بهذا المرض والذين أحشاؤهم البطنية محتقنة ونحو ذلك ولا يناسب استعمال اللبن فى الالتهابات الحادة والأنزفة القوية والحميات الصفراوية والمخاطية والعفنة وعموما في جميع أنواع الحمي ولا سيما النقي اوالقليل الامداد بالماء. ومع هذا فيندر ان يوجد فيه جميع الاخطار التي اتهموه بها

واذا ساء هضم اللبن ونتج منه غثيان وقولنجات واسهال ونحو ذلك فيعالج على حسب الاحوال بالكينا أو بمستحضر حديدى أو يضم منقوع عطرى قليلا اومرا أو ماء حديدى وعلى الخصوص بتحت كربونات المغنيسيا او ماء الكلس اليه وكذا اذا تيسر تحمله جاز مع طول الزمن ان يحرض نوعا من التلبك المعدى أو البطني ويجب منع استعماله أو يستعمل مقيء خفيف أو مسهلات من المغنيسيا المكلسة أو الراوند

نسب بعضهم للبن القلاع الذي يعترى أفواه الاطفال الصغار لطول مكث لبن الام وحموضته فيها ولكن ذلك لم يثبت

(مصل اللبن) هو سائل صاف مخضر وطعمه عذب مقبول يستخرج من اللبن المأخوذة قشدته فيكون تسعة أعشاره تقريبا ويتحصل عليه بواسطة تجمد جبنه وهو مركب من سكر اللبن وأملاح هي ايدروكلورات البوتاسا وفوسفات الكلس وفيها حمض زبديك وخليك ولبنيك

والمصل الحاصل بنفسه من تجمد اللبن بذاته عند تحضير الجبن مقبول للذوق حمضى. وأحسن المصل ما يعمل في الارياف حيث يكون اللبن المجهز له نقيا وأعلى صفة من مصل لبن البقر المحبوس في المدن

قال بوشارداه أحسن طريقة للحصول على المصل هي ان يؤخذ من لبن البقر لتر واحد ويغلى ثم يضاف له شيأ فشيأ مقدار كاف من محلول مصنوع بجزء من

الحمض الطرطيري و٨ غرامات من الماء فاذا حصل التجمد جيدا على النار مع نصف بياض بيضة تحل اولا فى ملاعق من الماء البارد يصفى مع العصر ثم يوضع المصل البارد ثم تضرب نصف البيضة فيها ويوصل بذلك لدرجة الغليان ثم يصب فيه قليل من الماء البارد لاجل خفض درجة الغليان ثم يصفي من منخل ويرشح من ورقة غسلت قبل ذلك بالماء المغلي. ويمكن انعقاد اللبن بحوامض اخري

(خواص المصل) استعمال المصل في العلاج قديم فان فيه خاصة مرخية تظهر في حالة الصحة والمرض. وبما انه حمضي قليلا لعابي ملحي فيستعمل للترطيب وتسكين العطش والتهيج في الحميات المحرقة وليعين علي الاستفراغات الثفلية والبولية. ومع ذلك فقد يحصل منه امساك لبعض المرضي. ويستعمل ماطفا ومرخيا بل ومسكنا في الامراض الحادة عامة ولا سيما الحميات الصفراوية والالتهابية والتهاب الاعضاء الهضمية والرئوية والجلدية وغيرها

ومدح بعضهم استعماله شربا وحقنا في الدوسنطاريا المستعصية وكثيرا ما يعطي ايضا محللا ومنتجا وكغذاء عذب قليل الجوهرية في كثير من الآفات المزمنة والالتهابات البطيئة في الطرق الهضمية واحتقانات الاحشاء البطنية ولا سيما الكبد والايبوخندريا وغير ذلك من الآفات العصبية والحفر حيث جعله بمان احسن علاج له وفي أمراض الصدر بل السل نفسه

والعادة ان يأمر بالمصل فاتراً بمقدار رطل او رطلين في اليوم ويستعمل بالاكواب ولا سيما فى الصباح على الخلاء وخصوصا في الربيع فيعطى منه كوب في كل ساعتين واحيانا على المصل بشربات كشراب زهر البرتقال وكزبرة بيرو ونحو ذلك. واحيانا اخري يساعد فعله المرطب بشراب الليمون وعنب الثعلب ونحو ذلك ويقوى فعله المدر للبول باضافة قليل من ملح البارود أوزبدة الطرطير او خلات البوتاسا او نحو ذلك عليه

ويقوى فعله الملين بشراب البنفسج وشراب زهر الخوخ او درهم من الملح النباتى أى طرطيرات البوتاسا او المن او حب التمر هندى او نحو ذلك

ويقوى فعله المحلل والمفتح بخلطه بعصارات منقية من النباتات المرة او المضادة للحفر او العطرية او نحو ذلك

(ملخص من المادة الطبية)

(اللبن الحامض) هو ما يتولد من الاختمار بخميرة اللبن المعروفة بالروبة . وكيفية تحضيره ان تمزج ملعقة لبن مع ثلاثة فناجين حليب قبل الاغلاء ثم يغلى الحليب وبعد ما يبرد ويصير على حرارة ٢٥ او ٣٠ تضاف اليه الروبة وتمزج به مزجا جيدا ويغطي الوعاء ويلف بقماش ويوضع في محل دفيء مدة ١٢ ساعة فيصير بعدها كتلة متجمدة علي سطحها طبقة من القشدة

(خواصه الطبية) هو غذاء خفيف جدا سهل الانهضام يقبله المريض اكثر من الحليب وهو عظيم النفع فى أمراض المعدة والامعاء وفي الاسهال المزمن ويقوم مقام الحليب في الظروف التي يعسر فيها هضمه

وقال العلامة الاستاذ متشنيكوف الروسي تلميذ العلامة الكبير باستور ان الانسان لايموت قبل بلوغه السن الطبيعي الذي حدده له بثلاثمئة سنة الا من مساورة الميكروبات له في امعائه الغلاظ وامتصاصها لحيويته شيئا فشيئا . قال وقد اكتشف لتلك الميكروبات عدواً لدوداً يشن عليها الغارات الشعواء فيبيدها وهذا العدو هو الميكروب النافع المسبب لاختمار اللبن الحامض . ومما يؤثر عنه في ذلك انه قال :

«كل اللبن الحامض وعش الى الابد»

فيجب على الشيوخ والحالة هذه او من كانوا على أبواب الشيخوخة أن يكثروا من اللبن الحامض ولكن يجب ان يكون ذلك اللبن نقيا ومعمولا من الحليب الخالص من الشوائب والاولي عمله في البيوت علي الطريقة التي ذكرناها هنا

﴿ كيف يغش اللبن الباعة ﴾

أصبح اللبن من اكثر المواد الغذائية شيوعا بين الناس وهو بهذا الاعتبار يستحق من عنايتهم مالا يستحق سواه . وقد أعجز رجال الصحة مراقبة باعة اللبن رغما عن العقوبات المترتبة على غشه، فلم يبق الا توجيه نظر الناس الى مضار هذا الغش لعلهم يعملون على توقي شره

المادة التي يغش بها اللبن هي الماء ، وقد ظهر أخيراً ان الماء في بعض فصول السنة ولا سيما المستقى من الاماكن القذرة يكون حاويا لاصناف عديدة من الميكروبات الحية ولا سيما الحمي التيفودية

الخبيثة. وباعة اللبن عندنا لا يعرفون مبلغ هذا الضرر على صحة الناس، بل لا يهمهم مرض الناس أو صحوا ماداموا هم يحصلون على دراهم معدودة من وراء الغش . فتراهم يضيفون على ألبانهم من المياه الراكدة القذرة حين يأمنون الرقباء

وفي البلدان التي تشدد مصلحة الصحة في مراقبتهم ينتهزون فرصة خروجهم من نطاق المراقبة فيعمدون الى اضافة الماء على اللبن بدون نظر لمصدره حتى ولو كان مستقى من الاحواض التي تشرب منها الحيوانات وقد رأى بعض اصحابنا امرأة تمد لبنها بماء تستقيه من حوض صغير عمل بجوار جدار بيت لبل ظمأ الكلاب الضالة فقدر بعد هذا مبلغ ما يصيب الناس من المضار الفادحة بسبب سريان ميكروبات هذه المياه القذرة الى احشائهم

ولقد غصت كتب العلم ومجلاته بمباحث الباحثين فى الامراض التي يجرها الانسان على نفسه بتعاطيه اللبن فكان مجموع ذلك يخيف المطالع وربما حمله على هجر اللبن بتاتا

كتب العلامة (هنرى دوفاريني) ف المجلة العلمية الفرنسية بحثا فى هذا الموضوع ذكر فيه انه حدثت في قرية واحدة خمسة وثلاثون اصابة بالحمى الحصبية موزعة في أربعة وعشرين بيتا فلما بلغ الخبر الحكومة جدت في البحث عن علة هذا الامر فوجدت ان جميع هؤلاء المصابين تعاطوا لبنا من محل واحد وان اللبانة التي حلبت لهم هذا اللبن كان لها طفل مصاب بتلك الحمى . فظهر السبب واضحا فى اصابة جميع هؤلاء الناس دفعة واحدة وهو ان تلك الحالبة ذات الولد المصاب كانت يداها وثيابها ملوثة بهذه الميكروبات فعلق باللبن منها شيء وسري الى الشاربين

رب قائل يقول اذا كان الامر كذلك فلم لم تصب الام بتلك الحمى . نقول لا يصاب بمرض الا من استعد له فربما تلوث المرض بميكروب مرض ولم يتأثر به ولكنه ينقل ذلك الميكروب الي المئين من الناس فيصاب به العشرات منهم

وقد أثبت العلامة هوار *Huart* بأن اللبن هو السبب فى اصابة ٥٠ في المئة من الذين يمرضون سنويا بالحمى التيفودية و١٤ في المئة من الذين تنتابهم الحمى الحصبية و٧ في المئة من الذين تعتريهم

الدفتريا

وذهب هذا العالم الى ان السبب في تلوث اللبن بميكروبات هذه الامراض هو الماء الذي يضيفه الباعة اليه . وقد يكون مصدر تلك الميكروبات اللبن نفسه أحيانا فقد تكون البقرة مصابة بالسل أو بغيره وقد تضاربت آراء الباحثين حول مسئلة انتقال أمراض البقر الى الناس او عدم انتقالها اليهم. ولكنهم أجمعوا على ضرر لبن الابقار المرضى وعلى عدم جواز تعاطيه . وما اكثر عدد هذه الابقار وأشد عناية باعة اللبن باخفائها عن الاعين . فالوسيلة الوحيدة لاتقاء أكثر مضار اللبن هو اغلاؤه قبل تناوله ،وان كان هذا لاخلاء يضيع كثيرا من قيمته الغذائية

اكبر انواع غش اللبن هو اضافة الماء اليه وانتزاع قشدته منه ، وخلط لبن اليوم باللبن المحلوب بالامس . وهناك طرق أخرى للغش كاضافة النشا أو الدقيق او بياض البيض اليه

فقد اعتاد اللبانون بأن يأخذوا قشدة اللبن المحلوب وزبدته ويبقى سائل قليل التغذية تفه الطعم. ويا ليتهم يتركونه كذلك بل يزيدونه ميوعة بصب الماء اليه فيضيع بذلك اكثر صفاته

وقد بحث مئة نموذج من اللبن في باريس فوجد ان ٤٠ منها يبلغ ما أضيف اليه من الماء ١٠ في المئة أو يزيد عن هذا القدر ولكن في لوندرة لم يوجد غير ٢٦ او ٢٧ وفي داخل انجلترة لم يوجد غير ٢٠ او ٢٢

وقد كتب حضرة الدكتور بارودي الموظف بوزارة المعارف المصرية والكيماوي مقالا نفيسا في جريدة المؤيد عن غش اللبن وغيره بمصر نأتي على ماقاله في اللبن

« ان اللبن هو الغذاء الوحيد للانسان في اول حياته وهو غذاء المرضي ومن في حالة النقاهة ، ذلك الغذاء الذي يجب أن يكون تحت المراقبة الشديدة هو بكل أسف أكثر مواد الغذاء غشا فبائع اللبن ينزع منه قشدته ويضيف عليه الماء والنشا والدقيق وغير ذلك من المواد التي يضيفونها على اللبن وقد شاهدت بنفسي مرات عديدة جهة مسطرد والقبة بائعي اللبن الذي يجلبونه الي العاصمة واقفين على شاطئ الترعة في البقعة التي تحوى الاوساخ الناشئة عن فضلات الحيوانات وتنظيف الملابس ويبدهم صفائح اللبن يملأونها من ذالك الماء

القذر فربما يكون من هنا وقعت اصابات الحمي في السنة الماضية بحلوان ولا تنس أولئك الذين يقفون بين الساعة السابعة والثامنة في اول شارع عابدين ويجرون عملية الخلط المحزنة

« أما في الاسكندرية فالامر يدعو للراحة والسرور لان المراقبة هناك شديدة جداً بعناية الدكتور جودشاش الذى توصل فعلا لمنع غش اللبن» انتهي كلام لدكتور بارودى

(هضم اللبن) اعتاد أكثر الناس ان يعتبروا اللبن كالماء فيشربونه عبا ظانين أن ذلك جيد متعاطيه . ولكنه قد ثبت الآن أن اللبن اذا لم يختلط باللعاب اختلاطا تاما نزل الى المعدة فتجبن بالحوامض الموجودة فى عصارتها وصار صعب الهضم جدا . وهذا يفسر تضرر بعض المرضى من تعاطيه . فأحسن وسيلة لتعاطي اللبن هي ان يؤخذ جرعا تلاك في الفم حتي تمتزج باللعاب ثم تزدرد فينزل اللبن الى المعدة حاصلا على القدر الكافي من اللعاب لهضمه بمساعدة العصارات الاخرى

وقال بعض العلماء ان اللبن يفيد الاطفال والشيوخ فائدة عظيمة لوجود مايسهل هضمه في معدهم ولا يفيد الشبان ولا الكهول لعدم وجود ذلك المسهل لهضمه في معدهم فالاولى بهم الامتناع عن تعاطيه

ثم ان اللبن مولد للغازات فيجب أن يخلط بقليل من مغلي الانيسون او القرفة او غيرهما من طاردات الغازات والاثقل علي أكثر المرضى وامتنعوا عن تعاطيه لهذا السبب

﴿اللبانة المغربية﴾ هي عصارة لبنية يتحصل عليها من بعض الاشجار تعتبر من المسهلات القوية ومن المقيئات ولكن شدتها منعت استعمالها في العلاج الا من الظاهر فتستعمل محمرة ومنفطة

﴿ابن اللبانة﴾ هو محمد بن عيسي ابن محمد ابوبكر الاندلسي الشاعر المشهور بابن اللبانة

له كتاب مناقل الفتنة ، ونظم السلوك فى وعظ الملوك ، وسقيط الدرر ولقيط الزهر ، في شعر بني عباد . من شعره :

هلا ثناك على قلب مشفق
لترى فراشا فى فراش يحرق
أصبحت كالرمق الذى لا يرتجي
وبقيت كالنفس الذى لا ينحق

وغرقت في دمعي عليك وعمني
طول فهل سبب به أتعلق
او خدعة بتحية مقبولة
في جنب موعدك الذي لا يصدق
انت المنية والمني فيك استوى
ظل الغمامة والهجير المحرق
لك قد ذابلة الوشيج ولونها
لكن سنانك اكحل لا ازرق
ويقال انك ايكة حتي اذا
غنيت قيل هو الحمام الاورق
لو في يدي سحر وعندي رقية
لجعلت قلبك بعض يوم يعشق
ليذوق ماقد ذقت من ألم الهوي
وترق لي مما تراه وتشفق

وقال يمدح المعتمد بن عباد :

بكت عند توديعي فما علم الركب
اذاك سقيط الطل ام لؤلؤ رطب
وتابعها سرب واني لمخطيء
نجوم الدياجي لا يقال له سرب
لئن وقفت شمس النهار ليوشع
لقد وقفت شمس الهوى لي والشهب
هفا بين عصف الريح والموج مثل ما
هفا بين أضلاعي ملوي به القلب

ومنها :

كأني قذي في مقلة وهو ناظر
بها والمجاديف التي حولها هدب

ومنها في المديح :

حوى قصبات السبق عفوا وما سعي
لها البرق خطفا جاء من دونها يكبو
ويرتاح عند الجود حتى كأنه
وحاشاه نشوان يلذ له الشرب
سألت اخاه البحر عنه فقال لي
شقيقي الا انه البارد العذب

وقال أيضا :

في نرجس الاحداق * وسوسن الاجياد * نبت الهوى مغروس * بين القنا المياد

وفي نقا الكافور والمندل الرطب
والهودج المزرور حمين بالقضب
نادى بها المهجور من شدة الحب

أذابت الاشواق * روحي على اجساد * أعارها الطاووس * من ريشه ابراد

كواعب أتراب تشابهت قدا
عضت على العناب بالبرد الاندي

اوصت بي الاوصاب وأغرت الوجـدا
واكثر الاحباب اعدى من الاعـدا
تفتر عن اعلاق * لآلىء افـراد * فيه اللمي محروس * بألسن الاغماد
من جوهر الذكري عطل نحور النور
جاوز به البحـرا وأخرق حجاب النور
وقل له شعرا بفضلك المشهور
جمعت في الآفاق * تنافر الاضداد * فأنت ليث الخيس * وانت بدر الناد
خرجت محتالا ابغى سنا البرق
اقطع اميـالا غربا الى شرق
مؤمـلا حالا يكون من وفقى
فقال من قالا وفاه بالصدق
دع قطعـك الآفاق * يا أيهـا المرتاد * واقصد الي باديس * خير بني حماد
يامن رجا الطـلا وامـل التعـريس
ان شئت ان تحلا بطائل التـأنيس
لا تعتمد الا علي عـلا باديس
من فرقه اعلى قدرا من البرجيس
مواطن الارزاق * أولئك الامجاد * فاحطط رحال العيس * وانفض بقاء الزاد
حيـا النسيم بمنـدل عن طيب زهر انيق
ونرجس الروض تخجل منه خدود الشقيق
فانهض الى الدن واقبل منه سؤال الرحيق
وفض منه ختـامه * عن مثل مسك مختم * تكاد منه المدامة * للشرب ان تتكلم
حاكت علي النهر درعا ريح الصبا في الاصايل
واسبل القطر دمعـا علي جنوب الاصايل
فاسمع من العود سجعا تشقي منـه الغلايل

مارنته حمامة * من فوق غصن منعم * ولا ادعته كرامة * بنت الحسين بن مخدم

اما على فاني ممن سمعت بذكره

والود يشهد عني بما ابوح بفخره

وقد رأيت التمني يختال في ثوب بره

في حلة من أسامة * بظاهر الحسن معلم * متوج بالكرامة * وبالسماح مختم

حيا النسيم تلسمان بواكف القطر هطال

فقد تضت كل احسان بجودها بابن شملال

وقصرت كل انسان عما حواه من اجلال

ندب يذل همامه * ربيعة بن مكدم * وما حواه أسامة * في عصره المتقدم

قد جاءك المتنبي يا سيف هذا الزمان

يختال في ثوب عجب بما حوي من معان

يشدوا رتجالا فيسبي كل الوجوه الحسان

هذا المليح في العمامة * لو انه متلثم * لقلت هذي غمامة * غطت على قمر التم

توفي سنة (٥٠٧) بميورقة

﴿ لبنان ﴾ قال ياقوت الحموي في معجم البلدان هو جبل مطل على حمص يجيء من الفرج الذى بين مكة والمدينة حتى يتصل بالشام فما كان بفلسطين فهو جبل الحمل وما كان بالاردن فهو جبل الجليل ، وبدمشق سنير ، وبحلب وحماة وحمص لبنان . ويتصل بانطاكية والمصيصة ويسمى هناك اللكام ثم يمتد الي ملطية وسميساط وقاليقلا الي بحر الخزر فيسمي هناك العتيق. وقيل ان في جبل لبنان كورة لحمص جليلة وفيها من جميع الفواكه والزرع شيء كثير . ولبنان ايضا قرب مكة يقال لهما ابن الاسفل ولبن الاعلى وفوق ذاك جبل يقال له المبرك به برك الفيل بعرفة وهو قريب من مكة

نقول ان في هذا الكلام شيء من الخطأ الجغرافي والمعروف الآن أن لبنان اسم لجبال لبنان الكبرى يبلغ ارتفاعها نحو ثلاثة آلاف متر ثم لبنان الصغرى وهي جبال

مشهورة بجودة الهواء يقصدها الناس للاصطياف من مصر وغيرها . يسكن لبنان طائفة من المارونية يبلغ عددهم خمسة وعشرين الفا واخرى من الدروز والمتاولة وبين المارونية والدروز عداء مستمر فتحدث بينهم حروب دموية وقد حدثت بينهم مذبحة سنة ١٨٦٠ استدعت تدخل فرنسا فأعطي أهل لبنان امتيازاً ضمنته الدول أخص مافيه ان تعين تركيا عليهم واليا مسيحيا وان لا يؤخذ منهم جنود للجيش العثماني

كانت تعتبر حكومة جبل لبنان متصرفية من متصرفيات سورية عاصمتها بيت المقدس من مدنها المشهورة زوق مكايل بمقاطعة كسروان للموارنة بهذه المقاطعة مدرستان وللاتين مدرستان اخريان. ودير القمر وبها متاجر ومصانع مختلفة وابنية عظيمة يسكنها نحو عشرة آلاف نسمة وزحلة يسكنها نحو عشرة آلاف نسمة أيضا من النصارى وفيها يقيم الذين يقصدون لبنان وهو الآن تحت الانتداب الفرنسي

﴿ اللَبُوَة ﴾ انثي الاسد واللبأة واللبْوة بتسكين البائين وبغير همز الواو لغتان فيها (انظر اسد)

﴿ لبّي ﴾ بالحج تلبية قال: لَبّيك اللهم لبيك. أى اجابة لك اللهم بعد اجابة

﴿ لتّ ﴾ الدقيق يلتّه بله بشيء من الماء. و (اللات) صنم كان لبنى ثقيف بالطائف

﴿ اللتر ﴾ من المكاييل الفرنسية وهو وعاء طوله عشرة سنتيمترات وعرضه وارتفاعه كذلك ، ومشموله من الماء يزن الف غرام او ٣٢٠ درهما

﴿ لثغ ﴾ يلثَغ لثَغا كان بلسانه لثغة . و (اللثغ) تحول اللسان من السين الى الثاء او من الراء الي الغين الخ. و (اللُثْغة) اللثغ . و (الألثغ) ذو اللثغة

﴿ لثم ﴾ فمه يلثِمه لثما قبله. (لثّمت المرأة وجهها) وضعت عليه اللثام

﴿ الملثمون ﴾ دولة الملثمين أو المرابطين كانت بمراكش من سنة (٤٠٠ الى ٥٤٩)هـ أو من سنة (١٠٠٩ الي ١١٤٦) ميلادية

هذه الدولة من قبيلة صنهاجة احدي قبائل البربر وذهب بعض المؤرخين أن صنهاجة من حمير خلفهم الملك افريقش بالمغرب باستحالة لغتهم الي البربرية وهذا كله لا يعول عليه .

كان موطن الملثمين أرض الصحراء بين بلاد البربر والسودان كانوا على بداوة تامة أموالهم الانعام. طعامهم اللحوم والالبان وسموا الملثمين لأنهم كانوا يتلثمون ولا يكشفون وجوههم. ورثوا هذه العادة عن أسلافهم وبقيت فيهم سنة. وقيل في سبب تلثمهم أقوال كثيرة منها أن أسلافهم من حمير كانوا يتلثمون لشدة الحر في اليمن وقيل ان قوماً من أعدائهم كانوا يتربصون غفلتهم اذا غابوا عن بيوتهم فيطرقون الحى ويسبون نساءهم ويسلبون اموالهم فأشار عليهم اماثلهم ان يبعثوا بنسائهم الى ناحية في زى الرجال ويقعدون هم في البيوت ملثمين كالنساء حتى اذا دهمهم العدو خرجوا اليه فنكلوا به وقيل غير ذلك

كان دينهم الاصلي الوثنية ثم أسلموا بعد فتح العرب للاندلس وحملوا من بيلادهم من امم السودان على الاسلام ثم افترق ملكهم بعد ذلك فصاروا طوائف واستمرت دولتهم نحواً من مئة وعشرين سنة

قام فيهم الامير محمد بن تيفارت فعرف بالعدل والفضل فملكوه عليهم سنة (٤٠٠) فحكمهم ثلاث سنين ثم مات في بعض غزواته فقام بأمرهم يحيي بن ابراهيم الكدالى من سنة (٤٠٣ الى ٤٣٤) فمكث فيهم الى سنة (٤٢٧) ثم استخلف على صنهاجة ابنه ابراهيم بن يحيي وارتحل هو قاصداً الحج فلما قضي الفريضة أخذ في العودة الى بلاده فمر بالقيروان فلقى بها العلامة أبا عمران الفاسى وحضر درسه وتأثر بوعظه فأعجب به الشيخ وسأله عن اسمه ونسبه فأخبره وأعلمه بسعة بلاده وما فيها من كثرة الخلق وغلبة الجهل عليهم. فسأله الاستاذ عن فروض دينه فوجده لم يعرف منها شيأ فسأله عن سبب جهله فأخبره بأن ذلك لعدم وجود علماء ببلاده ورجاه أن يبعث معه ببعض طلبته ليعلم قومه. فأعطاه الشيخ أبو عمران كتابا الى الفقيه واجاج بن زلو بمدينة نفيس ليبعث معه أحد طلبته فرفض طلبة الشيخ أبي عمران الذهاب معه. فلما وصل الامير يحيي بن ابراهيم الى الفقيه واجاج بكتاب أبي عمران أرسل معه أحد طلبته عبد الله بن يس الجزولي وكان من أهل العلم والفضل والورع فلما وصل به الى بلاده تلقتهما القبائل بالترحاب وشرع الفقيه يعلمهم احكام الدين ولكن حالت دون تعليمهم تلك الاحكام عادات ورثوها عن آبائهم

ورسخت فيهم على ممر الاجيال فعزم الفقيه على تركهم وشأنهم والرحيل عنهم فمنعه يحيي بن ابراهيم وقال له انما أحضرتك لتعلمني خاصة وليس على أن أجبر الناس على ترك ماهم فيه ان كانوا متمسكين به ثم أشار علي أستاذه أن يعتزلا الناس الى جزيرة قريبة يعبدون الله فيها فوافقه واتبعهم سبعة نفر فابتني الاستاذ عبد الله ابن يس رابطة ومن هنا لقبوا بالمرابطين فأقاموا يعبدون الله ثلاثة اشهر فتسامع الناس بهم وأنهم اعتزلوا العوائد المخالفة للدين فكثر الواردون عليهم والتائبون على أيديهم فلم تمر مدة حتي اجتمع لديهم نحو الف رجل من أشراف صنهاجة فسماهم الاستاذ عبد الله بن يس بالمرابطين للزومهم رابطته

ولما آنس منهم التقوي دعاهم الى جهاد من خالفهم من قبائل صنهاجة فأجابوه فأمرهم أولا بارشاد عشائرهم وارجاعهم عن غيهم فوعظوهم فلم يتعظوا فخرج اليهم عبد الله بن يس بنفسه فوعظهم وحذرهم فلم يرفع أحد رأسا بما قال لهم وأمر أصحابه بجهادهم فبدأوا أولا بقبيلة كدالة فغزاهم في ثلاثة آلاف رجل من المرابطين فانهزموا بين يديه وقتل منهم خلقا كثيرا وأسلم الباقون اسلاماً جديداً وحسنت حالهم ثم سار الى قبيلة لمتونة فقاتلها وانتصر عليها فأذعنت له وبايعته فلما رأي ذلك سائر أهالي صنهاجة سارعوا الى التوبة والمبايعة وأقروا له بالسمع والطاعة

فلما قوى أمر عبد الله بن يس أخذ في اشتراء السلاح وتجنيد الجنود لغزو القبائل حتي ملك جميع بلاد الصحراء وذللها وطار صيته فى جميع البلاد

ثم توفى يحيي بن ابراهيم سنة (٤٣٤) ه

فتولى ابو زكريا يحيي بن عمر اللمتوني من سنة (٤٣٤) الي سنة (٤٤٧) ولاه الاستاذ عبد الله بن يس لما رأى فيه من الكفاءة والفضل وكان الآمر الناهي في الحقيقة هو الاستاذ عبد الله نفسه

في سنة (٤٤٧) وصل الى عبد الله ابن يس كتاب من علماء سلجماسة ودرعة يرجونه فيه أن يأتيهم ليطهر بلادهم من الظلم الذى انتشر بها فخرج اليهم في صفر من تلك السنة فى جيش ضخم حتي وصل الى درعة فطرد منها عاملها واستولي عليها

واتصل خبر قدومه بمسعود بن وانودين أمير تلك الجهات فسار لقتاله وبعد وقائع هائلة قتل مسعود وانهزم جنوده واستولي عبد الله بن يس على سلجماسة وأصلح شأنها وغير ماوجده فيها من المنكرات وكسر المزامير وآلات اللهو واحرق دور الخمور واستعمل علي سلجماسة عاملا من لمتونة وعاد الى الصحراء

في هذه السنة توفي الامير ابو زكريا يحيي بن عمر في بعض غزواته ببلاد السودان

ثم تولي الامير ابو بكر بن عمر اخو المتقدم من سنة ٤٤٧ الى سنة ٤٥٣ وفي سنة (٤٤٨) ندب الاستاذ عبد الله بن يس المرابطين لفتح بلاد السوس فزحف الامير ابو بكر بن عمر اليها في جيش لجب جعل على مقدمته ابن عمه يوسف بن تاشفين فغزا جزولة من قبائلها وفتح مدينة ماسة وتارودانت قاعدة بلاد السوس وكان بها قوم من الرافضة فقاتلهم عبد الله بن يس حتى رجعوا الي مذهب اهل السنة

ثم ارتحل عبد الله بن يس الى بلاد المصامدة ففتحها ثم تقدم الى بلاد قبائل براغوطة فافتتحها ايضا وتوفي سنة (٤٥٠) أثر جراح أصابته

فاستمر الامير ابو بكر على رئاسته وجددت له البيعة بعد وفاة عبد الله بن يس وأقام بمدينة اغمات الى سنة (٤٥) ثم خرج غازيا الى المغرب في جيش عرمرم من صنهاجة وجزولة والمصامدة ففتح بلاد فزر وزناتة وفتح مداين مكناسة ثم نزل علي مدينة لواتة فحاصرها وافتتحها عنوة وأخربها لم تعمر بعد الي الآن ثم رجع الى اغمات

وفي سنة (٤٤٦) بلغه انه وقع خلاف بين رجال الصحراء فقصدها واستخلف على المغرب ابن عمه يوسف بن تاشفين، فلما أصلح حال الصحراء بلغه ان ابن عمه قوى شأنه فأراد عزله وكان ليوسف بن تاشفين زوجة تدعي زينب بنت اسحق وكانت امرأة أبي بكر بن عمر من قبله فأشارت عليه بما يجب ان يقابل به ابن عمه فعمل بمشورتها فتنازل له ابو بكر بن عمر عن الرياسة وعاد الى الصحراء يجاهد كفار السودان الى ان مات من سهم مسموم أصابه سنة (٤٨٠)

فتولى بعده يوسف بن تاشفين من سنة (٤٥٢) الي سنة (٥٠٠) قلنا ان

أبا بكر بن عمر تنازل ليوسف هـذا عن الرئاسة وعقد له على بلاد المغرب وبايعه أشياع المرابطين وعاد هو الي الصحراء يقاتل كفرة السودان بنصف الجيش فسار يوسف بن تاشفين بالنصف الباقي الي سلجماسـة سنة (٤٥٣) فقاتل من بالمغرب من مغراوة وبني يفرن وسائر قبائل البربر وتتبع المغرب بلدا بلدا حتي دوخه ثم سار الى مدينة اغمات

وفي سنة (٤٥٤) كانت قدمه قد رسخت في ملك الغرب فسمت همته الى بناء مدينة فخمة تكون له حصنا حصينا فبني مدينة مراكش ومعناها بلغة البربر (امش مسرعا)

وفي سنة (٤٥٤) جمع مئة الف من جنوده وقصد مدينة فاس فقاتلته قبيلة زناتة حتي انهزمت وحوصرت بمدينة صدنيـة فدخلها عليهـا عنوة . ثم رحـل الى فاس وحاصرها حتي فتحها سنة (٤٥٥) ثم خرج الي غمارة ففتح الكثير منها حتى اشرف على طنجة وبها يومئذ الحـاجب سكوت البرغواطي من موالي بني حمودة ثم رجع الي منازلة قلعة فزاز فخالفه بنو معنصر بن حماد المغراوي الى فاس فدخلوها وقتلوا عامله عليها فسير الجنود لقتالهم فشددوا على زعيمهم تميم بن معنصر الخناق حتي قتل هو وجماعة من عشيرته فقام مقامه القاسم ابن محمد المكناسي فجمع قبائل زناتة فخرج بهم الى المرابطين وانتصر عليهم وأزاحهم عن فاس

وكان الامير يوسف بن تاشفين اذ ذاك محاصراً قلعة فازار فلما بلغه خبر انهزام جنوده امام الزناتيين ترك على قلعة فازاز فرقة من جنوده وقصد هو بجيوشه الزناتيين سنة (٤٥٥) فمر ببني فراس ففتح بلادهم ثم قصد بلاد فندلاوة فدوخها ثم عمد الى ورغة ففتحها. وفي سنة (٤٦٠) فتح جميع بلاد غمارة وجبالها من الريف الى طنجة وفي سـنة (٤٦٢) أقبـل الى فاس فنزل عليها وشدد عليها الحصار ثم دخلهـا عنوة فقتل بها من مغراوة وبني يفرن ومكناسة خلقا كثيراء وتم له في هذه المرة فتح جميع بلاد المغرب الاقصى ماعدا سبتة وطنجة وبعد ذلك تجول في جميع أنحـاء ملـكه مصلحا لامور الرعية رادا الناس عن كثير من غواياتهم

وكانت سبتة وطنجة لبني حمود الادريسيين الذين استولوا على الاندلس

بعد انقراض الدولة الاموية فيها فاستتنابوا علي سبتة وطنجة بعض مواليهم الصقالبة فلم تزل المدينتان بيدهم الى ان انتهيا الى الحاجب سكوت البرغواطي فاستمر عاملا على المدينتين حتى ظهر يوسف بن تاشفين فدعا يوسف بن تاشفين الحاجب سكوت لمساعدته على غمارة فهم باطاعة أمره فنهاه ابنه عن ذلك فعمل بمشورته فأسرها يوسف بن تاشفين في نفسه حتي فرغ من أمر المغرب فصرف همه لفتح طنجة وسبتة. وفي هذه الاثناء كان الملك الفونس الاسباني مشدداً الوطأة علي بلاد الاندلس الاسلامية فاستنجد الملك المعتمد بن عباد ملك اشبيلية بيوسف بن تاشفين فكتب اليه يوسف معتذراً بما يشغله من أمر المغرب ووعده بالمساعدة حينما ينتهي من أمر الحاجب سكوت

وفي سنة (٤٧٠) سير يوسف بن تاشفين جيشا الى طنجة فبرز اليه الحاجب سكوت وكان شيخا يبلغ التسعين فانهزم وقتل وهرب ابنه الى سبتة وتحصن بها

وفي سنة (٤٧٢) بعث ابن تاشفين جيشا لغزو المغرب الاوسط فسار الى تلمسان وظفر بصاحبها وقتله وعاد الى مراكش

وفي سنة (٤٧٥) وصل الي يوسف ابن تاشفين كتاب من المعتمد بن عباد ملك اشبيلية يعلمه فيه بما يجده المسلمون في الاندلس من أنواع الاذلال والقهر من غارات الملك الفونس ويسأله النجدة والمساعدة فأجابه يوسف بقوله: «اذا فتح الله علىّ سبتة اتصلت بكم وبذلت جهدي في جهاد العدو»

وكان الفونس السادس ملك ارا[illegible]ن قد تحرك في هذه السنة بجيوش [illegible] فاستولى علي أكثر بلاد الاندلس حتي نزل على اشبيلية فأفسد كل ماحولها [illegible] وكذلك فعل في شذونة وأخرب [illegible] الاندلس قرى كثيرة ثم سار حتي وصل الى جزيرة طريف فأدخل قوائم [illegible] في البحر وقال: «هذا آخر بلاد الاندلس قد وطئته» ثم رجع الى مدينة سرقسطة ونزل عليها وحاصرها وحلف [illegible] عنها حتي يدخلها او يموت دونها فبذل له أميرها مالا طائلا فقال الفونس: المال والبلاد لي. وبعث الى كل قاعدة من قواعد الاندلس جيشا لحصارها ثم ملك مدينة طليطلة من يد صاحبها القادر بن ذي

النون سنة (٤٧٧) فلما انتهي ضعف ملوك الاندلس الي هذا الحد أجمعوا أمرهم على استنجاد يوسف بن تاشفين فكاتبه أهل الاندلس كافة خاصتهم وعامتهم يستصرخونه في انقاذهم من مخالب العدو . فلما تواترت الكتب عليه أرسل ابنه المعز بن يوسف الى سبتة فنازلها براً وأحاطت بها أساطيل المعتمد بن عباد بحرا فاقتحموها عنوة سنة (٤٧٧) وقتل المعز صاحبها صبراً . وأرسل الى أبيه يخبره بما تم ففرح بذلك وقصد العبور الى الاندلس لانجاد مسلميها . ولما سمع المعتمد بن عباد بفتح سبتة جاز البحر الى بلاد المغرب لاستنفار يوسف بن تاشفين الي الجهاد فقيه مقبلا الى طنجة على أهبة الجواز الى الاندلس . فأمره يوسف بن تاشفين بالعودة الى بلاد الاندلس والاستعداد بمن عنده من الجنود حتي يلحقه ثم اجتاز يوسف البحر واتخذ الجزيرة الخضراء قاعدة لاعماله . ولما تكاملت جنوده بساحل الجزيرة الخضراء عبر هو في أثرها فى موكب عظيم من قواد المرابطين وأجنادهم فوصل الى الجزيرة الخضراء في منتصف ربيع سنة (٤٧٩) وكان في انتظاره المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية وابن الافطس صاحب بطليوس وغيرهما من ملوك الاندلس لان الاندلس في ذلك العهد وقبله كانت قد انقسمت الي عدد كبير من الممالك الصغيرة كل منها مستقلة عن سواها وكان هذا سبب ضعفها فانتهز عدوها هذه الفرصة فنازل هذه الممالك واحدة بعد الاخري حتي انتهي بها الضعف الي العجز التام عن مقاومته وكان ما كان من استنجاد ملوك الاندلس بيوسف بن تاشفين

لما نزل ابن تاشفين الي الاندلس كان الفونس السادس يحاصر سرقسطة فلما علم بقدوم ابن تاشفين عدل عن حصارها وقصد مقابلته فالتقى الجمعان بموضع يعرف بالزلاقة . ونزل المعتمد بن عباد بموضع آخر يحجز بينه وبين يوسف ربوة وبين المسلمين والافرنج نهر بطليوس يشرب منه الجميع . فأمر الفونس جيوشه بالهجوم علي المعتمد بن عباد وقال لقواده « ان ابن عباد هو مثير هذه الحركة عليكم وهؤلاء الصحراويين وان كانوا أهل حرب الا انهم يجهلون هذه البلاد وقد أتي بهم ابن عباد فاهجموا عليه واصدقوه الحملة حتي اذا هزمتموه هان عليكم أمر

الصحراويين »

فأتت جواسيس ابن عباد فأخبرته بالخبر فأرسل الي ابن تاشفين يستمده وكان ألفونس قد أسرع اليه وأحاط بابن عباد من جميع الجهات وكاد يسحته سحقا لولا أن تداركه مدد ابن تاشفين فنفس عنه كربته ثم لحقه ابن تاشفين نفسه وقد ملأت أصوات طبوله الجو فلما سمع ألفونس ذلك قصده بمعظم جيوشه فصدمه ابن تاشفين صدمة ردته الى مركزه الاول فاشتد القتال بين الفريقين بصبر لا مزيد عليه ثم انتهي الامر بانهزام ألفونس هزيمة شنعاء وأصابه جرح باحدى ركبته بقي يخمع منها طول حياته. واستمر ألفونس في هزيمته وجيوش المسلمين تتبعه بالقتل والاسر حتي اعتصم الى ربوة فأحاط به المسلمون فلما جن الظلام انسل منها ألفونس بمن بقي معه تاركين كل ما كان معهم من الذخائر والاسلحة

فعظم شأن يوسف بن تاشفين بهذا النصر العظيم وتلقب من ذلك اليوم بأمير المسلمين وأتاه تقليد المقتدي بأمر الله العباسي على مافتحه ولقبه ناصر الدين ثم رجع يوسف بن تاشفين الي بلاده

وفى سنة (٤٨٤) طمع يوسف بن تاشفين في امتلاك الاندلس وقد بهرته بمدنيتها ومدائنها ونعيمها ونعمها فأرسل اليها جيشا بقيادة سير بن أبي بكر فعبروا الخليج وأتوا مدينة مرسية فملكوها وأعمالها ثم ساروا الى مدينة شاطبة ومدينة دانية فملكوها ثم قصدوا مدينة اشبيلية وبها صاحبها المعتمد بن عباد فحاصروه بها وضيقوا عليه فأظهر من الشجاعة وشدة البأس وحسن الدفاع مالم ير مثله. فلما رأي أن كل ذلك لايجديه نفعا أمام هجوم جيوش ابن تاشفين كتب الى الفونس ملك اراغون يطلب مساعدته علي ان تكون البلاد له فأمده بجيش عظيم

فلما بلغ قائد ابن تاشفين قدوم الملك ألفونس انتخب عشرة آلاف من خيرة جنوده تحت قيادة ابراهيم بن اسحق ووجههم اليه فلقوه بالقرب من حصن المدور فحدثت بينهم وقعة هائلة انتهت بهزيمة الافرنج ولم يفلت منهم الا القليل ثم تفرغ سير لمحاصرة اشبيلية حتي فتحها عنوة وقبض على المعتمد وجماعة من أهل بيته وبعث بهم الى مولاه فسجن المعتمد باغمات واستمر في السجن الي ان مات

سنة (٤٨٨)

ثم قصد القائدسير بطليوس وقبض على صاحبها عمر بن الافطس وقتله هو وابنيه يوم عيد الاضحي سنة (٤٨٩)

وبعد ذلك استولى سير علي جميع بلاد الاندلس وأزال عنهاملوك الطوائف ولم يبق منهم غير المستعين بن هود صاحب سرقسطة وكان قد اعتصم بالافرنج

وفي سنة (٥٠٠) توفي أمير المسلمين يوسف بن تاشفين فقام بالامر بعده ابنه على بن يوسف بعهد منه فبايعه الناس الا أهل مدينة فاس فان ابن أخيه يحيي بن أبي بكر بن يوسف الذى كان أميراً عليها من قبل جده أبى ان يبايع عمه فخرج عليه وا نقاد له جماعة من قواد لمتونة فقصده عمه فلما علم يحيي ان لاقبل له بالمكافحة سلم نفسه فأخذه عمه الى مراكش ثم اتهمه بالتشغيب عليه فنفاه الى الجزيرة الخضراء فمكث بها حتي مات

وفي سنة (٥٠٣) رحل امير المسلمين علي بن يوسف الى الاندلس للجهاد فانتهي الى قرطبة ثم خرج منها الى مدينة طلاموت ففتحها عنوة وفتح حصوناً كثيرة حتي انتهي الى طايطلة فأعجزته فعاد الى المغرب الاقصى

وفى سنة (٥٠٤) فتح الامير سير ابن ابي بكر سنترين وبطليوس والبرتغال واشبونة وغيرها من البلاد الواقعة غرب الاندلس وكانت سرقسطة تحت سلطة بني هود تغلبوا عليها في صدر المئة الخامسة أيام الطوائف وتوارثوها الى ان كان منهم احمد ابن يوسف الملقب بالمستعين بالله فرحف عليه الافرنج سنة (٥١٣) فانهزم المستعين وقتل فتولي بعده ابنه عماد الدولة

فلما كانت سنة (٥١٢) زحف الافرنج ثانية علي سرقسطة واتصل الخبر بأمير المسلمين على بن يوسف فكتب الى أمراء غرب الاندلس يأمرهم بالاتحاد مع أخيه تميم بن يوسف الذي كان يومئذ واليا على شرق الاندلس أن يسيروا معه لاستنقاذ سرقسطة وولاردة . فخرج تميم وقاتل الافرنج حتي كل ومل فرجع الي مقره في بلنسية فشدد الافرنج الحصار على سرقسطة حتي افتتحوها

وفى سنة (٥١٣) تقدم الافرنج الى شرق الاندلس وأخذوا يفتحون حصونه حتي استولوا على قلعة أيوب وهي من أمنع قلاع الاندلس فانزعج امير المسلمين علي

ابن يوسف من هذه الاخبـار وجاز الى الاندلس وقاتل الاسبانيين وانتصر عليهم في بضعة مواقع حتي ردهم الى بلادهم ورجع هو الى مقره سنة (٥٠٥)

في أيام على بن يوسف ظهر محمد بن تومرت المعروف بالمهدي بجبال المصامدة فكان ظهوره الضربة القاضـية علي دولة المرابطين وسببا لتأسيس دولة الموحدين (انظر الموحدين مادة وحد)

تولى بعد موت على بن يوسف ابنه تاشفين بن على من سنة (٥٣٧) الى سنة (٥٣٩) وكان أمر عبـد المؤمن بن على خليفة محمد بن تومرت قد استفحل بجميع بلاد المصامدة أهل جبـل درن وخرج للاستيلاء علي المغرب الاقصي فسار أمير المسلمين تاشفين بن على لقتاله فحـدثت بينهم وقائع انهزم فيها الملثمون فلما علم تاشفين بن على عدم مقدرته على رد هجمات الموحدين رحل الى وهران سنة (٥٢٩) فتعقبه الموحدون اليها وقتلوه بها

فتولي أمير المسلمين اسحق بن على ابن يوسف من سنة (٥٣٩) الي سنة (٥٤١) ولكنه لم يلبث طويلا حتي داهمته جنود الموحدين وحاصرت مراكش وهو بهـا سنة (٥٤٠) واستمر حصار مراكش تسعة أشهر حتي كاد الجوع يهلك أهلها فخرجوا لقتال الموحدين وقتل عامة الملثمين ونجا اسحق بن على بين يدى عبد المؤمن فقتله الموحـدون وانمحي أثر الملثمين واستولي الموحدون على جميع البلاد وخلفوا الاولين على ولاية المغرب (انظر موحدين مادة وحد)

﴿ اِللثة ﴾ هو ماحول الاسنان من اللحم جمعها لِثات

(أمراض اللثة) هي تقرح اللثة ، والتهاب اللثة ، واللثة الاسفنجيـة . هذه الامراض كثيراً ماتصاحب الحفر وهو تسوس الاسنان فترم اللثة وتنتفخ وتدمى لادني سبب وقد تتقرح حافتها حتي تكشف مغارز الاسنان وكثيرا ماتتخلخل أو تسقط

(العلاج) تستعمل لاجـل تخفيف الالتهاب مضمضة مسكنة محللة مثل :

مغلي الشعير	٢٠٠ غرام
الماء العسلي	٤٠ غراما
صبغة الافيون	٥ غرامات

او مضمضة بوريكية او من البورق مثل :

مسحوق البورق ٣غرامات
عسل ٣٠ غراما
اومضمضة من كلورات البوتاسا وبعد زواله تمس اللثة بصبغة اليود او بخمر مغلي مع قليل من الرشاد ويتخذ لتخفيف القروح والالتهاب الشديد مضمضة من مغلي الشعير مع الشب الابيض أو عصير الليمون الحامض او الخل او الخل المعطار او مغلي خشب الكينا او عودالقرح مثل:
جذرعودالقرح ٣٠ غراما
افيون ٠٠ر٣٠ سنتي غراما
خل بكر ٣٧٥ غراما
وتستعمل أيضا بدل هذه صبغة اليود او تمس اللثة بحجر جهنم
(خراج اللثة) يحصل غالبا من ضرس مسوس ويعرف بورم صلب أولا يكون مركزه قرب الضرس المصاب ثم يرتخي ويلين ولعلاجه تتخذ المضامض المحللة والمسكنة المذكورة آنفا مع ضمادات من بزر الكتان علي الخد والدهن تحته بمرهم الزئبق مع خلاصة البلادونا ثم فتح الخراج
﴿لجأ﴾ الى الحصن يلجأ لجأ. ولجيء يلجأ لجأ لاذ به و (لجأه اليه وألجأه اليه) اضطره اليه. و (التجأ) لاذ واعتصم و (الالجأ) لمعقل والحصن ومثله الملجأ
﴿لجب﴾ الجيش يلجب لجبا. صاحوا و (اللجب) كثرة أصوات الابطال. و (جيش لجب) أي ذو جلبة وصياح
﴿لج﴾ الرجل يلج لججا ولجاجة عند في الخصومة و (لج) في الامر واظبه فهو (لجوج) و (لاجه) خاصمه. و (اللج واللجة) معظم الماء. و (اللجي) نسبة الي اللج
﴿لجلج﴾ الرجل تردد في الكلام ومثله تلجلج. و (اللجلاج) المتردد في الكلام
﴿لجمه﴾ الماء وألجمه بلغ فاه. (ألجم الدابة) البسها اللجام. و (اللجام) ما يجعل في فم الفرس من الحديد
﴿لحت﴾ القرابة بينهم تلح لححا لصقت. و (لححت العين) تلحح لححا لصقت أجفانها. و (ألح السائل) ألحف يقال (هو ابن عمه لحا) اى لاصق النسب
﴿لحلح﴾ القوم وتلحلحوا لم يبرحوا

محكمهم وبعدوا وهو من الاضداد

﴿ لَحد ﴾ القبر يلحَده لحداً عمل له لحداً . و (اللَحْد) الشق المائل يكون في عرض القبر . و (ألحد الميت) دفنه . و (ألحد الى فلان) مال اليه . و (ألحد في الحرم) ترك القصد فيما أمر به واستحل حرمته . و (التحد اليه) مال اليه . و (المُلحد) المائل عن الدين جمعه مَلاحدة ومُلحِدة . و (المُلْتَحَد) الملجأ

﴿ لحس ﴾ القصعة يلحَسها لحسا لعقها . و (ألحسه الشيء) جعله يلحسه

﴿ لَحظه ﴾ يلحَظه لحظا راقبه . ومثله (لاحظه) . و (اللواحظ) الاعين و (اللِحاظ) مؤخر العين مما يلي الصدغ جمعه لُحُظ . و (اللَحْظ) باطن العين جمعه لِحاظ و (اللَحظة) المرة من اللحظ

﴿ لَحفه ﴾ يلحَفه لحفا غطاه باللحاف و (لَحفه الثوب) ألبسه اياه و (لاحفه) لازمه . و (ألحف) ألح . و (تلحّف) اتخذ لحافا . و (التحف باللحاف) تغطى به . و (اللِحاف) كل ثوب يتغطى به . و (المِلْحَفة) الملاءة

﴿ لحِقه ﴾ يلحَقه لَحْقا ولَحاقا أدركه و (ألحقه به) جعله يلحقه و (تلاحق الناس) لحق بعضهم بعضا و (التحق به) لحقه

﴿ لَحم ﴾ الامر يلحُمه لحما أحكمه . و (لَحم الصائغ الفضة) لأمها . و (لحِم الرجل يلحَم لَحَما ولَحُم يلحُم لحامة) كان لحيما

و (لاحم الشيء بالشيء) ألصقه به و (ألحم فلان عرض فلان) أمكنه منه يغتابه . و (تلاحم الشيء) تلاءم . و (تلاحموا) تقاتلوا و (التحم الشيء) تلاءم و (اللَحِم) الكثير اللحم . و (اللُحْمة) القرابة وما نسج عرضا في الثوب . و (اللَحيم) الكثير اللحم . و (المَلْحَمة) الوقعة في الحرب

﴿ اللحم ﴾ كان اللحم يعتبر من المواد الضرورية للحياة الانسانية وغفل اصحاب هذا القول عن أمم تعد بمئات الملايين لا تغتذى باللحم اما لانها لا تجده او لان دينها يحرم عليها أكله كبعض فرق الهنود . وقد رأى كثير من الفلاسفة الاقدمين وجوب الاكتفاء بأكل النبات وجروا على ذلك وانما حدا بهم الى هذا استنكارهم لذبح الحيوان واستقذارهم لاكل أشلائه الدامية . وقد زهد أبو العلاء

المعرى في اللحم لحرمه على نفسه وعاش خمسا واربعين سنة لا يتناول الا النباتات

وقد بحث العلماء فى القرن الماضي والحاضر فى امكان الاكتفاء بالنباتات حيثما كثر عديد النباتيين بين ظهرانيهم فاتضحت لهم نتائج جليلة الفائدة نرى أن نثبتها هنا ليستفيد منها حضرات القراء

ولا سبيل لنا في بيان تاريخ المذهب النباتى الا بترجمة ماكتبه أقطاب العلم في دوائر المعارف الكبري فقد جاء تحت عنوان المذهب النباتي فى الملحق الثاني من دائرة معارف القرن التاسع عشر الفرنسية ما ترجمته

« كان المذهب النباتي معروفا من أقدم عهود التاريخ فقد نصت عنه الكتب المصرية والهندية المقدسة والكتب الاسرائيلية والمسيحية وكتابات الفيثاغوريسيين حتي انه ليمكن تتبعه الي يومنا هذا فيما كتبه افلاطون وبلوت وفيرجيل واوفيدوهوراس وبلوتارك وآباء الكنيسة ومتصوفة القرون الوسطى وكتاب عهد النهضة. وورد عنه ذكر في كتابات من هم أقرب الينا كالعلماء غاسندى وبوسويت وجان جاك روسو ولينيه وبرناردان دوسان بيير وفرنكلان وويسلي وكتاب آخرين وقد قرر الجميع بدرجات مختلفة من البيان بأن الانسان لم يخلق ليتغذي بلحوم الحيوانات. ثم ظهر الدكتور ج. ب غليزس (١٧٧٣ — ١٨٤٣) فأعطي هذه النظرية صبغة علمية بكتابه المسمي الحياة الجديدة فلم تصادف صيحته آذانا مصغية في فرنسا ولكن كان الامر علي نقيض ذلك فى انجلترا والمانيا. فان هذه البلاد تملك الآن علما نباتيا غنيا بالمؤلفات له جماعات عديدة وجرائد وأطباء ومصحات يطبقون فيها العلم على العمل »

ثم قالت دائرة المعارف المذكورة

« ان الدكتور سافريه الفرنسي قال بأن متبعي التدبير اللحمي في الغذاء لا يمثلون في الارض الا اقلية ضعيفة جدا هي بؤرة الامراض والضعف والانحطاط الباكر وهى اقلية الاغنياء وجزء من سكان المدن »

قالت تلك الدائرة عينها : وقد عد الدكتور (سميث) الانجليزى الامم التي لا تغتذى باللحم فقال :

« هي أمة الهندوس باتامار وفلاحو

ومثله (امتحنه) و (المحنة) مايمتحن به الانسان

﴿ محا ﴾ الشيء يمحو محواً زال و (محا الشيء) أزاله . و (امحي الشيء) زال

﴿ المخ ﴾ هو الجزء الاكبر حجما من باقي أجزاء الدماغ وزنه ١٢٥٠ غراما وهو موضوع في الجزء المقدم والعلوى من تجويف الجمجمة وشكله بيضي مضغوط من أعلي الى أسفل طرفه الدقيق الى الامام والغليظ الى الخلف . وهو مكون من نصفين متساويين يسميان بالنصفين الكريين المخ وينضمان أحدهما للآخر بواسطة عدة اجزاء متوسطة ومنفردة وشكل كل نصف كرى منشورى مثلث تتميز له ثلاثة اوجه وطرفان . فالوجوه أنسي ووحشي وسفلى ، والطرفان مقدم وخانى

(التركيب الظاهر المخ) يتميز للمخ سطح علوي وسطح سفلى أي قاعدة فالسطح العلوى يشاهد فيه علي الخط المتوسط الشق العظمى للمخ أي الشق بين النصفين الكريين ، ومن الجانبين الوجه المحدب الوحشي للنصفين الكريين

فالشق العظيم للمخ معد لقبول شرشرة المخ وممتد من الامام الي الخلف ، وموضوع علي الجسم المندمج . وهذا الشق يصل الى السطح السفلي للمخ بطرفيه المقدم والخلفى . وأما في الوسط فيصل الي الجسم المندمل

والحافة العليا لهذا الشق تجاور الجيب والمستطيل العلوى وجسيات بكيوني الموضوعة في هدا المحل

وأما الوجه الوحشي للنصفين الكريين فهو محدب ويشاهد فيه عدة تلافيف وانبعاجات أى تعرجات نشرحها فيما بعد ولا نذكر منها هنا الا واحداً منها يسمى بشق بوراند وهو الذى يفصل التلافيف الجدرانية بعضها عن بعض ويصاب الوجه الوحشي للنصفين الكريين من الوحشية الى الانسية

وأما السطح السفلى للمخ أى القاعدة فيشاهد فيها أجزاء موضوعة على الجهة الجانبية وأجزاء موضوعة على الخط المتوسط والاخيرة تعد من الامام الي الخلف

(أولا) الطرف المقدم للشق العظيم للمخ الذى يقبل النتوء العظمى المسمي بعرف الديك

(ثانيا) قبوة مصليـة متكونة من العنكبوتية ومتجهة من النصف السكري الى الآخر

(ثالثا) الجذر السنجابي للعصبين البصريين المعروف بالكيازما

(رابعا) مسـافة معينية الشـكل محدودة من الامام بجذري العصبين البصريين ومن الخلف بفخذى المخ

ويشاهد فى هذه المسافة من الامام الى الخلف الصفيحة الرمادية وساق الغدة النخامية والحدبتان الحلميتان ثم المسـافة بين أفخاذ المخ

(خامسا) قطع قنطرة (فارول) في النقطة التى فيها تختلط مع أفخاذ المخ

(سادسا) الشق المحي لبيشا

(سابعا) وسادة الجسم المندمج

(ثامنا) الطرف الخلفى للشق العظيم للمخ

لنـذكر هذه الاجزاء كل جزء علي حدته فنقول :

(١) الطرف المقـدم للشق العظيم المخ هو معدلق ول قة شرشرة المخ وطوله ثلاثة سنتيمترات تقريبا وهو يقابل عرف الديك

(٢) القبوة المصلية هى موضوعة في الجزء المقدم لقاعدة المخ وتغطي الشرايين المحية المقدمة وركبة الجسم المندمل المنفصلة عنها بمسافة قليلة جداً

(٣) الجذر السنجـابى للعصبين البصريين هو مركب من صفيحة من جوهر سنجابي مثلثة محدودة من الخلف بتصالب العصبين البصريين ومن الجانبين بأطراف الجسم المندمج . هذه الصفيحة تساعد على تكوين الحافة المقدمة للبطين الثالث اى المتوسط

(٤) محل تصالب العصبين البصريين هو موضوع علي الميزاب البصرى ومتكون من انضمام الجذرين العصبيين الآتيين من الجزء الخلفى ومحل هذا التصالب يحدد الصفيحة الرمادية من الامام

(٥) المسافة المعينية التي سبق ذكرها المحتوية على الصفيحة الرمادية وساق الغدة النخامية والغدة والحدبتين الحلميتين والمسافة بين أفخاذ المخ . ولنشرح كل منهـا على التعاقب فنقول :

(١) أما الصفيحة الرمادية فهي متكونة من جوهر سنجابي شاغل للجزء المقدم من المسافة المعينية الموضوعة بين أفخاذ المخ

ومحل تصالب العصبين البصريين ، ويشاهد في مركزها ساق الغدة النخامية الذي يندغم عليها

(ب) وأما الجسم النخامي أى الغدة فهو جسم صغير مستدير متصل بالساق وموضوع فى السرج التركي ومثبت فيه بواسطة حجاب حاجز من الام الجافية وهذه الغدة بيضية الشكل وكثيرة الاوعية

(ت) وأما الساق نفسه فيبلغ طوله من خمسة الى ستة مليمترات ومجوف من باطنه ويتصل بتجويف البطين المتوسط ومنسد من جهة الغدة

(ث) وأما الحدبتان الحلميتان فهما جسمان مستديران بيضيان متقاربان احدهما من الآخر ومتكونان فى مركزهما من جوهر سنجابي وترى من خلالهما القوائم المقدمة للقبوة ذات القوائم الاربع وهما يفصلان الصفيحة الرمادية عن المسافة التي بين أفخاذ المخ وهذه المسافة الاخيرة موضوعة في الجزء الخلفي للمسافة المعينية ومثقوب بعدة ثقوب صغيرة لمرور الاوعية ولهذا تسمي الجوهر المثقب

(٦) قطع قنطرة فارول الذي يوجد خلف ماسبق ذكره

(٧) الشق المخي لبيشا الذي لا يشاهد منه الا الحافة العليا علي المخ منفصل وهو عبارة عن قوس على هيئة نعل الفرس معانق لقنطرة فارول وتتميز له شفتان . عليا متكونة من وسادة الجسم المندمل من الوسط وعلى الحافة الانسية للفص الخلفى المخ من الجانبين . وأما الشفة السفلى فمتكونة من الحافة المقدمة المشقوقة من المخيخ . وهذا الشق معد لقبول الدائرة الصغرى لخيمة المخيخ ويشاهد فيه ثلاث فتحات تتصل مع تجاويف المخ ومعدة لمرور غشاء الام الحنون . فجزء هذا الغشاء الذى يدخل من الفتحة المتوسطة يكون في البطين المتوسط للقماش المشيمى . وأما الذي يدخل من الفتحتين الجانبيتين لهذا الشق فيكون فى البطينين الجانبين لضفائر المشيمية

(٨) وسادة الجسم المندمل هي موضوعة خلف الشق المخي لبيشا وبين الشق العظيم للمخ ومتكونة من جوهر ابيض ممتد من نصف كرى الي آخر وهي محاطة بثنية أمامية موجودة علي السطح الانسي للنصف الكري وتسمي بلفافة

الجسم المندمل . ويوجد أسفل هذه الوسادة مباشرة الاشياء الآتية وهى :

(ا) الغدة الصنوبرية

(ب) وريد جالينوس

(ت) القماش المشيمي وأسفل منه الحدبات التوأمية الاربع

(٩) الطرف الخاني للشق العظيم للمخ يبلغ طوله من جهة القاعدة المخية ستة سنتيمترات تقريباً وهذا هو نفس القياس الحقيقى لعرض قاعدة شرشرة المخ

وأما الاجزاء الموضوعة على الجهة الجانبية لقاعدة المخ فهي من الامام الي الخلف ثلاثة ارتفاعات تسمي بالقرون المخية مقدم ومتوسط وخانى أى جبهي ووتدى ومؤخرى وكل منها يقابل الحفرة المسماة باسمه الموجودة على الوجه الباطن لعظام الجمجمة . ويشاهد أيضا شق عظيم يسمي بفرجة سلفيوس موضوع بين القرن المقدم والمتوسط وهو يقسم كل نصف كري الي فصين مقدم وخانى

فالفص المقدم يكون المثلث المقدم من الكتلة المخية ويكون أيضاً الشفة العليا لفرجة سلفيوس

وأما الفص الخانى فهو كري الشكل ويميز له سطح سفلى مقعر ويغطي خيمة المخيخ وسطح علوى مختلط مع كتلة التلافيف المخية . وحافظة وحشية محدبة مكونة لجزء من دائرة قاعدة المخ وحافة أنسية مقعرة تكون الاجزاء الجانبية للشق المخى لبيشا وطرف مقدم هو القرن الوتدى وطرف خلفي هو القرن المؤخري

وفرجة سلفيوس هى عبارة عن شق موضوع بين الفصين المخيين المقدم والمتوسط وشكلها كشكل قوس تقعيره يلي الخلف ويميز لهذه الدرجة شفتان وطرفان . فالشفة المقدمة أي العليا متكونة من الفص المقدم للمخ . والخلفية أى السفلي متكونة من الفص الخانى وهى مغطاة بالعنكبوتية ويوجد فيها الشريان المخي المتوسط وفروعه وهو المعروف بشريان فرجة سلفيوس

وأما الطرف الانسى لهذه الفرجة فمثقوب بعدة ثقوب معدة لمرور الاوعية ولذا يسمي بالجوهر المثقب وشكله مربع مستطيل تقريباً فالضلع الخانى له متكون من جذر العصب البصرى والضلع المقدم من الجذر الابيض الوحشي للعصب الشمي والضلع الانسي متكون من جذر العصب

البصرى نفسه والضلع الوحشي من القرن الوتدى للفص الخلفي للمخ

وأما الطرف الوحشي لهذه الفرجة فيشاهد في قاعه بتباعد شفتيه عنقود صغير متكون من ٣ الى ٤ تلافيف مخية تسمي بفصوص رايل او بفصوص الجسم المضلع ففي هذا المحل تتفرع فرجة سلفيوس ويوجد في الجزء الاكثر أنسية من الطرف الانسى لهذه الفرجة عقدة تسمي بالعقدة الشمسية موضوعة خلف الجوهر المثقب المقدم وحجم هذه العقدة ويكون متناسبا مع نمو الاعصاب الشمسية عند الحيوانات وتركيبها كتركيب العقد المخية أعني انها متكونة من مادة متجانسة مختلطة بخلايا عصبية اما ذات استطالتين او ذات استطالة واحدة

(التلافيف المخية) هي عبارة عن ثنيات من جوهر عصبي موجود على سطح المخ وتتضام مع التلافيف المجاورة لها واتجاهها يكون دائما متعرجا والمسافات الفاصلة لها تسمي بالانبعاجات او التعرجات وهذه الانبعاجات معدة لمرور السائل الدماغى الشوكي

والمهم من هذه التلافيف اثنتان احداهما موضوعة على الوجه الانسي للنصف الكري وتسمي بلفافة الجسم المندمل ومنفصلة عنه بواسطة جيب هذا الجسم ثم تنعطف على وسادته وتنتهي في الجزء العلوى الانسى لفتحة البطين الجانبي في حذاء قرن أمون أي رجل جاموس البحر

وثانيتهما مكونة من لفافتين جداريتين منفصلتين احداهما عن الاخرى بواسطة شق (رولاندو) وهما ينزلان من الحافة العليا للنصف الكري الى الوجه السفلي له ومصالبان لحافته الوحشية ويسميان بلفافتي الاتفاق لأنهما لايوجدان به الا في الانسان وفى بعض الحيوانات المرتفعة

ثم انه توجد أيضا ثلاث تلافيف جبهية وتلافيف مؤخرية ولا يوجد بين هذه التلافيف حد فاصل واضح وأخيراً توجد لفافة فى الجزء الانسى للوجه السفلي من الفص الجبهي تسمي باللفافة الشمسية وأخري فى قاع فرجة سلفيوس تسمي بفصيص رايل أو بفصيص الجسم المضلع وهو هام جداً اذ لايوجد الا فى الانسان والقرود

(التركيب الباطن للمخ) المخ يحتوى

في باطنه على تجاويف منفصلة بعضها عن بعض بواسطة حواجز فأحد هذه التجاويف متوسط سفلى يسمي بالبطين المتوسط او البطين الثالث والآخران موضوعان على الجانبين ويسميان بالبطينين الجانبيين والحاجز الذي يفصل البطين المتوسط من الجانبيين يكون أفقيا ويسمي بالقبوة ذات الثلاثة القوائم وأما الحاجز الذي يفصل البطينين الجانبيين أحدهما عن الآخر فيكون عموديا ويسمي بالحاجز الشفاف أي اللامع وجميع هذه البطينات مغطاة بقبوة كبيرة تسمي بالجسم المندمل ولنشرح هذه الاعضاء على التعاقب فنقول :

(الجسم المندمل او المجمع العام او المجمع العظيم) هو شريط عصبي عريض متكون من ألياف طولية ومن ألياف مستعرضة وهو يضم النصفين الكريين للمخ احدهما للآخر ويكون لقبوة كاملة تغطي البطينين الجانبيين وهو سميك ولا سيما في حذاء الوسادة والركبة ورقيق جداً حذاء المنقار ويتميز له وجهان علوي وسفلي وطرف مقدم وخلفي وحافتان جانبيتان

فالوجه العلوي اعرض من الخلفي من الامام ويختلط من الجانبين بالنصفين الكريين ويشاهد في وسطه خطان بارزان مستطيلان يسميان بالعضرطين المستطيلين للجسم المندمل وعلي جانبيهما تشاهد خطوط مستعرضة متكونة من الالياف المستعرضة لهذا المجمع تسمي بالخيوط المستعرضة وهذا الوجه العلوى يجاور الحافة السفلى لشرشرة المخ ولفافة الجسم المندمل المنفصلة عنه بمسافة تسمي بجيب الجسم المندمل وأيضا يجاور الشريان المخي المقدم

وأما الوجه السفلى فهو أملس ومكون لقبوة تغطي البطينين الجانبيين واستطالاتهما الثلاثة ويندغم عليه في جزئه المقدم من الامام على الخط المتوسط الحاجز اللامع ويختلط في جزئه الخلفي بالقبوة ذات القوائم الثلاثة

وأما الحافتان الجانبيتان فيرى اختلاطهما بالنصفين الكريين متى نظرنا من جهة الوجه العلوي للمجمع العام وهنالك تنفرش أليافهما وتساعد على تكوين الجوهر الابيض للتلافيف المخية

واما اذا نظرنا من جهة الوجه السفلى لهذا المجمع فيتميز لها ثلاث استطالات

اى قرون مقدمة يسمي بالقرن الجبهي وخلفي يسمي بالقرن المؤخري وسفلي يسمي بالقرن الوتدى وهذه القرون تغطي الاستطالات الثلاث للبطين الجانبي

وأما الطرف المقدم فيكوّن ركبة الجسم المندمل التي هي مغطاة بابتداء لفافة هذا الجسم ومنعطفة عليها الشرايين المخية المقدمة وهذا الطرف يرسم قوسا يتجه الى الاسفل والخلف آخذاً في الرقة شيئا فشيئا ليكوّن مايسمي بمنقار الجسم المندمل الذي يكون موضوعا أمام الجذر السنجابي للعصبين البصريين ففي هذه النقطة يشاهد ان العضرطين المستطيلين لهذا الجسم ينحنيان مثل الركبة وينفصلان حذاء المنقار ثم يسيران تابعين لجانب حافتى الجذر السنجابي للعصبين البصريين ويميزان من خلال الجوهر المثقب المقدم ليتوزعا فى الفص الخلفي للمخ ويسميان بأطراف الجسم المندمل

وأما الطرف الخلفي أى الوسادة فيتميز لها حافة سائبة أسمك من باقي الجسم وأطول من الحافة المقدمة وسائبة فى جزئها المتوسط ومغطاة من طرفيها بلفافة الجسم المندمل وهذه الوسادة موضوعة أسفل شرشرة المخ أو أعلى الطرف المقدم للمخيخ والحدبات التوأمية الاربع ولا تلتصق بشئ من هذه الاجزاء وهي التي تكون الجزء المتوسط من الشقة العليا لشق بيشا

(الحاجز الشفاف أي اللامع) هو صفيحة عصبية رقيقة موضوعة وضعا عموديا بين البطينين الجانبين من جهة والجسم المندمل والقبوة من الجهة الاخري ويتميز له وجهان أحدهما عن الآخر وأما الحافة العليا فمحدبة وتختلط مع الجسم المندمل والسفلى مقعرة وتختلط بالقبوة ، والمقدمة صغيرة وتختلط بركبة الجسم المندمل ومنقاره

ويوجد في مركز هذه الصفيحة تجويف صغير يسمى البطين الخامس أو بطين الحاجز اللامع وهو لايتصل بالتجاويف المخية

(القبوة ذات القوائم الثلاث) هي حاجز أفقي متكون من جوهر أبيض يفصل البطين المتوسط علي البطينين الجانبيين وشكله مثلث يرسم قوسا حقيقيا تقعيره الى أسفل ويميز له وجهان علوى وسفلي وثلاث حافات وثلاث زوايا

فالوجه العلوي يندغم عليه من الامام

علي الخط المتوسط الحاجز اللامع ومن الخلف الجسم المندمل ويساعد على تكوين الوجه السفلى للبطينين الجانبين

واما الوجه السفلى فمقعر ويكوّن قوة البطين المتوسط وهو مبطن بالقماش المشيمي الغير الملتصق به

وأما الحافتان الجانبيتان فيتجهان الي الخلف والوحشية آخذتان في الرقة شيئا فشيئا وتوتكزان علي السريرين البصريين وهاتان الحافتان تجاور الضفائر والمشيمة مجاورة تامة بحيث يمنعان أدني اتصال بين البطين الجانبي والمتوسط

وأما الحافة الخلفية فتختلط مع الجسم المندمل بجزء منها وفي هذه النقطة تختلف الالياف المستعرضة لهذا الجسم بالالياف المنحرفة للقبوة بحيث تكتسب شكل شجرة

وأما الزاوية المقدمة فتنحني الى الامام والاسفل راسمة لقوس تقعير خلفى يساعد على تحديد البطين المتوسط ثم يتفرع الى فرعين أى الى قائمتين مقدمتين ينتهيان فى السرير البصرى للجهة المقابلة بعد تكوينها للطبقة البيضاء للحدبتين البيضاويتين في وسط هذه الحدبات تنحني كل قائمة على نفسها لتكوّن شكل ثمانية بالافرنكي

لكي تنتهي فى سلك السرير البصرى وعند تفرع القائمين وتباعدهما تكونان موضوعتين على الوجه الخلفي لحبل أبيض عصبي يسمي بالمجمع الابيض المقدم للمخ فينتج من هذا الموضع انبعاث مثلث يسمى بالتقعير القمعي وكل قائمة تكوّن مع الطرف المقدم للسرير البصرى المقابل لها فتحة تسمي بثقب (مونرو) معدة لاتصال البطين المتوسط مع البطين الجانبى

وأما الزاويتان الخلفيتان فيتجهان الى الوحشية والخلف وتتفرعان الى فرعين أحدهما وحشى يتبع طول الحافة الانسية لقرن أمون على شكل شريط رقيق ليكوّن مايسمي بالجسم المحدود

وأما الفرع الآخر فيختلط بالطبقة السطحية لقرن امون المسمي برجل جاموس البحر

(القماش المشيمي) هو غشاء خلوى وعائي ذو شكل مثلث متكون من الأم الحنون وموضوع في الجزء العلوي من البطين المتوسط أسفل القبوة ويميز له حافة خلفية وحافتان جانبيتان رقة

فالحافة الخلفية تقابل الجزء المتوسط من الشق العظيم لبيشا وهي موضوعة أسفل وسادة الجسم المندمل وتحتوي فى سمكها على الغدة الصنوبرية

وأما القمة فتتفرع الي فرعين يتصلان بالضفائر المشيمية فى محاذاة ثقب مونرو

وأما الحافتان الجانبيتان فموضوعتان أسفل حافتي القبوة ويوجد في سمك القماش المشيمى وريدان يسميان بوريدى جالينوس وهما ينضمان أحدهما الى الآخر ليكونا أسفل الوسادة وريداً يصب فى الجيب المستقيم محاطا بغمد مصلى محدث للاتصال بينه وبين الصفيحة الجدرانية والحشوية العنكبوتية

(الغدة الصنوبرية) هي جسم صغير مخروطي الشكل قمته متجهة الى الخلف والاعلى وقاعدته الى الامام والاسفل وهى ترتكز بجزئها السفلى الى الحدبتين التوأمتين المقدمتين وجزئها العلوي يجاور وسادة الجسم المندمل وهذه الغدة موضوعة بين صفيحتي الحافة الخلفية للقماش المشيمى وينشأ من قاعدتها أى من جزئها السفلى ثلاث استطالات مقدمة ومتوسطة وسفلى

فالمقدمة تتبع طول الجزء الانسي للسرير البصرى وتنتهي في حذاء ثقب مونرو

وأما المتوسطة فهي مستعرضة وتتجه نحو السرير البصرى ولا يمكن اتباع سيرها فى سمكه

وأما السفلى فتتجه الى أسفل والوحشية نحو السرير البصري أيضا ومن المشرحين من يظن ان الاستطالة المتقدمة هى منشأ القبوة ذات القوائم الثلاث

وهذه الغدة تتركب في سطحها الظاهر من جوهر سنجابي محتو على أوعية شعرية ومنسوج خلوى وفي مركزها يوجد تحببات حجرية

(البطين المتوسط أى الثالث) هو تجويف موضوع على الخط المتوسط بين السريرين البصريين أسفل القماش المشيمى والقبوة وشكله قمعي مفرطح ويميز له قاعدة وقمة وحافتان وجدران

فالقاعدة متكونة من القماش المشيمى الملامس للقبوة

وأما القمة فتتكونة من تجويف ساق الغدة النخامية

وأما السطحان أى الجداران فتساويان وشكلها مثلث ذو قاعدة متجهة الي الاعلى

وكل سطح اى جدار محدود من جهة القاعدة اى بخط ابيض واضح ليس شيئا آخر غير الاستطالة المقدمة للغدة الصنوبرية وهذا السطح ينقسم بواسطة خط أى ميزاب مقدم خلفى الى نصفين علوي ليس هو الا السرير البصرى وسفلي هو الجوهر السنجابي بين البطين الذى هو عبارة عن صفيحة سنجابية منفرشة على الجزء السفلي من هذا البطين وعلى حافته الى ساق الغدة النخامية المكونة لقمة البطين

وأما الحافة الخلفية فمتجهة بانحراف من أعلى الى أسفل ومن الامام الى الخلف ويشاهد فيها من أعلي الي أسفل الغدة الصنوبرية وأطرافها المقدمة والمجمع الابيض الخافى للمخ ثم الفتحة المقدمة لقناة سلڤيوس

والمجمع الخلفي للمخ عبارة عن حبل ابيض يبلغ فى السمك واحداً الى واحد ونصف ملليمتر ويتجه بالعرض ثم يغوص فى سمك السريرين البصريين وهو موضوع أعلى الفتحة المقدمة لقناة سلڤيوس وأسفل الغدة الصنوبرية

وأما الحافة المقدمة فهي غير منتظمة ومتكونة من أعلي الى أسفل من الطرف المقدم للقبوة المتفرعة الى فرعين والتقعير القمي والجزء المتوسط للمجمع الابيض المقدم للمخ وأسفل ذلك الجدار السنجابي للعصبين البصريين ومحل تصالبهما والصفيحة الرمادية ويشاهد في تجويف البطين الثالث استطالة من جوهر سنجابي ممتدة من سرير بصري الى آخر وتسمى بالمجمع السنجابي وفي بعض الاحيان تكون غير موجودة وتجويف هذا البطين يتصل بالبطينين الجانبيين بواسطة ثقب (مونرو) ويتصل بتجويف البطين الرابع بواسطة قناة سلڤيوس وزيادة على ذلك يشاهد فى قاعدة هذا البطين فى الجهة الخلفية فتحات معدة لمرور الأم الحنون لتكوّن القماش المشيمى وهى الفتحة الموجودة في الجزء المتوسط للشق العظيم لبيشا أو الشق المخي

(البطينان الجانبيان) هما تجويفان يوجدان فى سمك النصفين الكريين تحت الجهتين الجانبيتين للوجه العلى المجمع العام ويتصلان في القرون الثلاثة المخية أي في القرن الجبهي والوتدى والمؤخرى فالجبهي يتجه الى الامام والمؤخرى الى الخلف والوتدى الى أسفل راسما لقوس حول السرير البصرى لينفتح

على الوجه السفلي للمخ في طرف انتهاء الشق المخي لبيشا وهذه الاستطالات الثلاث تختلط حذاء الطرف الخلفي للسرير البصرى واما الاستطالة المقدمة أى الجبهية فتحتوي في جدارها السفلي من الامام الى الخلف علي الجسم المضلع والسرير البصري وميزاب بينهما مشغول من اعلى الي اسفل بالضفائر المشيمية والصفيحة القرنية ووريد الجسم المضلع والشريط الهلالى ويشاهد خلف وانسى السرير البصرى القبوة الموضوعه عليه ولنذكر كلا من هذه الاجزاء علي حدته فنقول:

اما الجسم المضلع فموضوع وحشي السرير البصرى على جانب الحاجز اللامع ويبرز له سطح علوي سائب محدب في تجويف البطين متجه الى الخلف وتقعيره الى الاسفل والانسية وهذا السطح محدود بالميزاب الموجود بينه وبين السرير البصري وسطح سفلى عليه فصوص الجسم المضلع اى فصوص رايل وسطح انسى مجاور للسرير البصرى وسطح وحشى مختلط بالتلافيف المخية وطرف مقدم معانق لركبة الجسم المندمل وطرف خلفي ينفذ فى السرير البصرى

وهذا الجسم المضلع يتركب من طبقتين من الجوهر السنجابي منفصلتين بطبقة من الجوهر الابيض فاحدي الطبقات السنجابية تشاهد من جهة البطين وتسمي بالنواة السنجابية بين البطينات للجسم المضلع والثانية موضوعة اسفل منها وتسمي بالنواة السنجابية خارج البطينات

واما الجوهر الابيض فموضوع بينهما ومتكون من ألياف بيضاء متشععة فاصلة النويات السنجابية وأما الصفيحة القرنية فهي عبارة عن ثنية مكونة من الغشاء المحاطي للبطين وشاغلة لطول الميزاب الموجود بين الجسم المضلع والسرير البصري

وأما وريد الجسم المضلع فيتجه من الخلف الي الامام ماراً في وسط الميزاب الفاصل للجسم المضلع عن السرير البصري ثم يكون منشأ وريد جاليرس ويمر في ثقب ونرو

واما الشريط الهلالي فهو عبارة عن حزمة من الالياف طويلة شاغلة الميزاب الفاصل للجسم المضلع عن السرير البصري وموضوعة اسفل وريد الجسم المضلع

وأما السرير البصري فهو انتفاخ بيضي الشكل موضوع خلف الجسم المضلع على جانبي البطين المتوسط وأعلى الالحاذ المخية ويميز لكل سرير بصرى طرف مقدم وطرف خلفي وأربعة أسطحة علوي وسفلي وأنسي ووحشي فالطرف المقدم يكون مع القائمة المقدمة للقبوة ثقب مونرو وهو منفتح من الامام ويسمي بالحدبة المقدمة للسرير البصري وهو أحد مناشيء القبوة

واما الطرف الخلفي فنفصل عن الطرف الخلفي للسرير البصرى للجهة المقابلة بالحدبات التوأمية الاربع وهو منتفخ ويسمي بالحدبة الخلفية للسرير البصري محاط بالضفائر المشيمية وبالقائمة الخلفية للقبوة

واما الوجه العلوى فحدب وبارز من جهة البطينات ومغطي بالضفائر المشيمية وبالقبوة مفصول عن الوجه الانسى بواسطة الطرف المقدم الصنوبرية

وأما الوجه السفلى فرتكز بجزئه المقدم على لحذ المخ ويوجد بينهما نواة سنجابية تسمى بالجسم الزيتوني العلوى

واما الجزء الخلفي لهذا الوجه سائب ويقابل الشق المخي لبيشا وفي هذا المحل يشاهد حدبتان صغيرتان يسميان بالجسمين الركبيين للسرير البصرى احداهما أنسية والاخري وحشية فالانسية تقبل حزمة ليفية عصبية آتية من الحدبتين التوأميتين الخلفيتين والوحشية تقبل حزمة أخرى آتية من الحدبتين التوأميتين المقدمتين

وأما الوجه الانسي فيكوّن جدار البطين المتوسط ويجاور الحدبات التوأمية الاربع

وأما الوجه الوحشى فمختلط بالجسم المضلع ومنفصل عنه من الاعلى بالميزاب المشغول بالاجزاء السابقة الذكر

والسرير البصري يتركب من نويات سنجابية تسمي بالمراكز العضلية وتنقسم بالنسبة للوضع الى مقدم أى شمى ومتوسط أى بصري وخلفي أي سمعى ومركزى على الخط المتوسط يسمي بمركز الاحساس

وأما الاستطالة الخلفية أى التجويف الاصبعي اى القرن المؤخري فترسم قوسا تقعيره الى الانسية وينتهي بقعر كيس ويحتوى على ارتفاع يسمي برجل الطائر وهى ليست شيئا آخر الا لفافة مخية انقلبت فصار جوهرها الابيض بارزاً الى الباطن

وأما الاستطالة المتوسطة أي القرن الوتدى فيرسم قوساً تقعيره يلي الانسية معانقا للسرير البصرى وينتهي في طرف شق بيشا ويحتوي من الانسية الى الوحشية علي بروز أبيض يسمى بقرن أمون وأنسى ذلك يشاهد الجسم المحدود الذي هو عبارة عن الزاوية الخلفية للقبوة . وأنسى هذا الجسم الاخير وأسفل منه يشاهد ارتفاع سنجابي مستطيل ذو حلمات صغيرة يسمى بالجسم ذو الحافات المسننة

(الضفائر المشيمية للبطينات الجانبية) تتركب هذه الضفائر من استطالتين محمرتين علي طول الحافتين الجانبيتين للقبوة ومتكونتان من استطالة الام الحنون التي نفذت في القرن الوتدى للبطين الجانبي ثم بعد ذلك تتجه فى القرن المقدم لهذا البطين معانقة للجزء الخلفى للسرير البصرى وتستمر علي جانب حافتي القبوة وتنتهي في حذاء ثقب مونرو وهناك تختلط بالقماش المشيمى

(غشاء البطينات الجانبية) هو غشاء مصلى رقيق يغطي جميع سطح البطينات المخية ومغطي هو نفسه بطبقة بشرية اسطوانية ذات خلايا اهتزازية وهذا الغشاء لا يتصل بالعنكبوتية ولا الام الحنون

وبعد أن يغطي البطينات الجانبية يغطي البطين المتوسط بعد مروره من ثقب مونرو ثم يغطي قناة سلفيوس وبعد ذلك البطين الرابع ثم تجويف القناة المركزية للنخاع وحينئذ يسمى بغشاء التجاويف النخامية المخية والسطح الغائر لهذا الغشاء مغطي بطبقة من منسوج خلوي خاص محتو على جسيمات بشرية تسمى بالمنسوج الخلوي العصبي لفرجوف

(المخيخ) هو جزء الدماغ الموضوع في الحفرتين الخلفيتين من المؤخري خلف برزخ الدماغ ويميز له وجهان علوي وسفلى ودائرة . فالوجه العلوى محدب على الخط المتوسط ومسطح من الجانبين وجزؤه المتوسط بارز ويسمى بالدودة العليا للمخيخ وميازيبها مستمرة على الوجه العلوى المغطي بخيمة المخيخ

وأما الوجه السفلى فتشاهد فيه القبوة العنكبوتية المحددة للمجمع الخلفى وللسائل الدماغي الشوكي وهذه القبوة موضوعة بين المخيخ والنخاع المستطيل . ويميز لهذا الوجه شق متوسط وعلي جانبيه يوجد النصفان الكريان للمخيخ

فالنصفان الكريان محدودان بميازيب تقعيرها يلي الانسية والامام . وأما الشق المتوسط فيسمي بالشق بين النصفين الكريين وهو مشغول بارتفاع مقدم خلفي يسمي بالدودة السفلى التى تستمر من الخنف مع الدودة العليا وتكوّن الفص المتوسط للمخيخ وعلى جانبي الدودة السفلى تشاهد استطالة عصبية تكوّن مع هذه الدودة بروزاً صليبياً يسمي بالارتفاع المرمي للاستاذمالو كورن. والطرف المقدم للدودة السفلى سائب وغائص في تجويف البطين الرابع ويكون مايسمي بالفاصمة التي على جانبيها تنشأ ثنية صغيرة تتجه الى الوحشية نحو فصيص العصب الرئوي المعدى تسمي بصمام تيران ويوجد فى هذا الصمام تجويف يشرف على تجويف البطين الرابع مشابه لعش الهدهد

وأما الدائرة فشكلها بيضى ويشاهد فيها شرم مقدم وآخر خلفي فالمقدم معد لقبول قنطرة فارول ويكون الشفة السفلى للشق العظيم لبيشا. وأما الخافى فمعد لقبول شرشرة المخيخ ويوجد على أسطحة المخيخ ميازيب وصفائح وصفيحات . فالميازيب هي المسافات الفاصلة للصفائح والصفيحات والفصيصات . والمهم من هذه الميازيب هو الكبير الدائرى وهو أفقى وغائر ويقسم المخيخ الى نصفين علوي وسفلى ويشاهد على السطح السفلى فصيص بارز على جانب النخاع المستطيل يسمي بالفص اللوزى .

وأمام ذلك يشاهد الفصيص العصبي الرئوى المعدى الذى هو أصغر من السابق وموضوع مباشرة أسفل الافخاذ المخيخية المتوسطة

والمخيخ يتركب من جوهر ابيض وجوهر سنجابي. فالابيض يشغل مركز المخيخ ويحتوى في باطنه على الجسم الزيتوني للمخيخ وهذا الجسم موضوع في مركز كل نصف كري للمخيخ وهو على هيئة غشاء مصفر اللون منثن على نفسه ومشابه للكيس ، فتحته مشرفة على نقطة محل اجتماع الثلاثة الافخاذ المخية وعلى الزاوية الجانبية للبطين الرابع

وأما الجوهر الابيض فيرسل عدة استطالات باطنة تتفرع على الجوهر السنجابي ومجموع هذه الاستطالات المتفرعة يكوّن مايسمي بشجرة الحياة والجوهر الابيض يرسل أيضا ثلاث استطالات خارجية أخرى مهمة تسمي بالافخاذ المخيخية

فالافخاذ العليا تتجه أسفل الحدبات التوأمية الاربع والمتوسطة تتجه الى الامام وتختلط مع قنطرة فارول والسفلي تتجه نحو النخاع المستطيل

(برزخ الدماغ) يطلق هذا الاسم على مجموع الاجزاء الموضوعة بين المخ والنخاع الشوكي والمخيخ ويميز له جزآن علوى وسفلي منفصلان عن الجانبين بواسطة شق مقدم خلفي

العلوى يتركب من أعضاء موضوعة بين الاسرة البصرية والبطين المتوسط من الامام والمخيخ من الخلف وهى من الامام الى الخلف الحدبات التوأمية الاربع وصمام فيوسنس ثم على الجانبين الفخذان المخيان العلويان وشريط رايل وهذا الجزء العلوى منفصل عن العلوي بواسطة قناة سلفيوس والبطين الرابع. وأما السفلى فيتركب من الاسفل الى الاعلي من النخاع المستطيل وقنطرة فارول والفخذين المتوسطين المخيخيين والفخذين المخيين

(الحدبات التوأمية الاربع) هي ارتفاعات صغيرة عددها أربعة موضوعة بين السريرين البصريين خلف البطين المتوسط وأمام الصفائح العليا للمخيخ وتنقسم الى حدبتين مقدمتين وحدبتين خلفيتين وهذه الاخيرة أصغر من الاولي وكل منها يرسل حزمة ليفية عصبية الي الاجسام الركبية وهذه الحدبات التوأمية الاربع تكون المنشأ الحقيقى للاعصاب البصرية وتكون مغطاة بقاعدة القماش المشيمى والغدة الصنوبرية

(صمام فيوسنس) هو غشاء عصبي يساعد على تكوين قبوة البطين الرابع ويغطي الغلصمة وهو موضوع أسفل الصفائح العليا للمخيخ بين الافخاذ المخيخية العليا خلف الحدبات التوأمية الاربع ويوضع علي الجزء المقدم لهذا الغشاء حزمة صغيرة بيضاء تتجه الى الحدبات التوأمية الخفية تسمي بلجام صمام فيوسنس وينشأ من قمة هذا الصمام الاعصاب الاشتياقية

(الفخذان العلويان المنحنيان) هما حبلان أبيضان ممتدان من الجزء المقدم للمخيخ في محاذاة الجسم المعينى أي الزيتوني المخيخي الى الحدبات التوأمية الاربع ثم يران أسفلها ويتصالب أحدهما بالآخر ويتجهان نحو الفخذين المخيين

ويساعدان على تكوينها ويميز لهـا سطح علوي موضوع على سطح واحدمثل صمام فيوسنس فى مستوي واحد وسطح سفلي يساعـد على تكوين قبوة البطين الرابع وحافة وحشية تختلط بالفخذين المخيخيين التوسطاين وحافة أنسية يندغم عليهاصمام فيوسنس

(شريط رايل أى الحزمة المنحرفة لبرزخ الدماغ) هو عبارةعن مثلث عصبي موضوع على جانبي السطح العلوى لبرزخ الدماغ وحافة هذ المثلث السفلي تقـابل الميزاب الفاصل بين سطح برزخ الدماغ وأما حافته الخلفية فتعانق الفخذين المخيين العلويين وحافتـه المقدمة تقـابل الحدبات التوأمية الخلفية. وأما القمةفتتجه نحو الحدبتين التوأميتين الخلفيتين وتحذى المخيخ العلوي لتختلط مع صمام فيوسنس وأما الفخذان المخيخيان المتوسطان فنشرحهما مع قنطرة فارول وأما السفليان فمع النخاع المستطيـل انتهي من كتاب (ارشاد الخواص في التشريح الخاص بتصرف)

(أمراض المخ) المخ من الاعضاء الرئيسية في الجسم الانساني وهو عرضة لعدد عظيم من الامراض والاعراض نأتي هنا على بعضها مما يهم الناس معرفته وان كانت معالجته لايسمح بها الا لمهرة الاطباء لخطورتها

(الاضطراب العقلى) أظهر أمراض المخ وأشيعها هو الاضطراب العقلى وقد يكون العقل سليما ولكن يوجد تغير مرضى في أجزاء المخ لوجود نقط نزفيةوجهات لينة في بعض أجزاء النسيج الابيض من مادته ولا يعرف ذلك الا بعد تشريح جثة المصاب وانما لم تظهر آثار لهذه الاعراض أثناء الحياة لأنها كانت جزئية . ولكن متي وجد اضطراب في عقل انسان كان ذلك دليلا واضحا على وجود تغير في النسيج السنجابي القشرى للمخ

تنحصر اضطرابات العقل في تناقص قوته وفي زيادته بمايفوق العادة وفي ضياعه جملة . فلندرس هنا هذه الاعراض واحداً بعد الاخري لاهميتها

(١) تناقص قوة العقل يعرف بخمود حواس الشخص وبلاهته وعدم فهمـه وببطء اجابته علي المسائل التي تلقى عليه وبعدم تناسب أفكاره وبضعف أو فقد حافظته . فمتي وجدت هذه الاعراض

وصحبها تشوه في عظام الجمجمة أو عظام الوجه كان ذلك التغـير العقلى فطريا في المصاب . وهنا يجب البحث في درجات عقول آبائه ودرجة تربية المريض ومعارفه

وقد يكون نقص العقل وخموده عارضاً وفي هذه الحالة يكون ناجماً عن نزف مخي أو لين فى مادته أو التهاب حاد فيه أو اضطراب فى دورته أو في تغذيته فمتي كان الخمود تاماً كان المريض فاقداً للحس والادراك والحركة فلا يتنبه بأى منبه كان ويبقى عادم الحركة مرتخى الاطراف والعواصر أيضا فينفرز بوله وتخرج مواده الفضلية بدون ارادته أو ينحصر بوله وتبقى فضلاته في أمعائه فيضطر الطبيب لاستخراجها بالآلات . ويكون تنفسه بطيئا شخيريا ونبضه في الابتداء بطيئا ثم يسرع فيما بعد ويكون التنبه الانعكاسي الجلدي مفقوداً أيضاً . وانما تستمر دورته وتنفسه لان مراكزهما في البصلة وهي أسفل المخ فلم تلحقها الاصابة

وقد لايكون فقد الادراك والحركة والحس تاما . وقد يفيق المصاب بالسكتة ويبقى عنده اضطراب فى الفهم ، والتفهيم وقد يحصل ذلك بدون أن يسبق بسكتة ويصحب بها

فوسائط التفهيم هى الاشارة والتكلم والكتابة ووسائط الفهم هى السمع ورؤية الاشارة والقراءة

وقد ثبت أن الفهم والتفهيم في الانسان متعلقان بثلاثة أجهزة خاصة في المخ وهي :

(أولا) جهاز علوى قشرى مكون من أعضاء تولد الفكر والتصور

(ثانيا) جهاز موضوع أسفل من المتقدم معه لتخزين صور الكلام المدرك بالسمع أو البصر (أي بالقراءة) ومعد أيضا لصوغ صور الكلام بالفم واليد أى بالتكلم والكتابة ويشمل هذا الجهاز مراكز الذاكرة فاضطراب هـذا الجهاز ينتج عنه فقد المذكرة صور الكلام للتكلم وفقدها لنقشه أى لكتابته وربما ان المذكرة فقدت صور الكلام فلا يفهم المصاب الكلام المسموع ولا المقروء

وعلى حسب رأى العلماء المتقدمين يوجد لـكل حافظة من حوافظ معرفة الاشارات والكلام وصور الكلام محل خاص بعيد عن الآخر ولكن يوجد بينها تواصل بواسطة ألياف ضامة ولهذا فقد

يعوض بعضها بعضا في الوظيفة فتي تغير أحدها أثر علي باقيها وأتلفها . وقد يحصل التغير للجميع ان كان المتغير منها هو الأهم الأقوى وتكون البواقي تابعة له . ولنأت بوجز على كل من هذه الاعراض فنقول :

(في صمم الكلام) هو عدم امكان المريض ادراك صور الكلام مع حفظه لسلامة حاسة السمع فهو يسمع الاصوات ولكنه لا يدرك لها معني . وقد يكون هذا منوع من الصمم غير تام فيدرك المصاب بعض مقاطع الكلمة أو يفهم كلمة واحدة دون الباقي. ومركز تمييز الكلام المسموع هو اللفيف الاول والثاني الصدغيان

(عمي الكلام) هو فقد البصر لخاصة معرفة صور الكلام المكتوب . وقد يكون هذا العمي تاما فلا يري المصاب في الورقة المقدمة اليه غير خطوط مرسومة لا دلالة لها في نظره . وقد يكون هذا العمي جزئيا فيعمي عن تمييز الاحرف المنفردة فقط أو عن تمييز اجتماع الاحرف المكونة لجزء من كلمة أو عن تمييز الاشارات الحسابية ومثل هذا المريض لا يمكنه قراءة كتابته ولا كتابة غيره ولا الارقام ولا الاشارات التي تستعمل لتفهيمه لانه فقد معرفة صورها

محل حافظة معرفة الكتابة والاشارات المنظورة وفهمها هو في الثنية المنحنية للفيف الجداري السفلي

(فقد معرفة نقش الكتابة) المصاب بهذا العرض لا يمكنه أن يكتب كلمة واحدة من الكلام ولا رقما من الارقام ولا أن يأتي باشارة متعارفة بين الناس كاشارة (تعال) أو (اذهب) أو (اسكت) مع سلامة يده وقدرتها على الحركة . وقد يذكر المصاب بعض الاحرف أو بعض أجزاء الكلمات فيكتبها ويخيل اليه أنها كافية في الدلالة عما يريده

محل هذه الحافظة في قاعدة اللفيف الجبهي الافقي الثاني

(فقد خاصة النطق) هي أكثر الانواع حصولا فتي كانت تامة فلا يمكن المصاب أن ينبس بحرف مع حفظه لحركات لسانه وشفتيه وبصره وسمعه فيسمع الكلام ويقرأ الكتابة ولكنه لا يستطيع أن ينطق بكلمة ما لانه فقد حافظة صور الكلام

وقد يكون هذا المرض جزئيا فيمكنه أن ينطق ببعض الكلمات أو بعض

الاحرف او جزء من كلمة أو كلمة واحدة لا معني لها فتراه يستعملها فى كل جواب وتفهيم كأنها تعوض جميع صور الكلام الغائبة عن حافظته فمن المرضي من يكون قوله (نعم) فى كل كلام فيرددها الى مالا نهاية له متخيلا انه يعبر عن ضميره ومنهم من يضع (لا) فى كل موضع. ومن المرضى من لا يستطيع النطق بنفسه ولكنه يستطيع أن يردد مايقال له

والمصاب بهذا العارض لا يستطيع أن يقرأ الكلام المكتوب ولا أن يفهمه محل وجود صور الكلام لمعرفة النطق به وكتابته هو قاعدة اللفيف الجبهى الثالث اليسارى المسمي لفيف بروكا. ثم ان حافظة وجود صور الكلمات ومعرفة نطقها أو كتابتها هي واحدة فني تلفت نسي المريض صور الكلمات فلا يجد في فكره كلمة ولا حرفا

وقد شوهدت أنواع أخر من المرض في جميع الامراض التي تحدث الالتهابات الشريانية وفي الامراض التي تنجم عنها السدد السيارة مثل الامراض العفنة

(فقد السمع والقراءة) قد ينجم فقد السمع والقراءة بدون تغير في المراكز القشرية نفسها أى بدون تغير فى خلاياها المولدة للفكر ولا في خلاياها المخزنة لصور الكلام فيحدث عن تغير فى الالياف الموصلة لمركز من المراكز المذكورة الى مركز آخر او عن تفسير موجود أسفل المركز القشرى فى ابتداء أليافه الموصلة له بالدائر أو فى بعض هذه الالياف. وبناء علي ذلك يكون التغير قاصراً على ذاكرة المراكز المتغيرة. وأما صور الكلام المخزونة فى المراكز الاخري فتبقى محفوظة، فالتكلم النفسي يكون محفوظا وأما المركز المفصول من الدائر يكون متغيراً بتغير أليافه الموصلة للدائر ولذا كان اضطراب الكلام قليل الوضوح

وبسبب تغير مواطن الاصابات قد يحفظ المصاب صور الكلام فيفهمه بالكتابة ويقرأ الكتابة فيدرك معناها لسلامة حوافظ هذه الخصائص ولكن لا يمكنه أن يفهم الكلام المنطوق لان الخاصة بتوصيل صور الكلام المنطوق تكون مصابة

وقد لا يعرف المريض صور الكلام المعروض على سمعه ولكنه يكتب ويتكلم ويقرأ فلا يكون معه غير صمم الكلام

مع انه يسمع الاصوات الاخرى غير الكلام ويفهمها

وقد يعمي عن صور الكلام المكتوب ولكنه مع هذا يتكلم ويسمع ولكنه لايقرأ

فعلي الطبيب ان يحدد موطن الاصابة ونوع أعراضها ليعرف كنه المرض وعلاجه

وعلى كل حال فاستمرار هذه الاعراض بعقب حصول صدمة سيارة يحدث عنها لين مخي وتبتدئ غالبا بنوبة سكتة يصحبها شلل نصفي جانبي يميني للجسم وهذا العرض يكون دالا علي لين المخ لاعلى النزيف المخي

وقد تكون هذه الاعراض غير مصحوبة بشلل نصفي جانبي للجسم بل منفردة فتكون حينئذ وقتية أو تستمر وفي كلتا الحالتين تكون اما ناجمة عن ضغط ورم مخي مجاور للشريان المغذى لمركز التكلم واما عن ضغط لطخة صغيرة النهاية زهرية وعائية مخية او سحائية اى عن وقوف دورة الشريان المذكور وقوفا وقتيا بخلاف الاعراض الناجمة عن اللين فانها تستمر ان لم يعوضها لفيف الجهة الثانية من المخ او جزء مجاور من اللفيف المذكور يكون سليما اى ليس واقعا فى اللين وهذا نادر ولهذا فان أغلب هذه الاعراض لايشفى بل يستمر الي الموت

(اضطراب اللسان) اللسان عضو معد لايصال صور الكلام الى الغير أي ان فعله فعل ميكانيكي وحينئذ لا ينجم عن اضطرابه مثل الاعراض المتقدمة لان حافظة معرفة صور الكلام تكون موجودة عند المصاب فهو يتكلم ولكن لايكون كلامه ككلامه أيام كان صحيحا بل يكون مضطربا . وهذا مايشاهد فى الشلل النصفى الجانبي اليميني للجسم الناجم عن النزف المخي لاعن لين فيتكلم المريض ولكن ككلام من يكون فى فمه مادة لزجة ثخينة . وهذا الاضطراب الميكانيكي ناجم عن شلل العصب العظيم الذى تحت اللسان في الجهة المصابة بالشلل النصفى الجانبي

بهذه الصفة يتميز الاضطراب الميكانيكي للتكلم عن المرض السابق ذكره

ويوجد اضطراب الفعل الميكانيكي

للتكلم ايضا عند المصاب بالشلل البصلي فيكون الكلام بطيئاً متردداً مصحوبا بارتعاش الشفتين واللسان بسبب حصول عثور بالمقاطع

ويوجد ايضاً اضطراب اللسان عند المصاب بالاسكليروز اللطخي متي وجدت لطخ في الاجزاء العليا المحور المخي النخاعي (البصلة) فيكون كلام المصاب بطيئاً وحيد النغم يقرب من تكلم المصاب بالشلل البصلي لكنه يتميز عنه بكونه وان كان بطيئا الا انه ازتجاجي تشنجي فيبتدىء النطق بانقباض خفيف في الشفتين اى بتشنجهما تشنجا خفيفا وينقبض في الوقت نفسه جلد الجبهة ويتكرش ويفعل المريض مجهوداً عظيما لينطق بالكلمة فينطق مقطعاً مقطعاً بكل صعوبة مع فعل مجهود عظيم كأنه مدفوع ليتكلم ويجعل بين مقطع وآخر من مقاطع الكلمة فترة سكوت قصيرة المدة واخيراً ينطق المقطع الاخير من الكلمة بقوة

ثم ان صعوبة التكلم عند المتكلمين بالاسكليروز اللطخي المذكور يستمر فى الازدياد تدريجا وقد يحصل اثناءه نوب تحسين وقتي ولكن يعقبها زيادة في

الاضطراب

ثم ان الاضطراب المخي قد يكون قاصراً على مراكز الادراك المخي التعقلي أى يحصل اضطراب القوى المدركة للاحساسات والافعال التي بها يزن الانسان أفكاره وأفعاله أثناء التيقظ فينجم عن ذلك الامراض العقلية الجزئية التي هى الهذيان والضلال وأما الجنون فيكون الادراك مفقود بالمرة

فالهذيان ينجم عن اضطراب العقل اضطرابا مرضيا وله أنواع : (١) الهذيان الحاد (٢) والهذيان الهوسى (٣) والمالبخوليا (٤) والهذيان المرتب (٥) والهذيان الاعتقادي التدريجي (٦) وهذيان القتل

ففي النوع الاول يصير عقل المصاب به مضطربا متعبا لا يعجبه شيء ويسيء الظن بكل شخص يعرفه ويحبه بل وفى أقاربه

وفي الدور الثاني يسمع سماعا كاذبا أن الناس يتذاكرون لمعاكسته وأنهم يهددونه ويتهمونه بأعمال جنائية

وفى الدور الثالث يهرب المريض ويتجنب العالم لانه يري رؤية كاذبة انه

متبوع بشخص ليقتله ويمتنع عن الاكل لتوهمه أن الناس يتمالأون علي سمه.ويرى أخيراً أنه لو قتل نفسه نجامن شر الناس. كل هذه الانواع ناجمة عن تغير مرضي فى القشرة السنجابية وأعظمه الالتهاب. المنتشر للنسيج الخلوى للقشرة المذكورة

(أسباب الهذيان) ينجم عن الامراض الحادة العفنة كالحي التيفودية او التيفوسية ويغلب حصول الهذيان ليلا ولا يصير نهاراً الا فى آخر أدوارها عند شدة خطرها

ويكون الهذيان مستمراً ليلا ونهاراً فى الدرن ذي الشكل التيفودي

وقد يكون نتيجة الالتهاب الرئوي الحاد الذي يصيب قمة الرئة

وقد يكون ثمرة الالتهاب الرئوي الحاد الذي يصيب المدمنين على الخمر ولذا يجب على الطبيب أن يفحص الصدر ليميز هذه الاعراض عن التغيرات المخية الاصلية

وقديكون الهذيان ناجماً عن الالتهاب السحائي المصاحب للالتهاب الرئوي

وقد ينجم عن التسممات كالتسمم البولي عند المصابين بمرض برايت أى البول الزلالي

وقد يحدث الهذيان عن اليرقان ويسمى بالجنون الكبدي بسبب تأثير عناصر الصفراء علي الجهاز العصبي المركزى اى المخ

وقد يكون الهذيان من التسمم بالادوية مثل تعاطي جزء كبير من الديجيتالا او البلادونا او الافيون او ساليسيلات الصودا وقد يطرأ من التسمم الرصاصي عند المشتغلين بالمركبات الرصاصية

ويحدث من الادمان علي الخمر.وفى هذه الحالة يسبق النوبة الهذيانية عدم راحة للجسم وللمخ وفقد الشهية والقوي واضطراب النوم ثم يحدث الهذيان فيتهيج المصاب ويزبد ويفعل افعالا تعوزمجهودا قويا بدون تعقل وترتعش يداه ورجلاه وشفتاه ويتكلم بصوت عال ارتجاجي واذا كان على فراشه يتركه ويخرج من حجرته ويكون وجهه شاحبا وعيناه كثيرتي الحركة وتنفسه متتابعاً ويرى مرئيات كاذبة كحيوانات أو كائنات سماوية أو يصيح قائلا النار النار الحريق الحريق ، او يصيح قائلا قد أصبت بضربة أو بمرض وقد يكفى في هذه الحالة زجر المريض بشدة ليعود الى التعقل . وقد

تمكث هذه النوبة من اربعة الى خمسة ايام او اكثر ثم تزول عقب نوم هادي.

وقد يحدث الهذيان عن الاحتقان المخي وعن الانيميا المخية وعن الامراض الحمية العادية الحادة متى كانت درجة الحرارة مرتفعة وعن الالتهاب السحائي الحاد وعن الدور الاول للالتهاب السحائي الدرني وعن الالتهاب المخي الحاد وعن الالتهاب المخي المزمن الاصلى او التبعي وعن الدور الاول للشلل الضمورى

ومن الامراض المخية ماينتج التخيلات وهى نتيجة الاضطراب فى وظائف المخ الخاصة بقبول الحس العام او بقبول احدي الحواس الاخري مع اضطراب قوة الادراك التعقلية وبذلك تحدث للمريض افكار كاذبة او يسمع اصواتا وهمية او يرى مرئيات لاحقيقة لها او يشعر باحساسات لاوجود لها ويعتقدان ذلك حقيقة. وبذلك تنقسم التخيلات الى اقسام

اولها التخيلات المخية المختصة بالحواس وفيها يسمع المصاب اصواتا باطنية وقد يكتب رسائل تحت املائها . وقد تكون التخيلات المخية شعوراً بارتياح أو بحزن أو يأس أو ذنب أو تدين أو الحاد أو توهم أو شجاعة أو بكونه جميلا أو ملكا أو غنياً جداً أو غيوراً بافراط

ومن أعراض هذا المرض اهمال المريض لنفسه فيصير قذراً . ومن هذا النوع أن تجد المصاب يهوي قتل العالم أو السرقة أو اضرام النار فى البيوت

ثانيها التخيلات البصرية وهي أكثر أنواع التخيلات شيوعا فيرى المريض خيالات مزعجة أو حيوانات مؤذية كثعبان وغيره أو يرى أشخاصاً يتبعونه ليقتلوه أو يسموه

ثالثها التخيلات الهيجانية وفيها ينتقل المصاب من محل لآخر كثيراً . ويشتم ويضرب ويكسر كل ماقابله

رابعها التخيلات اللمسية فيشعر المصاب بوخز أو قرص أو عض كلب او قطع بسكين

خامسها التخيلات الحسية فيحس بأنه مرتفع عن الارض او طائر فى الجو

سادسها تخيلات الحس العام فيخيل له انه توجد بجسمه حيوانات مؤذية

سابعها تخيلات الذوق وفيها يشعر المصاب بطعم كريه في المشروبات

والمأكولات

ثامنها تخيلات الشم وفيها يشم روائح كريهة لا أصل لها

تاسعها تخيلات السمع فيسمع أصواتا تكلمه لاوجود لها

عاشرها التخيلات الخاصة بأعضاء التناسل وفيها يشعر المصاب باحساسات لاحقيقة لها

يحدث هذا للمصاب وقد يعلم انه وهم باطل ولكنه لا يستطيع التغلب عليه . وعلي أى حال فهذا المرض يتولد عند المستعد له من تغير مرضى مخي اومن احساس مرضي يصير بسرعة فى قوة الاحساس الطبيعي الحقيقي. والاسباب الموجبة له هي الخوف والحزن واليأس والفرح المفرط والمفاجآت

اما الضـلال فهو من الاضطرابات العقلية الخاصة بالتميز فترى المصاب يدرك الاشياء ولكن بدون ضـبط فيظن ان ابنه والده وابنته زوجته وخادمه سيده واحلامه مرئيات حقيقية وما حدث من عهد بعيد افعالا جديدة . وتشـاهد هذه الاعراض عند الهستريات وفي التسمم الكحولى وفى دور النقاهة لبعض الامراض الطويلة المدة وعند المصابين بالشلل العام

(الدوار) هو اضطراب مخى محله مركز قبول الاحساسات العامة فيحدث ضلال في احساس هذا المركز أى يحدث فيه حس كاذب فيخيل المريض بأن جسمه دائر أو ان الاجسـام المحيطة به تدور أو تهتز فيدل الدوار حينئذ على ان المخ متأثر.وهذا ينجم عن أسباب عديدة

(أولها) الامراض التعفنية الحادة

(ثانيها) عند اضطراب دورة المخ بسبب حالة احتقانية او انيمية

(ثالثها) عن الالتهـاب الشرياني الحلوى المزمن فيكون الدوار مصاحبا لحالة عدم كفاءة الصمام الاورطي لغلقه او ضيقه

(رابعها) يحدث عن تغيرات معدية سواء كانت مصحوبة بتمدد معدي اوغير مصحوبة وهو دور عصبي محض

(خامسها) يحدث في حالة ضعف الاعصاب (النوراستيني) غير مصحوب بتغيرات معدية

(سادسها) يحدث المسـافرين على البحر وهو عصـبي ناتج من تطوح المخ بحركة الباخرة او رؤية صعودها ونزولها

(سابعها) من أورام مخيـة فيكون مصحوبا بأعراض أخري تميز وجود تلك

الاورام

(ثامنها) من أورام المخيخ ويصطحب بتطوح المريض من جهة الى اخرى اثناء سيره

في اضطرابات الحركة الارادية أى الشلل) قد تكون قوة الانقباض العضلي الارادى ضعيفة وقد تكون القوة مفقودة بالمرة فيسمى بالشلل العام . وقد علم مما تقدم ان ارادة الحركة تصدر من المراكز المحركة المخية وان الارادة الصادرة من احد هذه المراكز او من جميعها تصل الى العضل بالألياف الناشئة من المراكز المذكورة وأن هذه الالياف تكون أسفل من منشأها القسم المتقدم للتاج المشع ثم للجهة المقدمة للمحفظة الانسية ثم للجهة المقدمة للافخاذ المخية ثم للجهة المقدمة لقنطرة فارول ثم للجهة المقدمة للبصلة ، ثم يتصالب الجزء الاعظم منها فى عنق البصلة والباقي لا يتصالب فيها ثم تنزل الياف الحزمتين في النخاع وفيه تختلط بقرونه المقدمة وبالاعصاب النخاعية المقدمة المتصلة بالعضل فمتي حصل تغير وأتلف أحد هذه المراكز أو أتلف جملة منها أو حصل التغير في الالياف الموصلة المذكورة في نقطة ما منها اثناء سيرها من منشأها الي انتهائها او حصل تغير في نفس العضل نجم عن ذلك شلل العضل المذكور . ويقال للتغير المصيب للمراكز المخية تغير مخي والمصيب لألياف التوصيل أو للعضلات تغير دائرى

فاذا كان التغير قاصراً على مركز مخي محرك واحد سمى الشلل الناجم عنه بالشلل الوحيد أو المنفرد وحينئذ يكون شاملا للطرف بتمامه فاذا كان الطرف المصاب علويا سمى شللا علويا وان كان الطرف سفليا سمى شللا سفليا . ولكن ينجم الشلل السفلى المفرد غالبا عن تغير في النخاع ويندر ان يكون في المركز المخي المحرك للطرف السفلي المذكور أى فى جزء قشرة الجزء العلوى للفيف الصاعد الجبهي والصاعد الجدارى وخصوصاً الجبهى

اما اذا كان التغير قاصراً على جزء قشرة الجزء السفلى للفيف الصاعد كان الشلل حينئذ قاصراً علي الطرف العلوي للجهة المضادة لجهة التغير المخي

واما اذا كان التغير القشرى عاما للمراكز المحركة المخية لأحد النصفين الكريين للمخ فينجم عن ذلك شلل عام للجهة الجانبية للجسم المضادة لجهة التغير

القشري ويسمى هذا الشلل بالفالج .
وهو يحصل أيضاً متى كان مجلس التغير فى الالياف النازلة من المراكز المحركة المخية اثناء تكوينها للجزء المقدم للتاج المشع أو أثناء تكوينها للجزء المقدم والثلثين المقدمين من الجزء الخلفى للمحفظة الانسية لتقارب الالياف النازلة المذكورة. ومتى كان مجلس التغير في الثلثين المقدمين من القسم الخلفي من المحفظة الانسية وكائنا قبل تصالب العصبين الوجهيين وتحت اللسان كان شلل النصف الجانبي للوجه واللسان فى جهة شلل الطرف العلوى والسفلى لجانب الجسم ويكون شلل الوجه حينئذ قاصراً على العصب الوجهي السفلي

ومتي كان التغير المرضي عاماً لالياف التاج المشع أو عاماً لألياف المحفظة الانسية كان الشلل النصفى الجانبي للجسم مصحوبا بفقده الاحساس في النصف الجانبي المذكور لان الالياف الموجودة في القسم الخلفى للتاج المشع او في المثلث الخلفي للمحفظة الانسية هى الموصلة للاحساس العام للنصف الجانبي للجسم الى مركز قبول هذا الاحساس الموجود في النصف الكرى للجهة المضادة لجهة منشأ الاحساس من الجسم

واذا حصل تغير فى القائم المخي أصيب العصب المحرك للعين بعد تصالبه مع المماثل له للجهة المقابلة

وأما شلل الوجه واللسان والطرف العلوى والسفلي فيكون فى الجهة الجانبية للجسم المقابل للتغير المخي

أما اذا كان مجلس التغير الحدبة المخية فيكون شلل الوجه في جهة التغير الحدبي . وأما شلل الطرف العلوى والسفلى لجانب الجسم وفقده احساسه فيكون فى الجهة المقابلة للتغير الحدبي أى يكون الشلل متصالبا أيضا لان الحالة هنا بالنسبة للعصب الوجهي كحالة التغير القائمى المخي بالنسبة للعصب المحرك العام العينى بسبب ان العصب الوجهي متصالب مع المماثل له للجهة المقابلة اعلي من الحدبة المخية . وأما الالياف المحركة للطرف العلوى والطرف السفلي والالياف الناقلة للاحساس فانها متصالبة في البصلة وهي كائنة اسفل من الحوية ولذا يكون شلل الوجه فى جهة التغير الحدبي وشلل الطرف العلوى والسفلى فى الجهة المقابلة

وأما اذا حصل تغير في البصلة فينجم

عنه اصابة جملة اعصاب دماغية لان نويات منشأ اكثر الاعصاب الدماغية كائنة فى البصلة ومتقاربة جداً بعضها من بعض . فاذا كان محل التغير وسط البصلة نجم عن ذلك شلل العصب اللساني والعصب الوجهي والعصب الرئوى المعدي والعصب الشوكي ومجموع ظواهر هذا التغير يكوّن مايسمي بالشلل الشفوي اللساني الحنجرى البلعومي وبالشلل البصلى وبناء علي ذلك محصول الشلل المذكور يدل علي أن مجلس التغير كائن فى البصلة واما اذا كان مجلس التغير البصلى حاصل فى اهرامها المقدمة اسفل محل خروج الاعصاب الاخيرة الدماغية فى البصلة فينجم عنه شلل نصفي جانبي للجسم غير مصحوب بشلل وجهى ولا بتغير في حاسة الابصار ولا في حاسة الشم ولا بتغير عقلي

واما اذا كان التغير في المخيخ كانضغاط احد نصفيه بورم فينجم عنه شلل نصفى جانبي للجسم لكنه يتميز عن الشلل المخي باصطحابه بألم قمحدوي وبقيء وباضطراب بصري ويتميز ايضا بتطوح الشخص في اثناء المشى

بالاجمال الشلل النصفى الجانبي المخي المركزى الناجم عن لين مخي أو نزيف مخي أتلف الجزء القشرى للتلافيف الصاعدة لاحد نصفي المخ او اتلف الالياف النازلة من المراكز في المحفظة الانسية يبتدىء في اكثر الاحوال بنوبة سكتية مخية فاذا أفاق منها المريض وجد عنده شلل في احد جانبي الجسم في الجهة المضادة لجهة التغير المخي

وقد توجد نوب سكتية غير ناجمة عن النزيف المخي ولا عن الانسداد الوعائي المخي بل عن الاحتقان والانيميا المخيين او عن تسمم بولى مخي او عن اورام مخية او عن شلل عام وتتميز النوبة السكتية الناجمة عن الاحتقان المخي او عن الانيميا المخية بكونها وقتية واذا صحبها شلل كان وقتيا مثلها وتتميز السكتة الناجمة عن التسمم البولي باصطحابها بورم فى اجزاء اخرى من الجسم ويوجد الزلال في البول (انظر عصب) (مقتبس من كتاب المعاينة والعلامات التشخيصية لعيسى باشا حمدي بتصرف)

(علاج هذه الامراض) لانستطيع وصف شيء يمكن للانسان ان يعمله بنفسه فان جميع هذه الامراض تعوز عناية

الطبيب ومراقبته فيجب التعويل عليه

﴿ المَحَدة ﴾ المعونة

﴿ مخَرت ﴾ السفينة تمخُر مَخْراً جرت تشق الماء و(الماخور) محل العواهر

﴿ مَخْرق ﴾ الرجل مَخرقة موه وكذب

﴿ مخض ﴾ اللبن يمخُضه ويمخَضه مخضا استخرج زبده بوضع الماء فيه وتحريكه . و (مَخَضت الحامل) تمخض مخاضا دنا ولادها فهي ماخِض . و (تمخَّض اللبن) صار مَخيضا . و (تمخّض الولد) تحرك . و (ابن المَخاض) الفصيل اذا لقحت أمه وقيل ما دخل في السنة الثانية

﴿ مخَط ﴾ المخاط يمخُطه ويمخَطه اخرجه و (المُخاط) مايسيل من الانف

﴿ المخلصة ﴾ هو نبات ينبت بالاراضي غير المنزرعة وله سنابل جميلة وازهار صفر وسوق قائمة واوراق مغبرة ضيقة سوقه شبيهة بسوق الكتان طعمه خفيف المرارة ورائحته مغثية كريهة وهي تدل على انه من النباتات الخطرة على الصحة

(خواصه الطبية) شوهد في المخلصة خاصة الاسهال وادرار البول واكثر استعماله من الظاهر كلادات على البواسير ومدحه في ذلك كثيرون . وكانوا يستعملون ازهاره في الامراض الجلدية المزمنة مجتمعة مع ازهار اللبيدة البيضاء

وقد اطال اطباء العرب الكلام فيه وذكروا له انواعا ولكن كلامهم لايوثق به في المسائل النباتية من الوجهة التي تختص بأصولها وأنواعها فان علم النبات لم يكن على عهدهم قد بلغ من الترقي درجة يحسن السكوت عليه كما هو شأنه الآن

﴿ مدَحه ﴾ يمدَحه مدحا احسن الثناء عليه و (تمدَّحه) مدحه . و (تمدح الرجل) قرظ نفسه وافتخر . و (امتدحه) مدحه . و (المِدحة) مايمدح به وكذلك المديح . و (المَمادح) ضد المقابح

﴿ مَد ﴾ الحبل يمده بسطه . و (مد الكاتب من الدواة) اخذ مداداً بالقلم منها و (مدّه في غيه) امهله . و (مدَّد الشيء) مده . و (امده) امهله واخره ونصره واعانه بمال . و (امد الجرح) حصلت فيه المدة و (تمدد) مطاوع مدد . وتمطي . و (امتد) انبسط . و (استمد) طلب المدد . و (المادة) الزيادة وكل شيء يكون مدداً لغيره . و

(المادي) القائل بأنه لاموجود الا المادة (انظر مادة) و (المِداد) مامددت به السراج من زيت . و (المَد) من البحر ارتفاع مائه انظ (المد) و (المُد) مكيل وهو رطلان عندأهل العراق ورطل وثلث عند أهل الحجاز وقيل مل، كفي الانسان المعتدل جمعه أمداد ومُددة و (المَدد) العون والغوث و (المَدَّة) غمس القلم في الدواة مرة للكتابة . و (المِدة) مايجتمع في الجرح من القيح . و(المُدة) الغاية من الزمان والمكان . و (المديد) الممدود

﴿ المادة ﴾ لا يزال العلماء عاجزين عن معرفة كنه المادة التي تتركب منها الاشياء المحسوسة في الكون. ارتأى ديموكريت الفيلسوف اليوناني القديم أن الاجسام مكونة من ذرات صغيرة جداً لاتقبل الانقسام وزعم انها متأثرة بقوتين قوة تجذب بعضها الى بعض وقوة تميل لتنفير بعضهامن بعض فان كان الجسم صلبا كانت قوة الجذب في ذراته تفوق قوة الدفع فتتماسك.وان كان الجسم سائلا تعادلت القوتان ولذلك يمور السائل ولا يتماسك ويأخذ شكل الاواني التي يوضع فيها. وان كان الجسم غازيا كانت قوة الدفع فيه اكبر من قوة الجذب ولذلك تميل الغازات للانتشار والامتداد

وقد أخذ العلماء بهذا المذهب وقبلوه مئات من السنين ولكن بعد أن هذبوه وقوموه على حسب الحاجة في تعليل ظواهر الطبيعة

فقالوا ان كل مافي الكون ينقسم الى مادة وقوة فالذهب والنحاس والخشب مثلا مادة ، والحركة والكهربا والحرارة قوة

قالوا والقوة والمادة مختلفان ولكنهما متلازمان فلا توجد مادة مستقلة عن قوة ولا قوة مستقلة عن مادة. وزعموا أن لكل من المادة والقوة خواص يشتركان في بعضها ويختلفان في البعض الآخر وأن كلا منهما أزلي أبدي ثابت في مجموعه فلا يتلاشي شيء منها ولا يتبدد

أما عن ماهيتها فافترق العلماء الى ثلاثة مذاهب :

فمؤدى المذهب الاول ان الاجسام مكونة من ذرات لاتقبل الانقسام والمواد تحصل من تركباتها على نسب مختلفة وقد قوى اكتشاف الراديوم هذا المذهب فان العلماء استطاعوا أن يقيسوا حجم الذرة

ووزنها بالواسطة ويتحققوا أنها كلها متساوية حجما ووزنا

يقول أشياع هذا المذهب ان الاجسام لا تختلف فى كنهها ولكن في كيفية وضع ذراتها فقط فالحديد والماء والزيت والكحول من نوع واحد ولكن اختلاف خواصها واشكالها وأحجامها وأثقالها أتاها من اختلاف وضع ذراتها . وقد توصل بعض العلماء الى تحويل الراديوم والهليوم والرصاص والبوتاسيوم والصوديوم بعضها الي بعض

اما عن القوة فقالوا ان مظاهرها المختلفة ليست الا تموجات يحدثها الجسم الذي هو مركز القوة كالتموجات الدائرية التى تحدث في الماء عند سقوط جسم ثقيل فيه . ثم رأوا ان هذه التموجات لا تحدث في الهواء فقط بل تحدث فى الفضاء ايضا فان الضوء والحرارة والكهرباء تخترق الاواني الخالية من الهواء وتجتاز الفراغ الذي بين الكواكب

ولما كان لابد لتموجات القوة من شيء تتموج فيه فاستنتجوا من ذلك ان الفراغ المطلق لا وجود له فلا بد من ان يكون الفراغ مملوءاً بشيء لطيف جداً من نوع المادة سموه الأثير . وعليه فالقوة هي تموجات الاتير وتختلف مظاهرها وظواهرها باختلاف سرعة هذه التموجات فاذا تموج الاتير بسرعة معينة أنتج الحرارة وبسرعة معينة أخرى أنتج الضوء وبسرعة معينة ثالثة أنتج الكهرباء

فقالوا كما ذكره العلامة الكيماوي الانجليزي وليم كروكس اذا تذبذب الاتير في كل ثانية ٣٢ و٦٤ و١٢٨ و٢٥٦ و٥١٢ و ١٠٢٤ و ٣٢٧٦٨ مرة أنتج الصوت

واذا تذبذب ٨٢٤ و٣٧٤ / ١٠ مرة فى الثانية الواحدة انتج الكهرباء

واذا تذبذب ٥٦٢٩٤٩٩٥٣٤٢١٣١٢ مرة في الثانية أنتج الضوء الخ

ولكن منذ بضع سنين قامت حركة في المجامع العلمية ترمي الي قلب هذه النظرية وكان ذلك على أثر اكتشاف الراديوم وعناصر أخري تماثله . ذلك أنه شوهد أن من خواص هذه العناصر أنه ينبعث منها على الدوام حرارة وضوء وكهرباء . فمن أين تصدر هذه القوة ؟ فلاحظ العلماء بعد تجارب دقيقة مضبوطة ان مادة تلك العناصر تنقص شيأ فشيأ

وان القوة التي تتحول منها تتحول في ظروف خاصة الى مادة اخرى من قبيل الراديوم تسمى هليوم فاستنتجوا من ذلك ان مواد هذا النوع من الاجسام تتحول الى قوة وان القوة قد تتحول الى مادة

ثم وسعوا مدي نظريتهم هذه فقالوا ان جميع الاجسام تنتج على الدوام ضوءا وكهرباء وحرارة مثل الراديوم وأمثاله ولكن ببطء شديد جداً بحيث لا نستطيع أن نشاهدها بحواسنا ولا بالآلات غير انه في الامكان اظهارها تحت تأثير قوة المغناطيس

فاضطر العلماء ان يهجروا مذهب الجوهر الفرد وعدم قابلية الذرة للانقسام بل تركوا مذهبي عدم تلاشي المادة وعدم تلاشي القوة وذهبوا الى عكس ذلك. فقالوا ان الذرة نفسها مركبة من دقائق صغيرة كثيرة تسمى (يون) أو (الكترون) واحدة منها مكهربة بكهرباء ايجابية والثانية مكهربة بكهرباء سلبيـة وهي تدور حول الاولى والمجموع متوازن بفعل الجاذبة كالسيارات الدائرة حول الشمس فكل ذرة عبارة عن نظام شمسي مصغر

قالوا وليست اليون أو الالكترون هي النهاية التي يقف عندها انقسام المادة بل أنها تنقسم الى دقائق أصغر منها حجما وهذه الدقائق الصغرى الناتجة من تحطم الذرات تكون هي وأجزاؤها عند انفصالها من الجسم الحرارة او الضوء او الكهرباء ولهذا لم يعترفوا لهـا بماديتها بل اعتبروها قوة. أو ان كل واحدة منها كمية صغري من الاثـير تدور حول مركزها كزوبعة محلية

وخلاصـة هذا المذهب الجديد ان المادة والقوة شيء واحد يتحول كل منهما الى الآخر فالمادة تتحول الى كل قوة والقوة الي مادة بفعل النواميس العاملة عليها .

وان المـادة لاوجود لها في الواقع فما في الكون الا قوة متكاثفة جدا كما ان الما بخار متكاثف. وعليه فلا يوجد غير القوة وهي تظهر بمظاهر مختلفة من الصوت والضوء والحرارة ومنها ما نسميه بالمادة ومجموع هذه القوة ثابت وقد تأيدت هـذه النظرية بالاكتشافات الجديدة فأصبحت رأي العلم الرسمي اليوم

(رأى طمسون فى الجوهر الفرد)

ذهب العلامة الانجليزى السير وليم طمسون أن الجوهر الفرد موجود وانه عبارة عن

زوبعة حلقيـة في الاثير وبين كيف انه لايقبل القسمة وانه موجود من أزل الآزال . فذهب ان العالم كله مملوء بسائل تام الانصال شامل لكل خلاء وقد تحركت فيه أجزاء منه حركة زوبعية سريعة فتميزت عن سواها وأحس بها وهي المادة الملموسة . وهي لاتقبل القسمة لانها لو قبلتها لزالت خصائصها الجوهرية فهي كالهيولي تقبل القسمة فرضا لا فعلا لان الهيولى لا تنقسم فعلا مع أنها ذات امتداد والا لزم ان يقسم جسم متصل مالىء للخلاء لا فراغ حوله ولا مسام له وذلك مستحيل. والجواهر من حيث أنها ذات خصائص معينة لا تنقسم مع بقاء هذه الخصائص فيها كما ان الكريات الحية لا تقبل القسمة طبيعيا لا حيويا مع بقاء خصائصها كما هي . وبهذا الاعتبار تكون الجواهر الفردة للعوالم كالكريات الحية للحس

قال الكيماوى (ورتز) ان مذهب الجواهر الزوبعية تتضح به بعض خصائص المادة وكل الاقوال في طبيعة الجواهر الفردة ويظهر انه أقرب المذاهب الي الحقيقة

(فى وحدة العناصر والقوى) قال العلامة الدكتور شبلي شميل فى كتابه (الحقيقة) :

« ذهبوا الى أن الجواهر الفردة متماثلة فى الذرات مختلفة في الصفات وأنها متحركة وشكلها متغير ولا يخفى ان العناصر التى وصفها الكيميون تبلغ نحوا من ستين عنصرا .واذا تأيدت اكتشافات السبكترسكوب فربما بلغت ٧٣ عنصراً وقد اعتبروها بسيطة من اتحاداتها المختلفة تتألف الاجسام المختلفة . واجتهدوا أولا فى تعيين صفاتها التي تمتاز بها ثم ما لبثوا أن تساءلوا عما اذا كانت هذه العناصر بسيطة حقيقية أو كانت لها صفات مشتركة تجمعها وتردها الى اصل واحد . فربما كان الكيميون الاقدمون مصيبين في بحثهم عن تحول المعادن . فقام دوماس وهو من أكابر علماء الكيمياء في هذا العصر وقرر أولا انه يمكن ترتيب هذه العناصر صفوفا تتفاعل كيماويا تفاعلا واحدا . وقد بين تبعاً لرأى (بروست) ان أوزانها الجوهرية أعداد كاملة كأن جواهر العناصر المزعومة بسيطة وهي بالحقيقة مركبة من أعداد مختلفة من هذه الاجزاء المتماثلة ولا تختلف

فيما بينها الا بعدد هذه الاجزاء فقط . ثم أشار (مندلف) و (لوثار ماير) الى نسب شديدة بين الاوزان الجوهرية للعناصر وصفاتها الخاصة وقالا بوجود خلل في جدول هذه العناصر .وقد تنبأ بأن هذا الخلل لا بد من أن يسد ووصفا العناصر التي تنقص والتي يلزم اكتشافها . وقد توصل (لكوك) الكيماوى الى نتائج شبيهة بذلك بعددرس الحل الطيفى لهذه الاجسام البسيطة أي درس طبيعة النور المنبعث عنها وهي مشتعلة.وقد جاء اكتشاف الغاليوم له والسكنديوم (لغلاف) مصداقا على صحة هذه الانباء العلمي.ثم أن(لوكير)لاحظ فى طيف بعض البسائط كالكالسيوم والفوسفور انقساما يدل على بداية انحلال فترجح لهم أن الاجسام المزعومة بسيطة ليست انيات مستقلة بل أنها ربما كانت صورا مختلفة لمادة واحدة هى الهيولى الواحدة والغير المتلاشية كالاتير

« وقد تقوي هذا الترجيح بما كان قد علم من وحدة القوى فلا يخفى أن القوي كانت عندهم فى السابق متعددة فالنور والحرارة والكهربائية والمغناطيس كانوا يعتبرونها سوائل مادية مستقلة بعضها عن بعض تنفذ مادة الاجسام وتجمع فيها على نسب مختلفة ، والجاذبية والالفة الكيماوية والالتصاق كانت قوي تحرك دقائق هذه الاجسام . وبقى هذا القول معولا عليه فى العلوم الطبيعية حتي قام (رمنو) وقال ربما كانت الحرارة متحولة عن الحركة . ثم بين (فرسنل) أن النور عبارة عن حركة اهتزازية. وكذلك بين (ماير) و (جول) و (هرن) و (تندل)أن الحرارة ليست سوي اهتزاز أجزاء المادة وقد برهنوا أن الحرارة تتحول الى حركة والحركة الى حرارة تبعا لقواعد معينة . ثم بين (امبر) وحدة الكهربائية والمغناطيس وبين (سبك) كذلك أنه يكفى احماء نقطة ملتحم معدنين لتوليد مجري كهربائي ولا يخفى فعل الحرارة في توليد المغناطيس والفرك فى توليد الكهربائية . وتحولها الي نور وحرارة ومن ثم الى حركة صار أمرا معروفا عاديا مستعملا في الصنائع وانارة الطرق في المدن الشهيرة فانتهي مذهب السوائل المادية من مدار العلم الطبيعي.واذا ارتاب صاحبنا (بريد مناظره) بصحة هذا القول فليراجع (صفحة ١١و٢١و٦٥ و٤٢٨ وخاصة ٢٩٨ و٢٩٩) من كتاب

الدروس الاولية في الفلسفة الطبيعية للفاضل السيدة الن جكسن

« فلم يبق عند الطبيعيين بعد هذا سوى مادة لطيفة هي الاثير المالئ الخلاء والنافذ في كل الاجسام والمحرك لها وانتفت القوة كذلك وعوض عنها بالحركة فليس للحركة سبب سوى الحركة نفسها ولا واسطة لايصالها الى الاجسام سوى بالاصطدام ولا محول للحركة سوى الحركة المكتسبة والحركة نفسها غير متلاشية كالمادة ومقدارها في الكون واحد كمقدارها الا أنها قابلة للتحول الى مالا نهاية له بحيث يصعب معرفتها في استحالاتها البعيدة فأوجد ذلك نظراً جديداً في بناء الاجسام الجوهرى فالجوامد والسوائل والغازات التي كان يظن أنها مؤلفة من أجزاء صغيره ساكنة هي بالحقيقة متحركة حركة باطنة شديدة وحرارتها كما نحس بها بحواسنا ليست سوى التأثير الواقع علينا من اهتزاز أجزائها . وظهر لهم حسب الاكتشافات الحديثة أن شكل الجواهر الفردة يتوقف على الاهتزازات التي تحركها وان الحركة هي التي كونت جواهر الاجسام الفردة ودقائقها في وسط الاثير وان الاثير ليس سوي الهيولى فى أبسط مايمكن تصوره وان الصور التي تلبسها الهيولى انما هي ناشئة عن الحركة التي تحركها وان المادة والحركة غير منفصلتين لان وجود المادة يقتضي الحركة كما ان الحركة تطلب المادة. وهكذا ردوا هاتين الانيتين الاثنين ترجع اليها المواد والقوي الى شيء واحد

« هذه هي خلاصة مادلت عليه مباحث مشاهير الفلسفة وعلماء الطبيعة والكيمياء في هذا العصر

« فيري مما تقوم أن القول بالجواهر الفردة وتماثلها وحركاتها وتغير شكلها وتحول القوى هو من مقتضيات العلم لا من مختلقات الوهم لانطباقه علي قضايا طبيعية وكيمارية لاتعقل بدونه. على أن الكيماويين لم يتمكنوا من حل العناصر وردها الى الهيولي كما تمكن الطبيعيون من رد القوى كلها الى الحركة وانما حكموا بذلك من باب الترجيح لما رأوه أولا من الدلائل على أن العناصر ليست بسيطة كما تقدم وثانيا لان وحدة القوة تطلب وحدة المادة كذلك . واذا صح تحول القوي بعضها الي بعض وصح ان أصلها الحركة — وهي

واحدة. وصح ان الحركة هي اهتزاز أجزاء المادة فكيف لا يصح ان تكون المادة واحدة وأن لا تتحول وتظهر بمظاهر مختلفة

(في اختلاف الطبع باختلاف الوضع)

ثم قال الدكتور شبلي شميل تحت هذا العنوان ايضا :

« وأما كون المتماثلات لا يحصل من تركيبها سوى متماثلات فهذا لا يصح الا اذا تماثل الكم والكيف والذات والصفات والا فتعطى مختلفات . ولعل المعترض لا يمتد الاختلاف اختلافا حتى يكون في الطبع فيقول ان اختلاف الكم والكيف لا يحصل عنه اختلاف الطبع . وهذا وهم فان أسماء العقود كالعشرة بقطع النظر عن الشيء المدلول عليه بها هي غير الواحد المؤلفة منه والتي تنحل اليه. والمثلث بهذا الاعتبار نفسه هو غير النقطة المؤلف منها والتي ينحل اليها . ثم ان مزيج عنصرين كالنتروجين والاوكسيجين مثلا هو غير مركبهما ولا فرق بينهما الا في نسب جواهرهما وفي ترتيب بعضها بالنسبة الى بعض لا بادخال شيء جديد أو تغيير في صنائعها الخاصة، قال (ورتز) : « ان التركيب ليس ناشئا عن تداخل جواهر المادة بعضها ببعض بل ترتيبها بعضها حول بعض» ولا يخفي كذلك ان العناصر الجوهرية التي تركب المواد الحية هي الاوكسيجين والنتروجين والهيدروجين والكربون ونسبها في المواد المذكورة لا يختلف الا في الكم والوضع . ومع ذلك فما اكثرها وما اعظم اختلافها . ولا يرد علينا بأن الكيمياء الآليه هي غير الكيمياء الغير الآلية فالاحياء ليس لها كيمياء خاصة ولا يقول المعترض « ان هذه المركبات ليست من هذا الباب لانها مركبة من عناصر مختلفة» لان هذا القول غاية فى الغرابة وماذا عساه أن يقول في الخشب والصمغ والنشا مثلا فان تركيبها لا يختلف الا في وضع هذه العناصر أوماهو قوله فى الكحول والحامض الخليك كذلك فان تركيبها لا يختلف الا فى الكم . فلو لم يكن اختلاف الوضع والكم يحدث اختلاف الطبع لما اقتضي ان تتغير طباع هذه المواد تغيراً جوهريا فهما اذن كافيان وحدهما لاحداث الاختلاف . وهذا كل ما يلزم لتعليل سائر الاختلافات ولاسيما اذا اعتبرنا في ذلك تغير شكل الجواهر الفردة

« أو ماذا يقول المعترض فى المواد

البوليمرفيـة أي التي تختلف هيآتهـا ولا تختلف ماهيتها ولا تركيبهـا . وفي المواد الالوتروبية أي التي تختلف صفاتهـا ولا تختلف ذواتها؟ فلو لم يكن اختلاف الوضع كافيا لاحداث الاختلاف لما اقتضى ان تختلف خصائص البسائط كالكبريت والفسفور والاكسيجين والكربون وتتفاعل تفاعلات مختلفة ولا شك ان الفرق بين الماس والفحم هو أشد جـداً من الفرق بين الحديد والنحـاس . ومن ينكر هذا الفرق يلزمه ان ينكر الفرق ايضـا بين الحرارة والنور والكهربائيـة والمغناطيس وبينها وبين الحركة . أليس لهذه صفات خاصة فارقة ومع ذلك أليست كلها مظاهر مختلفة لقوة واحدة

(في ان القوة والجوهر شيان)

« وأما كون الحركة الباطنة وتغير الشـكل تقتضيان القسمة بالفعل (وهو اجتماع النقيضين) فهو صحيح اذا اعتبرت الحركة شيأ مستقلا بذاته غـير الجوهر الفرد وربما عنوا بالحركة الباطنة الذرات أيضا فكانت الحركة والجوهر الفرد شيأ واحدا . ويلزم ان يكون ذلك كذلك لان المادة في أدق أجزائهـا اذا فرضت ساكنة لم تعقل وكذلك الحركة اذا فرضت بدون شيء متحرك لم تعقل أو تلاشيا معاً وهذا لا يعقل ايضا قال ورتز « ان القوة لا تكون وحدها بل يلزم أن تصـدر من شيء وان تفعل على شيء وان تظهر بحركة وكيف تكون حركة بدون شيء (متحرك) واذا صح رأى طمسن عن الجواهر الفردة فربما زال الاشكال

قال المقتطف في الكلام على الهيولى « وأما خصائص الحلقات الزوبعية فقد أثبتها هلملتز الجرماني بالبرهان على فرض كون الحلقات في جسم تام السيولة لا يقبل الانضغاط مطلقا متجانس الاجزاء أي ان كثافته واحدة في كل جانب من جوانبه تام الاتصال اي أنه غير مؤلف من جواهر منفصل بعضها عن بعض لا يتغير قسم جرم منه ولا كثافته اذا تحرك (القسم) وانما يتغير شكله »

وقال ورتز : « وهذه الزوابع مرنة وشكلها متغير ولا يتوازن الا في الدائرة فاذا تغيرت عن هذا الشكل فلا تزال تتحرك حتى تعود عليه واذا أريد قطعهـا بمدية فانها تهرب عن أمام المدية أو تلتف عليها فهي تمثل شيأ ماديا لا ينقسم

واذا تحرك حلقتان في جهة واحدة بحيث يكون مركز كل منهما على خط واحد وسطحه كذلك على موازاة هذا الخط فالحلقة المتأخرة تنقبض على نفسها وسرعتها تزيد والسابقة تتسع وسرعتها تقل حتى تسبقها المتأخرة ثم يحصل ما حصل ولكن ذاتيتها لا تفقد تغير شكلها وسرعتها» انتهى كلام الدكتور شبلى

(ملاحظاتنا على هذا الكلام) اننا لم نعن بنقل ما كتبه الدكتور شبلى شميل الا لنورد عليه ملاحظاتنا فان كتاباته انتشرت باللغة العربيـة وأصبحت عمدة المتحككين في المذهب المادى من أبناء هذه البلاد ، فكان من واجبنا أن نكافح نظرياته أينما ثقفناها لأنها من اكبر العقبات في سبيل تأييد الدين الحق ، والدين أكبر ضروريات الحياة الانسانية وأعظم مقومات المدنية الكاملة ، لا باعتباره داعياً الى الاخلاق الفاضلة فقط بل باعتبار ان ما يدعو اليـه من وجود الصانع والروح والخلود من المطالب الاولية للنفس البشرية ان فقدتها فقدت غاياتها التى تنزع فطرتها اليها ، وتعتمد فى تكلها عليها ، فاذا كفى الحيوان من مقومات الحياة ان يجد ما يأكله وما يأوي اليه ويحفظه من المبيدات الوجودية ، فان للانسان مرامى معنوية ليست في اقامة صرح وجوده وتكميل بنـاء حيـاته بأقل ضرورة له من ضرورياته المادية وحوافظه الصورية

فالانسان كائن بعيد المرامي ، وان شئت فقل لا حد لمراميه ، والكون الذى يعيش فيه غير متناه سواء في حدوده أو فى مساتيره ، وقد دفع بالانسان الى هذا الكون لا ليعيش فيه فقـط كما تعيش الحيوانات ثم يندثر ويتلاشى بل ليستكنه أسراره ، ويكتشف خوافيه ، وقد عُلّق على كل ذلك كماله الصورى والمعنوى ، فان صدمته عقبة عن متابعة سيره في هذا السبيل ارتكس حاله الى أسوأ مما عليه الحيوان الأعجم فأصبح خطراً على نفسه وعلى غيره وصارت حياته أيام شر وشؤم عليه وعلى كل ما يحيط به

فمن أوليات المسائل التى كلف بها الانسان كشف سر المادة المشهودة وسر الروح المحجوبة ولا يخفى ان على هذين السرين يقوم أمر الوجود كله فليس فيه غير مادة وروح ، فان بلغ الانسان ما يرمى

اليـه من كشف سرهما ، والوقوف على أمرهما لم يبق امامه من المساتير شيء الا مايلابسه من ظواهرهما ، او يعنيه من مظاهرهما، ولا أدرك بعدذلك ماذايكون حاله من الرقي الباهر،والكمال البعيد المدى. وناهيك بالكائن الذي يقف على سر الوجود بمظهريه الصوري والمعنوى ، وفي عالميـه الفاعل والمنفعل

انا لا اظن ان هذا الكشف يتم للانسان وهو في حالته المشاهدة من القصور العلمي فلا بد من ان يسبق اكتشافه لهذين السرين بلوغه غاية من الكمال المعنوى لا نتخيلها الآن تخيلا حتي يكون اكتشافه الجديد العظيم مناسبا لدرجته من العلم والفضل،لا نه في طريقة اليهما سيضطر لان يحل من المعضلات ، ويكتشف من المجهولات مالا يحيط به خيال،ولا يصوره ذهن بحال

الا أن حضرات الماديين رأوا أن يختصروا هذا الطريق الوعر على الانسان فلا يجشموه خطر مزاولة المجهولات ، ومعالجة المعضلات؟فزعموا اولا ان الروح غير موجودة فكفوا الانسان مشقة البحث عنها .... ثم ادعوا انهم أدركوا سر المادة ولكنهم اختلفوا .... فقال بعضهم انها مكونة من جواهر فردة غير قابلة للانقسام ، وذهب بعضهم الا انها مركبة من الكترونات دائرة حول نقطة كالسيارات حول الشمس ، ومال بعضهم الى ان المادة والقوة أنيتان متميزتان ورأي البعض الآخر ان لاموجود الا القوة كما قررنا في الفصل السابق

ليس هـذا الاختـلاف بعجيب لو وقف الامر عنده أو لو تعداه الى خلافات أخري ، ولكن العجيب أن يدعي مقلدو الماديين من امثـال الدكتور شبلي شميل وغيره ان المادة قد كشف سرها وانجاب سترها ، وان هذه الاقاويل حقائق علمية ومقررات تجريبية .... الي غير ذلك من الاقوال الخفيفة

فأما انكارهم الروح فليس لهم فيه حق بينما مئات بل ألوف من اخوانهم الذين كانوا ماديين مثلهم بالامس ينادونهم اليوم باسم المباحث الروحية ويناشدونهم الله والرحم ان ينظروا معهم نظرة انصاف ليروا ان هناك ظواهر تعتبر من الخوارق المناقضة لكل النواميس الطبيعية المعروفة تظهر لهم في شروط من الاحتياط العلمي ليس وراءه

من يدو تثبت لهم بدليل حسي ان للانسان روحا أو بالاقل ان وراء هذه المادة عالما ارقي منها

ولكن حضرات الماديين يرون الطريق وعرأ فهم يريدون الوصول الي اللباب بسرعة .... فأصروا علي انكارهم الروح وادعوا أن من يقول بغير ذلك فهو ممخرق أو مجنون ....

هب انهم يخلصون من العتب في انكارهم الروح وان كان هذا ذنب لا يغفر لانه نكوص بالعلم الى الوراء مع وجود العوامل المسهلة للوقوف على الحقيقة ، فهل يعذرهم عاذر في دعوى بعضهم أنهم اكتشفوا سر المادة وهى لاتزال موضع الخلاف كما رأيت ؟

اما انا فما رأيت من تجارأ على هذه الدعوى غير الدكتور شبلي شميل في الكلام الذى اوردته عنه. ولكن أقطاب العلماء من اهل اوروبا لايزالون في حيرة عظيمة من أمرها واني لناقل اليك بعض أقوالهم في ذلك

وانا نبدأ بايراد قول الفلسفة الحسية عن دائرة اختصاصها ليعرف القارئ الحدود الفاصلة بين مايسمي فلسفة وما يسمي أوهاما فى عرف الفلسفة العصرية

قال الاستاذ (ليتريه) *Littré* وهو شيخ من شيوخ الفلسفة المادية في كتابه (كلمات عن الفلسفة الحسية) :

« لما كنا نجهل اصول الكائنات ومصائرها فلا يليق بنا أن ننكر وجود شيء سابق عليها أو لاحق لها ، كما لا يليق بنا ان نثبت ذلك ، فالمذهب الحسي يتحفظ كل التحفظ أمام مسألة وجود العقل الاول لاقراره بجهله المطلق فى هذا الشأن . كما ان العلوم الفرعية التي هى منابع للمذهب الحسي يجب عليها أن تحترس من الحكم علي أصول الاشياء ونهاياتها بمعنى اننا ان لم ننكر وجود الحكمة الالهية فلا نتعرض لاثباتها فنحن علي الحياد التام بين النفي والاثبات »

هذا قول عمدة الفلسفة الحسية ومنه يري القاريء ان ليس من وظيفة الفلسفة المادية الحكم على مالم يصل الى العلم من طريق الحس، فالماديون بنص مذهبهم هذا يجب عليهم أن يبتعدوا عن كل خيال يطوف بالذهن فى الحكم علي شيء وجوداً أو عدما حتى لا يقعوا فيما وقع فيه أهل الملل الباطلة من خلق الصور الوهمية

واعتبارها حقائق لاتقبل النقض. وقدعزز ذلك الدكتور (روبينيه) *Robinet* في كتابه (الفلسفة الحسية) بقوله :

« ان الفلاسفة الحسيين يريدون أن يعدوا كل خيال او توهم وان لايعتمدوا الا على المشاهدة المحسوسة وأن يحذفوا من أقوالهم كل الفروض التي لايمكن تحقيقها »

هذه اقوال شيوخ الماديين فما بال شذاذ منهم يتطرفون في الحكم على اصل المادة فيجعلوها ذرات غير قابلة للانقسام مشايعين في ذلك ضلالات لوسيب وديمو كريت، او حلقات زوبعية في الاتير متابعين اوهام الاستاذ وليم طمسن

ماهو الاتير ؟ هل احد رآه ؟ هل وقع تحت احدى الحواس الخمس ؟ لا، وانما هو مادة فرضية فرضت لتعليل وجود المادة وفهم بعض الظواهر الطبيعية . ألا يجوز ان لا تكون المادة ذرات غير قابلة للانقسام وان لايكون الاتير سائلا مالئا للكون وان لا تكون المادة حلقات زوبعية ؟

يجوز كل ذلك

ثم ألا يجوز ان يأتي احد العلماء في القرن الحادي والعشرين بنظرية تهدم ماتقرر الي اليوم فيرضاها العلماء وينبذوا جميع النظريات المقررة الآن ؟

يجوز كل ذلك وانا لا انطق عن هوى فهذا رجل من اكبر علماء المادة العلامة وليم كروكس الكماوي الانجليزي الطائر الصيت قال من خطبة له بالمؤتمر العلمي المنعقد في برلين سنة (١٩٠٣) مايأتي :

« لقد ظهرت في القرن التاسع عشر نظريتان على ذرات المادة ، فالكهرباء والاتير وهي نظريتنا الحالية على تركيب المادة يمكن ان تظهر لنا مرضية ولكنها الى أي حال ستؤول يا ترى في آخر القرن العشرين ؟ ألم تعلمنا الضرورة هذا الدرس وهو ان مباحثنا ليست الا ذات صبغة وقتية »

هذا قول زعيم من زعماء الفلسفة الحسية ممن له أعظم المباحث في المادة ومكتشف عدة ظواهر من حالاتها ، فما لبعض العلماء يتسرعون فيبنون على الاوهام صروحا من الالحاد، ولم يكفهم ان يجعلوا ذلك الالحاد حظهم من العلم الناقص بل يميلون لنشره بين الدهماء باسم العلم الطبيعي والعلم منه براء ؟

قال الفيلسوف الفرنسي (اجوست

سباتييه) Auguste Sabatier في كتابه (فلسفة الاديان) :

« ان العلماء اول المعترفين في كل فرع من فروع العلم بأنهم لم يدركوا منه الا جزءاً محدودا ، وان اكثرهم تواضعاً هم اكثرهم علما. على انهم كلهم يعترفون بأن ما حصلوه للآن من الاكتشافات وما درسوه من هذا الجزء اليسير من الطبيعة ليس الا عدما بالنسبة لما يجهلونه (تأمل) فهم مستعدون لتقبيح النواميس التي قرروها وتوسيع الفروض التي فرضوها وضم كل ما يشاهدونه من المشاهدات الصحيحة الى ما لديهم منها

« نعم يوجد بين هذه المشاهدات ما يدهشهم ويشوش افكارهم كما تراه كل يوم ولكنك لو تلاحظ موقف العالم الحق امام هذه الظواهر الجديدة تره لا يشك في انها تابعة لنواميس مجهولة ولكنها حقيقيه وموجودة، وتره لا ييأس من امكان عزوها الى تلك القوانين وزيادة مواد العلم بها . ونجاحه السابق يضمن له نجاحه في المستقبل، وتره يتتبع ابحاثه بدون طيش لانه لا يعرف الجبن الادبي »

تقول هذه هي خطة العلماء الجديرين بهذا الاسم . اما اسرار الكون العاليـة فانهم يعترفون بالعجز عن ادراك كنهها ويقرون بأنهم ما حصلوا منها الاشيأ لا يصلح ان يذكر، ثم يجهدون أنفسهم للحصول على زيادة مادتهم ، ولكن فريقا من خوارجهم يبنى على الفروض الوهمية اصولا من الالحاد ثم ينشرها بين الناس كأنها ثمرة من ثمرات العلم الطبيعي وما هي في حقيقتها الا من بنات الخيال لا تفترق عما ولده واضعو الميتولوجيا في سالف الازمان

نحن لا نكره النظريات العلميـة ولا نقول بأنها ضارة بل نقول ان لها وظيفة مؤقتة في التعليل، فنحن لا نأبي ان نقول مع وليم طمسون ان الكون مملوء بسائل الاتير وأن المادة حلقات زوبعية فيه ، ومستعدون لان نقول مع غيره ما يكون اجمع لظواهر المادة من هذه النظرية، ولكنا لا نرفع النظريات الى مقاوم الحقائق العلمية فنستنتج منها ما لا تحتمله من الاصول ، والاصل الوهمي المفروض لا ينتج الا نتيجة وهمية فارغة. واعجب كيف يغيب ذلك عن علم اولئك الماديين

قال الاستاذ (ايزليه) مدرس الفلسفة بمدرسة فرنسا في مقدمة كتبها

لكتاب ألفه الكاتب لمشهور (جول بوا) على ماوراء المادة قال:

« ما هي المادة وما هي الحركة ؟ انا اظن ان هذه المادة ليست الا مظهر القوة وان الحركة ليست الا مظهر الفعل . قل ماشئت فالمسألة زادت اشكالا ، فما هي القوة؟ وما هو الفعل؟ هما عبارتان معناهما واحد ولم يفترقا الا بالاعتبار فقط . قال غوث : « في المبدأ كان الفعل » فليكن الأمر كما قال ، ولكن بصرف النظر عن متناقضات (كانت) الفيلسوف على القضاء والزمان، ماذا هو هذا الفعل الذى يظهر انه لا نهاية لحوادثه ؟ وماذا هو العامل ؟ وماذا هو ذلك الفاعل المستتر الذى لا يظهر أبدا؟»

هذه بعض اقوال العلماء وغاية ما نرمى اليه فى هذا الفصل هو ان نثبت للقارئين بأن النظريات التي قررها علماء الطبيعة في اصل المادة فروض خيالية فرضت لتعليل الظواهر المادية ، وان اقطاب العلم الطبيعي يعترفون بذلك على رؤوس الاشهاد ، ويصرحون بأن هذه النظريات قابلة للتغير بحسب ارتقاء العلوم وزيادة المكتشفات . فكل فلسفة إلحادية تبني على هذه النظريات تعد ساقطة بطبيعتها فليس للمادى ان يؤكد قدم المادة ، أو حدوثها ، وليس له ان يقرر ان للقوة او الحركة صفة من صفاتها، كل ذلك خارج عن دائرة سلطان الفلسفة الحسية كما نقلناه هنا من نص كلام اقطابها

فنحن لا نعارض سير العلم فى طريق اكتشاف كنه المادة ولكننا نناقض كل مدع بأن العلم قد وصل الي ادراك ذلك الكنه وهذه أقوال العلماء بين ايدينا تشهد بأن العلماء لا يزالون فى حيرة من أمرهم فيها

ثم هب انهم اثبتوا رأى وليم طمسون وهو أنها حركة زوبعية فى الاتير اورأي المحدثين من أنها الكترونات دائرة حول واحد منها، او ان لا موجود غير القوة فهى تستحيل بالحركة الى مادة وان المادة تستحيل الى قوة كما ثبت من استحالة الراديوم والهليوم فماذا يفيد هذا الاكتشاف الماديين في نظرياتهم الالحادية ؟

هل ينفى واحد من هذه الآراء وجوب وجود قوى حكيمة حية مدبرة لهذا الكون، وهل ينفي وجود روح للانسان خالدة بعد هذه الحياة ؟

يقول الماديون نعم ، فانه متي علم ان

المادة مالئة للكون على حالة اثير وانها متأثرة بحركة أزلية لاتنفك عنها او متى تحقق ان ليس فى الكون الا قوة تستحيل الى مادة صار افتراض وجود الصانع عبثا لعدم الحاجة اليه، فان كل ما في الكون من مظاهر الابداع المادي وظواهر الادراك العقلي يمكن تعليله بفعل النواميس الطبيعية

وهذا خطأ فاحش فان هذه النواميس الطبيعية التي يتبجح باكتشافها الماديون ليست الا مظاهر مختلفة للقوة الكلية المؤثرة في الكون، وليست هى قوى مختلفة مستقلة بعضها عن بعض . فلا يوجد في الكون الا ناموس واحد هو الناموس الأكبر ناموس القدرة الخالقة المدبرة وكل ما في العالم من اصغر ذرة الى اكبر كائن يدل عليها ويشير اليها . فالذى أوجد هذه الزهرة البديعة الشكل مثلا ليست هي نواميس الامتصاص والجذب والدفع والتكاثر مما لايدرك للجهال معنى ، ولا للابداع سبيلا، ولكن هو الناموس الاعظم ناموس القدرة الكلية المتسلطة على الكون لانها تعرف ماهية الجمال، وتعلم السبيل الى الى ايجاده وابلاغه غاياته

لانقول ذلك جموداً على وراثة ولا تعصبا لدين ولكنا نقول ذلك لانه لا يعقل ان يقوم هذا الكون على مافيه من ابداع واحكام بغير فرض وجود قوة عقلية قامت وأفاضت من نورها عليه

نقول هذا ويشاركنا فيه أولو العلم الصحيح من زعماء علماء الطبيعة انفسهم وهم العلماء المشتغلون بالاكتشافات والتجارب، العاملون فى البحث والتنقيب

قال العلامة (دارون) صاحب مذهب النشوء والارتقاء عند كلامه على نشوء العين وتدرجها في الكمال :

« يجب التسليم بأنه توجد قوة مدبرة مظهرها الانتخاب الطبيعي تراقب دائما ما يحدث من العوارض على الطبقات الشفافة للعين لاجل ان تنتخب بعناية من تلك العوارض ما يستطيع في أحوال مختلفة وبنوع ما ودرجة ما أن يميل لاحداث صورة اكثر وضوحا »

من هنا يعلم القارىء أن دارون يرى انه يجب التسليم بوجود قوة إلهية عاقلة ليستطاع تعليل انتخاب الطبيعة للصالح في تحويل الكائنات . فمذهب دارون فضلا عن انه لا ينفي العقيدة بوجود الخالق فهو يوجبها ايجابا فكأنها جزء من مذهبه فما

قيمة جعجعة الماديين بازاء هذا الاعتراف الصريح من دارون، وبأى خيال استعاضوا عن هذه الحقيقة ؟

هل في تسلسل الكائنات من خلية بسيطة الي الانسان مع ما استوجبه ذلك من التحولات العجيبة ، وما اقتضاه من الاطوار الغريبة ، وما استدعاه من كبر العلم وواسع النظر وشامل العناية ، هل في ذلك كله مايزري بقدرة الخالق فيظهر الكون مستغنياً بنفسه عن الحكمة ؟

لايقول علماء الكون من أنصار دارون بذلك بل قالوا بضده :

قال العلامة الفزيولوجي جوفروا سانتيلير فى كتابه (اصول الفلسفة الزولوجية) « ان تسلسل الانواع مظهر من أفخم المظاهر للقوة الخالقة وسبب لزيادة الاعجاب بها وشكرها وحبها »

وأحسن ماقيل في هذا الباب ماكتبه العلامة الكبير (كاميل فلامريون) الفرنسى في كتابه الله فى الطبيعة قال في صفحة ٤٣٥

« اذا أعلنا ان جميع أنواع النباتات والحيوانات لم تخلق خلقاً مستقلا على شكل مقدر لكل منها ، بل ان هذا التنوع كله نتيجة قوة متحدة بالمادة ، فهل يمنعنا ذلك من الاعتقاد بوجود عقل خالق وبظهور الغرض والقصد في الخليقة ؟ ألسنا نكون متعمدين عدم التدبر بعين البصيرة اذا رفضنا اعتبار هذه القوة الملازمة للمادة نتيجة عقل مدبر ؟ ألسنا نكون عميا اذا جحدنا الاعتراف بهذه الدلائل الناطقة بوجود سبب قادر أزلى فى الكون؟

« أن الزعم بأن الخليقة تتكون بذاتها وترتقي بطبيعتها بقيامها على اتجاه ثابت نحو نتائج متدرجة في الكمال يعتبر كنصف اعتراف بأن هذه الطبيعة مقودة نحو الكمال بسبب عاقل . كيف يعقل ان الطبيعة الميتة تفكر فى ان تترتب على التعاقب في شكل نباتي ثم حيواني ثم انسانى ، وان تكوّن هذه الاعضاء التي تؤلف الكائن الحي وتكون كفؤا لحفظ الحياة في خلال القرون ، وأن تبني هذه الاجهزة التى بها الكائن الحي يكون فى اتصال مستمر بالاشياء المغايرة له ؟ بأي اتفاق مدهش تكونت هذه الاعضاء رويدا رويدا لاجل توصيل المؤثرات الخارجية الى الجسم ثم ارتبطت هذه الاعضاء بالمخ المدرك الذى

هو وحده يحكم ويفهم ؟ وكيف اتفق ان تكون هذه الاعضاء على اكمل ما يكون من البناء والتركيب ؟ وكيف حدث ان اكثر الاجهزة كملت ولم تأت عديمة الجدوى او فاسدة الصنعة ؟ وكيف تستديم الاجسام الحية أنواعها بالتوالد حافظة لكل صفاتها ؟ ولماذا كانت الخليقة مؤلفة من أجناس وأنواع وفصائل ؟ ولماذا يستطيع العقل الانساني ان يرتب هذه الكائنات في مجموعها ترتيبا مؤسسا ويجد فيه نظاما عاما ؟ ولماذا لم تكن الطبيعة مجموعا من الكائنات المشوهة

« أنهم يجيبونك على كل هذه الاسئلة بقولهم العلة في ذلك ناموس الانتخاب الطبيعي . فتراهم يفسرون جميع المسائل بتكرار قولهم ان الطبيعة مدفوعة الي الترقي المستمر ، وانها تدع الخبيث وتأخذ الطيب وتميل دائما الأن توجد الصور الكاملة

« نعم ولكن هذا الميل للامام وهذا الترقي الطبيعي وهذه الحاجة الي الكمال ماهو ان لم يكن عمل قوة عامة تقود العالم نحو غاية عالية ؟ وما هو هذا التدرج من جميع الكائنات نحو التكمل ان لم يكن مظهراً واضحاً لعامل يعلم أين وجه سفينة الكون وكيف يقودها ، عامل لم تستطع المادة الخاضعة له ان تقيم أمامه أقل العثرات ؟ »

وقال أيضا في صفحة ٤٤٦

« ان فوق كل هذه الاستحالات الممكنة للكائنات ناموساً لايتحول يقود ترقي الطبيعة منذ بدء تكون الانواع الاولية العريقة في السذاجة من لدن العصور الأولى لوجود الارض على ماحققتاه الجيولوجيا والباليونتولوجيا (علما طبقات الارض والحفريات) . هذا الناموس هو ناموس الترقي الواضح الذى لاينكر أثره في سلسلة الانواع المتعاقبة من أول الحيوانات الرخوة الى الانسان . كيف يمكن أن ينكر هذا الناموس انه مقود بعقل أليس يمثل غرضاً ومقصداً وقانوناً مفروضاً على الطبيعة برمتها ؟ نحن نربأ بكل عالم بطبقات الارض والأحافير وبكل طبيعي ان ينكر هذا القانون

« ان العقل الخالق المدبر الذى نسميه (الله) هو اذن القانون الأولى الأبدي والقوي الصميمة العامة المؤلفة للوحدة الحية للعالم » انتهي

نقول هذا مايدحض به أكابر العلماء تهوسات الماديين فى نفى العقل الخالق ولو شئنا لملأنا مجلدات من مثل هذه الاقوال الحكيمة

ويحسن بنا أن نتوج هذا المقال بكلمة ثمينة كتبها العلامة الفرنسى لوجيل فى كتابه (العلم والفلسفة) قال :

« العلم يستسلم أحيانا لشكوك وانكارات تزعجنا ، ولكن للعالم مساتير لا يسبر لها غور فهو يكتفى بالالفاظ كلما لم يجد سبيلا للنفوذ الى سرائر الظواهر المحسوسة . تكثر الكيمياء من ذكر الالفة أليست هذه الالفة قوة فرضية وأنية غير مدركة بالحواس كالحياة والروح الكيمياء ترجع الى الفزيولوجيا فكرة الحياة وتأبي عليها أن تشتغل بها ولكن الفكرة التي تحوم حولها الكيمياء هل فيها ظل من الحقيقة ؟ هذه الفكرة هي غالبا لا تدرك ليس فقط فى أصلها ولكن في نتائجها أيضا فهل يمكن للانسان ان يتأمل برهة مثلا فى القوانين المسماة بقوانين برتلو بدون أن يدرك أنه حيال سر لا يسبر غوره ؟ واذا اعتبرنا ظاهرة بسيطة من ظواهر الاتحاد الكيماوي ورأينا هذا الميل الذى يدفع بعض الذرات الى بعض فتتباحث ثم تتضام بعد تخلصها من المركبات التي كانت تحويها أليس في هذا مايحير العقل ؟ كلما أنعم الانسان في درس العلوم من وجهتها المعنوية زاد اعتقاداً بأن ليس في العلم مايمنع من اتفاقه مع أبعد الفلسفات العتيقة مرمي. العلوم تحلل العلاقات وتأخذ القياسات وتكتشف النواميس التي تنظم عالم الظواهر ولكن لا يوجد ظاهرة واحدة مهما كانت تافهة لا تضعها العلوم حيال أمرين ليس للاسلوب التجريبي عليهما من سبيل (أولهما) أصل المادة التى تغيرت بوسطة تلك الظاهرة الطبيعية ، (وثانيهما) القوة التي استدعت هذه التغيرات فيها

« نحن لا نعلم ولا نري الا الظواهر والقشور أما الحقيقة والعلة فتأبيان أن تنكشفا لنا. وأنه ليحق لفلسفة عالية أن تعتبر كل القوى الخاصة التى أفاعيلها قد تحللت بالعلوم المختلفة صادرة من قوة أولية أبدية واجبة الوجود مصدر كل حركة ومركز كل عمل. اذا وجهنا أنفسنا هذه الوجهة تظهر لنا الحوادث الطبيعية والكائنات ذاتها صورا متغيرة لفكرة إلهية» انتهي

(الشبهات الكبرى للماديين) لا نرى

بدأ من ان نورد في هذا الفصل الشبهات الكبري التي سولت للماديين القول بنفي الخالق

(١) الشبهة الاولى عدم القصد أي أن الكائنات وُجدت وتنوعت بدون قصد من قوة مبدعة

من الشبه التي يتبجح الماديون بأنها من أكبر الشبه على وجود الخالق هو زعمهم ان الكائنات الطبيعية في أدوار تكونها تدل على أنها حصلت لا عن قصد، ولكن اتفاقا . وهم يتذرعون بذلك الي نفي كل قدرة خالقة، وكل عقل مدرك في الكون، وهي شبهة يشهد الوجود بجملته وتفصيله، بل وتنطق كل ذرة فيه ، بأنها من الشبه البعيدة القرار في الانحطاط ، ولو كان الماديون ممن يتئدون او يحكمون الروية لما تأدوا الى هذا الدرك الاسفل من الاحكام الجائرة

يقول عمدة الملحدين ، وشيخ شيوخ الماديين بوخنر في كتابه (المادة والقوة) ما نصه :

« كل الاجرام السماوية كبيرة أو صغيرة تخضع صاغرة بغير استثناء ولا انحراف الي الناموس الملازم لكل مادة ولكل جزء من مادة كما تدلنا عليه التجربة من آن لآخر . وان جميع حركاتها تبدو لنا وتحدد أمامنا وتنبئنا عن حدوثها بضبط رياضي لا يتطرق اليه الخلل » انتهي كلامه

فياليت شعري اذا كانت الاجرام السماوية وهي على ماتعلم من العظم والجلالة تتحرك في مداراتها خاضعة صاغرة لناموس مقرر وملازم لأصغر ذرات المادة فهل بعد هذا دليل على وجود القصد ؟ ألا يقال هنا لماذا كان الناموس المدبر المنظم ملازما المادة لا يفارقها، هل قرره الاتفاق المحض والعدم الصرف ، أم قضى على الكون بالنظام من الازل؟ من قضى ذلك ولماذا لم يكن مكانه الخبط والفوضى والاختلال ؟ لماذا تقولون أن هذا الناموس المدبر اللازم للمادة موجود بلا قصد ولا تقولون أنه أثر قدرة عالية وتدبير حكيم، اذا كانت بداهة العقل تشعر بأن النظام لا يصدر من العدم والضبط لا ينشأ الا من ضابط فلماذا تنسبون الناموس المنظم الملازم للمادة الي الجهل الصرف ولا تنسبونه الى عقل مدبر ؟

كل هذه مسائل لو ألقيتها عليهم انغضوا رؤوسهم ورفعوا اكتافهم وقطبوا

وجوههم وتركوك وشأنك وهم لايحيرون جواباً، ولكنهم ظلوا على ماهم عليه ملحدين ولو جئتهم بكل آية مازادتهم الا رسوخا فيما هم فيه كأنه حال لا يستطيعون عنه حولا

وقد كنا نرجو أن نمر على هذه الشبهة مر الكرام على لغو الكلام، ولكننا نريد ان نقتفي أثرهم في كل مجال جالوا فيه لتأييدها في نظر المستضعفين من طلبة العلم الطبيعي لترى بالدليل الحسي أن هؤلاء الماديين لا يتكلمون باسم العلم ولكن باسم الاهواء النفسية . وانهم بمذهبهم هذا لايخدمون النوع البشرى ولكنهم يهلكونه ويهلكون أنفسهم وهم لا يشعرون

قال الدكتور شبلي شميل وهو من زعماء المذهب المادى في الشرق في كتابه مذهب النشوء والارتقاء صحيفة ٢٤٤

« أما المادعه (يريد مجادلا له) الى الغاية والقصد فمنقوض بما في الحيوانات والنباتات من الاعضاء الزائدة التي يسمونها أثرية والتي لافائدة لها وفيما يسمونه حكم الضرورة فمثال الاعضاء التي لا فائدة لها الإسنان القواطع في أجنة كثير من الحيوانات المجترة فهذه تكون في سمك عظم بين الفكين ولا تبرز أبدا ولذلك لا فائدة لها فما الغاية من وجودها . والانسان في غني عن تحريك أذنيه فما الفائدة من العضلات المرتبطة بهما وربما اكتسب الانسان بالمزاولة والتمرين القدرة على تحريكهما . وأما فائدتها فظاهرة في بعض الحيوان . ومن هذا القبيل أيضا العيون الاثرية التي لاتبصر في بعض الحيوانات التى تقطن الكهوف أو تقيم تحت الارض وفى أكثر ذوات الفقار يوجد زوجان من الاطراف زوج أمامى وزوج خلفى ويكون أحد هذين الزوجين ضامراً غالباً وفي النادر يكون الاثنان ضامرين كما في الحيات . على أن بعض الافاعي (كالبوابيتون) له زائدتان عظميتان في القسم الخلفى لافائدة لها وانما هما أثران لطرفين كانا موجودين في أجداده وأمثلة ذلك كثيرة جداً في الحيوان والنبات كما لا يخفى علي علماء هذين الفنين وفي هذا القدر كفاية لغرضنا . فلو كانت الغاية موجودة لما وجب ان يكون في هذه الكائنات شيء لا فائدة له وربما كان مضراً أيضا . وكم حار علماء طبائع الحيوان

والنبات بهذه الاعضاء الاثرية قبل دارون وذهبوا فيها مذاهب شتي حتي ظهر مذهب دارون فقطعت جهيزة قول كل خطيب لان كل عضو لازم نما بالاستعمال، فعرف ان الاعضاء الاثرية كانت نامية في أجداد كانت لازمة فيها وضمرت حيث لم يبق لها لزوم وفي البعض زالت بالكلية فلا دخل للغاية وانما الدخل للضرورة. وما تراه من النظام فهو كذلك ضروري لامقصود لان التغير الحاصل في جزء من أجزاء هذا العالم يتبعه تغير في سائر الاجزاء على حكم الضرورة كنتيجة لسبب فاذا كانت العوالم موجودة على النظام الذي تراها فيه فلانها هي من الارتباط بعضها مع بعض بحيث لا يمكن ان تكون على خلاف ذلك . فلو تغير نظام أحدها لوجب ان يكون التغير شاملا لعموم النظام ولذلك لم يكن الكون بعضه بالنسبة الي بعض ولا هو كائن وان يكون الا منتظما وان اختلف في الازمنة الثلاثة لارتباطه بعضه ببعض وجريه على سنن شاملة لجميعه. وكذلك يقال في الارتقاء فان العالم لا يسير الا متقدما لضرورة تغلب الانسب في منازعة هذا الوجود كما هو مقرر في مذهب دارون» انتهي كلام الدكتور شميل

***

نقول اننا لاجل دحض هذه الشبهة نعمد أولا الى النظر في مجموع الكون ثم نتنزل منه الى كائناته لان الحكم على المجموع بالنظر الى بعض جزئياته يفضي الى ضلال بعيد وخطأ عظيم

فهل مجرد النظر الى الكون جملة يشعرنا بأنه وجد بالضرورة بلا قصد ؟ اللهم لا

ان هذه الكواكب السابحة في الفضاء علي مدارات منتظمة تشعر بتجاذبها المتبادل وجريها الي غاياتها ، وانتهائها الى نهاياتها، بأنها مقودة بنظام دقيق، ينبيء عن قصد حكيم وتدبير سديد. أريد به قيامها على هذا الترتيب البديع لانتاج أغراض بعيدة من عمارية الكون وتحليته بكل الابداعات الممكنة

ان قال الماديون ان هذا النظام لا يدل علي قصد وانما هي الضرورة التي تقيمه على هذا النمط وتعليلهم ذلك بأن التغير الذي يحصل في جزء من أجزاء هذا العالم يتبعه تغير في سائر الاجزاء على حكم الضرورة كنتيجة لسبب الخ ، ان قال

المادبون هذا أجبناهم بأن كلامنا في مبدأ هذا النظام لافي أطواره، فلماذا كان الكون في مبدأه منتظما حتي اقتضى الحال أن يجر كل تغير في جزء من أجزائه الى تغير في مجموعه علي حكم الضرورة ؟ ولم لم يكن في مبدأه خبطا وخلطا وفوضي مستحكمة حتي يؤدى كل تغير في جزء من أجزائه الى اضطرابات لاتتناهي وارتباكات لاتقف عند حد ؟

يقولون الكون منتظم بحكم الضرورة وهي كلمة فارغة ، فما هي هذه الضرورة القاضية بالنظام ، المنزهة عن الخبط والفوضي ؟

الضرورة ان لم تكن كلمة فارغة فهي حالة عمياء صماء بكماء، فلماذا تتجه دائما الي الوجهة المنتجة للابداع ، المثمرة للعمران، ولا تتجه الى خطة خسف، ووجهة عسف، فتنتج الدمار والفناء ، وتثمر الانحلال والتلاشي ؟

خل الكون جانبا وهلم ننظر الي بعض عوالمه وهي الكرة الارضية ، فهل لايري الرائي ، اذا ألقى عليها نظرة تأملية؟ بأن آثار القصد بادية على كلياتها وجزئياتها ؟

ألا ترى أولا أنها بما متعت به من عوامل الحياة ووسائل العيش ، قد أعدت بقصد لان تكون مأهولة بالنباتات والحيوانات والانسان ؟

ثم ألا ترى أنها بما أودعت من المرافق والقوى المختلفة قد أهلت لان تكون مجالا المبدعات التكوينية والترقيات الانسانية ؟

دع الكون في جملته وتأمل عالم النباتات وقل لى ألا ترى معي ان آثار القصد ظاهرة فيها ظهور الشمس في رائعة النهار ، أنظر الى أعضاء شجرة وسرح فكرك في أجزائها المختلفة من أول جذورها الضاربة في بطن الارض الي قمم أعضائها المشرأبة الى عنان السماء ، وأجل الروية فيما أودعته أوراقها من الاعصاب الدقيقة والخزانات التنفسية والمادة الخضراء ، وما متعت به تلك الاوراق من الخواص لامتصاص الغازات المختلفة من الجو ثم اعادة بعضها اليه بعد تحويله الى مركبات جديدة. وما حليت به أزهارها من الالوان البديعة والروائح الشذية والهيئات الجميلة، وما وضع في باطنها من أعضاء الذكورة والأنوثة ، وما هديت اليه تلك الاعضاء

من التقارب في حين التنقيح لأداء تلك الوظيفة ، ثم انتقل من ذلك الى الثمرة وتأمل في هيئة غلافها ولونها وطعمها ورائحتها وبذورها وما أودعته من الاجنة لانتاج شجرة مماثلة للتي خرجت منها وما أحيط ذلك الجنين به من المواد الحافظة لحيويته الخ الخ تأمل في ذلك كله ثم قل لي ألا ترى فيه آثارا للقصد ، ودلائل للارادة؟

دع عالم النباتات في تنوعه واختلافه الذى لا ينتهي الى حد ، ثم تأمل في عالم الحيوانات وما متعت به من أسلحة الكفاح ووسائط التكاثر ، وما ألهمته من الحيل والاساليب للذياد عن حياتها وحياة صغارها ، وما أحيطت به من الوبر لاتقاء أفاعيل الجو عليها ثم قل لي ألا ترى في ذلك كله آثاراً للقصد ودلائل للارادة والاختيار ؟

يقول الماديون كل ذلك أوجدته العوامل الوجودية والفواعل الطبيعية ، وكل ماتراه فيها من آثار الالهام كالحيل الحافظة لوجودها والاعضاء الواقية لها ، فانما هو من آثار الضرورة الطبيعية والحاجة الفطرية . فالحيوانات في البلاد الحارة توجد بلا وبر او بوبر خفيف ولكن التي توجد في البلاد الباردة تحلى بوبر وتلهم امورا كثيرة لحفظ وجودها ، وليس ذلك لان خالقا قصد ذلك بها ولكن لان الضرورة تقضي ان تكون على تلك الحال والا تلاشت

نقول ليت شعري ماهي تلك الضرورة التي تهب لكل محتاج حاجته وتلهم كل حي بما به حياته وبقاؤه ؟ أهي عاقلة مدركة ام عمياء بكماء صماء ؟ أهي كلمة فارغة ام الهة مدركة تقصد عمارية الكون وبقاءه ؟

ان كان كل هذا لا يدل على القصد ولا يشعر بارادة عاملة في الكون بل هي مجرد الضرورة والحاجة فهل الضرورة هي التي أرادت بقاء الانواع فخلقت الذكر والانثى وجعلت في كل جنس ميلا فطريا الى الآخر ، وخلقت أحدهما حاملا للجراثيم المنتجة والآخر وعاء لها يحملها في أحشائه ويغذوها بدمه حتى تستوفي حياتها الجنينية ثم أعدت لها أثداء تمدها بالغذاء الخالص حتى تشب وتترعرع ، وأودعت صدري الابوين من الحنان والرحمة مايضطرهما الى تربية صغارهما واعدادها للحياة ؟

هل الضرورة هي التي ادركت ان دوام النوع لايكون الا بايجاد انثى بجانب الذكر تشابهه في التركيب الظاهري وتخالفه في التركيب الباطني فأعدت لكل منهما الاعضاء اللازمة للتوليد ثم ادركت ان تقاربهما لا يمكن ان يكون بمجرد عاطفة حفظ النوع بل لا بد لذلك من ايجاد وسيلة تجعل اتصالهما امرا محتما عليهما فخلقت لكل منهما لذة في ذلك الاتصال ليكون واقعا لامحالة مهما اعترضهما من العواثير فأخذ كل منهما ينجذب الى الآخر طلبا لتلك اللذة وتوفية لتلك الحاجة ليتم التلقيح وان لم يريداه ولم يسعيا اليه ؟

اللهم ان آثار القصد في هذا الامر من أظهر مايكون فان كانت الضرورة هي التي فعلت ذلك فهي ضرورة عاقلة مدبرة حكيمة مريده لبقاء الانواع تستحق أن تعبد وأن يتأمل في آثار رحمتها وسعة سلطانها ويتعجب من شمول علمها واحاطة قدرتها

الضرورة .... ما احقر هذه الكلمة بجانب هذا الابداع العظيم وحيال هذه المشاهد الطبيعية التي لا تحد

الضرورة ... ما أضيق مدلول هذه الكلمة عن تفسير عجائب هذا الخلق ، وتعليل قيام هذا الوجود المحير لا قوى المدارك !

واذا كانت الضرورة اعجز من أن تعلل ظاهرة واحدة من هذه الظواهر التي لاتحصى فان القائلين بها يستحقون الرحمة لا الرد ، وشبهتهم تستحق السخرية لا الحل

(٢) الشبهة الثانية الماديون ينكرون الالهام في الحيوانات

للماديين انكارات للمحسوسات تعتبر من المدهشات وتظهرهن بمظهر المستحق للسخرية . من ذلك انكارهم للالهام الحيواني وعزوهم جميع الحيل التي تستخدمها الحيوانات لحفظ وجودها والبحث عن غذائها الى الضرورة العمياء هروبا من القول بالقصد فنريد في هذا الفصل ان نأتي على امثلة من علم الحيوانات في الالهام الحيواني ليري القاري آثار القصد بادية فيه تشهد بالقصد الالهى والعناية الربانية

دع مايبتنيه النحل من الخلايا المسدسة الاشكال، وما يقيمه كلب البحر من السدود علي الأنهار ، مما تقدر قيمته

بألوف الفرنكات ، وما يأتيه النمل من المدهشات فى اقامة مساكنه ، وما تفعله الطيور من العجائب في حضانة البيض والزغاليل والقيام بحاجاتها من مأكل ودفء ثم تدريبها على الطيران الخ الخ مما لا تسعه المجلدات . دع كل هذا واتل ماأقصه عليك من المشاهدات التي اطلع عليها العلماء بمراقبة الحشرات . ولكني قبل ذلك أريد أن أذكر لك مذهب الماديين في الالهام الحيوانى :

يقول الماديون ان الالهام الحيواني عادة موروثة فان النحل مثلا اهتدى بعد محاولات كثيرة الي أن حفظ حياته يرتبط ببناء خلاياه علي نسق معين فأدمن عليه فصار عادة له فأورثها صغاره. ولكن أثبت غير الماديين من علماء الحيوانات ان هذا الزعم باطل فأخذوا حيوانات كالنحل وكلب البحر وهي صغيرة جداً وربوها حتي كبرت وهي لم تر مايفعله آباؤها ثم تركوها فعملت نفس أعمالهم من بناء مساكن واقامة جسور بحيث لم يوجد أدنى فارق بين العملين فكيف تعلل هذه المشاهدة بغير الالهام الذى أودعه فيها الخالق ؟

ان كان ذلك عادة موروثة فلم لم يرث الانسان عادة آبائه فى البناء والنحت وهم قد اعتادوها منذ ألوف مؤلفة من السنين وأنت ترى انك لو ربيت أحد أفراده بمعزل عن الناس لنشأ جاهلا لا يكاد يميز بين الخير والشر ؟ فاما أن يقول الماديون بأن الحيوان أرقي عقلا من الانسان واما أن يقولوا بأن صنائع الحيوانات من الالهام الالهى

نرجع الى ذكر مشاهدات العلماء في عجائب حياة الحيوانات المثبتة للالهام الالهى

منها ان الفراش متي وصل الي الطور الثالث من حياته يضع بيضه على هيئة دوائر علي الاوراق الخضراء وهذا البيض لا يفقس الا فى الفصل الثاني فيخرج على هيئة ديدان صغيرة في الوقت الذي تكون فيه أماته (أمهاته) فى عداد الاموات أى أنها لاتراه ، فمن الذى علم الفراش ان صغاره متى خرجت احتاجت الى التغذى بجني النباتات الخضراء ؟ ومن الذى هداه الى وضع بيضه على تلك النباتات ؟ هل هداه آباؤه ؟ لا لانه لم يرها في حياته . فلم يبق الا الالهام الالهي

ومن تلك المشاهدات ان الحشرات

المسماة (بيكروفور) تموت بعد أن تبيض مباشرة أى انهـا لاتري لهـا ذرية أبداً (تأمل) وليس فرد من أفرادها رأي له اما أو ولداً . ولكن من العجيب ان هذه الحيوانات قبل أن تبيض تُعني غاية العناية بجمع جثث حيوانية تضعها بجانب البيض لتصلح غذاء صغارها متي خرجت . ففى أي كتاب قرأت هذه الحيوانات أن بيضها يحتوى علي صغار وان تلك الصغار ستخرج وهي في حاجـة الى الغذاء وان مايحتاجـه تلك الصغار هو تلك الجثث الحيوانية؟ألا يدل هذا علي الالهام الالهي من كان له قلب أوألقى السمع وهو شهيد ؟

ومن أعجب المشاهدات من هـذا القبيل ان الحيوانات المسماة (يومبيـل) من أكالة الحشـائش ولكن صغارها تولد من أكالة الحيوانات فترى الامات تعمد الى وضع بيوتها علي أجسـاد الحيوانات حتى اذا خرحت صغارها وجدت ماتغتذى به فمن الذى أدراها أن أولادها من أكالة الحيوانات ؟

ومن المدهشات في هذا الباب الحيوانات المسماة (أوديتير) و (سفكس) فان صغارها متي ولدت احتاجت بأن تغتذى بأجساد حيوانات حية فترى أماتها متي باضت تعمد الى اصطيـاد حيوانات لاتقتلها ولكن تضر بها حيث تمنعها الحركة وتركها بعضها على بعض على تلك الحالة من العجز فاذا خرج صـغارها وجـدت أمامها لغذائها حيوانات حية وان كانت لاتستطيع الحركة

ومن المحيرات للفكر من أمر الهام الحيوانات ماتكلم الاستاذ ميلن ادوارد عنه في جامعة (السربون) من فرنسا وهو الحيوان المسمى (اكيلوكوب) فقد قال أن هذه الحيوانات التي تراها طائرة في الربيع تعيش منفردة وتموت بعد أن تبيض مبـاشرة ، فلم ير صغارها أمـاتهـا ولا تعيش حتى ترى أولادها التي تكون على حالة ديدان لاأرجل لها،ولا تستطيع حماية نفسهـا من أية عادية ولا الحصول على غذائها ، ومع ذلك لحياتها تقتضي أن تعيش مدة سنة من الزمان في مسكن مقفل وهدوء تام والا هلكت

فتري الام متي حان وقت بيضهـا تعمد الي قطعة من الخشب فتحفر فيهـا سردابا طويـلا فاذا أتمتـه على ما ينبغى أخذت فى جلب ذخيرة تكفي صغارها

سنة وتلك الذخيرة هي طلع الازهار وبعض الاوراق السكرية فتحشوها في قاع السرداب ثم تضع بيضة وتأتي بنشارة الخشب فتكون منها عجينة تجعلها سقفاً علي تلك البيضة ثم تأتى بذخيرة جديدة تضعها فوق ذلك السقف ثم تضع بيضة أخري وهكذا فتبنى بيتها مكوناً من جملة أدوار ثم تترك الكل وتموت

قال العلامة ميلن ادوارد عقب هذه المشاهدة :

ويجب ان يدهش الانسان لما يري حيال هذه المشاهدات الناطقة المتكررة رجالا يدعون لك ان كل هذه العجائب الكونية ليست الا نتائج الاتفاق (الصدفة) او بعبارة اخري نتائج الخواص العامة للمادة واثر لتلك الطبيعة التي تكون مادة الخشب ومادة الاحجار ، وان إلهامات النمل مثل اسمي مدركات القوة المدركة الانسانية ليست الا نتيجة عمل القوى الطبيعية او الكيماوية التي بها يتم تجمد الماء واحتراق الفحم وسقوط الاجسام. ان هذه الفروض الباطلة بل هذه الاضاليل العقلية التي يسترونها باسم العلم الحسى قد دحضها العلم الصحيح دحضاً فان الطبيعي لايستطيع أن يعتقدها أبداً . واذا أطل الانسان على وكر من أوكار بعض الحشرات الضعيفة يسمع نغاية الجلاء والوضوح صوت العناية الالهية ترشد مخلوقاتها الى أصول أعمالها اليومية» انتهي كلام العلامة ميلين إدوار

بقى علينا أن نبدي رأينا في أصل هذه الشبهة وهى الاعضاء الزائدة في الحيوانات ودحض استدلال الماديين من ذلك على نفى القصد

(٣) الشبهة الثالثة شبهة الاعضاء الزائدة

لا بأس من اعادة تلك الشبهة منقولة من كتاب النشوء والارتقاء للدكتور (شبلى شميل) قال :

أما الماعه (يريد مجادلا له) الى الغاية والقصد فمنقوض بما في الحيوانات والنباتات من الاعضاء الاثرية والتى لافائدة لها وفيما يسمونه حكم الضرورة . فمثال الاعضاء التي لافائدة لها الاسنان القواطع في أجنة كثير من الحيوانات المجترة فهذه تكون فى سمك عظم مابين الفكين ولا تبرز أبداً ولذلك لافائدة لها فما الغاية من وجودها؟ والانسان في غني

عن تحريك أذنيه فما الفائدة من العضلات المرتبطة بهما وربما اكتسب الانسان بالمزاولة والتمرين القدرة علي تحريكهما ؟ وأما فائدتهما فظاهرة فى بعض الحيوان. ومن هذا القبيل ايضاً العيون الأثرية التي لاتبصر في بعض الحيوان والتي تقطن الكهوف او تقيم تحت الارض وفي أكثر ذوات الفقار يوجد زوجان من الاطراف زوج امامى وزوج خلفى ويكون احد هذين الزوجين ضامراً غالباً وفي النادر يكون الاثنان ضامرين كما فى الحيات علي ان لبعض الافاعي (كالبوا بيتون) زائدتان عظيمتان في القسم الخلفى لافائدة لهما وانما هما أثران لطرفين كانا موجودين في اجداده وامثلة ذلك كثيرة جداً في الحيوان والنبات كما لايخفى علي علماء هذين الفنين وفي هذا القدر كفاية لغرضنا. فلو كانت الغاية موجودة لما وجب ان يكون في هذه الكائنات شيء لافائدة له وربما كان مضراً ايضاً وكم حار علماء طبائع الحيوان والنبات بهذه الاعضاء الأثرية قبل دارون وذهبوا فيها مذاهب شتى حتي ظهر مذهب دارون فقطعت جهيزة قول كل خطيب لأن كل عضو لازم نما بالاستعمال فعرف إن الاعضاء الأثرية كانت اعضاء نامية في اجداده كانت لازمة فيها وضمرت حيث لم يبق لها لزوم وفي البعض زالت بالكلية فلا دخل للغاية وانما الدخل للضرورة الخ »

هذا نص الشبهة التى ادت بالمادية الي نكران القصد من الكون واعتقاد انه نشأ نشوءاً ضروريا

﴿ ملاحظة تمهيدية ﴾

اما نحن فنلفت نظر القارىء اولا الي امر جدير بالنظر وهو أن مذهب دارون الذي يتحكك فيه المادين كثيرا ليس هو السبب في ايجادهم فانهم موجودون منذ ألوف من السنين حين لم يكن علم الطبيعة الا أشبه بالاقاصيص الخرافية .

ونزيد علي هذا بأن دارون نفسه لم يكن ماديا ، وقد أثبتنا من قوله انه كان يعد التسليم ، بوجود قوة مدبرة ركناً أصلياً من أركان مذهبه. فقد قال ان الانواع ترجع الي أصل أو عدة أصول أوجدها الخالق

وقد ورد فى كتبه الخاصة ورسائله التى كان يناقش فيها خصومه أو مؤيديه ان مذهبه لاينقض الدين بل يؤيده .فان ايجاد الخالق لاصل واحد او لعدة أصول

تنتج منها كل هذه الانواع من طريق التطور والتحول أدعي لاثبات قدرة الخالق من مذهب الخالق المستقل

فداروں لم يؤده مذهبه الذي يتحكك فيه الماديون الى الالحاد بل أداه الي جعل وجود قوة عاقلة من المسلمات الضرورية لبناء مذهبه

ومثل داروں الاساتذة الانجليز الكبار هكسلي وهربرت سبنسر واللورد ايفبري (جون لبوك) والفردروسل ولاس وهم أكبر معضدي داروں فقد كانوا كلهم مؤمنين بالله ولهم في وجوده كلام جليل فمذهب داروں ليس علة في الحاد الملحدين بل هو بنص واضعه محتاج لان يكمل بالتسليم بوجود قوة عاقلة خلقت الخلية أو الخلايا الاولي

وهذا الاستاذ الكبير هكل الالماني الذى له الفضل الكبير في نشر مذهب داروں في المانيا كان من المؤمنين بالله علي مذهب الصوفية المسلمين القائلين بوحدة الوجود

قال الاستاذ هكل في كتابه (أسرار الوجود) في صحيفة ٣٣٠ :

« مذهب وحدة الوجود مؤداه أن الله والعالم شيء واحد وذات واحدة ، فتتوحد فكرة وجود الله مع الطبيعة أو الهيولى . فالله وهو الذات المتصلة بالعالم هو بطبيعة ذاته يعمل في الهيولى كقوة . هذا هو الرأي الوحيد الذي يمكن أن يوافق القانون الطبيعى الاعلى وهو ناموس الهيولى . فمذهب وحدة الوجود هو بالضرورة وجهة العلوم الطبيعية الحاضرة » انتهي

هذه الملاحظة يجب أن يضعها كل قارىء نصب عينيه ليضرب بها وجه كل متبجح بمذهب داروں وزاعم انه ينقض ايمان المؤمنين ، ويزعزع أركان الدين

(عود لموضوعنا الاصلى)

اعتاد الدينيون أن يعتبروا مذهب داروں هادماً للاديان ، مقوضاً لاركان الايمان وقد علم خصومهم منهم هذه الجهة الضعيفة فأخذوا يزعجونهم في كل مناسبة بذكر مذهب النشوء والارتقاء ، موهميهم بذلك أن هذا المذهب قضى على كل اعتقاد والحقيقة ان واضعه جعل التسليم بوجود قوة مدبرة أساساً لظهور جميع الموجودات

ولكن اذ كان عامة الدينيين يرون

فى مذهب النشوء والارتقاء خطراً علي عقائدهم فلا يجوز أن يقلدهم المسلمون فى ذلك فان دينهم دين العلم والنظر وقد نص لهم على وجوب تأويل النص الدينى لينطبق علي العقل. وقد قلنا في غير هذا المكان أنه اذا اتفق وثبت مذهب دارون ثبوتاً لاتردد فيه قابل المسلمون ثبوته بكل سكون وأولوا جميع النصوص الواردة فى الدلالة على الخلق المستقل . ولا يكونون خارجين على الاسلام ، بل عاملين بأكبر أصوله ، وقائمين على أوضح مناهجه

فان الخدم الجليلة التى أداها مذهب دارون للعلم لاتنكر فقد حل معاضل كانت غير قابلة للحل ثم أنت تري أن أساسه التسليم بوجود قوة عاقلة أوجدت الخلايا الاولى فهو مذهب جدير بالاحترام والتأمل الدقيق

(كيف خلق الله الخلق)

نص القرآن الكريم على أن الله خلق الكون في ستة أيام ثم عاد فقال : وان يوماً عند ربك كألف سنة . ثم قال : في يوم كان مقداره خمسين الف سنة . فدل ذلك على أن المراد باليوم هنا ليس هو المدة المقدرة بأربع وعشرين ساعة بل المراد باليوم دور من الادوار أو أمد من الآماد

ثم انه جاء فيه ان الله خلق الحيوانات من التراب ولم يجئنا في الكتاب والسنة الصحيحة عن ذلك الا تفاصيل قليلة وزاد عليها المؤلفون زيادات كثيرة تلقفوها من أهل الاديان السابقة لايلزمنا منها شيء

فالحقيقة اننا لانعلم الاسلوب الذي برأ الله عليه الخلق. فمذهب الخلق المستقل وعليه جمهور الدينيين يقول بأن الله خلق كل نوع من الحيوانات والنباتات على حدته حاصلا على كل مايحتاج اليه في حياته

ولكن ظهر ببحث العلماء في الكائنات الحية والبائدة ان لكثير منها أعضاء زائدة أثرية مثالها العيون الاثرية غير المبصرة فى بعض الحيوانات التى تقطن الكهوف أو تقيم تحت الارض

ومن أمثلة ذلك أيضا وجود زوج من الاطراف ضامراً فى بعض الحيوانات الفقرية، وقد وجد كلا الزوجين من الاطراف ضامراً في بعض الحيوانات كالحيات

فكل هذا يدل ببداهة العقل على أن الخالق الحكيم جرى فى ايجاد الكائنات

وتنويعها وابداع اشخاصها على سنة تدريجية واودع في كل كائن قابلية لان يلائم البيئة التي يعيش فيها

فان اتفق وجود حيوان متمتع بعينين في بيئة خالية من الضوء ضمرت عيناه وصارتا فيه أثريتين علي تعاقب الاجيال . وان حدث وجود حيوان ذي اربعة اطراف في بيئة لايحتاج فيها الا الى طرفين اثنين ضمر فيه الطرفان اللذان لايحتاج اليهما واورث هذا الضمور اولاده فصار فيها ذانك الطرفان أثريين

وبالعكس ان قضى على حيوان لاناب له ولا منسر ان يعيش بعد تكوينه في بيئة يحتاج فيها الى ذينك العضوين تكونا له بالتدريج حتي يصبح من ذوى الانياب والمناسر

ولكن أليس الاولى بنا ان نعد هذا التحويل التدريجي أثراً من آثار العناية الالهية بدل ان نعده من آثار الضرورة التي لاتعقل ولا تعي شيئا

يميل الماديون ان يعتبروا هذا التحول دالا على ان الخلق جار على سنة العماية المطلقة والضرورة المحضة. كأنهم يريدون ان يهلك كل حيوان او نبات يقضي عليه بأن يوجد في بيئة غير بيئته الاولى ليسوغ لهم أن يقولوا ان في الكون قوة عاقلة مدبرة ؟ وهذا من غرائب شؤن الماديين والا فكيف لايعد امداد الحيوان بحاجته من الاعضاء التي لم تكن له من الرحمة الالهية ويُعد عكسه من دلائل الحكمة والغاية والقصد ؟

ان الذي حدا بالماديين الى هذا الزعم توهمهم ان هذا التحول الجزئي يدل على ان العالم كله خلق علي هذه الوتيرة فوجدت الخلية البسيطة الاولي اولا ثم تحولت الى ارقي منها بتغيير البيئة وهكذا تم الخلق على ماهو عليه من الابداع والكمال

هب ان الخليقة تكونت علي هذا الضرب من التدرج فماذا فيه من نفى القصد الالهي ؟

هل مما ينفى القصد الالهي أن توجد خلية بسيطة متمتعة بخاصية مقاومة المؤثرات وقابلية التدرج نحو الكمال حتي تصل الى ارقى انواع النبات والحيوان ؟

أليس هذا أجدر أن يدل على قوة خالقة أوجدت هذه الخلية ومتعتها بكل قوة ووسيلة لحفظ حياتها حتى تصل

الي كمالها

ايهمـا ادل على دقة الصنع وغاية الابداع في عمل عامل، أعمله الشيء دفعة واحدة وتركه وشـأنه يبيد ان لم تناسبه الظروف ، ام تكوينه علي حال تمكنهمن التدرج شيئا فشيئا وتحليته بالوسائل التي تمكنه من مكافحة التغيرات الطارئةفي كل حين ؟

خلق الله الارض على سنة تدريجية كما تدل عليه المباحث الجيولوجية، وجعل بيئاتها وقواها دائمة التحول والتغير،حتي ان سطح الارض الذى نعيش عليه كان قاعا للبحر فى عصر من العصور ، وما فيه الآن من مدن عامرة كانقبل عدةاجيال غابات كثيفة ، وما كانغابات كثيفة يظل ويقيت ملايين من الحيوانات اصبح الآن مناجم للفحم الحجرى.وقس على ذلك مالا يحصى من الانقلابات.فاذا كان الله خلق الارض على هذه السنة أفليس من الحكمة ان يخلق الكائنات ممتعة بخاصـة مقاومة حتى لاتبيد وتتلاشي امام هذه التغيرات الذريعة

فاذا لم يخلق الحيوان البصير علي حالة يمكنـه من ان يعيش في الظلام فتصبح عيناه اثريتين ، ومالا ناب ولا منسر له ان يكون له ذانك العضوان اذا اقتضت الاحوال المعاشية ذلك وهلجرا،هل كان بقي،انلم يمتع الخالق الحيوانات والنباتات بهذه الخاصية من التحول التدريجي على الارض ، حي يعمرها الآن ؟

(بماذا يرضي الماديون)

يظهر لى انه لايرضي الماديون الا ان يكون الخالق على شكل الملوك المستبدين يأمر بخلق الكائنات مستقلة فتكون . ثم يبيدها لأقل عارض من تغـيرات الجو فتبيد . ثم هم لايريدونه الا منفصـلا عن الكون في عالم خاص به ، فلايريدون إلها رحيما يحلي مخلوقاته من الوسائل بما تقاوم به الاعراض الارضية ، ولا إلهـا متصلا بالكون كروح له او كقوة فيه كما يرمى اليه العلامة هكل واضرابه والصوفية

والحقيقـة أنهم يريدون ان يكونوا ماديين ملحدين ولو رأوا الله بأعينهم . لاننا اثبتنا ان المـاديين ماديون حتى فى العصر الذى كان فيه علم الطبيعـة أشبه بأقاصيص العجائز ايام الملحدين الاولين انكزيماندر ولوسيب

فليلحد الماديون ماشاؤا ان يلحدوا

ولكن حذار من أن يدعوا ان مذهب دارون ينقض الايمان ، ويزعزع العقائد ، ذلك المذهب الذى أساسه التسليم بقوة عاقلة خلقت الخلية او الخلايا الاولية، وحذار من أن يزعموا ان العلوم الطبيعية قامت الادلة على نفى الخالق فهذه العلوم الطبيعية بين أيدينا وهؤلاء هم قادتها يصيحون بملء أشداقهم ان علم الطبيعة يدل على الخالق ويقوى الايمان به ، وقد نقلنا هنا أقوال أئمتهم وأقطابهم

الخلاصة ان الماديين لم ينالوا منالا الا من السطحيين الذين يظنون ان المدنية والعالمية تنحصران في انكار كل شيء والاستهزاء بكل عقيدة. وقد ساعد الماديين تفاقم فتنة المدنية المادية التي صرفت الناس عن النظر والفكر فساغ لخفاف العقول المجردين من العلم ان يرفعوا عقيرتهم بالاصول المادية التي تلقفوها من الافواه ولم يأخذوها من مواردها الصحيحة ، فانتشرت بذلك روح الالحاد لا لقوة فى أدلة الملحدين ولكن لضعف فى عقول وارادات من يقلدونهم

لقد صد تيار الالحاد في اوروبا صدة بانتشار المباحث الروحية ، سلبته كل قوة فعاد الى منبعه الاول من رؤس فلاسفة من مظلمى القلوب، ولن يعود هذا التيار للاندفاع بعد سطوع أنوار تلك المباحث والله تعالى غالب على أمره لامعقب لحكمه. « كتب الله لأغلبن أنا ورسلى ان الله قوى عزيز »

(كيف نشأت المباحث النفسية)

طفنا بالقارىء على كبريات الاصول المادية التى يستند عليها الماديون لبناء فلسفة إلحادية أساسها تجريد الكون من كل قوة مدبرة حكيمة ، فلا موجود في نظرهم غير المادة الصماء وقواها الذاتية، فهي التي بحركاتها الدائمة ، وتطوراتها المستمرة قد أوجدت العوالم الكونية على ماهى عليه من كمال وجمال ولا تسير به الا الي الامام . وليس الانسان ومامتع به من القوي العقلية العالية، الامظهرا من مظاهر تلك المادة الميتة ايضا

كان يقول بهـذه الاصول فى القدم رجال ممن وقفوا مع الحس فى دوائره الضيقة في عهد كان فيه علم الطبيعـة أشبه بخرافات العجائز، فكانت تصادف تعاليمهم نفوراً من الفطرة الانسانيـة حتي تم للعلم الطبيعى اجتيـاز دور الخرافات الي دور

التحقيق فحاول أولئك الواقفون مع الحس ان يقيموا إلحادهم على دعائم علمية فقوّلوا ذلك العلم مالم يقله ولا يمكن أن يتطاول اليه من الحكم على بدايات الاشياء ونهاياتها ، والتحكم في علل الموجودات ونواميسها، فقرروا باسمه ان مبدأ الوجود كله المادة

من أين أتي لهم ذلك الحكم وليس لعلم الطبيعة ان يصل اليه لان موضوعه درس الاشياء الطبيعية من حيث صفاتها وعلاقاتها بعضها ببعض، وشتان بين درس الصفات والعلاقات، ومعرفة الكنه والذات لاشك في أنهم افتاتوا عليه افتئاتا وقوّلوه مالا يستطيع ان يقوله ليوهموا الناس أنهم يقررون أصولهم بالمعلومات المحسوسة وقد فضح العلماء تمويهاتهم، وأتينا هنا على موجز من تلك التحقيقات بما لا يدع شكا لشاك

فلما رأي الماديون بأن زعمهم ان اصل الوجود المادة العمياء لا يسيغه عقل مع ما عليه الكون من الابداع والكمال ، فان المادة ميتة بطبيعتها ، جاهلة جامدة بفطرتها ، زادوا عليها صفة ملازمة، فقالوا ان تلك المادة يجب ان تكون متمتعة بحركة ذاتية تسمح لها أن تتشكل وتتطور لتحدث الخلق على ماهو عليه من تنوع في الصور ، وتخالف في الطبائع

لاشك ان هذه الصفة التي زعموها للمادة لم يهدهم اليها العلم الطبيعي ، لأن موضوعه كما قلنا هو درس صفات الاشياء وعلاقاتها دون حقائقها وذواتها ، فمن أين للعلم الطبيعي ان يحكم بما لم تسمح به التجربة ، ولم يؤده اليه الدليل المحسوس؟ ألا ترى انه لاجرم ان يحكم العلم بأن أصل الكون المادة وان تلك المادة متحلية بحركة ذاتية ، يجب ان تكون تلك المادة ممثلة أمامه قائمة بذاتها ومتمتعة بقواها على صورة محسوسة غير مستمدة من مصدر أرقى منها. وكيف يتأتي ذلك وهو يتطلب علما بما وراء المرئي المحسوس وليس هو من وظيفة العلم الطبيعي ؟

قنع الماديون بخيالهم هذا فملأوا الجو صياحا وجلبة. فكان يكاد لا يسمع المنصت لهم الا كلمتي مادة وحركة ، كأنه يكفي أن توجد أحجار وأيدي متحركة لاقامة قصر مشيد ، وغاب عنهم ان الذي يقيم القصر هي القوة العاقلة ، التي لولاها لكانت تلك المواد الحجرية، والحركات

اليدوية غير مغنية شيأ

ولكن عز على الماديين أن يعترفوا بتلك القوة التي تحرك المادة بعقل وحكمة لئلا يكونوا مثبتين لقوة خالقة مدبرة ، فمادوا في غيهم، وأصروا على بغيهم، وتحملوا في سبيل اصرارهم هذا كل استهزاء وجه اليهم

(الانسان والماديون)

عز على الماديين ان يحرموا الكون كله من روح مدبر ، ويسمحوا للانسـان به فأعلنوا أنه مادة محضة لاروح له ولا قوة مستقلة فيه. وماعقله وتدبيره الا نتيجة من نتائج القوة المادية، وقيامه على تركيب منتظم حتي قال قائلهم ان المخ يفرز الفكر كما يفرز الكبد الصفراء

أشاع الماديون هذه الآراء فتلقفها خفاف الاحكلام بكل تحمس لاشيء غير الظهور بمظهر المخالفة للجماعة . فان العقول الخفيفة يلذها جدا ان تخالف لتعرف

ذاعت هذه الاصـول بين العـامة فكان لها أسوأ أثر على بناء المجتمع الانساني، فانحطت الآداب وسفلت الاخـلاق ، وانتشرت الاباحة ، ورذلت الاصول حتي صار الغرض الذي يرمي اليه الانسان العصرى اللذة دون سواها، ولا يخفى أن دون هذه اللذة هتك أعراض ، وسفك دماء،وكذب ونفاق ورياء وخداع وغش وتزوير الخ من الصفات الذميمة والكيفيات الخبيثة

ان قال قائل ايها الناس ان لكم أرواحا تطالبكم بالاعتدال ، وتسوقكم الي باحات الـكمال ، لتنعموا من لذة الحياة الصحيحة في هذه الدار ، وفي دار بعدها، فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، أوعزت اليهم الفلسفة المـادية بأن يقولوا أن تلك الارواح ، أرأيتموها ، أسمعتم مناجاتها. أين تلك الدار ، أنتهيتم اليها ، وجستم خلال ديارها ؟ ثم ينغضون رؤسهم ، ويهزون أكتافهم ، ويمرون لينهمكوا فيما هم فيه

لم يشأ الخالق الحكيم الذي خلق هذا العالم وأراد له الكمال ان يترك زهرته وهي النوع الانساني يهلك تحت آصـار هذه التعاليم المفسدة لاخلاقه ، المحيلة لجمال فطرته ، الماحقة للذات حياته ، فأرسل اليه آية من آياته ، وفتح له كوة الى عالم بيناته ظهرت بمظهر المباحث الروحية فرأى منها

(بالحس)ما لم يكن يتخيله من مدهشات الامور . وعجائب الشؤن فرجع أعتي الماديين صاغرين ، معترفين بأنهم كانوا في ضلال مبين . وتمت في العالم حركة لم يرو التاريخ مثلها، فآمن بوجود الروح والخلود بسببها من العلماء والاذكياء ما لا يقل عن ثلاثين مليونا ايمانا بنوه على البراهين الحسية والادلة التجريبية . وآمن بسببهم في مشارق الارض ومغاربها من لا يحصى لهم عدد. وقوض الله دولة الالحاد والملحدين تقويضا لا قيام لها بعده ، اللهم الا رجالا لم يقرأوا في هذه الانقلابات كتابا ، ولم يجربوا في مواضيعها تجربة ، جمدوا على ما تلقفوه في صباهم من الاصول المادية ، وكرروه حتي خيل لهم انها حقائق راهنة . أولئك لا يخشي من تأثيرهم الا على أمثالهم، ممن لا يسمعون القول ولا يتبعون أحسنه .

(ماهو غرض الفلسفة الروحانية ؟)

لا غرض للفلسفة الروحانية الا أن تثبت أن للانسان روحا مدبرة وأن تلك الروح خالدة في عالم بعد هذا العالم وان للاخلاق الفاضلة، والمزايا الجليلة، تأثيراً على حالة النفس في الحياة المقبلة

قال الاستاذ متزجر المدرس بجامعة جنيف في كتابه (الاسبرتزم العلمي)

« مذهب استحضار الارواح يثبت وجود الروح حتي يكاد يجعلك تلمسها بأصابعك . وقد أصبحت مسألة خلود الجزء المعنوى من الانسان مما لا يمكن الجدل فيها لبداهتها . كما انه قد انسدت تلك المهواة السحيقة القرار التي كانت تفصل الاحياء عمن كان يقال عنهم ميتون

« هذه حقائق جديدة في الواقع ونفس الامر ولكن ما أجل فوائدها ، وأعظم عوائدها . فان هيئاتنا الاجتماعية (تأمل) في هبوط مستمر ولقد أصبح الناس يتساءلون بقلوب يملأها الاسف والاسى عما ستؤل اليه حالة مدنيتنا المتنازعة من كل جانب التي افترسها مذهب الماديين المجتاح للفضائل . فانه يقتله فيها عواطف الجرى وراء الكمال ، ويمحوه أنوار مستقبلها يدفع الانسان لغشيان كل ما يطوف بفكره من الملاذ الجسدانية بدون مبالاة بوسائل الحصول عليها

« بعد هذا كله ألا يكون اقامة لادلة العلمية على ضلال الذين يجحدون وجود الروح ، وبيان اننا لا محالة مجزيون علي

جميع أفعالنا وأفكارنا،هو أنجع العلاجات لهذا الجنون الكثير الاشكال ؟

« هذا هو تأثير مذهب استحضار الارواح وسيكون تأثيره دائما كذلك فيما نرى » انتهي

ثم تكلم العلامة السويسرى علي ماسيكون له من التأثير على الفلسفة والدين لتأسس مبادئه علي المشاهدات المحسوسة التي لاتدع للشك مجالا في النفس فقال مشيراً الى الدين والفلسفة :

« أنهما سيكونان بواسطته اقرب الي الفهم،وسيكتسبان به حياة جديدة، وصبغة علمية،وستسترد نصائحهما وتعاليمها السلطان الكبير الذى كان لهما على أرواح الناس ، وسيستطيعان مكافحة الالحاد الذي وتعنافيه بوسائل أنجع وأسلحة أمضي .

« هذا مايعلل سر زيادة لفته لانظار الباحثين رغما عن العداوة الكامنة أو الظاهرة التي يصادفها من بعض المراكز، فأصبح العلماء (تأمل) يهتمون به لانه يفتح مجالا عظيما للبحث والتنقيب عن المساتير، والروحيون ذوو الصبغ المختلفة من الفلاسفة ابتدأوا يفهمون بأنهم يجدون منه وحده مبدأ ركينا للحقيقة وعمادا لا يتزعزع يعتمدون عليه في تأملاتهم على مسائل الروح وبقائها بعد الموت وعلى أحوال الحياة في ذلك العالم» انتهي

(ماهو أسلوب الروحيين)

في مباحثهم ؟

يتبجح الماديون في تضليلاتهم العقول بأنهم يستندون في تعليلاتهم على المحسوسات والمشاهدات وكانوا يعيبون على المتكلمين فى الروح بأنهم يعتمدون على الخيالات والظنون فلما ظهرت آية استحضار الارواح معتمدة على الحس بطلت حجتهم ودحضت أدلتهم

قال الكاتب المشهور (جبريل دولان) فى كتابه المسمى (الظاهرة الروحية) في مقدمة طبعته الخامسة صحيفة (٢٨٣) مايأتي :

« كان الماديون قبل قليل من الزمن يستطيعون ان يطرحوا براهين الفلاسفة المليين قائلين لهم انها ليست على أسلوب يوصل الى حقيقة ، ولكن باتباع أسلوب الروحيين أصبح لايخشي من الماديين العود الى مثل هذا الرفض . فنحن لانقول للناس يجب ان تعتقدوا ما أفيض علينا بالتسليم وبلا دليل ، ولا نحرم حرية

البحث على احد من العالمين. بل بالعكس نقول لهم هلموا اقرأوا وجربوا وابحثوا كلما يؤكد لكم صحة الحوادث التي ظهرت للناس عموما ، وكونوا بحاثين مدققين ولا تسلموا بصدق مشاهدة الا اذا استطعم ان تكرروها بأنفسكم كثيرا في شروط مختلفة وبالاختصار نقول لكم تقدموا والحذر ملء أفئدتكم في سبيل الوقوف على هذه المجاهيل لان الذي يجشم نفسه بناء أصول جديدة يكون معرضا للخطأ والضلال . ومتى درست حادثة من تلك الحوادث تُرها تحدثك بذاتها عن كنه طبيعتها ومقدار خطورتها. أليست هذه الطريقة هي أسلوب الفلسفة العلمية عينها ؟ وبماذا يستطيع ان يلاحظ أشد الماديين شكيمة على امثال العلماء (روبيرهار) والاستاذ (مابس) والمستر (اكسون) ؟

« أننا انما نقارع أعداءنا بنفس أسلحتهم لارغامهم على الهزيمة فبنفس اسلوبهم نعلن على رؤوس الاشهاد خلود الروح بعد الموت

« كل النظريات المادية التي تزعم أن الانسان آلة مادية ساذجة مجردة عن الروح، وكل العلماء الذين اتخذوا العلم المادي سلاحا ولاثبات مادية الانسان وعدم روحانيته قد كُذبوا أشد التكذيب وبان ضلالهم بواسطة المشاهدات الحسية الروحية »

من أراد زيادة بيان فليقرأ ما كتبناه في كلمتي (الله) و (روح)

﴿ المد والجزر ﴾ هما ظاهرتان بحريتان يظهر فيهما البحر تارة ممتداً على الشواطيء اكثر مما كان عليه فيغمرها ويعلوها كأنه ازداد في مادته وطوراً يري منحسراً عن تلك الشواطيء نازلا فيجلو عن السواحل كأنه ينصب الى مكان آخر

هاتان الظاهرتان تحدثان في اليوم مرتين بين احداهما والاخري اثنتي عشرة ساعة وخمس وعشرون دقيقة

(أسبابهما) المد نتيجة جذب القمر لكتلة الماء أثناء دورانه حول الارض . وللشمس تأثير في ذلك ايضا ولكنه اقل من تأثير القمر لأنها تبعد عن الارض اكثر مما يبعد القمر عنها أربع مئة مرة . وبما أن الماء سائل فينجذب للقمر على مقتضى ناموس الجذب العام فيتكوم عند ما يسامت هذا التابع جهة من جهاته ويحدث الجزر في الاراضي المجاورة لها . فاذا أزال هذا

التأثير عنها بطل هذا التكوم فينبسط الماء كما كان ويحدث للمياه مد اى امتداد في الشواطىء التي يتاخمها

ولكن هذا التأثير من القمر على كتلة المياه لايحدث فجأة عند مايسامت هذا التيار جهة من جهات البحر بل يتأخر بضع ساعات عن ساعة تلك المسامتة .

وبما ان القمر يتأخر في بزوغه يوميا نحو خمسين دقيقة فيتأخر الجزر بقدر تلك المدة غير أن المد الشمسي لايتغير من يوم الى يوم فيلتقي المدان ويفترقان بالاستمرار . فعند مايلتقيان يكون معظم ارتفاع المد مكونا من مجموع المدين القمري والشمسي ومما يجب التنبه له هو ان المد في لجة البحر لايكون بتقدم الماء ذاته بل بتقدم الموج

(أسباب تغيرات المد) ان الشمس والقمر يفعلان معاً في الماء وقت تولد القمر حيث يحدث المد العظيم ويسمي المد الاقتراني . ثم عند التربيع ينقص فعل الشمس ارتفاع الماء فيسمى حينذاك مد التربيع . وعند مايكون القمر في الاوج تزداد جاذبيته فيزداد المد ارتفاعا والجزر انخفاضا عما كان عليه في وقت آخر وكذلك يكون الحال من جهة الشمس

ومما يؤثر في ارتفاع المد ميل الشمس والقمر ويكون المد الاعتدالي العظيم عند وقوع القمر على خط الاستواء او قريبا منه وقت الاعتدال وبالعكس يكون المد قليل الارتفاع عند المدارين . ويعسر علينا تعليل المد المحلي بسبب قوة الريح وجهتها وهيئة الشطوط وعمق البحر

(ارتفاع المد في الجهات المختلفة)

لايكاد يشعر بالمد في وسط البحر اذ لا يبلغ علوه في بعض الاوقات اكثر من قدم . ولكن المد على الشواطيء يكون ظاهرا جدا والفرق بين الارتفاع والانخفاض عند التربيع في مدينة نيويورك يكون اكثر من ثلاثة اقدام ويكون عند الاقترن والاستقبال اكثر من خمسة اقدام . ويتضاعف هذا القدر في مدينة بوستون

وأما الرؤوس الداخلة الى البحر فيقل فيها المد كما عند رأس فلوريدا حيث يكون معدل المد قدما ونصف قدم فقط . ويكون الحال علي العكس في الخلجان العميقة اذ يتعاظم المد . ففي خليج فوندي يرتفع الماء فيكون كسور عظيم من المياه ويبلغ ارتفاعه نحو ٦٠ قدما فيهلك في تقدمه كثيراً من البشر والبهائم ويصعد المد في مجارى

الانهر فيغير هيآتها تغييرا ذريعا . فترى مثلا ان نهر افون عند برستول وهو لا يبلغ في هيئته اكثر من ساقية صغيرة يصير بالمد نهرا عظيما يصلح لسير اكبر السفن

﴿ مدَن ﴾ المكان يمدُن مدونا أقام به . و (مدّن المدائن) مصرها و بناها . و (تمدّن) تخلق بأخلاق أهل المدن

﴿ المدينة ﴾ قال ياقوت : عَلم علي عدة مواضع منها مدينة أصبهان القديمة المعروفة بجي التي عرفت بعدها بشهرستان علي ضفة نهر زندروذ بينها وبين مدينة اصبهان الحالية اليهودية نحو ميل وقد خربت . ومدينة السلام وهي بغداد . ومدينة يثرب . وهي مدينة رسول الله صلي الله عليه وسلم وهى مقدار نصف مكة في حرة سبخة الارض بها نخل كثير وزروعهم تسقى من مياه الآبار والسواقي وعليها سور دائر ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في وسطها وقبر النبي صلي الله عليه وسلم في زاويته الشرقية وهو بيت مرتفع ليس بينه وبين سقف المسجد الا فرجة فيها قبر النبي صلي الله عليه وسلم وقبر أبي بكر وعمر ولا باب له ومصلي النبي صلى الله عليه وسلم خارج سور المدينة في غربيها

وقال ابن حوقل والنبر الذى كان يخطب عليه النبي صلي الله عليه وسلم قد غشي بمنبر آخر، والروضة أمام المنبر بينه وبين القبر والمصلى الذى كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلى فيه الاعياد في غربي المدينة علي نحو ميلين الى مايلى القبلة وهو مجموع بيوت الانصار شبه القرية. وأحد جبل فى شمال المدينة وهو أقرب الجبال اليها . انتهي

نقول اشتهرت هذه المدينة بهجرة النبي صلي الله عليه وسلم اليها وبنصر أهلها له ولدعوته فكانت مشرق النور الاسلامي امتد منها الي جميع بقاع الارض . وكان يسكن المدينة قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم اليها قبيلتاها الاوس والخزرج وطوائف من اليهود فلما حصلت الهجرة قصدها من المسلمين الاولين جم غفير وهم من مواطن متفرقة فعمرت بهم وصارت عاصمة الملك الاسلامي في حياة رسول الله وحياة خلفائه الاربعة الي الحسن بن علي عليه السلام فلما تنازل لمعاوية عن الخلافة انتقل مركز الخلافة الى دمشق

نعرف المدينة بأنها بلدة طيبة الهواء

وتعرف في سكانها أريحية ومروءة . وهي واقعة على بعد ٢٤٠ كيلو متراً من مكة ويسكنها نحو ٦٠ الف نسمة

وانا في وصف مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نستطيع أن نعمد على أحسن مما كتبه حضرة الالمعي محمد لبيب بك البتنوني فانه ذكر عنها في رحلته ماشاهده بنفسه وحققه من المصادر الموثوق بها فننقل للقراء كل ما كتبه عنها فان فيه علما جما جزاه الله خيرا قال :

« المدينة المنورة ، أو مدينة الرسول ، واسمها طيبة ، وكانت تسمى قبل الهجرة يثرب ترتفع عن سطح البحر بنحو ٩١٦ متراً وهي واقعة على طول ٣٩ درجة و ٥٥ دقيقة شرقا ، وعلى عرض ٢٤ درجة و ١٥ دقيقة من شمال خط الاستواء ، (أعني على عرض خط دراو التي توجد فيما بين اسنا واسوان) ودرجة حرارتها في الصيف تصعد الى ٢٨ درجة سنتيغراد وتنزل في الشتاء الي عشر درجات فوق الصفر نهاراً ، والى خمسة تحت الصفر ليلاً ، وكثيرا ماترى فيها الماء متجمداً في آنيته عند الصباح في زمن الشتاء

« واذا صح ماذهب اليه بعضهم من أن كلمة يثرب محرفة عن الكلمة المصرية (اتريبس) كان لنا أن نفكر في ان الذين بنوها انما هم العمالقة بعد خروجهم من مصر ، ولنا في يهوديتهم ما يؤيد قول من ذهب الي ان موسى في طريقه الى فلسطين ، أرسل فرقة من قومه لتكتشف له تلك الجهة ، فساروا اليها ، وبلغهم موته فبنوا مدينة اتريبس وقاموا فيها ، وعليه فعمران المدينة يبتدىء من سنة الف وستمائة قبل المسيح او الفين ومائتين واثنين وعشرين قبل الهجرة . وعلى ذلك يمكنني أن أقول ان لفظ طيبة ان كان مستعملا اسما لها من قبل الاسلام فلا بد أن يكون مصريا أيضا

« والمدينة مركز لواء وكانت الى عهد قريب ملحقة بولاية الحجاز وجعلت الآن متصرفية قائمة بنفسها (كما بلغني) وفيها عاملان كبيران يقومان بادارة شؤنها وهما شيخ الحرم والمحافظ وهذا الاخير في يده السلطة العسكرية التي هي الآن أهم السلطات في بلاد الدولة العلية ، ويتبع المدينة قضاء الوجه ، وقضاء ينبع ، والكور ، وتيماء ، ودومة الجندل ، والفرع ، وذو الرمة ، ووادي القرى ، وقري عرينة ، والسيالة ،

والرهط وكحل ومدين وفدك وخيبر وفي المدينة وكيل لشرف مكة ينظر في قضايا العربان اسمه الشريف شحات

« والمدينة مبنية في وسط واد شاسع يمتد الي الجنوب وأغلب مبانيها من الحجر المجلوب اليها من المحاجر القريبة منها وفيها نحو ١٣ الف بيت ؟ وشكل الابنية فيها هو بعينه ما رأيناه بمكة وجدة لولا ان منازلها أصغر وشوارعها أضيق وخصوصا ماكان منها حول الحرم الشريف وكان يجب ان يكون حوله ميدان متسع يساعد علي تنقية جو المدينة من جهة وعلى سهولة الوصول الي الحرم من الجهة الاخرى وأحسن شارع فى المدينة غرب الحرم ويسمونه بحارة الساحة وهو أطول حاراتها وفيها أحسن مبانيها وبها مكان المحافظة في قلعة علي السور الداخلي . ومما ينبغي ذكره اني رأيت بهذه الحارة منزلا للسيد هاشم مشغولا بأعمال الاوية بما استوقفني أمامه باهتاً لجمال صنعته ودقتها وهي من صناعة جاوة وبكل أسف أقول ان هذه الصناعة البديعة قد انقطعت عن المدينة بالمرة . وفي هذه الحارة زقاق يدخل منه الى مقام سيدنا عبد الله والد الرسول صلي الله عليه وسلم ، وكان قد أتي الي المدينة قبل الاسلام لعمل فمات بها، ودفن عند أخواله من بني النجار في بيت رجل منهم يقال له النابغة . وهذه الحارة تسمى الاموراء أو زقاق الطوال؟ ومنها منازل آل سعد

« وأغلب حارات المدينة يسمونها لضيقها أزقة . منها فى شمال الحرم زقاق البقر ، وزقاق الخياطين ، وزقاق الحبس، وزقاق عنقيني، وزقاق السماهيدي، وزقاق البدور ، وزقاق الاغاوات. وفى جنوبيه زقاق ياهو ، وزقاق الكبريت ، وزقاق القماشين ، وزقاق حيدر، وزقاق الحجامين وزقاق مالك بن أنس الخ

« وعلى كل حال فحارات المدينة نظيفة وضيقها يساعد كثيرا على تلطيف الحرارة فيها زمن الصيف كما هو الشأن فى أغلب بلاد الشرق، وسوق المدينة يبتدىء من الباب المصري الى الحرم الشريف فى شارع ضيق طوله ٥٠٠ متر تقريبا يقطعه علي المارة تقابل جملين فيه مع بعضهما ، والحركة فيه تكاد تنحصر فى مدة الحج ، والموسم الرجبي وهو موسم الزيارة الرسمية في بلاد العرب، وتجارة المدينة مدارها علي

واردانها الخارجية ، لاسيما واردات جاوة والهند والشام، وعلى الخصوص في الاقمشة القطنيـة والصوفيـة والحريرية والسبح والليف الابيض والحناء والبسط والسجاجيد والحنابل (الاكلمة) العجمية والهندية والمغربية والاناضولية ، وانما أنمانها غلى منها في مكة بل وفي مصر ، وانما ابتياع الحجاج لهـا على سبيـل البركة وسهولة الصرف في هذه الجهات وتجارة البلح فيها هي أكبر التجارات وأوسعها لان ضواحيها فيها كثير من البساتين وفيها نخيل كثيرة تنتج نحو سبعين صنفا من التمر وأحسنها البلح العنـبرى ، ثم الجبلى ، ثم السكرى وهو أكثرها حلاوة ، ثم بلح السبح ويكثر نخله من جهة الخيف بين المدينـة والحمراء و كيفية تجهيزه هى أن ينظم فى خيط ثم يلقى به فى الماء المغلى زمنا ما ثم يجفف فى الشمس ولقد اشترينا منه شيأ من دكاكين أقيمت خارج البـاب المصري بالمناخة وكان البائع يروج تجارته بأحاديث يسردها وينسبها الى النبي صلى الله عليه وسلم فى مدح بعض أنواع البلح المتقدمة. فعجبت ان القوم لايستحون من الكذب على الرسول حتى وهم بين يديه الشريفتين وقلت ياهذا انا نشـترى منك بلحـا لا أحاديث وأرأيته ان مصيبة المسلمين أساسها الجرأة في التقول على رسول الله! فاعتذر الرجل بحالته بقوله انه أخذ هذا عن غيره من الباعة السابقـين أو بعض المتمشيخين ويبيعون البلح بالكيلة ووزنها ٦٠٠ درهم أما كيلة الارز فوزنها ٣٠٠ درهم والسمن يبيعونه بالرطل وهو ١١ أو ١٢ أوقية والرطل ٢٠٠ درهم و لاردب ١٢٠ أوقة

« وفي المدينة كتبخانات كثيرة أهمها كتبخانة شيخ الاسلام عارف حكمت وهى قريبة من باب جبريل الى جهة القبلة وهذه الكتبخـانة آية في نظافة مكانهـا وحسن تنسيقها وترتيب كتبها وأرضهـا مفروشـة بالسجاد العجمى الفاخر . وفى وسط حوشها نافورة من الرخام فيها حنفيات للوضوء وفيها كتب ثمينة جدا لايقل عددها عن ٥٤٩٤ كتاب ولقد رأينا بها شيأ من غرائب الصناعة النادرة فى بابها وهو كتاب أشعار فارسية مكتوب بالخط الابيض الجميـل لمـلا شاهي ، وبينما نحن نعجب من جودة الخط واتقان الصناعة ونظافتها وحسن تنسيق حروفها على صورها

ودقتها لفت نظرنا حضرة مدير الكتبخانة الى أن حروف الكتابة انما هي ملصوقة على الورق فتأملناها فوجدناها شيأ يبهت الطرف لرؤيته ،ويعجز اللسان عن نعته . خصوصا عند ماأخبرنا أنهم كانوا يكتبون هذه الكتابة ، ثم يفصلونها عن ورقتها بظفرهم ثم يلصقونها على ورقة أخرى

« وفي باب السلام كتبخانة للسلطان محمود ومقدار الكتب التي فيها ٤٥٦٩ كتابا وهي وان كانت أصغر من كتبخانة عارف واقل منها نظاما الا انها جميلة ومرتبة وفيها كتبخانة للسلطان عبد الحميد الاول بها ١٦٥٩ كتابا ، وفيها أيضاً كتبخانة بشير اغا ، في زقاق الخياطين بها ٢٠٦٣ كتابا وقد بلغني أن هناك كتبخانة أخرى منها واحدة في رباط عثمان حافلة بنفائس كتب مذهب مالك ، ويقدر مجموع هذه الكتب بثلاثين الف كتاب من الكتب النادرة المثال. ولو جمعت كل هذه الكتب في دار واحدة وعمل لها نظام مخصوص لكان ذلك أنفع والفائدة منه أكبر

« وفى المدينة جريدة اسمها (المدينة المنصورة) تصدر باللغة التركية والعربية على مطبعة البالوزة كلما كان هناك داع لصدورها، ومديرها حضرة الفاضل الشيخ محمد مأمون. وكانت تصدر مدة وجود الجناب العالي بها شارحة حركاته اليومية . وناشرة كل ما كان يقدم لذاته السنية من المدائح نظما ونثرا ومن ضمن ما رأيت فيها قصيدة لحضرة مديرها تهنئة للجناب العالى بقدومه قال في مطلعها

البدر في أفق العلياء قد طلعا
وكوكب السعد فى اسعاده سطعا

« وليس فى المدينة من المدارس مايستحق الذكر . الا أن فيها ١٧ مكتبا لتعليم مبادىء العلوم البسيطة ، والذى يدرس بالحرم شيء بسيط من الفقه والتفسير

« وفي المدينة حمامان تركيان أحدهما داخل المدينة ، وهو من عمل السلطان سليمان القانوني والثاني بالمناخة . وفيها ٨ تكايا أهمها التكية المصرية والباقي يسمونها رباطات. لها مرتبات قليلة لا تفي بحاجة من يسكن فيها من الفقراء والمعوزين

والمدينة المنورة حرم مثل حرم مكة يبلغ قطر دائرته نحو اثنين كيلو متر ولا

يجوز لاحد الصيد فيه اجلالا له وتعظيما

« وفى المدينة وضواحيها مزارات كثيرة أشهرها مسجد قباء ومسجد سيدنا حمزة والبقيع . أما مسجد قباء فبعيد عن المدينة بمسافة خمسة كيلو مترات وهو أول مسجد بني فى الاسلام . بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنوب الغربي للمدينة عند دخوله اليها فى هجرته وقد جدد بناءه السلطان عبد الحميد الاول وبوسط صحنه قبة أقيمت على مبرك ناقته صلى الله عليه وسلم حين قدومه اليها في هجرته من مكة. وأما مسجد سيدنا حمزة فانه يوجد في شمال المدينة فى وادى أحد وهذا الوادي مشهور بالواقعة التي حصلت بين المسلمين والمشركين في ١٥ شوال سنة ٣ للهجرة وأبلي فيها المسلمون بلاء حسنا واستشهد فيها سيدنا حمزة عم النبي صلي الله عليه وسلم وكسرت فيها رباعية النبي اليمني وشج وجهه وكلمت شفته السفلى ودخلت حلقتان من مغفره فى وجنته . وقد ورد عن عائشة رضي الله عنها ان أبا عبيدة بن الجراح نزع احدى الحلقتين من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقطت ثنيته . ثم نزع الاخري فنزعت ثنيته الثانية ، فكان ساقط الثنيتين . وهناك قبة يقال لها قبة السن الشريف وقد كان أهل المدينة نقلوا بعد انتهاء هذه الواقعة بعض قتلاهم لدفنهم فيها ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم منعهم قائلا: « ادفنوهم حيث صرعوا » وعليه فقد دفن حمزة فى مصرعه الذى عليه الى الآن قبة يقال لها قبة المصرع شرق مسجده الحالى الذى نقلت جثته اليه فيما بعد لما عبث السيل بقبره الاول . ومن حوله قبور الشهداء الذين قتلوا في هذه الوقعة وعددهم نيف وسبعون وفي نهاية الوادى الى الشمال جبل أحد . وهو جبل صخرى من الجرانيت. وهو وان كان من السلسلة الجبلية التي تخترق بلاد العرب الا أنه يكاد يكون منفصلا عنها وطوله من الشرق الى الغرب نحو ستة كيلو مترات

« والبقيع له عند المسلمين مكانة عظيمة ويقال له بقيع الغرقد لانه يكثر فيه هذا النوع من الشجر وبه دفن نحو عشرة آلاف من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين وكثير من آل بيت النبوة صلوات الله عليهم ومنهم سيدنا على زين العابدين بن سيدنا الحسين وولده محمد الباقر

وولده جعفر الصادق ، والاخيران في قبة سيدنا العباس، وكان بالبقيع قباب كثيرة هدمها الوهابيون

« ومن مزارات المدينة المباركة مسجد الراية ، ومسجد الفتح ، ومسجد القبلتين ، ومسجد السقيا، ومسجد الغمامة (بالمناخة) ومسجد علي (في طريق قباء) ومسجد المائدة (أمام البقيع من جهة الشرق) ومسجد الاحزاب (وراء جبل سلع الذي هو علي يسار الخارج من الباب الشامي) ، ثم مسجد عروة

« وأهل المدينة يشربون من آبار كثيرة منها : بئر الاعوام وبئر أنس بن مالك وبئر رومة التي اشتراها عثمان بن عفان لشرب المسلمين منها في صدر الاسلام وفيها بئر القويم، وبئر العباسية ، وبئر صفية، وبئر البويرة، وبئر فاطمة ، وبئر عروة وكان أهل المدينة في السابق يهدون من ماء البئرين الاخريين الملوك وكبار المسلمين . وفى قباء بئر يسمونها بئر الخاتم وهى بئر أريس التي وقع فيها خاتم النبي صلى الله عليه وسلم من عثمان بن عفان وهو خليفة وكانوا لذلك الوقت يختمون به على مكاتباتهم وكان نقشه (محمد رسول الله)

« وماء المدينة الذى عليه مدار سقياها من العين الزرقاء التي توجد غربي مسجد قباء وماؤها عذب لذيذ وسميت بالزرقاء نسبة الى مروان بن الحكم التي أجراها بأمر معاوية رضي الله عنه وقت أن كان عاملا على المدينة (وكان يسمى الازرق لزرقة عينيه) وهى موضع عناية كل الملوك والسلاطين الى هذا الزمان ويرد ماء هذه العين مجرى مأخوذ من عين في قباء ايضا يسمونها عين النبي . وماؤها يسير الي المدينة في قناة مبنية بناء متينا وقد تفرع من هذا المجري فروع كثيرة في جهات المدينة وبنى لها خزانات تنزل عن سطح الارض بنحو عشرة أمتار يملأ منها السقاؤن الماء ويوزعونه على مساكن المدينة وقد ينزل الناس بواسطة سلالم من حجر الى هذا المجرى فيملأون جرارهم من حنفيات مثبتة فيه وبهذا نري ان مياه هذه العين نظيفة وبعيدة عن التلوث وهو السبب الوحيد في عدم تعرض المدينة غالبا الى الاوبئة التي تحصل في الجهات الاخري من بلاد العرب التي لم يعتن بالماء فيها مثل مكة ومنى وجدة وينبع

« وهذه العين كان يقوم بتعميرها أمراء المسلمين وقد تخربت في أوائل الحكم العثماني ومكث أهل مدين زمناً طويلاوهم في ضيق شديد حتي عمرها السلطان سليمان سنة (٩٣٢) ثم جرفها السيل سنة (٩٩٠) فأمر بتعميرها السلطان مرادخان واشترى بئر الغربالى وألحقها بها . وفي سنة ١١١١ أمر السلطان مصطفى العثماني فاشتريت بئر العقد وألحقت بها أيضاوما زالت حتي بناها السلطان سليم سنة ١٢١٢ . ولما حاصر الوهابيون المدينة خربوهافأصلحها محمد على باشا ثم جددها السلطان عبد الحميد بما صارت معه عظيمة الفائدة كبيرة المنفعة جزاهم الله خيرا .

« وفى ضواحي المدينة عدا العين الزرقاء عين كهف غربي جبل سلع وعين الخيف وتجرى من عوالى المدينة وعين الوادى بجوار قبر حمزة . ثم عين الساطان وهي مالحة وتجري من قباء الى المدينة فتطهر بالوعاتها ومجاريهاثم تسيرالى بساتين المدينة من خارجها

« ويوجد فى المدينة من الجهة الشمالية حدائق كثيرة بالقرب من السور منهاحديقةالداودية وحديقة الزكي والسبيل وبضاعة وبضيعة والطرناوية والفيروزية والزينية والدرويشية وبئر حاء والتوانية والجودية والكانبية والسمانية . وفى داخل السور الحدائق الرومية وفى الجهة الشرقية بساتين وكروم كثيرةمن النخيل.وفي جهة قباء وذي الحليفة والعوالى شيء كثير من المزارع والبساتين والاخيرة مشهورة بثمرها ويزرع فيها كثير من الخضراوات مثل الكرنب والقنبيط (القرنبيط) والكراث أبو شوشة والخرشوف والبامية والملوخية والباذنجان والقوطة والقرع واللوبياء والفاصوليـاء والرجلة والسبانخ والخبيزة والكرفس والبقدونس . ومن الفاكهة البطيخ والقاوون والخوخ والرمان والعنب والموز والتمر والليمون والبرتقال والليم (وهو نوع من الأترج كبير الحجم)

« وحول المدينةوديان كثيرة وينزل فيها كثير من مجارى السيول التي تسير بها الى بساتينهاوخصوصاًفى الجهات المنخفضة منها . وقد ترتفع مناسيب هذه السيول فى بعض السنين فتضر بالمدينة وضواحيها ضرراً بليغاً.وفي خلافة سيدنا عثمان فاض وادي مهروز فيضاناً كاد يقوض اركان المدينة فأمر ببناء سدين عند بئر عمورى

وحول ذلك السيل الي وادى بطحان . وفي سنة ١٥٠ نزلت السيول بكثرة على المدينة فأزعجت أهلها وأغرقت صدقاتها وكان ذلك فى خلافة أبي جعفر المنصور فأمر فبنيت السدود فى أعالى المدينة فتحولت السيول الى جهات أخرى. وفي سنة ٧٣٤ فاض وادي القناة فأغرق الجهة الشمالية من المدينة الى جبل أحد وانقطع الناس بسببه عن زيارة سيدنا حمزة شهورا. وفي سنة ١٣٢٨ نزل السيل الي المدينة وتكونت مياهه عند جبل أحد وبلغ عمقها نحو نصف متر

« أهل المدينة يبلغ عددهم ستين الفاً منهم كثير من المجاورين الاجانب وأكثرهم من الهنود والاتراك والشوام والمغاربة والمصريين . ومن أشهر عائلات المدينة عائلة أسعد وهم سادات ، وعائلة بري هم مغاربة ، وعائلة السمهودى وهم مصريون . ولكبار أهل المدينة مرتبات من الدولة ولكثير منهم مرتبات من الحضرة الخديوية وأغلبهم يعيش من وراء خدمة الحرم وخصوصاً في الموسم ومنهم كثير من المرشدين الى محال الزيارة ويسمونهم مزورين . وهؤلاء يؤدون في المدينة وظيفة المطوفين فى مكة. ومنهم من يعيش من التجارة البسيطة ، والمصريون يتجرون في الحبوب كالقمح والعدس ويأتون بها من طريق القصير

« وأهل المدينة يعبرون عن الجهات بالشام للشمال ، والبحرى للمغرب (لانه الي جهة البحر) والشرق للشرق والقبلى للجنوب (لانه جهة القبلة) ، ومنهم أخذ المصريون هذه التسمية واستعملوها في غير محلها فى اطلاق القبلى على الجنوب لان القبلي عندهم انما هو الشرقي الجنوبي كما لايخفى

« ومن عادات أهل المدينة الرياضة والتنزه في البساتين خارج المدينة فيخرجون اليها في يوم الثلاثاء والجمعة بعد صلاة العصر جماعات جماعات ويعودون في المساء. وقد يخرجون الى هذه الرياضة من أول اليوم ومعهم غذاؤهم فيمضون نهارهم في أحد البساتين التي بضواحي المدينة في سرور وحبور ويسمون هذه الفسحة مقيالا

« ومن عاداتهم القديمة ان كل واحد منهم يقدم كل سنة في ليلة السابع والعشرين من ذى القعدة مقداراً من الحنطة على سبيل الهدية الي الحجرة الشريفة. وبعد أن

لنفسها وينظفها جيداً يضعها فى كيس جديد من القماش اللطيف الابيض حتي اذا وصل الي الباب الذى في المقابلة الشريفة استغاث برسول الله ثم وضع الكيس بكل أدب داخل الحجرة الشريفة . وهذه الاكياس يأخذها خدمة الحجرة المطهرة ويهدون منها الي عظماء المسلمين علي سبيل البركة

« ومن عاداتهم استقبال الزوار خارج المدينة من غير سابقة معرفة بهم كل واحد منهم يدعو الى ضيافته ما استطاع من ضيوف رسول الله فيأتي بهم الى منزله ويمهد الفراش ويجهز الطعام اللازم لهم ، ويقضي مدة اقامتهم في المدينة وهو في خدمتهم بصدق واخلاص غير ملتفت الى أجر يصيبه منهم وان فعلوا فليس علي كل حال الا أقل مما يجب بالنسبة لهم ، ومن أكمل عاداتهم أن ربة المنزل مهما بلغ من شأنها هي التي تشتغل بداخليتها وتقوم بطهي الطعام بنفسها ولا تباشر ذلك الا وهي على وضوء تام

« ومن عاداتهم في مواليدهم أن الطفل اذا مضى عليه أربعون يوماً غسلوه ونظفوه وألبسوه ملابس جميلة بيضاء وبعد أن يعطروه يأخذه اهلوهم في أحسن زينة لهم الى الحجرة الشريفة فيأخذه الخدمة ويضعونه فيها ويغطونه بستار تهائم يدعون له بخير وبعده يسلم الولد الى أمه فتأخذه فرحة هاشة باشة

« ومن عاداتهم أنهم لاينوحون اذا مات لهم ميت ولا يبكون ، بل يأخذونه ويدخلون من باب الرحمة حتي يصلوا به الى الحجرة الشريفة فيصلون عليه ويخرجون به من باب جبريل الى البقيع فيدفنونه مكبرين مصلين على الرسول، وهنالك يقف صاحب الميت علي باب الجبانة فيعزيه الناس . وهي عادة قديمة من يوم وفاة سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنه فانه بعد دفنه وقف أخوه سيدنا الحسين رضى الله عنه على باب البقيع واستقبل تعازي المعزين

« ومن عاداتهم أنهم يخرجون يوم الخميس نساء ورجالا بعد صلاة العصر الي البقيع ويلقون على القبور شيأ من الرياحين وهي سنة عن النبي صلى الله عليه وسلم

ومن عاداتهم في شهر رمضان انهم يتوجهون الي الحرم قبل المغرب بنحو ساعة ويجلسون حول الحجرة الشريفة ويعضون

بقية نهارهم في قراءة القرآن الشريف والذكر والصلاة علي الرسول. فاذا ضرب مدفع الافطار يكون حضر لكل واحد منهم صينية فيها افطار خفيف كالفطير والجبن والزيتون والبلح والحلوي وما أشبه ذلك فيفطر كل منهم مع من يدعوه الى طعامه من الغرباء ، ثم يعطي بقية أكله الى من هناك من الفقراء ، ويقضون في هذه الفترة نحو ربع ساعة ، وبعدها تقام الصلاة فيصلون المغرب ثم يعودون الي منازلهم مع من يصادفهم من الضيوف ، فيتعشون ثم يعودون الى المسجد لصلاة العشاء ، وبعدها تبتدىء صلاة التراويح فينقسم المصلون الى خمسين او ستين جماعة لكل منهم امام مخصوص يضعون في مقابلته شمعدانين بهيئات مختلفة يدل كل واحد على ماذا كان الامام يطول في صلاته او يتوسط او يقصر فيصلى كل انسان وراء من يريده ، وبعد ختام التراويح يجري احتفال الشمع . ذلك أنهم في رمضان يخرجون كل مافي خزائن الحجرة الشريفة من الشمعدانات الذهبية والفضية فيستعملونها امام هذه الأئمة كما بيناه وبعد الصلاة يعيدونها الي الحجرة الشريفة باحتفال كبير . ويتشرف بحمل هذه الشمعدانات من يحضر من الامراء والاعيان بدعوة خصوصية ترسل اليهم من شيخ الفراشة النبوية. وصلاة الصبح فيها شيء من ذلك

« أما صلاة العيد فيصليها في المسجد النبوى امامان بجماعتين واحد شافعي والثاني حنفي وبعد الصلاة يتشرف الجمع بزيارة السيد الرسول ثم يعودون الى منازلهم ويقضون أيام العيد في تزاور وسرور وحبور

« وكانت المدينة في القرون الثلاثة الاولى للهجرة في غاية الرقي الادبي والمادى. وكانت بساتينها تملأ الفضاء المحيط بها وعلى الخصوص من الشمال الشرقي والجنوب وكان للقوم بها رياض زاهرة وقصور فاخرة في وادي العقيق الذى كان يفور ماؤه، ويبهر رواؤه، وتزهو أرجاؤه ، ويكثر زهره، ويفوح عطره، ويجنى ثمره ، وكان أغلبها لازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أماكنه المشهورة الزغابة واضم والغابة وحصير والخليفة والجشجاثة وكلها كانت لعبد الله بن الزبير وبيته، ثم حمراء الاسد وكان بها قصور لغير واحد

من القرشيين،وخاخ وكانت للعلويين وفيها يقول الاحوص :

لها منزل بروضــة خاخ

ومصيف بالقصر قصر قباء

« ومن أشهر أماكنها ثنية الشريد والفراس والمعرس والبيداء،وكان في جميعها منازل الاشراف من قريش وخصوصا على سفح جبل عير على يمين المقبـل من مكة وكان فى الجهة الاخري مكان اسمه الجماء وتجاهها فى ضيق حرة الوبر على أربعـة أميال من المدينة الي صُفيرة أرض عروة ابن الزبير وبها قصره المشهور بقصر العقيق وبئره المشهوة باسمـه والتي فيهـا يقول الشاعر :

كفنوني ان مت في درع أروى

واستقوا لى من بئر عروة ماء

« وكان يوجد أسفل هـذا القصر تجاه الجماء مكان يقال له العروضة وبه كان قصر سعيد بن العاص الذى يقول فيه أبو قطيفة :

القصر ذو النخل فالجماء بينهما

أشهى الي القلب من جاء جيرون

« ويقال ان آثار هذا القصر موجودة الي الآن وكان سعيد عاملا لمعاوية على المدينـة وكان هذا القصر في أيامه آية من آيات القرن الاول الهجرى وأعجوبة من أعاجيبه حتى فضله الشاعر عن أبواب جيرون (دمشق) التى كانت فى ذلك العهد عاصمة الخلافة ومكان فخامتها وأبهتهـا ، وهى الى اليوم آية من آيات الله في جمالها وبهائهـا لان القادم عليها من الجنوب يخترق الغوطة وماأدراك ماهيه ، جنة زاهية،واذا قدمها من الغرب يخترق المرج وهو نزهة الزائرين ، وبهجة الناظرين

« ومن القصور التي كانت مشهورة بوادى العقيق قصر عاصم ، وقصر محمـد ابن عيسى ، وقصر يزيد بن عبـد الملك ابن المغيرة ، وقصر جعفر بن سليمان ، وقصر أبي هاشم ، وقصر عنبسة بن عمرو ابن عثمان بن عفان ، وقصر عنبسـة بن سعيد بن العاص ، وقصر عبدالله بن أبي بكر بن عثمان بن عفان ، وقصر خارجة ، وقصر عبد الله بن عامر ، وقصر مروان ابن الحـكم وآثار هذه القصور يوجد منها الى الآن شيء كثير يدل على عظمة وادي العقيق وفخامته ، وفى ذلك يقول الشاعر :

ألا أيها الر ب المخبون هل لكم
بأهل عقيق والمنازل من علم
فقالوا نعم تلك الطلول كعهدها
تلوح وما يغنى سؤالك عن علم

« ويظهر ان اول من شيد البناء في المدينة هو عثمان بن عفان فقد شيد داره فيها بالحجارة والكلس وجعل أبوابها من الساج والعرعر وكان له بوادى القرى وحنين من الضياع ماقدروه بعد موته بمئة الف دينار. وفي أيامه اقتنى أصحابه بالمدينة الضياع الواسعة والدور الفسيحة وابتنى سعد بن أبي وقاص داره بالعقيق فرفع بناءها ووسع فناءها وجعل فى أعلاها شرفات ، وابتنى المقداد داره بالجرف على أميال من المدينة وجعلها مجصصة الظاهر والباطن

« وفخامة العمارة بالمدينة لم تبتديء بها الا بعد الخلفاء الراشدين، لان الخلافة لما آل أمرها للاموبين اخذوا يهيلون العطايا على قريش وعلى سادات الانصار والمهاجرين بالمدينة حتي يستميلوهم اليهم أو على الاقل يشغلوهم بأنفسهم عنهم . فكثرت ثروتهم وغزرت مادتهم وأخذوا يقلدون بني أمية فى سعة العيش ورفه الحياة في المأكل والملابس والمسكن فشيدوا العمارات الفخمة وحفروا الآبار فى تلكم الصحراء وغرسوا فيها البساتين والرياض وسيروا اليها الجمّاوات (جمع جماء وهو مجري الماء الغزير) وصيروا المدينة روضة زاهرة ، وجنة باهرة ، وما زالوا في رفاهة هذا العيش حتي اذا ضعفت الخلافة فى مبدأ القرن الرابع الهجري انقطعت اعطياتهم فتغير حالهم ، وانقشعت سحابة رفههم ، وسبحان من له الدوام

« وضعفت المدينة بضعف الخلافة العربية فصارت عرضة لهجمات الاعراب ، وغزوات البدو ، فقام عضد الدولة أبو شجاع وزير الطائع لله وبني سور أحول المدينة سنة (٣٨٠) وبقي هذا السور حتي تداعت أركانه فى منتصف القرن الخامس فبناه الامير جمال الدين وزير صاحب الموصل وصاحب رباط الاعجام بالمدينة وزاد فيه نور الدين بن زنكي سنة (٥٥٨) أثناء عمارته للحجرة الشريفة . ثم بناه الملك الصالح بن قلاوون سنة (٧٥٥) ثم السلطان قايتباى سنة (٨٨١) ثم السلطان سليم العثماني سنة (٩٣٩) وعمره محمد على باشا والي مصر بعد حرب الوهابية وهو

الذى فتح فيه الباب المصرى . وجدده السلطان عبد العزيز سنة ١٢٨٥ وجعل ارتفاعه نحو ٢٥ مترا وبنى فيه ٤٠ برجا تشرف على ضواحي المدينة للدفاع عنها وهذا السور باق للآن وهو فى طريق باب العنبرية وعلى محيطه المزاغل والابراج المشحونة بالمدافع والذخائر الحربية لصد هجمات الاعراب الذين كثيرا ما كانوا ولا يزلون يعتدون على حرم رسول الله

« وأما سورها الخارجي فليس بذى أهمية تذكر وهو مهدم في كثير من جهاته وفيما بين السورين يعني فيما بين الباب المصرى وباب العنبرية واد كبير متوسط عرضه ٤٠٠ مترا يقال له المناخة وسميت بذلك لان أغلب الحجاج ينيخون جمالهم فيها ويقيمون بها مدة الزيارة ، وفيها مقام ركب المحمل المصرى مدة وجوده بالمدينة وحول المناخة من جهتها الخارجية أبنية كثيرة أحسنها ما كان على الشارع العمومى وهو شارع محطة السكة الحديدية ويسمى الآن بالشارع الرشادي وفيه التكية المصرية ولها مرتبات من مصر وتعمل بها الشورية يوميا للفقراء على النظام الذي تقدم في تكية مكة ، وفيه قشلاق للعساكر الشاهانية وكلاهما من بناء المرحوم إبراهيم باشا جد العائلة الخديوية

« وللمدينة ثمانية أبواب وهى الباب المجيدى والباب الشامى وباب الكوفة وباب العنبرية وباب قوبة وباب العوالى وباب الجمعة وتقفل أبواب المدينة في وجه الزائرين من الحجاج اذا تحقق انهم ملوثون بالوباء ولكنهم يفتحون لهم طريقا من الباب المجيدى الى باب الحرم فيزورون ويسافرون بعد يوم أو يومين على الاكثر بقوافلهم التي يجب ان تكون مخيمة خارج البلد . وبذلك ترى أهل المدينة على الدوام بعيدين عن الاوبئة بالمرة ولكنهم في هذه الحالة لا يفتحون للحجاج الا بابا واحدا من الحرم ، فيتراكمون بعضهم على بعض ويزدحمون فى الطريق الموصل الى هذا الباب حتى اذا وصلوا اليه أخذوا يتدافعون للدخول الى المسجد وهناك يجدون مثين ممن فى داخله متدافعين للخروج منه فتلتحم القوتان ولا يزالون حتي يظهر فريق منهم على الآخر فيهجمون عليهم ويطأونهم بأقدامهم ويموت من جراء ذلك خلق كثير كما حصل في سنة ١٣٢٦ وعليه فيجدر بمشيخة الحرم في مثل هذه الاحوال ان

تجعل بابا من الحرم للداخلين وآخر للخارجين وبذلك يتوفر عليها وعلى الناس مثل هذه المشقة

«ومناخ المدينة صحي جداوربما كان ذلك من الاسباب التي ساعدت علي رقة أهلها ولطافة أمزجتهم التي اذا أضفت اليها ماهم عليه غالبا من الصلاح والورع والادب وحسن المعاشرة حكمت لهم بأنهم أحسن أهل بلاد العرب علي الاطلاق في مكارم الاخلاق وليس ذلك بعجيب فجاورتهم للسيد الرسول أكسبتهم كثيراً من أخلاقه الكاملة . علي أن من يفكر فى أن الرسول عليه الصلاة والسلام انما اختص أهل المدينة بالهجرة الي بلدتهم يحكم حكما قطعيا بأن مكارم الاخلاق فيهم من زمن بعيد وقد زادها الاسلام جمالا علي جمالها وكمالا علي كمالها وحسبك أن السيد الرسول بعد أن أدي مأموريته من اظهار الدعوة ونشر راية الدين الاسلامي وتقوية دعائمه بحل لا يدخل معها الوهن الى أي جانب من جوانبه أظهر في حجة الوداع أنه لا يريد الموت الا بين ظهراني الانصار الذين نرى اليوم من خلفهم على سنتهم رضي الله عنهم أجمعين » انتهي مانقلناه عن كتاب الرحلة الحجازية للفاضل محمد لبيب بك البتنوني

﴿الحرم المدني﴾ لا نري بدأ من نقل هذا الفصل ايضا عن كتاب الرحلة الحجازية لحضرة الفاضل محمد لبيب بك البتنوني لانه شاهد الحرم المدني بنفسه ووصفه على أسلوب يجعل مطالعه كمن شاركه فى الرؤية قال حضرته :

« الحرم المدنى وهو مسجد النبي صلى الله عليه وسلم واقع في وسط المدينة بميل الى الشرق وهو لطيف الشكل جميل المنظر علي هيئة مستطيل متوسط طوله من الشمال الي الجنوب مئة وستة عشر مترا وربع ، وعرضه من الشرق الى الغرب من جهة القبلة ستةوثمانون مترا وخمسة وثلاثون سنتيمترا ومن جهة الباب الشامى ستة وستون مترا وينقسم في وضعه الى قسمين المسجد والصحن . والمسجد يبتديء من قبلة عثمان أعني من الحائط القبلي الى الصحن من جهة وفى طول ما بين باب الرحمة وبين باب النساء من جهة أخرى وهذا القسم جميعه مغطي بقباب ترتكز على أقواس قامت علي عمد من الصوان

المكسو بطبقة من المرمر الموشي بماء الذهب والقسم الثاني وهو الصحن ويسمونه الحصوة شكله مستطيل الى الباب الشامي ويحيط به من جهاته الثلاث اروقة ثلاثة فيها أعمدة تحمل أقواسا رفعت عليها قباب تناطح السحاب

« وعدد جميع أعمدة الحرم الشريف بما فيها الملتصقة بحوائطه يبلغ ثلاث مئة وسبعة وعشرين عمودا منها ٢٢ داخل المقصورة الشريفة . وفي مدخل الباب الشامي المدرسة المجيدية وفيها كتاتيبان لتعليم القرآن على الطريقة القديمة في ريف مصر غير أن القرآن لا يحفظ فيها عن ظهر قلب بأجمعه . ويوجد في الدور الثاني كتاب يقال أنه يدرس فيه غير القرآن المجيد شيء من الحساب ولهذا المدخل باب للحرم من الداخل يسمونه باب التوسل والى جانبه في جهة الغرب محل للاغوات المخصصين لخدمة الحرم الشريف وفيه بيضاتهم وأمكنة راحتهم والى جواره مخزن الزيت المخصص لتنوير الحرم ثم باب المدرسة (على ما أظن) وهذه الابواب الثلاثة في الرواق الشمالي . وفي وسط الصحن بميل الى الشرق حظيرة صغيرة سورت بدرابزين من الحديد وفيها بعض نخل صغير تنبت حول نخلة عالية يقال أنها أثر نخلة كانت في هذا المكان للسيدة فاطمة رضي الله عنها . وقبلي هذه الحظيرة بئر ماؤها لذيذ اسمها بئر النبي و بعضهم يسميها زمزم المدينة ومن وراء هذه الحظيرة أقيمت شبكة من خشب الشيش على طول الرواق الشرقي عملت في عمارة السلطان عبدالمجيد اشارة الى أنه مخصص للنساء ففيه صلاتهن واقامتهن في الحرم . وفي جنوب هذا الرواق دكة الاغوات المخصصين لخدمة الحرم الشريف وهي مصطبة سطحها نحو ١٢ مترا طولا في ٨ متر عرضا وترفع عن الارض بمسافة نحو ٤٠ سنتي مترا وكانت في عهده صلى الله عليه وسلم مكانا لأهل الصفة وهم قوم من العفاة والمتقاعدين كان يصرف اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ما كان يقوم بحياتهم من غذاء وكساء وكان منهم أبو هريرة وأبو ذر الغفاري رضي الله عنهما وتجاه هذه الدكة من الجنوب دكة أخرى أصغر منها متصلة بالمقصورة الشريفة من جهة الشمال وكان يتهجد في مكانها النبي صلى الله عليه وسلم ويفصل بين الدكتين

طريق الي باب جبريل شرقا . وعلى يمين الداخل منه دكة صغيرة يجلس عليها شيخ الحرم والي جوارها مخزن بالمقصورة الشريفة التي توجد في الجهةالقبلية الشريفة من الحرم

« والروضةالشريفةفي غرب المقصورة الشريفة . وهي مسافة مابين القبر الشريف ومنبر الرسول صلوات الله وسلامه عليه لقوله « مابين قبري ومنبرى روضة من رياض الجنة » وهي تبلغ ٢٢ مترا طولا فى نحو ١٥ عرضا ويفصل الروضة عن زيادتي عمر وعثمان اللتين في جنوبها درابزين من النحاس الاصفر ارتفاعه نحو متر

« والروضة على الدوام غاصة بالناس لشرف مكانتها وفيها مما يلى هذا الدرابزين ربعات قرآنية كثيرة وعدد كبير من المصاحف المختلفة الحجم منها ماهو بحرف الطبع ومنها ماهو بخط اليد الجميل والي جانبها نسخ كثيرة من دلائل الخيرات وكل ذلك موقوف عليها للقارئين من الزوار . وفي غرب الروضة الشريفة قبلته صلى الله عليه وسلم وهى آية من آيات الله في كمال بهجتها وجمال صنعتها وهي علي استقامة المقصورة الشريفة من جهة القبلة وضعها عليه الصلاة والسلام يوم الثلاثاء الموافق نصف شعبان من السنة الثانية للهجرة عند ماأمره الله تعالى بالصلاة الي الكعبة المكرمة والي غرب القبلة المنبر الشريف وهو من الرخام المنقوش بالليقة الذهبية الفاخرة وعلى غاية من الجمال ودقة الصناعة ارسل هدية من السلطان مراد الثالث الى الحرم سنة (٩٩٧) للهجرة فوضع فى مكان المنبر الذى كان به لقايتباى وهو نفس المكان الذي كان به منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم

« ومما ينبغى الاشارة اليه اننا صلينا الجمعة في المسجد النبوى على صاحبه افضل الصلاة والتحية وكان الزحام شديداً وبعد أن زار الخطيب المقصورة الشريفة واستأذن للخطبة من الحضرة النبوية علي حسب عادتهم حضر لابساقاووقا يسمونه كودايان تحف به الاغاوات من كل جانب ثم صعد المنبر ومال الي جهة اليمين أعني الي المقام الاشرف الاقدس النبوى وبعد أن سلم بغاية الادب حمد الله وجعل خطبته كلها مبنية علي سرد كثير من الاحاديث الشريفة في موضع الحج والزيارة

وضرورة توحيد القلوب وتقوية الوصلة والرابطة بين أفراد المسلمين وكان يستند في نصائحه على أحاديث نبوية . فكان يقول مثلا ورد عن فلان عن فلان عن نبيكم هذا ويشير بيده الى الحجرة الشريفة ثم يسرد الحديث ، فكان لخطبته تأثير على القلوب لا يمكن تكييفه ولا توصيفه

« ويوجد بالحرم النبوى للخدمة فيه نحو الف نفس منهم ٤٦ خطيبا يتولى الواحد منهم خطبة الجمعة مرة واحدة في السنة طبقا لترتيب مخصوص لا يتعدونه ولهم وكلاء كثيرون يتناوبون الخطابة عند غياب الخطيب و ٣٨ اماما و ٦٢ مساعد امام يتناوبون الامامة فى الصلاة و ٥٠ مؤذنا و ٢١ مساعد مؤذن و ٥٠ كناساو ١١ بوابا و ٢١ صائغا وحاجبا وخياطا وخلافهم و ١٠ سقائين و ٤ ملائين و ٧٥٠ لغسيل وتنظيف وتعبئة قناديل الحرم . اما الذين يقومون بحراسة الحجرة الشريفة والخدمة فيها فهم الاغاوات واول من رتبهم للخدمة نور الدين الشهيد وكانوا اثني عشر واشترط ان يكونوا من حملة القرآن الكريم وحفظته وجعل عليها شيخا منهم وزادهم يوسف صلاح الدين الايوبي اثني عشر آخرين ومن ثم اخذت الملوك والسلاطين تزيد في عددهم الى الآن وقد وصل عددهم في بعض الازمان الى اكثر من مئة شخص ولهم اوقاف مخصوصة ومرتبات تأتيهم سنويا من الآستانة وغيرها ولهم دور بالمدينة يسكنون بها واغلب خدمة الحرم الشريف من غير مرتبات ويعيشون من خيرات ذوى البر والاحسان والقاعدة في خدمة الحرم الشريف انه من يموت منهم توزع وظيفته ومرتبه على اولاده جميعا فاذا مات الخطيب مثلا وكان مرتبه مئة قرش تعين بنوه فى مركزه ووزع مرتبه عليهم وتولى العمل مكانه اكبرهم وهكذا باقي الخدمة ولذلك ترى مرتبات الكل غير كافية لمعاشهم

« والحرم مفروش بأنواع السجاد العجمى الثمين وفيه شيء كثير من الابسطة المصنوعة بفوريقة هركة الشهيرة وخصوصا في الروضة الشريفة وبالجملة فهو آية من آيات الله في نظافته ولطافته وحسن بهائه ورونقه حتي ان الذى يدخله لا يود ان يبارحه مطلقا

وله خمسة ابواب باب السلام وباب الرحمة فى الغرب والباب المجيدي في الشمال

وباب النساء وباب جبريل (وباب البقيم) في الشرق وتقفل هذه الابواب كلها بعد صلاة العشاء الى قبل الفجر وهي سنة من عهد عمر رضى الله عنه ويوجد بجوار باب الرحمة وباب السلام من الخارج حنفيات للوضوء من عمل السلطان عبد الحميد كما توجد امكنة للحاجة علي بعد منها

(أصل الحرم المدني وعمارته والزيادة فيه) الحرم الشريف يحتوى الآن على مسجده صلى الله عليه وسلم وعلي بيت عائشة التي دخل عليها فيه في الشهر السابع للهجرة وعلى حجرات زوجاته رضي الله عنهن مع الزيادة التي زيدت فيه وكان يحيط بمسجده الشريف في مدته صلى الله عليه وسلم مساكن زوجاته وأصحابه رضى الله عنهم . فكانت مساكن ازواجه في الجهة الجنوبية وفي بعض الشرقية من الحرم وكان يفصل بينه وبينها طريق عرضه خمسة اذرع

« وكانت دار أبي أيوب الانصاري ودار عثمان بن عفان رضى الله عنهما جهة الشرق ولا تزالان موجودتين الى الآن وان كانت صورتها قد اختلفت عما كانت عليه في صدر الاسلام . وفي زاوية دار لعثمان المقابلة للحرم الشريف حجرة فيها شباك عليه لوحة من الخارج مكتوب فيها (مقتل عثمان بن عفان رضى الله عنه) ويسكن شيخ الحرم عادة في هذه الدار

« وكانت منازل آل عمر رضي الله عنهم الي جنوب المسجد الشريف ويوجد الى الآن بستان ملاصق للحرم في اتجاه الحجرة الشريفة من جهة القبلة جعله حرما له، وبه باب في خارجه مكتوب عليه (ديار آل عمر) . وكان بجوارها من الغرب دار العباس عم رسول الله صلي الله عليه وسلم ثم دار مروان بن الحكم وكانت علي يمين الداخل من باب السلام وكان في غرب المسجد دار أبي بكر رضى الله عنه والي جوارها شمالا مما يلى باب الرحمة دار عبد الرحمن بن عوف وهذه الدور كانت كلها فتحات على المسجد فرأي صلى الله عليه وسلم أن يسدها فقال (لا يبقين في المسجد خوخة الا خوخة أبي بكر) فسدت جميعها الا خوخته رضي الله عنه . ولا يزال في جدار المسجد شمال باب السلام باب صغير (لمخزن امام المقصورة الشريفة) بمثل هذه الخوخة وموضوع عليه لوحة

كبيرة مكتوب فيها الحديث المذكور غاية في الجمال

« واول من جدد في عمارة المسجد النبوي عمر رضى الله عنه فبني حوائطه وغير بعض أساطينه ووسع فيه قليلا أما عثمان فقد زاد فيه الى قبالته الجنوبية وبناه بالجص والحجارة . وفي سنة ثمان وثمانين أرسل الوليد بن عبد الملك لعامله على المدينة عمر بن عبد العزيز فزاد في المسجد شرقا وغربا وجنوبا وأدخل فيه حجرات أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وبني له أربع مآذن وفرش أرضه بالرخام ووشي حوائطه بالفسيفساء (الموازييك) وكسا سقفه بالذهب وجعل أساطينه من المرمر . ثم زاد فيه المهدى العباسى سنة مئة وستين وقام بعمارته أحسن قيام ثم عمره الخليفة المستعصم ثم الظاهر بيبرس وفي سنة ثمان وسبعين وست مئة أقام الناصر قلاوون قبة الحجرة الشريفة ولم يكن لها قبة قبل ذلك . ثم عمره الاشرف برسباى سنة احدى وثلاثين وثمان مئة . ثم الظاهر برقوق سنة ثلاث وخمسين وثمان مئة وفي سنة ست وثمانين وثمان مئة انقضت صاعقة على المسجد فأحرقته جميعه بحال مريعة لم ير الراؤون مثلها ولم يكن اهل المدينة ان يقوموا في وجه النار التي لم تكن تبقى على شيء في طريقها الا أنها لم تمس الحجرة الشريفة بشيء بالمرة وبمجرد ما بلغ هذا الخبر السلطان قايتباي ملك مصر أمر في الحال بأن ينقل في المدينة جميع عماله الذين كانوا يشتغلون في الحرم المكي وما زالوا يشتغلون بهمة فائقة في الحرم المدنى حتى أتموه على أحسن هندام على هذا القوام الحالى وبنوا الحجرة الشريفة على الفخامة والجمال اللذين تراهما عليها الى الآن . وأقاموا على القبة الشريفة قبة أخرى أعلى منها . وبنوا في الجهة الغربية من الحرم على شمال الداخل من باب السلام مدرسة عظيمة ، وقف عليها قايتباى الاوقاف الكثيرة وتسمى مدرسة قايتباي الى الآن وقد رأيت له بابا كان أرسل من مصر أثناء هذه العمارة ووضع على باب السلام ولما وسع هذا المدخل في عمارة السلطان عبد المجيد نقلوه الى الباب المجيدى وهو من الخشب الثمين المغطي بالقطع النحاسية المنقوشة او المكتوبة . بل هو من أفخر ما يرى الناظرون من الصناعة المصرية القديمة التي قبرت من عصر بعيد وفي سنة ٩٨٠ عمره السلطان

سليم الثاني و ني فيه بين المنبر الشريف ومدرسة قايتباى قبلة جميلة وشاها بالفسيفساء المنقوشة بماء الذهب وكتب اسمه علي ظهرها بالخط الثلث الجميل يشاهده السالك من باب السلام الى الحجرة الشريفة .

وفى سنة ١٢٢٣ بني السلطان محمود القبة الشريفة ثم أمر بترميمها ودهانها باللون الاخضر في سنة ١٢٥٥ ومن ثم سميت بالقبة الخضراء وفي سنة ١٢٧٠ أمر السلطان عبد المجيد خان رحمه الله بعمارته والزيادة فيه الى الشمال فكان ذلك وتمت عمارته على ماهى عليه الآن ووشاه بالنقوش والزخارف التى تفوق حد الوصف وكتب علي جداره مبتدئا من باب السلام الي الشرق سورة الفتح بالخط الثلث المجوف وفى الخط الذي تحتها سورة أخرى بخط أرفع منه ولكنه اكثر تعليقا ومن تحته سطر آخر اصغر من الذي فوقه فيه أسماء النبي صلى الله عليه وسلم وقصيدة البردة مكتوبة في محيط قباب المسجد وفى الزوايا التي ترتكز عليها هذه القباب أسماء الله ورسوله وآله وبعض صحابته. وكل ذلك مكتوب بخط غاية فى جماله وحسن تنسيقه وكمال وضعه وحسبك انه أثر ذلك الخطاط الشهير المرحوم عبد الله بك زهدى الذى أوفده السلطان عبد المجيد الى المدينة لهذه الغاية ومكث فيه بضعا وعشر سنين يعمل فى بيت رسول الله بما آتاه الله من الاحكام فى صناعته ونبوغ فى مهنته . وقد ورد في مرآة الحرمين ان هذه العمارة صرف عليها نحو مليون ليرة عثمانية وليس هناك أثر يذكر لمن بعده من الملوك سوى ما أدخل اليه من أسلاك النور الكهربائي فى زمن السلطان عبد الحميد وابتدأت الانارة به فى الحرم الشريف رسميا في يوم الاحتفال بافتتاح السكة الحديدية الحجازية بالمدينة المنورة في ٢٥ شعبان سنة ١٣٢٦

« والمقصورة الشريفة من نحاس أصفر غاية في حسن الصناعة عملت في مدة العمارة التي قام بها قايتباي فى سنة ٨٨٨ ولها باب على الروضة الشريفة يسمى باب الرحمة او باب الوفود والى جانبه من جهة الجنوب شباك يفتح عليها يسميه الحجاج شباك التوبة وهو الذى يذكرونه في قسمهم فيقولون «وحياة النبي الذي وضعت يدي على شباكه » ولها أيضا منفذ الي جهة القبلة في المواجهة الشريفة ويفتح عند الامور الهامة للدعاء

والاستغاثة

« ويتصل بهذه المقصورة من جهة الشمال مقصورة السيدة فاطمة وهي علي استقامتها من الغرب وتدخل عنها بمسافة متر ونصف من الشرق

« وطول المقصورة النبوية الشريفة من ضلعها الجنوبي والشمال ١٦ مترا ومن الشرقي والغربي ١٥ مترا وفى زواياها الاربع أعمدة مزوية عظيمة بنيت من الحجر الصلد على ارتفاع السقف وعليها ترتكز قواعد القبة الشريفة . امامقصورة السيدة فاطمة الزهراء فطولها من الجنوب ١٤ مترا ونصف ومن الشمال ١٤ مترا ونصف ومن الشرق والغرب نحو سبعة امتار ونصف وهي تتصل بالمقصورة الكبري من الداخل ببابين احدهما الى الشرق والآخر الى الغرب قد أقيم فيما بينهما ضريح على المكان الذى دفنت فيه السيدة فاطمة على قول الكثيرين . وفى داخل المقصورة الكبرى الحجرة الشريفة وهو المكان الذي توفي به رسول الله صلي الله عليه وسلم في اليوم الثاني عشر من ربيع الاول سنة ١١ للهجرة ودفن فيه عليه الصلاة والسلام في اليوم التالي لقوله صلى الله عليه وسلم « ماقبض نبي الا دفن حيث قبض » ورأسه عليه الصلاة والسلام الي الغرب. ولماتوفي أبو بكر فى ٢٢ جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة للهجرة دفن الي جانبه من جهة الشمال ورأسه الى قدمى الرسول عليه الصلاة والسلام . ولما طعن عمر رضي الله عنه استأذن من عائشة أن يدفن مع صاحبه فأذنت له فلما مات يوم الاربعاء ٧ ذى الحجة سنة ٢٣ للهجرة دفن الى جوارهما ورأسه محاذيا لمنكبي أبى بكر رضى الله عنهما . وقد أقيمت على هذه القبور الثلاثة مقصورة من البناء علي شكل ذي خمسة اضلاع ارتفاعه اكثر من ستة امتار . واول من بني هذه المقصورة عمر بن عبد العزيز فى عمارته المسجد ونزل أساسها الى غور بعيد وجعلها على الشكل المزور المتقدم حتي لاتكون مثل الكعبة في تربيعها خوفا من ان يتخذها الناس قبلة لهم. وكانت الحجرة الشريفة تسع قبرا رابعا ويزعمون انه مكان قبر عيسى عليه السلام بعد نزوله من السماء فى آخر الزمان ؟؟؟ وقد قيل فيه لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة لو أتيت المدينة وأقمت بها فان مت دفنت مع رسول الله

صلى الله عليه وسلم وصاحبيه رضي الله عنهما فقال والله لأن يعذبني الله عزوجل بكل عذاب الا النار أحب الى من أن يعلم انى أري نفسى لذلك اهلا ! فانظر الى درجة أدب الرجل وتنسكه مع ما كان فيه من سعة الملك الذي حلق على أطراف المعمورة بأجمعها رضي الله عنه

« وفى سنة ٥٥٧ بلغ نورالدين زنكي ان الصابيين الذين كان مشتغلا بمحاربتهم كانوا يعملون لسرقة الجثة الشريفة فأمر باحاطة الحجرة الشريفة ببناء آخر نزل بأساسه الي منابع الماء ثم صب الرصاص علي دائره حتي صار بحيث لا يمكن ان تتناوله يد الزمان . وقد وضع علي هذا البناء ستر من الحرير الاخضر مكتوب فيه «لااله الا الله محمد رسول الله» يحيط بها أحجبة مكتوب فيها قوله تعالى : «ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » وفيما بين ذلك دوائر مكتوب فيها أسماء النبي صلى الله عليه وسلم . ويحيط بهذا الستر (على ارتفاع مترين ونصف تقريبا) حزام من الحرير الاحمر عرضه نحو ثلاثين سنتيمترا مكتوب فيه بقصب الذهب اسم السلطان الذي أمر بعمل الستر الشريف . وهذه الكسوة ترسل من الدولة العلية عند تولية كل ملك من ملوكها . والكسوة الحالية وصلت الي الحجرة الشريفة بعد اعلان الدستور . وأول من كسا الحجرة الشريفة الخيزران أم هرون الرشيد عند ماقدمت فى حجها لزيارة النبي عليه الصلاة والسلام وصارت من بعدها سنة الملوك والسلاطين . و بين بناء المقصورة والشبكة النحاسية الخارجة طرقة متوسطة سعتها نحو ثلاثة امتار من جهاتها الشرقيـة والغربيـة والقبلية . وفي زاوية هـذه الطرقة من الجنوب كرسى موضوع عليه مصحف شريف كبير أهداه الى الحجرة الشريفة الحجاج بن يوسف الثقفي ويقولون انه من المصاحف الستة التي كتبها عثمان بن عفان

« وسماء هذه الطرقة مملوءة بثريات من الذهب والفضة وخصوصا في الجهـة الجنوبية فيما يقابل الوجـه الشريف فان فيها من المشاكي الذهبية منها احدى وثلاثون مشكاة مرصعة بالماس والزمرذ والياقوت ومعلقة بسلاسل النضار ومجموع مصابيح الحجرة الشريفـة مئة مصباح وستة

« وفي مقابلة الوجـه الشريف علي جدار المقصورة حجر من الماس البرلانتي في حجم بيضة الحمام الصغيرة يحيط به أطار من الذهب المرصع ويقدرون ثمنه فى ذاته بثمان مئة الف جنيه . أما في شرف نسبته الي الحجرة الشريفة فقيمته اكبر من ان تقدر بثمن ويسمونه بالكوكب الدرى لشدة تألقه وعظم سنائه وبهائه . وهو مثبت في لوحة من الذهب ورصع محيطه بمئتين وسبع وعشرين قطعة كبيرة من الجواهر الثمينة وهذا الكوكب اهداه للحجرة الشريفـة السلطان احمد خان الاول ابن السلطان محمد خان من سلاطين آل عثمان فى مبادىء القرن الحادى عشر الهجري . وقد عاق تحته كف من الذهب المرصع بالجوهر وفي وسطه حجر من الماس اصغر من الكوكب الدري أهداه اليها السلطان مراد الرابع بن السلطان احمد الاول في سنة (١٠٤٧) للهجرة. وهناك لوح كبير من الذهب منقوش فيه بخط جيل جدا بحجارة الماس البرلانتى « لااله الا الله محمد رسول الله » أهدته اليها صاحبة السمو والعصمة عادلة سلطان بنت السلطان محمود سنة (١٢٩١) هجرية

« وفى هذه الحجرة الشريفة غـير هذا كثير من الجواهر الفاخرة التي لاتقدر بثمن منها قطعة كبيرة على مثال الكردان مكتوب فيه بالماس اسم فاطمة الزهراء وهي موضوعة على مقصورتها الداخلية في الجانب الشرقي والى جوانبها عقد من اللؤلؤ الكبير الحجم لا يماثله شيء فى عظمه وجوهره وعقود أخرى من المرجان النادر المثال ويوجد فيهـا شمعدانات من الذهب الخالص المرصع بالجواهر الكريمة منها اثنان كبيران طول الواحد منهما نحو مترين أهداهما السلطان عبد المجيد خان فى سنة (١٢٧٤) وشمعدانان آخران أهداهما السلطان محمود والى جانب هذه الشمعدانات مكانس من اللؤلؤ ومراوح مرصعة بالاحجار الكريمة وعصاقي ومباخر مرصعة وهذا عدا مايوجد في خزائن الحجرة الشريفة من المصاحف المجوهرة والتحف الفاخرة وكثير من الاحجار الكريمة والجواهر الثمينة التي لم تكن مشغولة وغير ذلك من الاساور والاقراط وخلافهما وبالجملة فقد قدر ثمن ما بالحجرة الشريفة من الذخائر بسبعة ملايين من الجنيهات

« ولقد كانت الملوك والكبراء والعظماء

يهدون لها في كل الازمان كثيراً من الجواهر الفاخرة والذخائر الثمينة وكثيرا ما كانت تتطاول اليها يد الاشرار من ولاة المدينة مثل حجاز بن وهبه الذي نهب في سنة (١٨١١) من ذخائر الحرم المدني ماقدره السمهود بعشرين قنطارا من الذهب . وتبعه في ذلك الشريف حسن بن زبير المنصوري سنة (٩٠١) هجرية فأخذ منه شيأ كثيرا . وفي مبدأ القرن الثالث عشر الهجري كانت الحجرة الشريفة عامرة بما لا يحصي من الذخائر الثمينة فنهبها الوهابي سنة (١٢٢١) وباع بعضها الي الشريف غالب بخمسين الف ريال وبعد تتميم الصلح بين ابن سعود وطوسون باشا اشترى منه هذا الاخير بعض مانهبه أبوه من آثارها الذهبية يبلغ الفي جنيه مصرى وردها للحجرة الشريفة وكذلك رد اليها محمد على ما أعطاه اليه الوهابي من ذخائرها وأهداها هو بشمعدان كبير من الذهب الخالص وشمعدانين من الفضة مكتوب عليها « العبد المذنب محمد على والى مصر سنة ١٢٢٨ » وأهداها عباس باشا الاول شمعدانات من الفضة وثريتين (نجفتين) من الفضة واحدة ذات ٣٦ شمعة معلقة في المحراب العثماني والاخري ذات ثلاثين شمعة معلقة تجاه الوجه الشريف وثريات وشمعدانات أخري من البلور. ولسعيد باشا وبعض كريمات العائلة الخديوية بالحرم الشريف هدايا أخري وآخر ماقدم للحجرة الشريفة في هذا العهد دواليب ثمينة جدا قدمتها اليها دولة والدة الجناب الخديوى السابق لتحفظ فيها هذه الآثار الكريمة جزاها الله خيرا

« وخدمة الحجرة الشريفة يغسلونها في السنة ثلاث مرات واحدة في ٩ ربيع الاول والثانية في أول رجب . والثالثة في عشر من ذى القعدة ويكون لذلك احتفال كبير. وماء غسيلها يفرقونه في قوارير علي أكابر المسلمين للتبرك به »

المديني هو أبو موسى محمد بن أبي بكر عمر بن أبي عيسي احمد بن عمر ابن محمد بن عيسي الاصبهاني المديني الحافظ المشهور

كان امام عصره في الحفظ والمعرفة وله في الحديث وعلومه تآليف ممتعة قيمة . صنف كتاب المغيث في مجلد كمل به كتاب الغريبين للهروى واستدرك عليه . وهو كتاب نافع وكتاب الزيادات في

جزء لطيف جعله ذيلا لكتاب شيخه أبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي الذي سماه الانساب وذكر ما أهمله وما قصر فيه ورحل الي اصبهان في طلب الحديث ثم رجع اليها وأقام بها وكانت ولادته في ذي القعدة سنة (٥٠١) وتوفي ليلة الاربعاء تاسع جمادي الاولى سنة (٥٨١)

والمديني نسبة الي مدينة أصبهان . وقد ذكر الحافظ ابو سعد السمعاني في كتاب الانساب هذه النسبة الى عدة مدن أولهن مدينة رسول الله صلي الله عليه وسلم والثانية مرو والثالثة نيسابور والرابعة أصبهان والخامسة مدينة المبارك بقزوين والسادسة بخارى والسابعة سمرقند والثامنة نسف وذكر أن النسبة الى هذه المدن كلها المديني . وقال اكثر ماينسب الى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم المدني

﴿ المدنية ﴾ كلمة مشتقة من مدن المدائن أي مصرها وبناها. ونحتوا منها فعل (تمدن) وجعلوا معناها تخلق بأخلاق أهل المدن وخرج من حالة البداوة ودخل في حالة الحضارة

والمدنية اليوم معني أوسع مما مر فانها في عرف العلماء الاجتماعيين تعني الحالة الراقية التي توجد عليها الامم تحت تأثير العلوم العالية والفنون الجميلة والصنائع المناسبة لهذه الحالة . فاكتسبت كلمة المدنية بذلك مدلولا أعم من مدلولها اللغوى واعتبرت غاية تتدرج الامم فى الوصول الى أوجها الاعلي تحت تأثير العلوم والفنون والصنائع

قال الفلاسفة (الانسان مدنى بطبعه) أى أنه مفطور على التمدن اي الارتقاء . وهذا هو الحق فان من يتأمل في احوال الانسان ايام قذف به من عالم الغيب الى هذا العالم لايملك الا جسمه، وياليته كان حرا في ملكه اياه ، فان جوائح الطبيعة ، وعاديات الوحوش كانت تنازعه حق الحياة وتصليه حربا عوانا . ولكن الفطرة التي أودعها الله صميم جوهر هذا الكائن المكرم أمكنته فى مدي الوف من السنين من التغلب علي كل ما وقف امامه من عقبات الطبيعة . بل كانت تلك العقبات مما يهيجه الى استمداد نور فطرته، واستثارة قوى روحه ، فما زال يعالج الاحوال وتعالجه حتى ارتقى من حال الى حال وكان في كل حال ينتهي اليها أطمح نظرا الى تخطيها مما كان عليه حتي أصبح بتخيل

لنفسه من المراقي العالية ماقد يعد من المستحيلات

هذا الترقي المطرد من الانسان سيهجم به لامحالة على حالة من الكمال لم يحلم بها السابقون المتقدمون ولا نعني بذلك الكمال زيادة وسائل متاعه بالماديات فقط ولكنا نعني به كمال أخلاقه وتمام ملكاته وبروز الانسانية فيه بأجل صورها أيضا . ولئن بدا من المتمدنين اليوم ماقد يبعد بهم عن هذه المكانة الرفيعة فتستجبرهم المثلات على الرجوع الى طريق الاعتدال وستوجههم الى وجهة الخير بقوة الفطرة الاصلية المغروزة في جبلة كل انسان

ظهر أول بصيص من نور المدنية بالهند ومصر قبل نحو ستة آلاف سنة فوجدناهم مصروا الامصار ورقوا المباني وأقاموا الهياكل وقننوا القوانين ، ثم تبعتهم أمم كالآشوريين والبابليين والميديين والفرس فجروا على شاكلتهم . ويروى الصينيون أن مدنيتهم بلغت من العمر أربعين الف سنة وهو قول قد لايخلو من المبالغة

كانت هذه الامم طليعة كل مدنية حدثت بعد هذا التاريخ فما زالت الامم تستقيم وتحيد ، وتقوم وتقع حتى جاء دور اليونان فرفعوا المدنية صروحا فخمة لم تزل آثارها باقية الى الآن . وليس في الامم أمة ليست مدينة لهم بذلك

ثم حدث أن هبت أعاصير من الحروب والغارات اجتاحت تلك المعالم الفخمة وقوضت دعائم تلك المدنية وكادت تسحق صروحها وتذروها في الهواء لولا أن أرسل الله خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم بالدين الحق فنفخ روح الحياة فى الامة العربية وأعدها لان تحتمل أعباء خلافة الله في الارض فهبت تجمع تراث العالم الانساني وتحفظه فألمت بكتب اليونانيين والفارسيين والهنديين فترجمتها وتنورت بما فيها وأعادت دولة المدنية أحسن مما كانت عليه حتى قال فيهم العلامة دروى ناظر معارف فرنسا سابقا في تاريخه « أنهم أمة اختصها الله سبحانه وتعالى بنشر المدنية أينما حلت »

ولم يزل العرب أصحاب هذه الدولة (أنظر عرب) حتي أراد الله أن يصرفها عنهم الي غيرهم وتلك الايام نداولها بين الناس ، فأخذها الاوربيون عنهم في الاندلس فقاموا بها هذا القيام الذى نراه الآن وهو أرق شكل وصل اليه العالم

من جميع الوجهات الا الوجهة الروحانية فقد كانت هذه المدنيـة مادية باحتة ، صبغتها الالحاد في الدين ، والنكوب عن طريق المؤمنين . وكادت تكون بعلومها المادية قاضية على معالم الروح حتي قيض الله رجالا من أقطاب العلم حموها شر هذا الجمود الذى كان كافيا لان يصيبها بقارعة فتصبح في عداد المدنيات البائدة فبحثوا فى أسرار الروح فاكتشفوا بمجهوداتهم المتكررة كوة أطلت بهم الى عالم ماوراء المادة وما هنالك من الكائنات المجردة فأخذوا يحاولون تكميل هذا الصرح المدني الفخم من وجهته الروحانية التى كانت تنقصه ولا يزالون يجاهدون فى هذا السبيل ليتم للمدنية العصرية كمالهـا فتصبح أجمع المدنيات لمطالب الانسانية الصحيحة .

ولكنا نري أن فى طبيعة هذه المدنية نقصا جوهريا يعسر تكميله بدون احداث انقلابات ذريعة في الميول والوجهات ولو دام هذا النقص فيها منعها الوصول الى كمالها حتما وسنلم بهذا النقص في كلامنا على عيوب هذه المدنية

هذا اجمال عن حالة المدنية علي وجه عام فلو أردنا اتباعه بتفصيل اضطرتنـا الحال الى درس أحوال كل أمة من الامم القديمة وتتبع آثارها في وضع أسس المدنية وهو بحث طويل قد ا به متفرقا في تاريخ كل أمة من هذه الامم عند الكلام عليها فى هذا القاموس فعلي الباحث مراجعته كل فى موطنه ، ولكنـا لا نرى بدأ من ايراد تفصيل عن سير المدنيـة العصرية وهي في حالتها الحالية ليعرف كل انسان في أى طريق هو مدفوع والي أي غاية هو مسوق لكيـلا يكون مندفعا في تيار هذا العالم علي غير علم فنقول :

يعرف عصرنا هذا بعصر العلم فان همم الامم قد انصرفت الى تتبعه فى كل مظانه فأنشأت له الـكليات والجامعات، وكونت له النوادى والجمعيات تحققا منها أنه هو السبيل الوحيد الي كل كمال صوري أو معنوي ولم يأت على الناس زمان كان للعلم فيه مثل هذه القيمة ولا لاهله من الافراد مثل هذا الاكبار

ولو أردنا أن نذكر تاريخ كل علم علي حدته ونسرد أدوار ترقيه لاضطررنا الى سفر كبير ولكنا نكتفي هنا بتوجيه نظر القارىء الى ما كتبناه فى هذا الكتاب تحت كلمة (علم) فان فيه بلاغا للمتوسمين

وحسبنا ان نقول هنا ان اعظم الاكتشافات العصرية اليوم قائمة على الكهربائية والمغناطيسية فقد اكتشف التلغراف والتلفون السلكيان فتم بهما من سرعة التواصل ما لا كان يحلم به آباؤنا الاولون وبني على هذه السرعة تقدم كل فرع من فروع التعامل على نسبة خاصة ثم تلا ذلك اكتشاف التلغراف والتلفون اللاسلكيين فكان فيهما كمال هذين العاملين العظيمين وناهيك بهما في تسهيل الاعمال وتسيير الاحوال

وقد تم علم الفلك برأي (لابلاس) فانه أماط اللثام عن تركيب الارض والشمس والسيارات باكتشافه السديم

وتسني للعلماء بواسطة المراصد التي اتخذوها على قمم الجبال أن يجمعوا كثيراً من حقائق الاحداث الجوية ولا يخفى ما في ذلك من الفوائد التي تعود على الناس والاعمال

ونشأ علم الكيمياء في أواخر القرن الثامن عشر باجتهاد شيل السويدي وبريستلي الانجليزي ولافوازييه الفرنسي فخطت الكيمياء بعدهم خطوات واسعة حتى توصل الباحثون اليوم الى تركيب بعض الاجسام الآلية تركيبا يحاكي المركبات الطبيعية منها

وقد صار علم الحيوانات علما مستقلا بمباحث (كوفييه) الفرنسي فقد رتب صنوف الحيوانات وذكر طبائع كل منها وكمل علم النباتات أيضا بواسطة علمي التشريح والفيزيولوجيا النباتيين اللذين مكنا الباحثين من الاطلاع على أعضاء النباتات ووظائفها الصحيحة

أما علماء طبقات الارض والاحافير أي الجيولوجيا والباليونتولوجيا فقد وضع أساسها (كوفييه) أيضا وأمعن من جاء بعده في البحث فيهما فظهرت لهم أسرار كثيرة زادوا بها علما بالحيوانات والنباتات

وقد وضع الفيزيولوجيا العامة (كاود برنار) الفرنسي اذ ظهرت له بوادرها في أثناء اختباراته في الحيوانات الحية

وظهر للباحثين الألمان في الحيوانات الميكروسكوبية حقائق جمة فوضعوا علم تركيب الحيوان والنبات وهو المسمى بالهستولوجيا(*Histologie*)

فلما ظهر داروين اندمج هذان العلمان في مذهبه فكملاه وكملاهما به أيضا وقد جمع هذا المذهب كل المعلومات التي كانت مبعثرة في علوم الحيوانات والنباتات

والفيزيولوجيا والباليونتولوجيا والبيولوجيا وأثر أسلوبه على جميع العلوم حتى العلوم الادبية والسياسية فكان تأثيره عظيما جدا وما ضره الا قوم اتخذوه حجة المذهب المادي الالحادي رغما عن ان صاحبه قد رأى وجوب التسليم بقوة عاقلة تسلطت على خلق الكائنات وان اكبر انصاره سبنسر وهكسلي ولورد ايفبري (جون لبوك) وهيكل وغيرهم كانوا من المؤمنين بالله (انظر داروين وماديين)

أما العلوم الادبيـة فقد تقدمت في عصرنا هـذا تقدما عظيما جدا. فدرس الباحثون النواميس الادبية درساً أصولياً فألموا بالبحث في مظاهر العقل الانساني كاللغات والكتب والشرائع والعادات. بدأ هذا العمل في فرنسا ثم اتصل بألمانيا فبرزت فيه علي سواها وصار له فيها أئمة لا يشق لهم غبار بحثوا فى أديان الهند والفرس ولغاتهم وقابلوا بينها وبين لغات اليونان واللاتين وأديانهم فنتج من ابحاثهم علم اللغات وهو المسمى بالفيلولوجيا *Philologie* وعلم الاساطير المسمى بالميتولوجيا *Mythologie* فلحظوا من ذلك أن اللغات لا تنشأ اتفاقا ولكن علي مقتضي ناموس مقرر. ولما قوبل بين لغات الشعوب الصينية ولغات الامم المتوحشة التى وصل اليها المرسلون الدينيون وضع العالم (همبولدت) علما عاما للغات يسمى انجستيك *Linguistique* وهو يمتاز عن الفيلولوجيا بأن هذا يعني بدراسة المؤلفات وأما ذاك فيعني بدراسة ذات اللغات

أما علم التاريخ فقد حدث فيه انقلاب عظيم فبعـد أن كان عبارة عن أقاصيص وحكايات لا ضابط يضبطهـا ولا قانون يسري عليها أخذ العلماء في ترتيب حوادثه ودراستها من وجهة المسفية لوجدان النواميس التي تعمل في الانقلابات الاجتماعية فتدخل الأمم فى أدوارها المختلفة وتقيمها على سنن متعاقبة للوصول بها الى أحوال معينة. فاكتشفوا من مزاولة هذا العلم عدداً عظيما من النواميس الاجتماعية الصحيحة التي لا تفترق عن النواميس الطبيعيـة الا في كون هذه تعمل علي المواد الجامدة وتلك على المجتمعات الحية العاقلة. بحثوا في كيفية وضع الشرائع والنظامات عنـد الامم وكيف تـكونت الحقوق وعرفت العدالة والمساواة والحرية الخ واكتشفوا من مقابلة المعلومات بعضها ببعض النواميس

السائدة عليها

ثم ان للفلسفة في عصرنا هذا مذهبين اثنين المذهب الالماني والمذهب الانجليزي . فالاول يميل لفلسفة مابعد الطبيعة أي الميتافيزيكا فترى فلاسفتهم ميالين لوجدان "السر المثبت لوحدة الوجود وان اختلفت مظاهر كائناته ، وتعددت ظواهرها

وتجد لكل من الفلاسفة الالمان الكبار مثل كانت وفيخت وشيلنغ وهيكل وشوبانوير مذهبا خاصا غير مقتبس من غيره وقد أثرت كتاباتهم أعظم تأثير في اتجاه الآراء في اهل العصر الحاضر

اما المذهب الانجليزى فمنطق بسيكولوجى أي يعتمد على المنطق وعلم النفس فيبحث في القضايا التي تمر في أذهان الناس ويسعى في ترتيبها الى أنواع وقلما يلتفتون الي مابعد الطبيعة ولكنهم يؤثرون البحث في السياسة والآداب باذلين جهدهم لادماجها فى العلوم وذلك بملاحظة النواميس العامة المتسلطة علي الاعمال الانسانية

وليس الفلاسفة فى الامم الاخرى الا تبعا لاحدي الطائفتين المذكورتين

اما المذهب الفلسفي الوحيد الذى وضعه الفرنسيون فهو المذهب الوضعي *Positivisme* وضعه (اغوست كونت) ومؤداه عدم الاعتماد فى تقرير الحقائق على العقل وحده، فانه كثيرا مايضل فى الحكم ولكن على العقل والحس معا

وهناك فلسفة يسمونها الانتخابية زعيمها كوزان وهي مأخوذة عن المذهب الاسكوتلاندي. ومثلها الفلسفة الانتقادية وهي مقتبسة من مذهب (كانت). والمذهب الاختيارى علي الطريقة الانجليزية

هذا موجز ماحدث فى المعارف الادبية العقلية وهو يشير الي مبلغ الرقي الباهر الذى وصلنا اليه من هذه الوجهة ولا يتبين القارىء مقدار ذلك الرقي الا بمقابلته بما كان للاقدمين من المعارف فى هذا المجال

(الصناعة والزراعة والتجارة) من أظهر مظاهر المدنية العصرية ما أخذته الصناعة والزراعة والتجارة من الاتساع الذى لم يكن يحلم به الاقدمون فى أحسن أيام عمرانهم ومدنيتهم. فان العلم العصرى لم يقتصر على المجال النظرى بل امتدت سلطته علي المواصلات والاعمال اليدوية

فكان من ذلك ترق لايمكن تحديده بحد

فان أعظم ماطبقته العلوم على العمل من مكتشفاتها القوة البخارية المحركة فاستخدمت لثلاثة أعمال كبيرة وهى الآلات البخارية للمعامل الصناعية والسفن والطرق الحديدية

اخترع (وت) آلة البخار من لدن القرن الثامن عشر فما زال المخترعون يتداولونها بالتكميل حتي بلغت كمالها المشاهد اليوم فأصبحت تحرك آلات المعامل من جميع الانواع

اما الذى اكتشف قوة البخار فهما (بابان) والمركيز (دوجوفروا) الا ان اكتشافهما لم يستخدم فى الآلات البخارية الا في القرن التاسع عشر حين أنزل (فولتون) الامريكي أول سفينة بخارية فى نهر هودسون سنة ١٨٠٨ . وكانت هذه البواخر تسير فى أول عهدها بالدواليب ثم بدلت هذه الدواليب سنة ١٨٤٠ بالآلة الدافعة . فاضطر المسافرون لهجر السفن الشراعية والتعويل في أسفارهم على هذه البواخر . واضطر التجار طلبا للسرعة أن يحملوها بضائعهم ايضا فقضت على السفن الشراعية في البلاد المتمدنة

ثم ظهرت الطرق الحديدية لما اخترعت المركبة البخارية وأخذوا يسيرونها فوق القضب الحديدية. وكانت المركبات في المناجم مركبة على قضب حديدية تجرها الخيول فأبدل (ستيفنسون) الخيول بالآلة البخارية فكان ذلك منشأ قطارات السكة الحديدية . استخدمت سنة (١٨٢١) لنقل الفحم فلم تأت سنة (١٨٣١) حتي استخدمت لنقل الناس

والعلم لم يطبق الكهرباء على العمل الا منذ نصف قرن ومع هذا فاستخدمها المخترعون في عمل التلغراف والتليفون السلكيين واللاسلكيين وفى تلبيس المعادن بالذهب والفضة وغيرهما

اخترع التلغراف الكهربائي دفعة واحدة في ألمانيا وفرنسا وانجلترة بين سنة ١٨٢٣ وبين سنة ١٨٣٤ وكانوا يستعملون له ابرة تنقش الحروف علي صفيحة ثم استعملوا آلة (مورس) التي تطبع نقطا وخطوطا على لفائف من الورق ثم انتهي بهم الامر الي ايجاد آلة تطبع الحروف . ولم ينتشر استعمال التلغراف الا بعد سنة (١٨٥٠)

أما التلغراف البحرى فيكون من

سلك حديدي يكتنفه غلاف من الجوتابركا مُـد أولا بين كاليه ودوفر سنة (١٨٥١) ثم مُـد في المحيط الاتلانتيكي سنة (١٨٥٧) فاخترق الاوقيانوس ووصل بين اوروبا وأمريكا. الا ان التجارب الاولي لم تأت بنتيجة حسنة وظلوا الى سنة (١٨٦٥) حتي انتظم أمر المراسلات بعد أن اخترعوا آلة جديدة لاستقبال الرسائل

ثم جاء (مركوني) في أواخر القرن التاسع عشر واخترع التلغراف اللاسلكي وكان غاية الغايات فى هذا الباب فان الرجلان يستطيعان وان كان أحدهما في أقصى المشرق والآخر في أقصى المغرب أن يتخاطبا فى نحو لمح البصر وقد شوهد ان الكلمة علي تلغراف مركوني تطوف الكرة الارضية فى سبع ثانية

أما التلفون فحديث العهد ولم ينته تحسينه بعد وقد انتشر استعماله حتي كاد يعم البيوت كلها فى المدن الاوروبية وغيرها

والمخترعون يجدون الآن في اختراع آلة تغني عن الاسلاك وقد نجحوا فى ايصال الاصوات الى ألوف الاميال ولن تمضي سنين معدودة حتي يتم تعمم تلك الآلات فتزول هذه الاسلاك ويكتفي الناس بالآلات فيخاطب الرجل من يحب بلا داع الي تنبيه العامل في محل الشركة لايصال سلكه بسلك من يريد مخاطبته

(التقـدم الزراعى) تم للزراعة من التقدم مالا يخطر ببال وذلك بواسطة علمي الميكانيكا والكيمياء فابتكرت الاولى من الآلات ماجعل الاعمال الزراعية من الصناعات الهينة بعد أن كانت من أشق الامور وخففت عن عاتق المواشى اعباء كانت ثقيـلة عليهم فانصرف الزراع الى النظر في تحسين حالتها وترقية أجناسها . وارتقت طبقة الزراع فأنشأت جمعيات تبحث في تكميـل طرق استثمار الارض والبلوغ بغلتها الى غاية ليس وراءها مرمى

وكان لتقدم التجـارة أيضا أثر فى ترقية الزراعة ، وما تقدمت التجارة الا بسبب اتقان وسائل النقل ، فتمكن الفلاحون من اصدار محصولاتهم الى اقصى المعمور بعد أن كان كثير من محصولاتهم الزائدة عن حاجتهم يتلف من عدم امكان تصريفها في الاسواق البعيدة . وكان من نتيجة هذا الرواج امتداد مساحة الاراضي الزراعية وتنويع غلاتها. خذ مثالا لذلك من اوروبا نفسها فقد كانت في سنة (١٨٥٠)

لا يزرع فيها الا ١٥٠ مليون هيكتار من الارض فصارت سنة (١٨٨٤) مئتي مليون هيكتار ومن امريكا ايضا فقد كانت سنة (١٨٥٠) لا تزرع الا ٢٢ مليون هيكتار فصارت سنة (١٨٩٤) تزرع ٤٦ مليونا من الهيكتارات

وقس على ذلك زيادة عدد الحيوانات فان استراليا ورأس الرجاء ولا بلاتا لم يكن يصدر منها سنة (١٨٦٤) الا ٤٥٠٠٠٠ بالة من الصوف فزاد هذا المقدار حتي أصبح سنة (١٨٨٥) نحو ١٧٠٠٠٠٠ وكانت غلة القطن سنة (١٨٧٠) ٢٤٠٠٠٠ رطلا فصارت في سنة (١٨٨٤) ٤٠٠٠٠٠ وهلم جرا فتقدمت الزراعة في خلال هذه الثلاثين السنة تقدماً لم تنله في مدي ثمانية عشر قرنا

(تقدم الصناعة) استفادت الصناعة كثيراً من استخدامها على الكيمياء والميكانيكا وحدثت في القرن التاسع عشر صناعات جديدة ويكاد الانسان لا يجد صناعة لم تتجدد أدواتها منذ مئة سنة الي الآن . فاتسعت المعامل القديمة ونشأت معامل جديدة حتي في البلاد التي كانت زراعية محضة كالروسيا والمجر والولايات المتحدة . ونحن ادلالا على تقدم الصناعة نأتي على تفصيل وجيز مع شيء من المقارنة فنقول :

من الصناعات القديمة استخراج الفحم الحجري وقد كان ما يستخرج منه سنة ١٨١٠ تسعة ملايين طن فصار المستخرج منه سنة ١٨٦٠ مئة وأربعين مليونا ولكنه بلغ سنة ١٨٨٠ ثلاث مئة وأربعة وأربعين مليونا من الاطنان

وكانت معامل الحديد تستعمل الحطب وقوداً فاستعاضوا عنه بالفحم الحجري ثم أنشأوا الافران العالية والمطارق الضخمة فصاروا يستطيعون العمل بقطع الحديد الجسيمة وكان مقدار المصنوع من الحديد سنة ١٨٥٠ أربعة ملايين طن فصار سنة ١٨٨٢ عشرين مليون طن واستعاضوا عن البندقية ذات الصوانة بذات المكبس ومن هنا توصلوا الى صنع البنادق السريعة الاطلاق . واخترعوا كذلك طريقة لحشو المدافع والقرابينات والريفولفرات من مؤخرها

وتجددت آلات التبييض باكتشاف الكلور وتجددت المطابع اختراع المكابس البخارية والطبع على صفائح نحاسية

وتجددت الوراقة باستعمال الآلات وارتقى النقش باختراعات جمة كالليتوغرافيا وهو طبع الصور ، والحفر على الفولاذ والزنك والكروموليتوغرافيا اى طبع الصور الملونة

اما الاختراعات الحديثة فأشهرها بعد البخار والكهربائية : الثقاب الكيماوى والسكر المستخرج من الشمندور والغاز والبترول والكاوتشوك والجوتابركا والتصوير الشمسي وحفره والتمويه بالكهربائية والالوان المعدنية

وقد صار عدد كبير من الناس في المدن العظيمة الآن لاقوام لحياتهم الا بالعمل فى الصناعات فقد قدر عدد العملة في المعامل والمناجم الاوربية بنحو ١٦ مليونا من النفوس يصنعون ماقيمته سبعون مليارا من الفرنكات . والعمل في الصوف والقطن يستغرق وحده نحوا من ثلاثة ملايين ونصف من العملة وهم يصنعون ماقيمته نحو ربع هذه المصنوعات . وفي فرنسا من العملة نحو مليونين

(تقدم التجارة) طرأ في عالم التجارة حادثان عظيمان غيرا حالها أحدهما وسائل النقل وثانيهما وسائط التراسل . فقامت البواخر في البحر مقام السفن الشراعية وأخذت سرعتها تزداد وتحسنت حالة المواني ومائت السواحل بالمنارات ورسمت الخرائط البحرية مبينة بالدقة مافى البحار من الاعمال والتيارات . وصارت عدة البواخر التي تجتاز البحار مئات تسير فى طرق مطروقة ومعروفة . وكان السفر من انجلترة الى امريكا يستغرق شهرا فأصبح اليوم يتم في عشرة أيام وعملت بواخر تتمه في سبعة . ويقول الخبراء بأن السفينة البخارية تحمل من الاطنان أكثر مما تحمله السفينة الشراعية التي تساويها فى السعة

وقد كان الناس لايسافرون براً الا على المركبات وكانت البضائع تنقل على العربات . ولما أنشئت بين باريز وليون شركة المركبات المسماة مساجري وأخذت تقطع تلك المسافة فى ثلاثة أيام مع لياليها حسبها الناس تقدما عظيما وظل الحال علي هذا الى سنة ١٨٥٠ حيث امتدت الخطوط الحديدية بين المدن الكبري . وقد زادت طولا حتي بلغت سنة (١٨٨٣) ٤٤٠٠٠٠ كيلو متر منها فى اوروبا ١٨٣ الف وفي امريكا ٢٢٠ الف

وقد أحكم تنظيم طرق التراسل بعد أن كان البريد بطيئا كثير النفقة فبدأت انجلترة بجعل أجرة البريد خفيفة وواحدة وأن تكون قيمة كل طابع مكتوبة عليها ثم قلدتها سائر الامم . وجاء انتظام التواصل بالخطوط الحديدية والطرق البحرية فجعل أمر التراسل على أتم ما يكون من النظام وقد بلغ مقدار ما ينقله اتحاد البريد ٤٨٠٠ مليون رسالة و ٩٠٠ مليون بطاقة (كارت بوستال) و ٣٧٠٠ مليون جريدة وأعطت ادارة البريد ١٢٠ مليون حوالة تبلغ قيمتها ٦٥٠٠ مليون فرنك

أما التلغراف الكهربائي فلم ينتظم الا سنة ١٨٥٠ ولذلك كان المتمدن أسلاكه سنة ١٨١٣ مليون ومئتي الف كيلو متر منها خمس مئة الف في اوروبا واربع مئة وثلاثون الفا في امريكا و مئة وخمس وثلاثون الفا تحت البحر

بهذه الوسائل الانتقالية والتراسلية زادت التجارة زيادة عظيمة فزادت تجارة اوروبا والولايات المتحدة الامريكية في المدة التي بين سنة ١٨٣٠ و ١٨٨٠ نحو مئة الى ثمان مئة وبعد ان كانت قيمتها تقدر بتسع مليارات من الفرنكات ارتفعت الى سبعين مليارا فانجلترة كانت قيمة تجارتها الفين ومئتي مليون فصارت خمسة عشر مليارا . أما فرنسا فكانت تجارتها اذذاك ١٥٠٠ مليون فصارت تجارتها الآن ٩٢٠٠ مليون

وقد أحصى المشتغلون بالاحصاء تجارة اوروبا في سنة ١٨٨٣ فوجدوها تبلغ ٦٢ الف مليون فرنك . والزيادة مطردة فانها في مدى عشرين سنة زادت ضعفين أو اكثر

(ازدياد الثروة) ان تقدم الصناعة والتجارة أفضيا الى زيادة الثروة العامة والخاصة وأدى ذلك الى زيادة عدد الناس زيادة لم تعرف في التاريخ فقد زاد عدد أهل أوروبا من سنة ١٨٠٠ الى ١٨٨٢ من مئة وسبعة وثمانين مليونا الى ثلاث مئة وثلاثين مليونا وزاد عدد أهل الولايات المتحدة من خمسة ملايين الى خمسين مليونا على ان سرعة النمو كانت على معظمها في الشعوب الانجلوسكسونية لان عددهم زاد ثلاثة أضعاف في مدى ثمانين سنة

وازدادت الثروة زيادة لم تكن معروفة من قبل فان ايراد أهل أوروبا

يزيد عن نفقاتهم ولذلك فهم يدخرون سنويا جزءا من أرباحهم يصير مصدرا جديدا لربح جديد فقد بلغ مايدخر سنويا في السنة نحو ١٦٠٠ مليون فرنك في انجلترة و١٩٠٠ مليون في فرنسا والف مليون في المانيا و٤١٠٠ مليون في الولايات المتحدة بأمريكا فيكون جملة المدخر في السنة ١٦ مليارا. وفي سنة ١٨١٠ لم يكن في خزانات التوفير الا ٣١٥ مليونا أما في سنة ١٨٧٨ فقد بلغ ٨٥٠٠ مليون

وقد زادت نفقات الحكومة على نسبة زيادة الثروة العامة فقد كانت جميع حكومات اوروبا لاتنفق أكثر من ستة مليارات فرنك قبل سنة ١٨٢٠ فصارت تنفق لهذا العهد ١٩ مليارا . أما نفقات انجلترة فكانت ١٢٥٠ مليونا فصارت ٢٨٠٠ مليون. وكانت نفقات فرنسا ٧٠٠ مليون فأصبحت ٢٨٠٠ مليون . ولكن هذه الدول تضطر بزيادتها للنفقات ان تزيد في الضرائب لان وارداتها صارت منحصرة فيها فالاموال المقررة على الاملاك لاتقوم بأعباء هذه الزيادة فجعلت الحكومات تأخذها من الرسوم الجمركية ومن الاموال غير المقررة علي الخمور والتبغ فزادت واردات هذه المكوس بتكاثر السكان وأصبحت أكثر الضرائب ايرادا

وفي القرن الثامن عشر لم تكن الدول تقترض مالا ولكن لما زادت الثروة العامة في مدي القرن التاسع عشر تسهلت سبل الاقتراض فاقترضت الحكومات الاموال الطائلة وبدأت في ذلك انجلترا لتقوى علي حرب نابليون الاول فاستدانت حتي بلغ مجموع ديونها سنة ١٧١٥ نحو ٩٢٠ مليونا من الجنيهات أي ٢٣ مليارا من الفرنكات. وكان الناس يظنون أذ ذاك ان مثل هذا الدين الفادح سيؤدي الى افلاس ماليتها ولكنها بحسن أساليبها الاقتصادية تمكنت من أداء ربح هذا الدين واستهلكت منه قسما وقد بلغت جملة مادفعت للدائنين من ذلك الحين حوالى ٨٣ مليارا وصار الدين الباقي عليها ١٩ مليارا

وقد سلكت جميع الحكومات هذا السبيل فأصبح اقتراضها وسيلة للحصول علي الاموال الضرورية لها وهذه القروض تعقد بين الحكومات والدائنين بحيث يؤدون المال فلا يأخذون منه الا ربحه وتضطر الحكومات لوفائها بالربح الى زيادة الضرائب والرسوم

وقد زادت ديون الحكومات من سنة ١٨٢٠ الي سنة ١٨٨٠ زيادة فاحشة فقد كانت ديون المانيا ٥٥٠ مليونا فصارت ٥٤٠٠ مليون غير ٨٠٠ مليون ديون خاصة علي حكومات المانيا المستقلة وزادت ديون الروسيا من ١٢٠٠ مليون الى ١٤٥٠٠ مليون وديون النمسا من ٢٤٠٠ مليون الى ١٠٥٠٠ مليون وديون ايطاليا من ٨٢٠ مليون الى ١٠٠٠٠ مليون

اما ديون فرانسا فكانت ٤٠٠٠ مليون فصارت اليوم (أى قبل الحرب العامة) ٢٢ الف مليون ومعظم هذه الاموال أنفقت على الحروب

وقد قدر المحصون الديون التي استدعتها حرب القريم بأربعة آلاف وثمانمئة مليون فرنك. وتحملت الولايات المتحدة فى حربها الاهلية عبأ ثقيلا من الدين قيمته ١٢٢٠٠ مليون . وأنفقت فرنسا في حربها مع المانيا ٩ آلاف مليون فرنك وجاءت مسئلة تسلح أوروبا ضغثا علي اباله فزادت في ديونها ٤٠ الف مليون فرنك . مع ان انشاء الطرق الحديدية والتلغرافات لم يزد تلك الديون الا ١٤ الف مليون فرنك فقط

هذه كانت ديون الدول قبل الحرب العامة أما فيما بعدها فقد بلغت هذه الارقام الى حدود لا يكاد يتصورها العقل فتبدلت الجنيهات فى هذه المليارات بالفرنكات وكل هذا يثبت مبلغ رسوخ قدم هذه الامم في الثروة وقدرتها علي سد حاجاتها مهما بلغت من عظم الشأن

(السكة والقراطيس المالية) مناجم الذهب في استراليا وكاليفورنيا أخرجت من الذهب أكثر مما تعامل به الناس منذ ابتداء العالم الى الآن فقد استخرج منها من سنة ١٨٥٠ الي ١٨٦٠ في كل سنة مالا يقل عن ٢٠٠٠٠٠ كيلوغرام ذهبا وهى تعادل ٧٠٠ مليون من الفرنكات فصارت كمية الذهب المنتشر فى العالم بين سنة ١٨٠٠ و١٨٨٥ ثلاثة أضعاف مقداره الاول . ويقدرون الموجود منه اليوم فى العالم كله بنحو ٤٥ مليارا . وكان المستخرج من مناجم الفضة أقل مما هو عليه اليوم . فكان يستخرج حوالى سنة ١٨٥٠ سنويا نحو ٩٠٠٠٠٠ كيلو غرام فأصبح في سنة ١٨٧٠ نحو ٢٠٠٠٠٠٠ كيلو غرام وصار فى سنة ١٨٨٤ نحو ٢٨٠٠٠٠٠

الا أن زيادة الذهب والفضة وان

كانتا عظيمتين الا أنهما لا يزالان غير كافيين لحاجات التجارة لان زيادتها هي كانت أعظم من زيادتهما عشرة أضعاف فأصبح النقدان الذهب والفضة لا يفيان بالحاجة التجارية فوضعت القراطيس المالية في القرن التاسع عشر لوفاء هذه الحاجة

على أنه قبل ذلك كانت هنالك بنوك عديدة تصدر أوراقا مالية وقد سبق استعمالها في الصين مثل القرن الثامن الميلادي أي قبل أوروبا بنحو الف سنة وكان بنك الدولة في فرنسا يصدر هذه الاوراق منذ سنة ١٧١٩ الا أن الناس كانوا لا يثقون بها كل الثقة

ففي أواخر القرن الثامن عشر ضمنت الدول بنوكا معينة لتتوفر لها الثقة. ولا يخفي أن للبنك أن يصدر من الاوراق قدراً معيناً يكون أزاءه مال مدخر. وهذا المال المدخر يجب ان يكون نحو ثلث القراطيس التي يصدرها ويبقى البنك حتي استثمار الباقي بادانته للموثوق بهم من الناس . وهذا المال المقرض يعطى مقابل سندات. ولكن المال الذى يقرضه البنك لا يكلفه شيئا لانه في مقابل قراطيسه ولذلك يكون ربحه من أقراضه مضمونا له . علي أنه اذا حدث حادث وأسرع الناس الى البنوك لاخذ مالهم من النقد فيها تعجز البنوك عن أدائها كلها فتضطر الحكومة الي مساعدتها باعلانها أن قيم الاوراق اجبارية فيضطر الناس لقبول قراطيس البنوك بدل النقد

لكل البلاد المتمدنة اليوم بنوك دولية غنية يثق الناس بأوراقها ويقبلونها كما يقبلون الذهب وأما في البلاد التي تقل ثقة الناس فيها بحكومتها فان قيم الاوراق تنحط الي مادون قيمتها ففي النمسا تنخفض قيمتها أحيانا الي عشرين في المئة وينخفض في غيرها الى اكثر من ذلك . ويبلغ قيم الاوراق المتداولة الآن (قبل الحرب) نحو ٢٣ مليارا من الفرنكات. ولكن رأينا أنها قد بلغت بعد اعلان الحرب العامة أضعاف هذا القدر

(الثقة المالية) لم يكن في الامكان بلوغ التجارة والصناعة هذا المبلغ العظيم من النجاح مالم تكن قد تأسست الثقة المالية وزادت زيادة تامة علي أن الدين قديم الوجود منذ أواخر القرون الوسطي ولكنه زاد في القرن التاسع عشر زيادة عظيمة بواسطة البنوك والشركات

فالبنوك تصدر قراطيسها والناس يتداولونها كما يتداولون الفضة والذهب وبذلك أصبح النقد فى المعاملة مضاعف المقدار وصار في استطاعة أرباب الاعمال أن يستخدموا رأس المال مضاعفا وبهذه الوسيلة تتضاعف أعمالهم

وقد تأسست منذ القرن السادس عشر بورصات يجتمع فيها التجار للتعامل في البضائع التي تباع بالجملة وقد ترقت هذه النوادي التجارية واتسعت أعمالها وصارت مصدراً لحركة تعاملية كبيرة جدا

ثم أن الاموال الآن لاتبقى محصورة في البلاد التي جمعت منها لان المتمدنين الاغنياء كالانجليز والفرنسيين جمعوا من الاموال الطائلة مالا يمكنهم استخدامه في بلادهم فهم يرسلون أموالهم ومهندسيهم الى البلاد الجديدة التي يعوزها المال كامريكا والروسيا وتركيا لينشئوا فيها الاعمال الجليلة كالطرق الحديدية وحفر المناجم ومعامل الغاز ويقدرون أموال الانجليز سنويا من أموالهم المستعملة فى الخارج بمليار ونصف من الفرنكات وقد يحدث ان تجمع أموال كثيرة من بلاد شتي للقيام بالمشروعات العامة مثل حفر ترعتى السويس وبناما

ثم أن على الاتجار بين الامم الآن رأيين متناقضين

(أولها) حرية الاتجار وقد نجم من اصل قرره الاقتصاديون القدماء وهو أن ترك الحرية للمتسابقين فى مضمار التجارة أفضل ذريعة للحصول على الثروة العامة. وبناء على هذا الاصل يخول لسكان كل بلد الحركة الكاملة لمقايضة بضائعهم بمحصولات البلدان الاخرى بغير ان يؤدوا رسوما عند ادخال بضائعهم او أنهم يؤدون عليها رسوما قليلة لاتثقل عليهم

(ثانيها) مبدأ الحماية وهو يشبه المبدأ القديم في موازنة التجارة لاعتباره أن من مصلحة الامة حماية صناعتها من مزاحمة الامم الاخرى . ولذلك يطلب اتباع هذا الرأى أن تضرب الرسوم الفادحة على المنسوجات المصنوعة فى البلاد الاجنبية حين دخولها الي بلادهم فيضطر أصحابها الي زيادة أثمانها فتروج المصنوعات الوطنية

أما أشياع حرية الاتجار فيرفضون الرسوم الجركية التي تضرب على البضائع الاجنبية عند تجاوزها التخوم ومنهم من

لا يرضي بهـا من نوع الضرائب . أما أنصار الحماية فعلي العكس من ذلك يحسبونها واجبة لحماية صناعات بلادهم

وكانت حرية الاتجار هي الاصل الجاري عليه العمل في القرن الثامن عشر ولكنها أهملت خلال حروب الامبراطورية فان الحصار البرى الذي كان تخذه نابليون كان خطرا لاسابقة له ولكن بعـد رجوع الملكية الى فرنسا جروا على طريقة وسطي بين المنع والحماية.

وقد حظرت انجلترة في سنة ١٨١٥ دخول القمح الاجنبي الى بلادها. ومنعت فرنسا دخول الاصناف الانجليزية كمنسوجات الكتان و قطن والمجـلات والمدي . ولكن الانجليز رجعوا فأباحوا دخول القمح الاجنبي

ومن هنا عاد أصحاب حرية التجارة الى سعيهم لاغلاء المنع ولتخفيض رسوم الحماية ففي انجلترة أحرزوا الفوزفى سنة ١٨٢٤

(المعاهدات التجارية) ظلت حماية التجارة مبدأ تعتمده الدول الاوربية في تأييد حقوقهـا المتبادلة فلا تسمح احداها بدخول البضائع الاجنبيـة الى بلادها مالم تؤد رسوما جمركية وعلى كل حكومة أن تحرر جدولا بالرسوم المفروضة على كل نوع من أنواع البضائع ويقال لهذا الجدول تعريفة فيستحيل بعد ذلك الغاؤها أو أن يخفض شيء منها لا باتفاق خاص . ولذلك اذا أرادت الدول تخفيض التعريفة على شيء من حاصلاتها اضطرت أن تعاقد الدول الاخرى بعقود تتبادل بها المنافع وتسمى هذه العقود المعاهدات التجارية

والقاعدة المرعية في عقد مثل هذه المعاهدات هي التعامل بالمثل أو تبـادل التخفيض فالدولة الواحدة تخفض من الرسوم الموضوعة على ضائع الدولة لاخري عند دخولها بلادها بشرط ن تخفض تلك من رسومهـا على بضائع الاخرى وهذا مايسمونه في انجلترة بتجارة الولاء . ويفرق هذا النوع عن حرية الاتجـار بأن حرية الاتجار تفتح أسواقها لقبول كل البضائع الاجنبية على اختلاف أجناسها من غـير اشتراط على الدول التي تعاملها بمثل ذلك

(المعارض العامة) ان التقدم العظيم في الصناعة والتجارة دفع بالحكومات الى اقامة المعـارض العامة لتجتمع فيهـا كل مخترعات العالم برمته ومحصولاته فيكون

معرضا ومدرسة معا . وأول معرض كان في لوندرة سنة ١٨٥ فبلغ عدد العارضين فيه ١٧٠٠٠ ومن ثم تتابعت المعارض العامة كالمعرض الباريزي في سنة ١٨٥٥ وكان عدد العارضين فيه ٢٤٠٠٠ عارض . ومعرض لندرة سنة ١٨٦٢ وكان عدد العارضين فيه ٢٧٠٠٠ . ثم أقيم معرض آخر في باريز سنة ١٨٦٧ وكان فيه ٥٢ الف عارض ومعرض فينا سنة ١٨٧٣ ومعرض فيلادلفيا من الولايات المتحدة سنة ١٨٧٦ والمعرض الباريزى الثالث سنة ١٨٧٨ ومعارض ملبورن وامستردام وانفرس وبروكسل والباريزي الرابع سنة ١٨٨٩ ومعرض شيكاغو والمعرض الباريزي الخامس سنة ١٩٠٠ الخ

كل معرض من هذه المعارض كان التالى فيه اكبر من المتقدم فان معرض باريز سنة ١٨٥٥ كان عدد العارضين فيه ٢٤ الف وزاره ٤٥٩٤٠٠٠ زائر

واما معرض باريز سنة ١٨٦٧ فقد شغل ارضا سعتها نحو عشرين هيكتاراً وبلغ عدد العارضين فيه ٥٢٢٠٠ أما زائروه فقد بلغوا ٩٣٢٩٠٠٠

وأما معرض سنة ١٨٧٨ فكانت سعته ٢٩ هيكتارا وعدد العارضين فيه ٥٢٣٠٠ والذين زاروه نحو ١٦ مليون نسمة

وأما معرض سنة ١٨٨٩ فقد أمه اكثر من ٢٨ مليون زائر

(الغاء الاسترقاق) لم يبق من أثر لاسترقاق الفلاحين فى اوروبا وقد ألغيت السخرة

(تحرير المرأة) قد أدت الآراء التشريعية الى انقلاب عظيم أفضي الى تحسين حال النساء فى المدنية الاوربية الحديثة . فلم يكن للنساء تدبير أمور ثروتهن الخاصة ولا اختيار محال سكناهن . وانما كان للزوج حق تدبير أموال زوجته وفي وسعه ارغامها على اللحاق به الى حيث أراد

فنشأ حزب يطالب باسم الانسانية والعدل تحرير النساء واختلف القائمون بهذه الحركة. ففريق كان يطالب المساواة المطلقة بين الرجل والمرأة في كل الحقوق المدنية والسياسية وان تنال حق الانتخاب وان تنتخب فتمثل جزأ من الناس وفريق كان يطلب مساواة الرجل بالمرأة في حقوق المجتمع والاقتصاد بحيث تستطيع النساء أن يسعين

في الارزاق كالرجال وان يدخلن المدارس مثلهم وان يتعاطين كل الاعمال السياسية. واقتصر فريق ثالث على طلب المساواة المدنية لهن بحيث يكون للمرأة حق التصرف بمالها وحريتها الذاتية كما يتمتع الرجل بذلك

الفريق الاخير كثيرون في كل البلاد المتمدنة ولكن الفريق الاول اي الذين يطلبون لهن الحقوق السياسية فلا وجود له الا في البلاد الانجليزية ولقد كانت ولاية يومنج في الجبال الصخرية من الولايات المتحدة في بعض ادوارها البلاد الوحيدة التي تتمتع النساء فيها بالحقوق السياسية. على أن مجالس النواب في الممالك الاربع الغربية ارادت ان تمنح النساء حق الانتخاب الا انها وجدت انه يتعذر ادخال مثل هذا التغيير على الدستور من غير استشارة المنتخبين فلما سئلوا رأيهم أبوا الموافقة على المطالب فأصبح وليس المرأة حق الانتخاب الا في زيلاندة الجديدة وفي ولايتين من الولايات المتحدة الامريكية وهما يومنج وواشنطون

واما في انجلترة فقد صرح مجلس النواب ان حق الانتخاب منوط بالمتملكين ولذلك لا يمكن ان تسلبه النساء لأنهن مالكات ايضا. وقد قررت انجلترة تنفيذ هذا الاصل

(التعليم العام) ظلت الحكومات الاوروبية زمانا طويلا تحسب التعليم ايضا خاصا بالآباء لذلك لم يكن فيها الا مدارس خاصة أقامها رجال الدين الا ان بعض الحكومات الالمانية في القرن الثامن عشر صرحت بأن الآباء ملزمون بتعليم أبنائهم التعليم الابتدائي ولكنها اقتصرت على تقرير وجوب انشائهم المدارس على نفقتهم

لما كانت سنة ١٧٨٩ وضعت حكومة الكونفانسيون الفرنسية أصلا مؤداه أن من واجب الحكومة القيام على تعليم الاطفال فأسست مدارس ابتدائية ولم يتسن لها انشاء مدارس أولية ولكن لما جاء نابليون أعاد المدارس لادارة الاهالي فكان التعليم الابتدائي مهملا في كل البلدان حتى جاء القرن التاسع عشر وكان الرأي الشائع يومئذ بين رجال السياسة ان لا موجب لتعليم عامة الشعب لأنهم كانوا يحسبون أن التعليم يدفعهم الى احتقار الاعمال اليدوية ويبث فيهم روح الثورة

ثم تغيرت الآراء وجرت الامم على جعل التعليم الابتدائي اجباريا وذلك منذ سنة ١٨٨٢ فانتشرت المدارس الاولية انتشارا عظيما فبلغ عددها في فرنسا سنة (١٨٨٠) ١٣٠٠٠ مدرسة فيها خمسة ملايين تلميذ وفى المانيا ٥٧٠٠٠ مدرسة فيها مايقرب من سبعة ملايين تلميذ وفى بلاد المجر ٣٣٠٠٠ مدرسة فيها نحو أربعة ملايين تلميذ وفى ايطاليا ٤٨٠٠٠ مدرسة فيها اكثر من مليوني تلميذ . وفى البلجيك ٥٧٢٩ مدرسة فيها ٦٨٧٠٠٠ تلميذ وفي سويسرة ٤٠٠٠ فيها ٤٥٤٠٠٠ تلميذ وفى انجلترة نحو ٢٠٠٠٠ مدرسة فيها ٤٣٦٠٠٠ تلميذ

(المسائل الاشتراكية) حدث في القرن التاسع عشر انقلاب عظيم في نظام الاعمال . وقد كانت قوانين الصناعة لاتجيز لرب العمل استخدام اكثر من ثلاثة او اربعة من العملة كان يقال لهم الرفقاء وهم يشتغلون في المصنع مع معلميهم كما هو شأن صناع المدن الصغيرة وبعد انتهاء سنين يصير هؤلاء الرفقاء رؤساء كمعلميهم . أما فى أيامنا هذه فنشأت المعامل الكبرى التي قد يجتمع فى أحدها عشرات الالوف وحاجة هذه المعامل للوقود قضت بحفر المناجم لاستخراج الفحم الحجرى فاشتغل فيها ألوف من الناس . واجابة لمطالب الاقتصاديين منحت الحرية المطلقة للصناعة وأجيز أصحاب المعامل والمناجم أن يستخدموا المئات من العملة فى مقابل أجور يتقاضونها منهم

من هذا الحين بدأ الانفصال بين اصحاب رأس المال وبين العمال لان الاولين صاروا يذهبون بثمرة أتعاب الاخيرين ولم يكن لهؤلاء الا وظيفة واحدة وهى الانقياد والخضوع والدأب في العمل على مقتضي ارادة المديرين لهم

فاقتضى هذا الحال نبوغ أفراد من المفكرين جعلوا يقولون ويخطبون بأن نظام توزيع الثروة غير عادل وانه يعوزه اصلاح عظيم . وان في بقائه على حالته تلك ضررا عظيما بالسواد الاعظم من الناس وهم الفقراء والمعوزين

وقد اختلف الاشتراكيون في كثير من أصولهم ولكنهم اتفقوا على وجوب ابدال نظام الملكية بنظام أصلح منه غير انهم اختلفوا فى ذلك النظام الجديد الذي يريدون وضعه وأشد الخلاف كان بين

الاشتراكيين الفرنسيين والالمان

فالاشتراكيون الفرنسيون من أول بابوف حاولوا في بدء حكومة الديريكتوار أن يحدثوا تغييراً يبطل معه حق التملك ويجعل الاملاك مشتركة بين الناس الا ان أشياع هذا الرأى كانوا يومئذ قليلي العدد جدا فتمكنت الحكومة من قمعهم وتشتيت شملهم ولكن نظريتهم بقيت مذهبا علميا كان من زعمائه سان سيمون وفوربيه

ثم ان أشياع هذا المذهب في فرنسا أخذوا يعتمدون على العواطف والمبادىء في ابطال حق التملك وطلبوا اقامة مجتمع انسانى جديد وجعل سان سيمون قاعدة مبدئه: « لكل انسان على قدر كفايته ولكل كفاية على قدر عملها » وكان رى وجوب اقامة مجتمع حكومته وحدها تكون صاحبة الملاك فتوزع ريعه على كل واحد بالنسبة لعمله

اما فوربيه فجعل شعار مبدأه: « لكل انسان على قدر حاجته » وتخيل امكان قيام مجتمع يؤسس على اتفاق اختيارى يعقد بين أناس يتحدون على العمل بالاشتراك ويكون دافعهم لذلك العمل حبه والرغبة فيه وان يجتمع الناس وينقسموا جماعات كل جماعة منهم تتألف من الف وثمان مئة شخص تسكن قصرا كبيرا يكون فيه مكان لادخار المآكل ومكان نتناول الطعام واهراء مشترك بين الجميع ويؤخذ اختيارا من كل انسان من أولئك الجماعة حصة للعلماء والصناع

من الاشتراكيين من تقلدوا مناصب سامية في حكومة فرنسا ولا سيما بعد ثورة سنة ٤٨ وكانوا يذهبون الى أن المجتمع الانساني ملزم بايجاد عمل لكل من يطلبه لذلك قررت الحكومة المؤقتة حقوق العمل وعملا برأى لويز بلان أنشأت معامل وطنية ولكن لما لم يكن لدى الحكومة عمل مفيد تشغل العملة به جعلت تستخدمهم في جمع الأتربة ولما أقفلت هذه المصانع الوطنية كان مبلغ ما كلفت الحكومة من النفقة نزهاء اربعة عشر مليونا من الفرنكات فهذا الاختبار الناقص أضعف في فرنسا شأن الاشتراكيين وصار الاوساط والاغنياء والفلاحون يوجسون شرا من الاشتراكية لأنها تقضي بتقسيم ما يملكون

اما الاشتراكية الالمانية فقد نشأت في فرنسا سنة ١٨٤٣ على طريق جديد وضعها لاسال وكارل ماركس وهما

اسرائيليان ألمانيان وكان كلاهما تلميذين للاشتراكيين الفرنسيين وكانا من رجال العلم فأسسا مذهبهما على المقررات العلمية لاعلي العواطف والآراء . ولكي يجعلا اصلاحهما للاشتراكية مقبولا لم يؤسساه علي الانسانية والعدل بل على مبادىء الاقتصاد السياسي والاحصاءات وكل منهما عزز مذهبه بمبدأ علمي يقبله الاقتصاديون انفسهم

فاتخذ ماركس قاعدة قبلها كبار الاقتصاديين حتى آدم سميث وريكاردو وهي « أن الثروة ثمرة العمل وحده وأن قيمة الشيء قائمة بالعمل الذي بذل لاحداثه فرأس المال اذن لاقيمة له في ذاته فلا قيمة لشيء الا بعمل العامل فيه وبما أن العامل هو الفاعل وحده في احداث قيمة المصنوع حق له التمتع بثمرة عمله من غير ان يشاركه فيه رب المال فالواجب اذن يقضي ان يقتسم العملة فيما بينهم أرباح الصناعة لا أن يعطوا علي عملهم أجرا »

هذا مبدأ ماركس أما لاسال فجعل مدار بحثه ماسماه بقانون الاجور الجائر الذي عول عليه قدماء علماء الاقتصاد وبسطه توركو وهو « أن العامل الساذج لا يملك من الدنيا الا يديه ومقدار ما يبيع من عملها لتحصيل خبزه فهو يبيع ذلك العمل بثمن جل أو قل . وهذا الثمن على حالتيه هاتين هو نتيجة الاتفاق الذي يعقده الصانع مع الشخص الذي يؤدي ثمن عمله وهذا الشخص يسعي أن يؤدي من الثمن أقل ماءمكن وبما أنه مخير في انتقاء العملة من بين عمال عديدين فانه لايختار الا من يأخذ منه أقل من سواه فيضطر العملة أن يخفضوا من أثمان عملهم تناظرا فيما بينهم فيغبن العامل فى كل ضرب من ضروب الصناعات الى ان يكتفي من الاجور بما يكفي للقيام بأوده

وقد قال لاسال : « ان في كل مجتمع منظم على هذا النسق يضطر الصانع أن يستمر على هذا النمط من أجر عمله ومهما زاد العمل وتحسن فلا يحصل منه الا على مايقيه من الموت جوعا ولا يفيد شغله الا أرباب المال الذين يستخدمونه فى عملهم وما شأن العملة اليوم الا خدمة أرباب المال مع أن الواجب ان يعكس الامر فتصير الاموال لخدمة العملة فيجني هؤلاء حينئذ ثمرة أتعابهم »

هذا هو رأي لاسال وقد طالب الحكومة أن تنظم العمل تنظيما يمكن العملة من الحصول على المال

ولم يقف كل من ماركس ولاسال عند حد الكتابة بل تأتى لهما في خلال بضع سنين أن يجعلا لهما في ألمانيا حزبا قويا فنشأ سنة ١٨٦٦ حزب الاشتراكيين الديموقراطيين واشتد ساعده حتى بلغ عدد نوابه في الرشستاغ في سنة ١٨٩٣ اربعين نائبا وتهيأ لهم عقد الاجتماعات ونشر الجرائد فتوجست الحكومة منه خيفة فسنت لكبح جماحه قانونا سنة ١٩٠٠ الا ان الاشتراكيين الالمان لا يطلبون قلب نظام المجتمع ولا ابطال حق التملك ولا الارث ولا الحرية الذاتية وانما يطلبون من الحكومة تبديل نظام التملك ووسائل العمل (يعني بها المعامل والمناجم والطرق الحديدية والاملاك الكبيرة) بحيث لا ينفرد الافراد ولا الشركات بامتلاكها بل تكون ملكا مشاعا للامة كلها ويناط بالحكومة ايجارها لجماعات من العملة ومن ذلك المبدأ اشتق اسم فرع من الاشتراكيين المسمين *Collectiviste*

(الفوضويون) مما أنتجه المدنية الاوربية من جراء اطلاق الافكار فيها مذهبا يسمى بالفوضوية ومؤداه وجوب ترك الناس على حالتهم الاجتماعية الفطرية فلا داعية لوجود حكومات ولا كنائس ولا شرائع دينية ولا نظامات سياسية ولا قضائية ولا مالية ولا تنفيذية ولا تعليمية ولا اقتصادية ولا اجتماعية غير انهم لم يبدوا رأيا في اعاضة ما يريدون ملاشاته ويقولون: «ان كل كلام يقال عن المستقبل يعد جريمة لان ذلك الكلام يحول دون الملاشاة المطلقة ويقف عثرة في سبيل تقدم الانقلاب الجديد»

الفوضويون يوجدون في كل البلاد الاوربية وبعضهم يقيم في المدائن الكبرى من الولايات المتحدة على أن هذا الحزب لم يبد عملا يذكر الا في البلاد الروسية حيث هو هناك يقوم على شكل حزب سياسي يقاوم الحكم المطلق

(الحالة الحاضرة للعالم) يقدر سكان الكرة الارضية بنحو ١٤٥٠ مليونا منهم في أوربا ٣٣٠ مليونا وفي آسيا ٨٠٠ مليون وفي افريقا ٢٠٠ مليون وفي امريكا ١٠٠ مليون وعلى الارض عدد كبير من الاجناس المختلفة الا أن معظمها تقهقر

فضعف أمرها ووهن بما تسرب اليها من البربرية والهمجية حتى أصبحت تتلاشى. ومنها ماغلبت عليه الاجناس الاشد قوة فامتزج بها كما هو الحال في هنود أمريكا فلم يبق من البشر الا ثلاثة أجناس كبرى هي الجنس الابيض الساكن في نصف آسيا وأوروبا وامريكا واستراليا وشواطىء افريقا والجنس الاصفر الساكن في آسيا الشرقية ويمتد الى أرخبيل ماليز والجنس الاسود والزنوج سكان افريقا والاقاليم الحارة من امريكا على أنهم نقلوا من مواطنهم الافريقية الى امريكا في حال الرق وقضوا فيه أيامهم الماضية.

على هذا النسق يتمشى تعدد الاديان وهي وان كانت الى الآن كثيرة الا أن معظمها لا يدين به الا فئة قليلة من الناس في بعض القبائل المتبربرة فتراها آخذة في التلاشي سائرة الى الانقراض أسرع من سير الجنسيات بسبب وجود أديان أحسن منها نظاما تنازعها البقاء والسيادة

اما الاديان التي تتوزع العالم كله فهي اربعة البرهمية واليهودية والنصرانية والاسلامية

فالنصرانية سائدة في اوربا وامريكا وعدد أتباعها ٤٣٥ مليون. والاسلام سائد في غرب آسيا وفي افريقا وعدد أتباعه ٣٧٠ مليونا والبوذية سائدة في غرب آسيا والآخذون بها يبلغ عددهم ٥٠٠ مليون والبراهمة في الهند عددهم ١٥ مليونا . ويبلغ عدد اليهود نحو ثمانية ملايين منتشرون في العالم وما بقي من سكان الارض عددهم ٢٣ مليونا وهم من الوثنيين المختلفي النحل يدخلون في الاديان المتقدمة أفواجا

كل البلاد المتمدنة يتصل بعضها ببعض بالطرق الحديدية وبالسفن البخارية التي تقوم بها اسبع وسبعون شركة وبالاسلاك التلغرافية وهي تمتد الى نحو ١٢٠٠٠٠٠ كيلو متر وبالاسلاك البحرية وهي تمتد الى ١٥٠٠٠٠ كيلو متر وباتحاد البريد الشامل لجميع أنحاء الكرة الارضية وجميعها تتبادل المعاملات والاموال فتراها لذلك كله في اتصال مستمر فلا يمر يوم حتى تنتشر أخبار العالم بأجمعه محمولة بالتلغراف

تكاد تكون طرق المعيشة واحدة في كل العالم المتمدن فتجدها في جميع المدائن الكبرى تتشابه من حيث انتظام

شوارعها وسعة ساحاتها ورصفها بالبلاط ووجود طرق للمشاة وأخرى للمركبات

من خصائص البلاد المتمدنة انتقال الافكار والآراء فيها بسرعة عظيمة حتى أفضى الحال الى توحد مناهج العلم والكتابة فيها جميعا فترى الامم يأخذ بعضها عن بعض مناهج العلم والسياسة والادب فأصبحت هذه الشؤن كلها مشتركة بينها الا اللغات فان لكل امة لغة خاصة بها

فاذا قابلنا حالتنا الحاضرة بحالات الناس فى العصر القديم نجد بونا بعيدا بين الحالتين فان الخيرات المادية التي تحصل عليها لم تكن تتهيأ لاسلافنا الا بقوة الانسان والحيوان الداجن أما نحن فقد استبدلنا قوة الآلات بذلك كله فقل العمل اليدوي وتكفلت المعامل بكل حاجات الحياة حتي تحولت الزراعة ذاتها الى صناعة فأصبح التمدن صناعيا . فأوجب اتقان الصناعة زيادة الثروة زيادة عظيمة جدا حتي اجتمع منها فى مدى نصف قرن أموال طائلة لاتحصي . فكثر الترف وانتشر الى كل مراتب المجتمع حتي الدنيا منها

وأولدت المخترعات الجديدة من رغد الحياة وخفض العيش مالا كان يحلم به سادات القرون الماضية مثل سرعة الانتقال وجودة الطرق وانتظام الفنادق وحمامات البحر والتنزه بالسفر وقراءة الجرائد والمجلات والاستفادة من مشاهدة الآثار والمتاع بالشوارع المرصوفة المنارة بالاضواء الساطعة

وقد تم الاتصال بين الامم حتي صارت كل أمة تخطو خطوة جديدة فى سبيل الترقي تقتبسها كل الامم عنها وتستفيد منها فصار التمدن عاما بين الجميع يتمتعون بنعمه على السواء

والعلوم الحديثة اليوم تعول علي المشاهدات لا على الآراء. فاندفعت العقول لاستطلاع مساتير الوجود بالنظر ورغبت في الوقوف على عللها وهذا اكبر مميز لحياتنا العقلية الحديثة. ونتج من الرغبة في البحث عن الحقائق مبدأ وصف الاشياء المحققة الرياليسم *Réalisme* وأنتجت الرغبة في التقدم غير المتناهى ابدأ التصوري وهو المسمي ايدياليسم *Idéalisme* فالفنون الحديثة هى من باب الرياليسم وأصحابها قلما يرغبون فى استكمال الشكل وانما ينصرفون الى الدقة في صغائر التفصيلات ويكثرون منها . وعلى العكس من ذلك

ترى الحاجة فينا شديدة للمبدأ التصوري أي الايدياليسم

وكانت الهيئة الاجتماعية القديمة قائمة على التقاليد ولم يكن همّ ذويها الا الاحتفاظ بها وأما في أيامنا هذه فيسعون الى تحسين الشؤن بصوغها على النظريات التصورية وكانت القوة والعادات تدير شؤن المجتمع القديم وأما اليوم فهو قائم على المبادىء.

لم يبق من كل الشؤون القديمة الا الأسرة وحق التملك وما عدا ذلك فقد تبدلت حالته وصارت الهيئة الاجتماعية الحديثة لا تعترف لانسان بحق على الآخر فلا سلطة للسيد على رقيقه ولا لرب المصنع على عملته ولا لكبير على من دونه ولا نعترف الا بسلطة أب الاسرة على زوجته وأولاده وبذلك تلاشت العادات والشرائع التي كانت تقيد حياة الافراد وصار في استطاعة كل انسان أن يتولى أمر نفسه بذاته ومنحت للجميع حرية الضمير والدين والكلام والذهاب والاياب واختيار الوطن وتدبير المنزل والتجارة والصناعة

وكانت الشرائع القديمة ارسطوقراطية تقسم الناس الى مراتب غير متساوية وتوجب على كل واحد البقاء في مرتبته وأما الهيئة الاجتماعية اليوم فهي ديموقراطية تعد الناس كلهم سواء أمام القانون ولم تبق محافظة الاعلي عدم المساواة الناتجة عن الثروة وبذلك نشأت المساواة العامة

وكانت الامة في تلك الازمان تتألف من نفر من الممتازين سواء كانوا من الوطنيين او الاشراف . وقد قال ارسطو : « ان بلدا حسن النظام لا يصح أن يجعل صناعه من الوطنيين » لان الصنعة اليدوية كانت ممتهنة في نظرهم . فكان الصناع لا يجوز لهم تولى مناصب الحكومة ولكن الهيئة الاجتماعية الحديثة تقبل كل الاهلين حتى العملة فجعلت بذلك للصناعة حقا وصارت تحترم الصناع والتجار احترامها لاصحاب الاملاك

وكانت الهيئة الاجتماعية القديمة قائمة على مبدأ الاغتصاب وأما الحكومة الحديثة فذات ادارة قانونية تعرف كل شيء وتحفظ الامن في كل مكان ، وللشرطة والقضاة قوة كافية لحماية الافراد من اعتداء الاشقياء . وعمال الحكومة على جانب من الامانة ، والمراقبة عليهم تكفى لمنع كل تعد يحدث منهم على الافراد (اعتمدنا في ايراد الاحصاءات المتقدمة في هذه المقالة

علي كتاب تاريخ التمدن العصرى تأليف المسيو شارل سنيوبوس الاستاذ بكلية باريز)

(عيوب المدنية العصرية) مهما كان مظهر هذه المدنية العصرية خالبا للعقل ، متسلطا على النفس الا ان فيها عيوبا جوهرية قد تنقلب الى امراض عضوية تكفي لالحاقها بالمدنيات البائدة،وقد تزول بتأثير عواملها المكملة فتخلص من شرورها وتبقى ماشاء الله ان تبقى

تلك العيوب عديدة ولكن يجمعها أصل واحد وهو افراطها في الميل الى الاطلاق حتي تكاد تصل بميلها هذا الى كسر كل قيد يتقيد به الانسان حتي الضرورى لحياته الاجتماعية

نشأت هذه المدنية تحت تأثير ضغط شديد سواء من المسيطرين علي الدين أو من المتسلطين على الحكومة فاكتسبت لذلك السبب عاطفة كسر القيود فهي بحكم هذه العاطفة لاتزال مندفعة في هذا السبيل حتي حيال ماهو ضرورى لقيام بناء المجتمع

هذه العاطفة منها تظهر بمظاهر شتى علي حسب الشؤون التى تلابسها فهي حيال الدين مائلة الى الالحاد ، وامام الاخلاق مندفعة الى الاباحة ، وازاء التقاليد والعادات مسوقة الي الاطلاق . وهذا الاندفاع منها وان كان أفادها كل الفائدة في أثناء عراكها مع القوي التي كانت ضاغطة علي البشر الا أنها لا تفيدها وقد آلت اليها الدولة، بل قد تحل مالايجوز حله وتكسر مايجب حفظه، وينتهي الامر الى الفوضى التي ليس لها دواء الا ارتكاس الاحوال الى شر مما كانت عليه

كان المسيطرون على الدين فى زمن من الازمان يرون المدنية الجديدة خطراً علي الناس فقاموا بمعاكستها واضطرت المدنية بحكم الدفاع عن نفسها الي المقاومة وكسر كل مايقوم أمامها من أمور الدين

فلما دالت لها الدولة لم تقف أمام الدين (بمعناه المطلق) وقفة المتئد لتنظر فى أمره نظرة متثبت ، بل أمعنت في معاكسته والاجهاز عليه وعدت كل من يميل اليه او يتكلم عنه من بقايا أهل العصور الغابرة، فانتشر الالحاد فى اوروبا في القرن الثامن عشر والنصف الاول من القرن التاسع عشر انتشارا شنيعا حتي ظن الاكثرون أن لاقيام للدين بعد ذلك

ولا يخفى مافي هذا من الخطأ العظيم من جهة ، ومن الضرر الجلل الذي يصيب الهيئة الاجتماعية من جراء ضياع اكبر ماتتوق النفس اليه من الركون لعقيدة تخفف عنها ويلات الحياة ، وتسليها عما يصيبها من مزعجات هذا العالم وتوازنه من جهة أخرى

ثم كان القائمون على الحكومات آخذين بخناق المجتمعات لايقيد سلطانهم قيد، ولا يزع غلواءهم وازع، ولقيت المدنية منهم في أثناء نشوءها أشد مايلقى ناشيء من قائم عليه، فنشأت متشبعة بكراهة كل تسلط فتقمصت روحا من الاطلاق مفرطة ففررت الحرية الشخصية ولم تستثن من تلك الحرية الا مايعود بالضرر على الغير، وضيقت من دائرة ذلك القيد حتى لم تعد من الضرر بالغير امورا كثيرة لا يقف ضررها عند حد فاعلها كتعاطي المسكرات وتبرج النساء واقامة المراقص والملاعب وغير ذلك مما نحتاج في تعقبه الي التطويل

ولكيلا لانتهم بتحيز نري ان ننقل في هذا الصدد بعض مايقوله فلاسفة هذه المدنية نفسها ومنه يتضح مواقع الضعف في بنائها ثم النا بعد ذلك ان نبحث في هل هذه العيوب قابلة للزوال بعوامل هذه المدنية نفسها أم يوشك أن تستحيل الى أدواء تقضي عليها كما قضت علي المدنيات التي تقدمتها

قال العلامة الاجتماعى الفرنسي (فيرنس جيافرت) في كتابه (الغمة العصرية) *La tristesse Contemporaine* في مناسبة ابطال العلم للدين :

« ان العلم قد غلا في الاستفادة من سرعة تصديق العامة اكثر مما غلا رؤساء الدين ، فقد أثبت لهم عدم صحة الرموز الدينية القديمة ووعدهم باعاضتهم عنها بأصول ثابتة أبدية لدين حسي جديد ، فلم يف بوعده لهم . ولما آب للانسانية رشدها ، وقد فقدت شعرياتها السابقة ، وجدت نفسها حيال فراغ أوسع مما كانت فيه من قبل . وفي الواقع ماذا يفيد الانسان علمه ببعض الحوادث الطبيعية بجانب ذلك الالحاد المتجدد المؤلم الذي يجرنا اليه ضميرنا الفاقد لحرارة الحياة ؟

« انهم ينصحون كل انسان بأن يكون لنفسه دينه الخاص ، ولم يفطنوا الى ان هذه النصيحة المزدوجة تحتوي على تناقض

بين اذا ان المذهب الحسي لم يترك للانسان مجالا في غير المسائل المادية المحضة

« ان الحقد والعداوة يزدادان يوما فيوما في نفوس أهل البأساء المحكوم عليهم بالفاقة الى الابد، وان جنون البذخ الكبير ينمو على قدر ذلك لدي أهل اليسار والترف وهذا الالحاد الآخذ في النمو يسوق جماعاتنا بعاطفة المساواة الى حالة ثورية دائمة. وأصبحت ترى الملوك العظام يتعاقبون علي عروش الملك بسرعة لم تكن تشاهد في وزراء الازمنة الماضية. والحكم المطلق بدل ان يتشبح في بعض الافراد أضحي منتشراً بين الاباين. وكل ديموقراطي يتمني ان يبلغ الرتب العلية. وتري الشعب لما أحس انه خلص من أسر الواجبات الروحية التي تفرضها الكنيسة وازدري بذلك الدستور السياسي الذى تراه يتغير بسرعة جنونية أعطى لعاطفة الاثرة فيه كل الحرية وصار يعتبر ان ماله من حق المساعدة في ادارة شؤون حكومته وسيلة لنيل ما ربه الحيوانية بأسرع ما يمكن. ولقد رجونا أن نداوي مصائب النوع الانساني بالكنوز المادية التي ألقيت بين أيدينا من منذ قرن من الزمان، كما تكاتف العلماء والمهندسون والصناع والميكانيكيون على زيادة متاع الحياة الدنيا زيادة عظيمة ولكن لم يكن من نتيجة كل تلك المكتشفات الا نشر حمي حب المال في الطبقات السحيقة جدا

« فأي قانون أخلاقي يكفى لكبح جماح أهوائنا وادخالها الي مجاريها الطبيعية المعتدلة ؟ لقد ذهب عنا الكمال المعنوي ولم يبق فينا الا خوف مبهم من شيء غير مدرك لان العقيدة بالله لا يمكن زوالها من النفس، فتري الذين لا احساس لهم يستفيدون من وراء ماوقعنا فيه من الظلمات، وتري العقول المستنيرة بالعلم، المحرومة من الدين تعذرهم في ارتكابهم الجرائم وبهذا فقد أصبحت الشهوات غير واقفة عند حد

« ان تحت هذا الهدوء الذى اقتضاه الخوف العام لأحقادا تختمر اختمارا أشد مما كانت عليه في أى زمن من الازمان فان جرائم الفوضويين وافلاس الماليين وانتحار الاسر بأجمعها والوساوس الخرافية الآخذة فى الانتشار بين الناس والجنون الذى لا ينتظر الا سنوح الفرص وأصحاب الاثرة اليائسين، وكل هذا الفساد الخلقي الشديد

الوطأة البعيد القرار الذي عم أجناسنا ناشيء من عدم وجود قاعدة دينية تصلح لاحداث الوحدة والاخاء بين احتياجنا الدائم للعمل وبين عاطفتنا للحب

« لذلك نرى ظلمات من الحزن والكمد آخذة في الاسوداد كل يوم ماقية أطنانها على عالمنا ، ويزعم الانسان في غروره ان حرية الاثرة ستحصل له كل مايتمناه من سرور وانشراح حتي صرنا وكل يوم لنا مطالب جديد وكل طائفة تسعي لنيل امتيازات جديدة ، وكل فرد يدعي لنفسه حقوقا ليس لها حد تنتهي اليه وبذلك فقد أصبح الانسان بين هذا الذاب المنصب عليه من الكبر والتمرد معترفا بأنه أمام الحياة أضعف مما كان عليه في أي زمن الازمان » انتهى

وقد قال العلامة (كاميل فلامريون) ونظرن انه غير مجهول لدي القارئين :

« لايجوز لنا أن نخجل من الاعتراف بما وقعنا فيه من الانحطاط لاننا رضينا به وأصبحت عقولنا المتشبعة بالاثرة لاهم لها الا اغراضها الذاتية. أليس حظنا اليوم من الحياة قد استحال لجمع الثروة بلا مبالاة بوجوه جمعها، والحصول علي المجد بطريق السلب لا الكسب ، والجمود وعدم الاهتمام بالدستور والواجبات ؟ » « وأن من التناقص البين المؤلم أن نري أن الرقي الباهر الذي حصل في العلوم مما لا مثيل له في التاريخ ، وأن هذه الفتوحات المتوالية التي تمت للانسان في الطبيعة بينما رفعت عقولنا الى المدركات العالية أهبطت انسانيتنا الي أخس الدركات . ومن المحزن أن نحس بأنه بينما نشعر بنماء قوتنا يوما بعد يوم ، تنطفيء حرارة قلوبنا وتصوح زهرة حياتنا القلبية بتأثير غلبة المطامع المادية والشهوات الجسدية علينا » انتهى

هذا بعض مايقوله كبار فلاسفة أوروبا في مدنيتها العصرية ونستطيع ان نملأ منه مجلدات فهل تدل هذه الاقوال ان المدنية الاوروبية محكوم عليها بالانحلال وأن أدواءها الحالية ستستحيل بمرور الزمان الى عاهات يعسر شفاؤها فتؤديها الى التلاشي والزوال ، أم هي تدل في جملتها على ان في هذه المدنية من عوامل المقاومة مايمكنها من التغلب على هذه الاعراض السيئة ، بحجة ان قيام رجال منها بابداء النصح علي الاسلوب الذى تقدم أفصح شاهد على ما في هذه المدنية من تلك

العوامل ؟

ان الجواب على هـذا السؤال من وجهين :

(أولها) ان كل مدنية لا تتـلاشى الا بقيام مدنية تنازعها البقاء وتكون أصلح منها لقيادة العواطف والميول . ولا نرى فيا بين ايدينا من حالات الامم حالة مدنية تصلح لمنازعة المدنية الاوروبيـة الوجود ، فهي سائدة اليوم سيادة مطلقة وقد خلا لها الجو من كل مزاحم فهي من هذه الوجهة آمنة على وجودها أمنا يسمح لها بالتطور والانقلاب غير خاشية من العوامل المحللة التي تكثر في أدوار الانتقال

(وثانيها) أن قيام هذا الجم الغفير من المفكرين بوظيفة التنبيه والنصح فضلا عن دلالته على قوة أصولها سيؤثر على مزاجها تأثيرا نافعا يرجح ان يميل بها الى الطريقة المثلى بعواملها الذاتية فترقي وتتكمل بدون ان تصاب في أصولها بمـا يؤثر على كيانها الصميم ، ولا شك أن هذا يكون في مصلحة النوع البشرى فان زوال مدنية وقيام مدنية اخري مقامها لا يتم الا باضطرابات تمخض النوع الانساني مخضا يكون شديد الوطأة فانه يتعطل معه الترقي العام قرونا عديدة

نعم ان كل الدلائل التي بين أيدينا تدل على أن عوامل هذه المدنية كافيـة لاصلاحهـا على ما ينطبق على الحاجات الانسانية ولتكميل نواقصها سواء أكانت مادية ام روحية

فاذا كان الفلاسفة والمصلحون يتشاءمون من الحالة الالحادية التي تأدى اليهـا الناس بغلو العلم الطبيعي وخيـلاء القائمين عليه فاننا نشاهد بأعيننا اليوم قيام ألوف مؤلفة من العلماء يبحثون في القوي الروحية وخصائصها جريا وراء اثباتها من طريق الحس وقد بلغوا من جمع الادلة على هذه الحقيقة مبلغا لم يكن يحلم به الفلاسفة الاعتقاديون في أي عهد من عهودهم وعلى ثبوت روح الانسان وخلودها يقوم بناء الدين المطلق بكل ما يقتضيه من أصول ومبادي ء

فاذا كان العلم المادي أسقط الانسان الى حضيض الحيوان من الوجهـة المادية واستدعي ذلك فسادا كبيرا في الاخلاق والميول والوجهات والمرامى فان العلم الروحي التجريبي سيكمل هذا النقص ويرفع الانسـان من الوجهة المعنوية الى مرتبته

الحقيقية وستستلزم اصلاحا عظيما في اخلاقه وميوله ووجهاته ومراميه

أن مبلغ الحركة القائمة في اوروبا لاثبات الروح لاتزال مجهولة عند الشرقيين ولكنها في الواقع حركة لم يسمع بمثلها في عهد من عهود التاريخ. ناهيك بقيام المئين من العلماء من كل أمة وفي كل مدينة لتحقيق هذا البحث الجليل وتمحيصه واستخدام مئات من المجلات لنشر مباحثهم في ارجاء المعمور. وقد قدر عدد المفكرين الذين يعتقدون صحة هذه المباحث بثلاثين مليونا وقد درسنا أمر هذه الحركة في كلمة روح فليرجع اليها من شاء ولا مشاحة في أن من وراء هذه الحركة العلمية تأسيس الدين المطلق على صفائه ونقائه تأسيسا لم يكن في عصر من العصور وكفى الانسانية ان يقوم دينها على أصول العلم والحس وتقوم أخلاقها وآدابها على سنن الفلسفة العملية التي لا يعتريها الشك ولا يتطرق اليها الريب

فالذي نراه ان المدنية الاوربية ستصل بعواملها الذاتية الى درجة الكمال المرجو للانسان ومن فائدة النوع البشرى التألب على المحافظة عليها وحمايتها من الانحلال وكل ماتوده من الشرقيين المقيدين منهم على القديم والآخذين منهم بالجديد أن لا يغلو كل في الطريق الذى يجد فيه وأن يدركوا الواقع على ماهو عليه ان ارادوا بمجتمعهم وبأنفسهم الخير الذى يرمون اليه

فالاولون يحقرون من شأن هذه المدنية ويحكمون عليها بالزوال وينتظرون بها الدوائر ويؤملون ان تقوم على انقاضها مدنية تعيد لهم عصرا من عصور التاريخ. وهي امنية لا يمكن أن تتحقق لانه لا يمكن أن تخلف مدنية مدنية اخرى الا اذا كانتا موجودتين معا وتنازعتا العالم في ميدان واحد ، لا أن تكون احداهما قائمة زاهرة والاخرى في بطون الكتب اوفي غيابات المخيلات

وليعلمن أن هذه المدنية بما فيها من عوامل التكمل التي قدمناها لا تزال فيها عامل البقاء والاستمرار ، فأولى لهم وبهم أن يسعوا في تكميلها مع الساعين، ولا تحملنهم العصبية القومية على عدها أجنبية عنهم فانها محصول جهود لاتحصى، لا بائهم منها خط وفير ، بل لا يزال لهم فيها آثار مطبوعة بطابعهم، فان العلوم التي قام على أصولها صرحها الفخم تنتهي في حلقة من

سلسلة نسبها الي المسلمين فى ابان دولتهم وقد اعترف بهذه الحقيقة التاريخية جمهور المؤرخين أفلا يكون من الجهل العظيم أن يتنازل المسلمون من تعيين قسطهم من هذه المدنية وطلب حقهم من السعي في تكميلها مع الساعين؟ انهم لو وقفوا غير هذا الموقف وعدوا أنفسهم أجانب عنها كانوا مضيعين لحقوق أسلافهم ، وعادين على تراث آبائهم ، ثم لايجدون لهم بعد ذلك مايرتكزون عليه في اقامة المدنية التى يتخيلونها فتبقى أمانيهم وهمية وتنتهي كما تنتهي الخيالات التي لاترتكز علي شيء

واما الآخرون أى الجارون وراء الجديد فعليهم ان يتئدوا في أخذ مايأخذون وأن يتحروا مصلحة مجتمعهم فيما يقلدون. فان زعمهم ان كل مافي هذه المدنية خير محض يجب أخذه بلا تمحيص، غرور عظيم لايقول به أحد من أهل هذه المدنية نفسها . واذا كان لأهلها العذر في الخلط بين مضارها ومنافعها فليس لمقلديهم منا العذر في ذلك وهم بعيدون عن التورط فيها ولهم ان يتخيروا مايأخذون ، ويفكروا فيما ينتحلون

نعم ان فينا قوماً يجرون وراء التقليد بدون نظر فيز يدون أن ينتحلوا كل مايرون أمامهم من شؤون هذه المدنية سواء كان ذلك من شؤن الحياة الشخصية أو أمور الحياة الاجتماعية ، وتجدهم يسرعون الى حل كل مبرم وابرام كل محلول من أشياء مجتمعهم ليضاهئوا به ما يرونه بين أيديهم من شؤون المتمدنين بدون نظر الى اى مآل يؤولون ولا الى أى غاية هم منتهون، وهو خطأ عظيم فان اضاعة الفرصة فى التخير بين الضار والنافع مع سنوحها ليس من شأن العقلاء المتثبتين فضلا عن ان وراءها شرا عليهم وعلى مجتمعهم قد لا يقف عند حد. فليربأوا بأنفسهم عن أن يكونوا عوامل انحلال في مجتمعاتهم، وجهات ضعف في بناء شعوبهم، وليختطوا لانفسهم سبيلا وسطا ينتفعون من سلوكه وينفعون ، ويستفيدون ويفيدون ذلك أولى بالمتبصرين وأجدر بالصالحين

(المدنية الاسلامية) لا بد لنا قبل ختم هذا الباب أن نأتي على فذلكة من تاريخ المدنية الاسلامية ليعرف الشرقيون مبلغ ماوصل اليه آباؤهم منها من جهة ، وليتحققوا ماقلناه من ان لآبائنا أيادي طولى علي المدنية العصرية لا يجوز

لنا ان نتخلى عن تعيين حقوقنامنهم

قال العلامة درابر الاستاذ بجامعة نيويورك الامريكية فى كتابه (المنازعة بين العلم والدين) في النسخة الفرنسية ما ترجمته :

« بعد وفاة محمد ترجمت الى اللغة العربية أقوم المؤلفات اليونانية. وترجمت القصائد اليونانية الشهيرة (كالالياذة) و(الاوديسيه) الى اللغة السريانية ليطلع عليها العلماء دون العامة لما رأوه فيها من الاقاصيص الخرافية عن آلهة اليونانيين مما يخشى منه علي عقائدهم ولما ولى الخلافة أبو جعفر المنصور (من سنة ٧٥٣ الي ٧٥٧) نقل عاصمة الملك الي بغداد وجعلها عاصمة فخمة . فلم يأل جهدا في بذل الوسع في درس العلوم الفلكية وتأسيس مدارس الطب والشريعة. ولما جلس حفيده هرون الرشيد على عرش الملك (٧٨٦) اتبع أثر جده في هذه الفتوحات العلمية وأمر باضافة مدرسة الى كل مسجد في جميع أرجاء ملكه . ولكن عصر العلم الزاهر فى القارة الاسيوية لم يشرق الا فى خلافة المأمون الذى تولى الخلافة من سنة (٨١٣ الى ٨٣٢) فانه جعل بغداد العاصمة العلمية العظمي وجمع اليها كتبا لاتحصى ، وقرب اليه العلماء ، وبالغ في الحفاوة بهم

« هذا المركز الذى اكتسبه العرب وهذا الذوق السليم في العلم استمر لديهم حتي بعد أن انقسمت المملكة الي ثلاثة أقسام حتي ان العباسيين فى آسيا والفاطميين فى مصر والامويين في اسبانيا لم يكونوا متناظرين متغايرين على الحكومة فقط بل كانوا كذلك علي الآداب والعلوم ايضا »

« ذاق العرب في الفنون الادبية كل ما من شأنه ان يحدد القريحة ويصقل الذهن وقد افتخروا فيما بعد بأنهم أنجبوا من الشعراء بقدر ما أنجبت الامم كلها مجتمعة . أما فى العلوم فقد كان تفوقهم فيها ناشئا من الاسلوب الذى توخوه في المباحث. وهو أسلوب أخذوه عن فلاسفة اليونان الاوروبيين فانهم قد تحققوا ان الاسلوب العقلى النظري لا يؤدى الى التقدم ، وان الامل في وجدان الحقيقة يجب أن يكون معقودا بمشاهدة الحوادث ذاتها ومن هنا كان شعارهم فى ابحاثهم الاسلوب التجربي والدستور العملى الحسي . وكانوا يعتبرون الهندسة والعلوم

والرياضة أدوات ومعدات لعلم المنطق . وقد يلاحظ المطالع لكتبهم العديدة على الميكانيكا والادروستاتيك (علم موازنة السوائل وضغطها على جدران أوعيتها) ونظريات الضوء والابصار بأنهم قد اهتدوا الى حلول مسائلهم من طريق التجربة والنظر بواسطة الآلات. هذا هو الذى قاد العرب لأن يكونوا أول الواضعين لعلم الكيمياء، والمكتشفين لجملة آلات التقطير والتصعيد والاسالة (اسالة الجوامد) والتصفية الخ وهذا بعينه ايضا هو الذى جعلهم يستعملون فى ابحاثهم الفلكية الآلات المدرجة والسطوح المعلمة والاسطرلابات (هي آلات لقياس أبعاد الكواكب) وهو ايضا الذي بعثهم لاستخدام الميزان في العلوم الكيماوية، وقد كانوا على ثقة تامة من نظريته ، وهو أيضا الذى أرشدهم لعمل الجداول عن الاوزان النوعية للاجسام . والازياج الفلكية (هي جداول تعرف منها حركات الكواكب) مثل التى كانت فى بغداد وقرطبة وسمرقند، وهو أيضا الذي أوجب لهم هذا الترقى الباهر فى الهندسة وحساب المثلثات، وهو أيضا الذي هم بهم لاكتشاف علم الجبر ، ودعاهم لاستعمال الارقام الهندية . هذا هو ثمرة تفضيلهم لاسلوب أرسطو الاستدلالى على مقالات افلاطون الاستنتاجية

« ولقد دأبوا على جمع الكتب بصفة منتظمة لاجل ان يتوصلوا الى تكوين المكتبات التى تكلمت عنها وقد قيل أن المأمون نقل الى بغداد مئة حمل بعير من الكتب وقد كان أحد شروط معاهدة الصلح بينه وبين الامبراطور ميشيل الثالث أن يعطيه هذا احدى مكتبات القسطنطينية التى كان فيها بين الذخائر الثمينة الاخري كتاب بطليموس على الرياضة السماوية فأمر المأمون بترجمته للعربية وسماه المجسطي وقد حصلت عناية بأمر هذه المكتبات حتي أن مكتبة القاهرة كان بها نحو من مئة الف كتاب معتنى بكتابتها وتجليدها غاية الاعتناء . وكان يوجد من بين هذه الكتب ستة آلاف وخمسمائة مجلد في الطب والعلوم الفلكية فقط . وكان من نظام هذه المكتبة أنها تعير كتبها للطلبة الساكنين في القاهرة . وكان بتلك المكتبة كرتان أرضيتان احداهما من الفضة والاخرى من البرنز قيل أن

الاولى صنعها بطليموس الفلكي نفسه وانها استدعت ثلاثة آلاف كورون (نقود يونانية) من الذهب. وقد اشتملت مكتبة خلفاء الاندلس فيما بعد على ستمائة الف مجلد وكان جدول أسمائها وحده محويا في اربعة واربعين جزءا. وغير هذا فقد كان بالاندلس سبعون مكتبة عامة وكثير من المكتبات الخاصة. ومما يحكي ان احد الدكاترة العرب رفض دعوة سلطان بخارى له محتجا بأن كتبه لا يمكن نقلها الا على أربعمائة بعير

« لقد كان يوجد في كل مكتبة محل خاص للنسخ والترجمة. وقد كان لبعض الخاصة مثل ذلك. فان هونيان الطبيب النسطورى كان له محل من هذا القبيل ببغداد (سنة ٨٠٥) ترجم فيه كتبا لارسطو وافلاطون وهيبوكرات وغاليان الخ. أما المؤلفات الحديثة فقد كان من عادة أساتذة هذه الجامعة أن يؤلفوا كتبا في الفروع العلمية التي تطاب منهم. وكان لكل خليفة مؤرخ خاص يكتب تاريخه. ومن ينظر الى تلك الاقاصيص والحكايات التي هي مثل الف ليلة وليلة يعرف مقدار التصور الشعرى الذى كان لدى العرب ولم يقف بحث العرب عند حد فقد كتبوا فى كل فن وفي كل علم كالتاريخ والشريعة والسياسة والفلسفة وتراجم الرجال وتراجم الخيول والابل وكل هذه المؤلفات كانت تنتشر بدون رقابة ولا حجر، وما يعلم من المراقبة على الكتب اللاهوتية فقد حدث فيما بعد هذا التاريخ. وقد كانت كتب العرب الزاخرة بالمعلومات التي تصلح لان تتخذ مادة في المعلومات كثيرة جدا في الجغرافية والاحصاءات والطب والتاريخ وقواميس اللغة. وكان لديهم دائرة معارف علمية ألفها محمد أبو عبدالله. وكان للعرب ذوق دقيق في صنع الورق النظيف الناعم البياض، وفي اعطاء الحبر الالوان المختلفة وفي زخرفة وجوه الكتب بتشبيك تلك الالوان المختلفة من الحبر والابداع في تنميقها وتذهيبها على صفات شتي

« كان الملك الاسلامي العربي مملوءا بالمدارس والكليات، وكانت بلاد المغول والتتار ومراكش والاندلس حاصلة على عدد عديد منها، وكان في طرف من أطراف هذه المملكة الواسعة التي فاقت المملكة الرومانية كثير امرصد في سمرقند

لرصد الكواكب وكان يقابله في الطرف الآخر مرصد جيرالد في الاندلس ،وقال جيبون (عند ذكر الحماية والرعاية التي بذلها المسلمون للعلوم ما يأتي) :

« كان أمراء المسلمين في الاقاليم يناظرون الملوك في حماية العلم والعلماء وكان من نتيجة تنشيطهم هذا للعلماء ان انتشر الذوق العلمي في المسافة الشاسعة التي بين سمرقند وبخارى الي فاس وقرطبة وروي عن وزير لاحد السلاطين انه تبرع بمائتي الف دينار لتأسيس كلية علمية في بغداد ووقف عليها خمسة عشر الف دينار سنويا وكان عدد الطلبة فيها ستة آلاف لافرق بين غنى وفقير. فكان ابن السيد العظيم وابن الصانع الفقير على السواء وكانوا يكفون التلامذة الفقراء مؤونة دفع أجرة التعليم ويعطون الاساتذة مرتباتهم بكرم وسماحة وكانت المؤلفات الجديدة الادبية تنسخ وتجمع سدا لحاجة أهل العلم وشهوة الاغنياء في جمع الكتب » انتهي كلام العلامة جيبون . ثم قال درابر :

« وكانت قيادة المدارس مودعة لذوى المدارك الواسعة فكانت اما بيد النسطوريين او اليهود لان المسلمين لم يكونوا يتحرون عن جنسية العالم وديانته وما كانوا يزنون قدره الا من أعماله. ولقد فاه الخليفة الكبير المأمون بفكره على حقيقة العلماء فقال : ان صفوة خليفة الله، وأفضل عباده وأنفعهم ، هم الذين يقفون حياتهم علي تربية مواهبهم الطبيعية وان الذين يعلمون العلم والحكمة للناس هم مصابيح العالم ، ولولاهم لارتكس الخلق في عماية الجهالة وغياهب البربرية »

ثم قال درابر :

« وقد اتبعت المدارس الطبية عامة مثال مدرسة الطب في القاهرة في اختبار الطلبة قبل اخراجهم نهائيا بحيث لا يستطيع أحدهم أن يشتغل بمهنة التطبيب الا بهذا الشرط »

« وأول مدرسة أنشئت من هذا القبيل في اوروبا هي المدرسة التي أسسها العرب في (سالرن) من ايطاليا ، وأول مرصد أقيم فيها هو ما أقامه المسلمون في أشبيلية باسبانيا

« ولو أردنا أن نستقصي كل نتائج هذه الحركة العلمية العظمى لخرجنا عن حد هذا الكتاب، فانهم قد رقوا العلوم القديمة ترقية كبيرة جدا ، وأوجدوا علوما

أخري لم تكن معروفة من قبلهم »

ثم تكلم المؤلف على براعتهم في العلوم الرياضية وعلي التسهيلات التى أدخلوها عليها وعلى تفوقهم في حساب المثلثات والعلوم الفلكية وما ألفوه فيها من الكتب وما سطروه من الجداول والتقاويم

ثم قال — :

« العلماء الفلكيون من العرب اهتموا أيضا بتحسين آلات الارصاد وتهذيبها ، وبحساب الازمنة بالساعات المختلفة الاشكال والساعات المائية والسطوح المدرجة الشمسية ، وهم أول من استعمل البندول (الرقاص) لهذا الغرض

« أما في عالم العلوم التجريبية فقد اكتشفوا الكيمياء وبعضا من محللاتها الشهيرة مثل حمض الكبريتيك وحمض النتريك والكحول (الاسبرتو). استخدم العرب علم الكيمياء في الطب لأنهم أول من نشر علم تحضير العلاجات والاقرباذينات واستخراج الجواهر المعدنية . اما في علم الميكانيكا فانهم عرفوا وحددوا قوانين سقوط الاجسام وكانوا عارفين تمام المعرفة بعلم الحركة . اما في الايدروستاتيك وهو علم موازنة السوائل وتقدير الضغط الواقع منها على أوانيها فقد كانوا أول من عمل الجداول المبينة لانواع الاوزان النوعية وكتبوا ابحاثا علي الاجسام السابحة والغائصة تحت الماء. أما في نظريات الضوء والابصار فقد غيروا الفرض اليوناني الذي مقتضاه أن الابصار يحصل بوصول شعاع يمتد من البصر الي الجسم المرئي وقالوا بعكس ذلك أى أن الابصار يحصل بوصول الشعاع من المرئي الى العين وكانوا يعرفون نظريات انعكاسات الاشعة وانكساراتها وقد اكتشف الحسن الشكل المنحني الذي يأخذه الشعاع في سيره في الجو وأثبت بذلك اننا نرى القمر والشمس قبل ان يظهرا حقيقة من الافق وكذلك في الغروب نراهما قليلا بعد أن يغيبا

« ان نتائج هذه الحركة العلمية تظهر جليا بالتقدم الباهر الذي نالته الصنائع في عصرهم . فقد استفادت منها فنون الزراعة في أساليب الري والتسميد وتربية الحيوانات ومن النظامات الزراعية الحكيمة وادخال زراعة الارز والسكر والبن ، وقد انتشرت المعامل والصنائع لكل نوع من أنواع المنسوجات كالصوف والحرير والقطن ، وكانوا يذيبون المعادن

وكانوا يجرون في عملها على ما حسنوه وهذبوه من صنعها وسبكها

« وكان العرب من عشاق الموسيقى والشعر وقد وهبوهما وقتا كبيرا وحبوهما مكانة من أفئدتهم وهم الذين علموا الاوروبيين لعب الشطرنج وبثوا فيهم ذوق مطالعة الاقاصيص . وكان للعرب لذات روحية حتى في المجالات الزاهرة للادبيات الفلسفية ،فكان لديهم مؤلفات عالية جدا فى تقلب الاحوال الانسانية وعلى نتائج عدم التدين،وعلى زوال النعم ، وعلى أصل العالم وبقائه وآخرته ، وانا ندهش أحيانا حينما نرى في مؤلفاتهم من الآراء العلمية ما كنا نظنه من نتائج العلم في هذا العصر . من ذلك ان مذهب النشوء والتحول للكائنات العضوية الذى يعتبر مذهبا حديثا كان يدرس فى مدارسهم وقد كانوا وصلوا الى أبعد مما وصلنا اليه وذلك بتطبيقه على المواد الجامدة والمعدنية أيضا. فان النظرية التي ابتني عليها علم الكيمياء (كيمياء استخراج الذهب) هي زعمهم ان المعادن تكونت تكونا تدريجيا . قال الخازني : «اذا سمع الجهال قول العلما بأن الذهب تكون بالتدريج علي طريق الترقي يفهمون من هذا بأنه استحال اولا الى معادن أخرى يعني انه كان فى مبدأه رصاصا ثم صار خارصينا ثم برنزا ثم صار فضة ثم استحال الي ذهب ولم يعلموا ان الفلاسفة يقولون عن الذهب كما يقولون عن الانسان أى انه ما صار انسانا الا من طريق الترقي التدريجي وهذا لا يستلزم ان يكون قد استحال الى استحالات نهائية كأن كان أولا ثوراً ثم صار حمارا ثم صار قردا ثم انتهي أخيرا بأن صار انسانا » انتهي ما نقلناه عن درابر

وجاء في (كتاب تمدن العرب) للدكتور الشهير (جوستاف لوبون) قال الدكتور المومى اليه ما نصه :

« العرب مع ولوعهم بالابحاث النظرية لم يهملوا تطبيقها على الصنائع فقد أكسبت علومهم الصنائع جودة عالية جدا ، واننا وان كنا لم نزل نجهل أكثر الطرائق التي سلكوها في ذلك الا اننا نعرف نتائجها وآثارها. فنعرف مثلا أنهم احتفروا المناجم واستخرجوا منها الكبريت والنحاس والزئبق والحديد والذهب ، وانهم قد برعوا جدا في صناعة

الصباغة ، وأنهم مهروا في سقي الفولاذ مهارة بعيدة المدى حتي ان صفاح طليطلة أصدق البراهين على ذلك ، ونعرف أيضا انه كان لمنسوجاتهم وأسلحتهم ومدبوغاتهم من الجلود ولورقهم شهرة عامة ، وأنهم في كثير من فنون الصنائع برعوا براعة لم يلحق لهم شأو فيها للآن (تأمل)

« ومن بين المكتشفات المعزوة للعرب أشياء ذات شأن كبير كالبارود مثلا وهذه المكتشفات لا يجمل بنا ان نسردها سرداً بل علينا ان نهبها شيئا من التفصيل .... الى ان قال: «مما مر يتجلى للقارىء ان ديوان المكتشفات العربيـة في العلوم الطبيعيـة لا يقل في الخطورة والقدر عما لهم منها في العلوم الرياضية والفلكية. وما نسرده عليك هنا يبرهن لك عن تلك الخطورة وذلك انه كانت لهم معلومات عالية في الطبيعة النظرية وخصوصا في نظريات الضـوء والابصار ، وقد حفظ عنهم اختراعهم لأجهزة ميكانيـة من أدق ما يعرف من نوعها ، واكتشافهم للجواهر التي تعد من أعظم أركان علم الكيمياء مثـل الكحول وحمض النيتريك وحمض الكبريتيـك وقد سجلت لهم اكبر الاعمال الاساسية مثل التقطير مثلا ، وأثر عنهم استخـدام الكيمياء لفن الصيدلة »

هذا بعض ما كتبه علماء أوروبا عن اشتغال آبائنا بالعلوم الكونية والفلسفية التي لها الفضل الاول على مدنية اوروبا

أما عن اخلاق المسلمين وآدابهم في تلك المدنية فقد قال عنها درابر صحيفـة ١٠١ :

« كان خلفاء الاندلس مغمورين في الترف الذي تسمح به الحياة الشرقية . فكان لهم قصور شاهقة وحدائق غناء ، ودور مملوءة بالجمال والبهجة ، ولم تكن اوروبا العصرية بأعلى ذوقا ولا أرق مدنية ولا ألطف رونقا من عواصم الاندلس في عهد العرب. فقد كانت شوارعهم مضاءة بالانوار ومبلطة أجمـل تبليط والبيوت مفروشة بالبسط وكانت تدفأ شتاء بالمواقد، وتهوي صيفا بالنسمات المعطرة بواسطة أمرار الهواء من تحت الارض من خلال أوعية مملوءة زهرا»

﴿مدي﴾ ماداه أمهله . و(تمادي في غيه) لج ودام عليه. و (المَدَي) الغاية . و (المُدْية) السكين جمعها مُدي

﴿المذر﴾ الفاسد الخبيث وهي

(مذِرة)

﴿ مذَع ﴾ يمذَع مَذعا حدث ببعض الخبر وكتم بعضه و (المَذّاع) الكذاب

﴿ مدغشقر ﴾ هى جزيرة كبيرة من جزائر الاقيانوس الهندى يفصلها عن الساحل الشرقي لافريقا قناة موزانبيق . وهي قناة يبلغ عرضها ٣٠٠ كيلو متر في اضيق جهاتها ويقدر عمقها من ٢٠٠٠ الى ٣٠٠٠ متر

مساحتها ٥٠٢٫٢٤ كيلومترا مربعا يسكنها ٢٢٤٤٨٧٢ نسمة منهم ٢٢٤٢٤٤٣ من الوطنيين و ٤٨٨ من الاسيويين والافريقيين و ١٩٤١ من الاوروبين منهم ١١٩٣ فرنسيون

اهـل مدغشقر مختلفو الاصول فان منهم ٨٥٠٠٠٠ من الهوفاسيين ذوى اللون الصافي والشعر السبط الناعم وهم من أصل اسيوي جاؤا الى مدغشقر فاتحين في القرن السابع عشر ونزلوا فى وسط الجزيرة . ومن اهلها البتزيلسيون وهم يسكنون جنوب المضبات العاليـة والبتزيبساراكيون وهم يسكنون الساحل الشرقي للجزيرة . ومنهم الساكالافيون وهم رعاة دأبهم النهب والغارة ومأواهم الساحل الغربى . ومنهم الانتاكارانيون في الساحل الشمالي والانتيموريون والانتانوزيون على الساحل الجنوبي والجنوبي الشرقي

جميع هذه الطوائف ماعدا الهوفاسيين يظهر أنهم من اصل هندى ميلانيزي . ولغتهم جميعا هى اللغة المالاغاشية التي هي لغة جميع الذين من أصل ماليزي بولينيزى مع اختلاف وجوه النطق ببعض الحروف وفي لغة الطوائف الساكنة في الشمال وفى الشمال الغربي ألفاظ عربية

جو مدغشقر حار غالبا ولكنه جميل على الهضاب ومضر جدا على الشواطىء ومعادنها كثيرة ولكن لم يستخرج منها سوي الحديد . من تلك المعادن النحاس والرصاص والقصدير والزئبق والذهب

اما حيواناتهـا فشتى وبهـا أنواع غريبة خاصة بهـا مثل الماكي وهو قرد له فم كفم الثعلب . والاآي آي وهو قرد قراض

ونباتاتها كثيرة وبها غابات عظيمة وأرضها في غاية الخصوبة غير أنها فى حاجة الى نظام للري ، من أجود زراعاتها قصب السكر وفيها شجرة غريبة اسمهـا شجرة الماء وهى شبيهة بشجر الموز تحت

كل غصن من غصونها ورقة على شـكل اناء يمتلىء من مياه الامطا فيستقى منهـا المسافرون

أما الصناعةوالتجارة في هذه الجزيرة فغير متقدمتين والفرنسيون آخـذون في توسيع نطاق تجارتها

امتلكتها فرنساسنة ١٨٩٥ بعد أن دخلت في حمايتها سنة ١٨٨٥

ديانتها الغالبة الوثنية ولكن المسيحية تنتشر فيها بمجهودات المبشرين

عاصمتها تناناريف وهي واقعـة فى وسط الجزيرة وسكانها ١٠٠ الف نسمة وأشهر مدنها تماتافا وهي ميناء تجارية علي شاطئها الشرقي يبلغ عدد سكانها ١٥ الفا

بلغتواردات مدغشقرسنة ١٩١٣ من المنسوجات والقطنوالمعادنالمصنوعة والاشربة الروحية والرز ٣٣١٠٠٠٠٠ فرنك وبلغت صادراتها من الذهب والكاوتشوكوالماشية والاخشاب وغيرها ١٩٥٠٠٠٠٠ فرنك

ينقص مدغشقر الطرق الداخلية وليس بهـا غير الأنهـار وهي لا تسمح بالتجوال داخل الجزيرة فان فيها قطوعا وشلالات تقطع الطريق على المسافر عليها

وقد تأسست شركات لحمل المسافرين من بلد الى بلد ولكن ذلك لا يفي بالحاجـة فى جزيرة مترامية الاطراف مثل مدغشقر

(اكتشاف مدغشقر) أول من اكتشف هذه الجزيرة هم البرتغاليون سنة ١٥٠٦.وفيسنة ١٨٤٤ أسس الفرنسيون بسواحلهامصارف تجاريةفاستولت انجلترة علي هذه المصارف سنة ١٨١١ فانتزعها منها الملك (رادامًا) ملك الهوفاس وكان ملكا مقداما قدضم تحت امرته كل القبائل النازلة بالجزيرة وفتح بلاده لنور التمـدن فكان من وراء ذلك دخول البـلاد في حوزة الاوروبيين فانه لم تأت سنة ١٨٨٥ حتي دخلت مدغشقر تحت الحمايةالفرنسية ثم لما ثارت مدغشقر سـنة ١٨٩٥ علي الفرنسيين تقرر بعد الثورة أن تتبع البلاد لفرنسا وتضم الى أملاكها

﴿ مَرُؤَ ﴾ الرجل يمرُؤُ مروءة صار ذا مروءة. و (أمرأه الطعامُ) طاب له. و (مرّأه) قال له هنيئا مريئا . و(استمرأ الطعام) استطيبه . و(المرء) الانسان جمعه رجال من غير لفظه .و (المروءة)النخوة و (المَرِيء) مجرى الطعام فوق المعـدة وتحت البلعوم . وطعام مريء أى حميد

العاقبة

﴿ المرابطون ﴾ انظر المشمون مادة لم

﴿ المرىء ﴾ هو أحد أجزاء القناة الهضمية التي تبتدىء من الفم وتنتهي بالشرج المرىء هذا عبارة عن قناة طولية تمتد من البلعوم الى المعدة من حذاء الفقرة الخامسة العنقية الي الفقرة الحادية عشرة الظهرية وهو موضوع فى الحجاب المنصف الخلفي أمام العمود الفقرى وينطبق في الحالة الطبيعية أى فى حالة الراحة . شكله أسطوانى مسطح وسيره ليس مستقيما في جميع طوله بل يكون أولا علي الخط المتوسط ثم يصير الى الوحشية قليلا أعني انه يفعل قوسا خفيفا الي اليسار ومتي وصل الي الفتحة العليا من الصدر يصير الي اليمين وقبل مروره الى الحجاب الحاجز يصير الي اليسار

وهو يجاور من الامام القصبة الهوائية والعصب الرابع الحنجري السفلى والجسم الدرقي والشريان الدرقي السفلى ومن الخلف العمود الفقرى ومن الجانبين السباتى الاصلى والودجى الباطن وأما في الصدر فيكون موضوعا فى الحجاب المنصف الخلوي ويجاور من الامام القصبة والشعبة اليسري وقوس الأورطي ومن الخلف العمود الفقري من واليمين الرئة اليمني ومن اليسار الرئة اليسري المنفصلتين عنه بالبيلورا

هذا العضو يتركب من ثلاثة أغشية موضوع بعضها فوق بعض وهي من الباطن الى الظاهر الغشاء المخاطى ثم الخلوي ثم العضلي ثم الاوعية والاعصاب

فالغشاء المخاطى ابيض اللون شاحبا مكون لثنيات طولية مزينة ببروزات صغيرة ناشئة عن الغدد العنقودية البسيطة الموجودة في سمكه وبشرة هذا الغشاء ذات خلايا مسطحة

وأما الغشاء الخلوي فهو صفيحة خلوية ليفية يستمر طرفها العلوي مع الصفاق الليفى البلعوى وطرفها السفلي مع الغشاء الخلوى المعدة وعلى هذا الغشاء تندغم الطبقة العضلية

وأما الطبقة العضلية فكونة من ألياف عضلية ارادية في جزئها العلوى وغير ارادية في جزئها السفلى طولية سطحية وتنشأ من غشاء مرن مرتبط فى الجهة الخلفية لفص الغضروف الحلقي والخلفية موضوعة أسفل

السابقة ومكونة لحلقات محيطة بالمريء

اما شرايينه فتأتي من المريئية العليا والمتوسطة السفلى وأوردته تصب في الوريد الكبير الفرد وأوعيته الينفاوية تصب في العقد المجاورة وأعصابه تأتي من الرئوي المعدي والعظيم السمباتوي

﴿المرأة﴾ أوجدت شؤوننا الاجتماعية اليوم المسألة المعروفة في كل امة متمدنة بمسألة المرأة فقد كثر الكلام في تعليمها وتربيتها واستطرد بعض الباحثين في أحوالها الي إثارة مسألة احتجابها اوسفورها وكثر الكلام بين الحزبين العظيمين حزب السفور وحزب الحجاب واعتبر المرحوم قاسم بك امين زعيما للحزب الاول فان كتابيه تحرير المرأة والمرأة الجديدة قد بلغا الغاية من استجماع الحجج على مضار الحجاب وفوائد السفور . وقد خضنا نحن غمار هذه المعركة العلمية ورددنا على كتاب قاسم بك امين الاول وهو تحرير المرأة في جريدة المؤيد عقب ظهوره ثم رددنا على كتابه الاخير المرأة الجديدة بكتاب وضعناه في ذلك سميناه المرأة المسلمة فاعتبر أجمع كتاب لحجج القائلين بضرورة حجاب المرأة وقد ترجم الي عدة لغات وطبع منه عدة ألوف . ونحن في هذه الدائرة لامناص لنا من اعطاء فذلكة هذه المباحث القارىء فان المسألة هامة تحتاج لعناية من المشتغلين بالعلم في هذه البلاد فنقول :

﴿ ماهي المرأة ؟ ﴾

المرأة كائن شريف أعدته القدرة الالهية لتكثير النوع الانساني فوظيفتها من هذه الجهة سامية جداً ولا يستطيع أن يجاريها الرجل فيها بوجه من الوجوه. وقد متعها الله تعالى لحسن أداء هذه الوظيفة بكل ماتحتاج اليه من الاعضاء وناسب بين تركيبها وتلك الوظيفة بحيث ترى ان كل شيء فيها يدل على ان القدرة الالهية قصرتها عليها ولذلك ترى بين جسمها وجسم الرجل من الاختلاف والتباين ما ينطق بالبداهة أنهما لم يخلقا لان يتساهما في مجال واحد البتة

جاء في دائرة معارف القرن التاسع عشر تحت لفظة امرأة مايأتي : «لاتختلف المرأة عن الرجل باختلاف شكل أعضاء التناسل في كليهما فقط . نعم لاشك في ان تلك الاعضاء هي أكبر الاختلافات التي بينهما ولكن كل الاعضاء الأخرى حتي

التي تظهر انها اكثر تشابها فيما بينها ترينا تغايراً خاصاً » ثم اخذت تقارن بين كل الاعضاء مقارنة علمية مبنية علي الامتحان التشريحي الدقيق ثم قالت : « ان تركيبها الجثماني يقرب من تركيب الطفل ولذلك تراها مثله ذات حساسية حادة جداً وتتأثر بغاية السهولة بالاحساسات المختلفة كالفرح والالم والخوف وبما ان هذه المؤثرات تؤثر علي تصورها بدون ان تكون مصحوبة بتعقل فلذلك تراها لاتستمر لديها الا قليلا ومن هنا صارت المرأة معرضة لعدم الثبات »

وجاء فى هذا المجلد نفسه : « يعلم الناس اجمع ان المرأة قد وهبتها الطبيعة حباً حاداً لكل شيء لامع ولكل ما زينها وزيد في جمالها وهذا الحب في ذاته يظهر انه شرعي محض لان كل شيء فيها يجعلها محتاجة للتزين وليس ذلك فقط بالنسبة لتركيبها الطبيعي ولكن بالنسبة لوظيفتها الاجتماعية ايضاً وهي الوظيفة التي لايمكن ان تؤديها الا بالجاذبة التى توحيها الي النفوس وهى تعرف ان قوتها تتعلق بهذه الجاذبة . ولذلك فان كل شيء ينفع للزينة يؤثر عندها تأثيراً شديداً لاتقاومه الا بصعوبة ويوقظ لديها كل ميولها حتي ان اعقلهن وأطهرهن لا تستثني من هذه القاعدة »

وقال الفيلسوف الاشتراكي الشهير (برودون) في كتابه (ابتكار النظام) مايأتي . « ان وجدان المرأة اضعف من وجداننا بقدر ضعف عقلها عن عقلنا ولأخلاقها طبيعة اخرى غير طبيعة اخلاقنا فالشيء الذى تحكم عليه بالقبح او الحسن لايكون هو عينه ما يحكم عليه الرجل كذلك بحيث ان المرأة بالنسبة الينا يمكن ان تعتبر غير مؤدبة . لاحظها جيداً تر انها امامفرطة او مفرطة في جنب العدالة فان عدم المساواة خاصية نفسها ولا ترى عندها الميل لتوازن الحقوق والواجبات وهو الميل الذى يؤلم الرجل ويسوقه ان لم يتحصل عليه الي الدخول مع امثاله فى نزاع شديد. فالشيء الذى تحبه اكثر من كل شيء وتعبده هو الامتيازات والخصوصيات أما العدالة التي تسوي بين صنوف البشر فهي بالنسبة للمرأة عبء ثقيل لاتحتمله»

هذا مايقوله العلم الاوروبي عن الفرق بين المرأة والرجل من الوجهة العلمية ونحن وان كنا لا نشارك (برودن) فيما

الصقه بالمرأة من الصفات إلا اننا نقول أن مايصمه بها هو نتيجة القاء حبلها على غاربها تمرح فى ميادين اللهو والترف . وما أضر بالمرأة أكثرمما أضر بها أولئك الكتاب الخياليون الذين تملىعليهم الاهواء آراء لاتتفق مع الحقائق العلمية فيضعون المرأة والرجل في مستوى واحد من كل الوجوه مع أن الرجل والمرأة خلقا ليتكاملا لاليتنازعا . قال العلامة الكبير (اجوست كونت) مؤسس الفلسفة الحسية وعلم العمران في كتابه المسمى (النظام السياسي على حسب الفلسفة الحسية) : «كل أدوار الانتقالات الاجتماعيـة قد ولدت كما في زماننا هذا ضلالات خيالية على حالة النساء الاجتماعية . ولكن القانون الطبيعي الذي يخصص الجنس المحب (النسـاء) للحياة المنزلية لم يتغير أبداً تغيراً خطراً. فان هذا القانون صحيح ومحقق لدرجـة انه ساد من تلقاء نفسه حتى مع بقاء السفسطات المضادة له بدون دحض . ثم قال : «ومهما كان حرماننا اليوم من أسس اجتماعية حقيقية (الرجل يتـكلم بالحق) أكثر مما كنا في وقت الانتقال من الحالة الوثنية الى الحالة التوحيـدية فان العقـل الانسانى في مقابل ذلك والاحساسات القلبية صـارت أكثر كمالا وشعوراً فان النسـاء فى ذلك الزمان كن في هبوط لا يسمح لهن أن يدحضن كما يجب عليهن ولو بسكوتهن الضلالات الدكتورية التي جاء بها الذين يزعمون الدفاع عنهن، أولئك الذين كانوا يحـاربون في الواقع ونفس الامر العقل نفسه ولكن بالنسبة للنسـاء الحاليات فان الحرية السعيدة عند غربياتهن (١) تسمح لهن باظهار كراهتهن النهائية التي تكفي عند عدم وجود الردود العلمية لمنع انتشار هذا الهذر العقلى الذى أوحته القلوب الفاسدة ، فان احساس المرأة اليوم هو الذي يحتوي وحده علي المصائب العملية التى يجب أن تكون هي التي ولدت هـذه الميول الفوضوية . فان البطالة تزيدهذا الخطر خطراً عند طبقاتنا العالية التي فيها يؤثرالغني تأثيراً سيئاً للغاية على حالة النساء الخلقية» انتهى

(١) يريد (اجوست) الحرية المعقولة بعد ذلك الاستعباد الهائل لاتلك الحرية المطلقة وسيمر بك من أقوال هذا الفيلسوف ان المرأة لايمكنهـا التخلص فى سيطرة الرجل

فليحذر اخواننا الشرقيون من تصديق بعض قصص اوروبا فانهم انما يكتبون امثال هذه الخيالات المفسدة لتروج لدي النساء ليكتسبوا ميلهن وأولئك المسكينات لا يعلمن ان نصائح اولئك الكتاب تهلكن اهلاكا وتجعلهن أشد عبودية كما سيمر بك ان شاء الله من اقوال علماء تلك المدينة

﴿ ماهي وظيفة المرأة الطبيعية ؟ ﴾

للمرأة في الحياة الانسانية وظيفة سامية للغاية وهي حفظ النوع البشري واستدامته مما لا يتأتى للرجل أن يشاركها فيها لانها تتعلق بشكل التركيب الجسمى الامر الذى لا يمكن التحصل عليه بالتصنع ولا التقليد . هذه الوظيفة الخاصة بالمرأة لها جملة أدوار تتعاقب عليها ولكل دور منها لوازم لا تزايلها يجب الالمام بها لندرك قيمة هذه الوظيفة وخطورتها. فهي تستلزم الحمل والوضع والارضاع والتربية ومن يتأمل فى هذا الوجود البديع تأملا بسيطا يتجلى له ان لكل كائن فيه وظيفة يتوقف كماله الشخصي والنوعى على حسن أدائها. وقد يحصل ان كائنا من الكائنات يخرج عن حدود وظيفته ولكن يبعد عن الكمال بقدر بعده عنها ويؤثر على مجموع نوعه على نسبة ذلك . وحينئذ يجب أن يعتبر ذلك التحول منه عن وظيفته الخاصة فساداً يستدعي الملافاة بالطرق الحكيمة

هذه هي وظيفة المرأة وهذا هو كمالها فيجب علينا أن نعمل كل ما يمكننا لتتقرب المرأة من كمالها وتدخل الى حدود وظيفتها وأن نعتبر كل ما يبعدنا عن هذه الوظيفة داء اجتماعيا يجب التألب على ملاشاته و بذل الجهد فى حصره في محله وأن نصرح على رؤوس الاشهاد بأن كل امرأة مهما قيل أنها مكتشفة لنجم أو بحاثة فى الميكروبات أو معلمة لعلم التشريح أو غير ذلك ناقصة وعاصية للطبيعة وخارجة عن حدود وظيفتها وان نكره النساء فى احتذاء مثالها لا ان نضرب بها الأمثال وتتخذها نموذجا للكمال

﴿هل المرأة تساوي الرجل﴾

﴿ جسميا وعقليا ؟ ﴾

نحن لما كنا نعلم أن سعي المرأة فى الغرب وراء نيل استقلالها المطلق من سلطة الرجل هو سبب كل ذلك الافراط الذي سندرس بعض آثاره المحزنة في هذا الكتاب وان هذه النزعة ربما انتقلت الي

الشرق بطريق العدوي تحت تأثير التعاليم المضرة رأينا أن تقيم الحجة فى هذا الفصل على أن ذلك الاستقلال المزعوم ضرب من ضروب المستحيلات الطبيعية وان الساعي في تحقيقه كالساعي في تغيير اوضاع نواميس الكون ، وهو مسعي يساوره الاخفاق من كل جانب فنقول:

اثبت علم التشريح ان الرجل أقوى من المرأة جسما من سائر الجهات وبدرجة محسوسة جداً حتي ذهب بعضهم الى أن المرأة الحالية ليست انثى الرجل الحالى بل هى انثي كائن آخر يشبهها في تركيبها وضعفها وان ذلك الكائن قد انقرض بمزاحمة الانسان له في الحياة فتغلب علي انثاه التي من نسلها المرأة الحالية (انظر دائرة المعارف الكبرى تحت عنوان امرأة)

هذا الفرض وان كان تطرفا من بعض العلماء الا انه يدلنا علي عظم الفرق بين هذين الكائنين كما نبينه تفصيلا وهذا الضعف لا نتخذه نحن دليلا على حقارة قدر المرأة ولكن عنوانا على حكمة « ربنا الذى اعطي كل شيء خلقه ثم هدي » فانه جلت قدرته كما قضى على المرأة بأداء وظيفة خاصة لم يهبها الا مايلائمها من الاستعداد والقوي كما يقول جل جلاله « انا كل شيء خلقناه بقدر » وكما يقول علماء الطبيعة: « ان الطبيعة غير مسرفة»

أما ذلك الفرق بين الرجل والمرأة فهو : أثبت العلم بالتجربة ان متوسط طول المرأة أقل من متوسط طول الرجل باثني عشر سنتيمترا هذا الفرق يشاهد عند المتوحشين كما هو عند المتمدنين وعند الاطفال من كلا النوعين أيضاً . وأما من جهة ثقل الجسم فان متوسطه عند الرجل سبعة وأربعون كيلوغراما وأما عند المرأة فلا يزيد عن اثنين وأربعين ونصف . وأما من جهة المجموع العضلى فانه عند المرأة أقل كما لا منه عند الرجل بكثير . قال الدكتور (دوفارينى) فى دائرة المعارف الكبرى عند ذكره هذا المجموع « أنه أقل حجما وأضعف منه عند الرجل بقدر الثلث وحركاته اقل سرعة وأقل ضبطاً » أما القلب وهو مركز القوة الحيوية فانه عند المرأة أصغر وأخف بمقدار ٦٠ غراماً في المتوسط. وأما الجهاز التنفسى فانه لدى الرجل أقوى منه لدي المرأة فقد ثبت أن الرجل يحرق في الساعة ١١ جراماً تقريبا من الكربون وأما المرأة فلا تحرق منه الا ٦ وكسراً ولذلك فحرارة

المرأة اقل من حرارة الرجل

أما الحواس الخمس فقد اثبت الاستاذان (نيكولس وبايه) انها اضعف عند المرأة منها عند الرجل فهي لا تستطيع ان تدرك رائحة عطر الليمون على بعد مخصوص الا اذا كانت ضعف المقدار الذي يدركه الرجل فيه. وشوهد بالامتحان ان المرأة لا تدرك رائحة حمض البروسيك المخفف الا على نسبة واحد من عشرين الف أما الرجل فيدركها على نسبة واحد من مئة الف. أما حاسة الذوق والسمع فان الرجل ادق من المرأة فيها بكثير ويكفيك دليلا على ذلك ان أهل الخبرة في تمييز الطعوم ونقد الاصوات وتوفيق نغمات البيانو كلهم من الرجال كما جاء في دائرة المعارف الكبرى

أما حاسة اللمس فقد شوهد ان الرجل ادق من المرأة فيها وقد برهن الاستاذان (لومبروزو وسيرجي) وغيرهما بأن المرأة تحتمل الألم اكثر من الرجل مما يدل على قلة احساسها به

قال (لومبروزو): « وهذا من حسن حظ النوع الانساني فان المرأة معرضة لكثير من الآلام كالحمل والوضع وغيرهما ولو كانت حساسة كالرجل لما استطاعت تحمل ذلك كله » يرى مما مر كله ان المرأة بضعفها أكثر تعرضاً لمصائب الحياة من الرجل واشد استهدافاً لأنواع الامراض منه مما يدل دلالة صريحة ان حياتها يجب ان تكون منزلية محضة لا خارجية. قال العلامة (بروسيه) في دائرة معارفه: « انه بالنسبة لضعف المرأة ونمو مجموعها العصبي نري مزاجها اكثر تهيجاً من مزاج الرجل وتركيبها أقل مقاومة من تركيبه فان تأديتها لوظائفها من الحمل والامومة والارضاع يسبب لديها احوالا مرضية قليلة أو كثيرة الخطر » انتهي

نقول هنا يمكن ان يقول قائل ان ذلك الضعف التشريحي الذي اثبته العلم نتيجة ضغط الرجل على حريتها واجبارها على ملازمة ما يفسد صحتها. نقول: هب ان ذلك صحيح فما سبب رخامة صوتها؟ على ان من الثابت علمياً ان سكان البلاد الحارة من المتوحشين يكلفون نساءهم بأعمال الحراثة والزراعة وغيرهما من أول الخليقة الى الآن ومع ذلك فان تلك الفروق نشاهد بعينها بين رجالهم ونسائهم. قال الاستاذ (دوفاريني) في دائرة المعارف

الكبيرة : «ان هذا الفرق يشاهد عند البتاجونيين (بعض متوحشى امريكا) كما يشاهد عند سكان باريز» وعليه فلا سبيل للجدل في هذه القضية

أما من جهة فضل الرجل على المرأة في مركز الادراك فما لامشاحة فيه حيث أثبتها (البسيكولوجيا) (أى علم النفس بالتجربة) فقد شوهد انه يوجد فارق جسم بين مخي الرجل والمرأة مادةوشكلا اثبت العلم ان مخ الرجل يزيد عن مخ المرأة بمقدار مائة غرام فى المتوسط. ولا يعترض علينا بأن هذا الفرق منشأه الاختلاف بين حجمى الجسمين لانه شوهد ان نسبة مخ الرجل الى جسمه هي كنسبة واحد الي اربعين اما نسبة مخ المرأة الى جسمها فكنسبة واحد الى اربعة واربعين وفرق بين النسبتين وغير هذا فان مخ المرأة أقل ثنيات وتلافيفه أقل نظاما وهذه المشاهدة يعدها العلماء من أكبر مميزات الجنسين وكذلك يوجد اختلاف بين المخين في الجوهر السنجابى الذى هو النقطة المدركة من المخ فهو عند النساء أقل منه عند الرجال بدرجة محسوسة جداً ولكن في مقابلة ذلك نجد مراكز الاحساس والتهيج عند المرأة أحسن تركيبا منها عند الرجل قال الاستاذ (دوفاريني) في دائرة المعارف الكبري : «وهذا مطابق لمميزات الجنسين من الجهة النفسية فان الرجل أكثر ذكاء وادراكا وأما المرأة فأكثر انفعالا وتهيجا »

لاشك ان كل هذه الاختلافات المخية تدلنا بأوضح برهان علي أن مركز الادراك فى الرجل أرقي منه في المرأة فيكون هو أفضل منها ادراكا . ولا يقولن من يعترض علينا بأن ذلك نتيجة حرمان المرأة من التهذيب طول تلك القرون الخالية وأنه بمرور الزمن قد ينمو مخها حتي يساوي مخ الرجل لان تلك الفروق تشاهد بعينها فى الشعوب العريقة فى الوحشية التي لا لاحظ لكلا الجنسين فيهما من التعلم فلو كان السبب الذى يرقي مخ الرجل عن مخ المرأة هو التعلم فلماذا نشاهد تلك الفروق عينها عندهما وهما على حالة السذاجة الطبيعية الاولى التي لا يفضل أحدهما الآخر في مزية عقلية ما ؟ ولكن ليهدأ أنصار المدنية المادية عندنا فقد أثبت القوم أنهم كلما ازدادوا تمدنا ازداد الاختلاف بين الرجل والمرأة فقد جاء في دائرة المعارف الكبري ما نصه « الاختلاف الطبيعى يزداد وضوحا

بازدياد التمدن بحيث أصبح الفرق بين الابيض والبيضاء اكبر بكثير من الفرق بين لاسود والسوداء » ولا يستغربن القاري. من تزايد هذا الفارق بين الرجل والمرأة في ذلك الشكل من المدنية فان لسان النواميس الطبيعية تصيح بالذكر والانثي فى تلك البلاد : ان احذرا التمرد على قوانين الحكمة الالهية وعصيان قواعدها غير القابلة للتبدل مها موهما على نفسيكما وعلى الناس فقد عصاها قبلكما أمم بأسرها فذهبت فى تيار الفناء ولم تغن قوتها عنها فتيلا هذه النواميس الطبيعية لاتنذر بلسان وشفتين ولكن تنذر باحداثها وأحوالها فان تزايد الفرق بين المرأة والرجل علامة عملية على ان المرأة ليست فى الدائرة التي رسمها الله تعالى لان تشغلها فلتنتبه المرأة من رقدتها وليتنبه محبو الرقى الانساني فيدخلوا المرأة الي حدودها الطبيعية بالطرق الحكيمة ولتحذر المرأة المسلمة من السقوط في هذه الهاوية المريعة فان طلبها الاستقلال الموهوم سيجرها لاسمح الله الى زيادة الفرق بينها و بين الرجل وهو بمثابة تسجيل الشقاء الابدي عليها بدل الحرية ولتعلم أن تزايد هذا الفارق في اخواتها في العالم المتمدن لم يجره اليهن الا تشبثهن بمباراة الرجل في حياته الخارجية وهو مجال سبقها ولم يزل يسبقها الرجل في كل شأن فيه مع ماكن عليه من الفارق الاصلي المعلوم فمابالك لو تزايد هذا الفارق الي اكثر من ذلك وقد حسب الاقتصاديون مايبتني علي الفارق الطبيعي الاصلى بين الرجل والمرأة من الامتيازات للاول دون الثانية بقواعد رياضية حيث أثبت الفيلسوف (برودون) فى كتابه (ابتكار النظام) ان نسبة مجموع قوي الرجل الى قوى المرأة تساوى، ثلاثة لى اثنين ثم قال بالحرف الواحد :

« وبما ان كل اجتماع مكون من اتحاد هذه الثلاثة العناصر وهي : العمل والعلم والعدالة فيكون القدر الحقيقي للرجل والمرأة هو كنسبة ٣ فى ٣ في ٣ الى ٢ فى ٢ في ٢ أي كنسبة ٢٧ الى ٨ وبهذه الشروط لايمكن ان توازى قوي المرأة قوي الرجل فخضوعها له أمر لامناص منه . فهي امام الطبيعة والعدالة لاتوازي ثلثه فيكون التحرير الذي يطلبه بعضهم باسمهن هو تسجيل الشقاء عليهن تسجيلا

شرعياً ان لم أقل تسجيل العبودية » هذا قول اقتصادي خبير الاحوال في بلاده وعلم موضع القوة والضعف منهـا فلا يليق ان نضرب بقوله عرض الحائط . ولكنه لم يبخس المرأة حقها من جهة أخرى حيث قال : « ولما كانت موهبـة المرأة معنوية محضة فقيمتها لاتقدر من هذه الجهة وتسبق الرجل فيها لامحالة ولكن على شرط ان يكون هو سائقها . وهي لاجل أن تحفظ لنفسها هذه الهبـة التي لاتثمن والتي هي ليست خاصة ثابتة فيها بل هي صفة او شكل اوحالة يلزمها ان تخضع لقانون السيطرة الزوجية . فان المسـاواة بمعاملها اياها مكروهة قبيحة تكون حالـة لعقدة الزوجية ومميتة للحب ومهلكة للنوع البشري» انتهي

نعم لم تخلق المرأة لتستعبد فيجب عليها ان تجاهد لنيل حريتها المعتدلة . ولكن بأى سلاح ؟ بسلاح وهبه الله لها وليس من جنس سلاحنا وليس في مكنتنا أن تقابلها بمثله، ولكنها واأسفاه غافلة عنه ولا تفكر فيه . وليس ذلك السلاح الا معرفتها خطورة وظيفتها وسمو مقام الهبة التي منحتها والعمل علي حسن التصرف بها . هذا السلاح يجعلها موضوع التجلة والاحترام ومحل الاجلال والاعظام لأنها تعتبر عندئذ مليكة لازمة الاحساسات وسلطانة علي منازع الطباع

هذا هو سلاح المرأة الذي لو علمته لسعت اليه سعياً حثيثا ولرمت بقول كل من يريد أن يلفتها عنه عرض الحائط ولاتهمته بأنه يحسد مستقبلهـا فيريد أن يوجهها الى مايزيدها أسراً ويجعل عيشهـا مراً . هل ترضى المرأة عندماتعرف كنه مستقبلها هذا أن ترفع الحجاب ؟ لا،لأنها سترى بالتحليلات العمرانية ان ذلك يسوقها الى مايزيد استعبـادها وهو أمر يعطلها بل يصدهاعن بلوغ شأوها المنتظر. ثم هل تميل لان تجاري الرجال في الاشتغال؟ لا،لأن كان ذلك يسلخها كاستراه مثبتـا بالتجارب اليومية عن عرش ملكها (أسرتها) سلخاً فلا تتوصل الى مركزها المستقبـل الذي فيه سعادتها وحريتها

اذن ماذا تعمل ؟ تتعلم كيف تكون أمّا وتدرس قوانين وظائفها وتدأب على مطالعة أسرار التربية وعجائبها التي بهـا يصير الجبان شجاعا والبخيل كريما وتترك التبرج والتباهي بتعلم اللغات الاجنبية

ولا تسرف في الزخارف فان الانهماك على كل ذلك يبعدها عن كمالها الذي فيه سر مجدها ويجرها تدريجاً الى مافيه عبوديتها ورقها. ولا يغرها ماتراه من انطلاق النساء في غير قومها بغير حجاب ولا تستنتج من ذلك أنهن أقرب منها الى ذلك المستقبل السامي . كلا فقد جرهن ذلك الانطلاق الى طريق غير طريق سعادتهن وقد اخذ قومهن في التشكي من حالتهن كما نقلنا عن اعاظمهم كل ذلك تفصيلا

﴿هل تأتي حرية المرأة﴾

﴿على الصفة التي يريدونها لها ؟﴾

نحن بعد ان اثبتنا عليـا ان المرأة لاتستطيع ان تلحق شأو الرجل في بسطتي الجسم و لادراك ابداً مهما ناظرته فيهما لا لان الخالق قضي عليها بالانحطاط ولكن لان وظيفتها التي خلقت لتؤديها في هذا العالم لاتقتضي اكثر مما متعت به من القوي ولانه تعالى لم يعلق سلاحها في هذا المعترك على قوة عضلها بل على تلك الموهبة السامية التي تكلمنا عنها في فصلنا المتقدم . فهي مناط سعادتها وسلم مجدها وقد برهنا في الفصل المتقدم ان نمو تلك الخصيصـة المنوية فيما يتعلق بخضوعهـا للرجل . . وبناء على هذا وجب عليها لمحض مصلحتها أن تكون تحت حمايته مباشرة وهي ان لم تخضع له عن طيب خاطر فخضوعها له سيكون اضطراريا لأنهـا لاتستطيع مزاحمته في أي شأن من شؤون الحياة الخارجية فان الغلبة في ذلك المعترك الهائل تقتضى قبل كل شيء قوة العضل وتحمل الجسم لمتاعب المحاولات وأوصاب التأثيرات المختلفة وأكبر دليل على ذلك تحملها لنير الرجل من أول نشأتها الى اليوم ومهما حاولت الفلسفة الخيالية بحسن أساليبها كسر شوكة الناموس الطبيعى الذى مقتضاه ان القوى يغلب الضعيف ويأسره فلن يكن نصيبها الا الفشل

قال أستاذ الاساتذة الحسيين وواضع علم العمران العلامة (اجوست كونت) في كتابه (النظام السياسى على مقتضي الفلسفة الحسية) مايأتي : « نحن بغير أن نكلف أنفسنا مناقشة تلك المستحيلات الخيالية (يعنى: تحرير المرأة) الموخرة للرقى يلزمنا أن نحس – لتقدر قدر النظام الحقيقى بأنه لو نال النساء يوماً من الايام هذه المساواة المادية التي يتطلبها لهن الذين يزعمون الدفاع عنهن بغير رضائهن

فان ضمائهن الاجتماعى يفسد على قدر مانفسد حاتهن الادبية لأنهن في تلك الحالة سيكن خاضعات فى أغلب الصنائع لمزاحمة يومية قوية بحيث لا يمكنهن القيام بها كما انه فى الوقت نفسه تتكدر المنابع الاصلية للمحبة المتبادلة » انتهى

على أي دعامه يستند هؤلاء الاساتذة فى تحقيق نظرياتهم هذه ؟ على العلم الصحيح والقوانين الحيوية المعروفة لا على الاهواء وما تزينه النفوس من حب التغيير والتحوير فى مراتب الكائنات وقد مضت أمم سنحدث لك منها ذكراً طافت بعقولها مثل هذه الاغراض فجرت على كيانها أفظع الحوادث الاجتماعية وذهبت فى خبر كان، وقد عد هذا الحادث علماء الاجتماع البشرى تجربة لا يغترون بعدها بزخارف الفلسفة الخيالية . جاء فى دائرة معارف القرن التاسع عشر ماتعريبه:

« ان الحركة التي تألفت في أيامنا هذه لمصلحة النساء لن يكون نتيجتها حتما الا تحقيق صدق هذه التجربة العامة تحقيقا نهائيا . ان نوعنا الانساني بجملته عاش زمانا مديداً في كل جهة في حالة اجتماعية أدني بكثير من الحالة التي يرثون النساء من أجلها اليوم فأمكن الجمعية البشرية أن تتخلص من وطأتها شيئا فشيئا من منذ القرون الوسطي لدى الشعوب المرتقية لان ذلك الفساد الاجتماعي الذى هو حالة عرضية اقتضاها الزمن السالف لم تكن متعلقة بامتياز الحاكمين عن المحكومين في شيء عضوي (يعني كما هي الحالة بين النساء والرجال فان الخلاف بينهم عضوى أما خضوع النساء فبالعكس لن يكون بالضرورة له نهاية ينتهي اليها بل سيتوافق شيئا فشيئا مع الكمال الادبي العام لانه يستند مباشرة على الهبوط الطبيعي للمرأة الذي لا يمكن ملافاته وهذا الهبوط الطبيعي مؤسس ومحقق بواسطة المقارنات البيولوجية (الحيوية) وبالمشاهدات الاجتماعية اليومية. فان البيولوجيا تبرهن لنا تشريحيا وفسيولوجيا بأن فى السلسلة الحيوانية وبالاخص في الانسان تجد الانثي مركبة فى حالة طفلية أصلية تجعلها أحط فطريا من التركيب العضوى المقابل له »

ولما كتبت مدام (هيركور) الشهيرة بالمدافعة عن حقوق النساء الى الفيلسوف الاشتراكي المشهور (برودون) تسأله رأيه في مسألة النساء أجابها بأنه لا يعتبر المساعي

المبذولة من النساء في تحرير المرأة كما يقول بالحرف الواحد في كتابه (ابتكار النظام «الا شغفا يدل على علة أصابت جنسهن وهي علة تبرهن على عدم استعدادهن تقدير قدر أنفسهن وسياسة امورهن بذاتهن» ثم اخذ يبرهن لها على مستنداته العلمية فقال بالحرف الواحد: «ان الفرق الجنسي بين الرجل والمرأة يفصلها فصلا شبيها (ولا اقول مساويا) بالفرق بين الانواع والاجناس من الحيوانات وبهذا الفرق لا يمكن للمرأة والرجل ان يكونا شريكين ولكني لا اقول انهما لا يستطيعان ان يكونا غير ذلك. وبناء عليه فالمرأة لا تستطيع ان تكون وطنية الا بالنسبة لكون زوجها وطنيا كما يقال السيدة الرئيسة لزوجة رئيس الجمهورية. ولكن كل هذا الكلام لا يشير الي أنه ليس للمرأة دور تلعبه في الوجود وبالاختصار اني مستعد لان أثبت بالمشاهدات والبراهين ان المرأة التي هي أقل من الرجل قوة أحط منه في العوالم الصناعية والفلسفية والخلقية وان حالة المرأة في الهيئة الاجتماعية اذا جرت علي النسق الذي تريدينه كما هو حالة الرجل فيكون أمرها انتهي فانها تصير مستعبدة مملوكة» انتهي

نقول باللاسف ألمثل هذه الاحكام العلمية الصارمة تنتهي مرحمة الساعين فى تحرير النساء؟ فان كل مساعيهم وحججهم الوهمية تذهب أمام الطبيعة والعلم هباء منثوراً ولا تكون نتيجتها الا تحرش علماء الكون ضد أولئك الناس وجعل المرأة أعوبة فى الافواه. هذا يقول انها فى حالة طفلية، وذلك يقول انها غير مؤدبة، وآخر يقول غير ذلك مما نتألم له معشر المسلمين —الذين يأمر ديننا بحسن معاملتهن— كل التألم فما أضر تلك المدافعات الواهية بهذا الجنس الرقيق؟ وما كان أغناهن عنها؟

يقول حضرة مؤلف المرأة الجديدة: «أما عدد النساء المشتغلات بتحرير العقود الرسمية والنساء القسيسات والمهندسات ومديرات الجرائد والمستخدمات في دور الارصاد والبوسطة والتلغراف فلا يكاد يحصي ويشغل النساء أغلب الوظائف فى ادارة المعارف فقد بلغ عددهن خمسة وتسعين في المائة في المدارس الابتدائية» ولم يردف حضرته هذه الجملة ولا أمثالها الا بما يشعر بالاستحسان ولكن الفيلسوف الاقتصادي

جول سيمون يقول في مجلة المجلات (مجلد ١٧) : «النساء قد صرن الآن نساجات وطباعات الخ الخ وقد استخدمتهن الحكومة في معاملها وبهذا فقد اكتسبن بضعة دريهمات ولكنهن فى مقابل ذلك قد قوضن دعائم اُسرهن تقويضا . نعم ان الرجل صار يستفيد من كسب امرأته ولكن بازاء ذلك قد قل مكسبه لمزاحمتها له في عمله . ثم قال: وهناك نساء أرقي من هؤلاء يشتغلن بمسك الدفاتر وفي محلات التجارات ويستخدمن في الحكومة في وظيفة التعليم وبينهن عدد عديد في التلغرافات والبوسطة والسكك الحديدية وبنك فرنسا والكريدى ليونيه ولكن هذه الوظائف قد سلختهن من اُسرهن سلخا» هذا قول صاحب الدار وصاحب الدار بلاشك أدرى بما فيها فلا يليق بنا ان نلقى بكلامه عرض الحائط ونتمسك بخلافه

يقول حضرة مؤلف (المرأة الجديدة)

« هذا هو مجمل تاريخ المرأة نلخصه في كلمتين . عاشت المرأة حرة في العصور الاولي حيث كانت الانسانية لم تزل في مهدها ثم بعد تشكيل العائلة وقعت في الاستعباد الحقيقي ثم لما قامت الانسانية علي طريق المدنية تغيرت صورة هذا الرق واعترف للمرأة بشيء من الحق ولكن خضعت لاستبداد الرجل الذى قضي عليها بأن لا تتمتع بالحقوق التى اعترف لها بها ثم لما بلغت الانسانية مبلغها من المدنية نالت المرأة حريتها التامة وتساوي المرأة والرجل في جميع الحقوق او على الاقل في معظمها ، أربعة أحوال يقابلها أربعة أدوار من تاريخ التمدن في العالم »

أتي المؤلف بهذه الجملة ولم يقل لنا كيف كانت حالتها في ذلك الاستقلال ولا كيف رضيت بالاستعباد بعد تلك الحرية عند دخولها الى الاسرة ؟ ولا كيف انقلبت تلك الحالة دفعة واحدة ! والباحث اذا كلف نفسه الوقوف علي تلك المقتضيات كلها لرأي ان لكل من تلك الادوار أحوالا تلازمها ولا تنفك عنها بمعني انه ان أرادت المرأة أن تعود الى أى دور من تلك الادوار وجب أن تخضع لاحكامها ولوازمها لامحالة . وبما ان حضرة المؤلف يرى ان المرأة المتمدنة آخذة في الرجوع الى ذلك الاستقلال الاولى فمن الضرورى أن تتكبد ما كان يلازمه فلننظر الآن ماذا كانت حالتها

فيه . قالت دائرة معارف القرن التاسع عشر بعد ايرادها تلك الادوار الاربعة مانصه بالحرف الواحد : «من هنا يتضح أنه وجد عصر كانت فيه قوانين الاسرة غير معروفة وفيه كانت المرأة حرة من كل قيد ومستقلة تمام الاستقلال (تأمل جيداً) ومع ذلك فانها كانت محتقرة مهانة للدرجة القصوى. فلما تكونت الاسرة تغير حال المرأة كل التغير لانها بمجرد دخولها الاسرة تنازلت عن استقلالها ولكنها اكتسبت في مقابل ذلك مركزاً معنويا لم يكن لها من قبل » انتهى

من هذه المشاهدات الاجتماعية نعلم أن المرأة في دور الاستقلال كانت محتقرة مهانة للدرجة القصوي . وبناء عليه فان أرادت المرأة أن تكون كذلك باسترداد استقلالها ثانية فلتفعل

ربما يقول قائل : ان هذه الحركة العصرية الدافعة لهن الى الاستقلال ليست مصحوبة بهدم الاسرة كما كان الحال سابقا وبذلك فلن تكون مهانة نقول صدق من يقول أن التاريخ يعيد نفسه فان ابطال الزواج قد تحدث به النساء في كل بلد متمدن وألفن فيه الكتب الضخمة قالت مجلة المجلات (مجلد ١٨) ماياتي : «أن الزواج الذى كان آباؤنا يعتبرونه ضروريا يظهر انه قد صدم صدمة شديدة في كل جهة فان الرقي العقلى الذى نالته المرأة وامتداد حقوقها يوما بعد يوم وغرامها الشديد بمساواة الرجل في حقوقه وافراطاته كل ذلك يهدد مدركاتنا التى ورثناها على الزواج» ثم قالت : «ان رفض الناس للزواج ومحبتهم للطلاق، وهما الامران اللذان ينتشران يوماً فيوماً، في أمريكا وفى كل الممالك الاوربية ثم ان كل هذه الاعتصابات النسوية تشعر بمرض يجب ان يتنبه اليه المشترعون » انتهى

هذا هو القول الفصل الذى ينتج من التحليلات العمرانية ونحن لا نستبعد أن شقاً من نساء البشر يتوصلن الى نيل ذلك الاستقلال المطلق ولكنهن سيوقعن أنفسهن في أشد أنواع الاسر وأخس أشكال الاستكانة والذلة. أما نحن معشر المسلمين الذين لاضالة لنا الا الحكمة نأخذها حيث وجدناها فلا يليق بنا أن نلقي بأنفسنا الي شأن من الشئون قبل تدقيق النظر في مجموع الحركة الانسانية لتتجلى لنا وجوه المنافع باسمة زاهية ووجوه المضار عابسة

باكية فنأخذ الاولى ونرد الثانية وقد حدا ربنا على درس الامم التي سلفت والبحث عن مناشيء سقوطها لنتحاشاها ولا نقع مثلهم فيها وها نحن قمنا بشيء من ذلك ورأينا الاستقلال المطلق للنساء سبب شقائهن وشقاء الرجال معهن فيلزمنا ان نقلع عن الخوض فيه وأن نبحث عن الخطة المثلى لتحسين حال النساء بحيث لانخرج عن حدود الحكمة الالهية ولا الفطرة الانسانية فى شيء

هل للنساء ان يشاركن الرجال في الاعمال ؟

ان من أقبح مظاهر أسر المرأة فى الافراد والامم ترك حبلها علي غاربها وقذفها بذلك الجسم اللين والعواطف الرقيقة والفؤاد المملوء رحمة والمهجة المتشبعة بالشفقة تزاحم الرجال في معترك الحياة كتفا لكتف لسد رمقها وتقضي طول نهارها وجزءاً من ليلها بين لهيب المعامل ودخانها أو علي قارعة الطرق بين هيجاء تلك الحركة المفزعة. ولو تسنى لك يوما من الايام ان تزور اكبر معامل اوروبا وامريكا مما جمع الى فخامة المبني وضخامته سعة لايكاد يحيط بها البصر رأيت في داخلها أمراً عجيباً. رأيت جماعة من ذلك الجنس الرقيق مكلفات بأشق الاعمال وأقسى المحاولات العضلية واقفات أمام التنانير المسجورة يعانين أوصاب الحياة ومرارة العيش تقرأ على وجوههن التي لفحتها تلك النيران المستعرة هذه الجملة التي لاتذهب من مخيلتك أبداً « هذا منتهي اسر الرجل المرأة » ولو كلفت نفسك فسألتهن عن مقدار ماتأخذه الواحدة يوميا فى ذلك الجحيم المتأجج لاجابك مئات منهن بل ألوف ان أجر الواحدة علي هذا الهم الناصب والكد الواصب لايتجاوز الفرنك في اليوم اى اقل من اربعة قروش وهو مبلغ لايكدن ينلن العيش به الا تبلغاً ولو القيت بعد ذلك نظرة علي أولئك الدكتورات والمهندسات لما وجدت النسبة الا كالمئة للخمسة في أهم البلاد مدنية وعلما. ومحررو المرأة عندنا بدل أن يعدوا هذا مرضا اجتماعيا كما يعده علماء العصر الحاضر ويضعوا كل همتهم في حياطة بلادنا منه مثل مايفعل حكماء اوروبا وامريكا كما سنريك اقوالهم تراهم يودون ان يفتحوا علينا ذلك الباب الهائل لظنهم اننا سائرون خلف اوروبا قدما بقدم .

ولكنهم لو كانوا دققوا قليلا في حوافظ حياتنا الاجتماعية الاسلامية لكانوا علموا بأننا بما اكسبتنا الروح الاسلامية نكاد نكون بمعزل عن تلك الامراض العمرانية المخيفة . يقول حضرة مؤ لف (المرأة الجديدة) : «لهذا يمكننا أن نؤكد أن عدد النساء المحترفات لا بد أن يزداد في كل سنة عن الاخرى لاننا سائرون فى الطريق الذى سارت فيه اوروبا قبلنا» نقول اننا نخالف حضرته في هذه النقطة كل المخالفة فاننا لسنا فى طريق اوروبا من كل وجه ولم يظهر منا مايشير الي ذلك مطلقا وان أقل نظرة علي هيئتنا وهيئتهم الاجتماعيتين ترينا لأول وهلة ان الفرق بعيد بين أصولنا الحيوية وأصولهم وعواملنا العمرانية وعواملهم . نحن أمة أحكمت روابطنا أصول تقليدية ورسخ في اذهاننا اننا لم نهبط عن عرش عزنا الا لترك تلك الاصول الموصلة لسعادة الحياتين. وتلك أمم ربطت آحادها روابط الجنسية أو الوطنية ورسخ في أذهانها انها لم ترتق الا بترك التقاليد القديمة .هذه النظرية البسيطة على أصولنا الاجتماعية العامة تكفى لان تقنعنا بأننا لن نستطيع ان نحذو حذو اوروبا في شؤونها كلها الا اذا حلت عندنا محل الرابطة التقليدية رابطة من جنس آخر ومحي من أذهاننا أن رقينا الأوج السعادة لا يتأتى الا بترك تلك التقاليد . وهل يمكن حدوث هذا التحول الذريع مادام العلم التجربي يرينا كل يوم ان تقاليدنا اكسير شفائنا ومرهم سائر جراحنا وهو الامر الذى أدركه مثلنا كثير من مشاهير علماء الغرب

والخلاصة مادامت رابطتنا الاجتماعية هي من غير جنس روابط سائر شعوب العالم فلا يتأتي لنا مطلقا ان نحذو حذو أي شعب من الشعوب فيما يصادم طبيعة تركيبنا ولا يوافق تعاليم مدنيتنا الا زيزة في نفوسنا . ومع كل هذا فان الطريق الذى يسير فيه الغرب بالنسبة للنساء مملوء بالمخاطر مشوب بالعواثير المخيفة بشهادة أكبر عمرانيهم فانهم يعتبرون اشتغال النساء بأشغال الرجال مرضاً اجتماعياً تجب ملافاته فكيف يسوغ لنا اليوم ان نتمسح فى أمراضهم لننتحلها لانفسنا ثم نكلف انفسنا تحمل أعراضها وآلامها؟ اذا كان لا بد لنا من أن نحذو حذوهم في شيء فلماذا لا نقلدهم فيما يجب تقليدهم فيه ؟ نحن لا يسوغ لنا أن نأخذ شيأ من أشياء تلك المدنية

الا بعد تحليله تحليلا دقيقاً جداً ويجب علينا حينما نقف أمام مرائيها الفتانة أن نمسح أعيننا بمنديل الحكمة لنقدر على تمييز الحسن من القبيح فيها وان لم نجد من أنفسنا الشجاعة على ذلك فيجب علينا بالاقل أن نسأل علماءهم عنها. ونحن جالسون هذه الساعة فى مكتبنا وبين أيدينا أقاويل كثيرة لها علاقة بموضوعنا هذا فلننتخب منها ماله مناسبة بمسألة النساء ليعلم المسلمون انا ان لم نداو عللنا بأيدينا فعبثاً نحاول ازالتها بأيدى سوانا من الامم

كتب الاستاذ فى علم الانسان (جيوم فريرو) في المجلد الاول من مجلة المجلات لسنة ١٨٩٦ ما يأتى: «ان العلامات المنذرة بقرب حلول الازمة النهائية لهذا الشكل من المدنية الذى نعيش فيه كثيرة جداً (تأمل) بحيث لايمر يوم حتي يقف الباحث على انذارات جديدة فيه فلنعط نحن أيضاً أنفسنا وظيفة الطبيب ولنجتهد فى مساعدة ماشخصه الاطباء من هذا المرض الاجتماعي في زماننا هذا بدرس الشكل الجديد من الرهبنة التي مع عدم استنادها علي دين تهددنا بأنها ستصل الي الحد الذي وصلت اليه الرهبنة الدينية في زمن من أزمنة القرون الوسطي. يعلم الرجال والنساء بالتجربة وفي كل بلد بأن العقبات التي تحول دون الزواج تزداد يوما بعد يوم وأن هناك أسبابا لاعداد لها اقتصادية على الخصوص تقف فى طريقه حتي أن كثيراً من الناس لما يئسوا من امكان تذليلها صبروا على العزوبة بكل وسعهم. ومن السهل علينا أن نقول اذن أن عدداً عديداً من أشخاص من كلا الجنسين يجب أن يحدثوا آثاراً هائلة على كيان الهيئة الاجتماعية كلها وذلك بعيشتهم بلا زواج أعنى في شروط حيوية صناعية. ويلزم ان الآثار التى تنتج من النساء العوازب تكون أكبر من آثار الرجال العزبين. فان عزوبة الرجل تكسبه في الواقع ونفس الامر صفات نفسية خاصة بها ولكنها لاتقلب كيان شخصيته تماماً لانها لاتستلزم عنده العفة مطلقا ويمكنها أن تجبره علي المعيشة بين بنات الهوى أو ترغمه علي الفسق وعلي هذا فالعزوبة لاتقتل فيه تلك الوظيفة الفسيولوجية دفعة واحدة. وأما المرأة فبخلاف ذلك فان الشروط الاجتماعية الحالية تستدعي عفتها فى عزوبتها والعفاف يقتضي حذف

وظيفة الامومة وهي الوظيفة التى خلقت المرأة لاجلها جسما وروحا . لاشك اذن ان فى هذه الحالة يجب أن تفسد شخصيتها فساداً ذريعاً ولا شك أيضاً في ان عددا كبيرا من هذه النسوة يحدثن آثاراً هائلة على الهيئة الاجتماعية» انتهى

هذا القول من ذلك العمراني الطائر الصيت — وبين أيدينا عشرات من أمثاله يرينا جلياً أن في شكل المدنية الغربية علامات منذرة بقرب حدوث أزمة نهائية على تركيبها وخصوصاً من جهة النساء . فاذا كان لابد لنا من تقليدها في شأن من الشؤون فلا أقل من أن نجتهد في نقده بعقل وحكمة قبل أن تزل بنا القدم ولا ينفع الندم . وان كان لا قدرة لنا على نقد المسائل العمرانية الكبري التى لها ارتباط بمستقبل الامم فمن السهل ان نسترشد بعلما تلك المدنية ونستفيد من تجاربهم اليومية . وان تاق القارىء الى معرفة شيء من أقاويلهم فى هذا الباب فاليه قول استاذ الفلسفة العملية وواضع علم العمران الفيلسوف (اجوست كونت) نترجمه من كتابه (النظام السياسي على حسب أصول الفلسفة الحسية) . قال بعد ماذكر مسألة اشتغال النساء باشغال الرجال وما ينجم عن ذلك من الخلل الاجتماعي :

«ولكن بدل هذه الاحلام الهادمة المفسدة يمكن أن قاعدة طبيعية تضمن حياة المرأة تماماً . وذلك يكون بتعيين وتحديد الواجبات المادية على الجنس العامل (الرجال) نحو الجنس المحب (النساء) والفلسفة الحسية يمكنها وحدها بالنسبة لامتيازها بروح الحقيقة أن تسن هذه القاعدة الطبيعية بطريقة تجعلها سائدة محترمة وليست الفلسفة الجديدة (الحسية) هي التي ابتكرت هذا الميل العام بل أنها قدرته حق قدره فقط بعد تدقيق التأمل فى مجموع الحركة الانسانية

« يجب على الرجل أن يغذى المرأة . هذا هو القانون الطبيعى لنوعنا الانساني وهو قانون يلائم الحياة الاصلية المنزلية للجنس المحب (النساء) وهذه القاعدة التي تريك أخشن أشكال الاجتماع تتحسن وتتكمل على قدر رقي النوع الانساني فان كل الترقيات المادية التي تتطلبها الحالة الحالية للنساء تستحيل الي لزوم تطبيق هذا الناموس الاساسى بالدقة ويجب ان تحدث نتائجه رد فعل على كل

العلاقات الاجتماعيـة وبالاخص بالنسبة لاجر العملة. هذ القانون الذى يلائم الميل الفطري يرتبط بوظيفة النساء الشريفـة باعتبارهن عاملا حيا للآلة المولدة للحركة. وهذا الاجبار (اجبار الرجل على تغذية المرأة) يشبه ذلك الاجبار الذى يقضى على الطبقة العاملة من الناس بأن تغذي الطبقة المفكرة منهم لتستطيع هذه أن تتفرغ باستعداد تام لاداء وظيفتها الاصلية. غير ان واجبات الجنس العامل من الجهة المادية نحو الجنس المحب هي أقدس من تلك تبعاً لكون الوظيفـة النسوية تقتضى الحياة المنزلية . ولكن بالنسبة للمفكرين فان هذا الاجبار يكون تضامنياً فقط بخلافه بالنسبة للنساء فانه ذاتي » . هـذا مايقوله أستاذ أساتذة العمران ومؤسس الفلسفة الحسية التي هي آخر ما وصل اليه النوع الانساني من وسائل الحكم على حقيقة الاشياء من طريق الحس ، فانظر كيف تراه يحكم باسم الفطرة والطبيعة والاقتصاد بأنه لايباح للنساء مشاركة الرجال فى الاعمال ؟ فهل بعـد هذا يليق بنا معشر أصحاب الدين الفطرى أن نعصى أحكام الفطرة حتى ولو أتت الينا من الغرب نفسه ؟

يقول معترض : وماذا نعمل اذا كان حال الوجود يقضي بأن يوجد عـدد من النساء لاعائل لهن . أنتركهن يمتن جوعا ولا يزاحمن الرجال في الاعمـال ؟ نقول اذا علمت ان اشتغالهن خارج بيوتهن خلل اجتماعي خطير فالواجب وحب الجامعة يقضيان علينا أن لا نسعى في زيادة انتشاره بتسهيل سبيله بل توجب علينا الانسانية أن نعمد الى مداواته بكل وسعنا وبجهد استطاعتنا ونقـلد الرجال الغيورين على مستقبل النوع الانساني فى اوروبا وامريكا بالاشـارة على الحكومات بسن القوانين الـكافلة لراحة هذا الجنس الرقيق. فلننظر الآن الى مدنية الديانة الاسلامية لنرى هل فيها مايضمن حياة هذا الجنس من مخالب الجوع والفاقة ؟ نعم انهـا ضمنت ذلك بقولها انه لو مات زوج المرأة ولم يكن لها عائل من أقاربها كافة وجب على بيت المال ان يقوم بنفقاتها فى كل ماتحتاج اليه. هذا ما تقوله المدنية الاسلامية وهذا ما آب اليه أصحاب الفلسفة العملية الحسية بعد الاعتبار بمجموع الحركة الانسانية العامة وبعد أن دخل قومهم في الف دور

ودوراً من أدوار الارتباكات الزمنية فقد قال شيخها ومؤسسها الفيلسوف (اجوست كونت) في كتابه (النظام السياسي) : « وفى حالة عدم وجود زوج ولا أقارب، يجب علي الهيئة الاجتماعية ان تضمن حياة كل امرأة امافي مقابل عدم استقلالها الذى لا يمكنها ان تتجنبه واما على الخصوص بالنسبة الى وظيفتها الادبية الضرورية. واليك في هذا الموضوع المعني الحقيقي للرقي الانساني : يجب ان تكون الحياة النسوية منزلية على قدر الامكان ويجب تخليصها من كل عمل خارجي ليمكنها على ما يرام ان تحقق وظيفتها الحيوية . » انتهي

هذا ما آب اليه اصحاب فلسفة القرن العشرين وقد رأيت انه مطابق لاصول المدنية الاسلامية فبأي حجة بعد هذا ننصح بتقليد اصحاب المدنية الجديدة في امراضهم وكيف يكون حالنا اذا قلدناهم فيها فتشبت فينا ونحن في هذه الحالة من الضعف المساعد لقوة المرض ثم وجدناهم بعد ذلك سنوا قانوناً جديداً يريح المرأة من تلك المحن العملية ومن أسرها للعمل الخارجي ؟ أنرجع وقتها فننصح الناس بابطال ماكنا أشرنا به ؟ ولماذا كل هذا التكلف العجيب بعد مارأينا بأعيننا ان مدنيتنا الاسلامية هي الغاية التى يقرب منها البشر يوماً بعد يوم ؟

ماالذى حدا بعلماء اوروبا الى الرجوع الى كراهة عمل النساء الخارجي رغماً عما يعتقده بعض الشرقيين من أن مزاحمة المرأة للرجل فى الاعمال شكل جميل من أشكال المدنية وخطوة كبيرة من خطوات التقدم البشري ؟ الذى أرجعهم رغم أنفهم الى ذلك مارأوه بأعينهم من سوء النتيجة عليها . رأوها أسيرة مسكينة تزاحم الرجل كتفاً لكتف ولا تنال بجانبه الا الفضلات التي يعرض عنها وهى في كل مجال من مجالات العمل عرضة للتغلب عليها وعلى ما بيدها . قال الفيلسوف (فوربيه) وهو أشد أنصار حرية المرأة مايأتي : « ماهي حالة المرأة اليوم ؟ انها لا تعيش الا في الحرمان حتي في عالم الصناعة الذى ألم الرجل بجميع أنحائه لغاية الاشتغالات الدقيقة بالخياطة وشغل الريش اما المرأة فيراها الناس مكبة على أشق الاعمال في الخلاء . فما هي اذن مصادر الحياة بالنسبة للنساء المحرومات من المال ؟

المغزل ام جمالهن اذا كان لهن جمال؟ نعم ان حيلتهن الوحيدة هي السفاد العلني أو السرى ليس الا وهي الحيلة التي تنازعهن الفلسفة فيها للآن. هذا هو الحظ التعس الذي ألجأنهن اليه هذه المدنيـة . وهذا الاستعداد الزوجي الذي لم يفكرن للآن في مهاجمته. هل يمكن ان ترى ظلا من العدالة في حظ النساء هذا؟.» انتهي

فأين تذهب المرأة المسكينة بين هذه المزاحمات القاسية ؟ اذا كانوا يقولون ان الانسان يرتقى كل عصر فى العواطف النفسية والمرحمة القلبية كما يرتقي في السعادة المادية فلماذا لا تنفطر القلوب حسرة وتذوب الاضلاع كمداً ورأفة علي ما وصل اليه حال هذا الجنس الرقيق فى القرن العشرين ؟ أي انسان لديه مسكة من الرحمة يقبـل ان تملخ المرأة من وظيفتهـا الطبيعية التى خلقت لها جسما وروحا ويلقى بها بين سعير هذه الحرب المعاشية الدموية؟ أين تذهب المرأة بين هذه المزاحمات القاسية التي لم تقف عند المـاديات فقط بل تعدتهـا الي المعنويات أيضاً. قال الفيلسوف الاقتصادي الشهير (برودون) في كتابه (ابتـكار النظام) ما يأتي : «النوع الانسـاني ليس مدينًا للمرأة بأى فكرة أخلاقية ولا سياسية ولا فلسفيـة . فانه مشي في طريق العـلم بدون مساعدتها واستخرج منه المدهشات والعجائب . النوع الانساني ليس مدينا للنساء بأي اكتشاف صناعي ولا بأقل حركة فالرجل وحده هو الذى يخـترع ويكمل ويعمل وينتج ويغـذي المرة . ثم قال : وان الدور الذى لعبته المرأة في الآداب هو مثل الدور الذي لعبته في (الفابريكا) فانها لم تنفع في هذه الا حيث لا يلزم استعمال القريحة مثلها فى ذلك كمثل الخطاف والبكرة» انتهي

نقول لا نظن ان برودون يريد تحقير المرأة ولكنه يريد أن يقول انها لم تخلق لان تكون صانعة ولا عالمة وانما خلقة لان تكون أما ومربية

ثم اني أرجو من يهمهم تحسين حال المرأة المسلمة أن ينصتوا الى حكمة بالغة فاه بها فيلسوف يعرف الناس جميعًا فضـله من أعز أبناء هذه المدنية المادية وأكبر أستاذ من مؤسسيها وهو (جول سيمون) فقد كتب في مجلة المجلات فصلا على كتاب ألفه العلامة الفرنسي (لوجوفيه) قال : « يجب ان تبقى المرأة مرأة . هذه

كلمة المسيو لوجوفيـه . نعم يجب ان تبقى المرأة مرأة فانها بهذه الصفة تستطيع ان تجد سعادتها وان تهبها لسواها . فلنصلح حال النساء . ولكن لا نغيرها . ولنحذر من قلبهن رجالا لأنهن بذلك يفقـدن خيراً كثيراً ونفقد نحن كل شيء . فان الطبيعـة قد اتقنت كل ما صنعته فلندرسها ولنسع فى تحسينها ولنخش كل ما يبعد عن قوانينها وامثلتها » وقال : « يقول بعض الفلاسفة أن الحياة محفوفة بالمكاره ولكنهم ربما قالوا ذلك لأنهم لم يذوقوا طعم الحب طول عمرهم . اما انا فأقول : ان الحيـاة طيبة هنيئة ولكن بشرط ان يعلم كل من الرجل والمرأة المحل الذي جعله الله تعالى لكل منهما » . لماذا يقول هذا الاستاذ الاقتصادى الذي له اكبر الآثار فى المجتمع الانساني امثال هذه النصائح ؟ لانه رأى بعيني رأسه ان خروج المرأة من خدرها واشتغالها بغير وظيفتها سلخها من اسرتها وقوض دعائم بيتها كما نقلنا عنه ذلك بالحرف الواحد في فصل متقدم وسنري من اقوال كثير من اخوانه العلماء أنهم يرون رأيه ويتبرمون مثل تبرمه . وزيادة عما تحدثه مشاركة النساء للرجال في العمل من التأثير الاقتصادي والبيتى السيء فان له أثر آخر عليهن عجيب فى ذاته قال الاستاذ (جيوم فريرو) البحاث الشهير في احوال الانسان وتطوراته (انظر مجلة المجلات مجلد سنة ١٨٩٥) انه يوجد في اوروبا كثير من النساء اللواتي يتعاطين أشغال الرجال ويلتجئن بذلك الى ترك الزواج بالمرة وأولاء يصح تسميتهن بالجنس الثالث اي أنهن لسن برجال ولا بنساء لمنافاتهن للاول طبيعة وتركيبا وللاخريات وظائف واعمالا . وقد درس هذا الاستاذ احوالهن درساً مدققاً فوجدانهن بمعيشتهن في تلك الحياة الصطنعة وانتزاعهن أنفسهن من وظائفهن الطبيعية التي خلقن لها جسما وروحا قد تغيرت احساساتهن عن احساسات بنات جنسهن وصرن فى حالة تشبه الماليخوليا فكأن الفطرة البشرية تقيم عليهن الحجة بلسانها الفعلي على اغفالهن حقوقها . ثم قال بالحرف الواحد : « وقد ابتدأ علماء العمران يشعرون بوخامة عاقبة هذا الامر المنـافي للسنن الطبيعيـة فان هاته النسوة بمزاحمتهن للرجال صـار بعضهن عالة على المجتمع لا يجدن ما يشتغلن به ولو تمـادي الحال على هذا المنوال لنشأ منه خلل

اجتماعي عظيم الشأن » هل بعد هذا كله ننصح للنساء بأن يلقين بأنفسهن في هيجاء الحياة الخارجية

يقول المولف : « ولكن ما الحيلة اذا كان نظام الوجود يقضي بأن كثيراً من النساء يعشن في الوحدة والانفراد ويسعين ويعملن لكسب قوتهن وقوت أولادهن وبعض اقاربهن من القواعد العاجزين عن الكسب »

نقول : الحيلة هي أن نتأثر من سوء حال أولئك النساء ونبرهن على أنهن بفقرهن وتعاسة حظهن قد أرغمن هربا من الموت على عصيان سنن الطبيعة ونعطي هذا الشكل المحزن من الحياة الانسانية حظه من التأثر والتحسر ثم نبحث على ما يخفف ذلك الويل الوبيل بالطرق الحكيمة لا أن نعمل على نشره بدعوي انه مظهر من مظاهر التمدن

أناشدالله كل ذي احساس شريف ان يفكر معي قليلا في حالة امرأة مسترجلة اجبرها الحال السيء والحظ المنكود الى المعيشة بلا زوج وان تعمل طول نهارها تحت حرارة الشمس وفوق رمضاء الهجير لتكسب قليلا من العيش لدفع أنياب الهلاك عن نفسها، قلت أناشده الله أن يفكر معي قليلا في هذه الحالة المحزنة ثم يخبرني بما يحس من رحمة في قلبه على ذلك الجنس الرقيق تدفعه الى ابتكار أي وسيلة — ووسائل الحياة الطيبة غير محصورة — تمنع سريان هذا الامر الخادش لوجه مدنية القرن العشرين ؟ أي قلب لا يتفتت اذا سمع الفيلسوف «فوربيه» وهو أعظم أنصار حرية النساء ينادى في وسط بلاد تلك المدنية المادية صائحا في وجه قومه: «ماهي حالة النساء اليوم ؟ انهن لا يعشن الا في الحرمان حتي في عالم الصناعة الذى ألم الرجل بجميع انحائه لغاية الاشتغالات الدقيقة بالخياطة وصنع الريش اما المرأة فيراها الناس منكبة علي أشق الاعمال في الخلاء . ماهي اذن مصادر الحياة بالنسبة للنساء المحرومات من المال ؟ ألمغزل أم جمالهن ان كان لهن جمال؟ نعم ان حيلتهن الوحيدة هي الفسق العلني اوالسرى ليس الا وهي الحيلة التى تنازعن الفلسفة اياها للآن . هذا هو الحظ التعس الذى ألجأتهن اليه هذه المدنية وهذا الاستعباد الزوجي الذى لم يفكرن للآن في مهاجمته» انتهي

(هل تحتجب المرأة عن الرجال ؟)

درسنا في فصولنا المتقدمة ماهية المرأة وكنا اوبينا بالادلة التجريبية ان ذلك الكمال لا يتأتى لها الا بعدم تدخلها في اعمال الرجال وبحثنا بالدقة المضار التي تنجم يومياً من اختلاط الجنسين احدهما بالآخر ونريد في هذا الفصل ان نبرهن على ان الحجاب هو الضامن الوحيد لاستقلال المرأة والكافل الفرد لحريتها ورد سيطرة الرجال عنها فنقول :

لا يجوز لنا باعتبار اننا باحثون في موضوع عمراني مثل هذا ان نغتر بأى مظهر من مظاهر هذه المدنية المادية الموقتة ونتخذه قاعدة للحكم في شيء قبل تحليله الي عناصره البسيطة تحليلا دقيقا . نريد بهذا ان نقول انه لا يجوز ان نعتمد على ما نراه من الحرية المموهة التي يتمتع بها نساء هذه المدنية فنحسب أن مظاهرها الفتانة صبغا ثابتة تزيد بهجة ولا تزول بمرور الزمن . هذه خطيئة عمرانية تكفي وحدها ان تقود الباحث رغم انفه الي مدركات سطحية لا معني لها في ذاتها ولا تتفق مع حقيقة الواقع . وان وافقته في زمن من الازمان فلن توافقه في مستقبل ليس بالبعيد لعدم انطباقها على الفطرة البشرية فان غيرة الرجل وان دفنها رماد اللهو حينا من الاحيان وسترها بعض أشكال المدنيات مدة من الزمان فانها لا تموت أبداً بل يأتي عليها يوم تتقد فيه اتقاداً وتبعث اهلها لأخشن ما يتصور من مظاهر أسر النساء والتشديد عليهن

كلامي هذا وان ظهر خياليًا شعريا لمن لم يلق نظرة عامة على مجموع احوال الانسانية والانسان الا أنه بالنسبة للبعض الآخر حقائق ساطعة ليست مقبولة للعقل فقط بل ارانا التاريخ امثلتها في كل امة فلنورد هنا مثالا مما حصل في دولة الرومان وهي الدولة التي تولدت منها كل الدول الاوروبية المتمدنة فنقول :

نشأت دولة الرومان في رومية في القرن الثامن قبل الميلاد صغيرة فقيرة ثم شبت قرنًا بعد قرن حتى بلغت مبلغًا عظيما من المدنية وكان النساء فيها متحجبات ملازمات لبيوتهن . قالت دائرة معارف القرن التاسع عشر : « كان النساء عند الرومانيين محبات للعمل مثل محبة الرجال له وكن يشتغلن في بيوتهن . اما الازواج والآباء فكانوا يقتحمون غمرات الحروب

وكان أهم أعمال النساء بعد تدبير المنزل والغزل وشغل الصوف» ثم قالت: «وكن مغاليات فى الحجاب لدرجة ان القابلة (الداية) كانت لاتخرج من دارها الا مخفورة وجهها ملثم باعتناء زائدو عليها رداء طويل يلامس الكعبين وفوق ذلك عباءة لاتسمح برؤية شكل قوامها » اه

فى ذلك الحين حين احتجاب النساء برع الرومانيون في كل شيء: نحتوا التماثيل العظيمة وشيدوا الهياكل الفخمة وفتحوا البلاد وملكوا العباد واستبدوا بصولجان الملك والعظمة دون سواهم من الامم . ولكن دعاهم بعد ذلك داعي اللهو والترف الى اخراج النساء من خدورهن ليحضرن معهم مجالس الانس والطرب فخرجن كخروج الفؤاد من بين الاضالع فتمكن ذلك العنصر المهاجم (الرجل) لمحض حظ نفسه من اتلاف أخلاقهن وتدنيس طهارتهن وهتك حيائهن حتي صرن يحضرن التياترات ويغنين في المنتديات وساد سلطانهن حتى صار لهن الصوت الاول في تعيين رجال السياسة وخلعهم فلم تلبث دولة الرومان علي هذه الحالة حتى جاءها الخراب من حيث تدرى ولاتدرى حتي

ان القاريء للتاريخ ليدهش حينما يرى ان ذلك الصرح الروماني الباذخ قد هدمته المرأة حجراً بعد حجر بيديها الرقيقتين لا سوء نية منها ولا لانها مفطورة علي الافساد بل لافتتان الرجال بها وتاظرهم عليها . هذه حقيقة سياسية لامجال للجدال فيها .

قال العلامة (لويز رول) فى مجلة المجلات (مجلد ١١) تحت عنوان الفساد السياسي ما يأتى: «ان فساد الاسس السياسية وجد في كل زمان ، ومن الغريب المدهش (تأمل) ان عوامله فى الزمن الغابر هى ذات عوامله في الزمن الحاضر يعني ان المرأة كانت العامل الاقوى في هدم الاخلاق الفاضلة» كان الاجدر بهذا الكاتب العمراني ان لايلصق تهمة الافساد بالمرأة لان الرجل هو الذي أفسدها وجعلها احبولة للافساد لمحض ميوله الدنيئة . ثم أخذ ذلك الكاتب يقارن بين العلامات المنذرة اليوم وبين ماكان فى عهد جمهورية الرومان حتى قال: «لقد كان الرجال السياسيون في آخر عهد الجمهورية الرومانية يعيشون صحبة النساء ذوات الطباع الخفيفة اللاتي كان عددهن بالغا حد الكثرة. فصار الحال اليوم (تأمل) كما كان في ذلك العهد ترى الناس اندفعن

في تيار الحب البالغ حد الجنون وراء البذخ واللذات» اه

ماذا حصل في أمة لرومان المشهورة بحب المجد والعظمة وأنساها سابق تاريخها حتي تهدمت صروح عزها أمام أعينها بدون أن تجد من نفسها الغيرة عليها وكيف يتصور ان امة الرومان التي كانت في أيام عظمتها مغالية في حجب النساء تسمح لهن بعد ذلك أن يتسلطن علي رجال السياسة ويعزلنهم وقتما أرادوا ؟ ماهذا الانتقال العجيب من حالة الي أخري ؟ ألا يوجد بينهما تدرج طبيعي ؟ نعم ان ذلك الفساد النسوي نما على حسب القاعدة الطبيعية: بدأ صغيراً حقيراً ثم استطار شره حتى صار داء عضالا فتك بالجسم دفعة واحدة . قالت دائرة معارف القرن التاسع عشر : «ولكن لم يسد هذا الحب الجنوني للترف بالنسبة للنساء الا في عهد الامبراطورية . اما في الايام الاولى للجمهورية فقد كانت المرأة ملازمة بيتها تغزل فيه الصوف . ولكن البذخ تسرب الى رومية شيئا فشيئا حتي قام (كاتون) ينذر بالخطر المحدق الذى سيلتهم كل شئ

—(مثل كاتون مثل المدافعين عن الحجاب اليوم فان التاريخ يعيد نفسه) وبعد ذلك بقليل لم يقف البذخ والترف عند حد » اه

ثم أخذت دائرة المعارف تسرد أنواع الالبسة وأصناف الزينات النسوية مما لا فائدة من ترجمته هنا

فلننظر الآن ماذا قال (كاتون) لقومه وكيف أنذرهم بخطر خلع الحجاب وكيف صدقت أقواله ؟ كل هذه حقائق تاريخية حصلت لسوانا فالواجب علينا معرفتها جيداً لنستطيع تجنبها أو بالاقل العلم لما نعمله ونحن عارفون بأننا في سبيل الخطر!

روت دائرة معارف القرن التاسع عشر انه لما حصلت لدى الرومانيين ثورة يقصد بها نسخ القانون الذى كان يحدد بذخ النساء وتبرجهن قام (كاتون) وهو ذلك الروماني المشهور بالفلسفة والحكمة بين جمهور الرومانيين في القرن الثاني قبل الميلاد وقال : «أتتوهمون معشر الرومانيين انه يسهل عليكم احتمال النساء والرضاء بهن اذا مكنتموهن من فصم الروابط التي تقيد استقلالهن وتخضعهن لازواجهن؟ ألم يصعب علينا حتى مع وجود هذه القيود الجاؤهن الى أداء واجباتهن ؟ أما ترون أنهن

سيصرن مساويات لنا وسيوقعننا تحت نيرهن ؟ اي حجة معقولة يمكنهن بسطها لتبرئة اجتماعهن الثوري ؟ لقد أجابتني واحدة منهن قائلة : اننا نريد أن نكون متلألئات في الذهب والاقمشة القرمزية وان نتمشى في طرق المدينة في أيام الاعياد وسائر الايام الاخري ونركب في المركبات الفخمة لاجل ان نظهر انتصارنا على ذلك القانون المنسوخ (الذى يجبرهن على عدم الابتذال) وان نتمتع بحرية انتخابكم — (ماأشبه اليوم بالامس) — ونريد أيضا أن لاتضعوا حداً لنفقاتنا وبذخنا

« فياأيها الرومان لقد سمعتموني كثيراً ماأشكو من اسراف الرجال والنساء والعامة والمشترعين أنفسهم ايضا . ولقد سمعتموني كثيراً ماأقول ان الجمهورية مصابة بدائين متناقضين الشح والبذخ وهما الداءان اللذان قلبا الممالك العظيمة رأسا على عقب » ثم أردفت دائرة المعارف هذه الخطبة بقولها : ان (كاتون) لم ينجح في دفاعه عن ذلك القانون ولكن تحققت انذاراته كاملة . » ثم قالت بالحرف الواحد : « وفي هيئاتنا الاجتماعية الحاضرة التي فيها النساء يتمتعن بحرية مفرطة (تأمل جيداً) نري دناءة ذوقهن وميلهن الشديد الذى يحملهن دائما على الاشتغال بجمالهن وبكل مايزيد حسنهن ورواءهن كل ذلك اكثر خطراً وهولا مما كانت عليه الحالة في رومية » انتهي

دعنا الآن من هذا وهلم ننظر ماذا حصل بعد فساد الملك الروماني وتغلغل الخلل فيه؟ هل استمرت النساء متلألئات في الذهب والاقمشة القرمزية رائحات غاديات في الطرقات راكبات المركبات الفخمة كما كان شأنهن في أيام عز المملكة الرومانية؟ لا ، ولكن رأينا الناس أسرفوا في هضم حقوقهن والحط من مقامهن حتي حرموا عليهن أكل اللحم والضحك والكلام وغالوا في ذلك حتي وضعوا في أفواههن أقفالا متينة يسمونها (موزليير) لافرق في ذلك بين عال ووضيع او عالم وجهول ثم سري أمرها الى اكثر من ذلك حتي اجتمع في رومية ذاتها مجمع في القرن السابع عشر مكون من فطاحل الرجال وطرحت فيه هذه المسئلة ؟ هل المرأة روح ؟

واني لو أردت أن أشرح للقراء كيفية تحقيق الجرائم على النساء والالات المختلفة

والاساليب الشيطانية للتعذيب لما وجدت من نفسى الجلد على وصف هـذه المظالم المرعشة . ثم لو كلفت أحد النقاشين رسم الهيئات بذاتها تمثل النساء في حالة صب القطران علي أجسامهن أو ربط أرجلهن في أربعة خيول وتركها وشأنهـا تركض الي كل جهة لتمزقهن تمزيقا او ربط جماعة منهن في سارية وتحتهن نار هادئة مـدة أيام عديدة ليمتن على تلك الحالة بتساقط لحومهن وشحومهن أو.أو. مما يذهب بالقلب حسرة ، قلت لو كلفت أحد النقاشين فرسم لى ذلك من مجلة المجلات (مجلد ١٥) لرأي القراء منظراً لايذهب عن فكرهم أبداً ؟ منظراً يريهـم الى أى حالة وصل أسر الرجل لهذه المرأة المسكينة !

الناظر لهذه الانتقالات يدهش ويأخذه العجب ويسائل نفسه قائلا : كان النساء بالامس يمرحن فرحات بما أوتينـه من الحرية والسلطة على الرجال فكيف صرن اليوم موضوع أقسى المظالم ومحل البهيمية البشرية البالغة حد الكفر والجحود ؟ ماهذا التحول العجيب ؟ ما هذا التبدل الذريع ؟ ما الذى هدم تلك الحرية الاولى ووسم وجه المرأة بميسم الاسر والعبودية لهذه الدرجة الوحشية ؟

كل هذه أسئلة يلقيها الناظر في التاريخ على نفسه ولا يستطيع ادراكها الا اذا ذهب فنقب في أصول علمي النفس والعمران وهو بحث طويل الذيول نقول لك زبدته فى كلمتين

لما امتد ملك الرومانيين ونالوا بسطتي العظمة والتفوق على الامم ولم يبق لهم في الارض مناظر تداخلهم حب الترف والرفاهية وهما لا يتمان الا باختلاط الجنسين معاً وساعدهم علي ذلك ما كانت علقتـه أذهانهم من تعاليم ملحدة اليونانيين ومقلديهم من الرومانيين أيضاً فشرعوا فى كشف الحجاب عن نسائهم وترقوا فى ذلك شيئاً فشيئاً حتي صرن المسيطرات فى الامور السياسية وحصل فى هذا الاختلاط من الدنايا والمقاذر ماأكره أن يكتبه قلمي هـذا ففاتت همتهم وخارت عزائمهم وتسفلت نفوسهم فوقعوا فى التناظر والتسافك فازداد الفساد فيهم نشوبا وحدثت أثناء ذلك احداث غيرت اتجاهات الافكار بالمرة وأشربت النفوس أن النساء سبب ذلك الفساد كله فأخذ الحقد

عليهن يتزايد شيئاً فشيئاً والتضييق يشتد يوماً فيوماً حتي وصل الامر الى ماوصفت لك من حالة القرون الوسطي لغاية القرن السابع عشر ومقدمة التاسع عشر وأرى الرجال اليوم في الغرب يريدون أن يعيدوا ذلك الدور بعينه بما يخترعونه يومياً من أسباب فتنة النساء والافتتان بهن وما يبتكرونه من ضروب الوسائل لمهاجمة عفتهن وطهارتهن وايقاعهن في مثل ماوقع فيه اخواتهن الاقدمون قد ادرك ذلك عقلاؤهم وفلاسفتهم عموماً وصار من الوضوح بحيث يكتب في دوائر المعارف كما مر بك وسيمر بك أكبر من ذلك . فاذا كانت المرأة المسكينة العوبة في يد الرجل لهذه الدرجة يحبسها مادام متديناً ثم لما يداخله حب اللهو والترف يخرجها ليلعب بضعفها ثم لما يفتنها ويتلف آدابها بما يخترعه لها من أنواع البذخ والزينة يراها حملاً ثقيلاً عليه فيرجعها الي حبسها باشد مما كان قلنا اذا كان حال المرأة كذلك في يد الرجل فاحتجاب المسلمة خير كفيل لها من الوقوع في مثل هذه الحالة فقد حاطها الاسلام بقوانين حكيمة رسخت في اعماق القلوب لايستطيع المسلمون هدمها الا اذا غيروا دينهم وبدلوه كله . ألا ترى انه قد مضى على المرأة المسلمة نحو من ثلاثة عشر قرناً وهي محفوظة من كل الانقلابات التي طرأت على غيرها من نساء العالم كما مر بك عارف منه ؟ فأي نعمة أكبر من نعمة الحجاب اذا كان هو المانع للمرأة من أن تكون العوبة في يد الرجل وعرضة لأهوائه يصرفها كيف يشاء ؟ قل لى أي مانع حمي النساء المسلمات من مثل تلك القسوة التي التهمت اخواتهن في الغرب قروناً مستطيلة غير هذا الحجاب ؟

يقول حضرة مؤلف (المرأة الجديدة) ان في اوروبا احزاباً تطلب مطالب مجحفة « ومع ذلك لم يخطر علي بال احد منهم ان يطلب حجاب النساء بل نري الأمر بالعكس فان المتطرفين من أرباب المذاهب يطلبون التوسع في حرية المرأة والزيادة في حقوقها الى ان تصير مساوية الرجل فهم علي شططهم متفقون في ذلك مع أرباب المشارب المعتدلة فما هو سر هذا الاتفاق وما سببه ؟ » اما نحن فنقول ان مؤسس فلسفة العصر الحاضر (اجوست كونت) وجميع الحسيين من فلاسفة الوقت وهم كبار رجاله المعول عليهم في الحكم على

حقائق الاشياء يرون ان المرأة لم تنل فقط قسطا أكبر مما يلزم من هذه الحرية المموهة بل يرون أيضاً انها خرجت عن حدودها الطبيعية وقد مر بك من أقوالهم في الفصول السابقة مايثبت ذلك . وقد ورد في دائرة معارف القرن التاسع عشر شكوى مؤلمة من هذا القبيل - ولدينا عشرات من نوعها من أقوال أكبر عقلاء العصر قالت عقب ذكرها الخراب الذي طرأ على رومية بسبب الافتتان بالنساء: « وفي هيئاتنا الاجتماعية الحاضرة التي فيها النساء يتمتعن بحرية مطلقة (وصاحب الدار أدرى) فان دناءة ذوقها وميلها الشديد الذي يحملها دائما على الاشتغال بجمالها وبكل مايزيد حسنها ورواءها كل ذلك أكثر خطراً وهولا مما كانت عليه الحالة في رومية» هذه الجملة ربما يسمعها الشرقي فيدهش لانها بخلاف مايظن وله العذر في ذلك فانه طالما حسن ظنه بكل شكل من أشكال هذه المدنية وتوهم انها تعلو عن مدارك الشرقيين وتسموعن متناولهم وان ليس لهم حق الانتقاد عليها بوجه ما . ثم قالت دائرة المعارف بعد أن وصفت من الاحوال ماوصفت ؟ « نعم انا لسنا أول من لاحظ هذا الاثر السيء الذي يحدثه حب النساء للزينة يوماً فيوماً على أخلاقنا (تأمل) فان أشهر كتابنا لم يهملوا الاشتغال بهذا الموضوع الكبير وكثير من أقاصيصنا التي قوبلت بالاستحسان العام قد وصفت بطريقة مؤثرة الخراب الذي يجره على الاسر الشغف الجنوني بالتزين والتبرج . فكيف النجاة من هذا الداء الذي يقرض مدنيتنا الحالية ويهددها بسقوط سريع جداً وان شئت فقل بانحطاط لادواء له » انتهي

فاذا كانت اوروبا مع قوتها ومنعتها ووسائلها تنادي بلسان دوائر معارفها وأشهر كتابها بالويل والثبور من تبرج النساء بحيث رأت ان حالتهن تهددها بسقوط سريع جداً فما بالك لو كان الشرق مصابا بهذا الداء نفسه مع ضعفه اليوم ؟ يراني القراء لأختار الحجاب للنساء طلبا لعفتهن ولا أريد أن أطلبه لهذا الغرض لانه هضم لحقوق ذلك الجنس الرقيق صاحب العواطف الفاضلة فان الغريزة الادبية لدى النساء أسمي منها لدي الرجال يقينا وأعراضهن أطهر من أعراضهم في الجملة وانما اختاره لانه الحصن الحصين الذي يأمن

فيه النسـاء غائلة الرجال وشرتهم فانهم اعتماداً علي ان ليس في تركيبهم مايفضحهم لو خرقوا سياج العفة يوماً أو كل يوم تراهم يتكالبون بتهمة افراطية على اغراء النساء بكل حيلة وبكل وسيلة . لانه ثبت باستقراء حوادث العالم ان الرجل هو المغوي للمرأة على خدش وجـه الادب حتي ان جريدة المقطم التي قبحت الحجاب من وجهة عمرانية في ٨ فبراير سـنة ١٩٠١ تشهد بهذه الحقيقة الجلية فقد قالت: «وتاريخ كل هيئة اجتماعية يشهد ان الرجل هو المهاجم لفضيلة العفة والمرأة هي المدافعـة عنها » انتهي . اذن أليس من العدل أن نبحث عن وسيلة نتقي بها شرة هذا الرجل الغشوم القاسى عن هذه المرأة الرقيقة الجانب ؟ هل من العدل أن نعرضها لمخـالب هذا الرجل الظلوم وحيله ثم نكلفها بتبعة خرقهـا لسياج العفة ؟ كيف يصح لنا أن نؤاخذ المرأة علي عدم العفة اذا وقعت في أشراك الرجل وهو الكائن الذي لاتنجو من بين يدى حيله الشيطانية الاسود في آجامهـا ولا الثعابـين في أوكارها ولا العقبان في شواهقها ؟

ماذا يريد الناس من المرأة ؟ أيريدون أن تكون ملكا في عصيان شهواتها أو جماداً في عدم التأثر باهوائها ؟ ألا يعد هذا من أشد ضروب القسوة ؟ ألا يعتبر من أكبر أنواع الاسر ؟ يقولون ولم لانشير بحجب الرجال ، أليس حجبك النساء عنواناً على هضمك حقوقهن ؟ أقول أما وقد ثبت انه لامناص من عزل الرجال عن النساء — انظر فصولنا السابقة واللاحقة ـ وان وظيفة المرأة بيتية محضة وان اشتغالها خارج بيتها خلل اجتماعى خطير بخلاف الرجل فان شؤون حياته تقتضى المحاولات الخارجية لزمنا اتباع أخف الضررين ليس الا . والى فلو قام أحد أصحاب الافكار وابتكر شيئاً يكافـه الرجال لقطع هجومهم عن المرأة فان المسلمين أول الخاضعين لذلك التكليف في سبيل صيانة هذا الجنس الرقيق . تقول جريدة المقطم : « لانه فى الهيئة الاجتماعية لايثبت للحجاب فضل في حفظ العفاف والشاهـد على ذلك أنه ليس بين الكتاب كاتب يدعي ان بنات المدن المتحجبات أعف وأطهر من بنات الريف اللاتي لايتحجبن وان عرض الفلاحة والبدوية غير مصون كعرض المحجبة. » نقول لاينكر أحد ذلك ولكن

لايحسن أن يغيب عن فكرنا ان الفلاحة والبدوية المكشوفتين هما في أحط أدوار تنازع البقاء والحرب المعاشية وقد أثبتت البسيكولوجيا (علم النفس) ان الانسان وهو في تلك الحالة لا يكاد يفكر الا فيما يحفظ شخصه من العطب. وبناء على هذا فمثل هاته النسوة ليس لديهن وقت تثور عليهن فيه عوامل اللهو وترغمهن على الخضوع لمؤثرات أهوائهن. فتراهن يشتغلن مع ازواجهن او آبائهن طول النهار حتى اذا جاء الليل طالبتهن أجسامهن بالراحة من جهادهن الهائل. ولذلك نري الفلاحة أو البدوية بمجرد نيلها مايغنيها من المال تجعل همها الاول وضع الحجاب على وجهها والتستر عن أعين الرجال. أما قول المقطم: « ولما كان الرجل وهو العنصر المهاجم لفضيلة العفاف عند انحلال ربط الآداب والمرأة هي المدافعة عنها كما قدمنا فالعقل يقتضي تقوية قواها العقلية مع قواها الادبية وتوسيع ادراكها واختبارها حتى تعرف كيف تحفظ منزلتها من الفضيلة والكمال» فنجيب عنه بقولنا: ان هذا النوع من التربية يستحيل ان يعطي لكل امرأة بل لن ينال الا بنات المثرين فقط لانه يستدعي سنوات عديدة في المدارس تستلزم ثقل البنت ذهبا وبذلك يبقى اكثر من تسعة اعشار البنات عاريات من مثل ذلك التهذيب الفلسفي أي معرضات للانقياد لحيل العنصر المهاجم أي الرجل. وبناء عليه فلا يصح أن يبنى على هذا قاعدة عمرانية عمومية. ومع ذلك فان هذا الحجاب المعنوي الذي يشير اليه أنصار السفور أشد على المرأة من ذلك الحجاب الرقيق بما لا يقدر. فانظر كيف بلغ اجحاف الرجال بالنساء! يعترفون بأنها المهجوم عليها من العنصر القوي ومع ذلك يريدون أن لا تستتر عنه بمانع مادى يستوقفه عند حده. بل يريدون ذلك الحجاب أدبيا محضا اى من النوع الذى يحجب الفلاسفة عن محبة الدنيا الفانية ويحول بينهم وبين هوى نفوسهم، أعني يريدون أن تكون المرأة ملكا لا يطاوع همسة من همسات بشريته ولو كانت مهجوماً عليها من كل جانب؟

لماذا لايهبون المرأة حجابها المادى لتكتفي هي والرجل مؤونة هذا الجهاد الهائل؟ لماذا لايوفرون على المرأة وقتها الذى يلزم أن تصارع فيه هذا الرجل

الظالم في ميدان هذه الحياة الكدرة؟
يقول قائل لقدغلوت غلواً كبيراً وأفرطت في دفاعك افراطا شديداً واتيت بما يؤخذ منه ان ليس للرجال شغل شاغل ولا هم متواصل الا التحايل على النساء واغرائهن مع ان التربية تعمل العجائب في نفس الانسان، والمدنية تكسوه من شرف النفس وعلو الهمة الحلل الحسان الخ الخ

نقول هذه الفاظ نسمعها ولا نري مدلولاتها في اي بقعة من بقاع الارض. ولو صح ان التربية والتهذيب تقوم مقام الحدود المادية في كبح افراطات الانسان وتعدياته لصحت نظريات المذاهب المتطرفة بأسرها فانهم يقولون أيضاً ان ذلك القانون القائم والقانونيين الذين يقدسونه ويحترمونه وتلك السلطة التي تهيمن على احوال البشر ليست الا موانع تمنع رقيهم في مدارج الكمال الصوري والمعنوي. ولكن لو خلي الانسان لتأثير مواهبه الفطرية لنمت فيه العواطف الفاضلة من ذاتها بتأثير الفواعل الطبيعية المنتشرة في الكون وماتت فيه كل تلك الاهواء الخارجة عن حدود الاعتدال بتأثير تلك الفواعل الطبيعية أيضا ويقولون أن هذه القوانين التي تزعمون انها تقيم دعائم العدل في البلاد وتسوى بين آحاد العباد وتردع الظالمين عن الظلم والاجحاف وتكبح جماح المعتدين عن تخطي حدود الانصاف والانتصاف لا أثر لها الا زيادة عدد المجرمين ونشر القسوة والخشونة بين العالمين. قلنا لو صح ان التربية تقوم مقام الحدود المادية في تعديل خلق الانسان لصحت كل نظرية تستند عليها في تحقيق نفسها

اما انا فأقول أرني امة من الامم منعت التربية فيها هذا الرجل القاسي عن الانقياد لامياله البهيمية ووقفت دون مقارفته لمطالبه الحيوانية؟ هذا هو التاريخ بين أيدينا وهذه الامم والنحل أمام أعيننا وكلها ادلة ناطقة شاهدة بأن التربية لم تمنع الرجل يوماً واحداً من غشيان القبائح واتيان المنكرات ولم تلين فؤاده الحديدى لايثار الفضيلات علي الرذيلات. لو كنا ممن يتسلى بالخيالات لعلقنا على التربية وحدها أكثر مما يعلق غيرنا ولكننا نحب أن لا نتخطي دائرة التجارب الحيوية قيد شبر مادمنا نحب ان نقول مايسمع وننشد ما يمكن الحصول عليه

﴿هل الحجاب مانع كمال المرأة ؟﴾

عهدنا الانسان في كل دورمن ادوار حياته ان احب شيئا لم يصعب عليه اقامة الف دليل على حسنه وجماله ، واذا كره شيئا لم يعز عليه ان يطابق الدنيا ادلة على قبحه وفساده، ولولا ان حال الوجود شاهد عادل لأصبحت الحقائق ابعد شيء عن الانسان في هذا العالم «وكان الانسان اكثر شيء جدلا »

يقول حضرة مؤلف (المرأة الجديدة) : «اما الحجاب فضرره انه يحرم المرأة من حريتها الفطرية ويمنعها من استكمال تربيتها ويعوقها عن كسب معاشها عند الضرورة ويحرم الزوجين من لذة الحياة العقلية والادبية ولا يتأتى معه وجود امهات قادرات على تربية اولادهن وبه تكون الامة كانسان اصيب بالشلل في احد شقيه» اما انا فأقول: اما الحجاب (استنادا الى براهيني الحسية السابقة) ففوائده انه يمتع المرأة بحريتها الحقيقية ، وقد علمت ماهي تلك الحرية، ويمكنها من استكمال تربية نفسها تربية اموية ، ويعوقها عن مشاركة الرجال في اعمالهم وهو الامر الذي نخر عظم هذه المدنية المادية بشهادة علمائها في القارتين الاوربية والامريكية ، ويجبر اهلها وحكومتها على ضمان معاشها بالطرق القانونية ، ويمتع الزوجين بلذة الحياة الزوجية ، ويتأتى معه وجود امهات قادرات على تربية اولادهن تربية اسلامية، وبه تكون الامة كانسان صحيح البنية له اعضاء ظاهرية واخرى باطنية

ونحن ايضا كان يمكننا ان نقول كما يقول المؤلف: «اى مصلحة للرجل اعظم من ان يعيش وبجانبه رفيقة تلازمه في الليل والنهار في الاقامة السفر في الصحة والمرض في السراء والضراء. رفيقة ذات عقل وأدب عارفة بحاجات الحياة كلها تهتم بكل شيء يمس بمصلحة زوجها ومستقبل اولادها تدبر ثروته وتحافظ على صحته وتدافع عن شرفه وتروج اعماله وتذكره بواجباته وتنبهه الى حقوقه وتعرف انها باجتهادها تجد في منفعتها كما تجد في منفعة زوجها واولادها » وهل يسعد رجل لايكون بجانبه امرأة يهبها حياته وتشخص الكمال بصداقتها امام عينيه فيعجب بها ويتمنى رضاها ويتوسل اليها بفاضل الاعمال ويدانو منها بفضائل الصفات ومكارم الاخلاق صديقة

تزين بيته وتبهج قلبه وتملأ اوقاته وتذيب همومه ؟ » قلنا كان يمكننا نحن ايضا ان نقول مثل هذا الكلام لانه احسن ما يأخذ بالفؤاد ولكنا في مقام عمل وتحقيق لا في مقام تمن وتأميل، فانه لا يوجد في المسكونة رجل الا وفي مخيلته مثل هذه الاماني وزيادة ولكنه لا يرى لها أدني تحقق في الخارج لان مقاليد الوجود ليست بيد الانسان ولو نال كل متمن امنيته لما وجدت علي ظهر الارض رجل يشكو من شيء مطلقا . ولو كان اصلاح الاحوال الشخصية يتأتي بمثل هذه الوسائل لكان الامر أسهل ما يكون على الكاتب فقد كنا نستطيع ان نقول مثلا : اى مصلحة للرجل أعظم من أن يعيش في وسط حديقة غناء فيها قصر يناطح السماء وبين يديه من الخدم والاتباع ما ينظرون أول اشارة تصدر منه لترويح نفسه وتفريج غمه وأن يكون واحداً من أصحاب الهمم العالية والافكار السامية فيؤدى لجامعته وملته أشرف الخدم التي تخلد لصاحبها في بطون التواريخ اسما يضرب به المثل ويتخذ مثالا للحث على العمل وأن يكون له أولاد يربيهم على مبادئه الشريفة تربية ترشحهم لمثل ما هو فيه من طيب الحياة وعلو المقام وان يهبه الله حب الاعتدال في جميع أموره فيعيش معيشة الاتقياء في وسط ذلك النعيم العظيم فيحتمى هو وأولاده وأهل بيته شر الامراض والاسقام ليعيش عيش السعداء ويموت موت الشهداء ؟

لاشك ان كل انسان تقع لديه هذه الاماني موقع الاستحسان التام ويود لو أطلت في شرح أمثال هذه العبارات لموافقتها لميله تمام الموافقة ولكن قل لي بعيشك كم من الناس في هذا العالم بلغوا الي هذه الدرجة من السعادة وكم منهم يصح ان نقول عنه انه كان يحصلها ؟

انقسم الفلاسفة بعد شدة التدبر الى قسمين عظيمين قسم يدعى أن ليس في هذا العالم راحة علي وجه الاطلاق وان الحياة كلها أكدار وأوصاب وآلام وأتعاب فزهدوا فيها زهد اليائسين . وقسم رأى غير ذلك فقالوا ان في الحياة حسنات وسيئات وان السعيد من عرف كيف يستفيد من حسناتها على قدر الامكان وكيف يتوارى عن سيئاتها جهد المستطاع، فهو طول حياته بين هذين التيارين المتعاكسين يتوارى عن هذا ويأخذ جرعة

من ذاك حتي ينتهي وجوده من هذا العالم ويصعد الي عوالم أخرى تنتظره فيها نتائج جهاده الحيوي الطويل من هناء مقيم أو شقاء طويل

ونحن بالطبع لانميل الى الشق الاول لما في تعاليمهم من المنافاة للبدائه المحسوسة وأما الشق الثاني فهو الجدير بالنظر والروية ، الخليق بأن يتخذ أسلوبا في هذه الحياة الارضية، ولكن ما أشد تكاليفه علي هذا الانسان الضعيف الذي قد تلتبس عليه أوجه السعادة والشقاوة فيتجنب الاولى ويسعي للثانية فيقع فيما كان يهرب منه ويتهالك في البعد عنه !

لاخير في هذا الوجود الا وهو ممزوج بشر فمن استطاع أن ينقي ذلك الخير من كل مافيه من الشر عاش حقيقة عيشة السعداء ونال مقاوم أصحاب الصفاء ، ولكن كيف يتأتى ذلك وهو ليس مستقلا بنفسه ولا قائما بذاته في جميع شؤن حياته؟ يلوح له الخير في عمل فتبدو له من مشاركيه في الوجود موانع وعقبات لو خطي واحداً منها قام أمامه غيره حتي ينتهي وجوده قبل ان تلوح له بارقة الامل من مطلوبه . ألا ترى معي ان كثيراً من الناس يرون الخير كل الخير في شئ فيلجأون رغم أنوفهم الى تجنبه ليس لانهم غير قادرين عليه ولكن لما يقوم أمامهم من الموانع الوجودية والعقبات الاجتماعية .

هذه الشئون كلها قد تملأ قلب الانسان امتعاضاً وكدراً وتذهب به مذاهب من الفكر شديدة الاثر على تركيبه ولكنه لو رجع الي نفسه رجوع الثابت الجأش والقى بطرفه الي قبلة من بيده مقاليد السموات والارض واستنزل من جانبه روح الطمأنينة علي نفسه آب وكله اعتقاد بأنه تعالي قد أتقن كل ماصنع وأحسن فيما أبدع وقضى أن يكون الخير والشر من لوازم هذا العالم الارضي لامحالة لحكمة بالغة ومقصد عظيم (ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون) فمن استطاع ان يعتدل بين هذه الزوابع المتعاكسة نال خير الابد ومن مال ذات اليمين أو ذات الشمال وتمنى مالاينال كان حسابه عند ربه

ليس يحب الانسان فقط أن تكون له زوجة صالحة أو أن تمشي بجانبه بغير حجاب بل يتمنى أن تكون حالته أصلح من ذلك : يتمني أن لايمسه الشر ولا يقرب منه الموت . يتمني أن يعدم الفقر

وتزول الامراض يتمنى ن لا يرى مايكره في بني وطنه وبني نوعه . ولكن هيهات لا بد من شر ولا بد من موت ولا بد من فقر ولا بد من مكروه ! ولا بد للانسان من ان يقيد من اطلاقه ويحرم من لذاته لكي ينجو من كثير من الويلات التي لا تندفع بغير ذلك

أنا لاأنكر أن في الحجاب شراً ولكني أعتقد أنه مانع من شر أكبر فهو بهذا الاعتبار يعتبر خيراً كما اني لاأنكر ان تسلح الامم بعضها ضد بعض شر ولكني لا انكر انه دافع لشر اكبر فهو لذلك الاعتبار يعتبر خيراً ايضاً . فالواجب علينا معشر الناس ان لا نتابع أميال أنفسنا في كل شيء فان اكثر ما نط به لا نناله وفي بعض ما نناله اشياء ما كنا نحب حدوثها ولو تجلت لنا قبل تمنيها في مظاهرها لكنا بعدنا عنها بعد المشرقين

اني اري كثيراً من الذين يتكلمون عن المرأة يتخيلون امرأة كاملة في وسط رجال كاملين وفي وجود لا نقص فيه فيهبونها من الاوصاف والنعوت الجميلة مايجعلها النموذج الخيالي المبرأ من شوب النقائص على وجه الاطلاق . كأن تكون كاملة في جمالها وطبائعها قرة عين زوجها وأهلها مربية عارفة بواجبات وظيفتها تؤدي أعمالها البيتية على أتم نسق وأقوم منوال ثم تهب جزءاً ثميناً من وقتها في تحسين حال الامة من جهة الخارج بمشاركتها للعلماء في ابحاثهم وللفلاسفة في أخلاقياتهم وللرحالات في مكتشفاتهم . وبالجملة تكون كل شيء سواء كان في الداخل أو الخارج . نعم حبذا لو كان الامر كذلك ولكن قوانين الحياة سيراً غير ما نظنه والشؤون الوجود أدواراً قد لا تخطر لأعقلنا على بال ولذلك نرى كثيراً من كتابات الكتاب تسقط الى الحضيض ولا يكون لها أثر يذكر في الخارج . أما نحن فنري ان من الواجب علينا عند الكلام على الاحوال الاجتماعية أن نلم أولا بماهية الوجود الذي نحن فيه وبمقدار النقص والكمال في سائر أحواله ، وبعلاقة كليهما بأحوال الانسان وأطواره ، ليكون حكمنا سليما من الخطأ ونصائحنا مجردة عن الخيالات التي لا تتحقق. فاذا تكلمنا عن المرأة مثلا فيلزمنا قبل كل شيء أن نشبع أفكارنا بأنا نتكلم عن المرأة (الآدمية) الموجودة بين شعب كل افراده (آدميون)

لهم نزوات ونزغات واهواء ونقائص واننا في عالم ارضي غير مبرأ من الشرور والمصائب لاشك اننا قبل التكلم على المرأة لو شبعنا افكارنا بما ذكرنا هدأت سورة تحمسنا وملكنا افكارنا وتصوراتنا وكتبنا مالا يجافي سنة الوجود ولا يعارض طبيعته وكان لكلامنا من التأثير وحسن الاثر مايجعلنا نحمد مغبة التعب في التحرير وابداء النصيحة

يقولون : للحجاب ثلاث مضار مهمة لها على المرأة آثار رديئة جداً . اولها: انه يضعف صحتها ويعرضها للامراض وضعف الاعصاب ومتى ضعفت الاعصاب اختل التوازن في القوى الابية وبنوا على ذلك ان المرأة المحجبة يجب ان تكون اسيرة شهواتها لان سلامة الاعصاب اهم اعوان الانسان على ضبط نفسه وضعفها اكبر الاسباب التي تجعل الانسان ألعوبة في يد شهواته

ثانيها ان الحجاب مانع للخاطب من رؤية وجه مخطوبته وهو السبب الكبير في كثرة الطلاق وعدم الوفاق

ثالثها : انه يمنع المرأة عن التهذب والتعلم ويصدها عن متابعة اميالها في تنمية قواها العقلية والادبية في بيوت التعليم

فالنرد على هذه الشبه فنقول : النساء المحجبات لسن بمريضات ولا ضعيفات الاعصاب بل هن في المجموع اقوي من النساء المكشوفات بكثير وهذه القضية يستطيع كل شرقي ان يحكم عليها بمجرد النظر. وقد مضي على المسلمات اكثر من ثلاثة عشر قرناً وهن محجوبات مصونات فلو كان الحجاب يحدث فيهن ضعفا من اي نوع كان لوجب ان يتوارثه النساء والرجال جيلا فجيلا حتي يكون المسلم والمسلمة اليوم مثالى الضعف وخور القوة. لان القواعد (الفزيولوجية) تقتضي ذلك ولكننا نري العكس : نري أبناء النساء المحجبات اقوى جسما من رجال النساء المكشوفات . ومع ذلك فان الاحصاء الصحي لايدلنا علي زيادة الوفيات في النساء ولو كان الحجاب مضراً بالصحة لأصبحت الوفيات منهن اكثر من وفيات الرجال طبعاً وهذا خلاف المشاهد . اما قولهم أن النساء المحجوبات اسيرات لشهواتهن فذلك مما لاينطبق على علم (البسيكولوجيا) العملية. فانه لايغيب عن اى انسان ان الميل الى الشهوات

لايحصل في الانسان بشدة الا بوجوده بين مثاراته ولا يغلب العقل الا اذا وجد سهولة الوصول الى مطلوبه . فأى المرأتين اذن أشد تعرضا لمثارات الشهوة ؟ المحجبة أم المكشوفة ؟ المتعالية عن الاختلاط بالرجال بغيرة دينية وراثية شديدة أم المختلطة بهم ؟ السيت الثانية؟ اللهم ان علم البسيكولوجيا اكبر شهيد عندنا بهذا الحقيقة . هذا من جهة

ومن جهة اخري فان لسهولة وصول الانسان الى مشتهياته تأثيراً كبيراً على نفسه من حيث انه يضعف فيه الانفة من غشيانها ويميت فيه عامل الاشمئزاز منها . اليك مثالا لذلك : هب ان شابين في درجة واحدة من السن والتهذيب تعلما في مدرسة واحدة وتحت سماء واحدة . أحدهما بعيد عن أسرته لايرى بينه وبين التمتع بأمياله غير مالديه من التهذيب وخشيته من غوائل الفضيحة. واما الآخر فمحاط بأسرته ومهيمن عليه في سائر تصرفاته،دونه حجب وبينه وبين شهواته عقبات ان أزال حجابا بداله غيره وان تخطي عقبة قام دونه سواها فأى هذين الشابين يكون ميله الى الشهوات أشد وكلفه بلذاته اكثر ؟ أليس الاول بالبداهة وبدون تردد ؟ هل تردعه صحته الجسمية وانتظام مجموعه العصبي ؟ ألا تكون تلك الصحة عونا له في تلك الحالة علي غشيان الشهوة واتيانها بكل وسيلة كما هو مشاهد محسوس؟ ان لم يكن الامر كذلك لزم ان يكون كل صحيح الجسم صحيح الفؤاد وهو خلاف الواقع فان كل أصحاب الخلاعة والفسق والفجور هم من الاقوياء الاشداء غالبا . ربما يقال ان هؤلاء لاتهذيب لديهم ، فلو كانوا جمعوا الى صحة الجسم صحة التهذيب العقلي لقام تهذيبهم حاجزاً منيعاً أمام كل شين خلقي . نقول أن المشاهد بالعين ان كثيراً من أصحاب الخلاعة واللهو هم من المهذبين المتنورين ومن بينهم عدد عديد من الذين تلقوا أسس الآداب في أوروبا ومع ذلك فهم أشد غشيانا للشهوات من سواهم. أما تلك التربية التي ترد جماح الانسان عن كل مايخدش وجه الانسانية فلا توجد الا عند أفراد يعبر عنهم بالفلاسفة والحكماء ولايخفاك انها لاتحصل الا بكثرة الدرس واشباع القلب بحقائق الاشياء. وأما السواد الاعظم من الامم فلن يكون لهم نصيب من هذا

التهذيب العالي مطلقا حتي ولا في المستقبل البعيد . أقول هذا وأمامي الحوادث تشهد لي ، ولكل قاريء بصر وبصيرة يستطيع بهما أن يعزز الحق بشهادته

اذا تقرر هـذا فالمرأة المصونة أقل ميلا للشهوات وأقل تفكراً فيهامن سواها يقينا ولا سبيل للجدل في هذه القضية

أما من جهة ضعف الاعصاب وقلة توازن القوي العقلية بسببه فاني أراه لدى نساء الغرب أكثر منه لدى نساء الشرق فان ذلك الضعف العصبي لا يأتي فقط من التحجب والتصون فان اسبابه أكثر من أن تعد، منها الهموم والغموم والافراطات والفقر والفاقة والحب والهيام وغير ذلك. ومن يتصفح أي مجموعة طبية يجد أن ذلك الداء في نساء الغرب اصبح أمراً عاديا . ومع ذلك فان لضعف الاعصاب في الامة علامات كثيرة جداً أهمها كثرة الانتحار فقد اثبت (لومبروزو) وغيره من الباحثين في الجرائم ان الانسان لا يرتكب جريمة القتل او الانتحار وهو صحيح القوى العقلية أبداً . وبما ان صحة القوي العقلية تابعـة لصحة الاعصاب فيكون كثرة الانتحار علامة ترشدنا الي أى العالمين نساؤه أضعف أعصابا

أثبتت مجلة المجلات (مجلد ١١) من الاحصاءات الرسمية في ايطاليا انه حصل فيها من سنة ١٨٨٩ الى سنة ١٨٩٤ أي في مدة ١٠ سنين (٥٦٩) انتحاراً من النساء . وحصل في فرنسا في تلك المدة عينها (٥٨٦٩) انتحاراً من النساء . اذا علمت هذا فأرني الانتحار الذى يحصل ببلادنا الشرقية عموماً والمصرية خصوصاً والى أي سبب نسبت هذا الانتحار مثل الحب او الفقر او غيره فانه دليل حسي على الجبن النفساني وضعف الاعصاب لامحالة اذن فنساء الشرق أقوى أعصابا من نساء الغرب وأقدر منهن على التغلب على أنفسهن وقهرها

واذا كان ميل الانسان للشهوات وعظم قدرته علي كبح نفسه تابعا مباشرة لضعف الاعصاب فيكون الشرقيون كافة أقوي أعصابا من أكثر المتمدنين فان هؤلاء الاخيرين مع ما لديهم من التهذيب المنتشر من سائر طبقاتهم لم يستطيعوا أن يقلعوا عن عادة السكر مع ما فيها من القبح وما تجره عليهم من الويلات الشديدة كل يوم بل كل ساعة على النفس والعقل والمال .

وقس عليها سائر الشهوات النفسية الاخري التى هي لديهم أكثر تشبثًا بالنفوس منها لدى غيرهم

أما قولهم انه مانع من رؤية المخطوبة وبناؤهم كثرة الطلاق وشكاوى النساء على هذا السبب فنرده بقولنا ان الشكاية من كثرة الطلاق وظلم الرجال للنساء ليس خاصًا بالمسلمين بل هو فى بلاد المدنية أكثر منه لدينا فنوجه أنظار القارئ الي مايلي فان فيه الكفاية من هذا الموضوع

أما قولهم انه يمنع المرأة من التهذب والتعلم فليس بصحيح لان البنت تستطيع أن تمكث فى المدارس من السنة السابعة من عمرها الى السنة الثانية عشرة ولا يخفى ان هذه الخمس السنوات كافية لابلاغ عقلها الي درجة طيبة جداً من التهذيب وليس يعزب علي همم الغيورين من الامة أن يوجدوا مدارس عالية تكون كل معلماتها من النساء فيتأتي للبنات أن يحضرنها بدون نقاب في الداخل حتي اذا خرجن منها وضعن على أوجههن الحجاب حتي يصلن الي بيوتهن . واذا اعتلوا بعدم وجود معلمات لهذه الطبقة العالية فذلك يكون من باب التعلل الذي لايقبل فان الهمم تعمل كل شيء لو كان هناك ميل فى النفس . ومع ذلك فمن العبث أن نسعي لعمل كل شيء في وقت واحد . كل عمل لايبدو الا صغيراً ثم ينمو شيئًا فشيئًا حتي يبلغ الكمال التام

اذا تقرر هذا كله فنقول ان الحجاب ليس بمفسد للصحة ولا بمضعف للاعصاب ولا بمثير للاهواء بل هو حاجز مادى دون كثير من المفاسد والمشاين لو أضيف اليه حاجز أدبي يقويه ويساعده علي فعله تلاشت من بين البشر كثير من الويلات التي أصبحت جراحا دامية في جسم تلك المدنية المادية

هل امرأة المدنية المادية هي المرأة الكاملة ؟

ان أقل نظرة فيما قدمناه يكفى للدلالة على ان أصحاب تلك المدنية يعترفون هنا بأن المرأة الكاملة لم توجد لديهم للآن وان الاحوال الاجتماعية التي هم متورطون فيها فضلا عن كونها لم توصل المرأة الى كمالها المنتظر قد ذهبت بها عن وظيفتها مذهبا ينافي ماتستدعيه نواميس الخليقة ومطالب الحياة الطيبة . ونحن لو كنا

ممن يفتتنون بالظواهر المموهة لكننا أول القائلين بلزوم احتذاء المرأة المسلمة حذو تلك المرأة، ولكننا قبل ان نخط حرفا واحدا في كتابة موضوعنا هذا مزقنا كل ستار يحول بيننا وبين حقيقة الواقع ونظرنا للمسألة بعين العلم والطبيعة فرأينا ان للمرأة في الحياة الانسانية شأنا غير شأنها الذى هي فيه الآن . ثم نظرنا فيما كتبه مؤسسو تلك المدنية بأيديهم فوجدناهم يعترفون معنا علنا بهذه الحقيقة الجليلة وانهم يسعون بجميع قواهم في درء كل تلك العلل تدريجا وعلى حسب مايقتضيه ذلك الشكل من التمدن الموقت . ونظن ان ماقدمناه من أقوالهم العديده يكفي لان يوافقنا كل قارىء بأن حقيقة المسألة هي غير ما يراه بعينيه من الظواهر أو يسمعه بأذنيه من المدائح. ولو ذهب بنا الانتصار لرأينا الي حد أن نكذب أصحاب الدار أنفسهم وهم أدرى بأحوالها من سواهم نكون ولاشك قد ارتكبنا أعظم شطط يستدعى نتائج شديدة الالم

على ان المسألة في ذاتها بسيطة ولا تحتاج الى جهاد نفسي للوصول الى لبابها فإن التدبر البسيط في أحوال الكائنات ومراتبها يرينا عيانا ان الله جل شأنه قد وهب كل كائن من الاعضاء والقابلية مايحتاج اليه في أمر معاشه ووظيفته الخاصة التي يرتبط بها كماله وانه قد يستطيع ذلك الكائن أن يخرج عن دائرته الخاصة حينا من الاحيان فتستحسنه العين برهة من الزمان لا لكونه مستأهلا لذلك ولكن لمحبة النفس رؤية الجديد من الاشياء ولكنها لما تعتاد رؤيته قليلا وتقف على عصيانه لاحكام تركيبه تمجه وترى سائر عيوبه مجسمة . مثال ذلك : انا اذا سمعنا انه قد نبغت فينا امرأة سياسية نجد في أنفسنا من البشر والسرور مايحملنا على تحبيذ تلك السياسية الجديدة واعتبارها مثالا كاملا في عالم النساء ونظل نترنح عجبا كلما رأينا خطبة من خطبها في الجرائد ولكن لو نبغ بعدها سياسية وسياسيات وطبيعية وطبيعيات وفلكية وفلكيات ومهندسة ومهندسات واشعرتنا الطبيعة بلسان احداثها ان هنا أمرا ستحدثه علينا من جراء هذا البدع الجديد يتغير في الحال فكرنا ونصبح نائمين على تلك المسترجلات غير راضين عنهن بوجه من الوجوه ! ولكن ماذا يغني تأسفنا في ذلك الوقت ؟

لن يفيدنا شيئاً لان مقتضيات الاحوال تكون حينئذ قد أدخلتنا الى شكل جديد من أشكال الاجتماع ونجد أنفسنا في ملتقى تيارين خطيرين : ان حجرنا على النساء ماهن فيه نكون قد زدنا الشر شراً لان حالنا العمرانية كما قلنا تكون غير ماتتوهمه الآن وان تركناهن في تيارهن استشري الكلم واستعصي الداء وعرضنا أنفسنا الى عين الامراض التي يشكو منها علماء تلك الامم كما نقلناه عنهم فى هذا الفصل

هذا يصح أن يؤخذ مثالا لشأننا وشأن الاوروبيين وذلك انا بمجرد سماعنا ان هنالك مهندسات ودكتورات يأخذنا العجب ويداخلنا البشر فينسيانا مايجب ان نتذكره فنعمل علي احداث مثله حالا غير حاسبين المستقبل حسابا طاعنين على كل من يقاوم تلك الحركة ناسبين اليه التعصب والخضوع لسلطة الوهم والوراثة. ان قلنا لهم ياقومنا ان أولئك الغربيين الذين تستشهدون بأحوالهم قد شبعوا من تلك الدكتورات والمهندسات وسئموا هذه الالقاب بالمرة وبدالهم مالم يكونوا يحتسبون من شر التمرد علي أحكام الكون وانهم قاموا يكتبون وينذرون ويصيحون (وهاهي كتاباتهم وانداراتهم) بوجوب تغيير تلك الحالة تغييراً ذريعاً . ان قلنا لهم ذلك قالوا : ذلك وهم باطل وضرب من ضروب المغالطة فى المناظرة ويذهب بهم الاعجاب بما سمعوه عن نجاح النساء في ضروب المعيشة الى تكذيب كل قائل كائناً من كان

ولكن ماالعمل هذه سنة طبيعية وان شئت فقل فتنة عمرانية تؤثر من الشعوب القوية على الشعوب الضعيفة تأثير السحر وأكثر . حتي ان كثيراً من صفات الشرقيين أصبحت تقليدية محضة لو سألتهم عنها لما وجدوا جوابا .أشيع مثال وأبسطه يمكنك أن تراه في كل لحظة سلام طائفة من الناس بعضهم لبعض بلغة أجنبية لايدرون منها حرفا واحداً ولا يحسنون النطق بها لو تكلفوه . هذا شأن العامة في كل أمة متأخرة ولكن الخاصة يجب أن يترفعوا عن هذا الحضيض وأن يكونوا اعلام هدى يؤوب اليهم التائه وأراكين تقى يعتصم اليهم الهارب من وجه الفتن

تذرع حضرة مؤلف (المرأة الجديدة) بسوء حالة النساء في الشرق بكثرة الطلاق الي الحلة علي عادة الحجاب وتشهيرها

بالاسواء والنصح بلزوم رفعه بحجة أنه علة جل هذه العلل ومثيرها . ولكننا نقول خلاف ذلك . نقول أن الحجاب وحده هو الذي حمي هاته النسوة من الوقوع فى شر مما هن فيه ولولاه لكان شأنهن آحط بكثير مما هو عليه . ونقول بما أن الحجاب حمي المرأة وهي جاهلة حقيرة من شر كثير من أمراض اجتماعية مهلكة سيكون هو نفسه اكبر ضامن لها للتربع في دست وظيفتها الطبيعية وأحجي هاد لنيلها كمالها متي تعلمت ولو تعلما وسطا

لماذا كل هذه الحيرة ؟ أليس الوجود وحوادثه شهوداً عدولا ؟ لو كان كشف الوجه هو الكفيل الوحيد لعدم وقوع النساء فى العلل التى تنسب الى الحجاب لعدمت تلك العلل من الغرب او لكانت فيه قليلة لاتذكر مع ان الامر علي خلاف ذلك فان المطلع على احوال العالم يرى أن تلك العلل التي يشكو منها محررو النساء هى بعينها موجودة في تلك المدنية المادية

أما من جهة الفقر المدقع وسوء الحال الذى يقع فيه النساء فهو في بلاد تلك المدنية أشد منه في بلادنا بشهادة حضرة مؤلف (المرأة الجديدة) نفسه فانه قال ان التعداد الاخير يثبت ان في القطر المصرى يوجد ٦٤٧٣١ امرأة محترفة وأما في فرنسا فيوجد زيادة عن خمسة ملايين امرأة مضطرة للعمل ولو عملنا النسبة بينهما لرأينا أن في كل ١٠٠ امرأة فرنساوية يوجد ١٤ امرأة محترفة وأما في كل ١٠٠ امرأة مصرية فلا يوجد الا نصف امرأة وهذا دليل محسوس على ان أنياب الفاقة فى أحسن بلاد المدنية أشد قسوة على المرأة منها في بلادنا المصرية . وأما قوله عقب هذا ان هؤلاء النساء مضطرات الى العمل بدون أن يكون في أعمالهن ضرر يلحق بأسرهن فمما يعارض البداهة والحس وشهادة العمرانيين انفسهم ونحن في الخلاف فى مثل هذه المسئلة يجب علينا أن نسأل أصحاب الدار أنفسهم من ذوى الدراية بعلم الاقتصاد وقد مر بك قول الفيلسوف الاقتصادي جول سيمون الذي له أكبر الآثار العلمية فى القرن التاسع عشر فانه صاح بملء فيه فى وسط اوروبا بأن المعامل قد سلخت المرأة من أسرتها سلخا وقوضت دعائم الحياة المنزلية تقويضاً . وليس جول سيمون وحده هو الذي أدرك هذه الحقيقة فان سائر العمرانيين

يقولون قوله بدون استثناء. ونحن لزيادة الاقناع نأتي هنا على ترجمة نبذة للعلامة الانجليزي (ساموبل سمايلس) كتبها في كتابه المسمى (الاخلاق) قال حضرته(١) « ان النظام الذي يقضى بتشغيل المرأة في الفابريكا مهما نشأ عنه من الثروة للبلاد فان نتيجته كانت هادمة لبناء الحياة المنزلية لانه هاجم هيكل المنزل وقوض اركان الاسرة ومزق الروابط الاجتماعية . فانه بسلبه الزوجة من زوجها والاولاد من اقاربهم صار بنوع خاص لا نتيجة له الا تسفيل اخلاق المرأة اذ وظيفة المرأة الحقيقية هي القيام بالواجبات المنزلية مثل ترتيب مسكنها وتربية اولادها والاقتصاد فى وسائل معيشتها مع القيام بالاحتياجات البيتية ولكن المعامل تسلخها من كل هذه الواجبات بحيث اصبحت المنازل غير منازل وأضحت الاولاد تشب على عدم التربية وتلقى في زوايا الاهمال وطفئت المحبة الزوجية وخرجت المرأة عن كونها الزوجة الظريفة والقرينة المحبة للرجل وصارت زميلته فى العمل والمشاق وباتت معرضة للتأثيرات التي تمحو غالبا التواضع الفكرى والاخلاقي الذي عليه مدار حفظ الفضيلة »

من هنا يتضح ان الفقر المدقع وسوء الحال بين نساء المغرب أشد منه عند نساء المشرق بما لا يقدر، ويتضح أيضا ان اولئك النسوة بعملهن خارج بيوتهن قد صرن الى حالة يرثى لها ويستعاذ منها وليس لنا ان نكذب اصحاب الدار فى هذا الشأن ولو كان الحجاب سبب سعادة المرأة اوبالاقل مخففا لآلامها لما كان أمر تلك النسوة كما وصفناه هنا مطلقا

اما من جهة كثرة الطلاق فانه أصبح فى اكثر البلاد مدنية ورواء شديد الخطر لدرجة قلق لها عمرانيوهم اشد القلق ولم يستطيعوا وقفها عند حد . واليك احصاء دقيقا بقلم الكاتب الاميريكي الشهير (لو ـ ن) كتبها فى مجلة المجلات الفرنسية (مجلد ٢٥) بناء على طلبها . جاء منه :

« ثبت ان المحاكم في مملكة (مساشوزيت) سجلت فى سنة ١٨٩٤ من اوراق الطلاق (١٦٢٢) ورقة بعد

(١) (ساموبل سمايلس) هذا يعد من اراكين النهضة المدنية الانجليزية وواحداً من كبار محبي رقي النوع الانساني وقد كتب كتبا كثيرة في مواضيع عمرانية مهمة ترجم اغلبها الي اللغة الفرنسية

ان كان في سنة قبلها (٧٧٠) يعني انه آخذ في الزيادة بسرعة . وكان يوجد في هذه المملكة في سنة ١٨٠٧ بين كل (١٠٥) أشخاص زواج واحد فصار في سنة ١٨٩٤ بين كل (١٢٢) شخصاً زواج واحد أعني قل الزواج أيضاً

« اما في مملكة (اوهيو) من الممالك المتحدة أيضاً فانا نجد الارقام المكدرة بعينها فقد سجلت المحاكم في سنة ١٨٦٥ اى قبل ٣٥ سنة (١١٢١٩) زواجا حصل فيها (٤٣٧) طلاقا يعني انه يخص كل ٢٦ شخصا تقريبا طلاق واحد واما في سنة ١٨٩٤ فسجلت المحاكم (٣٠٨٥٨) زواجا وبلغ الطلاق (٢٧٥٣) اى ان في كل (١٢) زواجا ونصف يحصل طلاق واحد

« وشوهد ان عدد الطلاق فيها في مدة عشر سنين بلغ زيادة عن معدله بمقدار (١١٠٠٠) ونقص الزواج عن معدله بمقدار (٨٤٠٨٩) . قال الكاتب عقب هذا الاحصاء مانصه : « ان مملكة (اوهيو) كانت لاتنقص (٩٥٢٠٦) اسرة ان لم تكن الحياة الاميريكية قد انبعث تيار المرأة الجديدة »

وفي (كاليفورنيا) احدي الممالك المتحدة الاميريكية حصل في الفي زواج في سنة ١٨٩٧ (١٤١) طلاقا اي في كل ثلاث عقود طلاق واحد

واليك احصاء رسميا للطلاق في كثير من ولايات الممالك المتحدة بناء على مانقله (لوسن) في مجلة المجلات المؤما اليها :

في مملكة (الكونيكوت) يحصل طلاق واحد في كل عشر عقود

في مملكة (المساشوزيت) يحصل طلاق واحد في كل ٢١ عقد

في مملكة (روسلان) يحصل طلاق واحد في كل ٣٠ عقداً

في مملكة (شيكاغو) يحصل طلاق واحد في كل ٨ عقود

وثبت بالاحصاء ان محكمة شيكاغو تسجل كل سنة (٣٥٠) طلاقا مع ان الاهالي لايزيدون عن (١٣٠٠٠٠) . قال (لوسن) عقب ذلك كله :

فالطلاق ينتشر اذن للدرجة القصوى والمدهش ان (٨٠) في المائة من طلبات الطلاق آتية من قبل النساء مما يثبت أن ليس للرجل الا دور ضعيف في حل عروة الزواج وذلك لان الطلاق يخجله جداً

ولذلك تراه اذا تعب من امرأته يبحث عن سواها ولا يسعى في انفصاله عن الاولى الا اذا طالبته الثانية بالزواج .

وقد وصف هذا الكاتب سهولة الطلاق هناك فقال : « وكثير من الازواج لا يعرفون ان نساءهم طلقنهم الا بعد أن يتزوجن ثانية

اما سبب الطلاق فهو في الغالب هجر الرجال للنساء وتركهن بدون نفقة قال المسيو (لوسن) المتقدم ذكره في المجلة نفسها : « عند افتتاح المحكمة العليا في السنة الماضية (اي سنة ١٨٩٧) في (وستون) ماثت المحكمة ثلاثة ايام متوالية بأناس رجالا ونساء وكلهم يطلب الطلاق فأمضي في الاسبوع الاول (٧٥) طلاقا وكان السبب على العموم في طلبه هو هجر الازواج نساءهم» انتهى

هذا الاحصاء وهذه الشكاوى المرة تثبت ان العلة التي يشكو منها حضرة مؤلف (المرأة الجديدة) موجودة في اعظم البلاد مدنية ورقياً ولو كان سببها الحجاب لما وجدت هناك بهذه الدرجة المخيفة المهددة نقول المخيفة المهددة لانه ليس من شأننا ان ننكر ذلك بعدما شهد بها اصحاب الدار أنفسهم فقد جاء في مجلة المجلات تحت الاحصاء المتقدم هذه الجملة : « فالحرقة الاجتماعية تحترق اذن ولكن ليس من طرفيها فقط بل قد وسعوا في اشعالها من وسطها أيضاً ولا شك عندنا ان المرأة الجديدة هي التي تسعى في هدم الاسرة» انتهى

النظر في ما قدمناه يقنعنا لا محالة بأننا لا ينقصنا الا شيء من التهذيب فقط لازالة كل ما يشتكي منه مع دوام الحجاب لانه الضامن الوحيد لاستقلال المرأة والكافل الفرد لعدم اخراج الرجل لها عن حدودها الطبيعية التي بها سعادتها وبدونها شقاؤها وهلكتها كما اثبتنا ذلك عمرانيا . فبالتربية حتى البسيطة يزول جهل الامهات ويصرن أهلا لاحسان شأن أسرهن وجديرات باعجاب بعولتهن

بهذه التربية تتلاشى كل الارتباكات البيتية او تقل جداً وتصبح الاسرة مهبط السعادة والهناء ومتنسم الرغد وطيب الحياة ودليلنا المحسوس على ذلك ندرة تلك الارتباكات في الطبقات الوسطى المتعلمة من هذه الامة بينما نرى تلك الارتباكات الزوجية في بلاد المدنية المادية آخذة في الانتشار يوماً بعد يوم بشهادة

الاحصاء السابق وغيره مما أضربنا عنه هنا لعدم التطويل ولا مشاحة في أن أولئك المطلقين والمطلقات في بلاد الغرب هم أرقي علماً في الجملة من طبقاتنا التي يندر فيها الطلاق جداً . فاذا كان سبب كثرة الطلاق عندنا جهل النساء وسوء حالتهن فلماذا يحصل الطلاق بين أولئك النسوة الغربيات المتعلمات بتلك الدرجة المهددة بالتلاشي؟ هذه النظرة وحدها تكفى للدلالة علي أن لكثرة الطلاق والارتباكات المنزلية أسبابا أخري غير الجهل وماينتجه الحجاب من المضار

ثم لو كان ترك الرجال لازواجهم بدون نفقة سببه عندنا امتهان الرجل المرأة واعتباره اياها من سقط المتاع كان يجب ان يزول هذا الداء بزوال سببه عند أصحاب المدنية المادية فانهم وخصوصاً عامتهم يدعون أنهم يحترمون النساء غاية الاحترام ويعطونهن أكبر قسط من الاجلال والاعظام . ولكن الاحصاءات تدلنا كما قدمنا أن السبب علي العموم فى طلبات الطلاق هو هجر الازواج لنسائهم بدون نفقة فلأي علة تنسب هذا الاثر السيء ؟ ألامتهانهم النساء وهم كما يدعون يحترمونهن ويضحون أنفسهم من أجلهن ؟ أم لقلة تهذيبهم وهم كما نعلم ليس فيهم عشرة في المئة يجهلون الكتابة والقراءة ؟ اذن وجب أن يكون لهذا المعلول علة غير ذلك

يقولون ان الحجاب مانع قوي من اختيار الرجل المرأة التي تلائمه وحائل دون معرفته بأخلاقها وآدابها ويبنون على ذلك كثرة الطلاق عندنا . نقول :

(أولا) ان الطلاق عند طبقاتنا العليا والوسطي المتنورة يكاد يكون عادما ولو كان سببه عدم اختيار الرجل لطباع المرأة قبل زواجه بها لوجود الحجاب لكان يجب أن يكون الطلاق في هاتين الطبقتين مساويا لمثله فى الطبقة السفلى والمشاهد عكس ذلك

(ثانيا) لو كان اختيار الرجل لطباع المرأة قبل الزواج هو الكافل لعدم الطلاق فهؤلاء أصحاب المدنية الغربية لاحجاب لديهم وحاصلون على تلك النعمة فلماذا يكثر الطلاق فيهم ويزداد لدرجة أثبتت لعقلائهم ان الخطر محدق بهم من جراء ذلك ؟

(ثالثا) اذا كان الزواج الذي يبعث اليه الحب هو الضامن الفرد لبقاء عقد

الزوجية ولا يتأتى حصول هذا الحب الي بنبذ الحجاب فهؤلاء أصحاب المدنية الغربية متمتعون بهذه النعمة ويندر فيهم من يتزوج بدون أن يحب فلماذا يكثر فيهم الطلاق لهذه الدرجة ؟

كل هذه النقط البارزة يجب أن يضعها الباحث المدقق نصب عينيه ليعلم ماهية العلة وكنه سببها ولا يجوزله أن يقنع بهذا بل يلزمه أن يدرس سائر المقتضيات الاجتماعية التي تقتضى تلك الاحوال وأضدادها مع مقارنتها بعضها ببعض وتحليلها تحليلا علميا دقيقا ليصل الى العلة الرئيسية للمرض المفروض. أما نحن فنقول ان كل هذه الاعراض عندنا سببها عدم تهذب المرأة والرجل معاً ونري أن قليلا منه يكفى لتحسين حالتنا الاجتماعية تحسيناً يحسدنا عليه كل الامم ودليلي المحسوس على ذلك قلة وجود هذه الاعراض عند الطبقات المتهذبة ولو ازددنا تهذبا لأتي علينا حين لا يمر بفكر عمرانينا مثل هذه الارتباكات المشوشة فنحن اذن لا نعتبر كل هذه الاحوال الا من قبيل الاعراض السطحية السريعة الزوال التي لا تحوجنا الى سحق جامعتنا وبنائها من جديد ونعتبر الحجاب حافظا رحمانيا حمانا من تأصل هذه الاعراض واستحالتها الي أمراض عضوية في جسمنا الاجتماعي

أما سبب تلك الاعراض فى المدنية الغربية فأمراض عضوية ذات شأن خطير جداً يعوز اصلاحها انقلابات شديدة هائلة كما يقر بذلك كل عالم بما هنالك . كتب العلامة (ايزوليه) أستاذ الفلسفة في مدرسة (كوندرسيه) البارزية في مقدمة كتاب (لابطال وديانة الابطال) للعلامة الفيلسوف (كارليل) الانجليزى يقول :

«ان الازمة الحاضرة شديدة الخطر جداً ومع ذلك فان هذه الحال ليست بأول شفق عم ارجاء اوروبا » ثم استطرد الي شرح ما انتاب اوروبا من الانقلابات الكثيرة التي كانت دائما محفوفة بالاضطرابات الاجتماعية الشديدة ثم استشهد علي لزوم حدوث تلك الانقلابات وما يصحبها من الاضطرابات بقول (كارليل) وهو :

«يجب ان يزول كل تافه وكاذب ويحل محله الصدق أيا كان نوعه وبأي وسيلة كانت سواء كان بسيادة المخاوف او بمثل شدة الثورة الفرنسوية أو بأى شيء آخر فانه يجب أن نعود الي الحقيقة. وهذه الحقيقة

كما قلت لاتأتي الا لابسة ثوبا من نار جهنم لانه لايمكن الحصول عليها الا بهذه الوسيلة

اذا تقرر هذا فمن العجيب ان يوجد منا من لايعلق على هذه الانذارات أهمية ما ويريدون أن نقلد اصحاب هذه المدنية في كل شيء وخصوصا في مسألة النساء مع انها اعظم ماشغل بال علمائهم ونصائحهم حتي انهم ليصيحون في أعظم جرائدهم قائلين : «ان خرقتنا الاجتماعية ليست مشتعلة من طرفيها فقط بل من وسطها أيضاً» كما نقلناه عن مجلة المجلات ويكتبون في أعظم دوائر معارفهم أمثال هذه الجملة : «فكيف الخلاص من هذه الحالة التي تهددنا بسقوط سريع انلم نقل بهبوط لادواء له » كما نقلناه عن دائرة معارف القرن التاسع عشر

فليعلم المسلمون أن وراء هذه الصيحات أموراً كبيرة وطامات عظيمة فليقنعوا بتهذيب بناتهم ولا يخرجوهن عن دائرة الفطرة مهما غير العالمون في مراتب الكائنات وبدلوا وليقفوا وقفة المتفرج من فعل نواميس الحكمة الالهية على المفرطين والمفرطين فان الله جل شأنه يمنحنا هذه الشريعة السمحاء الملائمة لنظام الخليقة سيستشهدنا يوم القيامة على العالمين حيث قال عز شأنه : «وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً»

﴿أي أساليب التعليم﴾

﴿أصلح لحال النساء﴾

نحن بعد أن حللنا مسألة المرأة ذلك التحليل العلمى الذى رأيته في هذا الكتاب ونظرنا اليها من كل أوجهها بنظار العلم الصحيح وعلمنا من ذلك كله ماهية تلك الحالة جيداً وتحققنا ان مالدينا من تلك الاعراض البسيطة لايعوزه الا التهذيب المؤسس على قواعد حكيمة ، وجب علينا أن نبحث عن أحكم أسلوب يؤدي به للمرأة هذا الواجب التهذيبي ونحن لو رأينا ذلك الاسلوب الصحيح عند أية أمة من الامم مهما كانت منافية لنا دينا ودنيا فلا نتأخر عن تقليدها فيه بدون تعصب طاعة لترجمان الحكمة الالهية صلى الله عليه وسلم : « خذ الحكمة ولا يضرك من أى وعاء خرجت» ولكن من جهة أخرى لايليق بنا بناء على هذا التصريح ان نتهافت على أخذ شيء قبل سبر غوره

بمسبار العقل والحكمة عملا بقوله صلي الله عليه وسلم: «المؤمن كيس فطن حذر» فان وجدنا ضالتنا عند أية أمة من الامم أخذناها على الرأس والعين ونكون قد قمنا بواجب دينى عظيم فان «الحكمة ضالة المؤمن يأخذها أني وجدها» وان لم نجدها وجب علينا أن نعمل قرائحنا ومواهبنا في ابتكار ذلك الاسلوب المنطبق علي الفضيلة والفطرة وأن نستنزل على أرواحنا روح الرحمة الالهية لتهدينا الى أحسن السبل وأقومها واني لاأري ان انتقاد أساليب التعليم لدي لامم يستدعي منا كبير تعب فان عقلاء القوم أنفسهم يقرون علنا بأن طرائقهم فى تهذيب النساء جرت عليهم ويلات كثيرة وأنها محتاجة الى تحوير وتبديل عظيمين للغاية. فيكون تقليدهم فيها والحالة هذه ضربا من ضروب عدم التبصر الذي لايغتفر، بل أمر لايقبله العقل أبداً فان عصيان نصائح المجربين ليس معناها الاستسلام الى أشد المصائب والاستهداف لاسنة المحن والنوائب

ونحن لاجل ان نثبت ان طرائق التعليم هناك غير وافية بالغرض ولا منطبقة على أحكام الخلقة النسوية سننتقي أكثر أمم الارض تمدينا وأعلاهن كعبا فى العمران ثم نسأل أعلى علمائها في هذا الشأن ممن لايختلف اثنان فى غيرتهم على أممهم وفي غزارة مادتهم بين أقرانهم

قال الفيلسوف العمراني الشهير (جول سيمون) الذى لايجهل أحد مكانته عند الامة الفرنسية خصوصا وسائر الامم عموما . قال فى مجلة المجلات (مجلد ١٨) : «كان الناس في سنة ١٨٤٨ يشكون من عدم الاعتناء بتهذيب النساء وتربيتهن ولكنهم بالعكس يشكون اليوم من ان ذلك التهذيب قد بلغ حد الافراط . نعم لانشك في أننا خرجنا من تفريط الى افراط هائل»

ثم استطرد بعد ذلك لبيان فساد نتائج ذلك الاسلوب من التعليم الذى يجعل المرأة رجلا وصاح بأعلى صوته قائلا : «يجب أن المرأة تبقى مرأة» ثم سرد بعد ذلك ماطرأ علي الاسر من الفساد كما نقلنا عنه ذلك فى فصولنا المتقدمة. هذا فيما يختص بتهذيب بنات الامة الفرنسية أما الامة الانجليزية فنستشهد على عدم بلوغ أسلوبها في تعليم البنات الكمال المطلوب بما كتبه العلامة الشهير (ساموبل سمايلس)

ذلك الرجل صاحب المؤلفات الجمة التي ترجم اكثرها الي اللغة الفرنسية وغيرها قال في كتابه (الاخلاق) ما يأتي : « ان اعظم ما كانت تمدح به المرأة الشريفة ربة الاسرة عند الرومانيين القدماء هو انها كانت ملازمة بيتها تغزل فيه وقد قيل في عصرنا ان غاية ما يلزم ان تعلمه المرأة من الكيمياء هو ان تعرف حفظ القدر في حالة الغليان ومن علم الجغرافيا معرفة الغرف المختلفة في بيتها . على ان (بايرون) الذي كانت امياله نحو النساء غير سديدة اعترف بأنه يود ان لا يوجد في مكتبتها غير التوراة وكتاب الطباخة. الا ان هذا الرأي بالنسبة لاخلاق المرأة وتهذيبها يعتبر حرجا ضيقا للغاية وغير معقول . هذا من جهة . اما من جهة اخرى فان الرأي المضاد له وهو الشائع الآن جداً يعتبر جنونيا ولا ينطبق على نظام الطبيعة فانه يقضي بتهذيب المرأة لتكون بقدر الامكان مساوية للرجل بلا فرق بينهما الا في الجنس اي مساوية له في الحقوق والاصوات السياسية ومزاحمة له في جميع معارك الحياة الوحشية وحب الذات للتنافس في نيل مركز او قوة او دراهم » انتهي

بقي علينا الامة الامريكية فاليك بالنسبة لعدم صلاحية أسلوبها هي أيضا شهادة الباحث المدقق (المستر لوسن) الامريكي الذي كلفته مجلة لمجلات الفرنسية بكتابة فصل يشرح فيه حالة النساء في الامة الامريكية فلبي دعوتها وكتب لها مقالة طويلة نشرتها في (المجلد ٢٥) فدونك ما جاء فيها بالنسبة لتهذيب النساء . قال بعد أن أطال في شرح حالة المدارس «ولكن هذه المدارس يظهر أنها أنشئت لاجل الشابات اللاتي يردن الشغل بمعلوماتهن ولاجل ان يكن دكتورات واستاذات ولذلك نجد التهذيب فيها ضعيفاً (يعني التهذيب الخاص بالمرأة) ولكن الدراسة قوية . فتراهم يعلمونهن بالتدقيق علوم الكيمياء والطبيعة والرياضة ومع كل هذا فالشابة التي تنال قصب السبق في العلوم والتي تتضلع في جميع مواد البروغرام تكون جاهلة للدرجة القصوى بأبسط النظامات المنزلية» انتهى

هذه اقوال اصحاب الدار فبأي حجة نكذبهم ونصدق غيرهم؟ وعلى هذا فنحن لا نستطيع ان نظل على رأينا الاول من نصيحة المسلمين باتباع اي اسلوب من

هذه الاساليب الغريبة في التهـذيب الا اذا ضربنا بكل هذه الاقوال عرض الحائط واتهمنا كل طاعن على تلك الاسـاليب ولو كان من صميم القوم بالجهل الشائن او سوء النيـة . اذا راق في أعيننا ذلك فهلم نقلد من شئنا ونتشبه بمن اردناه واما ان حمانا حب الحق من ذلك فيلزمنا أن نعتبر بحالهم وندرأ عن أنفسنا ماجره عليهم تسرعهم في شؤونهم لـكي لانقول مثل مايقول جول سيمون : « كنا نشكو من التفريط في التعليم فصرنا نشكو من الافراط فيه »

﴿ مرَّاكش ﴾ هي مملـكة افريقية يحدها شمالا البحر المتوسط وشرقا بلاد الجزائر وغربا المحيط الاتلانتيقي وجنوبا الصحراء الكبرى مساحتها بين ٤٤٠٠٠٠ و٤٦٠٠٠٠ كيلو متر مربع ويقدر عـدد أهلهـا من ٢٥٠٠٠٠٠ الى ٩٤٠٠٠٠٠ والسبب في هذا الخلاف عدم وجود احصاء رسمي لتلك البلاد

اهلها قسمان عرب وبربر فالاولون يسكنون الهضاب والسهول واما الآخرون فيسكنون الجبال وفيها يهود يسـكنون المدن

عاصمتها مراكش وهي مبنيـة على سهل خصب . وفيها مدينة أخري تعتـبر عاصمة ثانية وهي فاس

اما موانئها فهي طنجة والعرايش ورباط الفتح والدار البيضاء ومزغان وموغادور واسبانيا تملك علي شواطئها التى على البحر المتوسط ثغرى سبتة ومليلة

تعتبر مراكش من الوجهة التوبوغرافية امتداداً لبلاد الجزائر وتونس ويمر منهـا جميعاً جبال الاطلس ويبلغ أعظم ارتفاع له في مراكش ٤٥٠٠ متر وهى جبـال تحاذى البحر المتوسط

مراكش مملكة زراعية وتجارية فقد بلغت صادراتهـا في سنة ١٩٠٠ ٤٢٧٧٦٨٧٥ فرنكا من الجـلد والشمع واللوز والفول وزيت الزيتون والصوف والصمغ والبيض . وبلغت وارداتها من القطن والسكر والشاي ٤٠٨٦٦٨٠٠ فرنك

صنائع مراكش قليـلة قاصرة علي الغزل والنسج وصنع الطرابيش والاحرمة الصوفية ودبغ الجلود وعمل الاسلحة القديمة وهي محرومة من السكك الحديدية وجميع الوسائل الحديثة المرقية للصناعة فهى

الآن احط مما كانت عليه ايام دولتها الاولى منذ عدة قرون

المراكشيون ذوو ذكا وجرأة واقدام ولكنهم على الحالة البدوية القديمة لا تجمعهم جامعة مدنية غير العاطفة الدينية وهي قاصرة على حدود معينة من حالتهم الاجتماعية لا تنهض بهم لمجارات الامم في مجالات الحياة العلمية والعملية

نعم ان في مراكش بقية من العلوم العربية القديمة ولكنها قاصرة على العلوم الدينية فلم يظهر لها أثر في حالتهم المدنية رغماً عن ان بلادهم تصلح لايجاد ارقى المدنيات فانها جيدة التربة لا تعوزها المعادن ولا المواد الاولية فهي تنبت الحبوب والارز والبلح والصنوبر والفستق وقصب السكر. وفيها كثير من الاشجار كالبلوط والفلين ومالا يحصي من صنوف الزروع والمعادن حتي قيل انها تسع عشرة اضعاف ما عليها من السكان الآن

كان المؤرخون العرب يقسمون المغرب الى ثلاثة اقسام متميزة وهي . المغرب الادني وكانت قاعدته ء دهم. القيروان وسمي ادني لانه اقرب الى بلاد العرب، والمغرب الاوسط وقاعدته تلمسان وجزائر بنى مزغنان او مزغنة ومملكة المغرب الاقصى . وسمي اقصى لانه أبعد الممالك عن بلاد العرب . اما الآن فالجغرافيون يقسمون بلاد المغرب الى اربع ممالك طرابلس الغرب وقاعدتها طرابلس وتونس وعاصمتها تونس والجزائر وقصبتها الجزائر ومراكش ودار ملكها مراكش وفاس

وكان العرب يطلقون على سكان بلاد المغرب لفظ بربر . قال ابن خلدون ان اسمهم مأخوذ من رطانة لغتهم وان افريقش بن قيس بن صيفى من ملوك التبابعة لما غزا المغرب وافريقية وقتل الملك جرجيس وبنى المدن والامصار باسمه كما زعموا سميت افريقية ولما سمع رطانة اهلها تعجب من ذلك وقال ما اكثر بربرتكم فسموا بالبربر . وقيل غير ذلك

اما موطن هؤلاء البربر فقال ابن خلدون انها المغرب القديمة قال وقد ملأوا البسائط والجبال من تلوله وأريافه وضواحيه وامصاره يتخذون البيوت من الحجارة والطين ومن الخوص والشجر ومن الشعر والوبر ويظعن اهل الغزو منهم والغلبة لانتجاع المراعي فيما قرب من

الرحلة ولا يجاوز فيها الريف الي الصحراء والقفار الملس ومكاسبهم الشياه والبقر والخيل في الغالب للركوب والنتاج وربما كانت الابل من مكاسب أهل النجعة منهم شأن العرب . ومعاش المستضعفين بالفلح ودواجن السائمة،ومعاش المعتزين من أهل الانتجاع والاظعان من نتاج الابل وظلال الرماح وقطع السابلة وأكثر أثاثهم من الصوف يشتملون الصماء بالاكسية المعلمة ويفرغون عليها البرانس الكحل ورؤسهم في الغالب حاسرة وربما يتعاهدونها بالحلق ولغتهم من الرطانة الاعجمية متميزة بنوعها

وقال غير ابن خلدون ان هذا الاسم لم يكن خاصاً بهم بل كانوا يعرفون باسم مازيغ ومعناه حر أو سيد

وقال ابن خلدون أما شعوب هذا الجيل وبطونهم فان علماء النسب متفقون على انهم يجمعهم جذمان عظيمان وهما برنس ومازغيس ويلقب مازغيس بالابتر فلذلك يقال لشعوبه البتر ويقال لشعوب برنس البرانس وهما معا ابنابر ،وشعوب البرانس يجمعها سبعة أجذام وهي ازداجة ومصمودة واوربة وعجيسة وكتامة وصنهاجة وادريغة ، وزاد بعضهم لمطة وهكسورة وكزولة وقد تناسل من هذه الاجذام بطون كثيرة

وقسمهم ابن رشيق الى خمس قبائل وهي غمارة وهوارة وزناتة وصنهاجة ومصمودة

وهذه القبائل تنقسم الي أكثر من ست مئة بطن وفخذ

أما مرجع أنساب هذه الامة فقد اختلف فيه المؤرخون فقال بعضهم انهم من العرب. وقال البعض الآخر ان البربر أخلاف من كنعان والعماليق وانهم من بقية قوم جالوت دخلوا المغرب فحلوا في جبالها وقاتلوا أهلها ثم صالحوهم على شيء يأخذونه منهم من أهل البلاد

وقيل لما قتل طالوت وكانت منازلهم في فلسطين تفرقوا في البلاد ونقلهم افريقش من سواحل الشام وأسكنهم افريقية وسماهم بربراً

وقيل غير ذلك مما يطول بسطه . والمرجح أنهم من فلسطين كما قال مؤرخو اليونان والعرب واليهود ، أو هم جالية هاجرت من آسيا من طريق افريقا الي المغرب

وقد أنكر ابن خلدون كل هذه الاقوال وقال أنهم من ولد كنعان بن حام ابن نوح عليه السلام وان اسم أبيهم مازيغ وكان البربر قبل الاسلام دينهم المجوسية شأن الاعاجم كلها بالمشرق والمغرب الا في بعض الاحيان فانهم كانوا يدينون بدين من تغلب عليهم من الامم . فقد غزاهم ملوك اليمن مراراً فدانوا بدينهم . ولما غزاهم افريقش اختطوا امدنا عظيمة أخربها المسلمون عند الفتح . وكان للبربر في الضواحي وراء الامصار حاميات قوية وملوك ورؤساء وأقيال وكان أمراؤها لا ينالون بذل ولا ينالهم الروم والفرنج وربما كان بعض هؤلاء البربر تدينوا بدين اليهودية عند تعاظم ملك بني اسرائيل فلما ظهر ادريس الاكبر بالمغرب محا جميع ما كان بجهته من الاديان الاخرى. وقد نال عمال بني أمية من هؤلاء القبائل أتعاب عظيمة فطالما خرجوا على الخلفاء وأبادوا الجيوش وأخربوا المدائن وانتشرت بينهم بدع ونحل فمالوا اليها ودانوا بها

ولما ظهرت دولة العبيدية سنة (٢٩٦) ﻫ بظهور أبي عبد الله الشيعي كان ذلك آخر عهد العرب بالدولة في تلك الجهات فانتقل الملك للبربر يتداولونه جيلا بعد جيل تابعين تارة الخلافة الاموية بالاندلس وتارة الخلافة العباسية ببغداد الي أن استقلوا بالدعوة لانفسهم كما سيمر بك

ذكر ياقوت الحموى البربر فقال هم أجفى خلق الله واكثرهم طيشا واسرعهم الى الفتنة واطوعهم لداعية الضلالة واصغاهم لنمق الجهالة . ولم تخل اجيالهم من الفتن وسفك الدماء قط ولهم أحوال عجيبة واصطلاحات غريبة فكم من ادعي النبوة فقبلوا وكم زاعم فيهم انه المهدى الموعود به فأجابوا دعوته ولمذهبه انتحلوا ، وكم من ادعي فيهم مذهب الخوارج فالي مذهبه بعد الاسلام انتقلوا ثم سفكوا الدماء المحرمة واستباحوا المنكرات ونهبوا الاموال وغير ذلك من القبائح

هذا قول ياقوت وفيه من الغلو والتحامل مافيه فلا يوجد في العالم أمة بأسرها تجردت من جميع الفضائل وانتحلت كل الرذائل . وقد نسي ياقوت ان في البربر الحماسة والقوة والنجدة والشجاعة التي لاتقف عند حد. و ما ماذكره من سرعة انتقالهم من مذهب الي مذهب وانتحالهم لمقالة كل داع يظهر فيهم الي بدعة فذلك

يدل على حياة شعورهم وعدم جمودهم فهم أفضل من أمم تجمد على مالديها ولا تبغى عنه حولا مهما ظهرت لها من الدلائل على فساده فلو كان تولى البربر دعاة بررة ومصلحون من أولى البصائر لانتقلوا الى الدرجات العلى من المدنية والآداب العالية ولكنهم كانوا يرزقون في الغالب دعاة من ذوي الاطماع فيقودونهم الى المنكرات وفى نظرنا لو كان صادف هؤلاء البربر حكومة تنظم شؤونهم وتدبر أمورهم وتنشىء وسائل العمران في بلادهم لارتقوا بموجب حبهم للتغيير الى مقاوم الرفعة الاجتماعية في سنين معدودة

(تاريخ مراكش) عرف الفنيقيون بلاد المغرب الاقصي قبـل المسيح بنحو ١٥٠٠ سنة وكان يحكمها اذ ذاك ملوك من أهلها

ثم استولى القرطاجيون عليها فكان لهم في ثغورها أساطيل وفي عدة من مدنها حاميات وجنود

ولما اتسعت أملاك الدولة الرومانية وورثت قرطاجـة علي بلادها دخلت فى حوزتها مراكش أيضا سنة (٤١) ميلادية في عهد الامبراطور قلوديوس فسموها موريتانيا

ولما انقسمت الدولة الرومانية فى القرن الرابع الى قسمين حدث في مراكش عدة ثورات غرضها التخلص من سيطرة الرومان

وفي سنة (٤٢٩) كان واليها من قبل الدولة الرومانية يدعي بونيفاس فوشي ابن خصم له من رجال الدولة يدعي ابسيوس الى الملكة ابلاكيديا النائبة عن ابنها الصغير فالنتنيانوس الثاني . فأرسلت هذه الملكة تدعو بونيفاس اليها فأرسل اليه خصمه سراً من يعلمه بأن الملكة عزمت علي الايقـاع به ويغريه على التخلص منه بشق عصـا الطاعة فأعلن بونيفاس العصيان واستعان بقبائل الفنداليين المتوحشين باسبانيـا علي الرومانيـين فلبي ملكهم جنزريك هذه الدعوة فرحا بما سبق اليه من المغانم فنزل من جبل طارق بأربعين الف مقاتل وضم اليه كل من يكره الرومانيين

فلما رأت الملكة ابلاكيديا ماجر اليه تهورها أرسلت تعفو عن بونيفاس فاجتهد هذا في اصلاح ماحدث فأرسل الى جنزريك يأمره بالعود وأخذ يتهدده ويتوعده فاحتقر القائد الفندالي هـذه التهديدات

وانساح في البلاد بجيوشه فتحصن بونيفاس في احدى المدن المنيعة وتمكن من صد هذه القبائل نحو ١٤ شهراً وفي هذه الاثناء أرسلت الدولة الرومانية أسطولا وجنوداً لمساعدة بونيفاس فلم يغن ذلك شيئا في صد الفنداليين عن غرضهم فترك بونيفاس افريقية سنة (٤٣١) م واستولى الفنداليون على هذا الاقليم كله

ثم أغار جنزريك على المدن التي كانت تابعة للرومانيين بافريقية فلم يبق لتلك الدولة شيئًا بهذه القارة واتخذ الفنداليون السفن في البحر المتوسط واحتلوا أعظم جزائره . وحرض جنزريك الوزيغوط على محاربة الرومانيين في المغرب والاستروغوط على محاربة الرومانيين في المشرق ثم تقدم جنزريك بنفسه على رأس جيشه واستولى على رومية واستباحها خمسة عشر يوماً وأسر من أهلها نحو ستين الفا منهم زوجة الامبراطور فالنتيانوس وبنتاها وبقي جنزريك أكثر من عشرين سنة قاهراً لتلك البلاد تهدمنه مملكتا الشرق والغرب الرومانيتين

وفي سنة (٤٧٧) مات جنزريك فاضطربت البلاد المغربية فانتهز الرومانيون هذه الفرصة وأرسلوا قائدهم بليزير الى افريقية الغربية فأعادها الى حكم قياصرة القسطنطينية سنة (٥٤٤) وما زالت بلاد افريقية تابعة لدولة الرومان الشرقية حتي ظهر الاسلام وانتزعها منهم

(الدول الاسلامية التى قامت بمراكش) لما فتح عمرو بن العاص مصر تقدم بجيوشه سنة (٢١) ه وافتتح برقة وصالحه أهلها على الجزية ثم تقدم الى طرابلس واستولى عليها بعد أن حاصرها وافتتح صبرة ثم استأذن عمر أمير المؤمنين في التقدم الى افريقية فمنعه فعاد الى مصر

ولما تولى عثمان بن عفان ولى عبد الله ابن أبي سرح على مصر فسار الى افريقية (أي بلاد المغرب) سنة (٢٦) هجرية لغزوها بأمر أمير المؤمنين فسار عبد الله بجيش يبلغ عدده ١٠٠٠٠ مقاتل فصالحه أهل افريقية على مال يؤدونه ولم يجرأ على التوغل فيها

ثم عاد عبد الله بن أبي سرح فاستأذن عثمان في العود الى فتح أفريقيـة فأذن له وجهز له جيشاً فيه جماعة من الصحابة وساروا مع عبد الله بن سعد سنة (٢٦)ه ولقيهم عقبة بن نافع ومن معه في برقة

فساروا جميعاً الي طرابلس فأوقعوا بجيش للرومانيين فيها ثم تجاوزوها الى افريقية وبثوا سراياهم في كل ناحية وكان على تلك البلاد حاكم من قبل الرومانيين يدعي جرجير يملك مابين طرابلس وطنجة تحت ولاية هرقل ويحمل اليه الخراج فلما بلغه الخبر جمع ١٢٠٠٠٠ من الجنود وتقيهم قريباً من سبيطلة دار ملكهم فدعوه الى الاسلام أو الجزية فاحتقر دعوتهم فقاتلوه وهزموه بعد أن قتل من جنوده عدد كبير منهم جرجير نفسه . ثم حاصر ابن أبي سرح سبيطلة ففتحها وبعد وقائع كثيرة صالحه أهل افريقية علي الفي الف وخمس مئة الف دينار

ثم رغب الزنج والبربر في السلم وطلبوا الصلح وشرطوا لابن أبي سرح ثلاث مئة قنطار من الذهب علي أن يرحل عنهم بالعرب الذين معه تفاديا من دوام غاراتهم ففعل

ولما بلغ هرقل امبراطور الرومان أن أهل افريقية صالحوا المسلمين بذلك القدر الجسيم من المال غضب وبعث بطريقا يأخذ منهم مثل ذلك فامتنعوا فحاربهم وهزمهم وطرد الملك الذي ولوه عليهم بعد جرجير

ثم لما تولى معاوية بن أبي سفيان ولى المغرب معاوية بن خديج السكوني وأرسل معه جيشاً وذلك سنة (٤٥) ه فقاتل الرومان وقهرهم رغماً عن توالي المدد عليهم . وتقدم معاوية بن خديج ففتح سوسة وغيرها ثم وجه جيشا في البحر الى سقلية في مئتى مركب فأثخنوا فيها . ثم فتح بنزرت وظهر الاسلام في البربر ثم عاد الى مصر بعد أن خلد آثاراً حسنة . ثم عزله معاوية بن أبي سفيان عن المغرب وقصره على مصر وولي المغرب عقبة بن نافع الفهري سنة (٥٠) ه استقلالا وبعث معه عشرة آلاف فارس فدخل عقبة افريقية وانضم اليه من أسلم من البربر فوضع السيف في أهلها لأنهم كانوا اذا جاء عسكر المسلمين أسلموا فاذا تولوا عنهم ارتدوا

ثم رأي عقبة أن يتخذله عاصمة فبنى القيروان وخلفه على المغرب ومصر مسلمة بن مخلد الانصاري فاستعمل على افريقية مولاه أبا المهاجر دينار سنة (٥٥) فقدم القيروان ولم يشأ أن ينزل بها لشيء كان بينه وبين عقبة وحاربه أحد كبراء

البربر واسمه كسيلة الاوربي فظفر مسلمة بخصمه فأظهر الاسلام فاستبقاه فكان مسلمة اول امير مسلم وطئت خيله المغرب الاوسط

ولما توفي معاوية بن ابي سفيان وتولى ابنه يزيد بعث عقبة بن نافع واليا علي المغرب سنة (٦٢) ﻫ مرة ثانية فلما قدم القيروان استخلف زهير بن قيس البلوى على القيروان وخرج في جيش كثير ففتح بلاد الجريد فتحا ثانيا وصالح أهل فزان وسار الي الذاب وتاهرت فشتت جموع البربر والفرنج ثم تقدم الى المغرب الاقصي فأثخن في اهله الي أن وصل الي البحر المحيط فكان عقبة أول أمير وصلت خيله الى المغرب الاقصى واذعن له امير غمارة المسمي يليان ودله على عورات البربر وبلاد المصامدة والسوس فتوجه عقبة نحوهم وكانوا علي دين المجوسية فنزل علي مدينة وليلي وهي من أكبر مدن المغرب اذذاك فافتتحها ثم توجه الى بلاد السوس وهزم البربر واتبعهم الى صحراء لمتونة ثم عطف عقبة على ساحل البحر المحيط فانتهي الى بلاد اسفي وادخل قوائم فرسه في البحر ووقف ساعة ثم قال لاصحابه ارفعوا أيديكم ففعلوا فقال اللهم اني لم أخرج بطراً ولا أشراً وانك تعلم انما نطلب السبب الذى طلبه عبدك ذو القرنين وهو أن تعبد ولا يشرك بك شيء ، اللهم اننا مدافعون عن دين الاسلام فكن لنا ولا تكن علينا ياذا الجلال والاكرام . ثم انصرف راجعا

وكان كسيلة الاوربي في جيش عقبة وكان يستهين به مخلفا وصية ابي المهاجر فلما رجع من غزوته هذه صرف العساكر الى القيروان أفواجا وبقي في قليل من جنوده فطمع فيه أعداؤه وراسلوا كسيلة واتبعوا عقبة وأصحابه حتي اذا أدركوهم ترجل جماعة عقبة وكسروا أجفان سيوفهم وما زالوا يقاتلون حتى قتلوا عن آخرهم أنفة من التسليم للعدو وكانوا نحو ثلاث مئة من الصحابة والتابعين ولا تزال مقابرهم الي الآن بتلك الجهات تزار . وبعد الوقعة زحف كسيلة على القيروان وبها جمهور العرب وأمراء الاسلام فقام زهير بن قيس البلوى فيهم خطيبا محرضا اياهم على القتال فخالفه حنش بن عبد الله الصنعاني لانه رأي ان لاطاقة للمسلمين علي مدافعة البربر وأن النجاة أولي له فنادي في الناس بالرحيل

فاتبعوه الا قليلا منهم وبقي زهير في أهل بيته ثم اضطر الى الخروج وسار الى برقة فأقام بها مطلا علي المغرب ومنتظراً المدد من الخلفاء

أما كسيلة فاجتمع عليه جميع أهل المغرب من الفرنج والبربر فعظم أمره واستولى على القيروان سنة (٦٤) وفر منها بقية العرب فلحقوا بزهير ولم يقم بها الا المرقرون بالعيار فأمنهم كسيلة واستمر حاكما على البربر خمس سنين ووافق ذلك موت يزيد وفتنة الضحاك بن قيس وحروب آل الزبير واضطراب أمر الخلافة حتي استقل عبد الملك بن مروان بالملك وقلم أظفار الفتن فالتفت الى المغرب فبعث الى زهير وكان لايزال ببرقة منذ هلاك عقبة فأرسل اليه مدداً وولاه حرب البربر وحضه علي الطلب بدم عقبة فزحف زهير بجيشه فلقيه كسيلة بجميع البربر بمكان يقال له ممس بجوار القيروان فانهزم بعد قتال عنيف وقتل من البربر من لايحصى لهم عدد واتبعهم العرب الى وادي ملوية وفي هذه الواقعة ذل البربر وفنيت منهم أكثر الرجال واضمحل أمر الفرنج وخافوا من العرب أشد الخوف فالتجأوا الي الحصون وقلل الجبال وهاجر جمهورهم الي المغرب الاقصى وملكوا مدينة وليلى ولم يكن لهم بعد هذه الوقعة ذكر الى أن قدم عليهم ادريس بن عبد الله فقاموا بدعوته

وفي أثناء رجوع زهير عن المغرب وجد أسطولا للرومان يقاتل برقة وبأيديهم أسراء من المسلمين فاستغاثوا بزهير وهو في قليل من جنوده فقاتل الرومان حتي قتل وقتل جمهور ممن معه ونجا الباقون الى دمشق فاضطربت أحوال المغرب وعادت اليها الفتن وتعددت ملوك البربر وكان من بينهم ملكة يقال لها داهية كانت تدعي الكهانة وعلم الغيب فبعث عبد الملك ابن مروان الى عامله على مصر حسان بن النعمان الغساني يأمره بجهاد البربر فزحف في أربعين الف مقاتل ودخل القيروان ثم خرج يريد قرطاجة وكانت أعظم مدن المغرب فافتتحها وكانت منيعة وبها عدد كبير من الرومان فقتل أكثر من بها وفر الناجون الى السفن وأمر بتخريبها

ثم تقدم وتقابل مع الفرنج والبربر عند بنزرت فهزمهم ثم قصد الملكة داهية وزحفت هي اليه فالتقيا أمام جبل أوراس حيث مسكنها فانهزم المسلمون وقتل

منهم خلق كثير ولم تزل الكاهنة والبربر في تعقب حسان حتى خرجوهم من عمل قابس ولحق حسان بعمل طرابلس فصادفه هناك كتاب عبد الملك يأمره بالمقام حيث يصله كتابه فأقام ببرقة وبنى بها قصوره المعروفة وأخذت الملكة داهية في اخراج العرب من بلاد المغرب وأمرت بتخريب الحصون والمزارع والمراعي والمدن لقطع أطماع العرب وكانت شيأ يفوق الحصر فخربت ديار المغرب وذهب جمالها فشق ذلك علي البربر واستأمنوا على حسان فلما وصل اليه المدد أعاد الكرة على الملكة داهية سنة(٧٤) فأوقع بها وبجموعها وقتلها واقتحم جبلها عنوة واستأمن اليه من سلم من القتل ثم أسلموا فانصرف حسان الي القيروان وقد ثبت ملكه واستقام أمره فدون الدواوين وكتب الخراج على عجم أفريقية ومن أقام معهم علي النصرانية من البربر وفي هذه الاثناء أوعز اليه عبد الملك بأن يتخذ داراً لصناعة السفن واستمر حسان واليًا على المغرب الى أن عزله عبد الله بن مروان صاحب مصر وكان أمر المغرب اذذاك اليه فاستخلف على المغرب رجلا من خاصته ورجع الى المغرب بما جمعه من نفائس الذخائر وروائع السبي

لما رجع حسان عن المغرب كثرت فيه الفتن فكتب الخليفة اذذاك وهو الوليد ابن عبد الملك الى عمه عبدالله بن مروان صاحب مصر أن يبعث بموسى بن نصير الى افريقية فبعثه عبد الله فقدم القيروان وبها صالح خليفة حسان فعزله ورأى ان البربر قد طمعوا فى البلاد فوجه البعوث الى النواحي وبعث ابنه عبد الله في البحر الى جزيرة ميورقة فغنم وسبي ثم خرج موسى غازيا وتتبع البربر وتوغل فى جهات المغرب حتي انتهي الي السوس الادني ثم تقدم الى سبتة فصانعه صاحبها يليان وأذعن لاعطاء الجزية وكان نصرانيا فأقره عليها واسترهن ابنه وأبناء قومه على الطاعة ثم غزا طنجة وافتتح درعة وصحراء تافيلالت سنة(٨٠)هـ وولى على طنجة طارق ابن زياد الليثي وأنزل معه ٢٧٠٠٠ من العرب و ١٢٠٠٠ من البربر ثم حدث بعد ذلك فتح الاندلس

اما البربر فلم يستتب أمرهم ويثبتوا على الاسلام حتي عبر عيسي بن نصير البحر الي الاندلس وأجاز معه كثيراً من

رجالات البربر برسم الجهاد فاستقروا هناك واستقر الاسلام بالمغرب وأذعن البربر لحكمه وتناسوا الارتداد

ولما رجع موسي بن نصير الى المشرق ونكبه الخليفة سليمان بن عبد الملك وعزل ابنه عبدالله عن المغرب ولى مكانه محمد بن يزيد وأمره باستئصال آل موسي بن نصير وانضاب معين ثروتهم ففعل وكان ذلك سنة (٩٧) ه

كان محمد بن يزيد هذا عادلا حسن الحكومة قاتل المخالفين بثغور المغرب ولم يزل واليا عليها حتى مات في ولايته وبعدها صارت بلاد الاندلس تابعة فى الحكم لعامل افريقية

فلما تولى عمر بن عبدالعزيز ولى على المغرب عبدالله بن أبي المهاجر فقدم القيروان سنة (١٠٠) ه وكان من خيرة الولاة أسلم علي يده جميع البربر وبث فيهم من علمهم الدين

ولما تولي الخلافة يزيد بن عبدالملك ولى علي المغرب يزيد بن أبي مسلم مولى الحجاج الثقفي المشهور فأساء السيرة ووجه عنبسة بن اسحم الكلبي واليا من قبله على الاندلس . ثم ثار أهل المغرب على أبي مسلم فقتلوه وولوا عليهم محمد بن يزيد ثانية وكان يغزو صقلية (سيسيليا) وكتبوا الي الخليفة يعلمونه بما فعله يزيد الثقفي وما فعلوه به فأقرهم على ذلك

ثم ولى عليهم بشر بن صفوان الكلبي وكان واليا علي مصر سنة (١٠٣) فمهد أمر المغرب واستصفى بقايا آل موسى ابن نصير ثم وفد على يزيد بن عبدالملك فوجده قد مات وبويع لهشام بن عبد الملك فرده هشام الى عمله

ثم غزا بشر بن صفوان صقلية سنة (١٠٩) ولما مات ولي الخليفة علي المغرب عبيدة بن عبد الرحمن السلمي سنة (١١٠) وكان له النظر في المغرب والاندلس معا

ثم عزل عبيدة وولى بدله عبيدالله بن الحبحاب وكان رئيسا جليلا وخطيبا مفوها وكان قبل ذلك واليا على مصر فوصل القيروان سنة (١١٤) واستعمل على طنجة والمغرب الاقصى عمر بن عبيدالله المرادى وعلى السوس وما وراءه ابنه اسماعيل . وهو الذى بني جامع الزيتونة بتونس وقيل هو الذي أتمه أما أول من خطه فكان حسان بن النعمان واتخذ دارا لصناعة السفن

بتونس أيضاً وله غزوات في بلادالسودان وجزيرة صقليةفافتتح سرقوسةوكان واليه على طنجةقدأساء السيرة في برابرة المغرب الاقصى وكثر عبثه فيأحوالالبربرفشقوا عصا الطاعة وجرأهم على ذلك مسير الجنود الي صقلية وكانت بدع الخوارج يومئذ قد سرت فيالبربر وتلقنها رؤوسهم عن عرب العراق الذين هاجروا الى المغرب فكان هذا من أكبرالبواعث في انتقاض البربر على العرب وكان رئيس الخوارج بتلك الجهات يدعى ميسرة المضفري المعروف بالخفير فجمع الجموع وزحف علي عمر بن عبيد الله بطنجة فقاتله وقتله سنة (١٢٢) وولى عليها من قبله عبد الاعلى بن جريج الافريقي ثم قتله عامل السوس اسماعيل ابن عبيدالله . وكان ميسرة المذكور لما استولي على طنجة قد بايعه البربر بالخلافة ففشت بدعة الخوارج في جميع قبائل البربر ولم يتمكن ابن الحبحاب من ابطال أمر ميسرة ولكنه لما أساء السيرة في البربر قتلوه وولوا عليهم بدله خالد بن حبيب الزناتي فقوي شأنه فأرسل عليه عامل المغرب جيوشاً فانهزمت فتم بذلك انتقاض جميع البربر على ابن الحبحاب فعزله الخليفة هشام بن عبد الملك وولى مكانه كلثوم ابن عياض القشيري ووجه معه جيشاً كثيفاً فقاتل الخارجين في وادي سبو من اعمال طنجة فقتل كلثوم وكثير من قواده وتشتت جيشه في مصر والقيروان والاندلس

فوجه هشام بن عبد الملك حنظلة ابن صفوان الكلبي واليا على المغرب سنة (١١٤) فزحف اليه الخوارج تحت قيادة عكاشة وعبد الواحد فهزمهم حنظلة وقتل رؤساءهم ثم تعقب البربر في كل مكان فاستقامت له الامور في المغرب على ولائه حتي تطرق الخلل الى الخلافة الاموية بما حدث في بني أمية من فتنة الوليد وما كاد من أمر الشيعة والخوارج مع مروان الحمار فظهر صالح بن طريف البرغواطي الذي ادعي النبوة وكان من أهل العلم والخير . فأمر أتباعه بصيام شهر رجب وافطار رمضان وفرض عليهم عشر صلوات خمساً بالليل وخمساً بالنهار وقرر الاضحية على كل فرد في الحادي والعشرين من المحرم وشرع لهم في الوضوء غسل السرة والخاصرتين وأمرهم أن لا يغتسلوا من جنابة الا من حرام وأمرهم أيضاً أن يقتصروا من الصلاة بالايماء دون السجود

ولكنه قرر لهم أن يسجدوا في آخر كل ركعة خمس سجدات ويقولون عند تناول الطعام والشراب باسمك كسراى وزعم أن تفسيره بسم الله . وأمرهم أن يخرجوا العشر من الثمار وأباح لهم أن يتزوج الرجل من النساء ماشاء ، ولا يتزوج من بنات عمه وأباح لهم الطلاق والمراجعة ولو ألف مرة في اليوم فلا تحرم المرأة على أحدهم بشيء من ذلك . وأمرهم بقتل السارق حيث وجد وزعم أنه لايطهره من ذنبه الا السيف وقرر ان الدية تكون من البقر وحرم عليهم رأس كل حيوان وكره أكل الدجاج وجعل قدوتهم فى الاوقات الديكة وقرر أن من ذبح ديكا فعليه عتق رقبة وأمرهم أن يلحسوا بصاق ولأنهم تبركا فكان يبصق في أكفهم فيلحسونه ويحملونه الى مرضاهم فيستشفون به . ووضع لهم قرآنا يقرأونه في صلواتهم ومساجدهم زاعما انه أوحي اليه وكان قرآنه ثمانين سورة منها سورة الجمل وسورة الديك وسورة الحجل وسورة الجراد وسورة ابليس وسورة غرائب الدنيا وفيها علي مازعمون العلم كله . وسمي نفسه بصالح المؤمنين وزعم انه المذكور بهذا الاسم في القرآن الكريم . وزعم انه المهدي الاكبر الذي يخرج في آخر الزمان وأن عيسي يكون صاحبه ويصلى خلفه وأن اسمه بالعربية صالح وبالسريانية مالك وبالفارسية عالم وبالعبرانية روبيل وبالبربرية واربا ومعناه الذى ليس بعده نبي . ثم خرج الى المشرق بعد أن ملك سبعا وأربعين سنة ووعدهم بأنه سيرجع اليهم في دولة السابع منهم وأوصى بنيه بالتمسك بدينه فتوارثوا هذه الديانة بعده الى أن جاءت دولة المرابطين فمحوا أثر هذه البدع

وكان ظهور صالح بن طريف سنة (١١٢) في خلافة هشام واستمرت الى سنة (٤٦٢) أى الى ظهور دولة المرابطين أو الملثمين كما قدمنا

نرجع الى ذكر تاريخ المغرب الاقصي فنقول :

ان عبد الرحمن بن حبيب من آل عقبة بن نافع استولى على المغرب قهراً وهرب حنظلة الى الشرق وكان عبد الرحمن أول متغلب على بلاد المغرب

ولما ولي مروان الحمار الخلافة بعث اليه بعده وكان أمر البربر يومئذ قد تفاقم فانتقضوا من جميع البقاع وتواثبوا من

الاطراف بكل مكان فزحف اليهم عبد الرحمن وفل جموعهم واستأصل الثوار وانقطع أمر الخوارج من أفريقية سنة (١٣٥) ثم أغزى جيشاً فى البحر جزيرة صقلية وآخر سردينيا فأثخنوا في أمم الفرنج حتي أذعنوا لدفع الجزية. وهو الذى أراد قتل عبد الرحمن الداخل الاموي لما تلاشت الخلافة الاموية فلم ينل غرضه اذ هرب منه. وما زال أمر عبد الرحمن رائجا بالمغرب حتي انتظم أمر الدولة العباسية وبويع المنصور وكتب الى عبدالرحمن بالطاعة والبيعة فأجاب ودعا له ثم خلع طاعته فتآمر عليه الجنود وقتلوه سنة (١٣٧)

فتغلب بعده اخوه الياس الي سنة (١٣٨) وتولي بعده حبيب بن عبد الرحمن وفى هذه السنة خرجت الاندلس عن طاعة المغرب واستقل بها عبد الرحمن المرواني ثم قتل حبيب عبد الرحمن سنة (١٤٠) وبموته انقرض آل عقبة من المغرب

فاستولى من بعده على المغرب عبد الملك بن ابي الجعد وتعقب العرب بالقتل واستطال البربر على اهل القيروان وقتلوا من بها من العرب واستحلوا جميع المحرمات وتشتت أهل القيروان في الجهات فأخذت الحمية عبد الاعلى بن السمح المعافرى وكان اباضياً وهو من رجالات العرب وشايعه بربر طرابلس وزحف بهم على طرابلس ففتحها وملك القيروان سنة (١٤١) فعظم شأنه وتسامع به العرب فأتوا لنجدته وكاتب الخليفة المنصور بما حصل يستحثه على ارسال الجنود وفى خلال ذلك ظهرت دولة بني مدرار (١) ووفد جماعة على الخليفة

(١) دولة بني مدرار تأسست من سنة (١٤٠ الى ٣٦٦) وذلك أنه لما حدث هذا الاضطراب بالمغرب اجتمع الصفرية من مكناسة فنقضوا طاعة العرب وولوا عليهم عيسي بن يزيد الاسود واختطوا مدينة سجلماسة ودخل سائر اهل مكناسة فى دينهم ثم أن هؤلاء الخارجين نقموا على عيسى وقتلوه وولوا عليهم أبا القاسم المكناسي سنة (١٥٥) وكان يخطب للمنصور ثم للمهدي ولما مات سنة (١٦٧) ولوا ابنه الياس ثم قام من بعده عدة أمراء حتي وصل الامر الي اليسع بن المنتصر سنة (١٧٠) وفي أيامه قدم عبد الله المهدى أول خلفاء العبيديين وابنه أبو القاسم بن المشرق فدخلا سجلماسة متنكرين وكان

المنصور واستصرخوه على الخوارج وشكوا اليه تهافتهم على كرسي الامارة بالقيروان فوجه المنصور محمد بن الاشعث بنفسه الى المغرب في اربعين الفا وتلاقى مع ابي الخطار قريبا من طرابلس فأوقع به ابن

الخليفة المعتضد العباسي، قد أوعز الى اليسع بالقبض عليها فأودعها السجن الى ان جاء الداعي لهما ابو عبدالله الشيعي فاقتحم سجلماسة وأخرجهما من السجن وقتل اليسع سنة (٢٩٦) . ومن أشهر أمرائهم الشاكر بالله رفض الخارجية ونادى بالدعوة العباسية واخذ بمذهب اهل السنة وكان غاية في العدل . بقي حتي زحف جوهر الكاتب قائد المعز العبيدى على المغرب الاقصى سنة (٣٤٧) فتغلب علي سجلماسة وفر الشاكر ثم قبض عليه. ثم لما انتقض المغرب علي الشيعة ودنت زناتة لطاعة الحكم المستنصر صاحب الاندلس خرج بسجلماسة شخص من ولد الشاكر بالله وتلقب بالمنتصر بالله ثم قتل سنة (٣٥٢) وما زال الامراء من بني مدرار يتولون عمل سجلماسة الى ان انقرضت دولتهم سنة (٣٦٦) وآخرهم ابو محمد المعتز

الاشعث وقتله وضبط المغرب وخافه البربر ثم ثار عليه الجنود فقفل الى المشرق سنة (١٤٨) . وفي ولايته قامت بمدينة تاهرت دولة ابن رستم واستقلت عن نظر ولاة المغرب وكان يسلم على أمرائها بالخلافة ثم انقرضت علي يد العبيديين في أواخر المئة الثالثة

لما رجع ابن الاشعث الى المشرق وعلم المنصور ذلك أرسل الى الاغلب بن سالم التميمي بعهده على المغرب سنة (١٤٨) وهو جد الاغالبة ملوك افريقية وكان من ذوى الشجاعة والرأي ومن اصحاب ابي مسلم الخراساني الذي قام بالدعوة للعباسيين كان واليًا على طنجة من بلاد المغرب ولاه عليها ابن الاشعث فانتقل الي القيروان واستقام أمره وما زال يقاتل الخوارج حتى قتل سنة (١٥٠)

فوجه المنصور عمرو بن حفص أخا المهلب بن ابي صفرة واستقام له الامر في أول ولايته ثم ثار البربر عليه بأفريقية وعمت الثورة أطرافها وحوصر عمرو بن حفص بالقيروان . ولما بلغه ان المنصور وجه لاستنقاذه ابن عمه يزيد بن حاتم أنف من ذلك وقال لاخير في الحياة بعد

ان يقال يزيد اخرجه عن الحصار انما هي رقدة ثم أبعث الى الحساب . وخرج فقاتل حتى قتل سنة (١٥٤)

ثم قدم يزيد بن حاتم بن المهلب في ستين الفا ولما بلغه خبر عمرو بن حفص عزم على الاستبسال والتقى مع البربر بنواحي طرابلس فهزمهم وقتل رؤساءهم سنة (١٥٥) ودخل القيروان فهدها ورتب أمورها وأفرد لكل صناعة مكانا وجدد بناء جامعها وضبط الامور أحسن ضبط وضعف أمر الخوارج واستمر يزيد بن حاتم حاكما على المغرب الى أن توفي سنة (١٧٠) في خلافة هرون الرشيد

فولى الرشيد أخاه روح بن حاتم فقدم القيروان سنة (١٧١) فوجد البلاد هادئة فبقي واليا الى أن مات سنة (١٧٤)

ثم تولي المغرب من بعده حبيب بن نصير المهلبي ثم الفضل بن روح بن حاتم وقتل سنة (١٧٨) وبه انقرضت دولة آل المهلب من المغرب

ثم ولى هرون الرشيد هرثمة بن عيسى فلما رأى من بالمغرب من كثرة الثوار استعفى الرشيد فأعفاه

ثم ولى الرشيد علي افريقية محمد بن مقاتل العكي فاضطربت عليه وطلب اهل افريقية من ابراهيم بن الاغلب وكان من عمال محمد بن مقاتل ان يكتب الى الرشيد في الولاية عليهم فكتب الى الرشيد في ذلك على ان يترك المئة الف دينار التي كانت تحمل من مصر الي افريقية اعانة للولاة بها وعلي ان يحمل هو من افريقية الي الخليفة اربعين الفا وبلغ الرشيد كفايته فكتب له بالعهد علي افريقية سنة (١٧٤)

في هذه الاثناء انقسم المغرب الى ثلاث ممالك فكان بنو الاغلب بافريقية والقيروان ، وبنو خزر المغراويون بالمغرب الاوسط وتلمسان، وبنو ادريس بالمغرب الأقصى

(دولة الادارسة بالمغرب الاقصى)

تأسست هذه الدولة من سنة (١٦٩ الى ٣١٣)

لما كانت سنة (١٦٩) في خلافة موسي الهادى العباسى خرج بالمدينة الحسين ابن على بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط بن على بن ابي طالب وكان معه جماعة من اهل بيته ومنهم ادريس ويحيي وسليمان بنو عبد الله بن الحسن

المثني وهم اخوة محمد النفس الزكية فعظم أمر الحسين المذكور بالمدينة وجري بينه وبين عامل الهادي على المدينة قتال فانهزم عمر المذكور وبايع الناس الحسين على كتاب الله وسنة نبيه للمرتضي من آل محمد وكانوا يكنون بذلك عن الامام المستور الى ان يقدر علي اظهار أمره وأقام الحسين وأصحابه بالمدينة يتجهزون أياما ثم خرجوا الي مكة في ذي القعدة من السنة المذكورة فانتهي الحسين الى مكة وانضم اليه جماعة من عبيدها وكان قد حج تلك السنة جماعة من وجوة بني العباس وشيعتهم فانضم اليهم من حج ن مواليهم وشيعتهم واقتتلوا مع الحسين المذكور يوم التروية فانهزم الحسين وأصحابه وقتل فاحتزوا رأسه وأحضروها أمام بنى العباس ثم جمعت رؤوس أصحابه فكانت مئة ونيفا واختلط المنهزمون بالحاج فذهبوا في كل وجه وحمل رأس الحسين ومعه سائر الرؤوس الى الهادي فأنكر عليهم حمل رأس الحسين ولم يعطهم جوائزهم غضبا عليهم

أما يحيي اخو محمد النفس الزكية فانه فر من الوقعة المذكورة الي بلاد الديلم من جهة المشرق ودعا الناس الى بيعته فبايعوه واشتدت شوكته ولما خافه هرون الرشيد أمنه وحلف له فحضر الى بغداد فأكرمه ومنحه أموالا كثيرة ثم غدر به وحبسه حتي مات فى السجن

أما ادريس أخوه فانه لما فر من الوقعة لحق بأرض مصر فحمله واضح مولي صالح بن المنصور عامل البريد يومئذ الى بلاد المغرب وكان واضح هذا يتشيع لآل البيت فنزل ادريس بالمغرب الاقصى بمدينة وليلى فأجاره اسحق بن محمد بن عبد الحميد أمير البربر وأكرمه وأجمع البربر على القيام بدعوته وخلع الطاعة العباسية وانتهي الخبر الى الرشيد فقبض علي واضح وقتله وصلبه

لما بايع الناس ادريس خطب الناس وقال بعد ان حمد الله وطلب الصلاة منه على رسوله : «لا تمدن الاعناق لغيرنا فان الذي تجدون عندنا من الحق لا تجدونه عند سوانا»

ثم وفدت عليه قبائل زناتة وغيرها من كافة البربر فبايعوه وأطاعوه واتخذ جيشاً من وجوه البربر وخرج غازيا الى تامسسنا ثم زحف الى بلاد تدلا ففتح معاقلها وحصونها وكان أكثر هذه البلاد

يدينون بدين اليهودية والنصرانية والمسلمون بها قليل فأسلم جميعهم على يده سنة (١٧٢) ه ثم غزا في هذه السنة من كان قد تحصن منهم في المعاقل والجبال حتي دخلوا في الاسلام طوعا وكرها. ثم خرج في السنة التالية لغزو تلمسان ومن بها من قبائل البربر فبايعه صاحبها محمد بن خزر فأمنه صاحبها وبني مسجد تلمسان ثم عاد الى مدينة وليلي

فلما اشتد أمر ادريس خاف الرشيد عاقبة ذلك فأراد أن يقتله اغتيالا فأرسل اليه أحد موالى أبيه واسمه سليمان ويعرف بالشماخ ووعده بالمناصب الرفيعة ان هو نجح في قتله وأعطاه مالا وطرفا ليستعين بها علي أمره وأصحبه بكتاب الي واليه على افريقية ابراهيم بن الاغاب وقيل بل الي روح ابن حاتم عاملها. فقدم الشماخ علي ادريس مظهراً الميل اليه فعظمت منزلته عنده وكان الشماخ اديبا بليغا عارفا بصناعة الجدل فكان اذا جلس ادريس الى رؤساء البربر تكلم الشماخ فذكر فضل اهل البيت واحتج على وجوب طاعتهم. فكان ذلك يعجب ادريس فاستولى الشماخ على لبه حتي صار من ملازميه لا يأكل الا معه وكان راشد مولى ادريس قلما ينفرد عنه لانه كان يخاف عليه وكان الشماخ يترصد الغرة من راشد ويترقب الفرصة من ادريس الى أن غاب راشد ذات يوم فدخل الشماخ على ادريس فجلس معه كعادته وكان ادريس يشتكي وجع الاسنان فأعطاه سما في سواك يستاك به وقيل سمه بطريقة أخرى ولما علم الشماخ ان السم تمكن منه خرج مسرعا فاراً الى الشرق ومات ادريس سنة (١٧٧) ويقال ان راشداً لحق بالشماخ وطعنه فقطع يمناه وشج رأسه فرؤي الشماخ بعد ذلك مقطوع اليد في بغداد

لما توفي ادريس اتفق وجوه البربر على القاء مقاليد الامور لراشد مولاه لفضله ودينه حتي تلد جارية بربرية كانت حاملا من ادريس فقام راشد بأمر البربر حتي ولدت الجارية غلاما فكان أشبه بأبيه فأخرجه راشد ليراه البربر فلما نظروا اليه قالوا هذا ادريس بعينه فسماه راشد ادريس وبايعه البربر وكفله راشد مولي أبيه وقام بأمره أحسن قيام فأقرأه القرآن وعلمه الحديث والسنة والفقه والعربية ورواه الشعر وأمثال العرب وحكمها وأطلعه على سير الملوك وعرفه أيام الناس

ودربه علي ركوب الخيل والرمي بالسهام فلم تمض عليه احدي عشرة سنة حتي ترشح للامر فبايعه البربر بجامع وليلي سنة (١٨٨) وكان ابراهيم بن الاغلب عامل الرشيد علي افريقية قد دس الى بعض البربر الاموال واستمالهم حتي قتلوا راشداً مولاه وقام بكفالة ادريس من بعده أبو خالد يزيد بن الياس العبدي ولم يزل على ذلك الي أن بايعوا لادريس . فأظهر ادريس من وفور العقل والنباهة والفصاحة ماأذهل العقول . فوفدت عليه الوفود فى افريقية والاندلس فجعل له منهم بطانة وأدني منزلتهم وكان ابراهيم ابن الاغلب دائبا على دس الدسائس لاسقاط ادريس فلم يفلح

لما كثرت وفود العرب على ادريس وضاقت بهم مدينة وليلى أراد أن يبني لنفسه مدينة فركب يوما في حاشيته وتخير بقعة واختط مدينة فاس سنة (١٩٢) وجعلها بلدين لكل بلد منهما سور يحيط به وانهر فاصلة بينهما ولما تم بناؤها اتخذها دار ملكه وصار يغزو منها قبائل البربر العاصية . وما زال أمره مستقيما الى أن أدركته دعوة الخوارج وأبطل دعوة العباسيين

فقام بالامر بعده ابنه (محمد بن ادريس) من سنة ٢١٣ الى ٢٢١ فقسم المغرب بين اخوته باشارة جدته فاختص القاسم منها بطنجة وسبتة وقصر مصمودة وقلعة حجر النسر وتطوان وما انضم لذلك من القبائل والبلاد واختص عمر بقبائل صنهاجة وغمارة وغيرها واختص داود ببلاد هوارة وتازة وقبائل مكناسة وغيرها واختص يحيي بأصيله والعرائش وبلاد ورغة وغيرها واختص عيسي بسلا وتامسنا وما انضم اليها من القبائل واختص حمزة بمدينة وليلة وأعمالها واختص احمد بمدينة مكناسة وماوليها واختص عبدالله باغمات وجبال المصامدة والسوس الاقصى وبقيت تلمسان لولد عمه سليمان بن عبدالله واستمرت بأيديهم الى أن تلاشي أمرهم بها بدخول العبيديين

أقام محمد بن ادريس بدار ملكه فاس وأقام اخوته ولاة على بلاد المغرب فضبطوا أعمالها وأمنوا سبلها ثم حدثت بينهم فتن فتحاربوا وفى النهاية صفا الامر لمحمد الي أن مات سنة (٢٢١)

فقام بالامر من بعده ابنه على بن

محمد من سنة (٢٢١ الى ٢٣٤) وكان صغيراً فقام بكفالته رجال الحاشية من العرب والبربر وأحسنوا كفالته ولما كبر سار سيرة ابيه وجده في العدل فكان الناس في زمانه في أمن ودعة

تولى بعده يحيي بن محمد بن ادريس من سنة (٢٣٤ الى ٢٥٠) فامتد سلطانه وعمرت في عهده فاس وقصدها الناس من البلاد البعيدة وفي زمنه بني مسجد القرويين المشهور

ثم حكم بعده يحيي بن يحيي من سنة (٢٥٠ الي سنة ٢٩٢) فأساء السيرة وكثر عبثه بالحرم ثار الناس عليه وأخرجوه من مصره واضطر الى الاختفاء فمات من ليلته أسفاً علي ما صنع بنفسه . وكتبت زوجته الى أبيها علي بن عمر بن ادريس صاحب الريف والسواحل تعلمه الخبر وتستدعيه واستدعاه أيضاً أهل الدولة من العرب والبربر والموالي فجمع حشمه وجيشه وجاء الي فاس فاستولى عليها وانقطع الملك من عقب محمد بن ادريس وصار بعد هذا يكون تارة في عقب عمر بن ادريس وتارة في عقب القاسم بن ادريس

لما دخل علي بن عمر المدينة بايعه الناس وخطب له في جميع ارجاء المغرب الي أن ثار عليه عبد الرازق الفهري من الخوارج الصفرية وحدثت بينهما حرب شديدة كان الظفر في آخرها لعبد الرزاق ففر علي ودخل عبد الرزاق فاس وملك عدوة الاندلس وخطب له بها . وامتنع عنه أهل عدوة القرويين وبعثوا الي يحيي ابن القاسم فوصل اليهم فبايعوه وولوه وأخذ يقاتل عبد الرزاق حتي أخرجه من عدوة الاندلس . وما زالت ليحيي بن القاسم حروب مع الصفرية حتي اغتاله الربيع بن سليمان سنة (٢٩٢)

فتولى الامر من بعده يحيي الثالث ابن ادريس فامتد ملكه علي جميع اعمال المغرب وخطب له على سائر منابره وكان يحيي هذا واسطة عقد البيت الادريسي أغزرهم فضلا وأوفرهم عقلا ، وأكثرهم عدلا ، وأوسعهم ملكا، وكان فقيها حافظا للحديث فصيحا شجاعا ورعا لم يبلغ أحد من الادارسة مبلغه في الدولة والسلطان الى أن ظهر أمر العبيديين بأفريقية واراد تملك بلاد المغرب الاقصي فأرسل قائده مصالة بن حبوس فزحف عليها سنة (٣٠٥) وانتهي الى فاس فبرز اليه يحيي بن ادريس

في جيش من العرب والبربر فانهزم يحيي وعاد الى فاس . فتقدم مصالة الى فاس وحاصرها الي ان صالحه يحيي علي مال يؤديه اليه وعلي البيعة لعبيد الله المهدى مولاه . فقبل الشرط يحيي وأبقى عليه مصالة في سكني فاس وعقد له علي عملها خاصة وعقد لابن عمه موسي بن أبي العافية المكناسي على ماسوى ذلك من بلاد المغرب وبذلك دخل المغرب الاقصي في يد العبيديين واندمجت دولة الادارسة في دولتهم سنة (٣٠٧) ه

ثم حدث ان غضب مصالة على يحيي فقبض عليه وقيده بالحديد وصادر أمواله ونفاه الي اصيلا فساءت حالته وافتقر ومات بالمهدية (٣٣٢)

ثم خرج من الادارسة شخص يقال له الحسن بن محمد يعرف بالحجام وطرد عامل العبيديين على المغرب واستولي على فاس فاجتمع الناس على بيعته ودخل في طاعته اكثر قبائل البربر وكانت دولتهم اخذت في الانحلال ودولة عبيد الله المهدى فى الاقبال فملك الحسن المذكور عامين ولم يتم له مطاب وانقرضت دولتهم في جميع المغرب الاقصي وحمل اغلب الادارسة الي المهدى المذكور الا من اختفي بالجبال منهم وذلك (٣١٣)

وفي سنة (٣٤٠) سار ادريس من ولد محمد بن القاسم فأعاد الامامة لهذا البيت ثم تغلب علي بر العدوة عبد الملك ابن المنصور بن أبي عامر الاندلسي وخطب في تلك البلاد لبني أمية بالاندلس ثم رجع عبد الملك الى الاندلس فاضطربت دولة بر العدوة فتغلب على فاس بنو أبي العافية الزناتيون حتي سنة (٣٠٣)

ثم ظهر يوسف بن تاشفين فاستولى على تلك البلاد واستأصل ذرية ابن أبى العافية بعد ان بقيت فيها (١٤) سنة وكانوا متمسكين بدعوة الشيعة

كان للادارسة ببلاد الريف دولة صغيرة ايضا مستقلة عند بنى ادريس فلما انقرضت دولتهم بفاس على يد موسى بن ابي العافية انحاز من بقى منهم الى بني عمهم وعشيرتهم ببلاد الريف وتحصنوا بقلعة يقال لها حجر النسر وبقوا هناك الى أن تلاشت دولتهم سنة (٣٦٣)

فكانت مدة دولة الادارسة مئتي سنة وثلاث سنين ونحو شهرين وكان يتبعهم من السوس الاقصى الى مدينة

وهران وكانت عاصمتهم مدينة فاس وكان ينازعهم الملك دولتان دولة العبيديين بافريقية ودولة بنى أمية بالاندلس وكانوا هم يزاحمون الخلفاء في الخلافة فكان يبعد بهم عنها قلة أموالهم وضعف وسائلهم

(دولة العبيديين بالمغرب الاقصى)

من سنة (٣٠٥ الى ٤٢٧)

تسمي دولة العبيديين أيضاً بالدولة المهدية والفاطمية والعلوية وقد ذكرنا تاريخهم فى حرف العين فى كلمة عبيديين

أما استيلاؤهم على المغرب الأقصى فهو انه لما بايع الشيعة عبيدالله المهدي أول خلفاء العبيديين رمي الي تملك المغرب الاقصي فأغراه قائده مصالة بن حبوس فزحف مصالة الى المغرب الاقصى سنة (٣٠٥) ولما انتهي الى فاس خرج لحربه يحيي بن ادريس كما قدمنا فدارت الدائرة عليه فاضطر الى مصالحة مصالة على جزية سنوية يؤديها للعبيديين وأن يبايع لعبيدالله المهدى

ثم ولى العبيديون علي المغرب موسي ابن أبي العافية فكان هو وأولاده من بعده عمالا للعبيديين

ولما بايع أهل المغرب لمروان بالاندلس أرسل القاسم بن عبد الله المهدي المتولى بعد أبيه قائده منصور الخصي سنة (٣٢٣) فافتتح فاس وكتب أهلها بيعتهم الى أبي القاسم وخطبوا له علي منابرهم وكتبوا اسمه فى سكتهم . ثم عاد منصوراً الي القيروان

ولما بايع ابو القيس احمد بن القاسم الادريسى المتقدم ذكره لعبد الرحمن الناصر الاموى بالاندلس وخطب له على المنابر أرسل المعز لدين الله العبيدي قائده جوهر بن عبدالله الرومى المعروف بالكاتب في جيش كثيف وأمره ان يطأ بلاد المغرب ويذللها ويستنزل من بها من الثوار سنة (٣٤٧)

فلما اتصل خبر جوهر بخليفة الناصر على بلاد العدوة يعلى بن محمد اليفرلى صاحب طنجة حشد قبائل زناته وخرج لملاقاة جوهر فالتحمت الحرب بين الفريقين ثم كانت الدائرة علي خليفة الناصر المذكور وقتل يعلى وأرسل رأسه الي القيروان . ثم تقدم جوهر وافتتح سجلماسة عنوة وبعدها تقدم نحو فاس سنة (٣٤٩) فافتتحها عنوة وقتل من اهلها خلقا كثيراً وهدم أسوارها. ثم سار جوهر فى بلاد المغرب يقتل أولياء

المروانيين ويسبي حريمهم ويفتح البلاد والمعاقل فخافه البربر وكانوا يفرون أمامه وما زال سائراً حتي انتهي الى البحر المحيط وصاد من سمكه وجعله في قلال الماء وأرسله الى مولاه المعز. ثم قفل راجعا بعد أن دوخ المغاربة وأثخن فيهم وقطع دعوة المروانيين وردها الى العبيديين فخطب لهم على جميع منابر المغرب

ولما نكث بعض عمال العبيديين دعوتهم وتمسك بدعوة المروانيين بالاندلس مداراة لهم لقربهم منهم ارسل المعز لدين الله بلكين بن زيزى الصنهاجي فقاتل زناتة لانهم أول من جاهر بدعوة الامويين وملك المغرب بأسره وأخذ بيعة أهله للعبيديين

فأرسل الحكم المستنصر الخليفة الاموى بالاندلس قائده غالبا وقال له عند وداعه :

« ياغالب سر مسير من لا أذن له في الرجوع الا حيا منصورا او ميتا معذورا ولا تشح بالمال وابسط يدك به يتبعك الناس »

فقدم غالب بلاد المغرب فافتتحها كلها وفرق فيها العمال ورد الدعوة الى الامويين سنة (٣٦٤)

وفي سنة (٣٦٩) زحف بلكين بن زيزي الصنهاجي عامل العبيديين على افريقية الى المغرب الاقصى وافتتح مدينة فاس . فاستخرج بعض الامراء المنصور ابن أبي عامر فخرج بجنوده الى الجزيرة الخضراء. وأتت اليه ملوك زناتة فلما رأى بلكين الصنهاجي ذلك رجع وعاث ببلاد تامسنا من جهات المغرب وقطع منها ومن غيرها دعوة بني أمية وبعد موته رجعت الدولة لهم وعفا عنهم المنصور بن أبي عامر وبقيت في عقبهم الى ان ظهرت دولة الملثمين

(دولة الملثمين فى المغرب الاقصى)

ويقال لها دولة المرابطين أيضا وهم من صنهاجة حكمت من سنة (٤٦٢ الى ٥٤٢) وقد استوفينا الكلام عنها في كلمة (ملثمين) مادة لثم

(دولة الموحدين بالمغرب الاقصى)

من سنة (٥٤٢ الى ٦٦٨)

المصامدة من اكبر قبائل البربر وكانوا يسكنون في صدر الاسلام بجبال دون مراكش وكانوا ذوى عدد وصولة وشدة في الدين يخلفون في ذلك اخوانهم

برغواطة . وكان منهم قبل الاسلام ملوك لهم مع لمتونة ملوك المغرب حروب حتي كان اجتماعهم على المهدي وقيامهم بدعوته. وكانت لهم دولة عظيمة من لمتونة بالعدوتين ومن صنهاجة بأفريقية

أصل المهدى من هرغة من بطون المصامدة ويسمي أبوه عبد الله تومرت وزعم كثير من المؤرخين انه من أهل بيت النبي صلي الله عليه وسلم وكان أهله ذوى صلاح ونسك

ولد عبد الله تومرت أبو المهدى سنة (٤٨٥) هـ وشب المهدي قارئا محبا للعلم فارتحل لطلبه الى الشرق ومر بالاندلس ودخل قرطبة وهي يومئذ دار العلم ثم لحق بالاسكندرية وحج ودخل العراق والتقى به جماعة من فحول العلماء فحصل منهم علما جما

ثم لقى أباحامد حجة الاسلام الغزالي فكاشفه بما في نفسه من اقامة دولة في بلاده تقيم الحق وتبطل الباطل فشدد عزيمته وقوي همته . ولما حج أقام بمكة مدة مديدة وحصل فيها علوما غزيرة في الشريعة والحديث والاصول وكان ورعا ناسكا متقشفا كثير الاطراق مقبلا على العبادة شجاعا فصيحا فى لسانى العرب والبربر

ثم خرج من مكة الى مصر ومنها الي الاسكندرية وركب البحر قاصداً بلاده فلما انتهي الى المهدية وكانت يومئذ ليحيي بن باديس فعلاهناك ذكره وقصده الناس. ثم انتقل الى بجاية فصادف ببعض قراها عبد المؤمن صاحب دعوته ووجد بها سواه ممن التف حوله . ثم توجه بمن معه الى مراكش وبها يومئذ أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين فشرع محمد المهدى بن تومرت بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر حتي حسنت ظنون الناس فيه . فبلغ أمير المسلمين عنه انه يقول هو وأصحابه بوجوب تغير الدولة فأراد القبض عليه ففر الى بلده اغمات ومن هناك ذهب هو وطائفته الي جبل تينملل فأكرمهم أهله من المصامدة وأجابوا دعوته وتبعوا أمره على القيام بالدين والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وبايعوه على انه المهدي المنتظر لصلاحيته وقصده الناس من كل فج وسمي أتباعه بالموحدين وكان ابن تومرت يذكرهم بأيام الله ويذكر لهم شرائع الاسلام وما غير فيها وما حدث

من الظلم والفساد وأنه لاتجب طاعة دولة من هذه الدول . فأرسل عليهم على بن تاشفين جيشا فهزموه فأعاد عليهم الكرة بجيش ضخم سنة (٥١٩) فحاصرهم وضيق عليهم وكاد المصامدة ينخذلون عنه فأعمل الحيل الغريبة حتي مالوا اليه واستماتوا في صحبته . ثم نازل جيش على ابن تاشفين سنة (٥٢٤) فأوقع بهوسار لحصار مراكش وفي تلك الاثناء مرض ومات وكان قد أوصى بالامر بعده للقائم بدعوته عبد المؤمن بن على وزيره

بويع لعبد المؤمن فتلقب بأمير المؤمنين وصارت له جيوش جرارة فوقعت بينه وبين المرابطين أي الملثمين أصحاب الدولة حروب قتل فيها من الطرفين أكثر من مئةالف رجل وانتهت بأن ملك فاس ومراكش وغيرهما وثغور سبتة وسلا وطنجةودخل فى زمرته رجال الموحدين

وفي سنة (٥٤٠) نزع علي بن عيسي قائد أساطيل الملثمين طاعتهم وانحاز الى الموحدين فقوى أمر الاخيرين بذلك وأخذوا في الاكثار من الاساطيل

ثم أن عبد المؤمن جهز جيشا في السنة المذكورة تحت قيادة يوسف بن مخلوف لفتح الاندلس من يدعمال المرابطين اى الملثمين وأخذ يواليه بالامداد حتي استولي عليها كلها سنة(٥٤٥)

ثم تقدم بنفسه الي أفريقية وأرسل اسطولين تحت قيادة يحيي بن عبد العزيز لفتح الجزائر وتونس والمهدية ثم استولى على كثير من ثغور الاندلس وبلادهالتي كانت وقعت فى يد الاسبانيين وانتصر انتصاراً عظيما على الملك الفونس ملك طليطلة

وبينما كان عبد المؤمن يستعد لغزو الفرنج وافته منيته سنة (٥٥٨) وكان فصيحا عالما بالاصول والجدل والحديث مشاركا في كثير من العلوم ذاحزم وسياسة واقدام لم يقصد قط بلداً الا فتحه .ومن آثاره بناء مدينة جبل طارق سنة (٥٥٥)

قام بالامر من بعده أكبر أولاده محمد بن عبد المؤمن بعهد منه ولكن لم يستقم له أمر لانه لم يكن أهلا للحكم اذ كان مدمناً علي الخمر مختل الرأى كثير الطيش جبانا فخلعه الناس بعد أربعين يوما

فتولى بعده يوسف بن عبد المؤمن

أيامه الناس وأول شيء فعله تسريح الجيوش التي كان حشدها أبوه لغزو بلاد الفرنج فلما استقام له الامر أمر بحشد الجيوش وقصد بلاد الفرنج فأنقذ عدة مدائن كان يحاصرها الاسبانيون وفتح غيرها ثم تاقت نفسه للغزو والعبور الى بلاد الاندلس فعبر اليها في مئة الف من العرب والموحدين سنة (٥٦١) وتسلم جميع بلاد شرق الاندلس من اولاد محمد بن مردنيش

ثم خرج قاصد الغزو فأثخن في بلاد العدو ورجع الي اشبيلية وبني بها مسجداً عظيما وصنع على وادي اشبيلية جسراً من القوارب وحصن سورها وجلب اليها ماء غزيراً

ثم فتح مدينة قفصة من أفريقية سنة (٥٧٦) ولما بلغه خبر منازلة الفرنج لمدينة قرطبة عبر بجيوشه من سبتة وتقدم نحو الشمال يريد حصار شنترين وبينما هو علي حصارها وقد فارقته جيوشه ليلا لخطأ من قواده خرج عليه المحصورون وقاتلوه ومن بقي معه فقاتلهم حتي جرح جرحا بليغا مات منه وهو عائد الي بلاده سنة (٥٨٠) وكان شجاعا عارفا بأساليب الحرب رقيق الطباع عالما حافظا مطلعا على أيام العرب وأخبارهم ميالا الي الفلسفة وكان له دار كتب جمع اليها أنفس الآثار . وكان ممن صحبه من العلماء الوزير وأبو بكر محمد ابن الطفيل الفيلسوف المشهور وابن رشد المعروف بالحفيد وغيرهما من فحول الرجال وكانت مدة حكمه ٢٢ سنة

تولي بعده ابنه أبو يوسف يعقوب فأغار في عهده صاحب جزائر ميورقة ومنورقة ويابسه بأسطوله على بجاية سنة (٥٨١) فافتتحها ثم استولي على الجزائر ثم علي مليانة فأرسل اليه يعقوب بن يوسف الجيوش ففر المغير الي الصحراء ثم عاد الى الاغارة على أفريقية وساعده علي ذلك قره قوش الغزى من موالي السلطان صلاح الدين بن أيوب وكان قد تغلب علي طرابلس وما والاها ولما بلغ ذلك يعقوب وكان تلقب بالمنصور نهض بنفسه وتلاقي مع جيوش المغيرين الذين كان يساعدهم قره قوش فهزمها ثم سار يعقوب بنفسه الى مدينة قابس وكانت لقره قوش فافتتحها واسترد غيرها من المدن سنة (٥٨٤)

ثم عبر الي الاندلس سنة (٥٨٠) وشن الغارة على أشبونة وبالغ في نكاية

العدو ثم انصرف الى بر العدوة بسبي كبير وقبل اغارته على اشبونة وصل اليها أسطول مؤلف من ٦٩ سفينة عليها عشرة آلاف من جنود المانيا وجهات نهر الرين السفلي وبلاد اللورين وكانوا آتين من زيارة بيت المقدس فأنزل الاسطول هذه الجيوش بجهات سان جاك بقصد زيارة كنيستها فانتشر الخبر بأن هؤلاء القوم أتوا لسرقة رأس القديس ونهب الاموال المدخرة بكنيسة تلك المدينة فحملوا السلاح جميعاً وأتوا لصدهم حتي اضطروهم للنزول الى سفنهم ثانية . وفي هذا الوقت ايضا اقبل اسطول للانجليز والفلامان الى مدينة اشبونة فتعاهد مع ملكها على محاربة المسلمين ويقال أيضاً ان الاسطول الالماني انضم الى هذا الاسطول وبذلك صار ملك البرتغال معضداً بسفن عديدة فأرسل جيشاً الى مدينة بيجة ويابورة وهما ببلاد البرتغال كان العرب استولوا عليها فلما بلغ المنصور ذلك أرسل اليهم جيشاً تحت قيادة والى قرطبة فاسترد منهم جميع ما استولوا عليه وأخذ عدداً عظيما من الاسري ومقداراً عظيما من الغنائم سنة (٥٨٧) ٥

وكان الفرنج في الحرب الصليبية قد ملكوا سواحل الشام في آخر الدولة العبيدية فلما استولى السلطان صلاح الدين على مصر والشام وأخذ في منازلة الفرنج وقوي عليهم فأتت الامداد الي تلك السواحل من اوروبا فرد صلاح الدين فبعث الى المنصور سنة (٥٨٥) يطلب اعانته بالاساطيل لمنازلة عكا وصور وطرابلس والشام

فلما رأى المنصور ان صلاح الدين لم يخاطبة بلقب أمير المؤمنين رد رسوله ولم يجبه الي ماطلب . ونهض ملك البرتغال ووسع حدوده من جهات الجنوب واستولى على عدة حصون في تخوم مملكة الموحدين واستعد فرديناند ملك ليون للاغارة على جهات وادي يانه واستولى علي بعض المدن وكان يرسل بالجيوش لمحمد بن سعد ابن مردنيش الذى جرده المنصور من سلطانه ليشجعه علي منازلة الموحدين فكتب المنصور الى قواده بالاندلس يأمرهم برد غارات الاعداء فقاوموهم أعظم مقاومة واستردوا منهم جميع ما أخذوه وعادوا بسبي عظيم

ثم عاد الفرنج فعاثوا في بلاد الاندلس عيثاً شنيعاً فعبر المنصور بجيوشه الى الاندلس

سنة (٥٩١) وجمع الفونس التاسع ملك قشتالة (كاستيل) جيوشه وأقبل لمنازلته فجرى بينهما قتال عنيف بمكان يقال له الارك فانهزم الفونس وقتل من جيوشه عدد كبير واستولى المنصور على جميع ذخائره وسلاحه

ثم تلاقي الموحدون والفرنج سنة (٥٩٢) قرب طليطلة فانهزم الفرنج أيضاً وغنم منهم الموحدون مامعهم من الاسلحة والذخائر . ثم تقدم الموحدون وفتحوا عدة حصون بجهات طليطلة مثل قلعة رياح ووادى الحجارة ومجريط (مدريد) وجبل سليمان

ثم بلغ المنصور ان صاحب جزائر ميورقة ومنورقة دخل افريقية ثانية فهادن ملوك الفرنج وكاد أن يفتح في هذه الحرب طليطلة لولا خروج والدة الملك الفونش وبناته وامرأته باكيات بين يديه راجيات ابقاء البلد عليهن فرق اليهن وتركهن المدينة

ثم تمكن من قهر صاحب ميورقة ومنورقة وطرده من افريقية

شيد المنصور بالاندلس كثيراً من المساجد والمستشفيات والمدارس والحصون والقناطر والآبار وحصون عدة

كان المنصور هذا يعتبر أعظم ملوك الموحدين وكانت أيامه أيام أمن ورخاء وجلال. فلما كانت سنة (٥٩٥) جمع أعيان دولته وعهد بالملك لابنه محمد الناصر لدين الله وتنازل هو عن الحكم وانقطع لنفسه

لما ولي محمد الناصر أخذ في اصلاح مدينة فاس وتحصينها وكان أمر ابن غانية صاحب ميورقة ومنورقة قد اشتد فاستولى علي طرابلس والمهدية وبلاد الجريد وتونس سنة (٥٩٩) وخطب باسم الخليفة العباسى فلما اتصل هذا الخبر بالناصر خرج لحربه فبعث أسطوله فى البحر وسار هو براً فاستعد ابن غانية لملاقاته ولكنه انهزم أخيراً وفتح الناصر المهدية بعد حصار طويل سنة (٦٠٢) ثم أرسل بأسطوله الى جزيرة ميورقة وكان امتنع فتحها علي والده فافتتحها واستمرت فى يد عماله حتي أخذها الفرنج سنة (٦٢٧)

في هذه الاثناء كان الفونس ملك قشتالة قد دخل اقليم الاندلس بجيش جرار وأخذ في التخريب والسلب والاسر ثم رجع الي بلاده حاملا غنائم لا تحصى ثم اتفق مع ملكي نافار وأراغون ليمحو عن

نفسه العار الذي لحقه بهزيمة الارك فأغاروا علي الاندلس وتقدموا حتي وصلوا الي أبواب مرسية ثم رجعوا الى طليطلة بالغنائم

فلما نمى هذا الخبر الى الناصر عبر بجيوشه الى الاندلس وكان في نحو ٦٠٠ الف مقاتل فارتجف له جميع بلاد الفرنج المتاخمة للاندلس وكتب اليه الكثيرون من ملوك تلك البلاد يسألونه السلام وذلك سنة (٦٠٨)

فزحف اليه ملك قشتالة واراغون ونافار ومن انضم اليهم من ملوك اوروبا بدعوة البابا انوسان الثالث فالتقى الجيشان بحصن العقبان فنصبت للناصر قبته الحمراء المعدة للقتال على رأس ربوة وجلس امامها وفرسه قائم بازائه ودارت العبيد بالقبة من كل ناحية ومعهم السلاح التام ووقفت الساقات والبنود أمام الطبول مع الوزير ابن جامع وأقبلت جموع الفرنج كأنها الجراد المنتشر فالتقى الفريقان فانهزم المسلمون شر هزيمة واتبعهم الفرنج يقتلون ويأسرون ويغنمون حتي أقبل الليل

قال مؤرخو العرب وسبب هذه الهزيمة راجع الى وزير الناصر المسمي بن جامع فانه أظهر الاسلام نفاقا وتمكن من فؤاد الناصر فأقصي عشورته وجوه العرب والبربر الذين كانوا يحيطون به فتمكن بذلك من تضليله فحدثت هذه النكبة سنة (٦٠٩)

لما أراد الناصر الانصراف الى مراكش أخذ البيعة لابنه المنتصر ودخل هو قصره وانغمس في ملاذه فتآلب عليه وزراؤه وسموه سنة (٦٠٩)

ولكن ابن الخطيب المؤرخ خالف هذا القول فقال ان الناصر صرف همه بعد تلك الوقعة الى الاخذ بالثار فنزل الى الاندلس واحتل رباط الفتح من سلا ولكن أجله لم يمهله فمات سنة (٦١٠)

قام بالامر بعده ابنه يعقوب يوسف فولى أقاربه وأعمامه العمالات وكان جميعهم يطمع في الملك واستولى الفونس ملك الاسبانيين علي الحصون التي أخذها منه المسلمون وهزم حامية الاندلس وكان يعقوب يشتغل عن مهام الملك بملاذه وفي مدته ظهر بنو مرين في فاس ولم يستطيع منع تمدمهم . وفي عهده انهزم المسلمون هزيمة أخرى منكرة في الاندلس فضعف أمرهم هنالك جداً وكانت تلك الوقعة سنة (٦١٤) وفي عهده أيضاً استبد الحفصيون بملك أفريقية ومات يعقوب مقتولا طعنته بقرة

في بستانه وأماته وكان مولعًا بتربية الحيوانات وذلك سنة (٦٢٠)

بعد وفاته اجتمع الموحدون على تولية عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن وكان شيخًا ثم خلعوه وقتلوه بعد شهرين

فتولى بعده أبو محمد عبد الله العادل ابن المنصور ثم انحرف عنه الموحدون فبايعوا أخاه أبا العلاء ادريس بن يعقوب صاحب الاندلس سنة (٦٢٤) ثم نقضوا بيعته وبايعوا يحيي بن الناصر فعم الفساد البلاد وعظم أمر بنى مرين الذين سيأتي ذكرهم

وكان من أشهر الثوار في زمنه محمد بن ابي الطواحين وكان ينتحل صناعة الكيمياء ثم ادعي النبوة وكثر تابعوه ولكنه قتل بعد افتضاح أمره

أما بلاد الاندلس فثارت علي الموحدين تحت قيادة رجل من أولاد بنى هود بعض ملوكها وخطب للخليفة المستنصر العباسي ثم دانت الاندلس جميعها لابن هود المذكور سنة (٦٢٩) ثم ظهر له منازع يقال له ابن الاحمر وأخذا يتجاذبان الملك فانتهز الملك الفونس هذه الفرصة وامتلك عدة مدائن من تلك البلاد ثم استقر الامر لابن الاحمر في الملك واورثه بنيه

لما علم أبو العلاء المأمون ان الموحدين نقضوا بيعته وبايعوا ابن أخيه يحيي كتب الى الملك الفونس يستنصره على قومه فأجاب طلبه بشرط أن يعطي عشرة حصون يختارها هو وان تبني لجيشه كنيسة ليصلى فيها متي دخل مراكش وان من اسلم منهم لا يقبل اسلامه بل يرد الى قومه فقبل أبو العلاء هذه الشروط ونزل الفرنج الي مراكش وكانت قبل ذلك أمنع من عقاب الجو فحدثت حروب بينه وبين زعماء الموحدين الباقين عليه فهزمهم وقتل قادتهم ولكن الملك لم يصف له فثارت عليه البلاد من كل جهة فمات كمدًا سنة (٦٢٩)

بويع لابنه عبد الواحد ولقب بالرشيد سنة (٦٣٠) وذلك بمساعي أمه وكانت من دهاة النساء ثم اقتتل جيش الرشيد مع جيش يحيي فانهزم الاخير ومازال الرشيد يتعقب يحيي حتي قتله فبايعه أكثر من كان معه ولكن كانت الاحوال مضطربة لا تستقر علي حال

وفي زمنه استولى فرنج جنوة على سبتة ولم يستطع أحد ردهم فاضطر أهلها

أن يصالحوهم ليجلوا عنها

وفى عهده كسرت جيوش بنى مرين جيوشه واشتد أمرهم . ثم مات الرشيد غريقا فى صهريج بستانه سنة (٦٤٠)

لما مات الرشيد بايع الموحدون أخاه أبا الحسن على السعيد فبايعت كثير من المدن أبا زكريا الحفصى صاحب افريقية فجمع أبو سعيد جيوشه وسار بهم لاخضاع المدن التي بايعت ابا زكريا فأذعنت له ولكنه قتل بينما كان يستطلع أخبار العدو سنة (٦٤٦)

فبويع لعبد الله ابنه الا أنه قتل في الطريق فبويع لعمه المرتضي عامل مدينة رباط فاستقام له الامر وقاتل بني مرين فهزمهم واستخلص منهم عدة مدائن الا أنه هزم أمام فاس فعاد الى مراكش وأقام بها معرضاً عن بنى مرين طول حياته وفى عهده ظهر ثائر يدعي أبادبوس استولى على مراكش وغيرها سنة (٥٦٥) ففر المرتضى لتجأ الي أحد عماله فلم يجره بل قبض عليه وأسلمه الى الثائر المذكور فقتله وكان المرتضي منصفا زاهدا

فبايع الناس أبادبوس وتلقب بالواثق بالله والمعتمد على الله ثم تقاتل أبو دبوس المذكور مع أمير بنى مرين فانهزم وقتل سنة (٦٦٨)

فبايع الموحدون اسحق بن ابراهيم أخا المرتضى بعد أن هربوا الي جبال تينملل فبقى هناك الى سنة (٦٧٤) ثم قبض عليه وجيء به الى سلطان بني مرين يعقوب بن عبد الحق فقتله هو وأقاربه جميعاً فانقرضت بهم دولة الموحدين بعد أن دامت (٦٧٤) سنة

كانت هذه الدولة من أعظم الدول التي سادت بلاد المغرب وأكبرها بطشا وقد كانت لها أساطيل تمخر فى البحر وتقاتل أعداءها وكانت حدودها تمتد الى الصحراء الكبري جنوبا والي بحر الظلمات غربا والي الرمال الفاصلة لها عن مصر شرقا والي بحر الروم ومضيق جبل طارق شمالا وكانوا يمتلكون مع هذا بلاد الاندلس يتبعها مدائن أشبيلية وقرطبة وغرناطة ومالقة والمرية بحيث كانت جميع شواطيء النهر الاسباني المسمى بالوادى الكبير تابعة لهم وكانوا يملكون جميع القسم الجنوبي من بلاد البرتغال أيضا

(دولة بني مرين) من سنة (٦١٤ الي ٨٩٠)

بنو مرين من جيل زناتة كانوا أحياء يظعنون من فجيج الي سجلماسة الي ملوية وقد يبلغون بلاد الزاب . دعاهم يعقوب المنصور ملك المرابطين لغزو فرنج الاندلس فأجابوه وأصيب رئيسهم محيو بن أبي بكر بجروح أودت به سنة (٥٩٢)

ولما كانت وقعة العقاب سنة (٦٠٩) وهزم الناصر وحدث الوباء الذي أهلك الناس الا قليلا ومات الناصر أيضاً بايع الموحدون ابنه يوسف المنتصر وهو يومئذ غلام فاشتغل بملاهيه فضعفت دولة الموحدين ضعفا لايرجي شفاؤه وكان بنو مرين يومئذ يختلفون بين قفار المغرب وصحاريه لاتنالهم الدولة بتكليف مشتغلين بالصيد والغارات علي أطراف البلاد . فلما كانت سنة (٦١٠) اقبلوا على المسير فلما اطلوا على المغرب وجدوه قد تبدلت حالته وبادت جنوده فاغتنموا هذه الفرصة فانتشروا في نواحي المغرب وبسطوا أيديهم فيه بالسلب والنهب فلجأت الرعية منهم الى الحصون والمعاقل وكان رئيسهم اذذاك يدعي عبد الحق بن محيو فجأر الناس بالشكوي الي الخليفة القائم بمراكش وهو الناصر بن المنتصر فجهز جيشا كثيفا وأمر عماله باستئصالهم فانهزم جنود الخليفة وزحف عبد الحق على بعض المدن فافتتحها وفرق الغنائم علي جنوده ولم يأخذ شيئا منها فكان ذلك من اكبر الاسباب فى اجتماع القلوب عليه فأجمع الموحدون على التألب عليه فأرسلوا له جيوشاً كثيفة فحدثت بين الفريقين حروب دموية قتل فيها عبد الحق وابنه ادريس سنة (٦١٤) فلما رأى بنو مرين ذلك غضبوا وأقسموا بالله لايدفنون أميريهما حتي يثأروا لهما ثم استأنفوا القتال ببسالة تفوق الوصف فانتصروا على أعدائهم وغنموا ما كان معهم وشردوهم فى كل وجه

ثم بايع بنو مرين أبا سعيد عثمان بن عبد الحق فسار على رأس جيشه يفتح المدن والحصون حتي مات قتيلا سنة (٦٣٨)

فقام بالامر بعده ابو معروف محمد ابن عبد الحق فسار سيرة أبيه وأخويه فاجتمع عليه الموحدون فدحروه وقتل في الحرب سنة (٦٤٢)

فتولى بعده ابو بكر بن عبد الحق وهو الذى رفع شأن بني مرين وجعل بملكتهم لاتنال وهو أول من جند الجنود

منهم وضرب بالطبول ونشر البنود

كان هذا الامير فى مبدأ أمره يدعو لابي زكريا بن أبي حفص صاحب افريقية وباسمه افتتح مكناسة سنة (٦٤٣) فجمع السعيد صاحب مراكش عظماء الموحدين وبسط لهم الحالة وشكا لهم من أن أمرهم صار لا يتعدي مراكش وما وليها بعد أن كان لهم جميع المغرب الاقصي وافريقية والاندلس فاستقر رأيهم على محاربة بني مرين وجمعوا لذلك مااستطاعوا من الجند فلما رأي أبو بكر انه لاطاقة له بلقاء هذه الجيوش تحصن في قلعته. وأما السعيد فانه تقدم الى مكناسة وفاس وا تولى عليهما وتقدم فحاصر ابا بكر في قلعته فطلب اليه الامان فأمنه

ولما مات السعيد أثناء محاصرته تلمسان انتهز الامير ابو بكر هذه الفرصة في كسر الموحدين واتخذ من يومئذ المركب الملكي وسار الى مكناسة فدخلها سنة (٦٤٦) ثم بايعه أهل فاس على شرط الذب عنهم وسلوك طريق العدل فيهم وبعد أن افتتح غيرها من المدن رجع الى فاس فأقام بها واستقامت له الاحوال فصلحت امور الناس وما زال ابو بكر يفتتح المدن ويقهر القبائل حتي طار ذكره في الآفاق وأجمع المرتضى خليفة الموحدين على النهوض بنفسه لبني مرين سنة (٦٥٣) فلما التقى الجمعان انهزم المرتضي فرجع الى مراكش مقهوراً

توفي أبو بكر سنة (٦٥٦) فخلفه أبو حفص عمر الا ان كبراء بني مرين مالوا الى مبايعة عمه يعقوب بن عبد الحق وبعد جدال عنيف اكتفي يعقوب بن عبد الحق بقسم من البلاد فخلص الامر لعمر ثم رجع عمه فتغلب عليه وأقطعه مدينة مكناسة سنة (٦٥٧) فاستبد يعقوب بالامر ونفذت كلمته وخصوصا بعد مقتل الامير عمر وأخذ في فتح أمصار المغرب واستنقذ مدينة سلا من أيدى الاسبانيين وكانوا استولوا عليها سنة (٦٥٠). ولما انتهى السلطان يعقوب من أمر الثوار عليه صمم على منازلة الموحدين في دار ملكهم فقصد مراكش سنة (٦٦٠) هـ فحدثت حرب بين الفريقين ثم انهزم الموحدين هزيمة منكرة وتم الامر لبني مرين بفتح مراكش بمساعدة ابي دبوس ابن عم المرتضي خليفة الموحدين وقائد حربه. ولما فر المرتضى من مراكش نزل علي صهره ابن عطوش

فقتله . ثم ان ابا دبوس نقض العهد الذي كان بينه وبين السلطان يعقوب واستبد بحكم مراكش فقصده يعقوب بجيشه وانتصر عليه وقتل ابو دبوس في ساحة القتال سنة (٦٦٨) ثم غزا أولاده وقواده البلدان ففتحوها فمحيت من ذلك الوقت دولة الموحدين

ولما رسخت قدم يعقوب بالمغرب قطع دعوة الحفصيين أصحاب تونس وافريقية بعد ان كان يدعو اليها هو واخوته وكان بنو ابي حفص يفرحون لذلك ويهادون بني مرين ويمدونهم بالمال والسلاح

ولما أراد السلطان يعقوب فتح سجلماسة نهض اليها سنة (٦٧٢) وحاصرها وافتتحها بعد سنة وكمل فتح بلاد المغرب كلها ولم يبق فيها مدينة تعتزى لغير بني مرين

في أثناء هذه الفتن كان الاسبانيون ينازلون مسلمي الاندلس حتى أخذوا منهم غالب حصونهم واستولوا على مدينتي قرطبة وأشبيلية قاعدتي الاندلس والتجأ صاحب الاندلس ابن الاحمر الى شاطيء البحر واتخذ مدينة غرناطة قاعدة له وابتني بها حصن الحمراء فلما ضاقت عليه المذاهب أرسل يستنجد بالسلطان يعقوب فأنجده بجيش وأسطول سنة (٦٧٠) وجعل القيادة لابنه فهزم العدو وتوغلت الجيوش فى بلاده وعاد بغنائم لاتحصي

فكبر هذا الامر على الفونس ملك قشتالة فجمع جيوشه للاخذ بالثار ولما رأي السلطان يعقوب عزمه هذا عول على لقائه بنفسه فخرج اليه في جيش عرمرم وهزمه وغنم منه مغانم شتي سنة (٦٧٤)

وفي سنة (٦٧٥) عاود السلطان يعقوب الكرة علي الفونس فنزل علي اشبيلية وانتسف أرباضها وافتتح عدة حصون ثم غزا قرطبة سنة (٦٧٦) فلم ير الفونس بدا من الصلح فأرسل اليه رسلا لمفاوضته فيه فأحالهم السلطان على ابن الاحمر صاحب الاندلس فأقسموا له الاقسام بأنهم يريدون صلحاً مؤبداً لاينقضه غدر فقبل منهم ذلك فترك السلطان يعقوب الاندلس وترك لابن الاحمر جميع الغنائم ورحل الى بلاده مؤيداً منتصراً

ثم حدثت فتن بين السلطان يعقوب وابن الاحمر أدت بالاخير الي الاتحاد مع الفرنج علي السلطان فأعد كل من

الخصمين أساطيله وجيوشه فلما التقى الاسطولان تحطم أسطول الفرنج وكان ابن الاحمر قد أثار على السلطان جميع الناقمين عليه في بلاد المغرب لوقف حركاته فأعاقه ذلك قليلا وفي سنة (٦٨١) قدم على السلطان كتاب من ملك قشتالة مع وفد من بطارقته مستصرخا به على ابنه الخارج عليه فانتهز السلطان يعقوب هذه الفرصة ونزل بجيوشه الى اسبانيا فدحر الابن الخارج على أبيه وقصد جيان وطليطلة ومجريط (أى مدريد) فخرب حصونها ودك أسوارها وانتسف مزارعها واتفق ان تقرر الصلح بين ابن الاحمر وبين السلطان ففرح المسلمون بزوال ما كان بينهما

ثم عزم السلطان سنة (٦٨٣) على الجواز الى الاندلس للجهاد وهي المرة الرابعة فافتتح حصونا كثيرة ثم عاد الي بلاده بغنائم شتي فلما رأي ملك الاسبانيين ماحل ببلاده وقومه من النهب والقتل أوفد وزراءه على السلطان يعقوب يطلب منه السلم والمهادنة فقبل السلطان منه ذلك على شرط مسالمة جميع المسلمين من قومه وغير قومه والوقوف عند مرضاته في سلوكه مع جيرانه من الملوك فلا يعاديهم ولا يصافيهم الا بارادته ورفع الضريبة عن تجار المسلمين وعدم الدخول بينهم في فتنة فقبل ملك الفرنج جميع هذه الشروط

ثم طلب شانجة ملك الاسبانيين مقابلة السلطان يعقوب فأذن له وأكرم وفادته وقبل هديته وسأله السلطان أن يرسل اليه بالكتب العلمية التي كانت في بلاد الاسلام التي استولى عليها الاسبانيون فأرسل اليه ثلاثة عشر حملا . ولما كان السلطان بأرض الجزيرة الخضراء أدركته الوفاة سنة (٦٨٥)

كان هذا السلطان من كبار سلاطين المغرب فان له غير هذه الفتوحات أعمالا خيرية فقد بني بيمارستانات للمجانين والمجذومين والعمي والفقراء وأجرى علي جميعها المرتبات وبنى مدارس لطلبة العلم ووقف عليها أموالا طائلة

تولي بعده ابنه الناصر فعقد مع ابن الاحمر صاحب الاندلس صلحا جديدا تنازل له فيه عن الثغور الاندلسية ماعدا الجزيرة الخضراء ورندة وطريف

ووفدت عليه وفود شانجة ملك الاسبانيين مجددين عهد الصلح

ولكن تألب عليه بنو ادريس وبقايا الموحدين فأبادوهم قتلا وتشريداً. وفي سنة (٦٩٠) بلغه ان شانجة نقض عهده وأغار على التخوم فأوعز الى قائده بالاندلس أن يدخل أرض الاسبانيين ويحاصر مدنهم ويخربها ثم أراد السلطان يوسف الالتحاق به فخرج أسطول الاسبانيين فدمر أسطول المغاربة فعاد السلطان آمراً ببناء عمارة جديدة فلما تمت ولقيها أسطول الاسبانيين اندحر ولم يجسر على معاكستها فاجتاز السلطان عليها البحر الى الاندلس وزحف على مدن الاسبانيين فأغار على اشبيلية ومريش وغيرهما ولما أقبل الشتاء عاد الى طريف لأنها أحسن ملجأ للاساطيل فانتهز ملك الاسبانيين هذه الفرصة وحاصره براً وبحراً وقطع عنه المدد من بلاده ولكنه كان متصلا بابن الاحمر تصل اليه من قبله الاقوات والرجال والسلاح. ولما ضجر ابن الاحمر من هذا الامر صالح شانجه سنة (٦٩١) وشرط عليه شروطا فلم يوف بها فندم على مافعل ورجع الى التمسك بود سلطان المغرب المحصور ولم ينل ملك الاسبانيين من السلطان منالا

توفي هذا السلطان سنة (٧٠٦) بطعنة خصي اسمه سعادة. هذا السلطان هو أول من اكسب ملك بنى مرين رونق الحضارة وعزة الملك. وفي عهده اخترع العرب البارود واستعملوه في حروبهم

قام بالامر بعده أبو ثابت عامر بن عبدالله فكثر الثائرون على عهده وتوفي سنة (٧٠٨) ه

تولى بعده أبو الربيع سليمان فعم الناس الامن وتنافس الكبراء في العمران وتوفي سنة (٧١٠)

خلفه أبو سعيد عثمان وكان عالما حكيما فأمن الناس وأنشأ الاساطيل. وكان له ابن اسمه ابو علي خرج عليه واضطره للاكتفاء بتازا وجهاتها ثم اديل له من ابنه فعاد اليه ملكه فأقطع ابنه الثائر سجلماسة

ولما كانت سنة (٧١٨) أغار ملك قشتالة على مدينة غرناطة عازماً علي استئصال من بقى فيها من المسلمين وكان جيشه يبلغ مئة وخمسة وثلاثين الفا فبعث الاندلسيون يستنجدون السلطان فلم ينجدهم الا أن عثمان أبي العلاء شيخ غزاة الاندلس من بني مرين أنجدهم فلقى ذلك الجيش العرمرم فشتت شمله وخلص أهل غرناطة من ضيقهم ووقعت في يدهم غنائم

لاتحصي وأسري منهم امرأة الملك وأولاده وتحدث الركبان بهذه النصرة العظيمة في جميع بلاد المسلمين

توفي السلطان أبو سعيد سنة (٧٣١) فقام بالامر بعده المنصور بالله أبو الحسن علي وكان أفخم بني مرين دولة وأكبرهم ملكا وأكثرهم أبهة وآثاراً بالمغربين والاندلس

حدث في اول عهده قتال بينه وبين أخيه أبي علي الذي كان ثار علي أبيه فأقطعه سجلماسة فانتهى القتال بقتل أبي علي المذكور بعد أن استقل بسجلماسة أكثر من تسع عشرة سنة

كان الاسبانيون استولوا على جبل طارق سنة (٧٠٩) فزاحموا بذلك ثغور المسلمين وضيقوا عليهم المذاهب فرأى ملك الاندلس محمد بن اسماعيل من بني الاحمر أن يفد على سلطان المغرب بنفسه فوفد عليه فأكرمه السلطان وأنفذ معه الجيوش والاساطيل فأجلوا الاسبانيين عن جبل طارق وردوه لعرب الاندلس وكان ذلك سنة (٧٣٣) ه

ثم أوعز السلطان لابنه أبي مالك امير ثغور الاندلس بالدخول في دار الحرب سنة (٧٤٠) فصدع بالامر وتوغل في الغزو وعاد بسبي وغنائم وفي أثناء عودته دهمه جيش للاسبانيين فقتل كثيراً من جنوده وقتله واحتوى علي كل ما كان اغتنمه

فلما بلغ هذا الامر والده أمر جيشه بعبور البحر الى الاندلس واعداد الاساطيل واستعد ملوك اسبانيا لملاقاته وأرسلوا أساطيلهم لمنع مرور جيشه فلما التقى الاسطولان حدثت موقعة بحرية استظهر فيها أسطول السلطان وأسر أسطول الاسبانيين ففرح أهل الاندلس بهذا الانتصار وتسابقوا الى مساعدة المغاربة وحدثوا أنفسهم باسترداد ماخرج من أيديهم من البلاد وكانت هذه الوقعة من أشهر الوقائع البحرية في ذلك العهد وكان من نتائجها امتداد سلطة بني مرين في البحر امتدادها في البر

ثم نزل السلطان بجنوده وحاصر ثغر طريف وكان بيد الاسبانيين وساعده ملك الاندلس من بني الاحمر وما زالا يحاصرانها حتي فنيت أزوادهما واختلت أحوالهما وكانا في أثناء الحصار يرسلان السرايا للاغارة والتخريب في بلاد العدو حتي وصل بعضها الي شريش وشذونة

وكادت تفتح الارك

فأرسل ملك قشتالة اسطولا جديدا بمساعدة اهل جنوة من ايطاليا ليقطع مواصلات بني مرين من جهة البحر فأصيب هذا الإسطول بهزيمة عظيمة

فلما طم بلاء المغاربة أجمع ملوك اسبانيا أمرهم على الاستبسال في قتالهم فزحفوا بجموعهم على العرب فاختل عسكر بني مرين حتى وصل جنود الاسبانيين الى سرادق السلطان وأسروا نساءه ثم قتلوهن ومثلوا بهن وأحرقوا معسكره وأسروا من بني مرين وغيرهم عدداً عظيما وكان ذلك سنة (٧٤٠) وولي السلطان أبو الحسن منهزما الي الجزيرة الخضراء.

ثم ان ملك الاسبانيين عاد بعد قليل فاستولي على قلعة بني سعيد ثغر غرناطة وكان السلطان ابوسعيد الغرناطي يريد معاودة الكرة فحشد لذلك أساطيله فتلاقت مع اساطيل الاسبانيين فدارت الدائرة على الاولى بمساعدة أساطيل ملوك ايطاليا . ثم جاء الاسبانيون فحاصروا الجزيرة الخضراء فطلب اليهم السلطان الصلح وتسليمهم البلد على ان يجيزوهم الى بلادهم فقبل ملك الاسبانيين ذلك سنة (٧٤٣) هـ

ثم حدث بين سلطان مراكش وبين أولاد أبي بكر الحفصي فتن أدت الي استيلائه على تونس وأعمالها سنة (٧٤٨) فدخل المغرب بأسره في حوزة بني مرين

ثم خرج عليه ابنه فأبقاه في تونس واستولى هو على جميع المغرب ثم بدت من الحفصيين حركة ثورة ضده فحسن له بعض أتباعه الهجرة فجمع ست مئة سفينة وشحن بها كل من عنده من اتباع وجنود فهبت عليهم ريح عاتية أغرقت هذه السفن بمن فيها ولم ينج غيره وبعض من خاصته علي ألواح خشبية فعاد الى مراكش في حالة سيئة وكان عليها ابنه أبو عنان فحاول ان يستعيد ملكه ففشل ومات طريدا سنة (٧٥١) هـ

اما ابو عنان فقد خرج عليه أخوه أبو الفضل ببلاد السوس باغراء ملك اسبانيا فقبض عليه أبو عنان وقتله ثم مات ابو عنان مخنوقا بيد وزيره سنة (٧٥٩)

فخلفه ابنه السعيد بالله ابو بكر فخلع بعد تسعة أشهر وتولى بعده المستعين بالله ابى سالم سنة (٧٦٠) هـ وهو ابن السلطان أبي الحسن فثار عليه الجنود

باغراء بعض الوزراء لتقديم بعضهم على البعض الآخر فقبضوا عليه وقتلوه سنة (٧٦٢) واحضروا رأسه الي الوزير عمر بن عبد الله

ثم بايع الناس السلطان ابا عمر تاشفين فاستبد الوزير عمر بن عبد الله بالملك فظهر الاختلال فى امر بنى مرين فخلع الوزير ابا عمر تاشفين وولى ابا زيان محمد بن ابي عبد الرحمن يعقوب بن السلطان ابى الحسن سنة (٧٦٣) وكان ملتجأ الي ملك الاسبانيين خوفا على نفسه فلما طلبه المغاربة لتوليته الملك أسلمه اليهم بشروط قاسية قبلها بنو مرين صاغرين فلم يرق هذا السلطان فى عين الوزير عمر بن عبد الله فقتله وولى عبد العزيز ابن الحسن وكان في احد القصور محبوساً فيه بأمر الوزير المذكور فجري الوزير معه على عادته من الاستبداد بالامر فعزم السلطان على الفتك به فأمر خصيانه بقتله فضربوه بالسيوف ثم تتبع السلطان حاشيته واعوانه بالقتل والحبس حتي استتب له الامر

فبدا له ان يسترد الجزيرة الخضراء بالاندلس من يد الاسبانيين فأشار على صاحب الاندلس بالزحف عليها ووعده بموافاته بالمدد ففعل فاضطر الاسبانيون لتسليمها اليهم سنة (٧٧٠) هـ ولم تزل تلك المدينة بيد ملوك غرناطة حتي هدموها لكيلا يتغلب عليها الاسبانيون سنة (٧٨٠)

هذا السلطان أعاد لبنى مرين شبابهم وأنعش دولتهم وهو الذى ألف العلامة ابن خلدون تاريخه باسمه

تولي بعده السلطان السعيد بالله ابو زيان محمد سنة (٧٧٤) وكان صبيا فاستبد عليه ابو بكر وزير ابيه واستقل بالامر دونه واغري عليه ملك غرناطه من خلعه وخلع السعيد بالله ايضا سنة (٧٧٦)

فقام بالامر بعده المستنصر بالله ابو العباس احمد ويقال له ذو الدولتين لانه ولي الملك مرتين وكان وزيره محمد بن عثمان متغلبا عليه . وفى زمنه استحكمت عري المودة بين بنى مرين وبنى الاحمر ملوك غرناطة حتي كان للآخرين تحكم في امور المغرب كأن المغرب صار جزءاً من بلاد غرناطة وذلك بما كان تحت يد بنى الاحمر من ابناء ملوك المغرب المرشحين للأمر فكان سلاطين المغرب يصانعون بني الاحمر لذلك

ثم حدثت عداوة بين سلطان المغرب وصاحب الاندلس أدت الى خلع السلطان وارساله مقيداً الى خصمه فبقي عنده محبوسا

فخلفه المتوكل علي الله ابو فارس موسي فاستبد عليه وزيره مسعود بن ماساي ودس اليه السم وقتله لما علم انه ينوى الفتك به . فقام بالامر بعده المنتصر بالله ابو زيان محمد فخلع بعد ايام فتولى بعده الواثق بالله ابو زيان محمد بن ابي الفضل وكان قبل ولايته عند ابن الاحمر بالاندلس فاستبد عليه وزيره مسعود واراد استرداد مدينة سبتة من يد صاحب الاندلس فغضب ابن الاحمر غضبا شديداً وأرسل الى المغرب السلطان ابا العباس المخلوع فلما وصل الى مراكش اهرع الناس اليه وخلعوا الواثق بشرط ان يبقى ابن مسعود وزيراً للسلطان فقبل ذلك وابعد الواثق الي الاندلس سنة (٧٧٩) فلما استتب له الامر قبض علي الوزير ابن مسعود وحاشيته فأهلكهم تعذيبا والتفت لتنظيم البلاد . وكان شاعراً توفي سنة (٧٩٦)

فخلفه المستنصر بالله ابو فارس وكان شاعراً رقيق القلب لا يميل لسفك الدماء توفي سنة (٧٩٩) ه

فقام بالامر بعده السلطان المستنصر بالله ابو عامر عبد الله وكانت الامور في مدته بيد وزرائه كما كان الحال على هذا المنوال منذ زمان طويل توفي سنة (٨٠٠) ه

فتولى بعده ابو سعيد عثمان وكان سنه ست عشرة سنة فسلم اموره للوزراء وأكب هو على شهواته. وفى مدته استولى البرتغاليون على سبتة واستمروا بها مدة مئتي سنة وهم ان يستولى على جبل طارق بطلب اهله فوقعت بينه وبين صاحب الاندلس حرب انكسر فيها واسر اخوه رئيس الجيش وانما طلب اهل جبل طارق ذلك لاعتقادهم بأن ملوك المغرب أقوى من ملوك الاندلس وان فيهم الكفاءة لحمايتهم من غارات الاسبانيين

واراد صاحب الاندلس الانتقام من ابي سعيد فجهز اخاه عبد الله (اخا السلطان) وامده بجنود ومال وارسله الى المغرب للتشغيب فنهض ابو سعيد لمحاربته فدارت الدائرة عليه وقبض عليه فحبسه اخوه الى ان مات سنة (٨٢٣) فاستقامت الاحوال لعبد الله ثم تآمر بعض الثائرين

عليه وقتلوه سنة (٨٢٤)هفتنازع على الملك اثنان من اخوته وكثر الثائرون ووصل الضعف ببني مرين الي أشـد درجاته ثم انتخبوا عبد الحق بن سعيد سلطاناعليهم وهو أطول سلاطين بنى مرين مدة وأعظمهم شقاء ومحنة وكانت اموره كلهاموكولة الى الوزراء فى أول عهده

كان البرتغاليون سنة (٨٤١) يريدون فتح طنجة فاستعصت عليهم وأسر قائدهم وقتلت جنودهم

ثم بدا للسلطان عبدالحق أن يتخاص من سلطة وزرائه فأوقع ببنى وطاس وكانوا حجـاب الدولة ووزراءها وهم مبدأ كل شر وجرثومته . وأخذ فى حكم البلاد بنفسه مستقلا فكادت تصفو له الاحوال الا انه أغضب الناس لتقريبه اليهود اليه فثار عليه رجال الدولة وخلعوه وولوا عليهم ابا عبد الله الحفيد فأوقع الناس فى مدته باليهود وقتلوا منهم عددا عظيما وكان السلطان عبد الحق في هذه الاثناء غائباً عن دار ملـكه فلما عاد وأراد تسكين الثائرة قبض عليه جنوده وضربوا عنقه سنة (٨٦٩) وبه انقرضت دولة بني مرين بعد أن حكمت مئتين وتسعا وتسعين سنة

أما أبو عبد الله الحفيد الذي ولاه الثائرون فلم يكن من بني مرين بل كان نقيباً للاشراف وهو من الادارسة وكان أهل المغرب يعظمون هذا البيت ويجلونه حتي ان بني مرين كانوا يعتبرون أنفسهم متغلبين علي الملك مع وجودهم فبقى هذا الشريف سلطانا وابنه وزيراً له الى سنة (٨٧٥) حتى خلعه ابو الحجـاج يوسف الوطاسى سنة (٨٧٥) ه

فى آخر عهـد دولة بنى مرين كان البرتغاليون قد استولوا على أكثر ثغور مراكش فاستولوا على سبتة سنة (٨١٨) بعد محاصرتها ست سنين وعلي قصر المجاز أوقصر مصمودة سنة (٨٦٢) وعلى طنجة سنة (٨٦٩) وعلي أصيلا سنة (٨٧٦) وعلى مدينة آنفي وبعض جهات السوس في السنة المذكورة وغير ذلك بحيث لم يبق من ثغور مراكش بيد أهلها الا القليل

(دولة بني وطاس) من سنة (٨٧٦ الى ٩٦١)

بنو وطاس فرقة من بنى مرين غير أنهم ليسوا من بني عبد الحق . ولما دخل بنو مرين المغرب واقتسموا أعماله كان لبني وطاس الريف . وكان بنو الوزير منهـم

يسمون الي الرياسة ويرومون الخروج على بني عبدالحق وتكرر ذلك منهم ثم راضوا انفسهم على الطاعة فاستعملهم بنو عبد الحق عمالاً في الايالات واستظهروا بهم علي امور درلتهم

قال ابن خلدون ان بني الوزير هؤلاء يرون ان نسبهم دخل في بني مرين وانهم من اعقاب يوسف بن تاشفين اللمتوني لحقوا بالبدو ونزلوا علي بني وطاس ووشجت فيه عروقهم حتي لبسوا جلدتهم ولم يزل السر متربعا بين اعينهم لذلك والرياسة شامخة بأنوفهم

اول من ولى السلطنة من بني وطاس هو السلطان ابو عبد الله محمد الشيخ سنة (٨٧٦) بعد قهره للحفيد. فلما رأي زوال دولة بني مرين واضطراب امورها جمع جنداً عظيما واستولى علي فاس ولما تمت له البيعة التفت لتدويخ البلاد وفي زمنه استولى فردينااند ملك اراغون وزوجته ازابلا ملكة قشتالة علي مدينة غرناطة سنة (٨٩٧) ﻫ ومحيت دولة المسلمين من الاندلس وتفرق المسلمون ايدى سبا فذهب غالبهم الى بلاد المغرب الاقصى والي تونس وطرابلس ومصر وغيرها وقدم سلطان غرناطة ابو عبد الله بن الاحمر فاستوطن فاس تحت رعاية السلطان محمد الشيخ بعد ان تقدم اليه بقصيدة من انشاء وزيره ابي عبد الله محمد العربي يقول في مطلعها :

مولي الملوك ملوك العرب والعجم
رعيا لما مثله يرعي من الذمم
بك استجرنا ونعم الجار أنت ان
دار الزمان عليه دور منتقم

وهي طويلة وصحبها برسالة غاية في البلاغة فأقام ابن الاحمر بمدينة فاس بأهله واولاده وحاشيته معززاً مكرماً الى ان ادركته الوفاة سنة (٩٤٠) ﻫ

في زمن هذا السلطان استولى البرتغال على ساحل البريجة بين ازميروتيط وشيدوا بها مدينة محصنة ولم يكتف البرتغال بذلك بل استولوا عل سواحل السوس فاحتلوا مدينة غادير توفي السلطان محمد الشيخ سنة (٩١٠)

فبويع ابنه محمد الملقب بالبرتغالي وفي عصره استولى البرتغاليون على اكثر الثغور المراكشية وضايقوا المغاربة اشد المضايقة فاشتغل السلطان بحربهم عن النظر في امور الرعية فكان ذلك تمهيداً

لانقلاب هذه الدولة وظهور دولة الاشراف السعديين سنة (٩١٥)

واستولي البرتغاليون على ثغر ازمور ثم ثغر المعمور سنة (٩٢١) لان السلطان استرد هذا الاخير

في عهد هذا السلطان استفحل أمر الاشراف السعديين بجهات السوس وطرد سلطانهم ابو العباس الاعرج البرتغال من تلك الجهات ودخل في طاعة أهل مراكش فانتقل اليها سنة (٩٣٠) بعد أن انتزعها من يد بني وطاس وكانت وفاة هذا السلطان الوطاسي سنة (٩٣١) فقام بالامر من بعده أخوه أبو حسون فقبض عليه احد اقاربه وخلعه في تلك السنة

فقام بالملك بعده السلطان ابو العباس احمد سنة (٩٣١) فحدثت بينه وبين السعديين وقائع انتهي أمرها بالصلح سنة (٩٤٠) وقسمت البلاد بين الفريقين ثم انتشب القتال بينهما ودام أياما فانهزم الوطاسيون سنة (٩٤٣)

ثم حدث قتال آخر انتصر فيه السعديون ايضا سنة (٩٥٢) فاستولى سلطانهم محمد الشيخ السعدي علي مكناسة سنة (٩٥٥) ثم افتتح فاسا بعد وفاة أبي العباس الوطاسي سنة (٩٦) فاستقل الشيخ السعدي بأمر المغرب

ثم خلفه ابو حسون الوطاسي مرة ثانية وكان قد فر الى الجزائر واستنجد بالعثمانيين الذين كانوا استولوا على المغرب الاوسط وانتزعوه من يد بني زيان فأنجدوه بجيش تحت قيادة صالح باشا فاستولى على فاس بعد حروب عنيفة سنة (٩٦١) ثم جمع أبو حسون اموالا جزيلة واعطاها للعثمانيين وصرفهم وتخلف منهم نفر يسير

أما السلطان محمد الشيخ السعدي ففر الى مراكش واستنفر العرب لقتال ابي حسون فلما التقى الجمعان انهزم ابو حسون واستولى السعدى علي فاس سنة (٩٦١) وقتل ابو حسون وبه انقرضت دولة الوطاسيين او الدوله المرينية الثانية من المغرب

وكانت البرتغال تمني نفسها بالاستيلاء علي مراكش لذلك كانت من أكبر العوامل في وقوع الفتن بين الحفصيين ف افريقية وبين بني مرين والوطاسيين في مراكش وكان من وراء هذا الاضطراب ضعف ملوك غرناطة بالاندلس حتى تم الامر بتغلب الاسبانيين عليهم هناك ثم

طمحوا الي الاستيلاء علي مراكش ايضا فأخذوا بجاية سنة (٩١٠) ووهران سنة (٩١٤) وأخذوا غيرها وضعف بنو زيان عن مقاومتهم ثم أرادوا التغلب على مدينة الجزائر فصدهم عنها خير الدين باشا باربارُوس وأخوه أوروج كما تراه فى تاريخ الجزائر

(دولة الاشراف السعديين) من سنة (٩١٥ الى ١٠٦٩)

كان أصلهم من ينبع النخل من ارض الحجاز ينتسبون الى محمد النفس الزكية بن الحسن السبط بن علي رضي الله عنهم وكان السبب في قدومهم الى المغرب ان اهل درعة كانت لا تصلح ثمارهم فقيل لهم لو أسكنتم بين ظهرانيكم أحد الاشراف اصلحت زراعتكم كما صلحت ثمار أهل سجلماسة بسبب شريف أقاموه لديهم فأتي أهل درعة بالمولى زيدان بن احمد وسموا بالسعديين تفاؤلا بهم

أول ملوكهم القائم بأمر الله أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن كان أول أمره بالسوس وقت أن أحاطت به البرتغال فانقاد الناس اليه لعدم وجود أمير تجتمع عليه كلمة المسلمين هناك فلما بايعه الناس انتدبهم لمكافحة البرتغاليين فقاموا معه سنة (٩١٧) فتغلب عليهم وطردهم من البلدان التي كانوا قد احتلوها فقويت شوكته وزادت محبة الناس فيه ثم توفي سنة (٩٢٣)

فقام بالامر بعده ابنه السلطان أبو العباس احمد فبايعه الناس فجمع الجنود وشن الغارات على البرتغاليين المحتلين لثغور السوس فتمكن من اجلائهم عنها ولما طار صيته ودخلت جميع البلاد السوسية فى حكمه كاتبه أمراء مراكش يرومون الدخول فى طاعته فسار اليهم ودخل مراكش سنة (٩٣٠) فأتي اليه ملك ابو عبد الله الوطاسى الملقب بالبرتغالي

وكان لابي العباس أخ يدعي بأبي عبد الله محمد الشيخ وكان الوفاق سائداً بينهما حتي تدخل بينهما الوشاة فحدثت بينهما فتن وغلب أبو عبد الله محمد الشيخ على اخيه ابي العباس فقبض عليه وعلى اولاده واتباعه وسجنهم وذلك سنة (٩٤٦)

لما استقل السلطان أبو عبد الله محمد الشيخ ببلاد السوس وصرف همته الي جهاد العدو الذي كان لا يزال له بعض الجهات الساحلية والحصون البحرية فانتصر عليهم

وطردهم من تلك النواحي سنة (٩٤٨) ﻫ الموافقة لسنة (١٥٤٢)م ثم هاجم مراكش فافتتحها وخلص له ماكان بيد أخيه المخلوع سنة (٩٥١) ﻫ ثم طمحت نفسه للاستيلاء على بقية المغرب وأمصاره ودساكره وقطع دابر الوطاسيين فما زال يفتحها بلداً بلداً حتى استولى على مكناسة سنة (٩٥٥) ﻫ ولما دخل بها قبض على جميع الوساطيين وأرسلهم مكبلين بالحديد الى مراكش الا أبا حسون فانه فر الى الجزائر والتجأ الى العثمانيين فأعانوه كما مر ثم تاقت نفسه لفتح تلمسان وكان قد استولى عليها حسن باشا ابن خير الدين باشا بارباروس ففتحها الا أنها لم تدم في يده فان العثمانيين كروا عليها واستنقذوها منه سنة (٩٥٧) فعاد الى فاس

ولما استولى أبو حسون بمساعدة العثمانيين على فاس كما مر وفر منها أبو عبد الله الشيخ ثم عاد اليها ثانية صفا له أمر المغرب ودانت له أقطاره سنة (٩٦٠)

وكان هذا السلطان يحقد على العثمانيين لاستيلائهم على المغرب الاوسط ويطيل لسانه بسب السلطان سليمان القانوني فأضمر له هؤلاء الشر وقاتلوه في مملكته وقتلوه سنة (٩٦٤)

كان هذا السلطان يقظا ماضي العزيمة عالي الكعب في العلم حتى عد من الأئمة في زمنه وكثيراً ما كان ينشد :

الناس كالناس والايام واحدة
والدهر كالدهر والدنيا لمن غلبا

ولما بلغ اهل مراكش قتله بادروا فقتلوا ابا العباس الاعرج المخلوع وأولاده جميعاً مخافة أن يبايعه الناس

تولى بعده ولده السلطان ابو محمد عبد الله الغالب بالله سنة (٩٦٤) ﻫ فبايعه اهل فاس ثم أهل مراكش فأخذ يصلح أمور الناس وفي السنة الاولى من سني حكمه أغار عليه حسن باشا بن خير الدين باشا الا انه رجع مهزوما ولكنه كان يرسل بأسطوله الى حجر باديس وطنجة فيديم الاغارة عليهما فاتفق السلطان أبو محمد مع الاسبانيين على العثمانيين وتنازل لهم في مقابل ذلك عن مدينة حجر باديس

في مدة هذا السلطان قصد البرتغال الاستيلاء على بعض سواحل مملكة المغرب الاقصي فظهرت زوبعة عظيمة ألقت بأسطولهم على الشاطيء فتحطم فاستولى المغاربة على ماكان فيه من الاموال والذخائر وكان فيه ١٥٠٠ مدفع فركبوها في معاقلهم

سنة (٩٨٠)

توفي هذا السلطان سنة (٩٨١)فقام بالامر من بعده أبو عبد الله محمد المتوكل على الله سنة (٩٨١) فلما كانت سنة (٩٨٣) قدم عليه عمه عبد الملك بن الشيخ بجيش من الترك فبدد ملكه وفر المتوكل واستولى عبد الملك الملقب بالمعتصم على فاس ومراكش وغيرهما ثم عاد المتوكل فاستولى عليها بمساعدة البرتغاليين وكان وعدهم بجميع سواحل المغرب

ثم تقدم المتوكل بجيش فيه ١٢٥٠٠٠ مقاتل ومعه حليفه ملك البرتغال لقتال عبد الملك فلما صادفوه حدث بين الفريقين قتال عنيف انتهى بانتصار جيش عبد الملك وكان قد مات في خيمته. وقتل ملك البرتغال غريقا في نهر وقتل المتوكل أيضا فصفا الملك لعبد الملك وكان يتزيا بزى الاتراك ويقلدهم في كثير من شؤونه

ثم قام بالامر بعد الشريف ابو العباس احمد المنصور بالله سنة (٩٨٦) ه فأظهر انه نسي ما للعثمانيين عليه من الحقوق لانهم كانوا السبب في اجلاسه على ذلك العرش فحدث نفور بينه وبين السلطان مراد بن السلطان سليم فأمر السلطان قائد الاساطيل أن يتجهز للذهاب الى بلاد المغرب الاقصى فاتصل الخبر بالمنصور من السفير الانجليزي فهاله هذا الامر وأرسل الى الآستانة رسلا يعتذرون للسلطان وحملهم هدايا فاخرة اليه فعفا السلطان مراد عنه وأرسل اليه رسلا يلومونه على ما فرط في جنب سلطان العثمانيين وكان ذلك سنة (٩٨٩)

اتسع ملك السلطان المنصور هذا حتى استولى على تومبكتو وكانم وكاغو وغيرها من بلاد السودان وهادنته ملوك التكرور كذلك بورنو وغيره

كان هذا السلطان من أجل ملوك الغرب بني المباني العظيمة منها القصر المشهور المسمي بالبديع صرف عليه مالا طائلا فرشه بالرخام والفسيفساء والطنافس والحرير وكانت وفاته سنة (١٠١٢) ه بالوباء الذى كان انتشر في تلك السنين

تولى بعده ابنه السلطان الشريف أبو المعالى زيدان وبايعته البلاد الا مراكش فانها بايعت أخاه أبا فارس فلما علم زيدان بذلك جهز جيشا لقتال أخيه وأعطي قيادته لاخيه المدعو الشيخ ولكن انحرف الناس عن زيدان الى أخويه أبي فارس

والشيخ وتسللت عنه الجنود اليها فلم يسع زيدان الا الفرار الى فاس متحصناً بها فانحرف عنه أهلها أيضاً ففر الى تلمسان تاركا البلاد لاخويه سنة (١٠١٢) فصفت البلاد للشيخ ثم لما ظهرت منه النوايا السيئة والسيرة المعوجة كرهه الناس . وأرسل جيشاً لمحاربة أخيه أبي فارس تحت قيادة ابنه عبد الله فانهزم أبو فارس ودخل جيش الشيخ مراكش فاستباحها ونهبها واشتغل باللذات وشرب الخمر متجاهراً بالمعاصى فلم يسع أهل مراكش الامكاتبة زيدان فحضر اليهم فقابلوه بالترحاب وتحزبوا امعه وقتلوا حاكمهم الذي ولاه عليهم الشيخ خرج عبد الله ابنه فاراً بجنوده من أهل فاس بعد أن قتلوا منهم مقتلة عظيمة سنة (١٠١٠)ه

فلما رأى الشيخ ذلك جهز ابنه عبد الله بجيش عظيم لاسترداد مراكش فأرسل اليه زيدان قائده المدعو مصطفي باشا بجيش عظيم فانهزم ثم تقدم عبد الله الى مراكش فبرز اليه أهلها في جيش جرار ولكنهم انهزموا ودخل عبد الله مراكش. فر زيدان الي الجبال وأفحش عبد الله فى تقتيل خصومه والتضييق على الاهالي فهرب جانب كبير منهم الى الجبال واتفقوا فيما بينهم على تولية محمد بن عبد المؤمن بن السلطان الشريف محمد الشيخ فخرج عبد الله لقتالهم فانهزم وتشتت أصحابه حتي وصلوا الى فاس في حالة سيئة

أما محمد بن عبد المؤمن فانه لما دخل مراكش صفح عن الذين تخلفوا عن جيش عبد الله بن الشيخ فكان ذلك سبباً في توغر الصدور عليه فكاتب أهل مراكش الشريف زيدان فأتاهم وفر ابن عبد المؤمن فصفح هو أيضاً عن الفئة المتخلفة عن عبد الله بن الشيخ

فأرسل الشيخ ابنه لفتح مراكش مرة ثالثة فانهزم ووقع معسكره في يد السلطان زيدان وانضم اليه جيش عبد الله فاستفحل أمره فخاف الشيخ عاقبة هذه الهزيمة ففر الي العرائش فتبعه ابنه اليها ومنها ركب البحر الي فيليب الثاني ملك الاسبانيين مستصرخا به علي السلطان زيدان سنة (١٠١٧)

ولما استقر زيدان بفاس بلغه قيام ثورة بمراكش فزحف اليها مسرعا واستخلف على فاس قائده مصطفى باشا فلما علم عبد الله بن الشيخ ذلك زحف

على فاس فبرز اليه مصطفى باشا فانهزم وقتل فدخل عبدالله بن الشيخ فاسا مع عمه أبي فارس سنة (١٠١٨) فأقبل زيدان مسرعا ففر عبدالله واستتب الامر لزيدان

ثم وقعت الحرب بين زيدان وعبدالله فانهزم الاول ورجع الى فاس وصرف همته الى ضبط البلاد في داخلها وتوارث بنوه السلطة من بعده وبقي عبد الله بن الشيخ بفاس الى أن مات وقام بالامر بعده بتلك المدينة ثوارها

تقدم قولنا ان الشيخ فر الى ملك الاسبانيين مستنجداً به فلم ينجده الا فى مقابل تنازله عن العرائش وابقاء اولاده رهناً عنده فقبل الشيخ ذلك وأقبل بجنود الاسبانيين فأخلي لهم ثغر العرائش فهاج الناس لذلك وماجوا وأفتي العلماء بوجوب الاجماع عليه لمنعه فاحتال علي الناس بحيلة وذلك انه ادعي ان الاسبانيين أسروه وأولاده ولم يفكوا أسرهم الا بعد أن شرط لهم ثغر العرائش ثم استفتي العلماء هل يجوز لأمير المؤمنين ان يفعل ذلك. فأفتوا بالجواز لاسيما وهو بضعة من رسول الله ولكنه لفساد سيرته وتجاهره بالعصيان كرهه الناس واجتمعوا عليه وقتلوه سنة (١٠٢٢)

وكان زيدان مشتغلا بمحاربة اخوته وما زال على ذلك حتي توفي سنة (١٠٣٧)

فقام بالامر بعده ابنه عبد الملك فخرج عليه أخواه الوليد واحمد فحاربهما حتى هزمهما وفر احمد فدخل فاسا وتسلط عليها ثم قتل سنة (١٠٥١) وأما عبدالملك فقد كان فاسقا منهتكا قتل وهو سكران سنة (١٠٤٠) هـ

فتولى بعده أخوه الوليد بن زيدان فلم يجاوز سلطانه مراكش وأعمالها كما كان عليه الحال أيام أبيه وأخيه واقتسم أولاد زيدان المغرب فكان حاله كحال الاندلس أيام طوائفه فتلاعب الاسبان والبرتغاليون بسياسته فضاعت الفتوحات السودانية واستقل جزء عظيم من بلاد السوس وتوزعه عدد من الخوارج كأبي حسون السملالى وغيره . ثم كمن بعض الجنود للسلطان فقتلوه سنة (١٠٤٤) فأجمع أرباب الدولة علي تولية أخيه محمد الشيخ فأخرجوه من سجنه فسار في الناس سيرة العادلين وتوفي سنة (١٠٦٤)

فتولي بعده ابنه ابو العباس احمد

فلم يستقر لهم امر لان أخواله قويت شوكتهم في ايامه وراموا الاستبداد بالملك فحاصروه في مراكش ثم قبضوا عليه وقتلوه وأقبلوا الى مراكش سنة (١٠٦٦) فولوا عليهم أميرهم عبد الكريم بن أبي بكر الشيباني وبقتل السلطان أبي العباس احمد انقرضت دولة السعديين من آل زيدان وكانت مدة ولايتها مئة وخمسين سنة وقام بمراكش دولة صغيرة تعرف بدولة الشبانات وأولها الرئيس عبد الكريم بويع له سنة (١٠٦٩) فسار سيرة حسنة حتي مات سنة (١٠٧٩) ثم خلفه ابنه أبو بكر بن عبد الكريم وبقي في مراكش الي ان قدم المولى الرشيد وقبض عليه وعلى عشيرته فقتلهم ثم تتبع الشبانات حتي أفناهم

(دولة الاشراف السجلماسيين)

يتصل نسب سلاطين هذه الدولة الي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال العلماء ماولي المغرب بعد الادارسة أصح نسباً من هذه الاسرة أصلهم من ينبع النخل بأرض الحجاز وكان أول من دخل منهم المغرب المولى حسن بن قاسم في أواخر المئة السابعة في أول عهد الدولة المرينية وقيل ان سبب مجيئه الى سجلماسة هو اعلاء قدر الدولة المرينية لأنها لما أتت رفعت قدر الاشراف واحترمتهم ولم يكن بسجلماسة أحد من آل البيت النبوي . وكان حسن المذكور عالما ملما بكثير من العلوم صالحا زاهداً بقي بين أهل سجلماسة يعظهم ويهديهم حتي مات وكان له ولد يدعي محمداً فقام مقامه في الوعظ والارشاد وما زال محترماً بين أهل سجلماسة هو وأولاده من بعده الي أن نبغ منهم المولي أبو الحسن على الشريف الذى دعاه اهل غرناطة لما ضايقهم الاعداء يلتمسون منه ان يكون شيخا للغزاة وتنازلوا له ولمن يحضر معه عن أموال جزيلة برسم الجهاد

ومن اولاده السيد على المثنى وهو جد الاشراف الحاليين الحاكمين بمراكش وكان له ولد يدعي الشريف محمداً وهو أول من تولى الرياسة منهم . ولما تفاقم أمر المغرب في أواخر دولة الاشراف السعديين وكثر به الثوار استصرخ الشريف محمد بأبي حسون السملالي صاحب بلاد السوس اذ ذاك فأسرع في تلبية طلبه على رأس جيش عظيم سنة (١٠٤٣) ثم دخل الوشاة والساعون بين ابي حسون وبين الشريف حتي حدثت

بينهما وحشة فكتب أبو حسون لعامله على سجلماسة أن يقبض على الشريف ويرسله اليه مكبلا بالحديد فلما وصل اليه اعتقله حتى أفتكه ولده محمد بمال جزيل سنة (١٠٤٧) ه وأقام بسجلماسة الى أن توفي سنة (١٠٦٩)

بينما كان الشريف في حبسه كان ابنه محمد يسعى في تأليف القلوب عليه وجمع جيشاً ليرد به خصومه فتم له ذلك بسبب ما كان عليه عمال أبي حسون من سوء السيرة ثم أوقع بعمال أبي حسون وطردهم بعد قتال شديد ولما اشتد ساعده بايعه حزبه سنة (١٠٥٠) في حياة أبيه ووافق على بيعته أهل الحل والعقد بسجلماسة فاجتهد المولى محمد في مكافحة أبي حسون فانتصر الاول وانهزم الثاني الى بلاد السوس. واستولى محمد على درعة وأعمالها فاتسعت مملكته . ثم وقعت الحرب بينه وبين صاحب فاس ومكناسة الرئيس عبد الله محمد الحاج الدلائي فهزم أولا محمد الشريف وتصالحا ثم تحاربا فانهزم صاحب فاس واستولى محمد بن الشريف عليها سنة (١٠٦٠) ثم اضطر لتركها واستولى عليها محمد الحاج ثانية وجعل عليها ابنه محمداً أميراً . أما الشريف محمد فترك فاسا ووجه مطامعه الى جهات تلمسان فأخضع قسما من بني يزناسن وهزم جيشاً تركيا كان قد خرج لرده من تلمسان سنة (١٠٦٠) وأخذ يشن الغارات على المغرب الاوسط حتى كاد يزعزع سلطة العثمانيين هناك فاضطر عثمان باشا والى الجزائر أن يجهز له جيشاً ليرده فلما بلغ الشريف الخبر ولى راجعاً الى بلاده

ثم خرج عليه أخوه المولى الرشيد ابن الشريف بعد وفاة أبيه وحاربه فمات المولى محمد في القتال برصاصة وصلت اليه سنة (١٠٧٥)

فقام بالامر بعده المولى الرشيد ففتح تازا وسجلماسة بعد أن حاصرها تسعة أشهر وكانت تحت سلطة ابن أخيه المولى محمد الصغير . وفي سنة (١٠٧٤) استولى على مدينة فاس بعد أن قتل من أهلها عدداً عظيما ثم مال على الثوار والخوارج فأفناهم أو شردهم ثم خرج قاصدا مراكش فاستولى عليها وقتل أميرها أبا بكر عبد الكريم الشيباني . وكان على السوس بنو حسون فسار اليهم سنة (١٠٧٨) وافتتح بلادهم ثم توفي سنة (١٠٨٢)

جمح به فرسه في بستان فأصابه فرع شجرة فهشم رأسه يوم عيد الاضحي

وفي عهده أي سنة (١٠٧٩) تنازل البرتغاليون عن سبتة . والرشيد هذا أول من ضرب فلوس النحاس مستديرة وكانت مربعة

تولي بعده أخوه المظفر بالله أبو النصر الشريف اسماعيل وكان سنه ستا وعشرين سنة فخرج عليه ابن أخيه المولي أبو العباس احمد والتف عليه طوائف من بلاد السوس ودخل في طاعته أهل مراكش فخرج اليهم وقاتلهم وهزمهم ودخل مراكش عنوة سنة (١٠٨٣) فعفا عن أهلها . ثم عدى عليه أهل فاس وقتلوا قائده وأعلنوا دعوة أبي العباس احمد ثم التقى بأبي العباس احمد وظفر به وقتله سنة (١٠٨٤) ثم حاصر فاسا فأذعن أهلها له فعفا عنهم

وكانت مدينة مكناسة الزيتون قد بناها البربر قبل الاسلام ولما جاء الموحدون فتحوها ثم أخربوها ثم بنوا بدلها مكناسة الجديدة المسماة تاكرارت فاعتنى بها بنو مرين من بعدهم فشيدوا بها المساجد والمدارس وكانت على عهدهم كرسي الوزارة كما كانت فاس كرسي الامارة فاتخذها المولي اسماعيل القائم بهذه الدولة عاصمة له وبني بها قصوره وجعل لها سورا حصينا وفرض العمل على القبائل مناوبة وفرض الصناع وأهل الحرف على الحواضر واتخذ له جيشا من السودان وجعله فرقا وطوائف مرتبة يختلف بترتيبه ماعهده أهل المغرب وبذلك استغني عن الانتصار بالقبائل ثم ان المولى اسماعيل قصد المغرب الأوسط بجيش عظيم ولما علم والي الجزائر بذلك أرسل جيشا من الترك لصده فلما رأي العرب عظم جيش الترك وجودة أسلحته ومدافعه تسللوا من حول المولى اسماعيل ولم يبق معه الا الجيش الذي أتى معه من مكناسة فلما رأي ذلك ارتد بلا قتال سنة (١٠٨٩)

ثم خرج عليه اخوته الثلاثة فأوقع بهم ثم أخذ في محاربة الاسبانيين لاخراجهم من البلدان التي كانوا استولوا عليها بالمغرب فأرسل قائده على بن عبد الله فافتتح المعمورة المسماة بالمهدية عنوة سنة (١٠٩٢) ثم التفت الى مدينة طنجة وكان أخذها الانجليز من البرتغال فحاصرها وشدد عليها النطاق فتركها الانجليز سنة (١٩٠٥) بعد أن أخربوها وهدموا

أسوارها . وفتح أيضا مدينة العرائش وكانت بيد الاسبانيين سنة (١١٠٠ هـ) ووقعت حاميتها بيد المراكشيين قبل أن لويز الرابع عشر ساعد المراكشيين علي فتحها بارساله أسطولا منع عنها المدد من جهة البحر

ثم توجه لمحاصرة أصيلا وكانت بيد الاسبانيين فملكها سنة (١١٠٢) ثم سار الي سبتة فلم يتيسر فتحها

ثم بدا له أن يقسم الملك على أولاده حتي لا يتنازعوا بعد موته ثم توفى سنة (١١٣٩) بعد أن لبث في الملك سبعا وخمسين سنة حتي كان جهلة الأعراب يعتقدون أنه خالد لا يموت . وكان بعض أولاده يعبر عنه بالحي الدائم

في سنة (١١٩٢) أراد الملك لويز الرابع عشر أحكام الوصلة بينه وبين المولى اسماعيل وأحب المولي اسماعيل أيضا الارتباط مع لويز ليساعده على العثمانيين بالجزائر والاسبانيين المستولين علي بعض ثغوره وحصلت مخابرة بين الطرفين وأرسل السلطان اسماعيل من بلاده وفداً لملك فرنسا معه كتاب بتفويض حق المخابرة في أمر المعاهدة لرئيس ذلك الوفد كأن له الحق في التصديق علي الاتفاق وأوصى السلطان أيضا رئيس ذلك الوفد فى أن يفاتح ملك فرنسا فى أمر اقترانه باحدى أميرات الاسرة المالكة فى فرنسا وهي الاميرة دو كونتي تأييداً لروابط المحبة بين المملكتين الا أن هذا الوفد لم يصادف نجاحا فضعف ماكان لفرنسا من النفوذ فى مراكش

كان هذا السلطان واسع الملك فقد بلغ ملكه جنوبا الى تخوم السودان وانتهت الى ماوراء نيل السودان وهو نهر النيجر وشرقا الى عسكره من بلاد الجريد من نواحي تلمسان وكان شغفا بالعمارة حتي ان له آثاراً باقية الى الآن

قال صاحب الاستقصاء : أما مبانيه بقلعة مكناسة وقصوره ومساجده ومدارسه وبساتينه فشيء فوق المجهود بحيث تعجز عنه الدول القديمة والحديثة من الفرس واليونان والروم والعرب والترك فلا يلحق ضخامة مصانعه ماشيده الاكاسرة بالمدائن ولا الفراعنة بمصر ولا ملوك الروم برومة والقسطنطينية ولا اليونان بانطاكية والاسكندرية ولا ملوك الاسلام ودولهم العظام كبني أمية بدمشق وبني العباس ببغداد والعبيديين بافريقية ومصر

والمرابطين والموحدين وبني مرين والسعديين بالمغرب . انتهي كلامه

نقول في هذا الكلام غلو عظيم لا يصح ان يصدر من مؤرخ علي انه يدل فى الجملة على ماكان لهذا السلطان من المباني العظيمة

قام بالامر بعده ابنه السلطان المولى أبو العباس احمد المعروف بالذهبي فافتتح أعماله بقتل عمال أبيه وأركان دولته وكان ذلك باشارة قادة جيش العبيد العظيم الذى ألفه والده اذ استبدوا بالامر. وقد خرج عليه الثوار فاشتغل عنهم بلذاته وترك الناس وشأنهم فانحطت هيبة الملك وتفكك نظامه ولا سيما مع ماأصيب به من قتل أساطينه الذين كانوا قوامه وكان ذلك ما يوده العبيد فانهم شغلوا مناصب الدولة وامتدت أيديهم بالنهب والسلب وكثرت الشكايات منهم الى السلطان . ثم اتفق أهل فاس مع أولئك العبيد على خلع هذا السلطان وتولية اخيه المولى عبد الملك ثم خلعوه وسجنوه سنة (١١٤٠) ه لما علموا انه هم بتطهير ديوانه من العبيد الا انه لم يحكم التدبير فى ذلك فعالجوه بالخلع وبايعوا المولي أبا مروان عبد الملك فأساء السيرة فاختلت عليه الامور ونقم عليه العبيد أيضاً لحبس يده عنهم بالعطاء فأراد أن يوقع النفور بينهم وبين البربر ليأمن شر الطائفتين ففطن العبيد لذلك واحتاطوا لانفسهم وعزموا على خلعه ورد أبي العباس الي الملك فأرسل اليهم بالوعاظ والنصحاء فلم يزدادوا الانفورا منه ثم نفذوا ما صمموا عليه وأعادوا أبا العباس الى الملك ثانية سنة (١١٤٠)

الا ان أهل فاس عزموا على تأييد المولى أبي مروان فأرسل اليهم أبو العباس يعظهم وينهاهم ويخوفهم عاقبة الفتنة فلم تصادف نذره هوي من نفوسهم واغلقوا أبواب مدينتهم وتحصنوا بها فأرسل المولى العباس الجيوش لقتالهم فنصب المدافع والمهاريس فدك أسوارها وأخرب دورها واجتاح مزارعها فاضطر أهل المدينة للتسليم فقبض أبو العباس على أخيه ونفاه الي مكناسة ومرض السلطان فلما أحس بالموت أمر بخنق أخيه سنة (١١٤١)

فقام بالامر بعده المولى عبد الله بن اسماعيل وكان بسجلماسة فأقبل مسرعا حتي قدم على فاس فاستقبله أهلها بالترحاب فلما استتب له الامر سعي الوشاة بينه وبين

أهل فاس فمنع اعطياتهم وجاهر بعداوتهم فنادوا بخلعه فسار اليهم بجيش جرار وحاصرهم وامر جنوده بتخريب مزارعهم وطم انهارهم فانحبس عنهم الماء وارقادة مدافعه باطلاقها عليهم ليلا ونهاراً سنة (١٠٤٢) فاضطروا المصالحته

ثم نهض لقتال البربر الذين كانوا خرجوا عليه فأوقع بهم ثم عرج علي اهل فاس فأوغل فيهم قتلا وهدم مدينة الرياض من حضرة مكناسة وكانت تحتوي علي قصور شامخة وذلك انه امر جنوده بهدم تلك القصور على الناس وهم نيام فيها فلم يشعروا الا والبيوت تتداعي عليهم بالسقوط فنفر أهلها وتشتتوا في الفلاة فلم تمض عشرة ايام حتي صارت مدينة الرياض قاعا صفصفا فنفر منه الناس فأمر جنوده بالاسراف في القتل فلما رأى ان الامة قد امتلأ صدرها غيظا منه امر بحشد الجيوش لمقاتلة القبائل العاصية وذلك ليمنع الناس من التألب عليه وولي علي فاس عاملا وامره بارهاق اهلها بالمظالم فهاجر أكثرهم الى مصر وتونس والشام وغيرها ولم يبق بفاس الا الضعفاء والنساء وكان ذلك سنة (١١٤٥)

وكان هذا السلطان قد اوغل في قتل العبيد ايضاً حتي قيل انه اباد منهم نحو عشرة آلاف نسمة فحقدوا عليه وعزموا علي عزله وقتله فلما شعر بالخطر هرب الى بلاد السوس فأقام بها ثلاث سنين

فاجتمع العبيد وبايعوا المولى ابا الحسن ابن اسماعيل المعروف بالاعرج وكان بسجلماسة سنة (١١٤٧) ثم بايعه أهل فاس ومكناسة ثم انتقض عليه اهل فاس ثم زال مابينهم

فنهض السلطان المخلوع يريد القبض على زمام السلطة ثانية وساعده على ذلك طائفة من الجنود ففر ابو الحسن الى بعض قبائل العرب وأقام لديهم عدة سنين معرضا عن الملك الى ان رجع الى مكناسة فاستوطنها باشارة اخيه السلطان المولي عبدالله

ثم قبض عليه العبيد وارسلوه الى اخيه بدعوى انه افسد عليهم بلادهم فأرسله اخوه الى سجلماسة فأقام بها الى ان مات

لما فر السلطان المولي ابو الحسن من مكناسة واجتمعت كلمة الجنود علي بيعة السلطان عبدا لله فلم يستقم امره بل

عاد الى سالف سيرته من تقتيل الأعيان والقادة فخلع اهل فاس ومكناسة طاعتـه سنة (١١٥٠) وبايعوا اخاه محمد بن عربية وكان مختفيا بفاس وبايعه العبيد ايضا ففر السلطان عبـد الله الى بلاد البربر ثم قدمت الوفود من جميع الاقطار على المولى محمد فأكرمهم واجازهم وفرق ماكان عنده من المـال فلم يقنعهم لذلك فاضطر لخوفه منهـم ان يطلق يده في النهب والسلب واستخراج الحبوب والاقوات من دور اهل مكناسة فكثر الهرج وعمت الفتنـة وفر الناس وانقطعت السبل وامتنع الخراج فأخذ السلطان في مصادرة الاغنياء من اهل فاس ومكناسة فعظمت المحنة وامتلأت الطرق باللصوص حتي صار اهل المدن لا يستطيعون الانتقـال من بلد الى بلد وهلك من الناس عـدد عظيم والسلطان غير مبال بذلك كله مرضاة للعبيد اهل الحل والعقد في تلك المملكة ثم ثاروا عليه وقيـدوه بالحديد واستقدموا اخاه المولى المستضيء بن اسماعيل من سجلماسة سنة (١١٥١)

اول عمـل أتاه المستضيء تغريب اخيه مكبلا بالحديد الي سجلماسة ثم اخذ يفيض العطايا على العبيـد وهم لا يرضون ففرض على الناس المغارم والتكاليف فلم يكفهم ذلك فأخذ يبيع الابواب النحاسية بقصوره ومدخرات أسلافه فلم يرضوا بذلك كله ثم شغبوا ففر منهم الى مراكش سنة (١١٥٢) وكان أهلها قد بايعوه

فبايع العبيـد المولى عبد الله سـنة (١١٥٣) فلم يرض ان يدخل مكناسة خشية من انتقاض أهلها فاستبد بها العبيد وأحدثوا بها من المظالم مالا يوصف ثم دخلها فقتل منها خلقا كثيراً واطلق يد العبيـد فيهم فأذاقوهم انواع العذاب . ثم شغب العبيد عليه ففر الى فاس ومنها الى بلاد البربر

فاستقدم العبيد المولي زين العابدين ابن اسماعيل وكـان بطنجة فولوه سنة (١١٥٤) وبايعه الناس الا اهل فاس وكان من العدل بحيث لم يرد أن يغتصب اموال الناس فاضطر لانقاص رواتب العبيـد فشغبوا عليه وكان المولى عبد الله مقيما بجبال البربر منتظراً الفرص فلما رأى ماحل بالمولى زين العابدين من انفضاض العبيـد من حوله دخل فاساً سنة (١١٥٤) فضاق لذلك صدر زين العابدين وترك مكناسة الى حيث يأمن علي نفسـه وكان ذلك آخر

العهد به

فاتفق العبيد علي اعادة المولى عبدالله وفرح به الناس الا انه لم يزايل جبال البربر ولم يدخل الى مكناسة دار الملك فغضب العبيد لذلك واستدعوا المستضيء من مراكش ليبايعوه فأقبل اليهم سنة (١١٥٥) أما المولى عبدالله فانه وفق بين البربر وأهل فاس وجمع منهم جيشا عظيما لحالفوه على الموت دونه فأقبل بهم ودخل مكناسة فلما رأي العبيد أن لاطاقة لهم على حرب هذا الجيش الضخم فروا ونجوا بأنفسهم

وفى السنة التالية استعان المولى المستضيء على المولي عبد الله بالباشا أبي العباس الريفى فأمده بجيوش لاتحصي واستنصر المولى عبدالله بقبائل البربر وأهل فاس ثم دارت رحي الحرب فانهزم المولي المستضيء وغنم منه جيش المولي عبد الله ماكان معه من المدافع والبارود والاموال وعد الناس هذا النصر فتحا عظيما

ثم ان المستضيء جمع جموعا أخري بمساعدة وزيره الباشا أبا العباس الريفى وكان عالى الهمة مقداما ووقعت حرب عنيفة انهزم فيها المستضيء أيضا وغنم المولى عبد الله جميع ماكان معه وقتل الريفي فى هذه الوقعة

ثم قصد المولى عبد الله طنجة لفتحها فصادفه المستضيء فى ثلاثين الفا من جنوده فوقعت الحرب ودارت الدائرة عليه أيضا سنة (١١٥٦) ثم ان أهل مراكش رفضوا بيعة المستضيء ومنعوه دخول مدينتهم ودانوا للمولى عبد الله سنة (١١٥٨) وما زالت البلاد تأبي اجارة المستضيء الى أن استقر بطنجة راضيا من الغنيمة بالاياب

ثم دخل أهل مراكش بعد ذلك في طاعة المولى عبدالله فلم يراع حق ماخوله الله من النعمة بل أخذ يأتي من الاعمال مالا يتفق مع العقل والعدل فكرهه الناس فزحف عليه البربر بجموعهم ففر الي مكناسة وجرت بينه وبين أهل فاس أمور وأمور ثم عادوا الى طاعته ثم تألب عليه العبيد فعزلوه وولوا ابنه محمداً سنة (١١٧٢) بمكناسة وبعثوا اليه ببيعتهم وهو بمراكش الا انه رد بيعتهم وعاتبهم علي مارتكبوه ضد والده وتألفهم بالمال

أما المولى عبد الله فانه عاوده صوابه وأخذ فى استصلاح أمر الرعية وتأليفها على حبه ووزع على العبيد أموالا طائلة ولما

ورد المولى محمد بن عبد الله الى مكناسة وجد العبيد لايزالون يخطبون باسمه فقال لهم اني بريء مما تفعلونه واظهر لهم كراهته لذلك فراجعوا والده ودخلوا في طاعتــه وكانت هذه الرجعة السابعــة لوالده فان العبيد خلعوه قبل هذه المرة ست مرات

توفي المولى عبد الله سنة (١١٧١)

ومن اعماله انه عقد معاهدة مع الفلمنك اذن لهم فيها في تعيين قناصل لهم في بعض مدن المغرب الاقصى

لما توفي المولى عبد الله وكان الناس معه في شبه فوضي وجهوا وجوههم شطر ولده المولي محمد لما عرفوا من فضله ووفور عقله وحسن تدبيره فبايعوه ولم يتخلف عن بيعته احد من العرب ولا البربر فقصد مكناسة ثم دخل فاسا واصلح امورها ثم اخذ يتفقد الثغور لولوعه بالحروب البحرية فحصن مايستدعي التحصــين منهــا . ثم اشترى ادوات صنع السفن وارسل الي بلاد السويد فاشتري من هناك اخشــابا وبارودا وبعث الى انجلترا من اشترى له منها سفنا ومدافع وكل مايلزم للقرصنة ولما كان ثغرا العدوتين والعرائش لا يصلحان لايواء السفن الا نحو شهرين في السنة أمر ببناء ثغر الصويرة ليكون ثغراً يبقي السفن طول السنة وأحاطه بالاسوار والمدافع وشحن حصونه بالمقاتلة . ثم أخذ يرسل سفنه لتغير علي ثغور الفرنج فتأتيه بالغنائم بعد ان تخرب ماتخربه وتقتل من تقتله فاضطرت كثير من الامم الساحلية الى مهادنته

وكانت سفنه قد تعرضت عدة مرات لسفن الفرنسيين فغنمت منهــا وأسرت كثيراً فاغتاظ الفرنسيون من ذلك فأرسلوا أسطولهم فضرب ثغر سلا بقنابله وهدم كثــيراً من دورها سنة (١١٨٠) ثم اضطروا للاقلاع عنها لان حصونهــا أجابتهم بالمثل وكبدتهم خسائر. فقصدوا ثغر العرائش فأطلقوا عليها المدافع وهدموا كثيراً من دورها ومسجدها سنة (١١٨٩) ثم اقتحموا المرسي بخمســة عشر زورقا فيها نحو ثلاثة آلاف مقاتل معهم ما يحتاجون اليه من الميرة والسلاح والذخيرة وصعدوا على مجرى الوادي الى مراكب السلطان التي كانت هناك فأحرقوا واحدة منها وكسروا اخرى بالمعاول فتكاثر عليهم جنود المغرب حتي ردوهم فهموا بالرجوع فوجدوا ان المغاربة قد سدوا فم المرسي

واقاموا لهم على صخرة هناك ومنعوهم الخروج وهبت ريح شديد فكانوا كلما تقدموا ليخرجوا ردتهم الريح واذا انحازوا الي احد الشاطئين رماهم الجنود والسكان بالرصاص حتي قتل معظمهم ثم سحبوا اليهم واخذوا منهم احد عشر زورقاو نجا اربعة ثم عقدت شروط الصلح بين الفرنسيين والمغاربة سنة (١١٨٩) على يد الرئيس ابي الحسن على مارسيل الرباطي ارسله السلطان الي فرنسا لهذا الغرض و لقبض الفدية عن اسري العرائش

وبدا لهذا السلطان ان يوجد بينه وبين ملك العثمانيين صلة فبعث الي السلطان مصطفي بالفقيهين السيد الطاهر السلاوي والسيد الطاهر الرباطي سفيرين في سفينتين واصحبهما بهدايا فاخرة من خيول مطهمة واسياف مرصعة بالاحجار الكريمة فسر السلطان مصطفى من تودده واهداه بسفينة مشحونة بالاسلحة والذخائر الحربية وهو ماكان يقل وجوده ببلاد مراكش وارسل له السلطان التركي ايضا آلات لحرب القرصنة فسر السلطان المغربي بهذه الهدية جداً فأرسل يشكر السلطان صنيعه بواسطة الرئيس عبد الكريم التطواني واصحبه بهدية اخري فقبل السلطان هديته ورده بهدية اكبر من هديته الاولى وهي مركب ملآن بالمدافع والمهاريس النحاسية مع عددها وعدد مراكب قرصانية اخري من سوارى وخطاطيف وقلوع وحبال وبراميل ومعها ثلاثون من مهرة المعلمين الذين لهم معرفة بصب المدافع والمهاريس والمقذوفات وصناعة السفن وبينهم معلم ماهر في الرمى بالمهراس فلماوصلت هذه الهدية الى صاحب مراكش طار بها فرحاواخذ في احياء صناعة السفن ببلاده وفرق هؤلاء المعلمين في الثغور وتعلمها منهم المراكشيون ونسجوا على منوالها

وعقدت معه الدانيمارك عهداً تعهدت فيه ان تقدم للسلطان كل سنة خمسة وعشرين مدفعاً من المعدن وزن مقذوفاتها من ١٨ الي ٢٤ رطلاوان تدفع غير ذلك من ادوات السفن والريالات شيئا كثيراً . وعقدت معه السويد أيضا معاهدة من هذا القبيل وكان ذلك من هاتين الدولتين ليسمح لسفنهما بالاتجار فى ثغور المغرب وكان ذلك سنة (١١٨١)

ثم ان هذا السلطان زوج ابنته لشريف مكة فأرسلها اليه مع ابنه وولى عهده

المولى علي وشقيقه المولى عبدالسلام وكان معها بنته من الحلي ما تقدر قيمته بمئة الف دينار فكان يوم دخولها يوماً مشهوداً حضره الحجاج جميعهم

وأرسل هدايا لامير طرابلس وأمير مصر والشام ولاهل الحرمين ومالا طائلا يوزع على أشراف الحجاز وجوائز عظيمة للعلماء والنقباء وغيرهم بمكة والمدينة

كان البرتغاليون قداستولوا علي ثغر الجديدة فكان لايقر للسلطان محمد قرار لهفا عليه ثم هم بحصارها سنة (١١٨٢ الموافقة لسنة ١٧٦٨) فضربها بالمدافع فتخربت دورها وأسوارها ولقي البرتغاليون شدة عظيمة فكتبوا لحكومتهم فوردت اليهم اشارة بترك المدينة لاصحابها فشرط عليهم السلطان ان لايخرجوا الا بثيابهم فامتثلوا الامر الا انهم قبل خروجهم من المدينة صنعوا لغما وتبرع رجل منهم بنفسه فتخلف عن اخوانه حتي دخلها المراكشيون فأوقد اللغم فنسف منهم خمسة آلاف جندي وتهدم قسم من سور المدينة. وكان الفضل في فتح هذه المدينة لمعلم الرماية التركي المسمى الحاج سليمان وهو أحد الذين أرسلهم السلطان مصطفى لمراكش

وفي سنة (١١٨٥) شرع في طرد الاسبانيين من مليلة فكتب اليه ملك الاسبانيين يعاتبه ويذكره بالمعاهدة التي بينهما فأجابه السلطان بأن تلك المعاهدة قاصرة علي الشئون البحرية لا الشئون البرية التي منها اخراج الاجانب من ثغور المملكة. فأرسل اليه ملك الاسبان نص المعاهدة فاذا هي عامة براً وبحراً فأدرك ان سفيره الذى كان أوفده الي اسبانيا لامضاء هذه المعاهدة لم يكن علي شيء من السياسة فانخدع ووقع عليها بدون تبصر فنقم عليه ووبخه واعتذر الى ملك الاسبان

ثم ان العبيد جريا على سنتهم نقموا على هذا السلطان وعزلوه وبايعوا ابنه يزيد فأرسل السلطان الي العبيد جيشا دحرهم وشتت شملهم وقبض علي ابنه ثم عفا عنه وعن العبيد أيضاً وكان ذلك سنة (١١٨٩)

ثم أن هذا السلطان أخذ يفكر في أمر هؤلاء العبيد ورمى الي تشتيت شملهم وفك جماعتهم ليأمن الناس شرهم فوزعهم على الثغور البحرية فطم بلاؤهم فبعد أن كان شرهم محصورا حيث جماعتهم صار

بذلك موزعا بين كثير من المدن فانهم عاثوا في تلك الثغور الفساد فنهبوا أموال الناس وانتهكوا أعراضهم وأتوا كل مايتصور من المنكرات

فلما رأي السلطان ما حل بالثغور منهم عزم على تبديدهم فجمع اكثرهم في مكان وجمع قبائل مراكش وامرهم ان يقتسموا اولئك العبيد فيأخذوا ماشاؤا منهم بنسائهم واولادهم فاقتسموهم وبذلك توزعت قوتهم ولم يعودوا الى سابق صولتهم

كان هذا السلطان يحب ان يوثق الروابط بينه وبين العثمانيين فأرسل وفدا الي الحجاز للحرمين وامر رجال هذا الوفد ان يمروا اولا بالقسطنطينية ليقدموا تحياته لسلطان الترك ثم يذهبوا مع امين الصرة العثماني الي المدينة فمكة . فسر السلطان عبد الحميد الأول من هذا الأمر وكتب اليه جواب كتابه وسافر الوفد مع امين الصرة العثماني الا ان ابن سلطان مراكش المدعو يزيد وهو ابنه الخارج عليه لحق ذلك الوفد بطائفة من رجاله واخذ منهم بعض ماكان معهم من الاموال فأحضر شريف مكة يزيد هذا وكان بمكة وامره برد الاموال فأحضر البعض وأنكر البعض الآخر فاضطر أبوه ان يتبرأ منه وبعث ببراءته هذه الى الآفاق فعلقت صورة منها بالكعبة وأخري بالحجرة النبوية وثالثة ببيت المقدس ورابعة بضريح الامام الحسين بمصر وكتب الي السلطان العثماني بأن لايجيره اذا التجأ اليه وكان ذلك سنة (١١٩٩)

في عهد هذا السلطان عقدت فرنسا معاهدة تجارية مع الحكومة المراكشية نالت منها خيرا عظيما بواسطة سفيرها في مراكش الكونت دوبونيون

ثم ان المولى يزيد بن السلطان عاد الى مراكش والتجأ الى ضريح الشيخ عبدالسلام بن مشيش ، وعند المراكشيين من التجأ الى ضريح ولي لا يمس بسوء وان كان قاتلا ، فأخذ يزيد يستعطف والده ويظهر الندم والتوبة وما زال الامر بينهما في تردد حتى توفى السلطان محمد سنة (١٢٠٤)

كان هذا السلطان من أعظم سلاطين المغرب سطوة وأشدهم طلباً للابهة وبعد الصيت ، وكان مع هذا عالما متضلعا من العلوم جمع كتباً نفيسة لا تحصي ورتبها

احسن ترتيب، وكان مع علمه شجاعا عالما بأساليب القتال يحضر الوقائع بنفسه وبني كثيراً من الاضرحة والمساجد والمدارس والبيمارستانات وكان بينه وبين اكثر ملوك اوروبا مكاتبات . وهو اول من امر بأن يخطب للسلطان العثماني على المنابر ولم يخالفه من اتبعه في هذه السياسة

لما توفي هذا السلطان كان ابنه يزيد لايزال لائذاً بمقام الاستاذ عبد السلام ابن مشيش فاجتمع رجال الدولة على مبايعته فدخل مكناسة ومما يؤثر عنه انه كان شديد الكلف باخراج الاسبانيين من سبتة رغماً عن ان ملك الاسبانيين ارسل اليه رسولا يهنئه بالملك ومعه هدايا نفيسة فلم يعبأ بسفيره ولا بهداياه وقبض على من كان بثغوره من اسبانيين وكبلهم بالحديد واعتقلهم وحاصر سبتة . وحدث ان الاسبانيين أسروا سفينة من سفن المراكشيين عليها كثير من الرجال ففداهم بأسراه من الاسبانيين واستمر على حصار سبتة حتي ثار عليه أخوه هشام طالباً الملك فرفع الحصار عن سبتة وذهب لقتال اخيه فهزم جموعه ودخل مراكش ثم اصابته رصاصة في الحرب مات منها سنة ١٢٠٦

فاتفق أهل الحل والعقد على مبايعة المولى سليمان لما كان عليه من العلم والفضل الا اهل رباط الفتح فانهم أبوا مبايعته فأرسل اليهم جيشا فانهزم فاضطر للقيام اليهم بنفسه فلما التقى الجمعان على نهر سبو انكسر جيش الثائرين أشنع كسرة وفر رئيسهم المولى مسلمة اخوه ثم عاد اليه بجيش آخر فهزمه المولى سليمان ايضا وما زال اخوه يفر من وجهه وهو يطلبه حتى نزل تلمسان واقام بها ثم عاد الى سجلماسة فعفا عنه السلطان ثم لم يطب له المقام فمازال يتردد في بلاد المشرق حتي مات

واخذ السلطان في اخضاع الجهات الثائرة عليه حتي استتب له الامر فيها الا ان مراكش ثارت عليه وبايعت المولى حسين بن محمد فقصدها واستولى عليها سنة (١٢٠٩) ثم أخذ في غزو البلاد الاخرى الخارجة عليه

ورأى هذا السلطان ان أعمال القرصنة لاتناسب الامم التى تود ترويج التجارة في بلادها فأبطلها فمدحه الاوربيون على ذلك وارسل سفارة خاصة الي نابليون الاول فقابلها بالترحاب

ولما هاجت الفتنة بين عرب تلمسان

ووالبها العثماني بسبب سوء اعتقاده فى اصحاب الطرق سار اتباع الطائفة الدرماوية واجتمعوا الى شيخهم ابي محمد عبدالقادر الشريف ونزلوا بجهات الصحراء واخذوا في الاغارة علي نواحي تلمسان بالجزائر فبعث والى الجزائر الى والى وهران الجنود وامر بمقاتلة اولئك الثائرين فنهض اليهم فهزموه فكتب الباي المذكور الي المولى سليمان يطلب اليه ان يرسل اليهم شيخهم الاكبر أباعبدالله محمدالعربى ليعظهم ويردهم الي الطاعة فبعث السلطان بالشيخ المذكور فلم يفدهم نصحه بل أصروا على الثورة فاتهم الباىُ السلطان بأنه هو الذى أغراهم على المضي في ماهم فيه. فلما رأى والى الجزائر ان الوسائل السلمية لم تجد نفعًا أرسل الى أولئك الثائرين جيشًا فأوقع بهم ففروا ثم أعادوا الكرة على تلمسان وكاتبوا المولى سليمان بالدخول في طاعته والمبايعة له. أما حامية المدينة من الأتراك فتحصنوا بالقلعة

واما المولي سليمان فانه لم يقبل هذا الامر وارسل اليهم من يوفق بينهم وبين حكومتهم وكتب الى الباى بما أزال شكه وتم الصلح بين والى تلمسان ورعيته ومع هذا فلم يكمل للعثمانيين اخضاع تلمسان تماما بسبب القحط الذي كان عم تلك الانحاء فجلا أهل تلمسان الى بلاد المغرب الاقصى ثم عادوا بعد أن زال القحط

اطمأنت بلاد مراكش تحت حكم هذا السلطان برهة فعم البلاد الخصب والنماء ثم حدث حادث جلل وهو انتشار الثورة بين البربر سنة (١٢٢٦) فأرسل اليهم السلطان عدة جيوش فكسروها فعمت الفوضى البلاد وصار الناس لاوازع لهم وتطاول البربر علي التجارة فنهبوها وعلى الاعراض فانتهكوها وعلي الطرق فقطعوها وعمت الفتنة غالب الأمصار وارتكب البربر والجنود أفحش الاعمال وبقى المولي سليمان مقيما بمراكش والفتن في فاس وسائر بلاد المغرب قد تجاوزت كل حد فخرج اهل فاس على المولي سليمان وبايعوا ابنه ابراهيم سنة (١٢٣٦) فمات بمدينة تطاوين بعد قليل فأخفى حزبه خبر موته ثم دعوا الى بيعة اخيه المولى السعيد بن يزيد واختلفوا عليه ودهمهم السلطان سليمان بجنوده ففروا الى فاس فلما تراكمت هذه الفتن على المولى سليمان سئم الحياة واراد ان يترك الناس لابن اخيه المولى عبد الرحمن بن هشام ثم هاجته الهموم فرضي

فعهد بالامر للمولى عبد الرحمن المذكور آنفا وتوفى هو نفسه سنة (١٢٣٨)

قدم المولى سليمان ابن أخيه المولي عبد الرحمن بن هشام علي أولاده وجميع أولاد السلاطين لما رأى فيه من الأهلية والاستعداد للملك فاستبشر أهل المغرب بولايته حتي البربر وقدموا عليه مبايعين بعد أن كانوا قرروا قتل جميع من يتكلم العربية في البلاد المغربية

ثم بدا للسلطان عبد الرحمن سنة (١٢٤٣) أن يعيد القرصنة التي كان أبطلها المولى سليمان فأمر بانشاء الاساطيل وضمها الى ماكان باقيا منها من آثار جده المولى محمد ثم أمرهم بالخروج فصادفوا سفنا تجارية تابعة للنمسا فغنموها بحجة أنه ليس لدي ربانها ورقة جواز (باسبورت) حسب الشروط المقررة بينهم وبين دول أوروبا ووضعوا بعض تلك السفن بالعرائش وبعضها بطنجة . فلما بلغ هذا الخبر دولة النمسا جهزت ست سفن حربية سنة (١٢٤٥) وأرسلتها الى العرائش وأخذت فى ضربها بالقنابل طول النهار حتي خربت كثيراً من أسوارها ودورها ثم أنزلت نحو خمس مئة من الجنود الى البر فتمكنوا من أحراق عدة سفن خاصة بالسلطان فانقض الجنود عليهم وفتكوا بهم وقتلوا منهم عددا كبيرا وأسروا عدداً آخر وعاد الباقون الي سفنهم وكانت هذه الوقعة سببا في أعراض المولى عبد الرحمن عن الغزو فى البحر لأنه رأي أنه يستحيل عليه مقاومة الأساطيل الاوروبية

ثم عقد المولى عبد الرحمن الصلح مع دولة النمسا وكان هذا الصلح بواسطة دولة الأنجليز سنة (١٢٤٦)ه

ولما استولي الفرنسيون على الجزائر سنة (١٢٤٦)ه اجتمع أهل تلمسان واتفقوا علي الدخول في بيعة المولى عبد الرحمن وأقبلوا على عامله بمدينة وجدة وعرضوا عليه التوسط بينهم وبين المولى المذكور . ثم أرسلوا وفداً منهم الى مكناسة ليقابل السلطان . فاستفتى السلطان العلماء في ذلك فأفتوه بعدم قبول بيعتهم لان في رقبتهم بيعة للخليفة العثماني . ومع هذا فانهم لما ألحوا بالبيعة قبلها وولي عليهم ابن عمه المولى على بن سليمان وأصحبه بكتيبة من الجنود وأرسل له أخرى فيها رماة البنادق والمدفعية . ففرح به أهل تلمسان وقدمت عليه وفود القبائل المبايعة فحصن تلمسان

وادخر بها مقادير كبيرة من البارود والمدافع . ومع هذا فقدمال أكثر العرب الذين هناك للدخول فى طاعة الفرنسيين عند مااستولوا على مدينة وهران فى تلك الاثناء . ووقع الخلاف بين قواد جيش السلطان فتحاسدوا . فلما رأي السلطان ذلك تحقق أن من المصلحة استرجاع تلك الجيوش.عادت تلك الجيوش فحدثت فى البلاد ثورة فاضطر السلطان لمحاصرة فاس واذلال عصاتها

فى تلك الاثناء اختار أهل الجزائر الفقيه المرابط محيي الدين عبد القادر المختارى ليكون أميراً عليهم ويقاتل بهم الفرنسيين الذين دخلوا بلادهم فامتنع لكبر سنه وولي عليهم ابنه الحاج عبد القادر فقام بما عهد اليه أحسن قيام وأنشأ له دولة مستقلة بقيت عدة سنين مهيبة الجانب أي الى سنة (١٢٥٩) فاضطر بعد ذلك الامير عبدالقادر للسير على أسلوب حرب العصابات فصار ينتقل من بلد لبلد تارة بالصحراء وطوراً برياش وأخري بوجدة والريف وغير ذلك وكان كثيراً مايصحبه فى هذه الغارات بعض المراكشيين من جيش المولي عبد الرحمن.فاتهم الفرنسيون المولى عبد الرحمن بأنه يمد الامير عبد القادر بالسلاح والرجال فأقبلوا واستولوا على وجدة . وكانت الحمية قد دبت فى نفوس المراكشيين لما أصاب اخوانهم الجزائريين فرأى السلطان أن ينجد جيرانه بمحاربة الفرنسيين فأرسل كتيبة من جيشه تبلغ الثلاثين الف فارس تحت قيادة ولده المولي محمد فسار حتي وصل الي وادي اسلى من أعمال وجدة فأقبل اليه الامير عبد القادر وأفضي اليه بما عنده من الخبرة بأحوال الجيش الفرنسي وما هو عليه من الاستعداد وبما يجب أن يتخذ لذلك من الحيطة والمحاولات فقابل المولى محمد هذا الكلام بالاستكبار والانفة،وقابل بعض القواد الامير عبد القادر بغليظ الكلام فتركهم عبد القادر وشأنهم وماهي الا أيام حتي زحف الفرنسيون للقاء هذا الجيش وما هي الا صدمة حتى سحقوه سحقا وأهلكوا معظمه وتشتت من بقى في الصحاري واستولي الفرنسيون علي أكثر ماكان معه من الادوات والاموال وما ذلك من جبن المراكشيين ولكن من سوء تدبير قادتهم وجهلهم المطبق بأساليب الحروب الحديثة واستكبارهم عن سماع

نصيحة الامير عبد القادر وكان ذلك سنة (١٢٦٠) الموافقة (١٨٤٤) ميلادية وفر ابن السلطان حتي لحق بمدينة تازا ريثما اجتمع اليه فلول جيشه. فلما اتصل خبر هذه الموقعة بالمولى عبدالرحمن اغتم لذلك جداً وكان برباط الفتح فسافر الى فاس وبلغه هناك هجوم الفرنسيين على طنجة والصويرة فاضطر السلطان لطلب الصلح فأعطيه على الشروط الآتية :

(١) ان الفرق العسكرية الكثيرة من الجيوش المراكشية النازلة عل حدود الجزائر والتي في نواحي وجدة تحل وتسرح جنودها فى الحال

(٢) وأن يعاقب الذين كانوا السبب فى الخصومات التي ارتكبها المراكشيون فى أرض الجزائر

(٣) وأن ينفي الامير عبد القادر من أرض مراكش اويحجر عليه فيها وأن لا يعطيه السلطان بعدذلك مدداً من رعيته ولا من أمواله وذخائره

هذه الهزيمة فتحت أبواب مراكش للاوربيين فأخذوا يتسابقون لاكتساب النفوذ بها وكثر ترددهم عليها بالتجارات والمشروعات فكان في هذا التزاحم علي بسط النفوذ فائدة للمراكشيين عظيمة فانها حفظت استقلالها مدة طويلة. ولولا ذلك لفقدته بعد تلك الموقعة مباشرة

أما الامير عبد القادر فانه اتهم سلطان مراكش بعدم مساعدته مع قدرته على المساعدة فأخذ يبث العيون والارصاد له ويبعث بالدعاة لاثارة الفتن عليه فلما شعر السلطان بذلك أرسل اليه جيشاً جراراً تحت قيادة ولده المولى محمد فحاربه وهزمه وسحق من كان معه من المقاتلة فرأي الامير عبد القادر أن يسلم نفسه للفرنسيين الذين كانوا يعدونه بحسن المعاملة فترك رجاله وجنوده غنيمة لسلطان مراكش وانسل هو الى الفرنسيين فسلم نفسه اليهم

واتفق أن حدث قحط شديد فى مراكش سنة (١٢٦٨) حتى اضطر الناس لأكل الجيف فكانت أمم أوروبا تنتهز الفرصة فترسل بالحبوب الى مراكش طالباً للربح العظيم فحدث ان سفينتين فرنسيتين محملتين حبوبا ارتطمتا عند ساحل ثغر سلا وغرقتا فأكب الاهالى على التقاط ما كان فيها ثم حطموهما وأخذوا أخشابهما لاستعماله

وقوداً في بيوتهم فشكا القنصل الفرنسي لحاكم سلا وطلب اليه التعويض . فرفع الحاكم الامر المولى عبد الرحمن وشفعه برأيه في ذلك وهو ان الاهالى براء مما نسب اليهم. فما كان من القنصل الفرنسي الا رفع الامر الى حكومته فأرسلت اليه بأسطول فأخذ يصب بمقذوفاته على سلا حتي هدم قلاعها ودورها وأحدث اتلافا عظيمة بها فأخذ السلطان بعد هذه الوقعة في تحصينها علي الطراز الحديث وجلب اليها مدافع ضخمة لتقوي على رد العاديات الطارئة

توفي هذا السلطان سنة (١٢٧٦) فقام بالامر بعده ابنه المولى محمد فبايعه الناس الا شيعة مالت الى المولى عبد الرحمن بن سليمان بجهة فاس ومكناسة ووافقه بعض البربر والجنود الا انه لم يتم أمره

في اول حكم هذا السلطان انتشب القتال بين المراكشيين والاسبانيين وكان السبب في ذلك ان سبتة كانت للاسبانيين وكانت العادة قد جرت بين جنود التخوم الفاصلة بين الحدين أن يبتنوا لانفسهم بيوتاً من خشب ليقيموا فيها رأي جنود مراكش ذات يوم ان جنود اسبانيا يقيمون لهم بناء بالحجر علي شكل قلعة على الحدود فمنعوهم من بنائها بالقول فلم يمتنعوا فهجموا عليهم وهدموا البناء وقتلوا منهم من قاوم فثارت ثائرة سفير اسبانيا في طنجة وطالب معاقبة الجناة وسمي منهم ١٢ رجلا بالاسم وطالب قتلهم بعد استقدامهم الي طنجة فأخذ والى طنجة يهدىء من ثائرته ويحاول اقناعه فلم يقنع فتوسل اليه بسفير انجلترة فلم يفد التوسل فأخبر السلطان الخبر فجمع السلطان وزراءه ومستشاريه وبسط لهم الأمر فعدوها اهانة لم يسبق لها مثيل وأجمعوا علي وجوب الحرب ان اقتضت الحال. فرفض السلطان طلبات اسبانيا فكان هذا الرفض داعيا لقطع العلائق بين المملكتين . وكتب السلطان للثغور بالاستعداد وللقبائل بجمع الجنود . وما هي الا أيام حتي برز في جهة سبتة جيش من الاسبانيين مؤلف من ٢٠ الف مقاتل كامل العدد والآلات والذخائر فقابلهم المراكشيون بشجاعتهم المعهودة ولكن ماذا تغني الشجاعة أمام النظام والآلات الجهنمية فكانت تحصدهم مدافع الاسبانيين وبعد عدة وقائع انهزموا وتبعهم الاسبانيون الي مدينة تطاوين وكان

عددهم وهم بها ٧٠٠٠٠ مقاتل و كان ذلك سنة (١٢٧٦هـ ١٨٥٨م) فاستولوا علي مابها من الاموال ولم يجدوا بها الا مدفعا واحداً وقليلا من البارود فحولوا مسجد سيدى عبدالله البقال الى كنيسة وعاملوا الاهالى بالحسنى ثم ذهب أسطولهم الى اصيلا فهدم وأتلف كثيراً منها ثم اضطرت مراكش لطلب الصلح فاجتمع المندوبون فتشدد الاسبانيون فى مطالبهم وقدموا شروطا لم يرض بها السلطان فعاد القتال أشد مما كان وحدثت عدة وقائع انتصر المراكشيون فيها كلها ومع هذا فتم الصلح على الشروط التي أرادها الاسبانيون الا قليلا وتم بينهم الاتفاق سنة (١٨٦٠)م أى (١٢٧٦) هـ

وكان أهم شروط الصلح أن تدفع مراكش لاسبانيا مئة مليون فرنك وتتنازل لها عن قطعة أرض جنوب سبتة وأن يكون لها فرضة بحرية على المحيط الاطلانطيق وهي التى سموها سانتاكروز وأن يكون لها الحق فى اقامة وكيل في مراكش والتصريح لقسوسها بانشاء المدارس والاديرة وأن يكون لها نفس الامتيازات التي منحت لاعظم الدول الاوربية الاخري

ثم خرج الاسبانيون من ثغر تطاوين بعد سنة من تاريخ ابرام الصلح بعد أن مكثوا فيه سنتين وثلاثة أشهر وخمسة عشر يوما

فكانت نتيجة هذه الحرب ازالة هيبة دولة المغرب الاقصي وامتداد المطامع الاستعمارية اليها و كثر فيها من المغاربة أنفسهم طلب حماية الدول الاوربية لهم من سوء تصرف حكومتهم معهم فنشأ من ذلك اختلال في حكومتها مازالت تعثر فيه الي ان احتلها الفرنسيون منذ عشرين سنة

ثم كانت نتيجة هذه الحرب ان ادرك قادة مراكش وجوب ادخال النظامات العسكرية الاوربية الى جنود المغرب فاتخذ السلطان له جيشاً على الطراز الجديد

وقد كان يهود المغرب الى ذلك الحين يعاملون أسوأ معاملة من جهلة الاهالى رغما عن وصاية الدين الاسلامى بالبر بأهل الكتاب والاحسان اليهم فانتهز اليهود فرصة تدخل الدول الاوربية في شؤن المغرب فخاطبوا المالي المشهور روتشلد فى ان يتوسط لهم لدي الحكومة الانجليزية في حمايتهم فقبلت الحكومة

المذكورة السعي في تخفيف ويلاتهم وأوفدت رسولا الى السلطان المراكشي ومعه هدايا نفيسة طالبة اليه انصاف اليهود فقبل السلطان هذا السعي وأصدر منشوراً الى جميع أقاليم المغرب. هذا نصه:

« بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . نأمر من يقف على كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره وأطلع في سماء المعالي شمسه وبدره ، من سائر خدامنا وعمالنا، والقائمين بوظائف أعمالنا أن يعاملوا اليهود الذين بسائر ايالتنا بما أوجبه الله تعالى من نصب ميزان الحق والتسوية بينهم وبين غيرهم في الاحكام حتى لا يلحق أحدا منهم مثقال ذرة من الظلم ولا يضام ، ولا ينالهم مكروه ولا اهتضام ، وأن لا يتعدوا هم ولا غيرهم على أحد منهم ، لا في نفوسهم ولا في أموالهم وان لا يستعملوا أهل الحرف منهم الاعن طيب أنفسهم وعلى شرط توفيتهم بما يستحقونه على عملهم لان الظلم ظلمات يوم القيامة ونحن لا نوافق عليه لا في حقهم ولا في حق غيرهم ولا نرضاه لان الناس كلهم عندنا في الحق سواء . ومن ظلم أحداً او تعدى عليه فانا نعاقبه بحول الله وهذا الامر الذي قررناه وأوضحناه وبيناه كان مقرراً معروفاً محرراً لكن زدنا هذا المسطور تقريراً وتأييداً ، ووعيداً في حق من يريد وتشديداً ليزيد اليهود أمناً على أمنهم ومن يريد التعدي خوفا على خوفهم »

صدر به أمرنا المعتز بالله في ٢٦ شعبان المبارك سنة (١٢٨٠) ه

انتشر هذا المنشور في جميع الاقاليم فكان سبباً في تشجيع بعض الرعاع من اليهود على ارتكاب المظالم ثقة بأن الدول الاوربية تحميهم فضج الناس من تطاولهم عليهم ، وتحكمهم بهم ونمي الخبر الى السلطان فاضطر لاصدار منشور آخر بين فيه المراد من ذلك الايصاء وهو ان يحسن الى محسنهم أما الذين يرتكبون المظالم منهم ويستفيدون من هذا الايصاء للظهور بمظهر الاعنات والشقاق فيجب أن يعاملوا بما يستحقونه من التأديب فسكن الطائشون منهم ولكن السواد الاعظم منها التجأوا الى الاحتماء في الدول الغربية فكان هذا سبباً عظيما لحدوث الارتباكات في الحكومة المراكشية

وكان السلطان قد آنس من سفير فرنسا جفاء في القول ومن عماله شدة

وصلفا فأرسل قائد جيشه محمد بن عبد الكريم وعامل سلا محمد بن سعيد الى الامبراطور نابليون الثالث ليخاطباه في أمر نائبه وعماله بالمغرب ويرجوانه في أن يرسل الى المغرب رجالا من البيوتات الفاضلة ليحفظوا كرامة الحكومة ولا يكونوا سببا في احداث الشقاق بين الامتين فقابلهما الامبراطور بالاكرام فقاموا نحو شهر بباريز ثم عادا سنة (١٨٨٢)

توفى السلطان عبد الرحمن سنة (١٢٩٠) وفي زمنه لاحت بوارق المدنية الاوروبية في سماء المغرب الاقصى . ومن آثارها مصانع شيدها لعمل السكر وأخرى لعمل البارود ومنائر علي ساحل البحر بقرب طنجة

تولى الملك بعده ابنه المولي الحسن فأخذ يطوف في أرجاء ملكه ليشرف على الرعية من قرب ولما انتهي الى مكناسة أقام بها زمنا طويلا لرد عادية القبائل التي امتنعت عن بيعته ثم شرع في جمع الجنود وتنظيمها علي الطراز الحديث واعتنى بذلك غاية الاعتناء حتي انه كان يكثر من استعراضها وترتيبها بنفسه وعني أيضا بتشييد الحصون والمعاقل وجلب الاسلحة وأرسل عدة من شبان بلاده الى بعض مدارس فرنسا والمانيا للتدرب على الفنون العسكرية والعلوم الرياضية وأرسل رسلا الي فرنسا وانجلترة وايطاليا وبلجيكا لتمكين روابط الالفة بين مراكش وبين هذه الممالك وأصحب هؤلاء الرسل بالهدايا النفيسة لملوك هذه الدول ثم عاد هؤلاء الرسل سنة (١٢٩٣) ه

ولما رأى الحسن انهمار سيل التدخل الاستعماري في بلاده أشار عليه رجال دولته بضرورة أحكام روابط الالفة بينه وبين العثمانيين ليشدوا أزره عند الحاجة فأرسل وكيله السيد ابراهيم السنوسى الى سدة العثمانيين فاتفق أن حدثت الحرب العثمانية الروسية فى تلك الاثناء فعاد الرسول الى بلاده

وحدث في أوائل سنة (١٦٩٧) أن ثار المسلمون علي اليهود في بعض أنحاء مراكش لما وقع منهم من التعدى ولتظاهرهم بعدم احترام الحكومة فقبض بعضهم على يهودي وأحرقه حيا فاضطرب لذلك اليهود أشد اضطراب وانزعجوا منه أكبر انزعاج فأخذ كثيرون منهم في الهجرة الي اسبانيا وغيرها وتحصلوا على حمايات

من تلك الدول وعادوا ثانية . ولكن دولة مراكش كانت لاتعبأ بهذه الحمايات الاجنبية ولا تعتد بها فوقع النزاع بينها وبين اسبانيا من جراء ذلك وكادت تقع الحرب بين الامتين ولم تحجم اسبانيا عنها مع ثقتها بالغلب الا لاعتقادها بأنها لا تستفيد من ورائها شيئا لشدة تناظر الدول على مراكش فاكتفت باقتراح عقد مؤتمر دولى في مدريد فوافقتها على ذلك وعقد المؤتمر فساعدت فرنسا وانجلترة دولة مراكش أكبر مساعدة أما الاولى فبحجة أن مراكش مجاورة للجزائر فان هي أخذت لها الجانب خابت من ثورة تهب في الجزائر. أما حجة انجلترا في ذلك فهي أن مراكش واقعة على مضيق جبل طارق وكل دولة يزداد نفوذها في تلك السواحل تضر بسلامة مرورها الى البحر الابيض المتوسط فلم تحصل اسبانيا من عقد هذا المؤتمر على كبير شيء

سعي المولى الحسن في ادخال كثير من النظامات الاوروبية الي مراكش ولكنها كانت لاتفيد كل الفائدة لنفور المراكشيين منها ولعدهم اياها من البدع التي لم يعمل بها السلف الصالح

وفي سنة (١٢١٩) رأى المولى الحسن أن مطامع الاسبانيين أخذت تمتد الي بلاد السوس وأن سفنهم صارت تتردد الى تلك الأنحاء حاملة الى رؤسائها الهدايا والطرف استهواء لقلوبهم وآنس ان القلوب أنست بهم هنالك فقرر الذهاب الى تلك الأنحاء بنفسه لاظهار جلال الملك فيها و تثبيت قلوب أهلها على ولاء الدولة فقصد تلك الأنحاء فوجد أن بعض الانجليز قد شيد بجهة اساكا مرسي للسفن فهدمه وأمر ببناء مينا في تلك الجهة ورحل ما كان بها من تجار الانجليز فاحتجت الدولة الانجليزية على ذلك وطلبت تعويضا فدفعه المولى الحسن وانتهت هذه المشكلة على هذا الوجه

وأصدر المولي الحسن أمراً بعدم ادخال التبغ الى بلاده بعد أن استفتي العلماء وأفتوه بعدم جواز تعاطيه

وبينما كان المولى الحسن سنة (١٣١٠) غازيا بالجنوب الشرقي من مملكته حدث خلاف بين قبيلة زناتة بالريف وبين الاسبانيين الذين بجهة مليلة وكان السبب في ذلك ان الاسبانيين طلبوا من المولي الحسن أن يزيد في مساحة الارض التي

لهم جهة مليلة ففعل حتى انتهى ماأخذوه الى قرب مسجد لولى شهير يعظمه أهل الريف وهو ولى الله وارياش فابتنوا لهم مخافر تطل على ذلك المسجد فنهاهم رجال زناتة فلم ينتهوا بل اغلظوا لهم الكلام وكان الاسبانيون بعد وقعة تطاوين لايأبهون بالمراكشيين ولا يحترمون لهم كرامة بل كانوا يوجهون اليهم قوارص الكلام في كل فرصة تسنح لهم فانتهز أهل زناتة هذه الفرصة للانتقام منهم فهجموا عليهم وهزموهم شر هزيمة فاحتج سفير اسبانيا لدى حكومة المغرب الاقصى وطلب التعويض فأعطاه المولى الحسن أربعة ملايين فرنك . فدنت هذه الحادثة على قلة مهارة ساسة المغرب وفضحت للامم تهاونهم في حقوقهم

في سنة (١٣١١) هـ الموافقة لسنة (١٨٩٣) م أرادت دولة انجلترة الحصول على امتيازات بمراكش فأرسلت مأموراً من طرفها اسمه السر شارل ايوان سمث ومعه مطالب انجلترة ليقدمها لصاحب مراكش وكان هذا البيان يشمل مايأتى :

(أولا) تخليصة تعريفة تصدير القمح والشعير

(ثانيا) حرية تصدير حيوانات الركوب والنقل كالجمال والحمير والخيول والبغال الخ

(ثالثا) دخول السفن التجارية جميع مراسي مراكش وحرية نقل التجار لمحصولات هذه المملكة

(رابعا) انشاء المحاكم المختلطة

(خامسا) ابطال الاسترقاق

(سادسا) تحوير اتفاق مدريد المبرم في سنة (١٨٨٠) وتعديل المادة (١١) منها المتعلقة بالتصريح للاجانب بشراء الاراضى الزراعية

(سابعا) انشاء وكالة قنصلية بمدينة فاس ورفع العلم البريطاني عليها

(ثامنا) اعطاء امتياز بانشاء خط تلغرافي بين طنجة ومغادور يتصل بالمدائن الموجودة علي ساحل البحر

(تاسعا) ان يخول لشركة انجليزية الحق في انشاء بنك باسم الحكومة المراكشية

(عاشراً) انشاء فرق من البوليس بمدينة طنجة يرأسها الضابط الانجليزي المستر الن مكلين

(حادي عشر) اعطاء امتياز بمياه

طنجة

(ثاني عشر) انشاء سوق عامة ومذابح عامة بمدينة طنجة

(ثالث عشر) اعطاء الحق للانجليز بتشييد الحصون الحربية على هضبة جبل مارشاني

(رابع عشر) اعطاء امتياز قطع شجر الفلين بتطاوين والعرائش لاحد رعايا جلالة الملكة

(خامس عشر) التنازل للدولة الانجليزية عن عدة اراض تشيد فوقها بناء للبريد الانجليزي ومكانا لسفارة هذه الدولة بطنجة

(سادس عشر) اعتراف السلطان بسيادة دولة الانجليز على رأس جوبي التابع لمراكش

طلب السر شارل ايوان سمث هذه المطالب من صاحب مراكش وأغلظ له في القول حتي ذهب الى تهديده فلم يحمله ذلك كله على القبول وانتهز السفير الفرنسي هذه الفرصة (وكان لم يبرم بين انجلترة وفرنسا اتفاق سنة ١٩٠٤ باطلاق يد هذه الدولة الاخيرة في مراكش) فأخذ يعرقل مساعي المبعوث الانجليزي فلم ينله

مراده

توفى المولى الحسن سنة (١٣١١) وكانت حكومته احدى وعشرين سنة وخمسة أشهر وكان ذا همة عالية وميل الى الاصلاح

خلفه ابنه المولى عبد العزيز فثارت عليه القبائل على عادة أهل المغرب عند تولى كل سلطان جديد وذلك من فساد النظام الادارى في تلك المملكة. وكانت هذه الثورات المتوالية من اكبر أسباب تأخرها عن مجاراة غيرها. ولكن ماالحيلة وهى على النظام الاقدم من توزع الناس الى قبائل واكتفائهم من وسائل الحياة بما كان يكتفي به أجدادهم منذ ألوف من السنين مع ان أرضهم تنبت جميع النباتات وأنهارهم طافحة بالمياه العذبة مدة العام كله ولديهم من المعادن مالا يحتاجون معه لاي بلد آخر

لما حدثت الثورات عند اقامة المولى عبد العزيز سلطانا علي مراكش اضطرت الدول الى المحافظة على أرواح رعاياها فأرسلت فرنسا والمانيا وانجلترة وايطاليا واسبانيا والبرتغال سفنا حربية الى مياه طنجة. فلما رأي المولى عبد العزيز

ذلك وخشي من انساع الخرق علي الراقع اهتم بتلافي الامر سريعا وقبض على المحركين للثورة وبث جنوده فى الايالات العاصية حتي أذعنت القبائل الى الطاعة فعادت سفن الدول المذكورة الي بلادها واعترفت اوروبا رسميا بسلطته

ثم قامت اسبانيا تطالب بالقسط الاول من الغرامة الحربية التي تعهد المولي الحسن بدفعها بسبب حوادث مدينة مليلة وحضر لذلك من اسبانيا مندوب يدعي الكونت دومناوينو فدفعت اليه مراكش مطلوبه ثم سعت فرنسا بعد ذلك في نيل حق جديد وهو أن يكون لها بمدينة فاس وكيل سياسي فنالت مارمت اليه ولم يكن قبل ذلك لدولة من الدول وكيل سياسي بفاس بل كانت القناصل لا يصرح لها بالاقامة الا فى مدينة طنجة

لما ثبتت قدم المولى عبد العزيز فى الملك سعي فى تحسين علاقاته بالدول الاوروبية وفى حشد جيش قوي للمملكة وتدريبه علي النظامات الاوروبية وعهد الى فرنسا فى اعداد هذا الجيش وتنظيمه

أما القوة العسكرية في هذه المملكة فكانت قبل ذلك مؤلفة كما يأتي :

(١) حرس منهم خيالة يقال لهم مخزنجية يبلغ عددهم ٤٠٠ فارس وهم ينالون مراكزهم بالوراثة

(٢) جيش من الرجالة يؤخذ من الاهالي يسمى بالعسكر يبلغ عدده ١٠٠٠٠ نسمة

(٣) فرقة من الخيالة غير المنظمة يبلغ عددها نحو ٢٠٠٠ فارس

(٤) جيش المتطوعة ويبلغ عشرة آلاف من الرجالة و ٨٠٠ من الخيالة

على هذا يكون جيش مراكش في وقت السلم نحو ٣٠٤٠٠ جندى . وهذه الجنود كانت معفاة من جميع التكاليف للدولة وكانت الحكومة مكلفة باعطائهم المرتبات والاسلحة

أما أسلحة هذا الجيش فقد كانت لاتزال علي الطراز القديم حتي بسط الفرنسيون على تلك المملكة الحماية فأصلحوا ذلك الجيش وجعلوه على النظام الاوروبي الفرنسى

أما قوة مراكش البحرية فقد انحطت كثيراً وكل ماكان عندها في عهد المولي عبد العزيز طراد طور بيدى من

الفولاذ طوله سبعين متراً وعرضه عشرة أمتار وحمولته الف ومئتا طن وقوته البخارية تعادل ٢٥٠٠ حصان بخارى وسرعته في الساعة ١٨ عقدة وبه عشرة مدافع من عيار اثني عشر سنتي مترا . ولها مركب آخر من ذوات الرفاس طوله ٤٧ متراً وعرضه ١١ متراً وحمولته ١١٦٤ طنا وقوة آلاته تعادل ١٤ حصاناً وسرعة سيره نحو ١٠ عقد فى الساعة ويسمي احسانية

أما الاهالى فلاشتغالهم بالتجارة في جميع أقطار العالم كان لهم سفن شراعية تجارية. وقد امتدح مؤرخو الفرنج نشاط أهل مراكش واستعدادهم الفطري للسير فى البحار واقتحام شدائدها. وهى صفات ورثوها عن أسلافهم الذين كان لهم شهرة عظيمة في اختراق البلاد

لم يكد يصفو الملك للمولى عبدالعزيز حتي قام أخوه المولى عبد الحفيظ يناوئه القتال ويثير عليه القبائل بحجة انه ينزع لمجاراة الاوروبيين فى عوائدهم وانه يركب البسيكليت ويلهو بآلات التصوير ويقضي اوقاته فى الرياضة وسماع الموسيقى وقد ادخل الى القصر الوصائف الباريزيات وغير ذلك فلقى معضدين من الناقمين على عبد العزيز وما زال يجد وراء غرضه حتي أشارت فرنسا على المولي عبد العزيز بالتنحي عن السلطة طلبا لمصلحة البلاد فخضع لاشارتها واعتزل السلطة فتولاها أخوه فبويع له سلطانا وخرج المولي عبد العزيز سائحاً فى البلاد فجاء الي مصر وسورية والحجاز ثم عاد الى المغرب وسكن طنجة

أما عبد الحفيظ فانه استبد بالامر وانتقم من القبائل المعادية له أفظع انتقام فتألبوا عليه واجتمعوا مع جميع الناقمين عليه وأضرموا ناراً لثورة شعواء فلما رأى ان أمته قد أحدقت به من مكان وانه لاقبل له بمدافعتهم نصحه بعض الناصحين بالالتجاء للحكومة الفرنسية ففعل فأمدته بجيوشها وقاتلت دونه أعداءه حتي دانت له البلاد وبسطت فرنسا حمايتها علي مراكش فحقد عليه المراكشيون ونقموا عليه تصرفه هذا فقررت فرنسا أنها لا تستطيع ارضاء الشعب الا بخلع السلطان الذى يكرهه فخلعته وعينت المولي يوسف وهو الحاكم الآن تحت أشراف مندوب عال من قبل الحكومة الفرنسية

﴿ المِرْبَد ﴾ هو كل موضع حبست فيه الابل وبه سمي مربد البصرة وبه محلة من أشهر محالها وهي كبلدة مستقلة بينها وبين البصرة ثلاثة أميال كانت متصلة بها فخرب ما بينهما . ويوجد خارج المربد في البادية قبر أنس بن مالك والحسن البصري وابن سيرين والمشهورين من علماء الاسلام البصريين

﴿ مرتك ذهبي ﴾ هو اوكسيد الرصاص بلورات صغيرة مسحوقها يدخل في تركيب مرهم للبواسير ومراهم أخرى

﴿ مَرَجَ ﴾ الامرَ يمرُجه مَرْجا خلطه و (المارج) الشعلة الساطعة ذات اللهب الشديد . و (المَرَج) الابل ترعي بلا راع يقال (بعير مَرَج) و (ابل مَرَج) للمفرد والجمع . و (أمر مَريج) مختلط أو ملتبس

﴿ المَرْجان ﴾ قيل هو صغار اللؤلؤ وقيل كبار الدر وصغاره وقيل الخرز الاحمر والمشهور انه عروق حمر كأصابع الكف تستخرج من قاع البحر. وأكثر البحار احتواء عليه البحر الابيض . ويستخرج منه الصيادون الايطاليون من سواحل الجزائر أكثر من ٣٠٠٠٠ كيلو غرام كل سنة

المرجان في حقيقته هو مأوى يبنيه لنفسه الحيوان المسمي البوليبوس

للمرجان في المتجر ثلاثة أنواع : المرجان الاحمر وهو المعروف والمرجان الابيض والمرجان الاسود

والعادة أن يكون المرجان الحي مرتبط بشبه قرص في الصخور البحرية يغطيها أو يتعلق بها . ويقوم منه وحده أحيانا صخور واسعة في محال يكون الماء فيها ساكناً غالباً وهو يكون على شكل شجيرات صغيرة قد تبلغ بعد عشر سنين من ١٨ الي ٢٠ قيراطا طولا وهو يأخذ في النمو من قاعدته الى قمته وساقه تكون يابسة مستديرة أو فيها انضغاط قليل ولا تكون مفصلية ويبلغ ثخنها نحو قيراط من قاعدتها وتنقسم بدون انتظام الى فروع ينتهي كل منها بجسم مستدير رخو وتلك الساق تكون مغطاة بغشاء لبي هو الجزء الحي تسكنه كثير من الحيوانات مرتبطة بعضها ببعض بجوهر مشترك بينها لكل منها ثمان أذرع مسننة . وهذا الغشاء المسمي بالقشرة اذا رفع كان الباقي محورا حجريا محززاً تحزيزاً دقيقاً بالطول ويكون

خلويا سهل التفتت من الظاهر مؤلفا من طبقات متحدة المركز ترسب فيها على التوالي تلك الحيوانات وتكون أكثف كلما ذهبت الي الباطن . ومكسر ذلك المحور أملس قوقعي الشكل بل زجاجي وهو الذي يباع في المتجر وتأتي به الصيادون من شواطئ البحر الاحمر والبحر المتوسط وهو يصاد اما بأيدي الغطاسين واما بشباك خيطية خاصة لا تقلع الشجرة وانما تكسر أغصانها . ويصطاده أهل مرسيليا وقبرص وغيرهما

ولقد كان الباحثون يعتبرونه نباتا بحريا والآن عدوه من المعادن وهو الجزء الحجرى لتلك الحيوانات المركبة

حلل العلامة (فوجيل) المرجان فوجده مكونا من كربونات الجير الملون بقليل من اوكسيد الحديد والمنضم بعضه الي بعض بالجلاتين

المرجان يستعمل في الطب وللزينة وكلما كان أشد حمرة كان أشد اعتبارا للزينة فأحسنه الرزين الاملس الاحمر الوهاج وأردأه الابيض وبينهما الاسود

قال العرب الادهان تصلحه والخل يفسده . قالوا واذا ليس بالشمع ونقش عليه ثم وضع في الخل يوما انتقش .

وذكروا له عدة خواص فقالوا أنه مقو للقلب ودافع لسم الافعي وهو معدود من الادوية المقوية والقابضة والمعرقة والمدرة والماصة وتلك الخاصة الاخيرة بالنظر لطبيعته الحجرية هى الاحسن ثبوتا فيستعمل مسحوقه الناعم المنخول المحلول غالبا الى حبوب أو اقراص تسمي بالمرجان المحضر علاجا للاسهال والدوسنطاريا والأزفة ولاسيما نفث الدم وللأزفة الرحمية . وذكر بعضهم انه وجد فيه هذه الخاصة الاخيرة بقوة . وذكروا انه ينفع الصرع أيضا والسيلان الابيض

وقالوا انه حابس للدم منشف للرطوبات . وذكروا أنه يجفف تجفيفا قويا ويقبض ويصلح لمن به دوسنطاريا

وذكروا أن الاستياك بمسحوقه يقطع الحفر ويقوى اللثة . وأنه اذا قطر في الاذن مسحوقه بدهن بلسان نفع من الطرش وهو مجفف وملحم للجروح العتيقة ولهم فيه استعمالات خرافية

لا يستعمل المرجان الآن من الظاهر الا في مركبات افيونية وسنونات فيلونها بلون جميل ويظهر أن تأثيره ميكانيكي

لادوائي ولا يستعمل من الباطن الا كاص ولكنه لهذا الغرض الاخير يخاط بتحت كربونات المغنيسيا

﴿ المرجئة ﴾ هي فرقة من الفرق الاسلامية. وفي اللغة الارجاء على معنيين أحدهما التأخير قال تعالى (أرجه وأخاه) أي أمهله وأخره. والثاني (أعطاه الرجاء)

أما اطلاق اسم المرجئة بالمعني الاول على هذه الفرقة فصحيح لأنهم كانوا يؤخرون العمل عن النية والقصد

ويصح اطلاق هذا اللفظ عليهم بالمعنى الثاني فانهم كانوا يقولون لا تضر مع الايمان معصية ، كما لاتنفع مع الكفر طاعة

وقيل الارجاء تأخير حكم صاحب الكبيرة الي القيام فلا يقضي عليه بحكم ما في الدنيا من كونه من أهل الجنة أو من أهل النار فيكون المرجئة والوعيدية فرقتين متقابلتين

المرجئة أصناف أربعة مرجئة الخوارج ومرجئة القدرية ومرجئة الجبرية والمرجئة الخالصة

فمن المرجئة الخالصة اليونسية والعبيدية والغسانية والثوبانية والتومنية والصالحية

(فاليونسية) أصحاب يونس السمري زعم أن الايمان هو المعرفة بالله تعالى والخضوع له وترك الاستكبار عليه والمحبة بالقلب فمن اجتمعت فيه هذه الخصال فهو مؤمن وما سوى المعرفة من الطاعة فليس من الايمان ولا يضر تركها حقيقة الايمان ولا يعذب على ذلك اذا كان الايمان خالصا واليقين صادقا وزعم ان ابليس لعنه الله كان عارفا بالله وحده غير انه كفر باستكباره عليه أبى واستكبر وكان من الكافرين . قال ومن تمكن في قلبه الخضوع لله والمحبة له على خلوص ويقين لم يخالفه في معصية وان صدرت منه معصية فلا يضر يقينه واخلاصه والمؤمن انما يدخل الجنة باخلاصه ومحبته لا بعلمه وطاعته

(العبيدية) أصحاب عبيد المكتب حكي عنه أنه قال ما دون الشرك مغفور لامحالة وأن العبد اذا مات على توحيده لم يضره مااقترف من الآثام واجترح من السيئات . وحكي اليمان عن عبيد المكتب وأصحابه أنهم قالوا ان علم الله تعالى لم يزل شيأ غيره وان كلامه لم يزل

شيأ غيره وكذلك دين الله تعالى لم يزل غيره . وزعم أن الله تعالى عن قولهم على صورة انسان وحمل عليه قوله صلى الله عليه وسلم خلق آدم على صورة الرحمن

(الغسانية) أصحاب غسان الكوفى زعم أنّ الايمان هو المعرفة بالله تعالى ورسوله والاقرار بما أنزل الله به مما جاء به الرسول في الجملة دون التفصيل والايمان يزيد ولا ينقص وزعم أن قائلا لو قال أعلم أن الله قد حرم أكل الخنزير ولا أدرى هل الخنزير الذي حرمه هذه الشاه أم غيرها كان مؤمنا . ولو قال أعلم ان الله قد فرض الحج الى الكعبة غير أني لا أدري اين الكعبة ولعلها بالهند كان مومنا ومقصوده ان أمثال هذه الاعتقادات أمور وراء الايمان لا انه شاك في هذه الامور فان عاقلا لا يستجيز من عقله أن يشك فى ان الكعبة الى أية جهة هى وان الفرق بين الخنزير والشاة ظاهر . ومن العجب ان غسانا كان يحكي عن أبي حنيفة رحمة الله مثل مذهبه ويعده من المرجئة ولعله كذب . ولعمرى كان يقول لابي حنيفة وأصحابه مرجئة السنة .وعده كثير من أصحاب المقالات من جملة المرجئة . ولعل السبب فيه انه لما كان يقول الايمان هو التصديق بالقلب وهو لا يزيد ولا ينقص ظنوا انه يؤخر العمل عن الايمان والرجل مع تحرجه في العمل كيف يفتي بترك العمل ؟ وله سبب آخر وهو أنه كان يخالف القدرية والمعتزلة الذين ظهروا فى الصدر الاول والمعتزلة كانوا يلقبون كل من خالفهم فى القدر مرجئا وكذلك الوعيدية من الخوارج فلا يبعد أن اللقب انما لزمه من فريقى المعتزلة والخوارج والله أعلم

(الثوبانية) أصحاب أبي ثوبان المرجئى الذين زعموا أن الايمان هو المعرفة والاقرار بالله تعالى وبرسله عليهم السلام وبكل مالا يجوز في العقل أن يفعله

وما جاز في العقل تركه فليس من الايمان وأخر العمل كله عن الايمان ومن القائلين بمقالته أبو مروان غيلان ابن مروان الدمشقي وأبو شمر ويونس بن عمران والفضل الرقاشي ومحمد بن شبيب والعتابي وصالح وأخيه وكان غيلان يقول بالقدر خيره وشره من العبد وفي الامامة انها تصلح لغير قريش وكل من كان قائما بالكتاب والسنة كان مستحقا

لها وأنها لاتثبت الا باجماع الامةفقد جمع غيلان خصالا ثلاثا القدر والارجاء والخروج والجماعةالتي عددناهم اتفقوا على أن الله تعالي لو عفا عن عاص في القيامة عفا عن كل مؤمن عاص هو في مثل حاله وان أخرج من النار واحداً أخرج من هو في مثل حاله ومن العجب أنهم لم يجزموا القول بأن المؤمنين من أهل التوحيـد لا يخرجون لامحالة من النار

ويحـكي عن مقاتل بن سليمان ان المعصية لاتضر صاحب التوحيدوالايمان وانه لايدخل النار مؤمن والصحيح من النقل عنه ان المؤمن العاصي يعذب يوم القيامة على الصراط وهو علي متن جهنم يصيبه لفح النار ولهبها فيتألم بذلك على مقدار المعصية ثم يدخل الجنة ومثل ذلك بالحبة على المقلاة المؤججة بالنار

ونقل عن بشر بن غياث المريسي انه قال ان أدخل أصحاب الكبائر النار فانهم سيخرجون منها بعد أن يعذبوا بذنوبهم

وأما التخليدفيها فمحال وليس بعدل وقيـل ان أول من قال بالارجاء الحسن ابن محمـد بن علي بن أبي طالب وكان يكتب فيها الكتب الي الامصـار الا انه ماأخر العمل عن الايمان كماقالت المرجئة واليونسية والعبيدية لكنه حكم بأن صاحب الكبيرة لايكفر اذ الطاعات وترك المعاصي ليست من أصل الايمان حتي يزول الايمان بزوالها

(التومنية) أصحـاب أبي معـاذ التومني الذى زعم ان الايمان هو ماعصم من الكفر وهو اسم لخصال اذا تركها التارك كفر وكذلك لو ترك خصلة واحدة منها كفر ولا يقال للخصلة الواحدة منها ايمان ولا بعض ايمان وكل معصية صغيرة أو كبيرة لم يجتمع عليها المسلمون بأنها كفر لايقال لصاحبهـا فاسق ولكن يقال فسق وعصى وقال تلك الخصـال هي المعرفة والتصديق والمحبة والاخلاص والاقرار بما جاء به الرسول

قال ومن ترك الصلاة والصيام مستحلا كفر وان تركهما على نية القضاء لم يكفر ومن قتل نبياً أو لطمه كفر لا من أجل القتل واللطم ولكن من أجـل الاستخفاف والعداوة والبغض. والى هذا المذهب ميل ابن الراوندي وبشر المريسي قالا الايمان هو التصديق

بالقلب واللسان جميعاً والكفر هو الجحود والانكار والسجود للشمس والقمر والصنم ليس بكفر في نفسه ولكنه علامة للكفر

(الصالحية) أصحاب صالح بن عمرو الصالحي ومحمد بن شبيب وأبو شمر وغيلان ابن حرث ومحمد بن التيمي كلهم جمعوا بين القدر والارجاء ونحن وان شرطنا أن نورد مذاهب المرجئة الخاصلة الا انه بدا لنا في هؤلاء لانفرادهم عن المرجئة بأشياء. فأما الصالحي فقال الايمان هو المعرفة بالله عز وجل والمحبة والخضوع له بالقلب والاقرار به انه واحد ليس كمثله شيء ما لم يقم عليه حجة الانبياء عليهم السلام فاذا قامت الحجة فالاقرار بهم وتصديقهم من الايمان والمعرفة والاقرار بما جاؤا به من عند الله غير داخل في الايمان الاصلي وليس كل خصلة من خصال الايمان ايمانا ولا بعض ايمان واذا اجتمعت كانت كلها ايمانا وشرط في خصال الايمان معرفة العدل يريد به القدر خيره وشره من العبد من غير أن يضاف الى البارى تعالى منه شيء. وأما غيلان بن مروان من القدرية زعم أن الايمان هو المعرفة الثابتة بالله والمحبة والخضوع والاقرار بما جاء به الرسول وبما جاء من عند الله. والمعرفة الاولى فطرية وهو علمه بأن للعالم صانعاً ولنفسه خالقاً وهذه المعرفة لا تسمى ايماناً انما الايمان هو المعرفة الثانية المكتسبة

(تتمة) رجال المرجئة كما نقلهم الحسن ابن محمد بن علي بن أبي طالب وسعيد بن جبير وطلق بن حبيب وعمرو بن مرة ومحارب بن دثار ومقاتل بن سليمان وذر وعمرو بن ذر وحماد بن أبي سليمان وأبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد بن الحسن وقديد بن جعفر وهؤلاء كلهم أئمة الحديث لم يكفروا أصحاب الكبائر بالكبيرة ولم يحكموا بتخليدهم في النار خلافاً للخوارج والقدرية (انظر الملل والنحل للشهرستاني)

﴿ مرح ﴾ الرجل يمرَح مرَحا اشتد فرحه ونشاطه وتبختر واختال فهو (مَرِح) جمعه (مَرْحى)

﴿ مَرْحبه ﴾ قال له مَرْحبا

﴿ المِرّيخ ﴾ كوكب من مجموعتنا الشمسية (انظر فلك)

﴿ مرد ﴾ الغلام يمرَد مرَداً بقي أمرد ثم التحي (ومرُد الرجلُ يمرُد مرودة) عتا وتجبر فهو مارد ومريد. و (مرّد البناء) ملسه. و (تمرّد) عصا

﴿ ماردون ﴾ قلعة جزيرة ابن عمرو وهي تعرب بالحروف فيقال هذه ماردون ورأيت ماردين الخ

﴿ مرّ ﴾ الرجل يمُرّ مرّاً ومُروراً جاز وذهب. و(أمرّه) جعله يمر و (مرّره) جعله مراً . و (استمر) دام . و(المرارة) هنة شبه كيس لازقة بالكبد تتكون فيها مادة صفراء تعرف بالمرة جمعها مرائر . و (المُرّ) ضد الحلو . و (المُرّان) شجر الرماح . و (المَرّة) الفعلة الواحدة . و (المِرّة) قوة الخلق وشدته. والعقل والقوة. والخلط المسمى بالصفراء جمعها مِرَر . و (أمر مَرير) أي محكم

﴿ المر ﴾ هو راتينج مشهور من قديم الزمان بذكاء ريحه . وكان هذا الاسم موضوعا على نباتات ذات رائحة أو مستخرجاتها ولذا حصل اشتباه في حقيقة هذا الجوهر

المر جوهر كان معظماً جداً عند القدماء فكان يحرق في المعابد والهياكل للتبخير وكانوا يستعملونه لتصبير الجثث ويدخره ملوكهم وأمراؤهم في خزائنهم. وكان للناس فيه عقائد خرافية حتى زعموا ان (مسيرا) بنت سنيراس ملك قبرص لما بغت وخشت جدت الزهرة الآلهة في طلبها ومسختها في مدينة سابينا من ايطاليا شجرة يخرج منها لادونيس وهو نوع من الشقيق فمن تردد بكائها يحصل المر . ومن هنا يمكن الظن بأن المر المعروف في زماننا ليس هو المر الذكي الرائحة الذي كان يعظمه القدماء ويمدحونه بشدة العطرية اذ الموجود الآن وان لم نجد رائحته كريهة الا انها ليست بعطرة وثمنه لايساوى ثمن الذهب كما كان يقول الاقدمون

وقد ذكر عن ديسقوريدس الطبيب اليوناني ثمانية أنواع وعد منه بلينياس سبعة أنواع وهذا يدل على ان المر كان يطلق على عدة جواهر . وكان يجلب المر للاقدمين من سواحل الحبشة

وقد زعم هيرودوت المؤرخ اليوناني الاقدم وبودور أن بلاد العرب فيها غابات كبيرة واسعة من الشجر المنتج للمر. وقال تيوفرست وبليناس أن هذا النبات شوكي وورقه يشبه ورق الزيتون

ونقل ابن البيطار عن ديسقوريدس أن المر صمغ شجرة ببلاد العرب شبيهة بالشوكة المصرية تشرط فتخرج منها هذه الصمغة وتسيل على حصر قد بسطت لها

ومنها مايؤخذ من ساق الشجر

وأما المتأخرون فقداختلفوا اختلافا عظيما في تعيين شجره حتي قال قائل منهم بأنه من الفصيلة الخيمية وشـذ بعضهم شذوذا غريبا فزعم انه من المستخرجات الحيوانية . وبعضهم عزا شجره لبـلاد الحبشة . ولكن الذي حققه همبولد وهيرمبرج وهمبريخ الطبيعيون الرحالون أن المر من شجيرات تنبت ببلاد العرب قرب جيرون فقالوا ان تلك الشجيرات من الفصيلة التربنتينية قريبـة من البلسان المرى تتكون منها غيضات صغيرة مخلوطة بنباتات من نوع الاكاسيا والفربيون والمورنجا وغيرها

يوجـد المر في المتجر على شكلين فتارة يكون محببا ويقـال له المر المحبب وهو قابل للتفتت سهـل الكسر لونه ضـارب للحمرة وهو يسمي بالمر الاحمر خفيف شفاف النصف فيكون على شكل كرات متضلعـة تختلف فى الحجم وتارة يكون على شـكل مربعات صغيرة لها سطح أملس أو قطع مكسرة تشاهد فيها وريقات صغيرة يتكون منها فيهـا جزور أوأضلاع مبيضة على شكل الاظفار وذلك هو السبب في تسميتها بالمر الظفرى ولرأئحتها قوة من طبيعة خاصة ولكنهـا ليست كريهة ولا ذكيـة وطعمه مر غير مغث وهويذوب فى الفم بدون ان يبيض اللعاب

ويميز في المر المحبب الذي هو الانق ويسمى بالمر الصافي مر مشـترك يكون قطعا غير نقية ملتصق بعضها ببعض مخلوطة بأجسام غريبة كثيرة

(تحليل المر) لم يحلل من أنواع المر الا المر العربي لانه الأجود فوجد في ١٠٩ غرام منه ٢٣ غراما من الراتينج و٧٧ من الصمغ . ووجد فيه بعضهم ٣٤ من راتينج مختلط بقليل من دهن طيار و٦٦ من الصمغ . وكان الراتينـج لونه أحمر ورائحته كرائحة المر وطعمه مر، وكان الصمغ قائما يظهر أنه يختلف عن الجواهر الصمغية الأخر

ووجـده برند مكونا من ٢ر٦ من دهن طيار اتيري و٢ر٢٢ من راتينج رخو و٥ر٥ من تحت راتينج و٢ر٩ من طرغا قنطين و٢ر٥٤ من صمغ وآثار من الحمض الجاوى والتفاحى وفوسفات وكبريتات الكلس وأملاح أخر كاسية . وفيه أجزاء

من جوهر حيواني وآثار من جواهر غريبة
(استعمال المر فى العلاج) كان المر كثير الاستعمال فى الطب عند اليونانيين الاقدمين فكانوا يعتبرونه كأكثر الراتينجيات مفتحاً ومحللا ومضاداً للعفونة ومقويا المعدة والقلب وغير ذلك ويستعملونه في الامراض المزمنة ولا سيما أمراض الرئتين والاحشاء البطنية كما هو أيضاً مدر للطمث ومضاد للهستريا فهو منبه قوي التأثير فاذا ازدرد بمقدار كبير من غرامين الي ٤ غرامات فانه يحدث حرارة في المعدة وتواتر في الدورة وزيادة في الحرارة الباطنية ونحو ذلك وهذا يدل على انه لا يجوز استعماله في الامراض التى فيها افراط في الحيوية والفاعلية المرضية في الوظائف ولا فيما اذا كان هنالك امتلاء ولا للاشخاص الجافة أليافهم المتهيجة
ولكنه اذا استعمل بمقدار يسير فانه يسهل الهضم ويزيد في الشهية والقوى الممثلة واستعمله (سيدنام) لادرار الطمث فعلم أنه متي كان هنالك ضعف او استرخاء وهبوط فى الاعضاء او في الوظائف جاز اعطاؤه للتقوية واحداث التأثير . ويصير حينئذ مسهلا للنفث في النزلة المزمنة ومقويا للمعدة في ضعفها وللقناة المعوية في آخر الدوسنطاريات وصالحا لشفاء الخلوروز وادرار الطمث
وقد تستعمل أحيانا من الظاهر صبغته الكحولية في مرض تسوس العظام وتأكلها وغير ذلك من علل المجموع العظمى
وكذا يستعمل رضعا فى غنغرينا الاجزاء الرخوة وفي الاحوال التي تكون فيها الغنغرينا نتيجة ضعف عام او ضعف خاص فى المنسوج الذي هو محل لها
وأوصي بعض القدماء بمضغه فى الآفات الحفرية التى فى الفم . واستعملوا التبخير بالمر علاجا للنزلة المزمنة والسعال التشنجي والربو الرطب ولكن نجاح هذا غير أكيد
ويدخل المر في الماء العام واكسير الخواص والترياق وغير ذلك وقد هجر الاوربيون ذلك كله الآن
أما أطباء العرب فكانوا يكثرون من استعماله وقالوا : انه مسخن مجفف وفيه من المرارة شيء ليس باليسير وبسبب تلك المرارة يقتل الديدان والأجنة ويخرجها وكذا فيه جلاء ولذا يخلط

بالمراهم والاكحال المصنوعة للقرح والآثار الغليظة في العين ويقع في الادوية التي تستعمل لمعالجة السعال الضيق والربو الذى لا يصحبه خشونة في قصبة الرئة ولاعتدال جلائه أدخله بعض الناس في الادوية التي تشرب لخشونة قصبة الرئة بسبب أنه يسخن ويجفف اسخانا وتجفيفا بليغا ولا يخافون من فضل مرارته وجلائه

وقال الرازى انه من أدوية الفتوق ويخلط بالقوابض فيوصلها ونقلوا عن ديسقوريدس ان قوته السخنة تلصق مايحتاج للالصاق بيبسه وقابضيته وتلين فم الرحم المنضم وتفتحه . واذا استعمل مع الافسنتين أو مع الترمس أدر الطمث وأخرج الجنين بسرعة . وقد يشرب منه مقدار باقلاة للسعال المزمن وعسر التنفس الذي يحتاج فيه الي الانتصاب ووجع الجنب والصدر والاسهال وقرحة الامعاء

واذا شرب منه مقدار باقلاة (فولة) بفلفل قبل أخذ الحمي النافض سكنها

واذا وضع تحت اللسان وابتلع ماينحل منه لين خشونة قصبة الرئة وصفي الصوت وقتل الدود وطيب النكهة ويخلط بالشب فيزيل نتن الابط

واذا تمضمض به مع خل وزيت شد الاسنان في اللثة واذا ذر على قروح الرأس أدملها واذا خلط بأفيون وجندبادستر وماميثا وجعل في الآذان المؤلمة التي يسيل منها القيح أبرأ ألمها الحار وجفف قيحها . وهو مع الخل يجلو القوابي واذا خلط باللاذن والخمر ودهن الآس أمسك الشعر المتساقط

وقال ابن الجزار اذا سحق المر وعجن بماء الآس واحتملته المرأة المنتنة المحل أزال عنها ذلك

وقال الرازى فى جامعه انه ينفع من أوجاع الكلي والمثانة ويذهب بنفخ المعد والمغص ووجع الارحام والمفاصل طلاء وينفع من السموم الباردة شربا ويخرج الديدان ويذهب ورم الطحال ويحلل الاورام

وقال أيضاً أنه ينفع من لدغة العقارب.

وقال ابن سينا انه يمنع التعفن والنتن ويجفف الفضول

وقال اذا نثر على جراحات الاعضاء اليابسة المزاج الطرية بدمها ألصقها . واذا عجن بالسمن بعد خلطه بالكمون وطلي به قروح الرأس الرطبة أو اليابسة

أرأها . واذا حل في ماء طبخ فيه الكركم والشمار أو الفودنج النهري واكتحل به احد البصر ونفع من ابتداء الماء وخشونة الاجفان

وان حل في ماء حامض الاترج أزال السعفة طلاء . واذا حل في الخل ودهن الورد وطلي به الجرب المتقرح والحكة سكنها وأزاله واذا امسك في الفم صفى الصوت وازال البحوحة .واذا خلط بدار صيني وسكر كان ذلك أبلغ . وينفع من السعال ويسهل الاخلاط اللزجة من الصدر.وشرابه يطرد رياح الجوف ويدر البول وينفع من قروح المثانة ومن السحج العتيق في الامعاء ويحدر الطمث المتوقف عن سدد في مجاريه او غلظ دم

هذا ماكان يقوله أطباء العرب وأما المتأخرون فيقولون انه كثيراً ما يضم للجواهر المرة الحديدية ويستعمل احيانا غراغر في الذبحات الغنغرينية والحفر ونحو ذلك

(مقدار الاستعمال) يؤخذ من مسحوقه من ٥٠ سنتي غرام الى اربعة غرامات حبوبا . والسائل المرى يصنع بجزء من المر وأربعة أجزاء من الماء المقطر المغلي ويستعمل من ذلك كل يوم من ملعقتين الي اربع ملاعق . والممزوج الحديدى المرى يصنع بأخذ ٦٠ من كل من المر والسكر و٢٥ من تحت كربونات البوتاس و٢٠ من كبريتات الحديد و ٢٤٠ من روح النعنع و٣٤٨٠ من ماء الورد ويستعمل من ٢٢ الى ٦٠ غراما تكرر مرتين او ثلاث مرات فى اليوم

والمسحوق المرى المركب يؤخذ من ٦٠ من المر و٣٠ من كل من الجاوشير والسكبينج والجند بادستر ومقدار كاف من كل من النعنع والسذاب والاستعمال من نصف غرام الى غرام واحد

والخلاصة المرية تصنع بأخذ غرام من المر واربعة غرامات من الماء الحار او الكحول الذي في ٢٢ درجة من مقياس الكثافة والمقدار من ٢٥ سنتي غرام الى اربعة غرامات حبوبا.والصبغة تصنع بجزء من المر وخمسة اجزاء من الكحول الذي في درجة ٣١ من مقياس كرتييه ينقع ذلك مدة ١٥ يوما ويرشح ويستعمل بالاكثر في التغيير على تسوس العظام

والماء المقطر يصنع بأربعة غرامات من مسحوق المر و١٢ من الماء فيقسم

المر فى الماء المقطر ويقطر ليستخرج من ناتجه اربعة غرامات وتستعمل عـلاجا لآفات الصدر

اما لاجل الاستعمال من الظاهر فلصبغته الكحولية زروقات وغسلات وغراغر وغير ذلك (انظر المادة الطبية)

﴿ مرزنجوش ﴾ هو الذى يسميه العامة المردقوش نبات سنوي شرقي قد استنبت بأوروبا اصـله من افريقا ينبت في البلاد التي على ساحل البحر الابيض المتوسط تستعمـل اطرافه المزهرة وهو عطري مقبول جداً وطعمه حار فيه مرار ويحتوى علي دهن طيار استخرج منـه ١٠ر٠ من الكافور وتتصاعد منه رائحة شديدة العطرية . مسحوقه ينبه الغشـاء النخامى ،لذلك يستعمل سعوطا يسبب العطاس وهو يؤثر تأثيراً منبهاً في الاعضاء فيزيد في الحيوية ويوقظ الشهية ويعـين علي الهضم ويساعد على العرق وبالجـلة يحتوي على الخواص العـامة للفصيلة الشفوية أعنى كونه مقويا منبهاً مضـاداً للتشنج وغير ذلك

وقد نسبوا للمرزنجوش تأثيرا واضحا على المخ والمجموع العصبي ولذا يأمرون به فى الاحوال المهددة بالسكتة وفي السكتة نفسها والشلل التابع لها والتقلص والسدر والدوار والخدر ونحو ذلك

ويستعمل ايضا في النزلة المخاطيـة المزمنة لتسهيل النفث وتنظيف الصـدر باعطائه زيادة قوة للمنسوج الرئوى وكذا لايقاظ فعل الرحم وفي الخلوروز واحتباس الطمث ونحو ذلك

وهو لكونه من منبهات القوي المعدية اعتبروه فى بعض البلاد من الافاويه حيث يضاف للبقول الدقيقيـة للسلطات ونحو ذلك ويدخل فى المسحوق المعطس والماء العام والماء الملكي وشراب البرنجاسف والبلسم الهادي وغير ذلك

ويحضر منه ماء مقطر وصبغة وغيرهما

وقد أطنب أطبـاء العرب في ذكر خواصه ونقـلوا عن جالينوس أن قوته لطيفة وأنه يسخن ويجفف ، وعن ديسقوريدس ان طبيخه يوافق ابتـداء الاستسقاء وعسر البول والمغص . واذا احتمل ادر الطمث . واذا تضمد به مع الخل وافق لذعة العقرب . وقديعجن بقـيروطي ويوضع على النواء العصب

والاورام البلغمية

وشم ورقة يفتح سدد المنخرين والرأس شما ونطولا بمائه . وعصيره نافع من ابتداء الماء ويحد البصر واذا دق ورقه الطرى بملح أو اليابس بعد التندية ثم وضع على الانتفاخ الريحي أو البلغمى الرقيق حلله . واذا درس غضا مع الكمون وأكل نفع من وجع الفؤاد البارد والخفقان المتولد عن خلط في فم المعدة

واذا طبخ مع الزبد والزبيب نفع من الماليخوليا المعوية وحديث النفس

وهو يسخن المعدة والاحشاء ويحل النفخ السدي ويدر البول ادراراً قويا ويجفف رطوبات المعدة والامعاء واذا مضغ بالملح وابتلع قطع سيلان اللعاب واذا درس مع لحم الزبيب ووضع على نتوء الخصيتين أزاله ان لم يكن التهابا فان كان كذلك رطب بالخل

وقال اسحق بن عمران أنه يفتح سدد الرأس ويذيب البلغم ويقطع الصداع البارد ويلائم الزكام وينفع من الاوجاع العارضة من البرد والرطوبة ومن الصداع والشقيقة المتولدة من المرة والسوداء والبلغم اذا غلي وصب ماؤه بعد أن يبرد قليلا على الرأس بعد الانكباب على بخاره

وقالوا ان طبيخه يحلل أوجاع الصدر والربو والسعال وضيق النفس والاستسقاء والطحال ودهنه يفتح الصمم ويذهب الكزاز والرعشة والفالج ودخانه يصلح هواء الوباء ويطرد الهوام

وقالوا ان شربته مطبوخا الى أوقية ومن سحيقه الى مثقالين

(المقدار وكيفية الاستعمال) يصنع منقوعه المائي بمقدار من ٥ غرامات الى ١٠ لاجل كيلو غرام من الماء وماؤه المقطر يصنع بجزء واحد منه و٤ أجزاء من الماء ومقدار الاستعمال من ٦٠ غراما الى ١٠٠ غرام في جرعة . ومسحوقه من غرام الى غرامين وهو نادر الاستعمال من الباطن. نعم انه كان موضوعا فى أعلى رتب المعطسات وأما استعماله من الظاهر فكغيره من جواهر الفصيلة . ويرهم غرام من دهنه مع ثلاثة غرامات من الشحم الحلو ويستعمل مسحوقه معطسا كما قدمنا

﴿ المرزبان ﴾ هو أبو الحسن على ابن احمد بن المرزبان البغدادى الفقيه الشافعى . كان فقيها ورعا من جلة العلماء أخذ الفقه عن أبي الحسين بن القطان

وعنه أخذ الشيخ أبو حامد الاسفرايني المشهور وحكي عنه أنه قال : (ما أعلم أن لأحد علي مظلمة)

كان مدرساً ببغداد وله وجه في مذهب الشافعي . توفي سنة (٣٧٦)

والمرزبان بفتح فسكون فضم لفظ فارسي معناه صاحب الحد . مرزهوالحد، وبان صاحب ، وهو في الاصل لمن كان دون الملك

﴿ المَرْزُباني ﴾ هو ابو عبد الله محمد عمران بن موسى بن سعيد بن عبد الله الكاتب المرزباني الخراساني الاصل البغدادى المولد صاحب التصانيف المشهورة والجاميع الممتعة

كان راوية للادب صاحب أخبار وتآليفه كثيرةوكان ثقةفي الحديث ومائلا الى التشيع في المذاهب حدث عن عبد الله بن محمد البغوى وأبي بكر بن داود السجستاني . وهو اول من جمع ديوان يزيد بن معاوية بن ابي سفيان الاموى واعتني به وهو صغير الحجم لا يزيد عن ثلاث كراريس . وقد جمعه من بعده جماعة وزادوا فيه أشياء كثيرة ليست له وشعر يزيد مع قلته في نهاية الحسن منه

اذا رمت من ليلى على البعد نظرة
لتطفى جوي بين الحشا والاضالع
تقول نساء الحي تطمع أن ترى
محاسن ليلى مت بداء المطامع
وكيف ترى ليلى بعين ترى بها
سواها وما طهرتها بالمدامع
وتلتذ منها بالحديث وقد جرى
حديث سواها في خروق المسامع
أجلك ياليلى عن العين انما
أراك بقلب خاشع لك خاضع

قال القاضى ابن خلكان الذى ننقل عنه هذه الترجمة : وكنت حفظت جميع ديوان يزيد لشدة غرامي به وذلك في سنة (٦٣٣) بمدينة دمشق وعرفت صحيحه من المنسوب اليه الذى ليس له وتتبعته حتى ظفرت بصاحب كل بيت ولولا خوف الاطالة بينت ذلك

ولد المرزباني سنة (٣٢٧) وقيل سنة (٢٩٦) وتوفي سنة (٣٨٤) وقيل سنة (٣٧١) والاول أصح . صلي عليه الفقيه أبو بكر الخوارزمى ودفن في داره بشارع عمرو الرومي ببغداد في الجانب الشرقي

روي المرزباني الحديث عن أبي القاسم البغدادى وأبي بكر بن دريد وأبي

الكرخ بن الانبارى وروي عنه ابو عبد الله الصيمرى وابو القاسم التنوخي وابو محمد الجوهرى وغيره

﴿ مرس ﴾ مارسه عالجه وعاناه . و (مَرَسَ بالشيء) احتك به و (مارسه) و (المارستان) دار المرضى و (المَرَس) الحبل جمعه أمراس

﴿ المرسي ﴾ هو عبد الكريم بن وهبون أبو محمد الملقب بالدمعة المرسى

قال ابن بسام فى ترجمته :

« شمس الزمان وبدره ، وسر الاحسان وجهره ، ومستودع البيان ومستقره ، أحد من أفرغ من وقتنا فنون المقال ، في قالب السحر الحلال ، وقيد شوارد الالباب ، بأرق من ملح العتاب ، وأروق من غفلات الشباب ، اجتاز المرية فى بعض رحله المشرقية ، وملكها يومئذ ابو يحيي بن صمادح فاهتز لعبد الجليل واستدعاه ، وعرض له بحرمة وافرة فلم يعرج على ذلك وارتحل عن بلده وقال:

دنا العيد لو تدنو به كعبة المنى
وركن المعالى من ذؤابة يعرب
فيا أسفي للشعر ترمي جماره
ويابعد مابين النقا والمحصب

ومن العجيب ما اتفق ان عبد الجليل وأبا اسحق بن خفاجة تصاحبا في طريق مخوف فمرا بعلمين وعليهما رأسان كأنهما بشران متناجيان فقال ابن خفاجة:

ألا رب رأس لاتحاور بينه
وبين أخيه والمزار قريب
أناف به صلد الصفا فهو منبر
وقام علي أعلاه فهو خطيب

فقال عبد الجليل مكملا :

يقول حذار الاغترار فطالما
أناخ قتيل لى ومر سليب

قال فما تم كلامه حتي لاح قتام ساطع ، كأن السيوف فيه برق لامع ، فما تجلى الا وعبد الجليل قتيل ، وابن خفاجة سليب . فكأنما كشف فيما قال ستر الغيب

ومن شعره فى اللينوفر وهو نوع من الزهر

وبركة تزهو بلينوفر
نسيمه تشبه ريح الجنوب
حتى اذا الليل دنا وقته
ومالت الشمس لعين المغيب
أطبق جفنيه علي الفه
وغاص فى الماء حذار الرقيب

ومن شعره أيضاً :

زعموا الغزال حكاك قلت لهم نعم
في صده عن عاشقيه وهجره
قالوا الهلال شبيهه فأجبتهم
ان كان قيس الى قلامة ظفره
وكذا يقولون المدام كريقه
يارب لاعلموا مذاقة ثغره
وقال ايضا :
يعز علي العلياء اني خامل
وان أبصرت مني خمود شهابي
وحيث تري زند النجابة واريا
فثم ترى زند السعادة كابي
وقال في مغنية لابسة حليا :
اني لأسمع شدواً لا أحققه
وربما كذبت في سمعها الاذن
مني رأي أحد قبلي مطوقة
اذا تغنت بلحن جاوب الفنن

ومن شعره ايضا :

بنفسي وان كنت لانفس لي
فقد سلبتها لحاظ المقـل
عذار وخـد كما يحتوي
سواد القلوب بياض الامل
وأنشد المعتمد بن عبـاد يوماً قول المتنبي

اذا ظفرت منك العيون بنظرة
أثاب لها معيي المطي ورازمه
فجعل المعتمـد يردده استحسانا له
فقال عبد الجليل :
لئن جاد شعر ابن الحسين فانما
تجيد العطايا واللهي تفتح اللهي
تنبأ عجبا بالقريض ولو دري
بأنك تروى شعره لتألها
وجلس المعتمد يوما وبين يديه جارية
تسقيه فلمع البرق فارتاعت فقال :
روعها البرق وفي كفها
برق من القهوة لماع
عجبت منها وهي شمس الضحى
كيف من الانوار ترتاع
وأنشد الاول لعبد الجليل فاستجاده
فقال :
وان تري أعجب من آنس
من مثل مايمسك يرتاع
ومن شعر عبد الجليل قوله :
غزال يستطاب الموت فيه
ويعذب في محاسنه العذاب
يقبله اللثام هوى وشوقا
ويجني ورد خديه النقاب
وقال أيضا :

سقى فتى الله الزمان من أجله
بكاسين من عليائه وعقاره
وحيا فحيا الله دهراً أتى به
بأطيب من ريحانه وعذاره

وكان للمعتمد بن عباد خادم يسمي خيفة فأمره أن يأتي بنبيذ فأخذ وعاء يسمي القمصال وأتى اليهم فعثر ووقع القمصال فانكسر ومات خليفة فأخبر المعتمد بذلك فقال :

أنامن والحياة لنا مخيفة
ونفرح والمنون بنا مطيفة

فقال ابن عمار :

وفي يوم وما أدراك يوم
مضى قمصالنا ومضى خليفة

وقال عبد الجليل :

هما فخارتا راح وروح
تكسرتا فاشقاف وجيفة

كان المرسى من أهل القرن الخامس

﴿ المرض ﴾ مقدمة — الحياة مظهرها جملة الافعال التي تصدر من البنية والصحة ظهور هذه الافعال بترتيب وانتظام والمرض ظهورها على خلاف ذلك . أو هو المانع واحدة منها او أكثر . والعلم الذي يبحث عن الوسائل الحافظة للصحة يسمى بقانون الصحة ، والعلم الذي يبحث في كيفية اعادة الصحة لحالتها الطبيعية بعد زوالها يسمي بالباتولوجيا أي علم الامراض

فما هو المرض ؟ المرض هو تغير في نسيج أو عضو أو مجموع يوجب تشوشاً في عمله أو يمنع اتمام وظيفة من الوظائف الجسدية . ومنشأ المرض إما خارج عن الجسم أو هو في ذات الجسم ، فلذلك انقسمت الامراض الى بادئة وجسمية وتأثيرها اما موضعي أو عام فانقسمت أيضاً الى موضعية وعامة

ثم إن أكثر الاسباب ينبه الانسجة بتأثيره فيها أو يهيجها وحينئذ تسمي منبهة أو مهيجة . ومنها ما يؤثر عكس ذلك فيقلل الفعل الحيوي في الانسجة وهذه تسمي مضعفة . ومنها مايحرق الانسجة ويفسد تركيبها أو يرضها أو يمزقها أو يفصل بعضها عن بعض أو يزيل الارتباط الطبيعي الجامع لها وهذه تسمى أسبابا كيماوية أو ميكانيكية

جميع هذه الاسباب لا تؤثر بقوة واحدة فمنها مايجعل في الاعضاء قابلية لا كتساب الامراض وهذه تسمي اسبابا

مهيئة . ومنها ما يتسبب عنه المرض سريعا وهذه تسمي اسبابا متممة اى موجبة . وبعض الاسباب المهيجة يكون ميكروبي ويصدر عنه دائماأمراض واحدة وهذه تسمي أسباب نوعية كأسباب الجدرى والجدرى البقرى والزهرى والكوليرة والطاعون والحميات العفنة

وأكبر أسباب المرض الفواعل الضرورية لحفظ الحياة كالهواء والماء والحرارة والضوء والاغذية والكهرباء فهي ينبوع الامراض الغالبة وذلك اذا خرجت عن حدها الطبيعي بالزيادة أو النقصان واذا اشتد تأثر الاعضاء منها فانقطعت الموازنة . وكلما قوي تأثير هذه الاجسام قوى حس الانسجة واشتد والعكس ينتج العكس

وقد تكون البنية على حال تقوي تأثير الاسباب المذكورة بل ربما كانت تلك الحال وحدها كافية فى احداث الامراض فلذا كان تأثير الاسباب مطلقا في لاشخاص الضعاف أشد منه في الاشخاص الاقوياء بسبب ضعف المقاومة فى أنسجتهم

والسن والذكورة والانوثة وتسلط احد الامزجة وشدة الاستعداد فى عضو يجعل في الاشخاص شدة تأثر من بعض الاسباب . فسن الطفولة مهيء لامراض المخ وسن البلوغ لامراض الصدر وسن الكهولة لامراض المسالك المضمية وسن الشيخوخة لامراض الكلي والمثانة

الانوثة مهيئة للامراض العصبية

والمزاج الدموي مهيء للالتهاب والأزفة

والمزاج اللينفاوي مهيي للخنازيرى،

والمزاج العصبى مهيء للداءات التشنجية

وأما الهواء والماء والحر والبرد والضوء وغيرها فانها وان كان لها تأثير في جميع البدن الا ان الذين اعتبروها من الاسباب العامة أخطأوا فان الذي يحدث في الجسم عقب تأثيرها هي أمراض موضعية لأنها انما تنبه محلا واحداً من الجسم يختلف باختلاف الاشخاص لكون ذلك المحل قابلا للتهيج أكثر من غيره فتنتهي اليه جميع التأثرات . فان ظهر أثرها فى جميع الاعضاء فقوة تأثيرها انما هى في بعضها من حيث ان وصولها اليه كان من غير واسطة . مثال ذلك :

افراط الحرارة اوقلتها يؤثران خصوصا في الجلد

الهواء يؤثر في المسالك التنفسية

والكهربائية في المجموع العصبي

فاذن ليس هناك أسباب عامة .

وبالجملة ان هذه المؤثرات العامة في الجسم وان كان كثيراً ما تكون أسبابا مرضية فالذى يتسبب عنها أمراض موضعية كالتي تتسبب عن غيرها من المؤثرات والمهم به أكثر من غيره في مبحث اسباب الامراض هو التغيرات التي تحصل فى البنية الاولى للانسجة الجسمية من هذه الاسباب . واذا نظر فى الاختلاف الكثير الواقع في هذه الاسباب ظن انه يتولد عنها نتائج كثيرة مختلفة لكنه يعدل عن هذا الظن بالتأمل في انها كلها لم يكن لها الا نتيجة واحدة وهي تزايد العمل العضوى للانسجة اي حدوث الزيادة في الحس اى الالم وفي مقدار توارد السائلات . واذا قطع النظر عن مستثنيات قليلة ووضع سبب من الاسباب ليؤثر تأثيراً شديداً في نسيج حتى تصدر عنه نتيجة واضحة شوهد أولا فى محل الملامسة أو فيما بينه وبينه سمباتوية تزيد في القوة المهيجة ثم يظهر الالم ثم تتوارد السوائل من كل جهة. والاسباب التي هذا فعلها تسمى مهيجة

والاسباب المضعفة يصح انكارها ويقال انها سلبية لانها عبارة عن سلب المنبهات اللازمة لحفظ الحياة بالامتناع عن الغذاء والهواء والضوء والحرارة و سلب بعض المواد من الجسم بالفصد أو غيره . على انه يقال وان سلب المنبهات كثيراً مايكون سبباً مهيجاً كقلة التغذية فانها دائما تنتهي بزيادتها لقابلية التهيج في الغشاء المخاطي وتحدث فيه زيادة في توارد السوائل

والاسباب الكيماوية والميكانيكية ان أثرت تأثيراً خفيفا كانت مهيجة فقط ، وان أثرت تأثيراً ثقيلا اختلفت التغيرات التي تنشأ عنها فتكون حرقا او تمزقا او هتكا او تمدداً او رضا او غير ذلك

اما الاسباب الميكروبية فظاهرة وهو أن انتشار ذلك النوع من الميكروبات في الجو يفضي به الي مهاجمة الاجساد البشرية فينمو فيها وتفعل سمومه على البنية التسممات التي يكون مظهرها الامراض العفنة المعروفة كالتيفوس

والتيفودية و لزهري والطاعون وغيرها

﴿ أعراض الامراض ﴾

الاعراض هي النتائج المختلفة المصاحبة للامراض بحيث لاتفارقها ومعرفتها نافعة فى تحرير التشخيص

والعوارض تغيرات غير عادية تحدث بغتة فى مدة سير المرض وربما ظهرت فى ابتدائه او وسطه او اثناء انحطاطه. ولذلك تنقسم الى اولية وتابعية . فمثال الاولية فى الجروح الالم والنزيف والالتهاب وغيرها

ومثال التابعية فيها التقيح الردىء والغنغرينا والحمي وغيرها

الاعراض تتقوم من الظواهر غير المعتادة التي تدرك وتظهر في اصل الانسجة والاعضاء وفي شكلها وارتباطها وأفعالها

وتنقسم الى موضعية وهي التي تظهر فى الموضع المشغول بالمرض وسمباتوية وهي التى تصدر من تشوش العضو المصاب وتظهر فى انسجة غير التي تكون محلا المرض وتصل اليها بواسطة المخ أو النخاع الشوكي أو العصب الحشوى الثلاثي، والى عامة وهي التي تظهر مع الموضعية فى متسع عظيم من الجسم وتكون في جملة داءات مختلفة

وتنقسم أيضاً الي أولية وهى التي تظهر عند تأثير السبب الممرض أو بعد تأثيره بزمن كالجروح والخراجات التى تظهر وقت العدوى في نحو الزهرى أو بعده بأيام قلائل ، والى تابعة وهى التي تظهر بعد اكتساب المرض بزمن طويل كالبثور والاورام العظيمة في الزهري

الاعراض الموضعية هي الأهم في كل مرض لأنها هي التي تعين على التشخيص ولأنها منبعثة من العضو المريض غير انه لا يسهل تمييزها عن الاعراض السمباتوية . مثال ذلك اذا كان لدي رجل التهاب في الكلية ولديه ايديو سينكراسيا في المعدة أى شدة تأثر فيها فان علامات التهاب الكلية تؤثر في المعدة تهوعا وغثيانا فبذلك يخفي داء الكلية ويظن انه فى المعدة

ولهذه العلة ترى مرضا واحدا يصيب اشخاصا متعددين فتظهر عليهم علامات مختلفة وقد يكون بعضهم شديد التأثر وبعضهم قليله وبعضهم لا تظهر عليه علامات البتة

واما الأعراض العامة وهي التى تظهر في آفاق كثيرة ولا تخص مرضا واحداً بعينه فعددها قليل ولا تعرف منها الاسرعة النبض وازدياد الحرارة والقشعريرة وتناقص القوة العضلية

(سير الامراض)

سيرها هو الانتظام الذى تكون عليه الداءات مرتبط بعضها ببعض . ويقال له (دائم) اذا لم يكن في العلامات انقطاع من الابتداء الى الانتهاء . و (منقطع) اذا ظهرت ثم زالت في أزمنة منتظمة وغير منتظمة . و (متردد) اذا لم تزل بالكلية بل ترددت شدتها بين الزيادة والنقص زمنا فزمنا . و (حاد) اذا تناقلت الاعراض أو زالت بسرعة . و (مزمن) اذا ظهرت العلامات ببطء وطال الداء

الداءات الحادة هى التي تقطع ادوارها بسرعة ويظهر عنها كثير من السمباتويات أو الانعكاسات العصبية من الداء على أعضاء أخرى. والغالب أن تعقب هذه الداءات القشعريرة وأن تكون لها الادوار الثلاثة الازدياد والوقوف والانحطاط

والداءات المزمنة هي التي تبطيء في ظهورها وقد تكون نتيجة للداءات الحادة . فان كانت أولية كان بطؤها وقلة اشتدادها وهما وصفاها المميزان حاصلين من ضعف تأثير الاسباب المتممة أو ضعف القوة المهيجة في الشخص أو في العضو أو منهما معاً وحينئذ فكثيراً ما يخطيء فيها المشخصون لها

وبعض الداءات تظهر بعلامات متعاقبة صفتها واحدة وعلى انتظام واحد لا يعتريها تغير هام كالجدري

ومما يختلف به سير الداءات السن والذكورة والأنوثة والامزجة والفصول والاقاليم

فداءات الطفولة أسرع سيراً من داءات الشيخوخة التى هي غاية في البطء وداءات الامزجة الدموية والعصبية أسرع من داءات الامزجة الاينفاوية

ومما يؤثر فى سير الداءات كون الداء مختلطا لا بسيطا والبسيط هو الذي يتغير فيه نسيج واحد والمختلط هو الذي يتغير فيه جملة أنسجة في آن واحد

ومدة الداءات تختلف جداً فمنها مالا يستمر أكثر من مدة ساعات ومنها

مايبقى ٢٤ ساعة ومنها مايستمر سنين

(معالجة الامراض)

أقوى ماتنبني عليه معالجة الامراض معرفة محل الداء وطبيعته وكثيراً ماتحصل فيها تنوعات هامة من اعتبار أسبابها وسيرها ومدتها ونحو ذلك . ولا تعطي الوسائط الشفائية في داء الا اذا عرفت طبيعته . وهناك قاعدتان يجب الالتفات اليها وهما :

(أولهما) أول ماينبغي فعله في كل علة ابعاد الاسباب المحدثة أو الممدة له

(ثانيهما) أراحة العضو المصاب .

فان مقاومة العلة بالوسائل العلاجية لايثمر مادام السبب الموجب لهاموجودا فان حصل الشفاء رغماً عن ذلك كان وقتياً ثم يحدث الانتكاس سريعا

وعلى ذلك فيجب ابعاد الشخص المصاب بداء متقطع مستعص عن المحال الرطبة وحمايته من الحر والبرد واليبوسة اذا كان سبب الداء واحداً منها . وتجنب الانفعالات النفسانية الشديدة في الآفات الصادرة عنها . واخراج الاجسام الغريبة أو معاونة الطبيعة علي اخراجها ورد الاجزاء المنفصلة أو المنخلعة الي مجاوراتها الاصلية ونحو ذلك

وكثيراً مايدعي الطبيب بعد أن يبطل تأثير السبب فايكن اجتهاده حينئذ في جعل المريض على الشروط الصحية النافعة ليحفظ عن تأثير الجو وعن الحركات النفسانية

والنقاهة هي الحالة التي ينتهي بها الداء ويأخذ العليل في الصحة فينبغى للطبيب فى هذه الحالة أن يأمر المريض بالتغذى تدريجا مع مراعاة ماينناسبه منها ويستعيض مانقص من قواه وأن ينبه الاعضاء الضعيفة ويسكن ماقوى تنبهه ويسعى في ترجيع الافرازات ودفع الفضلات الي ماتكون عليه في حالة الصحة ويجعل المريض علي أجود الاحوال المذكورة في قانون الصحة

(طبيعة الداءات)

طبيعة الداءات تحصل من تغيرات الانسجة ولا يقفنا علي حقيقتها الا التشريح المرضي . ويحسن بنا أن ننبه هنا على التغيرات التي توجد في الانسجة فنقول :

(١) الالتهاب وهو تغيرها بالاحمرار والاحتقان والانتفاخ وزوال قوة الاتحاد

وهذا أكثر التغيرات وجوداً وهو السبب لمعظم بقية التغيرات الآتية المشاهدة فى الانسجة

(٢) التيبس الاحمر والازدراد والتولدات والفطر والبوليبوس

(٣) النفاطات والبثور والتقيح والتآكل والتقرح والتثقب والغنغرينا

(٤) التجمدات والحبوب وظلمة الانسجة الشفافة والالتصاقات وانصباب المصل والاغشية الكاذبة

(٥) استحالة النسيج الى هيئة نسيج آخر كالغضروفية أو العظمية أو الليفية أو المخاطية أو المصلية

(٦) التيبس الابيض والاستحالة الملامية والدرن والمادة المخية الشكل والمادة السرطانية . وهذه التغيرات كثيراً ما تعقب الالتهاب. وقد تكون أولية وتسمي جملتها بالالتهاب الدرني وهي تسمية غير جيدة

(٧) ضيق القنوات الطبيعة واتساعها وانسدادها بالكلية

(٨) القنوات العارضة والنواصير والانتساجات العارضة والاكياس

(٩) تولد الغازات والرياح في تجاويف الاعضاء

(١٠) الاجسام الحية التي تتولد في باطن الاعضاء

(١١) الانصبابات الدموية وتجمعات هذا السائل ويسمى ذلك بالأنزفة لكون الغالب انها تخرج الى الخارج

(١٢) التولدات الطباشيرية والحجرية والليفية والقرنية والجيرية ونوع تكون هذه التغيرات مجهول

(١٣) التغيرات فى الشكل والمجاورة كالجروح والقروح والتمدد والتمزق والكسر والخلع

(١٤) الاجسام الغريبة

(١٥) سوء التركيب أو آفات البنية

(١٦) التغيرات التي تقبلها السائلات الجسمية ويظن أن تغيرها تابع لتغير سابق في الاعضاء المنوطة بتحضيرها (انتهي باختصار من كتاب الطب لبروسيه وسانسون)

﴿ المذاهب المختلفة ﴾
(فى شفاء الامراض)

اختلف العلماء في كيفية شفاء الداءات كما اختلفوا فى بيان أسبابها وقد

كتبنا في ذلك فصلا ممتعا فى كلمة (طب) نعيده هنا اتماما للفائدة وهو :

(مذهبا الطب العصرى) للطب اليوم مذهبان أحدهما يرى ان الجسم يحتاج أحيانا الي العلاج بالمواد المختلفة مع استخدام التدابير الصحية . ويري الآخر ان العلاج قد يفيد العضو المريض فيحوله من حال الى حال ولكنه فى الوقت ذاته يوجب مرضا على عضو آخر قد يكون فيه هلاك الشخص

فالطب في نظر هؤلاء يجب أن يقتصر على استخدام قوي الطبيعة من هواء طلق وغذاء جيد صحى خال من اللحم والمهيجات وعمل جسدى معتدل واستحمام بالماء الفاتر أو البارد وغير ذلك من التدابير التى تعين الاعضاء المريضة على مكافحة المرض الذى حل بها

ان هؤلاء يقولون ان العلاج لا يشفى المصاب ولكن الذى يشفيه هو القوة الحيوية الموجودة في جسمه. تلك القوة تظهر للحس بفعلها على الجراح . ألم تر انه لو أصابك جرح أخذ بعد حين فى الاندمال من نفسه فلا يزال سائراً في طريقه حتي يصبح العضو المجروح كأن ليس به شىء وتعود اليه جميع وظائفه ولم يبق للجرح عين ولا أثر. هذا الاثر المحسوس للاندمال والشفاء التا ريجي هو أثر القوة الحيوية التي خلقها الله لتحفظ لنا وجودنا الى حين . فان أصاب أحد الاعضاء مرض باهمالنا لقانون الصحة تولته القوة الحيوية بالعناية والعلاج كما تولت الجرح فلا يجوز أن يكون لنا اذ ذاك من عمل الا مساعدة فعل القوة الحيوية باتباع قوانين الصحة ومراعاة الحمية والعناية باستنشاق الهواء النقى وغير ذلك فتعمل القوة الحيوية عملها في ذلك العضو ولا يمر غير قليل حتي يشفى المريض

أما لو أعطي علاجا وهو في تلك الحالة ازدادت حاله سوءاً وتفاقم مرضه فان نجا منه فلا يكون ذلك الا ببذل مجهود كبير من قواه الحيوية تهيئه لمرض مزمن وقد جاءت شهادات كبار الاطباء فى ضرر العلاجات تؤيد ذلك

قال الدكتور (غرانيشتاتن) وهو من أقطاب الطب بألمانيا وقد نقله عنه الاستاذ بلز في كتابه الطب الطبيعي

« الضعف في درجاته وأشكاله التي لا تحصى ليس هو على وجه عام الا نتيجة العلاج بالعقاقير سواء كانت جيدة أورديئة.

العلاجات ان استعملت كما ينبغي تغلبت على الداء الاصلي ولكنها تترك دائما في الجسم بقايا تظهر آجلا أو عاجلا وتكون نتائجها غير قابلة للشفاء . وعليه فللناس الحق في تسمية هـذا النوع من الضعف بالضعف العلاجي

ثم قال : « من عهد ماجادت علينا الكيمياء بالمركبات المختلفـة للزئبق والانتموان وقشر الكنكينا وحمض البروسيك والرصاص والزرنيخ والكبريت الخ ومن عهد السماح بتعاطيهـا بنوع من الجرأة المتناهية باعتبارها عـلاجات قوية التأثير ضـد الآلام التي كانت مجهولة في العصور السابقة . من ذلك العهد انتشر الضعف بحالة يؤسف لها وانتقل من الآباء الى الابناء

« فالذي يلقي به القدر مرة واحدة تحت كلاكل هذا الداء يكون قد وقف حياته على التردد على الصيدلات »

وقال الدكتور (كيسر) كما نقله عنه الاستاذ بلز فى كتابه المتقدم ذكره

« ان الحكمة القديمة القائلة بأن الدواء قد يكون شرا من الداء والطبيب شرا من المرض هي صحيحة فى كثير من الاحوال

« ان عددا كبيرا من الادواء تشفى بقوى الطبيعة وحدها وأما في الامراض كافة فالشيء الوحيد الذي يجب على الطبيب عمله ويستطيعـه هو حصر وابعاد المؤثرات القاتلة عن المريض وابطال الحركة غير الطبيعية لبعض أجهزته وأعضائه . فان فعل أكثر من هذا ليرضى المريض المحب للدواء ويحقق نظريته الوسواسية وشهواته النفسية فقد أضره كل الضرر

« على هذه الطريقة كثيرا ما يولد الاطباء الادواء الصناعيـة ويمكن القول بأنه في كثير من العلل التي يعالجها الاطباء عدد كبير من الامراض المزمنة منها ما قد سببه الاطباء أنفسهم

« وفي الحالة الحاضرة للطب العملى يجب ان يجعـل المريض بمعزل عن كل طبيب كما يعزل عن كل سم قتال

« هذا ما يشهد به تاريخ الطب فان كل نظرية طبية خاصة استدعت عددا من الضحايا البشرية لم يتوصل الى الفتك بمثلها أشد الادواء ولا أطول الحروب »

وقال الاستاذ (ستيفنس) أستاذ

الكلية الطبية بنيويورك كما نقله عنه الاستاذ بلز:

« كلما تقدم من الاطباء قل اعتقادهم في تأثير الادوية وزادت ثقتهم فى قوي الطبيعة

ثم قال : « رغما عن كل المخترعات الحديثة التي أحيطت بالتهليل فان المرضي لا يزالون يشكون الادواء كما كانت حالتهم قبل اربعين عاما

ثم قال: « انسبب بطء تقدم الطب ناتج من أن الاطباء بدلا من ان يدرسوا الطبيعة درسوا كتابات من تقدمهم »

وقال الاستاذ الدكتور (سميث) كما نقله عن الاستاذ بلز:

« كل العلاجات التى تدخل فى الدورة الدموية تسمم الدم بعين الطريقة التي تسممه بها السموم الحالية للادواء

« الادوية لا تشفي أى داء كان بل الذي يشفيها هو الخاصة الطبيعية ليس إلا

ثم قال : « ان الديجتال قد قتل ألوفا من الناس

« وحمض البروسيك كان يستعمل بكثرة في اوروبا وامريكا ضد السل الرئوي وقد عالجوا به ألوفا من المرضي فلم يشف واحدا بل انه قتل مئات منهم » انتهي

وقد نقل الاستاذ بلز عن اكثر من ثمانين عالما من علماء الطب الرسميين من هذه الاقوال التي تؤيدها المشاهدة فثبت من ذلك كله ان أثر العقاقير في شفاء العلل أثر مهلك وجدير بالانسان اذا أصابه داء أن يحتمي عن الاكل (انظر حمية) وأن يعني بأمر الصحة مستخدما الوسائل التي ذكرها الاطباء الطبيعيون من الاستشفاء بالماء والهواء ذلك خير من التعرض لاخطار العلاجات المختلفة

لم يجن العالم الى اليوم من الطب من فائدة غير تخفيف الآلام بالمسكنات وكلها سام قتال ولقد كثرت الاطباء والصيدلات ولا تزال الادواء والمرضى آخذين في الازدياد وقد طرأت عال ماكان يعرفها آباؤنا ولا تعرفها للآن الامم الخلوية التى لا تعرف طبا ولا علاجا فما أثر الطب بعد ذلك ؟

يظهر لنا ان علم الطب سيضمحل ويحل محله علم قانون الصحة وسيزول كل مايعزى للعلاجات من التأثير والخواص لظهور أثر الغلو فيها ولن يبقى الاعلم الجراحة

فهو العلم النافع الذى لاشك في نفعه

(أساليب العلماء في معالجة الامراض)

أعجز الاطباء معالجة أقل الادواء خطورة فلم يتوصل طبيب الى ازالة فقر الدم وضعف الاعصاب وغيرها مما يعترى الناس من جراء أعمالهم بمحض تأثير العلاج . فأكثر الناس يشكون الضعف وفقر الدم وقد صرفوا السنين في تعاطي العلاجات المقوية بدون فائدة

هذا بالنسبة للضعف وفقر الدم أما بالنسبة لغيرهما من علل القلب والرئتين والكبد والمعدة والمخ فحدث ولاحرج وان قلت ان واحداً ممن يصاب بهذه العلل لم ينل خيراً من العلاجات الطبيـة وانتهى أمره الى اليأس لما كنت بعيداً عن الواقع

هذا العقم الظاهر من العلاجات دفع كثيراً من فضلاء الاطباء الى تلمس رسائل جديدة لشفاء العلل فأطالوا البحث وصرفوا العمر فى التجارب فاهتدوا النتائج ان لم تكن هى الواقع بعينه فقد أدت خدما جليلة نذكر من هؤلاء العلماء والاطبـاء هيج الأنجليزى وكنتانى الايطالى وسوبرويسكي الفرنسى وقد احدث كل من هؤلاء حوادث من الشفاء عزت على الطب والاطباء وطارت شهرتها الى أقاصى المعمورة

(أسلوب هيج فى العـلاج) يقول الدكتور هيج ان أسـباب العلل هي الحوامض السامة التي تنضاف الى الدم من سواء التغذية أكبرها خطراً حمض البوليك (أسيد أوريك) وحمض الاوكساليك والنطرون وصرح أن لا سبب للنوراستانيا وهو داء ضعف الاعصاب الذي ينتشر اليوم انتشاراً سريعا بين جميع الطبقات الا حمض البوليك. وكذلك هو من الاسباب للاصـابة بالنقطة والروماتيزم وألم الرأس والصداع والصرع والجنون وضعف القلب ووقوفه والربو والتهاب الشعب وسوء الهضم والبول السكري وأدواء القلب

ليس هيج أول من عرف ضرر حمض البوليك ولكنه أول من حدد دائرة نفوذه الضار من الوجهة المرضية

قال هيج، وهذا القول أساس مذهبه : أن السميات التي تتخلف من المواد الغذائية تنبث فى تفرعات الاوعية الدموية وتسد الاوعية الشعرية فتقـل قوة سريان الدم ويشتد ضغطه علي القلب ويكون سببا لضعف عام للبنية ولاختلال جميع الاعضاء

فاذا أبطأت الدورة قلت تغذية الاعضاء ومتي اشتد الضغط علي القلب يحدث له داء ثم تنتشر سموم الاغذية بتوالى تواردها في سائر الاعضاء فتمرضها أيضاء فيشكو صاحبها العوارض المختلفة ويعرض نفسه على الاطباء فيشخصه كل منهم علي ماتسمح له به نظرياته فتارة ينصحونه بتعاطي المقويات وأخري بأخذ المنوعات ومرة يأمرونه بالسياحة وأخرى بالراحة وحينا يزرقون جلده بابرة الحقن وهم في ذلك كله بعيدون عن حقيقة الداء . فلو علموا أنه ناشئ عن سموم الاغذية وعنوا بمعرفة مقادير السموم منها وأشاروا بحمية صحيحة لشفي المصاب ولكنهم يعتمدون على العقاقير الطبية فتنضم الى كمية السموم وتزيد فعلها

يقول هيج ان تراكم حمض البوليك في أوعية الدم يسبب انحرافا فى العقل واضطرابا فى الحياة وهي أخص علامات النوراستانيا فاذا سهل خروج حمض البوليك تغيرت حالة العقل حالا كأنها حادثة سحرية وتنقلب الحياة في نظر صاحبها سارة حتي أن الانسان ليحدث نفسه باتيان الاعمال المستحيلة

وقال هيج أن جميع الادواء تزول بازالة حمض البوليك فأحذفوا هذا الحمض تعيشوا مائة سنة ولا يوجد هذا الحمض غير الغذاء

بالتحليل يوجد ان هذا الحمض يوجد في اللحم والفول والعدس والبازلة والفاصوليا والاوبياء الجافة والشاي والقهوة والكاكاو

ثم قال وعليه فيجب الاكتفاء بأكل النباتات وخصوصاً الاسفاناخ والخبازى والكرنب والقرنبيط والفواكه واللبن والجبن والامتناع عن اللحم والفول والعدس والبازلة والفاصوليا واللوبياء الجافة

اذا سار المصاب بأى داء على هذه الحمية مدة تحللت السموم وتسربت من الكليتين والجلد وغيرها وطهر الجسم منها وزايلته جميع الاعراض المرضية

(أسلوب الدكتور كانتاني) قاعدة الدكتور كانتانى غير قاعدة هيج وان كانت النتيجة واحدة فانه قال بأن حمض البوليك هو سبب كل داء في جسم الانسان ولكنه ليس هو العلة بل العلة قلة الاوكسيجين في الجسم لتحويله الى بول ونزوله مع الفضلات

قال والذى يوجب نقص مقدار الاوكسيجين في جسمنا انه يستهلك

باكثارنا من تناول الاغذية الايدراتية الكربونية (كالسكر والنشا) والدهنية . فان لم يتناول الانسان هذه الاغذية بقى الاوكسيجين في دمه لحول حمض البوليك الى بول فاتقى الجسم شره كلما تكوّن

وعلى ذلك فالدواء الوحيد لجميع العلل عند الدكتور كانتاني هواتباع حمية لايأكل الانسان فيها الدهنيات ولا السكر والنشا ويمتنع عن الخل والمخللات واللبن والجبن والامراق والعجينيات والرز والبطاطس والحلوى والتوابل ويكتفي بالبيض والنباتات الخضراء والفواكه مع الحركة في الهواء الطلق

(أسلوب الدكتور سوبرويسكي)

يقول هذا الدكتوران سبب جميع العلل فساد تركيب الدم وما فساده الا كونه حامضا غير محتو على قلويات فصلاحيته ان يكون قلويا حلواً وعدم صلاحيته ان يكون حامضا . والدليل على ان سبب العلل هو خلو الدم من القلويات انك لاتجد في الدم ولا فى البول أملاحا قلوية فى جميع الادواء الحية وهذا برهان على ان هذه الاملاح حرب لتلك الادواء فقد ثبت انها تقتل الميكروبات البدنية وتلاشي سمومها كما يقتلها السليماني

فالافضل للمرضى أن يعطوا أغذية كثيرة القلويات فان الداء يزول مهما كان نوعه متي تسلح الدم بالقلويات فالفواكه والليمونادة تشفي أكثر مما نشفيه الخمور غالية الثمن ولا يسقط مريض بضعف القلب اذا أعطي قلويات كافية. فاذا تكون سم في الدم انفرز حالا بفعل تلك القلويات

ولما كانت الوظائف الحيوية تسرع في الحميات فتستهلك القلويات فيجب اعطاء المريض اغذية قلوية . أما المرق فلاحتوائه علي البوتاس يضعف القلب . والفواكه اولى منه بالعناية

العلل المزمنة تشفى باعطاء الدم قلويات ويذوب الرمل الصفراوي تحت تأثيره ويشفي البول السكرى والنقطة وعدم وجود القلويات في الدم يوجد الهرم الباكر

وقال الدكتور سوبرويسكي . كل تأكسد يبطيء التغذية والتصريف فلا يصل للاعصاب غذاء كاف فيبطل نشاطها فيعترى الانسان مالايحتسب من أمراضها وكل الذين عاشوا كثيراً كانوا قنوعين

جداً . فبالافراط فى الاكل تبقى فضلات كثيرة وعلي قدرها يستهلك الجسم القلويات من الدم

لا يوجد للدم نقاء وزيادة قلوياته الا النباتات من الفواكه والاعشاب وأفضلها ماكانت قلوياته اكثر

العلل الكثيرة سببها واحد وهو اختلال أعضاء التصريف فمتي لم تختل فلا علة وتلك الاعضاء المصرفة هى الرئتان والكليتان والجلد والامعاء . فان مرضت احداها وقع الجسم فى المرض لامحالة . ان مرضت الرئتان بقي في الدم كثير من حمض الكربون وهو سم . وان تعبت الكليتان بقيت البولينا (الاوريه) وحمض البوليك في الدم وناهيك بهما من غوائل للصحة ، وان انسدت مسام الجلد تبقى في الجلد السموم التي يجب ان تتصاعد منه بالتبخر الجلدى ، وان تعبت الامعاء بقيت الفضلات فى البدن. فالذين يقعون مرضى كانوا مرضى من قبل بأحد هذه الاعضاء فأهملوها

ثم أخذ الدكتور سوروبسكى يفصل فى قيمة الاغذية من الوجهة القلوية فقال: النباتات التى تحتوى علي القلويات الشكوريا والراوند والاسفاناخ والكمثري والحاض والهندبا والخس والكرفس والجرجير والفجل

أما النباتات التي لها خاصة فى افراز حمض البوليك فهي الاسفاناخ والكرنب والقرنبيط وكرنب بروكسل والبازلة الخضراء قال ويجب تجنب ماعداها من الخضر لان بها حوامض تعيق افراز حمض الاوريك

هذه أساليب الدكاترة الثلاثة فكلها ترمى الي غرض واحد وهو العناية بأمر التغذية وعدم ادخال شئ الى المعدة بغير حساب

فالطب كل الطب أن يعتدل الانسان في غذائه وان يكون نباتيا معتمداً في تقويم جسمه علي النباتات والفواكه الناضجة فان أصابه مرض أو عرض فعليه أن يعمد الي الطرق الطبيعية التى بسطناها في هذا الكتاب أمام كل داء . ولا يجوز أن يعتمد على شيء منها حتي يتحقق من الداء الذي اعتراه ولا سبيل الى ذلك التحقق الا بعرض نفسه على الاطباء المشخصين مراراً والله ولي الهداية

(اتقاء الامراض المعدية) كثيراً ماتنتشر في جو البلاد أدواء طبيعتها

وبائية فيعدي المصاب بها الصحيح فينتشر في البلد أو البلاد انتشاراً وبائياً وقد كان انتشار هذه الادواء يجتاح الملايين من الناس قبل اكتشاف سر عدواها اما الآن وقد اكتشفت الميكروبات فقد علم أنها تنتشر بواسطة تلك الجراثيم الحية الصغيرة وقد وضع العلماء لاتقائها النصائح المفيدة فجاءت بنتائج باهرة حتى صارت الآن الادواء الوبائية غير مخيفة اذا علم الانسان كيف يتقيها وقد نشر العلامة الدكتور محمد علوي باشا الطبيب المصري المشهور مقالا نفيسا جامعا لوسائل التحوطات الصحية في جريدة الاهرام الصادرة في ١٠ سبتمبر سنة ١٩١٦ نثبته هنا ادلالا على فضل طبيبنا الكبير قال رحمه الله :

(العدوى)

يراد بالعدوى انتقال المرض من كائن حي الي آخر (انسانا كان او حيوانا او نباتا) وهي وظيفة كائنات حية تسمى بالجراثيم المرضية

(الجراثيم التي تتولد منها)
الامراض المعدية

من المعلوم أن هذه الجراثيم عبارة عن حيوانات دنيئة لاترى الا بنظارات معظمة تسمى بالمكرسكوبات وتسكن عادة في الهواء وفي الارض وفي الماء خصوصاً مياه البرك والمستنقعات وفتحات الجسم كالفم والانف والعين والاذن والشرج وفي اعضاء التناسل وعلي الاقدام والايدى وتحت الاظافر وعلى الخصوص في المحلات المشعرة وفي المفروشات وتكثر في المساكن التى حصلت فيها اصابات بالامراض المعدية الخ

فيجب على الانسان بوجه عام ان يعرف ان معظم الامراض المعدية كثيرة الانتشار والانتقال بعامل آخر غير عامل الهواء الجوى كالأيدي والملابس والفوط والمناديل والاشياء الاخرى الملوثة والحشرات (الذباب والناموس) والحيوانات التسلقيـة كالبق والبراغيث والقمل . وعلى الخصوص الافرازات المكروبية فهي خطرة للغاية مثل التقيحات في الحمي الطفحية والنفث أى خروج الاغشية الكاذبة في السل الرئوي والسعال الديكي والدفتريا والبراز في الدوسنطاريا والكوليرا والاسهال في الحمي التيفودية وافراز الرمد الصديدى والرمد الحبيبي والرمد الدفتيري والرمد النزلي الخ وهذه

الافرازات هى التى يجب تطهيرها عند ظهورها بمايميت جراثيمها المرضية وذلك بحرقها او وضعها فى محاليل مضادة للعفونة أو غاز مميت لها أو بغليها في الماء مدة نصف ساعة فأكثر وسيأتي الكلام عن ذلك فيما بعد

(العزل أو الفصل)

في المدن كما فى المستشفيات ، يجب أن يكون المصابون بتلك الامراض المعدية منعزلين فى مكان خاص بهم ويجب حملهم بقدر الامكان فى عربات خاصة عند نقلهم من مساكنهم الي المستشفيات وأن يوضعوا فى حجرة منفردة ومنعزلة عن بقية المرضى بعدماتصرف لهم ملابس خاصة وبعد أن تؤخذ ملابسهم الى حيث تغسل وتطهر ببخار الكبريت وعند ذلك يمنع دخول اي انسان الى غرفهم الا المنوطة بهم خدمتهم

(مدة العزل والفصل)

مدة العزل تبتدىء من أول يوم اصيب المريض وفاجأه مرضه فيه وعليه فتكون اربعين يوما للمصابين بالجدرى والقرمزية والدفتريا والتيفوس والحمي التيفودية وستة عشر يوما للمصابين بالجدري والحصبة وواحداً وعشرين يوما للمصابين بالسعال الديكي وأخيراً عشرة أيام للمصابين بالحمي النكفية بعد زوال الامراض الحادية

(المنوطون بخدمة المرضى)

يجب ان يرتدى المنوطون بخدمة المرضى ملابس تقيهم كالفوط الطويلة التي يجب أن تغلي بالماء المغلي والاحسن أن تطهر بالجهاز البخارى المخصص لذلك وكالموجود بالصحة وكلما يترك الممرض مريضه للدخول فى المطبخ او الى قاعة الأكل يجب ان يطهر يديه ويغسلها بالصابون ويدلكهما بفرشة الاظافر وغسلها بمحلول الليزول بنسبة (٦ في الالف) ويجب أن يترك مايرتديه بمحل عمله وتوجد بمصلحة الصحة أجهزة خصوصية لتطهير الملابس ومحلات اقامة المرضي

(نظافة الغرف)

لابد من منع الاتربة ولايجوز الكنس مطلقا تجنباً لنقل الجراثيم الى الانسان بالاتربة الناتجة عنها بل تبل فوطة بالماء ويمسح بها الاشياء الموجودة بالغرفة وأدوات السرير والارضية وتطهر الحيطان من وقت لآخر بواسطة احد

المحاليل المضادة للعفونة أوماء الجير أوأحد المحاليل الآتي ذكرها فيما بعد . كما انه لا يجوز وضع السجاجيد والابسطة والستائر في غرفة المريض

(أدوات الفراش)

عند شفاء المريض تطهر أدوات الفراش ببخار الكبريت أو الجهاز البخاري السابق ذكره كما ان عيدان السرير وصمولات السلك وخلافه تطهر بأحد المحاليل الآتي ذكرها

(المتعاون من المرض)

عند شفاء المريض من المرض وقبل خروجه يأخذ ٣ حمامات بالماء الساخن والصابون واللوف ويدلك جسمه جميعه باللوف المصوبن في الماء الساخن مراراً وخصوصاً الجلد المغطي بالشعر . وعند خروجه من الحمام يرتدي بالملابس المطهرة المغلاة بالماء الساخن وملابسه التي خلعها ترسل للتبخير بالجهاز البخاري بمصلحة الصحة أو يكتفى بتطهيرها بواسطة بخار الكبريت كما سيأتي

(الاعتناء بنظافة المرضي)

يتأكد المنوطون بخدمة المرضى من نظافتهم مرتين في اليوم بغسل الوجه والعين والفم والأيدى والأرجل بالماء الساخن والصابون وينظف فمهم أيضاً بواسطة فرشة أو مسواك يغمر في الماء الساخن المصوبن أو في مخلوط من عصير الليمون والماء

(الاثاث)

يجب نظافة الاثاث نظافة تامة والاواني الخاصة بالبصق تطهر بغمرها في الماء المغلى المصوبن أوفي الماء المغلي المخلوط بأملاح الصودا ويجب أن تحتوى الاواني الخاصة بقبول الافرازات علي مطهر . ويجب تنظيف أدوات المطبخ التي يستعملها المريض مثل الاواني والشوك والملاعق بعد الاكل تطهر تطهيراً جيداً وتاماً بغليها طويلا في الماء المغلى ثم تصوبن وتغسل جيداً هذا والملابس الملونة تغلي بالماء طويلا

(استعداد الجسم للجراثيم المرضية)

كل ضعف يعتري كائناً حياً انساناً كان أو حيوانا أو نباتا بأى سبب كان يعرضه للاصابة بالامراض المعدية لان هذا الضعف يقلل مقاومته العضوية لها لان جراثيمها المرضية التي تدخل فيه تتكاثر وتتغلب في الاكثر على العناصر

الحيوية والمكلفة بالحرص على حياة هذا الكائن

(الاحتياطات الصحية)
(التي يجب اتخاذها للوقاية)
(من الامراض المعدية)

بما انه غير ممكن أن نشرح هنا في نبذة مختصرة مثل هذه الامور الا بعض الاحتياطات التي تهم الجمهور معرفتها للوقاية من الامراض المعدية فليكن معلوما ان اساسها المحافظة على الصحة ولا سيما رياضة الجسم واستنشاق الهواء النقي المتجدد الطلق لان الهواء لحياة الكائن الحي هو بمثابة الماء والاعتناء بنظافة المأكل والمشرب . ولا يجوز أن ننسى ان الدين الحنيف أوصى بذلك وفرض على المسلم الوضوء الذي يقضي بغسل المحلات التي تسكنها هذه الجراثيم المعدية كما ذكرناه أعلاه في الخمسة الاوقات المفروضة للصلاة يوميا . وبعمل هذه الاحتياطات يتقوى الجسم وتتغلب مقاومته على الجراثيم المرضية

(الامراض العينية)

الوسائط التي بها يمكن الانسان الوقاية من العدوي من الامراض العينية الظاهرة مثل الرمد الصديدي والرمد الحبيبي والرمد المنزلي هي :

أولا — لزوم غسل أعضاء تناسل المرأة خصوصاً المهبل (القناة التي يمر منها الجنين حال ولادته) غسلا جيداً بواسطة محلول مجهز من واحد فوق برمنجهات البوتاسا ومن الف من الماء المغلي حتى بذلك تمنع وتتقى جرثومة الرمد الصديدي التي توجد غالبا في هذه القناة والتي بعد ذلك ربما تحدث الرمد الصديدي في عين الجنين

ثانيا — تغسل عينا المريض بقطعة من القطن النظيف المبتل في محلول من ٤ من حمض البوريك ومئة غرام من الماء ثم توضع نقطة أو نقطتان فى كل عين من عيني المولود من محلول من نترات الفضة بمقدار ٢ في المئة ويستمر على نظافة جميع جسم المولود يومياً وخصوصاً العين بواسطة الماء الفاتر الذي سبق اغلاؤه قبل الاستعمال وبعد الاغتسال يلف جسم الطفل حالا بملابسه بدون تعرضه للتيارات الهوائية ويلزم الاعتناء بنظافة ملابسه ومسكنه حتي يتجنب تولد الحيوانات التسلقية فيه كالبق والبراغيث والقمل ولا يخفى ان النظافة من الايمان وان هذه الحيوانات واسطة لنقل

الامراض المعدية ويجب علي الام أن تنظم أوقات الرضاعة لولدها بحسب احتياجه لها مدة النهار بحيث ان الرضاعة الاخيرة تكون مساء قبل نومه وبهذه الكيفية لا يضطر الطفل للسهر ليلا فتسقم عيناه وصحته وأن تغسل الام حلمة ثديها قبل الرضاعة وفم الطفل بعدها

ثالثا — يمنع الذباب بتاتا من أن يقع على الطفل وخصوصا علي وجهه والا يمس عينيه أو فمه لانه يكون العامل القوى لانتشار الامراض المعدية بنقل جراثيمها من شخص لآخر كالرمد الصديدى والحبيبي ذي الافراز (أي عماص العينين) وليكن معلوما ان الوساخة هي السبب الرئيسي في جذب الذباب الى الجسم

رابعا — متى لوحظ تكون افراز في العينين (عماص) يلزم غسله في الحال بقطعة من القطن أو من الخرق البيضاء النظيفة مبتلة في محلول حمض البوريك بنسبة أربعين في الالف كما سبق والماء المقطر ان لم يوجد فيكون الغسيل بالماء المرشح الذى أغلى ويكرر هذا الغسل كلما تولد الافراز ويقطر في العين نقطتان أو ثلاث من قطرة مركبة من قمحة من سلفات الخارصين ومن خمسة وعشرين غراما من الماء المقطر صباحا ومساء الي أن ينقطع تولد العماص أو بوضع جزء من الششم المركب من عشرة غرامات من أوكسيد الخارصين وغرام من بوليبورات الصودا والافيعرض علي الحكيم وهنا نرجو الامهات أن يبطلن اعتقادهن المضر وهو ألا تغسل العين المريضة الا بعد مضى أسبوع فانه قد ينتج من ذلك فقد العين بالكلية

خامسا — للناموس أيضا تأثير مضر بالعين والجسم لانه من عوامل نقل جراثيم الامراض العفنة كما سبق ذكر ذلك فيلزم عمل كل ما يمكن أن يمنع وصوله الي جسم الانسان وما يمكن أن يميته كاستعمال البترول الوسخ برميه على كيمان السباخ المختلفة من برارات الحيوانات وبوضعه في المراحيض ومحال المياه الراكدة

سادسا — يلزم أن تكون المياه التي تستعمل للشرب والاستحمام مأخوذة من المياه الجارية المرشحة بالبرمنجات لأن المياه الراكدة كمياه البرك والمستنقعات تشتمل علي الجراثيم المضرة بالجسم مثل جراثيم المرض المسمي « بلهارسيا » أو

البول الدم والانكلستوم أوضعف الدم الخ لان سبل دخول هذه الجراثيم هي الجلد والجهاز الهضمي وليعلم الجمهور أن هذين المرضين كثيري الانتشار بالقطر المصري حتي أن البلهارسيا كانت نسبة الاصابة بها عند التلاميذ حينما كنا مديرين لادارتها الصحية أربعين المائة فلما اعتنى بنظافة وترشيح مياه الشرب نزلت الى عشرة في المائة وهو مايثبت أن الاصابة بها آتية من استعمال المياه غير المرشحة وخصوصاً مياه البرك شربا واستعمال غير المرشحة منها يسبب أيضا للجسم أمراضا أخري كالدودة الوحيدة والثعابين والدوسنطاريا والحمي التيفودية والكوليرا ونضيف الى ماذكرنا أن في زمن الاوبئة كوباء الكوليرا يلزم ليس فقط ترشيح مياه الشرب بل غليها وتركها تبرد قبل الاستعمال للشرب وننبه هنا أيضا بعدم الاستحمام في المغاطس والوضوء في الحيضان الا اذا كانت المياه فيها جارية ومتجددة أولا فأولا بحيث أن يستعمل منها الشخص مالم يستعمله شخص آخر اذا أريد تجنب العدوى بالامراض المعدية

وترتب علي ذلك استبدال الميضآت بالحنفيات في كثير من المساجد

(الذباب والاتربة وتأثيرها)

(على العين)

تأثير الذباب والاتربة على العين مضر جداً وقد عرضنا ذلك وحققناه في المؤتمرات العلمية من زمن طويل مبينين أنهما من الاسباب الرئيسية لانتشار الامراض المعدية الظاهرة بالقطر المصرى فان الاحصاءات التي قدمناها سنة ١٩٠٢ مثلا للمؤتمر الطبي المصرى الاول أظهرت أن نسبة الامراض العينية في البلاد المختلفة من مدينة المحروسة تكثر بكثرة الأتربة والذباب ولهذا وجدنا أن نعينها في الفيوم وبني سويف وجرجا وأسوان وأسيوط وقنا والمنيا ولهذا يجب الاعتناء بالرش والكنس ثم غسل الوجه والعين مراراً في كل يوم وأن تضع الام غشاء خفيفا يتخلله الهواء بسهولة علي وجه الطفل ليمنع ملامسة الذباب ووصول الاتربة اليه . وأن يغسل هذا الغشاء يوميا بالماء المغلى

سابعا — يجب على الابوين أن يقدموا أطفالهم في الشهر الاول من الحياة الي عملية التختين تجنبا من الاصابة

بالجدرى الذي قد يضر العينين

ثامنا - يجب اخبار الصحة عن جميع الامراض المعدية العمومية التي يمكن ظهورها في مساكنهم والتي سبق ذكرها كي تأخذ الاحتياطات الصحية اللازمة لها حتي تخف وطأتها ويمنع انتشارها محافظة على الصحة العمومية والعين مثلها

وهاهو بيان بعض الوسائط المضادة للعفونة الممكن استعمالها لما يلزم له التطهير

اولا — الاغلاء في الماء مدة نصف ساعة على الاقل

ثانيا - ماء الجير بنسبة عشرين منه الي مائة من الماء

ثالثا — محلول الكريزيل ٢ في المائة

رابعا - محلول كبريتات النحاس ٢ منه في مئة من الماء

خامسا — محلول كلورير الخارصين ٢ منه في مائة من الماء

سادسا غاز حمض الكبريتوز وكيفية استعماله هو أن يحرق الكبريت في محل مغلق من جميع الجهات غلقا جيداً بسد جميع منافذ الشبابيك والابواب التي يمكن خروج الغاز منها وذلك بواسطة أشرطة من الورق مع الرسراس ثم يوضع بعد ذلك في أرضية المحل اناء أو اناءان من الفخار عمقه أربعة سنتيمترات وعرضه نحو العشرين سنتيمتراً علي النار ويكون محتويا على مائتين وخمسين غراما من الكبريت المكسر وكية هذا الكبريت تكون من عشرين غراما الى ثلاثين لكل متر مكعب من فراغ المحل المراد تطهيره ويحرق الكبريت بواسطة ورق أو قطع من الخشب أو بالاسبرتو ثم يلزم الخروج حالا بعد ذلك من المحل حتي لايحصل استنشاق أبخرة حمض الكبريتوز الذي ينتج من حرق الكبريت لما فيها من الضرر بالصحة ثم لايفتح المحل الا بعد مضى ٣٦ ساعة ولا يدخل فيه الا بعد ساعة من فتحه وفتح منافذه وهذه الطريقة تصلح لتطهير جميع الاشياء الملوثة من ملابس وفروشات وغيرها . بشرط أن تكون مفصولة بعضها عن بعض

الدكتور محمد علوى

﴿ المِرْط ﴾ هو كساء من صوف أو غيره تلقيه المرأة على رأسها وتتلفع به جمعه مُرُوط

﴿ مرع ﴾ المكان يمرُع مَراعة

وأمرع أخصب. و(المريع) الخصيب جمعه أمْرُع

﴿ مرعش ﴾ قال ياقوت الحموي في معجم البلدان هي مدينة بين الشام والروم أحدثها الرشيد لها سوران وفي وسطها حصن يسمي المرواني كان بناه مروان الحمار لها ربض يعرف بالهارونية

وقال ابن حوقل الحدث ومرعش مدينتان صغيرتان افتتحها الروم من قبل يومنا هذا (بدأ سفره ابن حوقل سنة ٣٣١) فأعادهما سيف الدولة علي بن عبد الله وعاد الروم فانتزعوهما ثانية من المسلمين. وكان لهما زروع وأشجار كثيرة وفواكه وكانتا ثغرين يرابط فيهما المسلمون ويجاهدون فسدت النيات وافتتحت الاعمال وارتفعت البركات وفسدت المذاهب ولج الملوك في الظلم والاستئثار بالاموال والعامة في الاصرار علي المعاصي والطغيان فهلك العباد وتلاشت البلاد وانقطع الجهاد وبذلك نطق الكتاب العزيز حيث يقول سبحانه عز من قائل (واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا)

تقول مدينة مرعش لاتزال باقية علي بعد ١٤٠ كيلو متراً من الشمال الغربي من حلب وهي مركز متصرفية عثمانية ألحقتها تركيا بأملاكها سنة (٩٢١) هـ مدة حكم السلطان سليم

﴿ مرّغ ﴾ الدابة في التراب قلبها فيه. و(تمرّغت الدابة) تقلبت في التراب.

﴿ المرغاب ﴾ قال ياقوت الحموي هي من قرى هراة ثم من مالين والمرغاب نهر بمرو الشاهجان والمرغاب نهر بالبصرة

وقال ابن حوقل ولمرو نهر عظيم تتشعب عنه الانهار ومبدأه من وراء الباميان ويعرف بنهر مرغاب وتفسيره (مرآب) أي ماء مرو. ويجري هذا النهر علي مرو الروذ وعليه ضياعهم. وقد جعل لكل محلة وسكة من هذا النهر نهر صغير عليه ألواح خشب فيه ثقوب مقدرة لايقدر أحد يزيد فيها ولا ينقص ويأتي كل يوم من سريهم بمقدار انزاد التيار حلت عليهم الزيادة وان نقص نقصوا بأجمعهم لاايثاراً لقوم على قوم. ومتولى هذا الماء أمير مفرد وهو من أجل من والي المعونة بمرو. وبلغني انه يرتزق

على هذا الماء زيادة على عشرة آلاف رجل لكل واحد منهم على هذا الماء عمل

﴿ الرغيناني ﴾ هو أبو الحسن برهان الدين على الرغياني مؤلف كتاب الهداية في الفقه الحنفي توفي سنة (٥٩٣) ومرغينان مدينة فيما وراء النهر

﴿ مرَق ﴾ السهم من الرمية يمرُق مروقا خرج منها و (أمرق القدرَ) اكثر المرق فيها. و (المَرَق) الماء الذى يمرَق من اللحم ومثله المرَقة

﴿ المرقونية ﴾ هى طائفة من المجوس قد أتينا على مذهبهم في كلة (مجوس) و بينا وجه خلافهم مع غيرهم من سائر بني مذهبهم

﴿ مرماخور ﴾ المرماخور شجرة تنبت في حوض البحر المتوسط وهو الذى سماه ديسقوريدوس (مارون) وسماه جالينوس (أماراقوس) وقد يسمي حشيشة الهر لان هذا الحيوان يحب الرائحة التي تتصاعد منه ويضطرب منها اضطرابا غريبا كما يحصل منه ذلك فى حشيشة القط المسماة قطرية فلاجل حفظ ذلك النبات من القط حتي لايتسلط عليه باللعب يجب تغطيته بشبكة من حديد

أنواع الرماخور كثيرة يوجد منها الآن مايزيد عن ٨٠ بعضها خشبية جميلة وأغلبها يسكن بلاد البحر المتوسط ولا سيما اسبانيا وبلاد اليونان والمغرب. ومنها أنواع توجد بأمريكا واليابان. ونحن نخص بالذكر هنا المشهور في الطب وهو المسمي طقريون مارون

الطقريون مارون ساقه كساق شجيرة صغيرة فروعها قائمة تقرب من الاسطوانية وفي أصناف منه تكون مربعة وهي مغبرة مبيضة ، طولها قدم بل أكثر وهى دقيقة خيطية أوراقها متقابلة صغيرة بيضية كاملة خضر زاهية من الاعلى وبيض من الاسفل . وأزهارها حمراء أرجوانية ابطية وحيدة في الجزء العلوى من السوق وهى محمولة على حوامل قصيرة جداً . كأسها أنبوبي عريض قطني ذو خمسة أقسام تقرب للتساوى وتويجها أنبوبة قائمة وحافته ثنائية الشفة والشفة العليا يقل وضوحها وهي مشقوقة شقا عميقا

هذه الشجيرة تنبت في الجبال العميقة وقد جعلها أطباء العرب صنفا من المر وانما يتميز هذا النبت باسم خاص به وهو

المرماخور والمر الجبلي وهو أشرف أنواع المر وأنفعها وقالوا انه يرتفع عن الارض شبرا وزيادة وعروقه تطول بقدر طول الساق وورقه علي الساق بين التدوير والاستطالة بين الخضرة والغبرة وزهره يميل الى الغبرة والصفرة

هذا النبات له رائحة شديدة العطرية كافورية وطعمه مر حريف لذاع ناشيء من الدهن الطيار الكافوري الذى فيه كما في غيره من النباتات الشفوية وفيه سوي الدهن الطيار قاعدة خلاصية ومادة تنينية وحمض عفصي وزلال وفوسفات الكلس وجلوتين وغير ذلك

(خواصه الدوائية) هذا النبات منبه بشدة وقد اشتهر عند الاقدمين بخواصه المحللة والمفتحة للسدد ويعتبر المرماخور الآن بأنه من الادوية المحية المضادة للتشنج

ولاحتوائه على خاصة التنبيه استعمله الاطباء لتنبيه الاجهزة الآلية فوجدوه قوي الفعل يقوي حركات الحياة ووظائفها ويؤمل منه نفع اذا استعمل لاصلاح لين خفيف في الجوهر النخاعي للمخ أو النخاعي الشوكي أو لازالة احتقان دموي في المخ أو لتحريض امتصاص مصلى مرضي بقي فى الاغشية المخية أو الشوكية أو عمل تهيجي أو التهابي أو نحو ذلك . فالتنبه المتسبب عنه في الجهاز المخي الشوكي هو الذي أنتج منافعه في الآفات المخية والشوكية والضعف العضلي واهتزاز الاطراف والشلل ونحو ذلك . ولاحاجة للاطالة في سبب التعريق والادرار البولي والطمثي الحاصلة غالباً من هذا النبات اذ من الواضح أن خاصة التنبيه هي التي ينسب لها التأثير على الجلد أو الكليتين أو الرحم وقد عرف جيداً كيف تحصل تلك الاستفراغات ويتضح بتلك الخاصة نفعه في النزلة المزمنة والربو الرطب ونحو ذلك

وقد مدح كثير من الاطباء هذا النبات فى تقويته للقلب والمعدة وتعريقه ومضادته للتشنج وتقويته للهضم وتنبيهه لوظائف الحياة وهو يستعمل لتقوية المعدة وايقاظ الدورة ومنع العفونة ومضادة السكتة والشلل والآفات السباتية والهستريا والنزلة المزمنة والخفر واحتباس الطمث

ونسبوا في هذه الازمنة الاخيرة

خاصة غريبة وهي نفعه فى فقد الشم اذا استعمل على هيئة نشوق

وقد عزا اطباء العرب لهذا النبات منافع عديدة فقالوا انه ينفع فى الخفقان السوداوى ويفتح لسدد الرأس شما و نطولا بطبيخه ، ونافع ايضا من اوجاع الرحم واوجاع الحوامل الباطنة شربا منه او من طبيخه او جلوسا ، ويشرب بشراب اذا كانت العلة باردة وهو اجود شيء لاوجاع البواسير . وهو يقوى المعدة والاحشاء الضعيفة ويخفف رطوبة المعدة ويقوى الامعاء واذا افترش ورقه الغض في الحمام الحار ورقد عليه اصحاب الاوجاع والرياح الجائلة في البدن او في الاعضاء الظاهرة او الباطنة نفع نفعا بينا لا يعدله غيره . وبالجملة جميع اصناف المرماخور تنضج الاورام الصلبة والدماميل والجراحات وتصلح المعدة الضعيفة والكبد وتزيل الضعف العارض من سوء المزاج الناتج من كثرة الاكل وتذهب الرياح وكثرة شرب الماء البارد ، وتزيل الرطوبات والرياح وفساد المزاج

وذكر ابن البيطار ان بزره اشد انضاجا للجراحات من بزر الكتان

(مقدار الاستعمال) ذكر اطباء العرب ان الشربة من عصيره اوقية ومن بزره مثقالان . ولكن قال صاحب كتاب (مالا يسع) مقدار مايؤخذ منه الى درهمين من ورقه او بزره او زهره

وقال المتأخرون يؤخذ من مسحوقه من غرامين الى ثمانية غرامات تصنع حبوبا او بلوعا . ويؤخذ من منقوعه من ١٥ غراما الى ٦٠ لاجل كيلو غرام من الماء . ومن مائه المقطر من ٥٠ الى ١٠٠ ويؤخذ من صبغته الاثيرية من ٢٠ الي ٣٠ سنتيغرام في جرعة (انظر المادة الطبية)

﴿مرَن﴾ الشيء يمرُن مُرونة لان فى صلابة و (مرَنت يده علي العمل) صلبت . و (مرُن علي الشيْ) اعتاده و (مرَن الجلدَ ومرّنه) لينه . و (مرّن فلانا) عوده و (تمرّن على الشيء) تدرب عليه . و (المارن) طرف الانف و (المرّان) شجر الرماح . و (المرِن) ذو المرونة

﴿مرهم﴾ الجرحَ وضع عليه المرهم

﴿المراهم﴾ هى مواد شحمية او زيتية او فازلين تمد على الجسم المريض

او تستعمل دهنا ودلكا

(تحضير المراهم) قد أهملوا في هذه الأيام استعمال المرهم البسيط وشحم الخنزير واستعاضوهما بالفازلين واللانولين

تحضير المراهم يقوم بمزج الفازلين بالمادة الدوائية المسحوقة سحقا تاما او المذوبة في مادة سائلة موافقة . فيبدأ بالعمل بأن توضع المادة الدوائية المحضرة علي نسق موافق في هاون صيني ويضاف اليها الفازلين تدريجا ويعركان معا عركا جيدا. اما اذا اذيبت المادة الدوائية فقد لا تمزج بالمرهم مزجا جيداً فتصلح باضافة نقط من الزيت الجيد او من زيت اللوز الحلو

يجب ان تحفظ المراهم في أمكنة باردة وتغطي أوعيتها بقطعة من الورق المقوى أو ورق القصدير

(المرهم البسيط) يحضر من الشمع والزيت كما يأتي :

شمع ابيض	٢ جزآن
زيت اللوز (او سيرج)	٢ جزآن

تذاب هذه الاجزاء على حرارة خفيفة او على حمام مائي وقد يركب المرهم البسيط كما يأتي :

شمع اصفر	٢ جزآن
زيت الزيتون	٥ أجزاء

تذاب كما تقدم

(المراهم الدوائية) هي كثيرة العدد وتتوقف خواصها على الدواء الداخل في تركيبها فتكون محللة وقابضة ومسكنة ومضادة للفساد

﴿ المروخات ﴾ هى سوائل مركبة من ماء او خمر اوزيت او كحول الخ مضافا اليها مادة دوائية تستعمل كالمراهم لدهن الجلد ودلكه لمقاصد مختلفة ، وخواصها تتوقف علي خواص الادوية الداخلة في تركيبها ومن أمثلتها :

المروخ النشادرى

زيت الزيتون	٦٠ غراما
روح النوشادر	٨ غرامات

يمزجان بالتحريك وهذا المروخ يستعمل منبها لاعادة الحرارة المفقودة أو لاسترجاع قوة الاعضاء المشلولة او محمرا او منفطا

المروخ النشادرى المكوفر

زيت الزيتون	٦٠ غراما
كافور	٨ غرامات
روح النوشادر	٨ غرامات

وهو كثير الاستعمال يفيد مسكنا

ومنبهاً ومضاداً للتشنج

مروخ النشادر التربنتيني

مروخ النشادر	٩٠ غراما
زيت التربنتينا	١٥ غراما

يستعمل ضد الروماتيزم المزمن وألم عرق النسا

مروخ الصابون مع الكحول

صابون ابيض يقطع صفائح	٣٠ غراما
كافور	١٠ غرامات
كحول	١٠٠ غرام

يستعمل هذا المروخ محللا بعد الرض وكثيراً مايضاف الى المكدات

مروخ زيتي كلسي

زيت اللوز الحلو	١٠ غرامات
ماء الكلس	٩٠ غراما

تبل فيه قطعة قطن محضر وتترك في محلها حتي يشفي العضو المصاب وهو نافع كثيراً في معالجة الحروق

مَرْو بلدة بخراسان النسبة اليها مروزي

مروان بن الحكم هو الخليفة الرابع من خلفاء بني أمية انتخبه بنو أمية بعد اعتزال معاوية بن يزيد وكان من أعلم الناس بسياسة الممالك

قاتل شيعة عبد الله بن الزبير الذي كان قائما بالخلافة بمكة ضد بنى أمية فهزمهم في الشام وفى مصر سنة (٦٤) فصار مروان خليفة بالشام ومصر وعبدالله ابن الزبير خليفة بالحجاز والعراق واليمن

كان مروان من أدهى الناس وأشدهم طلباً للرئاسة اتخذه عثمان بن عفان كاتباً له وأميناً لاسراره فأسخط عليه الناس وذهب في التلاعب بأمور الخلافة كل مذهب وحمل عثمان على مشايعته حتى نقم عليها المسلمون فتألبوا على الخليفة الثالث وكان من أمره ماكان مما هو مذكور في ترجمته

فلما آلت الدولة لعلى انضم مروان الى معاوية بن أبي سفيان بن حرب وكان من أقوي أنصاره فولاه على المدينة. ثم لما دالت الدولة بالحجاز لعبد الله بن الزبير رجع الي الشام ومكث بها حتي مات معاوية وتولى يزيد وخلفه معاوية بن يزيد فلما اعتزل الخلافة لم يجد بنو أمية أدهى ولا أكفأ لولاية الامر من مروان بن الحكم فولوه الخلافة فسار فيها على مذهب الامويين من الحقد علي شيعة علي وخضد شوكتهم وكان شيخا قد أسن ثم مات

مخنوقا.والسبب في خنقه انه كان له زوجة ولها ولد يدعي خالداً من غيره فشتمه مروان وحط من قدره أمام الناس لامر حصل بينهما فشكا خالد لامه فقالت أنا أكفيكه فلما رقد عندها أمرت جواريها بالقاء المخاد على فمه ثم غطته حتى مات وكان ذلك سنة (٦٦) (أنظر أمية)

﴿ مروان بن أبي حفصة ﴾ هو أبو السمط وقيل ابو الهندام مروان بن أبي حفصة سليمان بن يحيي بن ابى حفصة يزيد الشاعر المشهور

كان جده أبو حفصة مولي مروان ابن الحكم بن أبي العاص المتقدم فأعتقه يوم الدار لانه أبلي في الدفاع عنه يومئذ فجعل عتقه جزاءه

وقيل ان ابا حفصة كان يهوديا طبيبًا فأسلم على يد عثمان بن عفان وقيل على يد مروان بن الحكم . ويزعم اهل المدينة انه من موالي السموءل بن عاديا الشاعر اليهودى المشهور بالوفاء وان ابا حفصة سبي من اصطخر وهو غلام فاشتراه عثمان ووهبه مروان بن الحكم

اما ابنه مروان بن ابي حفصة فكان باليمامة ثم قدم بغداد ومدح المهدى وهرون الرشيد وكان يتقرب الى الرشيد بهجاء العلويين.وهو من الشعراء المجيدين والفحول المتقدمين ذكره أبو العباس عبدالله بن المعتز في كتاب طبقات الشعراء فقال فى حقه:وأجود ماقاله مروان قصيدته الغراء اللامية وهي التي فضل بها على شعراء زمانه يمدح فيها معن بن زائدة الشيبانى ويقال انه أخذ منه عليها مالا كثيراً لا يقدر قدره ولم ينل أحد من الشعراء الماضين مانال مروان بشعره . فما ناله فى دفعة واحدة ثلاث مئة الف درهم من بعض الخلفاء بسبب بيت واحد. انتهي كلام ابن المعتز

والقصيدة اللامية طويلة تناهز الستين بيتا نذكر أبياتًا منها في المديح وهي :

بنومطر يوم اللقاء كأنهم
أسود لهم في بطن خفان أشبل

تجنب (لا) في القول حتي كأنه
حرام عليه قول (لا) حين يسأل

تشابه يوماه علينا فاشكلا
فلا نحن ندرى أى يوميه أفضل

أيوم نداه الغمر أم يوم بأسه
وما منهما الا أغر محجل

بهاليل في الاسلام سادوا ولم يكن
كأولهم في الجاهلية أول
هم القوم ان قالوا أصابوا وان دعوا
اجابوا وان اعطوا اطالوا وأجزلوا
وما يستطيع الفاعلون فعالهم
وان أحسنوا في النائبات وأجملوا
ثلاث بأمثال الجبال حباهم
واحلامهم منها لدى الوزن اثقل

لما قدم معن بن زائدة على المنصور من اليمن وكان واليا عليها قال له بعد كلام طويل: قد بلغ امير المؤمنين عنك شيء لولا مكانك عنده ورأيه فيك لغضب عليك. قال وما ذاك يا امير المؤمنين فوالله ماتعرضت لك منك

قال المنصور: اعطاؤك مروان بن ابي حفصة الف دينار لقوله فيك:
معن بن زائدة الذى زيدت به
شرفا الى شرف بنو شيبان
ان عد ايام الفعال فأنما
يوماه يوم ندى ويوم طعان

فقال والله يا امير المؤمنين ما اعطيته ما بلغك لهذا الشعر وانما اعطيته لقوله:
مازلت يوم الهاشمية معلنا
بالسيف دون خليفة الرحمن
فمنعت حوزته وكنت وقاءه
من وقع كل مهند وسنان

فاستحيا المنصور وقال: انما أعطيته ما أعطيته لهذا القول؟ قال نعم يا أمير المؤمنين والله لولا مخافة الشنعة عندك لأمكنته من مفاتيح بيوت الاموال وأبحته اياها

فقال له المنصور لله درك من اعرابي ما أهون عليك ما يعز على الرجال وأهل الحرم

روى الفضل بن الربيع قال رأيت مروان بن أبي حفصة وقد دخل على المهدى بعد وفاة معن بن زائدة في جماعة من الشعراء فيهم سلم الخاسر وغيره فأنشده مديحا فيه. فقال له ومن أنت؟

قال شاعرك يا أمير المؤمنين وعبدك مروان بن ابي حفصة

فقال له المهدى ألست القائل:
أقمنا باليمامة بعد معن
مقاما لانريد به زوالا
وقلنا أين نرحل بعد معن
وقد ذهب النوال فلا نوالا
قد ذهب النوال فيما زعمت ف

جئت تطلب نوالنـا ؟ لاشيء لك عندنا جروا برجله . فجروا برجله حتي اخرج

قال فلما كان من العام المقبل تلطف حتي دخل مع الشعراء ، وانما الشعراء يدخلون على الخلفاء في كل عام مرة ، فمثل بين يديه وانشده بعد رابع او بعد خامس من الشعراء :

طرقتك زائرة فحي خيالهـا
بيضاء تخلط بالجمال دلالهـا

قادت فؤادك فاستقاد ومثلها
قاد القلوب الى الصبا فأمالها

قال فأنصت الناس لها حتي بلغ الى قوله :

هل تطمسون من السماء نجومها
بأكفكم او تسترون هلالها

أو تجحدون مقالة عن ربـكم
جبريل بلغها النبي فقالها

شهدت من الانفال آخر آية
بتراثهم فأردتم ابطالهـا

قال رأيت المهـدي قد زحف من صدر مصلاه حتي صار على البساط اعجابا بما سمع ثم قال كم هي :

قال مئة بيت فأمر له بمئة الف درهم . فكانت اول مئة الف درهم اعطيها شاعر في ايام بني العباس

قال ومضت الايام وولي هرون الرشيد الخلافة فدخل عليه مروان فرأيته واقفا مع الشعراء ثم أنشده قصيدة امتدحه بها . فقال له من انت ؟

قال شاعرك وعبدك يا أمير المؤمنين مروان بن ابي حفصة

قال له ألست القـائل في معن بن زائدة وانشده البيتين اللذين انشدهما اياه المهدى . ثم قال خذوا بيـده فأخرجوه لاشيء لك عندنا . فأخرج. فلما كان بعد ذلك بأيام تلطف حتي دخل فأنشده قصيدته التى يقول فيها :

لعمرك ماأنسى غداة المحصب
اشارة سلمي بالبنان المخضب

وقد صرح الحجاج الا أقلهم
مصادر شتي موكبا بعد موكب

قال فأعجبته فقال له كم قصيدتك من بيت ؟

فقال ستون او سبعون فأمر له بعدد أبياتها الوفا . فـكان ذلك حال مروان عندهم حتي مات . أى كانوا يعطونه عن كل بيت الف درهم

روى محمد اليزيدى عن اسحق

قال دخل مروان بن ابي حفصة علي المهدي في اول سنة قدم عليه . قال دخلت عليه في قصره بالرصافة فأنشدته قولي فيه :

أمر وأحلا ما بلا الناس طعمه
عذاب أمير المؤمنين ونائله
فان طليق الله ما أنت مطاق
وان قتيل الله من أنت قاتله
كأن امير المؤمنين محمداً
ابو جعفر في كل امر يحاوله

قال فأعجب بها وأمر لى بمال عظيم فكانت تلك الصلة اول صلة سنية وصلت الي في ايام بني هاشم .

نقول هذه الرواية تناقض رواية الفضل بن الربيع المتقدمة ولا ندري اى الروايتين اصح . وهذه احدي نقائص علم الادب عند نافان رواياته متناقضة وأكثرها منها موضوع

قال حسين بن الضحاك حدثني مروان بن ابي حفصة قال : دخلت على المهدى فى قصر السلام فلما سلمت عليه وذلك بعقب سخطه على يعقوب بن داود (وزيره) فقلت يا امير المؤمنين ان يعقوب رجل رافضي وانه سمعني اقول في الوراثة :

انى يكون وليس ذاك بكائن
لبنى البنات وراثة الاعمام

فذلك الذى حمله علي عداوتى يريد ببنى البنات اولاد فاطمة الزهراء . اي انه لا حق لهم فى الخلافة بل الحق لبني الاعمام وهم بنو العباس

قال مروان بن ابي حفصة ثم أنشدته :

كأن أمير المؤمنين محمداً
لرأفته بالناس للناس والد
على انه من خالف الحق منهم
سقته يد الموت الحتوف الرواصد

ثم أنشدته :

أحيا أمير المؤمنين محمد
سنن النبي حرامها وحلالها

قال فقال المهدي والله ما أعطيه الا من صلب مالى فاعذرني وأمر لى بثلاثين الف درهم وكساني جبة ومطرفا وفرض لي علي اهل بيته ومواليه ثلاثين الفا اخري

كان ابن الاعرابي اللغوى المشهور يختم به الشعراء . وما دون لاحد بعده شعرا

حدث احمد بن موسى بن حمزة قال رأيت مروان بن ابي حفصة فى ايام محمد بن

زبيدة في دار الخلافة وهو شيخ كبير فسألته عن جرير والفرزدق ايهما اشعر . فقال لي قد سئلت عنهما في ايام المهدي وعن الاخطل قبل ذلك فقلت فيهم قولا عقدته في شعر ليثبت . فسألته عنه فأنشدني :

ذهب الفرزدق بالهجاء وانما
حلو القريض ومره لجرير
ولقد هجا فأمض أخطل تغلب
وحوى النهي ببيانه المشهور
كل الثلاثة قد اجاد فمدحه
وهجاؤه قد سار كل مسير
ولقد جريت ففت غير مهلل
بجراء لاقرف ولا مبهور
اني لآنف ان احبر مدحة
ابدا لغير خليفة ووزير
ماضرني حسد اللئام ولم يزل
ذو الفضل يحسده ذوو التقصير

قال فلم يرد ان يقدم على نفسه غيره وكتبت الابيات عن فيه

حدث العنسي قال لما قدم معن بن زائدة من اليمن دخل عليه مروان بن ابي حفصة والمجس غاص بأهله فأخذ بعضادتي الباب وانشأ يقول :

وما احجم الأعداء عنك تقية
عليك ولكن لم يروا فيك مطمعا
له راحتان الجود والحتف فيهما
ابى الله الا ان تضر وتنفعا

قال فقال له معن احتكم . قال عشرة آلاف درهم . فقال معن ربحنا عليك تسعين الفا . قال مروان أقلني . قال معن لا أقال الله من يقيلك

قوله ربحنا عليك تسعين الف درهم يشير الى انه كان يرى ان يعطيه مئة الف درهم فلما حكم لنفسه بعشرة آلاف فقط كان معن كأنه ربح تسعين الفا

حدث ابو العباس العدوي قال لما ولي معن بن زائدة اليمن كان يحيي بن منصور الذهلي قد تنسك وترك الشعر . فلما بلغته افعال معن وفد اليه ومدحه فقال مروان ابن ابي حفصة :

لا تعدموا راحتي معن فانهما
بالجود أفتنتا يحيي بن منصور
لما رأى راحتي معن ترفعنا
بنائل من عطاء غير منزور
القى المسوح التي قد كان يلبسها
وظل للشعر ذا رصف وتحبير

روى ابن الأيهم الحنفي قال مر

مروان بن أبي حفصة رجل من تيم اللات ابن ثعلبة يعرف بالجني فقال له مروان زعموا انك تقول الشعر . فقال له الجني ان شئت عرفتك ذلك، فقال له مروان ما أنت والشعر ما أرى ذلك من طريقتك ولا مذهبك ولا تقوله

فقال الجني اجلس واسمع . فجلس . فقال الجني يهجوه :

ثوى اللؤم في العجلان يوما وليلة
وفي دار مروان ثوى آخر الدهر
عدا اللؤم يبغي مطرحا لرحاله
فنقب في بر البلاد وفي البحر
فلما أتي مروان خيم عنده
وقال رضينا بالمقام الي الحشر
وليست لمروان علي العرس غيرة
ولكن مروانا يغار على القدر

فقال مروان ناشدتك الله الا كففت فأنت أشعر الناس . فحلف الجني بالطلاق ثلاثا انه لا يكف حتي يصير اليه بنفر من رؤساء أهل اليمامة ثم يقول بحضرتهم (قاق فيَّ بيضة) فجلبهم اليه مروان وفعل ذلك بحضرتهم ، وكان فيهم جدى يحيي ابن الابهم فانصرفوا وهم يضحكون من فعله

قيل لما مات المهدى وفدت العرب على موسى ابنه يهنئونه بالخلافة ويعزونه على المهدى فدخل مروان بن أبي حفصة فأخذ بعضادتي الباب ثم قال :

لقد أصبحت تختال في كل بلدة
بقبر أمير المؤمنين المقابر
ولو لم تسكن بابنه في مكانه
لما برحت تبكي عليه المنابر

قال فخرج الناس بالبيتين

وقيل مرض عمرو بن مسعدة أحد القادة في الدولة العباسية فدخل عليه مروان ابن أبي حفصة وقد أبل من مرضه فأنشأ يقول :

صح الجسم ياعمرو
لك التمحيص والاجر
ولله علينا الحمـ
ـد والمنة والشكر
فقد كان شكا شوقا
اليك النهي والامر

قال فنحا نحوه مسلم بن الوليد الشاعر فقال :

قالوا أبو الفضل محموم فقلت لهم
نفسي الفداء له من كل محذور

ياليت علته بي غير ان له

أجر العليل واني غير مأجور

روي أبو مرة التغلبي قال مررت بجعفر بن عفان الطائي يوماً وهو على باب منزله فسلمت عليه فقال لى مرحباً يا أخا تغلب أجلس فجلست، فقال لى أما تعجب من ابن أبى حفصة لعنه الله حيث يقول :

أنى يكون وليس ذاك بكائن

لبني البنات وراثة الاعمام

فقلت بلى والله اني لأتعجب منه وأكثر اللعن له فهل قلت في ذلك شيئا ؟ قال نعم قلت :

لم لا يكون وان ذاك لكائن

لبنى البنات وراثة الاعمام

للبنت نصف كامل من ماله

والعم متروك بغير سهام

ما للطليق وللتراث وانما

على الطليق مخافة الصمصام

حدث صالح بن عطية الاضجم قال لما قال مروان :

أني يكون وليس ذاك بكائن

لبني البنات وراثة الاعمام

لزمته وعاهدت الله أن أغتاله فأقتله أي وقت أمكنني ذلك وما زلت ألاطفه وابره وأكتب أشعاره حتي خصصت به فأنس بي جداً وعرفت ذلك بنو حفصة جميعاً فأنسوا بي ولم أزل أطلب له غرة حتى مرض في حمي أصابته فلم أزل أظهر له الجزع عليه وألازمه وألاطفه حتي خلا لي البيت يوماً فوثبت عليه فأخذته بحلقه فما فارقه حتى مات فخرجت وتركته فخرج اليه أهله بعد ساعة فوجدوه ميتاً وارتفعت الضجة فحضرت وتباكيت وأظهرت الجزع عليه حتي دفن وما فطن بما فعلت أحد ولا اتهمني به

ولد مروان بن أبي حفصة سنة (١٠٥) وتوفى سنة (١٨١) وقيل سنة (١٨٢)

﴿مروان الاصغر﴾ هو حفيد المتقدم وكان من فحول الشعراء

روى احمد بن سليمان الكلبي قال حدثني أبو السمط مروان الاصغر قال دخلت على المتوكل فمدحته ومدحت ولاة العهود الثلاثة وأنشدته هذا :

سقى الله نجداً والسلام على نجد

ويا حبذا نجداً على النأى والبعد

نظرت الى نجد و بغداد دونها

لعلي أرى نجداً وهيهات من نجد

ونجد بها قوم هواهم زيارتي
ولاشيء أحلى من زيارتهم عندى
قال فلما فرغت منها أمر لي بعشة وعشرين الف درهم وخمسين ثوبا وثلاثة من الظهر فرس وبغلة وحمار ولم أبرح حتي قلت قصيدتي التي أشكره فيها وأقول :
تخير رب الناس للناس جعفرا
وملكه امر العباد تخيرا
فلما صرت الى هذا البيت :
وأمسك ندى كفيك عني ولا تزد
فقد كدت ان أطغى وأن أتجبرا
قال لى والله لاأمسك حتي أغرقك بجردى . توفى سنة (١٨١)

﴿ المروزي ﴾ هو أبو اسحق ابراهيم ابن احمد بن اسحق المروزى الفقيه الشافعى امام عصره في الفتوي والتدريس اخذ الفقه عن ابي العباس بن سريج وبرع فيه وانتهت اليه الرياسة بالعراق بعد ابن سريج

صنف كتباً كثيرة وشرح مختصر المزني وأقام ببغداد دهراً طويلا يدرس ويفتي . وأنجب من أصحابه خلق كثير واليه ينسب درب المروزي ببغداد الذي في قطيعة الربيع ثم ارتحل الى مصر في أواخر عمره فأدركه أجله بها فتوفي سنة (٣٤٠) ودفن بالقرب من قبر الامام الشافعى

﴿ المروزي ﴾ هو أبو بكر عبد الله ابن احمد كان وحيد زمانه في الفقه والحفظ والزهد وله من الآثار في مذهب الشافعي ماليس لغيره من أبناء عصره واشتغل عليه أئمة كثيرون . وكان شغله بالعلم وهو كبير السن بعد ماأفني شبيبته في صنع الاقفال ولذلك قيل له القفال . ولما شرع فى الفقه كان عمره ثلاثين سنة

توفي سنة (٤١٧) ه

﴿ المروزي ﴾ هو أبو زيد محمد بن احمد بن عبد الله بن محمد المروزى القاشاني الفقيه الشافعي

كان من الائمة الاجلاء حسن المنظر مشهوراً بالزهد وحافظا للمذهب وله فيه وجوه غريبة أخذ الفقه عن اسحق المروزي وأخذ عنه أبو بكر القفال المروزى ودخل بغداد وحدث بها وسمع منه الحافظ أبو الحسن الدارقطني ومحمد بن احمد بن القاسم المحاملى. ثم خرج الى مكة فجاور فيها سبع سنين وحدث هناك بصحيح البخارى عن محمد بن يوسف الفربري

قال الخطيب : وأبو زيد المروزي أجل من يروى هذا الكتاب

وقال أبو بكر البزار عادلت الفقيه أبا زيد من نيسابور الى مكة فما أعلم ان الملائكة كتبت عليه . يعنى (خطيئة)

وقال احمد بن محمد الحاتمى الفقيه سمعت أبازيد المروزى يقول رأيت رسول الله صلي الله عليه وسلم في المنام وأنا بمكة وكأنه يقول لجبريل عليه السلام ياروح الله أصحبه الى وطنه

كان المروزي في أول أمره فقيراً لايقدر على شيء فكان يعبر الشتاء بلا جبة مع شدة البرد في تلك البلاد فاذاقيل له في ذلك يقول بي علة تمنعني من لبس المحشو (يعنى بها الفقر)

وكان لايشتهي ان يطلع أحداً على باطن حاله ثم أقبلت عليه الدنيا في آخر عمره وقد أسن وتساقطت أسنانه فكان لايتمكن من المضغ فكان يقول مخاطبا للنعمة لابارك الله فيك أقبلت حين لاناب ولا نشاب

توفى المروزى سنة (٣٧١)

مرى ماراه ممـاراة جادله و (تمارى) شك

المريسية هم من الفرق الاسلامية من مرجئة بغداد أتباع بشر المريسي وكان فى الفقه علي رأى أبي يوسف القاضى غير انه لما أظهر قوله بخلق القرآن هجره أبو يوسف وضلله الصفاتية في ذلك

ولما وافقوا الصفاتية فى القول بأن الله تعالى خلق أكساب العباد وفي ان الاستطاعة مع الفعل ، أكفرته المعتزلة فى ذلك ، فصار مهجور الصفاتية والمعتزلة معاً

وكان يقول في الايمان انه هو التصديق فى القلب واللسان جميعاً كما قال ابن الراوندي فى ان الكفر هو الجحد والانكار

وزعموا ان السجود للصنم ليس بكفر ولكنه دلالة على الكفر

فهؤلاء الفرق الخمس هم المرجئة الخارجة عن الجبر والقدر

وأما المرجئة القدرية كأبي شمر وابن شبيب وغيلان وصالح قبة فقد اختلفوا في الايمان فقال ابن مبشر الايمان هو المعرفة والاقرار بالله تعالي

وتحريم الميتة والدم ولحم الخنزير ووطء المحارم ونحو ذلك وما عرف بالعقل من عدل الايمان وتوحيده ونفي التشبيه عنه وأراد بالعقل قوله بالقدر وأراد بالتوحيد نفيه عن الله تعالى صفاته الاولية . قال كل ذلك ايمان والشاك فيه كافر والشاك في الشاك أيضاً كافر ثم كذلك ابداً وزعم أن هذه المعرفة لا تكون ايماناً الا مع الاقرار

وكان ابو شمر من بدعته هذه لا يقول لمن فسق من موافقيه في القدر أنه فاسق مطلقاً . ولكنه كان يقول انه فاسق في كذا

وهذه الفرقة عند اهل السنة والجماعة اكفر اصناف المرجئة لانها جمعت بين ضلالتي القدر والارجاء . والعدل الذى اشار اليه ابو شمر شرك على الحقيقة لانه اراد به اثبات خالقين كثيرين غير الله تعالى

وتوحيده الذى اشار اليه تعطيل لانه اراد نفي علم الله تعالي وقدرته ورؤيته وسائر صفاته الازلية . وقوله في مخالفيه انهم كفرة وان الشاك فى كفرهم كافر مقابل بقول اهل السنة فيه انه كافر وان الشاك فى كفره كافر

***

وكان غيلان القدري يجمع بين القَدَر والارجاء ويزعم ان الايمان هو المعرفة الثانية بالله تعالى والمحبة والخضوع والاقرار بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم بما جاء من الله تعالى

وزعم أن المعرفة الاولى اضطرار وليس بايمان

وحكي زرقان فى مقالاته عن غيلان أن الايمان هو الاقرار باللسان وان المعرفة بالله تعالى ضرورية فعل الله تعالى وليست من الايمان

وزعم غيلان أن الايمان لا يزيد ولا ينقص ولا يتفاضل الناس فيه

وزعم محمد بن شبيب ان الايمان هو الاقرار بالله والمعرفة برسله وبجميع ما جاء من عند الله تعالي مما نص عليه المسلمون من الصلاة والزكاة والصيام والحج وكل مالم يختلفوا فيه

وقال ان الايمان يتبعض ويتفاضل الناس فيه والخصلة الواحدة من الايمان قد تكون بعض الايمان وتاركها يكفر بترك

بعض الايمان ولا يكون مؤمنا باصابة كله

وزعم الصالحي ان الايمان هو المعرفة بالله تعالى فقط والكفر هو الجهل به فقط

ومن جحد الرسل لا يكون مؤمنا لامن اجل ان ذلك محال لكن لان الرسول قال « من لا يؤمن بي فليس مؤمنا بالله تعالى » وزعم ان الصلاة والزكاة والصيام والحج طاعات وليست بعبادة لله تعالى وان لاعبادة له الا الايمان به وهو معرفته

والايمان عنده خصلة واحدة لاتزيد ولا تنقص . وكذلك الكفر خصلة واحدة . فهذه أقوال المرجئة في الايمان الذى لاجل تأخيره الاعمال عن الايمان سموا مرجئة (انظر كتاب الفرق بين الفرق)

﴿ مريم ﴾ هي أم عيسى عليه السلام اسم أمها حنة زوج عمران وكانت حنة لاتلد واشتهت الولد فدعت الله أن يهبها ذرية ونذرت ان رزقها الله ولداً جعلته من سدنة بيت المقدس ، فحملت حنة ومات زوجها عمران وهي حامل فولدت بنتاً وسمتها مريم ومعناها العابدة ثم حملتها وأتت بها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار وقالت دونكم هذه المنذورة فتنافسوا فيها لأنها بنت عمران وكان من أئمتهم . فقال زكريا أنا أحق بها لأن خالتها زوجتي فأخذها زكريا وضمها الي ايساع خالتها فلما كبرت مريم أفرد لها زكريا غرفة وأرسل الله الملك جبريل فنفخ في مريم فحبلت بعيسي وولدته في بيت لحم وهي قرية قريبة من القدس سنة (٣٠٤) لغلبة الاسكندر ولما جاءت مريم بعيسى تحمله قال لها قومها لقد جئت شيئاً فريا . وتناولوا الحجارة ليرجموها كما كانوا يرجمون الزناة فتكلم عيسى وهو فى المهد معلقا في منكبها فقال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا أينما كنت

فلما سمعوا كلام ابنها تركوها . ثم أن مريم أخذت عيسي وسارت به الى مصر وسار بها ابن عمها يوسف بن يعقوب ابن ماتان النجار وكان يوسف المذكور نجاراً حكيما . وزعم بعضهم ان يوسف المذكور كان قد تزوج بمريم ولكنه لم يقربها وهو أول من أنكر حملها ثم علم وتحقق

براءتها وسار معها الى مصر واقاما هناك اثنتي عشرة سنة ثم عاد الي الشام ونزلا الناصرة وبهـا سميت النصارى فلما بلغ عيسي الثلاثين من عمره اوحى الله اليـه وارسله الي بنى اسرائيل

هذا ماورد فى كتبنا . وما وردعنها في كتب النصرانية اكبر فمريم تعتبر هنالك ام الله ويعبرون عنها بالعذراء ويخصونها بعبادة

العلم ازاء هذه الروايات لايستطيع ان يقول شيئـا فهو لا يستطيع ان يفهم حدوث حمل بغير تلقيح ولا يمكنـه ان يدرك مسألة نفخ الملك وانضاء ذلك الي تكون جنين بشرى في الرحم . وتاريخ النوع الانساني كله لم يدون حالة حدث فيها حمـل علي هذه الصورة الا ما روي عن اديان كثيرة بالهند وفارس وغيرهما من حدوث حمل لبعض العذارى على هذا النحو الخارق للعادة ووجود رجال من هذا الحمل عدوا آلهة او ابناء لله

فالهنود يقولون ان الاله كرشنه احد الاقانيم في الثالوث الهندى ولد من العذراء النقية الطاهرة (ديفاكي) بدون ان يمسها بشر ويدعونها بوالدة الاله

وقد جاء فى الكتاب الهندى المدعو (بهـا كافات بورون) ان الاله كرشنه قال :

« سأتجسد في متو بيت يادو وأخرج من رحم (ديفاكي) أولد وأموت وقد حان الوقت لاظهار قوتي وتخليص الارض من حملها »

ويقول البوذيون ان الاله بوذا ولد من العذراء (بهامايا) فنزل الى الارض من العلاء وتجسد في رحمها وظهر للناس بشراً لكي ينقذ الناس من الهلاك

ويعتقد أهل سيام بانه ولد من عذراء يدعونه الاله الخاص واسمه بلغتهم (كودم) أمه فتاة عذراء جميلة اتاها وحي من الله فهجرت الناس وذهبت الى الغابات وانتظرت هنالك الحمل بالله على ما أشار به عليهـا الوحى فبينما كانت تصلي ذات يوم حملت من أشعة الشمس التى وقعت عليها . وعند ماأحست بالحمل ذهبت الى شاطيء بحيرة وهنالك وضعت غلاماً سماويا ولما شب صار منبع الحكمة والخوارق

وكان المصريون القدماء يقولون قبل نحو خمسة آلاف سنة ان (هورس) الاله المخلص ولد من العذراء (ايزيس)

ويدعونه الابن ويصورونه اما على يدى امه او فى حضنها . وقد ترجم العلامة شمبوليون عن اللغة المصرية القديمة المنحوتة على الاحجار قولهم :

« انت الاله المنتقم وابن الاله انت الذي اعلن عنك اوزيريس انك المولود من الاله (ايزيس) »

ويوجد على جدار هيكل فى تيبان صورة تمثل الاله (توت) ومكتوب بجانب العذراء الملكة (موتيس) ستلد ابنا إلهيا يكون هو الملك (امونوتوف)

ويقول الفرس ان (زورو واستر) صاحب شريعتهم حملت به امه بدون ان يمسها بشر ويدعون انه ابن الله

وكان يزعم اليونانيون ان الاله (بلاتو) ابن الله ولد فى اثينا سنة (٤٢٩) قبل المسيح من عذراء طاهرة نقية لم يمسها انسان

ويزعمون ان فيثاغورس حملت به امه وهي عذراء من طيف ظهر لها وهذا الطيف هو روح القدس

ويقولون ان الاله اسكولاب ولد من ام بشرية عذراء

وكان اهل المكسيك يعبدون إلها ولد من عذراء طاهرة لم يطمثها احد

هذا بعض ماورد عن تاريخ الاديان

وقد وردت فى القرآن الكريم نصوص يعطي ظاهرها ان عيسى ولد من ام عذراء لم يمسسها بشر قال تعالى :

« واذكر في الكتاب مريم اذا انتبذت من اهلها مكانا شرقيا . فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشراً سويا . قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا . قال انما انا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكيا . قالت اني يكون لى غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا . قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان امراً مقضيا . فحملته فانتبذت به مكانا قصيا . فأجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت ياليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا فناداها من تحتها ألا تخافى ولا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا . وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا . فكلي واشربي وقرى عينا فأما ترين من البشر احداً فقولى انى نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا . فأتت به قومهـا تحمله قالوا يامريم لقـد

جئت شيئا فريا . ياأخت هرون ماكان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا . فأشارت اليه ، قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا . قال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا . وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا . وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا . والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا . ذلك عيسي بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون . ماكان لله أن يتخذ من ولد سبحانه اذا قضي أمرا فانما يقول له كن فيكون »

هذه هي الآيات التي وردت بأن عيسي ولد من عذراء ولكن المؤول يستطيع أن يحتج بقوله تعالي : « فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا » ويقول ان هذا الحمل لم يأت علي غير السنة الطبيعية . ألا تراه يقول « فتمثل لها بشرا سويا » فان تمثله بشرا لم يكن عبثا بل لاحداث التلقيح علي الوجه الطبيعي فان كان مراد القرآن انه ولد لاعلي الاسلوب الطبيعي لكان قال كما قالت الكتب التي تقدمته أن روح القدس جاءها في شكل حمامة أو نور أو غير ذلك . فنصه علي ان روح الله أتاها فى شكل انسان لا يصح أن يكون عاريا عن الحكمة ولا يصح أن يعتقد المسلمون بعده بأن مريم حملت بعيسى وهى عذراء فيساووا بهذه العقيدة أتباع الديانات السابقة

ثم يقول المؤول : انظر الى قوله تعالي (قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا) اى أنها لم تشك في انه انسان حتى أنها استعاذت بالله منه . فأجابها بقوله (انما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا) فانظر الى نسبة الهبة الي نفسه مما يدل على أنه العامل المباشر فيها على النحو المعروف في التزاوج بين البشر . وان لم يكن الامر كذلك فما معني قوله (لأهب لك غلاما زكيا) هل يهبه بقوله (وهبت) أم بوضعه الجرثومة فى الرحم بطريقة غير المعروفة بين الناس . واذا كان ذلك الروح جاء ليهبها غلاما زكيا بنص القرآن فلماذا يستنكر أن يهبه لها على الاسلوب المعروف بين البشر ولا يستنكر أن يهبه لها بأسلوب آخر ؟ مادامت وظيفة ذلك المرسل أن يكون واسطة في ايصال ذلك الغلام اليها فلأية حكمة يكون ذلك الايصال علي شكل غير

الشكل الذي جرت به عادة الله بين الناس ؟ اذا كان النص قد ورد بأن الله وهب مريم عيسي بدون وساطة كان يسوغ لنا ان نقول ان قدرته اقتضت ذلك ولا يسأل عما يفعل ، ولكن النص ورد بأنه خلق عيسي بالواسطة وفى هذا دليل على أنه لم يرد أن يخرق السنة الطبيعية فى ايجاده .وأما الزعم بأنه لطف تلك الواسطة فبدل أن يجعله على الاسلوب الذي يحصل بين الرجل والمرأة جعله على شكل نفخ أوغيره فذلك مما لاتنهض به حجة وليس له له من حكمة

فلا تنهض به حجة لانه نص على انه بعث روحه علي شكل بشر ونص على أنه أرسله ليهب لها غلاما ، والبشر لا يستطيع هبة الغلمان الا على الوجه الذى تستطيعه طبيعته . فالانسان لايهب غلاما بنفخ ولا ما يشابهه من الاعمال ، فلو كان الله يريد أن يهبها ذلك الغلام على شكل غير طبيعي لما كانت هنالك من ضرورة لارسال روحه في شكل بشر ، بل لم تكن هنالك ضرورة لارساله رأسا فكان يهبها هو ذلك الغلام بدون وساطة

يقول المؤول وليس لتلطيف واسطة التلقيح من حكمة لان التلقيح على الشكل البشرى ليس بالامر الذي يجب أن يتنزه عنه الكاملون فقد أتاه النبيون والمرسلون وأمتن به الله علي عباده فتلطيفه بالنسبة لمريم وهي ليست أفضل من المرسلين وجعله على شكل نفخ او غيره ليس فيه أدني حكمة والله تتنزه أفعاله عن ذلك

فان قال قائل ان قوله تعالى «قالت أني يكون لي غلام ولم يمسسني بشر» يدل علي أن هبة ذلك الغلام كانت بغير مس على أسلوب خارق للعادة

يجيب المؤول بأنها قالت ذلك عقب قوله «لأهب لك غلاما زكيا» أى قبل ان تعلم أن الهبة ستكون على الشكل التي جرت به العادة

فان قال قائل ان قوله تعالى «قال كذلك قال ربك هو عليّ هين ولنجعله آية للناس» يدل على أن الهبة كانت على الاسلوب الخارق للعادة حتى ساغ له ان يعبر عنها بقوله «هو عليّ هين» والشيء لايكون آية للناس الا اذا كان خارقا للعادة

يجيب المؤول نعم ان الله قال «هو

عليّ هين) وانه يريد ان يجعل عيسى آية للناس لانه ارسل روحا فظهرت في شكل بشر ووهبت لمريم غلاما زكيا وليست هذه سنته العامة في خلقه فصح ان يسميها آية من آياته

فان قال قائل قد نص الله علي ان هذه الهبة كانت بواسطة النفخ لا بواسطة طبيعية وان قوله تعالى « ومريم ابنة عمران التي احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين» يدل علي أنه نفخ فيها من روحه بلا واسطة

يجيب المؤول كيف تقولون بلا واسطة وهو تعالى يقول « فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشراً سويا» كلته وكلها؟

اما نسبة الله النفخ لنفسه فهو من باب ذكر السبب الاول للتكوين كما قال تعالى عن آدم (ونفخت فيه من روحي) فهو الفاعل في الحقيقة وغيره المنفعل

فان قال قائل اذا حملت مريم من الرسول على الشكل الطبيعي ألا يكون ذلك من باب المسافحة

يجيب المؤول ان هذا من اغرب الاعتراضات فاذا كان الخالق هو نفسه قد أمر رسوله بأن يهب مريم غلاما زكيا فهل وراء هذا مرمي في تقديس اقتران ؟

ثم يقول المؤول لو سلم الناس بهذا التأويل زالت اكبر الشبه التي يتذرع الماديون بها في ابطال القرآن ونستطيع معه ان نقف وخصومنا في مستوى واحد من البحث فلا يستطيعون ان يتهمونا التعلق بأذيال الخيالات

فان قيل له وهل وراء قولك أن روح الله تجسدت فصارت رجلا يهب غلاما خيال يتخذ منه الماديون حجة في دحض مذهبك ؟

يقول المؤول ان مسألة تجسد الارواح قد صارت في هذا العصر من الامور التي يمكن تحقيقها بالحس فان اعترض علينا المادى بذلك أتيناه بمئات من أقوال العلماء الذين جربوا هذه التجارب وشاهدوا هذه المشاهدات فان أصر أحلناه على التجربة فان ابى كان من الجامدين. وأشهد على ضعفه الناس اجمعين

واذا اثبتنا ان الارواح تتجسد سهل اثبات أنها تلقح . اما ادعاؤنا حدوث جنين في بطن عذراء علي غير السنة المعروفة بين البشر ففيه تعرض لشبه

الملحدين وتهيؤ لطعن الطاعنين ، مع امكان التأويل

هذا ما يستطيع ان يقوله مؤول متكلف ولا نستطيع أن نتعرض نحن للكلام في هذا الموضوع لان في التأويل تكلفا ، فنوكل الامر له تعالي يكشف لنا فيه الحق ان شاء ، فاما أخذنا بالنص علي ظاهره ، واما ذهبنا في تأويله مذهبا يكون هو الحق اليقين ، واتقوا الله ويعلمكم الله

﴿ المريمية ﴾ نبات يسمي بالفرنسية سوجيه (*Saugé*) من الفصيلة الشفوية ساقه خشبية مربعة متفرعة تحمل أوراقا كبيرة غالبا وتتشكل باشكال كثيرة فتكون كاملة أو مسننة او سفينية أو كثيرة التشقق او كأن سطحها ذو نقاقيع ورائحتها قوية اذا هرست . وأزهاره كبيرة عالية مزينة بأوراق زهرية مصاحبة لها ولونها غالبا قوى جداً تبعا لانواعه الكثيرة فقد عرف منها نحو ٢٥٠ نوعا ووضع لكثير منها أسماء مختلفة وهي متوزعة في معظم أجزاء الكرة الارضية ومنها ماله شهرة عظيمة في الكتب الطبية القديمة

حلل هذا النبات المحللون فوجدوا فيه دهنا طياراً أخضر اللون يوجد فيه ١٢٥ر٠ من الكافور وقليل من حمض عفصى وجسم خلاصى

(خواصه) يصح أن يجعل هذا النبات نموذجا للنباتات الشفوية وفعله ناشئ من اجتماع جميع القواعد الدوائية أى الدهن الطيار والكافور والقاعدة المرة . وتحتوى المريمية زيادة عن ذلك على قاعدة قابضة ناشئة من مقدار كبير من الحمض العفصي الموجود في النباتات ويصح أن يجعل هذا النبات في الخواص تاليا المرماخور أي الطقريون مارون الذى سبق ذكره في هذا الحرف

وقد اشتهر هذا النبات لدي الاقدمين بخواصه شهرة فائقة حتي قيل انه يطيل العمر ويحفظ من جميع الامراض والاعراض وبالغ بعضهم فجعلوه دواء لكل داء

وقد علم العلماء المحدثون انه ينبه ويحرض الشهية ويسهل الهضم ويقوى الجسم ويشرح الصدر ويزيد في النبض وفى الفعل التنفسى للجلد هذا اذا كان القلب والجلد سليمين واما اذا كان بهما مرض فيؤدي الي نتائج معكوسة فيضعفها

الاطباء في ضعف المعدة وبطء الهضم وعسره وفقد الشهية ولكنه لا يستعمل اذا كان في القناة الهضمية تهيج

ويستعمل ايضا في اواخر النزلات والسعال الرطب اذا كان في الغشاء المخاطي احتقان دموي ويستعمل أيضاً لتسهيل النفث اي البصق ولتحريض الطمث اذا كان سبب احتباسه من الرحم لامن غيره

وأوصوا باستعماله في الدوار والسبات والضعف والخدر واهتزاز الاطراف والشلل وعوارض السكتة والاعراض المهددة له . وأكدوا فعله في بعض الامراض المزمنة المصاحبة لارتشاح خلوى وورم عام

وتستعمل المرمية استعمالا موضعيا من الظاهر بسبب قوتها في تحليل جميع الاحتقانات المزمنة فتساعد على اذابتها وتحليلها وزوالها وذلك يكون بالاكثر في الاورام الخنازيرية والخراجات الباردة وكذ في التيبسات المفصلية المصاحبة أو غير المصاحبة للانتفاخ فتستعمل على شكل حمامات موضعية وعلى شكل أكياس توضع علي الجلد

وأهل اليونان يستعملون المرمية لتتبيل الاطعمة ويفضلها الصينيون على الشاى فيعطون صندوقين منه في سبيل الحصول على صندوق من المرمية

ويظن ان المرمية هي النبات الذى كان يطلق عليه العرب كلمة جعدة فقالوا انها مفتحة لجميع سدد الاعضاء الباطنية ومدرة للبول والطمث وما دامت طرية كانت مدملة للضربات الكبار وخصوصا النوع الاكبر من أنواعها . واذا جففت كانت مبرئة للقروح الرديئة

وقالوا اذا شربت بالخل نفعت من ورم الطحال واذا تضمد به الصق الجراحات

قال الرازي هي جيدة للحميات المزمنة نافعة من لدغ العقارب

وقال حبيش هي جيدة لاخراج الحيات من البطن ومبرئة للحميات الطويلة التي سببها المرة السوداء أو البلغم

وقال الاسرائيلي طبيخها يخرج حب القرع من البطن

وقال غيره أنها تذكي الذهن وتنفع من النسيان واليرقان الاسود وتقع في الترياق الكبير لشدة مقاومتها السموم وهى تنقي الارحام وتمهنها وتعين علي

الحل

(المقدار وكيفية الاستعمال) يصنع منقوعها بأخذ مقدار منها من ١٥ غراما الي ٣٠ لاجل كيلو غرام من الماء فينقع فيه ويحلى المنقوع بشراب حمضي او لعابي او غير ذلك ويستعمل كوبا كوبا. وماؤها المقطر يستعمل بمقدار من ٢٠ غراما الى ١٠٠ غرام في جرعة

ودهنها الطيار يستعمل من ١٠ الى ستنيغراما

ويستعمل من الظاهر مطبوخها المصنوع من ١٥ غراما الي ٣٠ في كيلو غرام من الماء ويستعمل ذلك غسلات وزورقات وكادات وحمامات. ويلزم غسل أوراقها قبل استعمالها لازالة مايكون عليها من الغبار

﴿ مَزَجَ ﴾ الشراب بالماء يمزُجه مزجا ومزاجا خلطه به و (مازجه) خالطه و (امتزج به) اختلط و (المِزاج) مايمزج به كالماء في الشراب

﴿ المزاج ﴾ هوماأسس عليه البدن من الطبائع وهي الاختلافات التي توجد بين افراد الناس ناشئة عن استيلاء مجموع من المجاميع او جهاز من الاجهزة وغلبته علي غيره في البنية

فان استولت مثلا أعضاء الدورة على غيرها وتسبب عن استيلائها كثرة الدم سمى المزاج دمويا . وان استولت الاعصاب سمي عصبيا ، وان استولت الصفراء سمي صفراويا وان استولت اللمفا سمى لمفاويا

(١) المزاج الدموي . تكون القوة الطبيعية في الرجل الدموي في أجلي مظاهرها فيكون شكله ثابتا متينا وتركيبه عضليا ناميا ، ومنكباه واسعين ورأسه صغيراً ووجهه مستديراً وأديمه صقيلا ولونه زاهراً وطبعه حسناً يبوح بسره ولا يستطيع كتمانه ، ويميل للاعجاب بنفسه ، ويحب الاطعمة الحسنة والسرف والازياء الجديدة وحضور الاحتفالات ويكون متملقا حسن المحاضرة متسرعا كثير الحركة الا انه يكون في الحب قليل الثبات . فهو اذا مل من مقام يتركه بلا تردد ولذلك يوصف بقلة الوفاء والطيش ونكران الجميل

ولا يكون غيوراً في حبه للدرجة القصوى يحقد علي من يذمه او يحط من قدره ولكن لايطول امد حقده لانه ينتقم سريعا وينسى الاهانة التي لحقته

ولذلك يوصف بحسن المعاشرة والتودد ويميل لان يكون له اخوان كثيرون

اما صاحبات المزاج الدموى في النساء فيكن ممتلئات الجسم كثيرات التبرج كريمات الاخلاق لينات الطباع

(٢) المزاج العصبي . يكون صاحب المزاج العصبي نامى المجموع العصبي الدماغي شديد الحية والشعور ، ويعرف بنحافة وجهه وكمود لونه وبريق عينيه ، وسواد شعره ورقة جسمه وكثرة عروقه وظهورها وغلبة الهم عليه . وهو يكون كثير الغذاء مفرط الحس متغلبة عليه الهواجس وكثيراً مايصاب بالافكار السوداء فيصبح مكتئبا مضطربا وأحيانا قاسيا واذذاك تكون حياته مرة وعيشه نكداً . فاذا لم يتول نفسه بتحسين حالتها ، وتلطيف حسها بقوة الارادة ، وتعود الصبر وقلة المبالاة سقط في الداء السوداوى ففقد لذة الحياة وأمله فيها وقضي عمره متألما متبرما يرى في وجوده عبئا ثقيلا عليه يجب أن يتخلص منه

هذا المزاج هو مزاج الفلاسفة والمفكرين والشعراء والمخترعين ولا يعيبه الا ماقد يصاحبه من فرط الشعور الذى قد يخرج به عن الحالة العادية فيحرمه لذة العيش . فالواجب على صاحب هذا المزاج أن يعلم هذا النقص فى نفسه فيدأب علي أخذها بما يخفف عنه ويلاته بقوة الارادة والتغلب علي انفعالاته النفسية والتشدد في ذلك حتي يعتدل شعوره ولا يميل الى الافراط الذي يورده الموارد

(٣) المزاج الصفراوى . يعرف صاحب هذا المزاج بصفرة لونه وسمرته وبأشكال تراكيبه الجافة النادرة الوضوح وكذلك بهيئته الثابتة وسيره المحدود . وتكون حركاته ثقيلة وقوية وملامحه كمدة ومكفهرة ونظراته حادة وبراقة . يغلب في تركيبه الدم الاسود على الدم الاحمر وتكثر فيه الصفراء . ويظن أنها تكون سبب أهوائه الشديدة وكتمانه الغيظ . ومن أخلاقه الشموخ والعجرفة وقلة الصبر ، يتظاهر بالعظمة وعلو الشأن ويكون ممتلئا بالمطامع ويسعى جهده لاكتساب الثناء وانتشار الصيت . وهو يتميز عن سواه بالذكاء والجرأة وثبات الجأش واصراره علي متابعة آرائه

فاذا تكلم كان كلامه موجزاً وكتابته سلسلة ولذاعة ويكون غضوبا

شرسا حاد الاهواء وفيه استعداد للكبر والغيرة والحقد والانتقام والقسوة

وقد شوهد ان الصفراويين كما يكونون أكثر قبولا للفضائل يكونون أشد تسفلا لارتكاب الجرائم . ويروى ان كبار القتلة أمثال اشيل واجاكس وانيبال وماريوس وسيلا من عظماء قادة الامم القديمة كانوا من أصحاب هذا المزاج ولذلك كانوا بعيدين عن الشفقة لاتثنيهم عوامل المرحمة وينسب الي هذا المزاج كبار المتعصبين للديانة والسياسة

وبالجملة فان الاهواء والرغبات تكون في أصحاب هذا المزاج شديدة وثابتة . فالرجل الصفراوى يقيم علي حبه ووفائه بقدر مايثبت في حقده وبغضائه

والنساء الصفراويات يكن سمراوات اللون سوداوات الاعين حادات البصر . لهن ميل للعظمة والفخفخة . يفنين في حبهن لمن يحببنه، ولكنهن يحقدن عليه أشد الحقد واذا بدامنه عدم الاكتراث بهن فلا يحجمن اذ ذاك عن الانتقام منه وكثيراً مايغالين في ذلك الانتقام ويخرجن به عن دائرة الانسانية

(٤) المزاج اللمفاوى . هذا المزاج هو مزاج الأطفال وأكثر النساء خصوصا الساكنات في الاقاليم الشمالية ، يكون جسم صاحبه رخوا أو لحمه مسترخيا . ويكون لونه أبيض غير مشرب بحمرة ويكون قوامه غليظا وثقيلا كثير السمن أشقر الشعر . ويكون سيره بطيئا وتدل حركاته علي التواني والبلادة . فيأكل ويتكلم ببطء ويتحرك على مهل وهو لايكون نزوعا الى الكبر ولا الادعاء ويكثر في اللمفاويين الشح والامساك

ومن أخلاقه أنه يتألم بصبر ويحتمل المصائب والنكبات بثبات جأش ونجده عادم الخيالات عادم الاهواء لايذهله شئ ولا يستفزه أمر . يكاد يستوي عنده الجميل والقبيح . وتراه بازاء مايحرك غيره ويطيشه ويذهب به في التأثر كل مذهب ثابت الجأش بارداً كأنه قطعة من صخر

والنساء اللمفاويات لطيفات الطبع ولكنهن فاترات بليدات لايحقدن ولا يغضبن ويصبرن على الآلام والمكاره ويجتزن أدوار حياتهن بثبات وسكينة . فهن حليمات صابرات لايؤذين أحداً ومنهم تكون الزوجات العفيفات والامهات الصالحات

وقد قال بعضهم بوجود مزاج خامس يقال له العضلي يمتاز صاحبه بنمو عضلاته فتراه يميل الي الصراع والفروسية ويشبه صاحب المزاج الدموي في حيته وشدة بطشه

هذه هي الامزجة الرئيسية ويندر أن يستولي واحد منها على شخص فالمشاهد أن الانسان يكون موزعا بين مزاجين او ثلاثة فيكون عصبيا دمويا او عصبيا لنفاويا أو غير ذلك وفي ذلك تلطيف لحدة الامزجة فان بعضها يعدل بعضا فلا تستولي علي الشخص صفات الواحد منها استيلاء مطلقا

ولما كان قانون الوراثة مما لاشبهة فيه فيجب علي الآباء أن يختاروا لبناتهم أزواجا ذوي أمزجة تخالف أمزجتهن فلو كانت الفتاة عصبية وتزوجت برجل عصبي خرج منهما نسل مفرط العصبية والافراط في هذا المزاج شديد الخطر على صاحبه . وكذلك يكون الحال لو كان كلاهما دمويين أو لنفاويين فانه يولد منهما أولاد شديدو الدموية واللنفاوية وفي ذلك ضرر عظيم على صحتهم وحظهم من الحياة. فمراعاة الامزجة بين الزوجين ضرورية وقل من يلتفت لها الآن ولذلك يولد كثير من الاطفال لا يصلحون للبقاء وان بقوا عاشوا مرضى لا ينتفع بهم المجتمع في شيء ولا ينتفعون هم بأنفسهم . ولا بد من مجيء زمان تعد فيه هذه القاعدة الحيوية من أمهات الاصول الواجب مراعاتها في الزواج لان الكلام كثر فيها الآن واتجهت اليها أنظار علماء الاجتماع

﴿ مزَح ﴾ الرجل يمزَح مَزحا هزل ضد جد . و (المُزاح) الهزل

﴿ المزدارية ﴾ من الفرق الاسلامية أصحاب عيسى بن صبيح المكني بأبي موسى الملقب بالمزدار وقد تلمذ لبشر ابن المعتمر وأخذ العلم عنه وتزهد ويسمى راهب المعتزلة وانما انفرد عن أصحابه بمسائل

(الاولى) قوله في القدر ان الله تعالى يقدر على أن يكذب ويظلم ولو كذب وظلم كان إلها كاذبا ظالما

(الثانية) قوله في التولد مثل قول أستاذه وزاد عليه بأن جوز وقوع فعل واحد من فاعلين على سبيل التولد

(الثالثة) قوله في القرآن ان الناس قادرون علي مثل القرآن فصاحة ونظما

وبلاغة . وهو الذى بالغ في القول بخلق القرآن وكفر من قال بقدمه فانهقدأثبت قديمين . وكفر أيضا من لابس السلطان وزعم انه لايرث ولا يورث وكفر من قال ان اعمال العباد مخلوقة لله تعالي ومن قال انه يري بالابصار وغلا في التكفير حتى قال : هم كافرون في قولهم (لاإله الا الله)

وقد سأله ابراهيم بن السندى مرة عن أهل الارض جيما فكفرهمفأقبل‌عليه ابراهيم وقال الجنة التي عرضها السموات والأرض‌لايدخلهاالاأنت‌وثلاثةوافقوك؟ فخزى ولم يجد جوابا

وقد تلمذ له الجعفران وأبوزفر ومحمد ابن سويد

وصحب أبا جعفر محمد بن عبد الله الاسكافي وعيسى بن الهيثم وجعفر بن حرب الأشج

وحكي الكعبي عن الجعفرين أنهما قالا ان الله تعالى خلق القرآن في اللوح المحفوظ فلا يجوز أن ينتقل ويستحيل ان يكون الشيء الواحد في مكانين فى حالة واحدة ، وما نقرأه فهو حكاية عن المكتوب الاول في اللوح المحفوظ وذلك فعلنا وخلقنا

قال وهو الذي اختاره من الاقوال المختلفة في القرآن

وقال في تحسين العقل وتقبيحه ان العقل يوجب معرفة الله تعالى بجميع أحكامه وصفاته قبل ورودالشروع‌وعليه أن يعلم انه ان قصر ولم يعرفه ولم يشكره عاقبه عقوبة دائمة فأثبت التخليد واجبا بالعقل

﴿ مزدك ﴾ هو صاحب الديانة المزدكية في بلاد الفرس ظهر فى أيام قباد والد أنو شروان ودعا قباد الى مذهبه فأجابه ولكن أنو شروان لم يتبعه بل‌طلبه وقتله

أماديانته‌فقد بسطناهافى كلمة (مجوس) تحت عنوان (المزدكية)

﴿ مزّه ﴾ يَمُزه مَزا مصه و(مَز الطعم يَمَز)كان مُزاً.والاسم(المَزَازة) و(المزوزة)و(تمزّزالشراب) تمصصه.و (المزّة) الخمر اللذيذة

﴿ مزع ﴾ القطن يمزَعه‌مزعاومزّعه تمزيعا نفشه بأصابعه كأنه يقطعه ثم الفه وجوده

﴿ مزق ﴾ الثوب يمزِقه ومزّقه

شقه و (تمزّق) انشقق

﴿ مزن ﴾ المُزن السحاب أو أبيضه أو ذو الماء منه و (المُزنة) القطعة من المزن . و (مازن) ابو قبيلة مشهورة (انظر عرب)

﴿ المزني ﴾ هو ابو ابراهيم اسماعيل ابن يحيي بن اسماعيل بن عمرو بن اسحق المزني صاحب الامام الشافعي

هو من اهل مصر كان زاهداً عالما مجتهدا غواصا على المعاني الدقيقة وهو امام الشافعيين وأعرفهم بطرقه وفتاويه وما ينقله عنه . صنف كتباً كثيرة في مذهب الشافعي منها الجامع الكبير والجامع الصغير ومختصر المختصر والمنثور والمسائل المعتبرة والترغيب في العلم وكتاب الوثائق وغير ذلك

قال الشافعي في حقه : المزني ناصر مذهبي. وكان اذا فرغ من مسألة وأودعها مختصره قام الي المحراب وصلي ركعتين بشكراً لله تعالي

وقال أبو العباس احمد بن سريج يخرج مختصر المزني من الدنيا عذراء لم يفتض وهو أصل الكتب المصنفة في مذهب الشافعي على مثاله رتبوا ولكلامه فسروا وشرحوا

ولما ولى القاضي بكار بن قتيبة القضاء بمصر وجاءها من بغداد وكان حنفي المذهب توقع الاجتماع بالمزني مدة فلم يتفق له فاجتمعا يوما في صلاة جنازة فقال القاضي بكار لاحد أصحابه سل المزني شيأ حتى أسمع كلامه فقال له ذلك الشخص ياابا ابراهيم قد جاء في الاحاديث تحريم النبيذ وجاء تحليله أيضاً فلم قدمتم التحريم على التحليل ؟

فقال المزني لم يذهب أحد من العلماء الي أن النبيذ كان حراما في الجاهلية ثم حلل ووقع الاتفاق على أنه كان حلالا فهذا يعضد صحة الاحادث بالتحريم. فاستحسن القاضي بكار ذلك منه . وهذا من الادلة القاطعة

كان المزني في غاية الورع وبلغ من احتياطه انه كان يشرب في جميع فصول السنة في كوز نحاس فقيل له في ذلك فقال قد بلغني أنهم يستعملون السرجين في الكيزان والنار لا تطهرها

وقيل أنه كان اذا فاتته الصلاة في جماعة صلى منفرداً خمساً وعشرين استدراكا لفضيلة الجماعة مستنداً في ذلك

الى قوله صلي الله عليه وسلم صلاة الجماعة أفضل من صلاة أحدكم وحده بخمس وعشرين درجة

وكان من الزهد على طريقة صعبة شديدة ولم يكن أحد من أصحاب الشافعي يحدث نفسه بالتقدم عليه . وهو الذى تولى غسل الامام الشافعي وقيل كان معه حينئذ الربيع صاحب الشافعي

عاش تسعا وثمانين سنة وتوفي سنة (٢٦٤) بمصر ودفن بالقرب من الامام الشافعي

﴿ مسَح ﴾ في الارض يمسَح مسوحا ذهب فيها و (مسَحه بالدهن) أمر يده عليه به . و (مسح الارض) قاسها والاسم المِساحة . و (تمسَّح به) تبرك.و (المسَّاح) الذي يمسح الارض و(المسحَة) أثر خفيف يبقى على ظاهر الجسم من اصابة اليد المبتلة. يقال (عليه مَسحة من الفضيلة) أى أثر منها

﴿ المسيح ﴾ هو عيسى عليه السلام (انظر عيسى)

﴿ المسيحية ﴾ انظر نصرانية

﴿ مَسَخه ﴾ يمسَخه مسخا حول صورته الي صورة أقبح منها

﴿ المسيخية ﴾ طائفة من المجوس وقد اتينا على تفصيل معتقداتهم في كلة مجوس

﴿ المسيخ الدجال ﴾ صحة اسمه المسيح الدجال بالحاء المهملة لا بالخاء ولكن الناس اطبقوا الآن علي تسميته بالمسيخ فجارينام في وضعه في هذه المادة حتي لا يظن انا أهملناه

قيل انه رجل يظهر في آخر الزمان يفعل الاعاجيب فيفتن الناس بخوارقه عن دينهم ويدعوهم الى عبادته فيظل في الارض حتي ينزل عيسي عليه السلام فيقتله، ونحن نعرض علي القارىء جملة هذه الاحاديث ونبدى رأينا فيها

روى عن حذيفة بن أسيد الغفارى انه قال طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال ماتذكرون ؟ قالوا نذكر الساعة . قال انها لن تقوم حتي تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسي بن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب وآخر ذلك نار يخرج من اليمن يطرد

الناس الى محشرهم

ويروي نار تخرج من قعر عدن تسوق الناس الى المحشر

وفي رواية في العاشرة وريح تلقي الناس في البحر

وقال عليه الصلاة والسلام بادروا بالاعمال ستا الدخان والدجال ودابة الارض وطلوع الشمس من مغربها وأمر العامة وخويصة أحدكم

وعن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول ان أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحي وأيتها ما كانت قبل صاحبتها فالاخري علي أثرها قريبا

وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث اذا خرجن لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيراً طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الارض

وقال عليه الصلاة والسلام لا تقوم الساعة حتي تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون وذلك حين لاينفع نفسا ايمانها ثم قرأ الآية

وعن أبي ذر انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين غربت الشمس أتدري أين تذهب هذه؟ قلت الله ورسوله أعلم . قال فانها تذهب حتي تسجد تحت العرش فتستأذنه فيؤذن لها ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها يقول لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها وذلك قوله تعالى : والشمس تجري لمستقر لها . قال مستقرها تحت العرش

وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم ما بين خلق آدم الى قيام الساعة أمر أكبر من الدجال

وعن ابن عمر انه قال قام رسول الله صلي الله عليه وسلم فى الناس فأثني علي الله بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال اني لانذركموه وما من نبي الا أنذره قومه . لقد أنذره نوح قومه ولكن أقول لكم فيه قولا لم يقله نبي لقومه، تعلمون انه أعور وان الله ليس بأعور

وقال عليه السلام ان الله لا يخفي عليكم ان الله ليس بأعور وان المسيخ الدجال أعور العين اليمني كأن عينه عنبة

طافية

وعن أنس أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن نبي الاأنذر أمته الاعور الكذاب، الاأنه أعور مكتوب بين عينيه ك. ا. ف. ر

وعن بى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أحدثكم حديثا عن الدجال ماحدث به نبي قومه انه اعور وانه يجيء معه بمثل الجنة والنار فالتي يقول انها الجنة هي النار ، واني أنذركم كما أنذر به نوح قومه

وعن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الدجال يخرج وان معه ماء وناراً فأما الذى يراه الناس ماء فنار تحرق، وأما الذى يراه الناس ناراً فماء بارد عذب فمن أدرك ذلك منكم فليقع فى الذي يراه الناس ناراً فانه ماء عذب طيب ، وان الدجال ممسوح العين عليه ظفرة غليظة مكتوب بين عينيه كافر يقرأه كل مؤمن كاتب وغير كاتب

وعن حذيفة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال أعور العين اليسري جفال الشعر معه جنة ونار فناره جنة وجنته نار

وعن النواس بن سمعان قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال فقال ان يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم وان يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي علي كل مسلم، أنه شاب قطط عينه طافية كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف

وفى رواية اخرى فليقرأ عليه بفواتح سورة الكهف فانها جوازكم من فتنته، انه خارج من خلة بين الشام والعراق فعاث يمينا وعاث شمالا، ياعباد الله فأثبتوا قلنا يارسول الله وما لبثه في الارض ؟ قال اربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم . قلنا يارسول الله فذلك اليوم الذى كسنة أيكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال لا اقدروا له قدره . قلنا يارسول الله وما اسراعه في الارض ؟ قال كالغيث استدبرته الريح فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به فيأمر السماء فتمطر والارض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرى ، وأسبغه ضروعا ، وأمده خواصر. ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف

عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيءٌ من أموالهم . ويمر بالخربة فيقول لها أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل . ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض . ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك، فبينما هو كذلك اذ بعث الله المسيح عيسى بن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه علي أجنحة ملكين اذا طأطأ رأسه قطر ، واذا رفعه تحدر منه مثل جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه الا مات ، ونفسه تنتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله ثم يأتي عيسي بن مريم قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فبينما هو كذلك اذ أوحى الله الى عيسي انى قد أخرجت عبادا لي لا يدان لاحد بقتالهم فحوز عبادي الى الطور ، ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فتمر أوائلهم علي بحيرة طبرية فيشربون مافيها ويمر آخرهم فيقول لقد كان بهذه مرة ماء ، ثم يسيرون حتي ينتهوا الى جبل الخمر وهو جبل بيت المقدس فيقولون لقد قتلنا من فى الارض هلم فلنقتل من فى السماء فيرمون بنشابهم الى السماء فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دما ويحصر نبي الله وأصحابه حتي يكون رأس الثور لاحدهم خيراً من مئة دينار لاحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسي واصحابه الى الارض فلا يجدون في الارض موضع شبر الا ملأه زهمهم ونتنهم فيرغب نبي الله عيسي واصحابه الى الله فيرسل الله عليهم طيراً كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ويروى تطرحهم بالمهبل ويستوقد المسلمون من قسيهم ونشابهم وجعابهم سبع سنين

ثم يرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الارض حتي يتركها كالزلفة ثم يقال للارض أنبتي ثمرتك وردي بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة . ويستظلون بقحفها ويبارك في الرسل حتى ان اللقحة من الابل لتكفي الفئام من الناس واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس . بينما هم كذلك اذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم

فيقبض روح كل مؤمن وكل مسلم وتبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة

عن أبي سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم يخرج الدجال فيتوجه قبله رجل من المؤمنين فتلقاه المسالح مسالح الدجال فيقولون له أين تعمد فيقول أعمد الي هذا الذى خرج . قال فيقولون له أوما تؤمن بربنا ؟ فيقول ما بربنا خفاء، فيقولون اقتلوه، فيقول بعضكم لبعض أليس قد نهاكم ربكم ان تقتلوا أحداً دونه فينطلقون الي الدجال فاذا رآه المؤمن قال يا أيها الناس هذا الدجال الذى ذكر رسول الله عليه السلام قال فيأمر الدجال به فيشج . فيقول خذوه وشجوه ، فيوسع بطنه وظهره ضربا قال فيقول أما تؤمن بي ؟ قال فيقول أنت المسيخ الكذاب قال فيؤمر به فيوشر بالميشار من مفرقه حتي يفرق بين رجليه . قال ثم يمشى الدجال بين القطعتين . ثم يقول له قم فيستوي قائما ثم يقول يا أيها الناس انه لا يفعل هذا بعدى بأحد من الناس . قال فيأخذه الدجال ليذبحه فيجعل ما بين رقبته الى ترقوته نحاسا فلا يستطاع اليه سبيلا. قال فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به فيحسب الناس انما قذفه الى النار وانما ألقى في الجنة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين

وعن أم شريك انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليفرن الناس من الدجال حتي يلحقوا بالجبال . قالت أم شريك قلت يا رسول الله فأين العرب يومئذ ؟ قال هم قليل

وعن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون الفا عليهم الطيالسة

وروى انه عليه الصلاة والسلام قال يأتي الدجال وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة فينزل بعض السباخ التي تلى المدينة فيخرج اليه رجل وهو خير الناس أو من خيار الناس فيقول أشهد انك الدجال الذى حدثنا رسول الله صلي الله عليه وسلم حديثه، فيقول أرأيتم ان قتلت هذا ثم أحييته هل تشكون في الامر ؟ فيقولون له لا . فيقتله ثم يحييه. فيقول والله ما كنت فيك أشد بصيرة مني اليوم ، فيريد الدجال ان يقتله فلا يسلط عليه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وطعن بخصرته في المنبر ، هذه طيبة هذه طيبة هذه طيبة ، يعني المدينة ، ألا هل كنت حدثتكم ذلك ؟ فقال الناس نعم . فقال ألا انه في بحر الشام أو بحر اليمن لا بل من المشرق هاهو . وأومأ بيده الى المشرق

وعن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال :

رأيتني الليلة عند الكعبة فرأيت رجلا آدم كأحلي ماأنت راء من أدم الرجال، لة كأحسن ماأنت راء من اللمم، قد رجلها فهى تقطر ماء ، متكئا على عواتق رجلين يطوف بالبيت . فسألت من هذا ؟ فقالوا هذا المسيح بن مريم . قال ثم اذا أنا برجل جعد قطط أعور العين اليمنى كأن عينه طاقية ، كأشبه من رأيت من الناس بابن قطن واضعا يده على منكبي رجلين يطوف بالبيت فسألت من هذا ؟ فقالوا هذا المسيح الدجال

وفي رواية قال فى الدجال رجل احمر جسيم جعد الرأس أعور عينه اليمني، أقرب الناس به شبهاً ابن قطن

قال البغوي في كتاب مصابيح السنة في مقدمة هذه الاحاديث انها من الاحاديث المعتبرة الصحيحة. ثم أخذ يسرد الاحاديث الحسنة التي وردت فى هذا الباب فقال :

عن فاطمة بنت قيس فى حديث تميم الدارى قال فاذا أنا بامرأة تجر شعرها قال ماأنت ؟ قالت أنا الجساسة ، اذهب الى ذلك القصر. فأتيته فاذا رجل يجر شعره مسلسل في الاغلال ينزل فيما بين السماء والارض . فقلت من أنت ؟ قال أنا الدجال

عن عبادة بن الصامت عن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال اني حدثتكم عن الدجال حتي خشيت أن لا تعقلوا ان المسيح الدجال رجل قصير أفحج جعد أعور مطموس العين ليست بناتئة ولا حجراء، فان البس عليكم فاعلموا ان ربكم ليس بأعور

وعن عبيد بن الجراح انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه لم يكن نبي بعد نوح الا قد أنذر الدجال قومه فاني أنذركموه فوصفه لنا ، فقال لعله سيدركه بعض من رآني أو

مهم كلامى . فقالوا يارسول الله فكيف قلوبنا يومئذ ؟ قال مثلها . يعني اليوم اوخير

وعن عمر بن حريث عن ابي بكر الصديق قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدجال يخرج من ارض بالمشرق يقال له خراسان تتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة

وعن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمع بالدجال فلينأ عنه فوالله ان الرجل ليأتيه وهو يحسب انه مؤمن فيتبعه مما يبعث فيه من الشبهات

وعن اسماء بنت يزيد بن السكن قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمكث الدجال في الارض اربعين سنة السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كاضطرام السعفة في النار

وعن ابي سعيد الخدرى قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع الدجال من امتي سبعون الفا عليهم السيجان

وعن اسماء بنت يزيد انها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي فذكر الدجال فقال ان بين يديه ثلاث سنين سنة تمسك السماء فيها ثلث قطرها والارض ثلث نباتها والثانية تمسك فيها السماء ثلثي قطرها والارض ثلثي نباتها ، والثالثة تمسك السماء قطرها كله والارض نباتها كله فلا يبقى ذات ظلف ولا ذات ضرس من البهائم الا هلكت. وان من أشد فتنته أن يأتى الاعرابي فيقول أرأيت ان أحييت لك ابلك ألست تعلم اني ربك ؟ فيقول بلى . فيمثل له نحو ابله كأحسن مايكون ضروعا وأعظمه أسنمة . قال ويأتى الرجل قد مات أخوه فيقول أرأيت ان احييت لك ابلك واخاك ألست تعلم اني ربك؟ فيقول بلى. فيمثل له الشياطين نحو ابيه ونحو اخيه. قالت ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم رجع والقوم في اهتمام وغم مما حدثهم . قالت فأخذ بلجفتي الباب فقال مهيم اسماء ؟ قلت يارسول الله لقد خلعت افئدتنا بذكر الدجال . قال ان يخرج وانا حي فأنا حجيجه والا فان ربى خليفتي على كل مؤمن. فقلت يارسول الله والله انا لنعجن عجيننا فما نخبزه حتي نجوع فكيف بالمؤمنين يومئذ؟ قال يجزئهم مايجزى اهل السموات من التسبيح والتقديس

(رأينا فى هذا الكلام) ان الذى

يلقى بصره علي هـذه الاحاديث يدرك لاول وهلة أنها من الـكلام الملفق الذى يضعه الوضاعون وينسبونه للنبي صلى الله عليه وسلم لمقاصد شتى : أما لافساد عقائد الناس ، او لتصغير شأن النبي صلى الله عليه وسلم في نظر اهل النقد . فان هذا الكلام لو نسب الى احد الناس حط من شأنه فما بالك لو نسب لخاتم النبيين وامام المرسلين؟

ان لنا في توهين هذا الكلام عدة وجوه لاتقبل المناقشة

(اولها) انه اشبه بالاساطير الباطلة فان رجلا يمشي على رجلين يطوف البلاد يدعو الناس لعبادته ويكون معه جنة ونار يلقى فيهما من يشاء ، كل هذا من الامور التي لا يسيغها العقل والتي اجل من ان يأتى بشيء تنقضه بداهة النظر ، والا فما هى جنته وما هى ناره التي تتبعانه حيث سار ؟ هل هما مرئيان ام خياليان ؟ ان كانا مرئيين فهل جنته قصور منيفة وحدائق غناء على مايفهمه الناس من مدلول هذه اللفظة ؟ ان كانت كذلك فكيف تسير معه هذه القصور والحدائق الى حيث توجه ؟ وهل ناره تنور عظيم متأجج بالناس والحجارة على مايفهمه الناس من معنى هذه الكلمة ؟ وهل مثل هذا الامر مما يصح ان يسيغه عقل بشري ملك الله به تمييز الممكن من المستحيل ، وجعله الفارق بين الحق والباطل ؟

وان قيل بأن جنته وناره خياليان فهل كان يقتل متبعه ليرسل بروحه الى الجنة او يعده بها وعداً بعد مماته ؟ الذى ورد انه يلقى بمتبعه فى جنته فيجدها ناراً تتأجج ويلقى بعاصيه فى ناره فيجدها جنة وارفة الظلال وأنهما تسيران معه حيث سار وهذا ممتنع عقلا كما رأيت

(ثانيا) كيف يعقل ان رجلا اعور مكتوب على جبهته كافر يقرأها الكاتب والامي على السواء يقوم بين الناس فيدعوهم لعبادته فتروج له دعوة او تسمع له كلمة ؟ اي انسان بلغ به الانحطاط العقلي الى درجة يعتقد بألوهية رجل مشوه الخلقة مكتوب فى وجهه كافر بالاحرف العريضة ؟

واي جيل من اجيال الناس تروج فيهم مثل هذه الدعوة ؟ ان العرب كانوا يشكون في المرسلين ويستكبرون ان يتبعوا رجلا يمشي على رجلين ويودون لو ارسل الله اليهم ملائكة من السماء كما نص عليه

القرآن ، وغيرهم من الامم حتى في أقدم أزمنة التاريخ كانوا يظهرون الانفة من اتباع امثالهم في البشرية ويودون لو أن الرسول كان من عالم آخر كما نص عليه القرآن أيضا . فمن هي تلك الامم التي كتب لها ان تفتتن برجل أعور مكتوب على وجه كافر فتعتقد فيه الالوهية ؟

(ثالثها) لماذا لم يذكر القرآن عن هذا المسيخ الدجال شيئا مع خطورة أمره وعظم فتنته كما تدل عليه تلك الاحاديث الموضوعة ؟ فهل يعقل أن القرآن يذكر ظهور دابة الارض ولا يذكر ظهور ذلك الدجال الذى معه جنة ونار يفتن بهما الناس ؟

(رابعها) ان كون هذه الاحاديث موضوعة يعرف بالحس من الحديث الطويل الذي نسب الى النواس بين سمعان ورفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو الحديث الذى ينبىء بأن الدجال يخرج من خلة بين الشام والعراق ، يعمل الاعاجيب ثم يدركه عيسى فيقتله . ثم يؤمر عيسى بأن يعتصم بالطور هربا من قوم لاقدرة لاحد عليهم وهم يأجوج ومأجوج فيمر أوائلهم ببحيرة طبرية فيشربونها ثم يمرون بجبل فيقولون لقد قتلنا من في الارض هلم فلنقتل من في السماء فيرمون بنشابهم الى السماء فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دما (؟) ثم يرسل الله عليهم النغف (دود) في رقابهم فيصبحون موتي كموت نفس واحدة . ثم يهبط عيسى ومن معه فلا يجدون في الارض موضع شبر الا ملأه زهمهم ونتنهم فيدعو عيسى فتأتي طيور فترفع جثثهم وتلقيها حيث شاء الله ويستوقد المسلمون من قسيهم ونشابهم وجعابهم سبع سنين اي يستعملون اخشابها في وقودهم سبع سنين الخ

ان تنظر الى تركيب هذه القصة نظر منتقد لا يخطر ببالك شك في انها موضوعة وقد وضعها واضع لا يفرق بين الممكن والمستحيل ، وبين سنن الله في خلقه وما تولده الخيالات من الاباطيل . ولكن الدليل الحسي على بطلان هذا الحديث ان واضعه لقصر نظره خيل له ان اسلحة الناس لن تزال القسي والسهام والنشاب والجعاب حتي تقوم الساعة ، ولم يدرك انه لن يمر على وضع هذا الحديث نحو سبعة قرون حتي يوجد

البارود والبندق ولم تمر ستة قرون أخرى حتي لم يكن للقوس والنشاب ذكر وقام مقامه مدافع الماكسيم وقنابل اليد والشرابنل والادخنة السامة والغازات الملتهبة والديناميت الذي يتساقط من الطيارات الخ الخ لم يدرك ذلك كله فصور الاسلحة في آخر الزمان على الحال الذى عهده في زمانه . وليس بعد هذا دليل محسوس علي ان هذا الحديث مختلق. فان النبي الذى يوحي اليه أكبر من أن يقع في مثل هذا الخطأ العظيم

(هل المسيخ الدجال هو ابن صياد؟)

توجد أحاديث عزيت الي النبي صلى الله عليه وسلم أتت على ذكر انسان سمته ابن صياد وعزت اليه بعض ماعزته للمسيخ الدجال حتي نسب الى بعض الصحابة انه حلف بالله ان ابن الصياد هو المسيخ الدجال . فقد روى عن محمد ابن المنكدر انه قال رأيت جابر بن عبد الله يحلف ان ابن صياد الدجال (أى ان ابن صياد هو الدجال) قلت تحلف بالله؟ قال اني سمعت عمر يحلف علي ذلك عند النبي صلى الله عليه وسلم فلم ينكره النبي عليه

فمن هو ابن صياد هذا!

روى عن عبد الله بن عمر ان عمر ابن الخطاب انطلق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من أصحابه قبل ابن الصياد حتي وجدوه يلعب مع الصبيان في أطم بني مغالة وقد قارب ابن الصياد يومئذ الحلم فلم يشعر حتي ضرب رسول الله صلي الله عليه وسلم ظهره بيده ثم قال أتشهد أني رسول الله ؟ فنظر اليه فقال أشهد أنك رسول الاميين

ثم قال ابن الصياد أتشهد أني رسول الله ؟ فرضه النبى صلي الله عليه وسلم . ثم قال آمنت بالله ورسله

ثم قال لابن الصياد ماذا تري (أي من الاخبار الغيبية)

قال ابن الصياد يأتيني صادق وكاذب

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خلط عليك الامر . ثم قال رسول الله اني خبأت لك خبيئا ، وخبأ له يوم تأتي السماء بدخان مبين

فقال هو الدخ

قال رسول الله اخسأ فلن تعدو قدرك

قال عمر يارسول الله أتأذن لى فيه أضرب عنقه

قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ان يكن هو فلا تسلط عليه ، وان لم يكن هو فلا خير لك في قتله

قال ابن عمر انطلق بعد ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بن كعب الانصارى يؤمان النخل التي فيها ابن صياد فطفق رسول الله صلي الله عليه وسلم يتقى بجزوع النخل وهو يختل ان يسمع من ابن صياد شيئا قبل أن يراه وابن صياد مضطجع على فراشه في قطيفه له فيها زمزمة فرأت أم ابن صياد النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتقى بجذوع النخل فقالت أى صاف وهو اسمه هذا محمد فتناهي ابن صياد . قال رسول الله لو تركته بين

قال عبد الله بن عمر قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس فأثني على الله بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال انى أنذركموه وما من نبي الا وقد أنذره قومه ولكن سأقول لكم فيه قولا لم يقله نبي لقومه تعلمون انه اعور وان الله ليس بأعور

نقول ان من أدل الادلة علي ان هذا الحديث موضوع قول واضعه (تعلمون انه أعور وان الله ليس بأعور) وكان الاولى فى هذا المقام والاجدر بشرف النبوة ان يقال (تعلمون انه أعور وان الله لاتدركه الابصار وليس كمثله شيء) أما قوله ان الله ليس بأعور فيوهم ان الفارق بينه وبين المسيخ الدجال انه سليم العينين وهذا ينافى نص القرآن قال تعالي (لاتدركه الابصار) وقال تعالى (ليس كمثله شيء) الخ

وعن أبي سعيد الخدرى قال لقيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر فى بعض طرق المدينة (أي لقوا ابن صياد) فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أتشهد اني رسول الله ؟ فقال هو تشهد اني رسول الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله . ماترى ؟

قال أري عرشا على الماء . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تري عرش ابليس على البحر . وما تري ؟ قال أرى صادقين وكاذبا او كاذبين وصادقا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبس عليه، فدعوه

وعن أبي سعيد الخدري ان ابن صياد

سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن تربة الجنة. فقال درمكة بيضاء مسك خالص

وقال نافع لقى ابن عمر ابن صياد في بعض طرق المدينة فقال له قولا أغضبه فامتلأ حتى ملأ السكة فدخل ابن عمر على حفصة وقد بلغها فقالت له رحمك الله مابلغك من ابن صياد ، أما علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما يخرج من غضبة يغضبها

وعن ابي سعيد الخدرى قال صحبت ابن صياد الى مكة فقال لى ما لقيت من الناس ايزعمون انى الدجال الست سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه لا يولد له وقد ولد لى. أليس قد قال هو كافر وانا مسلم. أوليس قد قال لايدخل المدينة ولا مكة وقد اقبلت من المدينة وانا اريد مكة ؟ ثم قال لى في آخر قوله اما والله اني اعلم مولده ومكانه واين هو واعرف اباه وامه. قال فلبسني. قال قلت له تبا لك سائر اليوم

قال وقيل له ايسرك انك ذاك الرجل قال فقال لو عرض على ماكرهت

وقال ابن عمر لقيته وقد نفرت عينه فقلت متى فعلت عينك ماأري ؟ قال لا أدرى . قلت لاتدري وهى فى رأسك؟ قال ان شاء الله خلقها في عصاك هذه. قال فنخر كأشد نخير حمار سمعت

عن محمد بن المنكدر رضي الله عنه أنه قال رأيت جابر بن عبدالله رضي الله عنه يحلف بالله ان ابن الصياد الدجال . قلت يحلف بالله قال اني سمعت عمر يحلف على ذلك عند النبي صلى الله عليه وسلم فلم ينكره النبي عليه

عن نافع قال كان ابن عمر رضى الله عنه يقول والله ما أشك أن المسيخ الدجال ابن صياد

وعن جابر رضى الله عنه أنه قال فقد ابن صياد يوم الحرة

عن أبي بكر رضى الله عنه أنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم يمكث أبوا الدجال ثلاثين عاما لا يولد لهما ولد ثم يولد لهما غلام اعور اضرس واقله منفعة تنام عيناه ولا ينام قلبه. ثم نعت لنا رسول الله صلي الله عليه وسلم أبويه فقال ابوه طوال ضرب اللحم كأن انفه منقار وامه امرأة فرضاخية طويلة اليدين. فقال أبو بكر رضي الله عنه فسمعنا بمولود في اليهود

المدينـة فذهبت أنا والزبـير بن العوام حتى دخلنـا على أبويه فاذا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهما فقلنا هل لكما ولد فقالا لا مكثنا ثلاثين عاما لا يولد لنا ولد ثم ولدنا غلام اعور اضرس وأقله منعة تنام عيناه ولا ينام قلبه . قال فخرجنا من عندهما فاذا هو مجندل في الشمس فى قطيفة وله همهمة فكشف عن رأسه فقال ما انتما؟ قلنا وهل سمعت ماقلناه؟ قال نعم تنام عيناى ولا ينام قلبي

وعن جابر رضى الله عنه ان امرأة من اليهود بالمدينة ولدت غلاما ممسوحة عينه طالعة نابه فأشفق رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون الدجال فوجده تحت قطيفة يهمهم فآذنته أمه فقالت ياعبد الله هذا ابو القاسم فخرج من القطيفة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالها قاتلها الله لو تركته لبين . فذكر مثل معنى حديث ابن عمر فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ائذن لى يارسول الله فأقتله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكن هو فلست صاحبه وانما صاحبه عيسى ابن مريم والا يكن هو فليس لك أن تقتل رجلا من أهل العهد فلم يزل رسول الله صلي الله عليه وسلم مشفقا انه الدجال

يرى القارىء مما مر من هـذه الاحاديث كلها أنها خالية من روح النبوة ولا يؤيدها شيء من القرآن ولا من طريق الاشارة فلا يصح لعاقل ان يعول على أمثال هـذه الموضوعات فان الاخذ بها حطة فى العقل وذهاب بالدين مذهب الخرافات والاضاليل والمسلمون أمروا أن يتحروا الحقيقـة فى كل شيء وأن لا يأخذوا بكل مايقال وان ناقض العقل والدين

﴿ مسد ﴾ الحبل يمسُده فتله . و (المَسَد) حبل من ليف

﴿ مَس ﴾ الشيء يَمسه مسا ومَسيسا لمسه و (مَست الضرورة اليه) ألجأت اليه . و (مُس فلان) جن . و(به مَس) أى جنون . و (ماسَّه) لمسه . و (أمَسَّه الشيء) جعله يمسه و (تماسَّ الجسمان) مس أحدهما الآخر و (لا مَساس) أي لا مَس. و(مسيس الحاجة) الجاؤها

﴿ مسقط ﴾ قال ياقوت مسقط الرمل فى طريق البصرة بينها وبين النباج